
محمد بن على بن سليمان الراوندى
ميراث الترجمة
راحة الصدور وآية السرور
فى تاريخ الدولة السلجوقية
ترجمة
إبراهيم أمين الشواربى
عبد النعيم محمد حسنين
فؤاد عبد المعطى الصياد
المجلس الأعلى للثقافة
المشروع القومى للترجمة
996







يشتمل هذا المجلد على نصوص مخطوط نادر فريد لمحمد بن على بن سليمان الراوندى فى تاريخ الدولة السلجوقية العظيمة التى قامت فى البلاد الفارسية . وهذا المخطوط محرَّر بالخط النسخ الكبير وكان تحريره فى أول رمضان سنة ٦٣٥ هـ (١٧ أبريل سنة ١٢٣٨م) وكان ملكا للمرحوم الأستاذ شيفر وهو الآن محفوظ فى المكتبة الأهلية بباريس.

أما الوصف الشامل الكامل لهذا المخطوط نشره الأستاذ «إدوارد براون» فى مجلة الجمعية الملكية الآسيوية سنة ١٩٠٢ وقد أدرك الأستاذ «براون» قيمة هذه المخطوط بسبب قدمه والثقة فى أخباره فأشار بضرورة طبعه ونشره .

تصميم الغلاف : أسامة العبد

المشروع القومى للترجمة

راحة الصدور وآية السرور

فى تاريخ الدولة السلجوقية

تأليف : محمد بن على بن سليمان الراوندى

ترجمة : إبراهيم أمين الشواربى

عبد النعيم محمد حسنين

فؤاد عبد المعطى الصياد

مراجعة : إبراهيم أمين الشواربى

تقديم : بديع محمد جمعة

وشيرين عبد النعيم محمد حسنين



٢٠٠٥

المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

سلسلة ميراث الترجمة

المحرر : طلعت الشايب

- العدد : ٩٩٦
- راحة الصدور وآية السرور : فى تاريخ الدولة السلجوقية
- محمد بن على بن سليمان الراوندى
- إبراهيم أمين الشواربى
- عبد النعيم محمد حسنين
- فؤاد عبد المعطى الصياد
- بديع محمد جمعة
- شيرين عبد النعيم محمد حسنين
- ٢٠٠٥

هذه ترجمة كتاب :

راحة الصدور وآية السرور

تـألـيـف

محمد بن على بن سليمان الراوندى

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St.. Opera House. El Gezira. Cairo

Tel. : 7352396 Fax : 7358084.

مقدمة

صدرت الترجمة العربية لكتاب "راحة الصدور وآية السرور" لمؤلفه "محمد بن على بن سليمان الراوندى" لأول مرة بالقاهرة عام ١٩٦٠م ، وذلك بمعاونة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، وسرعان ما نفدت نسخه ؛ لذا أقدم المجلس الأعلى للثقافة على إعادة نشره ضمن سلسلة "ميراث الترجمة" ، وذلك لأن الكتاب يعتبر من أهم الكتب التراثية التى تحدثت عن الجزء الأخير من تاريخ الدولة السلجوقية ٥٥٢ - ٥٩٠هـ (١١٥٧ - ١١٩٤م) ؛ لأن المؤلف نفسه وأخواله كانوا من أولى الحظوة عند السلطان طغرل آخر سلاطين السلاجقة ، ومن أجل ذلك - كما يقول ناشر الكتاب - تيسَّر للمؤلف الوقوف على المعلومات من مصادرها الصحيحة فى كل شأن يتعلق بأحداث الدولة .

وقد توفر لنشر هذا الكتاب فى أصله الفارسى مجموعة كبيرة من كبار الأساتذة ، أذكر منهم المستشرق البريطانى الشهير "إدوارد براون" الذى وفق فى العثور على المخطوطة الأصلية لهذا الكتاب ، والعلامة الإيرانى "محمد إقبال" الذى تولى تصحيحه ونشره بمساعدة العلامة الكبير "محمد بن عبد الوهاب القزوينى" . وقد طبع الكتاب الفارسى لأول مرة فى كمبريدج عام ١٩٢١م.

أما عن الترجمة العربية فقد توفر لها كذلك ثلاثة من كبار علماء الفارسية فى مصر ، وهم الأستاذ الدكتور "إبراهيم أمين الشواربى" مؤسس قسم اللغات الشرقية بآداب عين شمس ، وتلميذاه : الأستاذ الدكتور "عبد النعيم محمد حسنين" ، والأستاذ الدكتور "فؤاد عبد المعطى الصياد" ، وقد تولى كل منهم ترجمة ثلث الكتاب ، وبعد ذلك قام الأستاذ الدكتور "إبراهيم أمين الشواربى" ، بما عهد عنه من دقة متناهية بمراجعة الترجمة ونشر مقدمات الكتاب.

وإذا كان كتاب راحة الصدور يصنف على أنه كتاب تاريخ ، إلا أن المؤلف بالإضافة إلى مقدرته فى التاريخ كان أديبًا وناقدًا وشاعرًا ؛ فقد زخر الكتاب بالعديد من الشواهد الشعرية الفارسية وبعضها بالعربية من نظم المؤلف أو من نظم كبار شعراء الفارسية قبل عصر المؤلف وفى عصره ، مما يجعل الكتاب مرجعًا مهمًا لدراسة الأدب الفارسى وبخاصة أن بعض الشواهد الواردة فيه لم ترد فى مرجع غيره ، أو أن بعضه ورد فى غيره من المراجع ، ولكن شابتها بعض الأخطاء ، فكان هذا الكتاب مرجعًا لتصحيح هذه الشواهد .

أما عن الترجمة العربية فقد جاءت غاية فى الدقة العلمية وبأسلوب عربى رصين ، وبخاصة فى ترجمة الشواهد الشعرية التى تعتبر درسًا فى أصول الترجمة العلمية الدقيقة ، والتى تُشعر القارئ العربى بأنه يقرأ أصلاً لا عملاً مترجمًا !

وبمناسبة إعادة طبع هذه الترجمة أتوجه بالشكر نيابة عن جميع أساتذة اللغات الشرقية وعن نفسى للمجلس الأعلى للثقافة ، لإقدامه على إعادة هذه التحفة النادرة إلى التداول بعد طول انتظار ، كما أنتهز هذه الفرصة كى أسأل الله عز وجل أن يتغمد أساتذتنا رحمهم الله جميعًا بواسع رحمته جزاء ما قدموه لنا وللعلم من مجهودات مشكورة سواء بما ألفوه من كتب وبما ترجموه من عيون الأدب الفارسى إلى اللغة العربية .

وأرجو أن يوفقنا الله كى نسير على هدى خطاهم وصحيح دربهم !!

بديع محمد جمعة

تقديم

أقدم الشكر باسمي وباسم أعضاء أسرتي ومتخصصي اللغات الشرقية بالجامعات المصرية والعربية والدولية للمجلس الأعلى للثقافة على إعادة نشر الترجمة العربية لكتاب "راحة الصدور وآية السرور" لمؤلفه "محمد بن على بن سليمان الراوندى" ضمن سلسلة "ميراث الترجمة" بعد أن نفدت الطبعة الأولى لترجمة هذا الكتاب بالقاهرة بعد مضى زمن يقترب من النصف قرن .

كما أعبر عن امتنانى وتقديرى للمجلس الأعلى للثقافة لدوره الرائد المتمثل فى مشروع الترجمة ، والذى يهدف إلى إثراء المكتبة العربية بروائع الكتب التراثية المترجمة .

وفى الحقيقة ، فإن كتاب "راحة الصدور وآية السرور" للراوندى يعد من روائع الكتب التراثية ؛ حيث تكمن قيمته فيما يلى :

- تناول هذا الكتاب تاريخ الفترة الأخيرة من تاريخ الدولة السلجوقية ، وهى الفترة ما بين (٥٥٢ - ٥٩٠هـ) الموافق (١١٥٧ - ١١٩٤م) تلك الدولة التى يرجع لها الفضل فى نشر الإسلام فى أسيا الصغرى بفضل سلاطينها الذين كانوا حماة للإسلام وللخلافة العباسية ضد أى خطر خارجى .

- كان مؤلف هذا الكتاب أحد رجالات هذه الدولة المقربين لسلاطينها ، وشاهد عيان للأحداث التاريخية التى أرخ لها عن هذه الدولة ؛ لذا يعد هذا الكتاب من أمهات المصادر التى تناولت تاريخ الدولة السلجوقية ، والمعلومات التى وردت فى هذا الكتاب تعتبر وثائق مهمة عن تاريخ هذه الدولة .

- قد قام بترجمة هذا الكتاب ثلاثة من كبار رواد اللغة الفارسية فى مصر وبلدان العالم ، وهم :

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم أمين الشواربى .

الأستاذ الدكتور/ عبد النعيم محمد حسنين .

الأستاذ الدكتور/ فؤاد عبد المعطى الصياد .

وقد جاءت الترجمة العربية غاية فى الدقة مشتملة على تعليقات وحواش غاية فى الأهمية .

وقبل أن أختتم كلمتى أؤكد أن هذا الكتاب ليس العمل الوحيد لهؤلاء الأعلام ؛ لذا أمل بل أرجو أن يُقدِم المجلس الأعلى للثقافة على نشر الكتاب التراثية الأخرى التى قام بها هؤلاء العلماء الأجلاء إما بترجمتها إلى العربية أو بتأليفها من أجل المزيد من إثراء مكتبتنا العربية بمثل هذه الكتب التراثية المترجمة المهمة .

وفى الختام أكرر شكرى وتقديرى للمجلس الأعلى للثقافة على هذا الجهد الرائد والرائع المتمثل فى مشروع ميراث الترجمة .

والله الموفق ،

شيرين عبد النعيم محمد حسنين

راحة الصدور وآية السرور

بإشراف
الادارة العامة للثقافة
وزارة التربية والتعليم
الاقليم الجنوبي

راحة الصدور وآية السرور

في تاريخ الدولة السلجوقية

ألفه بالفارسية

محمد بن علي بن سليمان الراوندي

...

ونقله إلى العربية

الثلث الأول : الدكتور ابراهيم أمين الشواربي أستاذ بكلية الآداب

الثلث الثاني : الدكتور عبد النعيم محمد حسنين أستاذ مساعد بكلية الآداب

الثلث الأخير : الدكتور فؤاد عبد المعطي الصياد مدرس بكلية الآداب

وراجعه ونشر مقدماته

الدكتور ابراهيم أمين الشواربي

أستاذ ورئيس قسم اللغات الشرقية وآدابها

بكلية الآداب . بجامعة عين شمس

١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م

مقدمات الكتاب

١ — تمهيد بقلم ناشر المتن الفارسى

٢ — مؤلف كتاب راحة الصدور

٣ — مشتملات الكتاب ومصادره

٤ — التواريخ اللاحقة التى نقلت عن الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ربِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ، ويَسِّرْ لي أمْرِي ، واحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ، يَفْقَهُوا قَوْلِي .

صدق الله العظيم

تمهيد

بقلم ناشر المتن الفارسى

الأستاذ محمد اقبال

يشتمل هذا المجلد على نصوص مخطوط نادر فريد لمحمد بن على بن سليمان الراوندى فى تاريخ الدولة السلجوقية العظيمة التى قامت فى البلاد الفارسية [١] . وهذا المخطوط محرّر بالخط النسخ الكبير وكان تحريره فى أول رمضان سنة ٦٣٥ هـ (١٧ ابريل سنة ١٢٣٨ م) وكان ملكا للمرحوم الأستاذ شيفر وهو الآن محفوظ فى المكتبة الأهلية بباريس [٢] .

وقد وقف القائمون بدراسة الفارسية على مؤلف الراوندى منذ سنة ١٨٦٥ م عند ما ذكره « دى يونج » و « دى جويه » [٣] فى فهرست الأسفار الشرقية

---

(١) المراجع : المتن الفارسى لكتاب « راحة الصدور » نشرة الأستاذ محمد إقبال بجامعة البنجاب ضمن سلسلة أوقاف جب التذكارية وهو مطبوع بمطبعة بريل بليدن سنة ١٩٢١م وهو الذى نقلناه إلى العربية .

(٢) أنظر Supplément Persan 1314. وكذلك الجزء الأول من كتالوج بلوشيه ص ٢٧٦ — ٢٧٧ وقد نقل نسخة طبق الأصل منه ميرزا كاظم زاده لصالح الأستاذ أدوارد براون فى سنة ١٩١٣ وقد تفضل سيادته بخطها تحت تصرفى .

(٣) المراجع : فيما يلى صورة هذين الأسمين بالأفرنجية :

De Jong, De Goeje

بمكتبة المجمع اللغوى بياتافيا[1] (ج ٣ ص ٢٥) على أنه أصل للكتاب الثانى من مجموعة (تواريخ آل سلجوق) التى وضعت بالتركية فى ثلاثة أجزاء فى عهد السلطان مراد الثانى (١٤٢١ — ١٤٥١) . بمعنى أن الجزء الثانى من هذه المجموعة التركية إنما هو ترجمة لهذا الكتاب الفارسى[2] وقد لاحظ هذا الأمر أيضاً الأستاذ « هوتسما » فى رسالة قصيرة عنوانها « حول سجل تركى عن تاريخ السلاجقة بآسيا الصغرى »[3] قرأها فى المؤتمر الدولى السادس للمستشرقين الذى عقد فى ليدن سنة ١٨٨٣ م ، ولكن وجود المؤلف الأصلى لم يكن معروفاً إلى أن جاء « شيفر » فنشر فى عام ١٨٨٦ م نبذة منه تتعلق بعهد السلطان « سنجر »[4] فى كتاب « متنوعات شرقية جديدة »[5] ونشر مع هذه النبذة ترجمتها الفرنسية مصحوبة بكثير من التعليقات وبصورة فوتوغرافية لصحيفة واحدة من المخطوط (ورقة ٦٢ ب) . ثم عاد « شيفر » فنشر فى سنة ١٨٩٧ م نبذة ثانية منه تتعلق بتاريخ « ملكشاه » منذ بداية أمره إلى أن أدركته الوفاة[6]

---

(١) Catalogus Codicum Orientalium Bibliothecae. Academiae Lugduno Batavae.

(٢) نشر الأستاذ هوتسما فى ليدن سنة ١٩٠٢ الجزء الثالث من هذه المجموعة وهو الجزء الذى يتضمن الترجمة التركية لكتاب ابن البيبى الذى ألفه بالفارسية عن تاريخ سلاجقة آسيا الصغرى .

أنظر :

Recueil de Textes relatifs à L'histoire des Seljoucides (Vol III) Leyden 1902.

(٣) عنوان هذه الرسالة هو الآتى :

Ueber eine Türkische Chronik Zur Geschichte der Selguqen Klein - Asiens.

(٤) تقابل ص ١٦٧ الى ص ١٨٤ فى المتن الفارسى .

(٥) اسم الكتاب بالفرنسية هكذا :

Nouveaux Mélanges Orientaux.

(٦) تقابل ص ٨٦ — ١٣٦ من المتن الفارسى وما يقابلها فى الترجمة العربية .

وطبعها ضمن كتابه الذى جعله ملحقاً لـكتاب « سياست نامه » تأليف « نظام الملك »[١] .

أما الوصف الشامل الـكامل لهذا المخطوط فقد نشره الأستاذ « ادوارد براون » فى مجلة الجمعية الملـكية الآسيوية[٢] سنة ١٩٠٢ وقد أدرك الأستاذ « براون » أهمية هذا المخطوط بسبب قدمه والثقة فى أخباره فأشار بضرورة طبعه ونشره .

ولا شك أننا نعتبر أنفسنا سعداء لأن فى حوزتنا مراجع أصيلة وافية لتاريخ آل سلجوق العظماء الذين حكموا من ٤٢٩ إلى ٥٩٠ ﻫ (١٠٣٧ — ١١٩٤ م) وهذه الفترة التى تبلغ قرابة ١٦٠ سنة يمكن أن تقسم إلى ثلاثة أقسام ، لدينا لـكل منها تواريخ غاية فى الدقة كتبها علماء أجلاء ، لم يقتصر حالهم على مشاهدة الحوادث التى سجلوها بأعينهم بل أنهم شاركوا فيها مشاركة عملية فعالة .

وأول هذه العصور يمكننا أن نطلق عليه « عصر الامبراطورية » وينتهى بعصر « ملـكشاه » سنة ٤٨٥ ﻫ (١٠٩٢ م) وبين أيدينا عن هذا العصر التاريخ البديع الذى ألفه البيهقى[٣] وتسجيلات ابن الأثير وهى وإن كانت غير معاصرة ومتأخرة زمنياً إلا أنها تعتمد على مراجع سابقة موثوق بها ، كما أنها غنية بالتفصيلات الـكثيرة .

أما العصر الثانى أو العصر الأوسط فهو عصر السلطان « سنجر » الذى كانت له السلطة العليا على دولة السلاجقة فى العراق ، وينتهى بموته فى سنة ٥٥٢ ﻫ

---

(١) انظر ص ٧٠ — ١١٤ من هذا الملحق .

(٢) أنظر ص ٥٦٨ — ٦١٠ .

(٣) طبع هذا الـكتاب باسم آل سبكتكين ضمن .
Bibliotheca Indica Series (Calcutta 1862)
المراجع : طبع فى ايران باسم تاريخ بيهق سنة ١٣٢٤ ﻫ . ش

(١١٥٧ م) وهو مسجل بالتمام فيما كتبه كل من « ابن الأثير » و « عماد الدين الكاتب الأصفهانى » الذائع الصيت[١] .

وأما العصر الثالث والأخير فهو « عصر الاضمحلال والسقوط » من سنة ٥٥٢ إلى ٥٩٠ هـ (١١٥٧ — ١١٩٤ م) ويعد كتاب « راحة الصدور » مرجعاً منقطع النظير لهذا العصر ، لأن المؤلف نفسه وأخواله ـ كما سنرى فيما بعد ـ كانوا من أولى الحظوة عند السلطان طغرل آخر سلاطين السلاجقة ، ومن أجل ذلك تيسر للمؤلف الوقوف على المعلومات من مصادرها الصحيحة فى كل شأن يتعلق بأحداث الدولة[٢] .

وفيما عدا ذلك فإن مخطوطنا « راحة الصدور » غنى بثروة لغوية هامة لأنه لقدم عهده قد احتفظ بالهجاء القديم والعبارات المهجورة ، وهو فوق ذلك يحوى عدداً لا يستهان به من الأبيات الشعرية لعدد من أعلام شعراء الفرس مثل

---

(١) يعد كتابه فى الحقيقة ترجمة عربية للتاريخ الفارسى القديم الذى ألفه انوشروان بن خالد وقد نشر فى تلخيص البندارى بعنوان « زبدة النصرة ونخبة العصرة » .

(٢) يمكن أن نذكر هنا مصدرين معاصرين لهذا العصر ، الكتاب الأول منهما هو « زبدة التواريخ » لصدر الدين على الحسينى كتبه فى سنة ٦٢٢ هـ (١٢٢٥ م) ويوجد مخطوط وحيد منه فى المتحف البريطانى (انظر ص ٣٤٢ من ملحق فهرست الكتب العربية لريو Rieu وهو يشتمل على كثير من المعلومات المفصلة عن عصر السلطان طغرل لا توجد فى « راحة الصدور » . واما الكتاب الثانى فهو ذيل ملحق بما أورده رشيد الدين فضل الله عن تاريخ السلاجقة فى كتابه جامع التواريخ ، وقد كتبه أبو حامد محمد بن ابراهيم فى سنة ٥٩٦ هـ (١٢٠٢ م) وهو يتناول بالتفصيل حوادث السنوات العشر الاخيرة من عهد طغرل أى من ٥٨٠ إلى ٥٩٠ هـ

(المراجع : نشر الأستاذ محمد إقبال استاذ اللغة الفارسية بجامعة البنجاب الكتاب الأول من هذين الكتابين بعنوان « أخبار الدولة السلجوقية » على القلاف أخارجي وبعنوان « زبدة التواريخ » فى الداخل طبع لا هور سنة ١٩٣٣ هـ ويذكر فى المقدمة أنه نشر كتابه عن النسخة الوحيدة التى سبق الأشارة إليها بالمتحف البريطانى)

الأنورى ، ومجير البيلقانى ، وأثير الأخسيكتى ، وحسن الغزنوى ، وجمال الدين الأصفهانى ، وكان أكثرهم من معاصرى المؤلف . وهذه الأشعار باعتبار أنها تمثل أقدم النصوص التى وصلتنا وأصحها — ذات قيمة بالغة لدينا ، إذ نستطيع بواسطتها أن نلمس مدى العبث الذى نال ما نظمه أولئك الشعراء القدامى على أيدى النساخ الجهلاء غير الأمناء بحيث أصبح مستحيلا أن نجد بيتاً واحداً فى مخطوطين مختلفين يروى على صورة واحدة ، بل نرى بين المخطوطين كثيراً من أوجه التباين والتضارب .

وعندما اضطلعت بنشر هذا الكتاب حاولت أن أقلّد بصفة عامة الطبعة الممتازة لكتاب « تاريخ جهانگشاى » التى أخرجها العلامة ميرزا محمد القزوينى ، كما رأيت من الأنسب — لكى أتيح للقراء تحقيق الأخبار والحقائق التاريخية — أن أشير دائماً إلى الفقرات المقابلة فيما كتبه ابن الأثير والبندارى وهما من أعظم الثقات العدول فى تاريخ السلاجقة .

ولقد ذكرت فى مناسبات عدة بعض التواريخ فى الحاشية أو بين قوسين مربعين كلما كان ذكرها لازما . أما الأقواس المنحنية ( ) فقد استعملتها فى بيان الإشارات إلى أبيات الشاهنامه كلما بلغ عددها بيتين أو أكثر (والمؤلف يستشهد بالشاهنامه فى كثير من الأحوال ولا ينبغى — البته — أن يظن القارىء أننى أضفت إلى نص الكتاب شيئاً من الشاهنامه غير وارد فى الأصل) ولقد أدركت أن النظام الذى اتبعته قد يحدث لبسا لبعض القراء ، وحاولت العدول عنه ولكنى للأسف لم أتحقق من ذلك إلا بعد أن تم شطر من الكتاب ، ولذلك اضطررت إلى أن أمضى فيه إلى النهاية محافظة على وحدة النسق .

ويلاحظ أن الحركات موضوعة فى المخطوط على صورة خط رأسى للفتحة التى

تسبق الألف وللكسرة التي تسبق الياء نحو « ناشر » ، « اسلام » ، « نصير » « دين » وهلم جرا . وقد اعتزمت في بداية الأمر أن أحذو هذا الحذو ولكني عندما أيقنت أن هذه الطريقة ليست بالشيء غير المألوف عدلت عنها ، فإذا وجد القارئ في أول الكتاب بضع صفحات رسمت فيها الفتحة والكسرة رأسيتين أو أموراً أخرى كهذه تدل على عدم وحدة النسق فإني أرجو أن يتجاوزها ويضرب صفحاً عنها .

ولقد ضمنت قائمة الألفاظ المنشورة في نهاية الكتاب (ص ٤٨٩ — ٥١٦) بعض الألفاظ والعبارات التي ليست نادرة ولا مهجورة ولكني اتبعت في ذلك النهج الذي انتهجه الدكتور « نيكلسون » في وضع قائمة ألفاظه التي ألحقها بكتاب « تذكرة الأولياء » باعتبار أنه قد يأتي يوم تنفع فيه مؤلفاً يضع معجماً علمياً للغة الفارسية يلزمه فيه الاستشهاد بأمثلة من نصوص معتمدة تقرر معنى كل كلمة ووجه استعمالها . ولذلك حرصت على أن أشير أيضاً إلى جملة من الكتب الأخرى وضعها مؤلفون معاصرون كلما وجدت نفس الألفاظ أو العبارات واردة بها .

ومن البديهي أن العلماء يدركون المضار والعقبات التي ينطوي عليها نشر كتاب من الكتب استناداً إلى مخطوط واحد ، ولذلك لا أجدني في حاجة إلى القول بأن الكثير مما عانيته من الصعوبات وما صادفته من المشقات لم أستطع التغلب عليه وبقيت غامضةً بعض الجمل والأشعار (وخاصة أشعار مجير البليقاني) بالرغم من سعي عدد من العلماء أولي الذكر إلى كشف معانيها[1]

---

(١) المراجع : ترجمنا هذه الأشعار باذلين أقصى الجهد الكشف عن معانيها .

أما (الفهلويات) أو الأشعار العامية أو المحلية الواردة فى الصفحات ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٦٠ فقد تركتها بغير شرح لأنه لم يتيسر الاهتداء إلى لهجة عامة تنتسب إليها[١]. وهناك قلة من أسماء الأعلام لم أستطع التحقق من أشخاص أصحابها لأن المؤلف يذكرهم لماما أو عرضاً مفترضاً فيما يبدو أن قراءه يعرفونهم .

ولابد أن أعترف بأننى استعملت علامات الترقيم بكثرة قد تجاوز حدود الضرورة ، ولكننى كنت فى أغلب الأحيان مضطراً إلى ذلك لما فى أسلوب المؤلف من اضطراب وعدم جرى على وتيرة واحدة ولكثرة ما يورد من الجمل المختصرة المبتسرة .

* * *

والآن أرى لزاما على أن أسدى الشكر إلى جميع زملائى من الدارسين الذين ساعدونى فى عملى ، و إنى أعترف بالجميل وخالص التقدير لصديقى العلامة «ميرزا محمد القزوينى » الذى يقيم الآن فى باريس[٢] ، ولست فى حاجة إلى بيان مكانته فهو معروف خير المعرفة بين الباحثين فى الفارسية لأنه نشر عدداً من الكتب القيمة التى تضمنتها سلسلة أوقاف جب التذكارية ،وقد تفضل سيادته فراجع جميع تجارب المطبعة واحتمل أشد العناء فى مقابلتها على المخطوط الأصلى بالمكتبة الأهلية بباريس[٣] . والكتاب مدين لدقته وتمحيصه بكثير من التصحيحات والتصويبات ، ولقد لجأت إليه عدة مرات أعرض عليه الصعوبات التى تعترض سبيلى فكان

---

(١) يقرر « شيفر » أن لهجة الفهلويات أنما هى لهجة كردية ولكنه لا يشرح معانيها انظر :
Nouveaax Mélanges Orientaux, Vol. II, pp. 7 and 13.
(المراجع : تركنا هذه الفهلويات على حالها فلم يتيسر لأحد قبلنا حلها) .

(٢) المراجع : كان ذلك فى سنة ١٩٢١ عندما كتبت هذه المقدمة ولقد عاد القزوينى بعد مدة طويلة إلى طهران وتوفى بها سنة ١٩٤٩ .

(٣) قبل اعداد الكتاب للطبع قمت أنا أيضاً بمقابلة نسخته بالمخطوط الأصلى فى باريس .

يبذل أقصى وسعه للتغلب عليها ، وقد أثبت ملاحظاته وقرنتها باسمه فى كل مكان من التعليقات . وكذلك أعترف بفضل صديقى « ميرزا ذبيح الله بهروز » مدرس الفارسية فى جامعة كمبردج . فقد أعاننى على جلاء بعض الجمل والعبارات الغامضة ؛ وأعترف كذلك بفضل الأستاذ « بلوشيه » ، فقد تكرم بإعطائى صوراً شمسية وخرائط مأخوذة عن المخطوط الأصلى . هذا والفضل فى ظهور هذه الطبعة يعود إلى الأستاذ « ادوارد براون » فقد كان أول من أدرك أهمية الكتاب وأشار بنشره ، وإنى مدين له بنصائحه المتصلة ومساعداته المستمرة وبأنه أتاح لى الفرصة للانتفاع بكثير من كتبه ومخطوطاته النفيسة .

كمبردج فى أغسطس سنة ١٩٢١

محمد اقبال

٢

مؤلف كتاب راحة الصدور

إن كل ما نعرفه عن المؤلف مستمد من كتابه ذاته . فاسمه الكامل هو أبو بكر نجم الدين محمد بن على بن سليمان بن محمد بن احمد بن الحسين بن همة الراوندى . وهو ينتسب إلى أسرة من أهل العلم فى بلدة راوند ، من أعمال مدينة كاشان (قاشان) كان جميع أفرادها من العلماء والأساتذة . وقد توفى أبوه وهو غلام لم يكمل تعليمه ، وكان شغوفا بإكماله ولكنه لم يملك الوسيلة إلى ذلك ، فإن مجاعة شديدة اجتاحت اصفهان وما جاورها سنة ٥٧٠ ﻫ (١١٧٤ — ١١٧٥م) وما بعدها ، فكفله خاله « تاج الدين احمد بن محمد بن على الراوندى » وتولى أمره وتعليمه ، وكان « تاج الدين » رجلا عالماً وأستاذاً فى كلية بهمدان أنشأها « جمال الدين آى آبه » أتابك السلطان طغرل ، وكان أستاذاً للشريعة وعلم الكلام متفقها فى الحديث وتفسير القرآن والأدبين العربى والفارسى ، وألف عدة كتب فى هذه العلوم وكان كذلك خطاطاً بارعاً ، فبقى المؤلف تحت رعايته عشر سنين (فيما يبدو من سنة ٥٧٠ ﻫ إلى سنة ٥٨٠ ﻫ) أى (١١٧٤ إلى ١١٨٤ م) ، وقد استطاع فى هذه الفترة أن يزور مع خاله جميع مدن العراق الكبرى وأن يتقن الخط . فقد أتقن سبعين فناً من فنونه وأحسن التجليد والتذهيب ودرس علم الشريعة والفقه على بعض فقهاء عصره ؛ كفخر الدين البلخى ، وبهاء الدين اليزدى ، وصفى الدين الاصفهانى الذى كان أستاذاً

بكلية فى مدينة همدان أنشأتها أم السلطان آرسلان[١] — ونال من هؤلاء إجازة التدريس .

وقد أجمل ذكر مؤهلاته العظيمة فى أبيات موجهة إلى مولاه سلطان الروم كيخسرو ، هذا نصها[٢] :

[أبيات فارسية فى الأصل ترجمتها] :

— أيها الملك اننى اعتكف سنين عديدة ... زهدا ... لاتظاهرا أو رياء ...!!

— فكثيراً ما تحملت فى المدارس أنواع المشاق ، وقضيت الليالى الطوال يقظاً أدرس حتى الصباح ... !!

— وتخصصت فى علم الفقه والخلاف حتى صرت عالماً بين زملائى .

— ودرست العربية والفارسية ، والأشعار التى كاللؤلؤ المتلألىء .

— وأتقنت فن الخط والتذهيب والتجليد و إعداد المصاحف حتى لم يعد لى نظير فى هذا كله .

— وأصبحت أستطيع أن أنشئ من الصنائع كل ما يستطيع شخص مثلى أن يفعله .

وكان السلطان طغرل — آخر سلاطين السلاجقة — الذى حكم من سنة ٥٧١ هـ إلى سنة ٥٩٠ هـ (١١٧٥ — ١١٩٤ م) — شديد الحدب على العلماء شغوفا بالمعرفة ؛ وحدث فى سنة ٥٧٧ هـ (١١٨١ م)أنه شعر بالرغبة فى تعلم الخط فاتخذ «زين الدين محمود بن محمد بن على الراوندى »— وهو خال آخر للمؤلف أيضاً — معلما له ، فلما أتقن هذا الفن شرع فى كتابة نسخة من

---

(١) انظر ص ٣٠٠ من النص الفارسى وما يقابلها من الترجمة العربية .

(٢) ص ٤٣٧ ، س ٧ — ١٢ من النص الفارسى وما يقابلها من الترجمة العربية .

القرآن ، وجمع حوله فئة من المذهبين والمزخرفين لتنميق مخطوطه ، فكلفه كل جزء من أجزائه مائة دينار مغربى[١] . ويبدو أن هذا الخال قدم المؤلف فى هذه المناسبة إلى مولاه باعتباره خطاطاً ورساماً[٢] ، فنال الحظوة عند السلطان ، وارتفع شأنه رويداً رويداً . وقد أخبرنا (ص ٣٤٤)[٣] كيف أفلح ذات مرة فى الحصول من السلطان على تعويض مضاعف لأحد أصدقائه عن أملاك له نهبها الجند من منزله فى أثناء شغب حدث فى همدان فى سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م) .

وكان أخواله جميعاً من المدرسين — وكان السلطان وأعيان المملكة يجلونهم ويرسلون إليهم بأبنائهم لتعليمهم ، فيفخر هؤلاء بأنهم من تلاميذهم ؛ وقد اشتهرت الأسرة بحسن الخط حتى غدا الخط الكاشى « خط كاشيان »[٤] ذائع الصيت . وكان «زين الدين» فضلا عن ذلك شاعراً يقرض الشعر بالفارسية والعربية ، وقد استملح أهل العراق اسلوبه وقلده كثير من العلماء والشعراء[٥] .

وقد انقطعت الصلة بين المؤلف وبين السلطان طغرل فى سنة ٥٨٥ هـ (١١٨٩ م) عندما اضطر المؤلف إلى مغادرة العراق لمصاحبة خاله زين الدين

---

(١) لم تجمع هذه النسخة من القرآن فى مجلد واحد قط لأن المؤلف يقول : (ص ٤٤ من النص الفارسى) أن هذه النسخة تقسمت الى ثلاثة أقسام ، قسم حازه علاء الدين حاكم مراغة ، وقسم حازه بكتمر حاكم أخلاط ، بينما بقى القسم الثالث فى حوزة المذهبين .

(٢) ارجع فى هذا الى الصفحات من ٣٩ الى ٤٤ ، النص الفارسى وترجمتها العربية .

(٣) ارجع الى هذه الصفحة فى النص الفارسى والترجمة العربية .

(٤) « خط كاشيان » معنى خط الكاشيين » نسبة الى أعضاء أسرة الراوندى .

(٥) وجدت أن أحد آثاره — وهو ترجمة فارسية لكتاب شرف النبوة (وهو كتاب فى الحديث ، انظر حاجي خليفة : كشف الظنون ج ٤ ص ٤٤) — لا يزال محفوظا فى مكتبة ولى الدين ، الموجودة فى مسجد السلطان بايزيد فى القسطنطينية رقم ٨٨٨ فى فهرس المكتبة ، وانظر أيضاً قصيدة نظمها بالعربية فى سنة ٥٧٧ هـ (١١٨١ — ١١٨٢ م) فى الصفحات من ٥٢ الى ٥٤ من المتن الفارسي وما يقابلها فى الترجمة العربية .

إلى ما زندران موفدا من قبل السلطان إلى حاكمها[1] ، ولكن مناخ تلك البلاد لم يناسبه فانتابه المرض ، وعاد إلى راوند — مسقط رأسه — بعد أن أقام هناك ستة أشهر ، ولبث فى راوند مريضا عاما آخر . وحدث عقب عودته فى سنة ٥٨٦ ﻫ (١١٩٠ م) أن قبض الأتابك المتمرد «قزل آرسلان» على السلطان وحبسه فى قلعة « دزمار » قرب تبريز[2] . وبقى السلطان فى الأسر حوالى عامين حتى قتل الأتابك ، واسترد السلطان عرشه فى سنة ٥٨٨ ﻫ (١١٩٢ م) إلا أنه لم يتمكن فى مدته الباقية (من ٥٨٨ إلى ٥٩٠ ﻫ) من الإخلاد إلى السكينة ومتابعة نشاطه السلمى ، بل قضى تلك المدة فى جهود فاشلة لإقرار النظام فى أرجاء سلطنته إلى أن قتل فى النهاية فى الواقعة المشهورة مع جيش «خوارزمشاه» بظاهر مدينة الرى[3] ، فى اليوم الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ٥٩٠ ﻫ (١٩ مارس ١١٩٤ م) وبذلك زالت دولة آل سلجوق .

وبعدما عاد المؤلف من ما زندران (فى سنة ٥٨٦ ﻫ) اضطر إلى السعى فى سبيل الرزق فى مكان آخر ويحتمل أن يكون قد اتصل آنذاك بالأسرة « العلوية » العظيمة الثرية فى همدان ، فصار معلم أولاد الأمير السيد فخر الدين علاء الدولة عربشاه ، وهم ثلاثة : مجد الدين همايون ، وفخر الدين خسروشاه ، وعماد الدين مردانشاه ، وكان الأمير السيد عربشاه — الذى تزوجت أخته بالسلطان آرسلان — كبير هـذه الأسرة ، وقد خنقه السلطان طغرل

---

(١) ارجع إلى ص ٣٥٧ من المتن الفارسى وما يقابلها فى الترجمة العربية .

(٢) انظر ص ٣٦٢ من النص الفارسى وما يقابلها فى الترجمة العربية .

(٣) يقصد بخوارزمشاه علاء الدين تكش خوارزمشاه الذى أسقط دولة السلاجقة فى العراق واستولى على ممتلكاتها .

فى سنة ٥٨٤ هـ (١١٨٨ م) أو فى أوائل سنة ٥٨٥ هـ (١١٨٩ م) لاتهامه بالتآمر عليه[1] .

وقضى المؤلف قرابة ستة أعوام مع تلك الأسرة ، وسنتين بعدها مع تلميذ له يدعى « شهاب الدين احمد بن أبى منصور بن محمد بن منصور البزاز القاسانى » وكان شديد التعلق به . وهنا طرأت عليه فكرة كتابة هذا السفر ، ووعد صديقه الشاب بأن يورد اسمه فيه اعترافاً بفضله[2] ؛ وكان يعتزم أيضاً أن يجمع فى كتاب آخر مختارات من الشعر الفارسى الحديث آنذاك ، محتذيا فى ذلك حذو « شمس الدين احمد بن منوچهر شصت كله » الذى أشار عليه الشاعر « سيد أشرف » بأن يحفظ — عن ظهر قلب — قصائد الشعراء المحدثين أمثال : « عمادى » و « أنورى » و « أبى الفرج الرونى » وأن يهمل القدامى أمثال : « سنائى » و « عنصرى » و « مُعِزّى » و « رودكى »[3] . والظاهر أنه انتهى إلى الجمع بين الرأيين ، فأخرج هذا الكتاب حاويا كلا من التاريخ والمختارات .

ولم يستطع تنفيذ عزمه مدة من الزمن لانعدام السلام والأمان فى البلاد فى السنوات التالية لوفاة السلطان طغرل ؛ فقد احتل جيش «خوارزمشاه» العراق ، وعانى الناس — أشد العناء — على أيدى ضباطه الأتراك ، نظراً لسوء حكمهم واستبدادهم ، ولم يعد هناك تبجيل للعلم ، ولا للأخلاق ؛ فأهمل شأن العلماء ، وأبيدت نفائس الكتب ، أو بيعت جزافا بواسطة هؤلاء الولاة المستبدين ،

(١) انظر ص ٣٥٢ من المتن الفارسى ، وقد قال المؤلف قصيدة فى رثائه (ارجع إلى الصفحات من ٣٥٣ إلى ٣٥٥ من المتن الفارسى وما يقابلها فى الترجمة العربية

(٢) انظر ص ٤٧ — ٤٩ من المتن الفارسى وما يقابلها فى الترجمة العربية

(٣) انظر ص ٥٧ — ٥٨ من المتن الفارسى وما يقابلها فى الترجمة العربية

وعم الفساد ، واغتصبت أموال الناس بواسطة جباة الحكام القساة من الرافضة أو الشيعة .

وقد سجل المؤلف أكثر من مرة نقمته على تلك الحال من فساد الحكم ، واختلال النظام[١] .

ولذلك عكف فى تلك السنين على حياة العزلة والوحدة مكرساً أوقاته للدرس والبحث .

ثم بدأ فى كتابة هذا السفر فى سنة ٥٩٩ ﻫ (١٢٠٢ م) وانقطع له سنتين أو ثلاثا حتى أتمه ، وكان عندئذ يتطلع إلى إهدائه إلى أحد سلاطين السلاجقة فى آسيا الصغرى ممن كُتِبَ السفرُ فى تاريخ أجدادهم ، آملا بذلك أن ينال جائزة ثمينة ، وأن يجدد اتصاله بالبيت السلجوقى ، فاتجهت أنظاره إلى السلطان ركن الدين سليمانشاه الذى كانت له الولاية حينذاك ، وكان قد اغتصب العرش من أخيه الأكبر غياث الدين كيخسرو سنة ٥٩٧ ﻫ (١٢٠٠ — ١٢٠١ م) ؛ وبقى على العرش أربع سنوات إلى أن مات فى سنة ٦٠١ ﻫ (١٢٠٤ — ١٢٠٥ م) .

ويقول المؤلف إنه كان على وشك إهداء كتابه إلى ركن الدين فعلم أنه غاصب للعرش ، وأن وارث العرش الحقيقى هو أخوه كيخسرو ، فعدل عن عزمه وأهدى كتابه إلى هذا الأخير ... على أن الحقيقة هى أن النسخة الأولى من هذا الكتاب مهداة إلى ركن الدين ؛ ولكن المؤلف اضطر بعد وفاته فى سنة ٦٠١ ﻫ (١٢٠٤ — ١٢٠٥ م) وتولى كيخسرو العرش إلى إبدال الإهداء ؛ ويبدو أنه راجع الكتاب عندئذ ، وأدخل عليه بعض التعديلات لكى يصلح لإهدائه إلى السلطان الجديد ؛ غير أن المراجعة لم تكن — على ما يبدو — دقيقة إلى الحد

---

(١) انظر على سبيل المثال الصفحات من ٣٠ إلى ٣٨ من المتن الفارسى وما يقابلها فى الترجمة العربية

الأقصى ، لأننا نستطيع أن نقف على بعض المواضع التى تركت فيها آثار من الإهداء الأول إلى ركن الدين سليمانشاه ، وفيما يلى أمثلة من ذلك :

١ — « وهو دائم الإكرام للناس ، وإذا أغارت ليوث جيشه على كلاب الأبخاز تركتها طعمة للطيور الجارحة »[١] .

فالمؤلف هنا يتحدث ولا شك عن وقعة سليمانشاه فى بلاد الأبخاز التى ترويها الترجمة التركية لكتاب « ابن البيبى » عن تاريخ السلاجقة بآسيا الصغرى (طبعة هوتسما ص ٥٧ وما بعدها) .

٢ — « ويامن يخضع لأوامر خاتمك كسليمان ، جميع الناس والملائكة والجن »[٢]

٣ — « حامى الدين أبو المظفر ، ملك العالم الذى يشبه سميه سليمان فى الإصلاح »[٣] .

وفى هذين السطرين إشارة إلى النبى سليمان ، والمقصود بهما ولا شك سليمانشاه ، واسمه كذلك مكتوب بالمداد الأحمر فى ذيل الخريطة الواردة بصفحة ٤٥١ من كتابنا[٤] ، مما يدل على أن الخريطة أعدت لرفعها إلى سليمانشاه .

---

(١) النص بالفارسية هو « پوسته اين شهريار جهاندار أز بهركان خوان مى نهاذ ، شيران لشكرش إز سكان أبخازى براى كركان خوان نهادند » .
انظر ص ٢٦ س ١ — ٢ من المتن الفارسى .

(٢) هذه ترجمة بيت بالفارسية فى الأصل هو :
اى آنك تراست ملك آمش — با ديو وپرى بزير خاتم
(ص ١٢٣ ، س ٢٣ من المتن الفارسى) .

(٣) هذه ترجمة بيت بالفارسية فى الأصل هو :
پشت دين بلمظفر آن شاهى — كآمد آباش شاه پيغمبر
(ص ٢٥٨ ، س ٧ من المتن الفارسى) .

(٤) المراجع : يقصد هذه الصفحة من المتن الفارسى

بيد أن المؤلف حريص على إخفاء هذه الحقيقة إذ يقول إن الكتاب وضع أصلا لكيخسرو بمناسبة فتح الأناضول سنة ٦٠٣ هـ (١٣٠٦ — ١٢٠٧ م)[١]، فذهب المؤلف إلى «قونيه» آخذاً معه ولا شك النسخة المراجعة؛ ومن الجائز أنه رفعها بنفسه إلى السلطان[٢]. وشجعه على ذلك شخص «يدعى جمال الدين أبو بكر بن أبي العلاء الرومى» وكان تاجراً يزور همدان، وأطنب فى ذكر كيخسرو وجوده وفضائله على أهل تلك المدينة.

ولا يخبرنا المؤلف بشىء — عدا ذلك — عن نفسه سوى أنه ألف غير هذا الكتاب — وقبله — كتابين آخرين وهما كتاب فى «نقض الرافضة»، وكتاب فى «أصول الخط»، وهو يذكر اعتزامه وضع كتابين آخرين، أحدهما كتاب مستقل عن «حكم السلطان طغرل» والآخر عن «مجمل تاريخ البشر من عهد آدم إلى أيام المؤلف». ولست على علم بوجود أى من هذه الكتب الأربعة.

---

(١) انظر ص ٦٢ — ٦٣ من المتن الفارسى وما يقابل ذلك فى الترجمة العربية

(٢) انظر ص ٦٤ من المتن الفارسى وما يقابلها فى الترجمة العربية

٣

مشتملات الكتاب ومصادره

يشتمل هذا الكتاب أساساً على تاريخ السلاجقه العظام من وقت قيام دولتهم فى بداية القرن الخامس الهجرى إلى وقت زوالها فى سنة ٥٩٠ ه (١١٩٤م) وقد أُلحِق به فصل من عدة صفحات[1] ، ذُكرت فيها الأخبار المفصلة عن حقبة السنوات الخمس التالية بحيث يصل هذا التاريخ إلى سنة ٥٩٥ ه (١١٩٩ م) . وأهمية هذا الكتاب من الناحية التاريخية تنحصر فيما سجله من أخبار عن الفترة الواقعة بين سنتى ٥٥٥ — ٥٩٥ ه (١١٦٠ — ١١٩٩ م) وهى فترة تضم حكم السلطانين الأخيرين من السلاجقة وهما « أرسلان » و « طغرل » ، فالأخبار التى رواها المؤلف عن فترة حكمهما تعتبر أصيلة ومفصلة ومروية لأول مرة من شاهد عيان . أما فيما يتعلق بالجزء المبكر من تاريخ السلاجقة فلا يمكن القول أن للكتاب أهمية خاصة . فقد ذكر المؤلف تاريخ السلاطين الإثنى عشر الأوائل من السلاجقة ذكراً مقتضباً وبطريقة غير مشوقة ولا ممتعة .

والكتاب على العموم مكتوب بأسلوب واضح بسيط امتازت به الكتابات الفارسية فى العهدِ السابق لعصر المغول ، ولكن جمال الكتاب للأسف تحجبه كمية ضخمة من عناصر غريبة دخيلة ، هى عبارة عن نصوص طويلة متتالية ، تنحرف بالقارىء عن سياق الموضوع ، ويطرد ورودها عادة بكثرة زائدة وفى إثر بعضها ، وهى فى الغالب غير مناسبة للاستشهاد بها ؛ وتتمثل على الخصوص

---

(١) من صفحة ٣٧٥ — ٤٠٣ من الأصل الفارسى وما يقابلها فى الترجمة العربية .

فى الأمثال والأقوال العربية المأثورة — و بعضها طويل النص مذكور مع ترجمته إلى الفارسية — وكذلك فى كمية كبرى من الأشعار . ولو أن الكتاب أخلى من هذه العناصر الدخيلة لما بقى منه — فى تقديرى — إلا ما يبلغ ربع حجمه الحالى .

وجملة ما ذكره المؤلف فى كتابه من هذه العناصر عبارة عن ٢٦٤ مثلا عربياً ، اقتبسها كلها أو جلّها دون إشارة إلى ذلك من كتاب الثعالبى المسمى كتاب « الفرائد والقلائد » أما الأشعار فيبلغ مجموعها ٢٧٩٩ بيتاً ؛ منها ٥١١ بيتاً من نظم المؤلف نفسه فى مدح مولاه كيخسرو ؛ ومنها ١٤٤ بيتاً من شعر « الأنورى » ؛ ١٤٦ بيتاً من شعر « سيد أشرف » (حسن الغزنوى) ؛ ٧٧ بيتاً من شعر « أثير الأخسيكتى » ؛ ٣٤٨ بيتاً من شعر « مجير البيلقانى » ؛ ٨١ بيتاً من شعر « جمال الدين الأصفهانى » ؛ ٧٢ بيتاً من شعر « عمادى » ؛ ٢٤٩ بيتاً من شعر « نظامى » وأغلبها من مثنويته الشهيرة « خسرو وشيرين » ؛ ١٢٢ بيتاً عربياً لشعراء مختلفين من شعراء العرب وأغلبها من شعر الطغرائى والمتنبى ؛ ٦ فهلويات أو أشعار محلية ؛ ٦٧٦ بيتاً من الشاهنامه ؛ والباقى ويبلغ عدده ٣٢٣ بيتاً فمن قول شعراء مختلفين من الفرس . والأشعار التى أوردها المؤلف من الشاهنامه أو من أشعار نظامى لم يذكر مصدرها ، أما بقية الأشعار فلا تطّرد فيها الحال . والأبيات المأخوذة من الشاهنامه لا تذكر متصلة التسلسل بل يبدو أن المؤلف اختارها أشتاتاً من كتابٍ ربمـا تضمن الأشعار الأخلاقية فى الشاهنامة[1] . والأبيات المنقولة عن مثنوية « خسرو وشيرين » ليست

(١) المراجع : يذكر الأستاذ إقبال عندذلك أنه استطاع من مجموع الـ ٦٧٦ بيتا المنقولة من الشاهنامة أن يتتبع مكان ٥٢٦ بيتا فى طبعة Turner Macan (كلكتا سنة ١٨٢٩) أورد قائمة بها تقع فى أربع صفحات آثرنا عدم نقلها لعدم فائدتها للقارىء العربى .

كثيرة ، وهي من حسن الخط ترد في مقطوعات متصلة التسلسل ويمكن العثور عليها بسهولة بالرجوع إلى فهرست الكتب الملحق بهذا الكتاب .

* * *

والمصدر الوحيد الذي اعتمد عليه المؤلف في استقاء أخباره التاريخية عن الجزء المبكر من كتابه هو كتاب « ظهير الدين النيسابوري »[١] أستاذ السلطان « أرسلان » وكان المؤلف على صلة به أيضاً .

أما الفصول المتفرقة المذكورة في آخر الكتاب فإن مشتملاتها — في رأيي — ليست ذات أهمية خاصة كما يبدو لأول وهلة من قراءة عناوينها ، فالفصلان المتعلقان بالرماية وركوب الخيل[٢] خاليان من كل متعة لأنهما لا يتعلقان إلا بدراسة هاتين الرياضتين من ناحية شرعيتهما أو عدم شرعيتهما من الناحية الدينية وفقاً لاختلاف الظروف والأحوال . وكذلك الحال في الفصل المتعلق بالشراب[٣] فقد نوقش فيه وجه إجازة الشراب . وقد اعتمد المؤلف في كل هذه الأمور على بعض المصادر المعتمدة لفقه الحنفية ذكرها صراحةً في ثنايا كتابه[٤] وهي عبارة عن « شرح الجامع الكبير »[٥] و « الجامع الصغير » و « شرح الطحاوي »[٦]

---

(١) انظر ص ٦٤ — ٦٥ من الأصل الفارسي ؛ ويبدو أنه يقصد كتابه « سلجوقنامه » وهو كتاب له أهمية خاصة باعتباره أسبق الكتب الذي اعتمدت عليه كتب التواريخ الفارسية اللاحقة .

(٢) انظر ص ٤٢٨ — ٤٣٤ من الأصل الفارسي وما يقابلها في الترجمة العربية .

(٣) انظر ص ٤١٦ — ٤٢٨ من الأصل الفارسي وما يقابلها في الترجمة العربية .

(٤) انظر ص ٤١٨ من الأصل الفارسي وما يقابلها في الترجمة العربية

(٥) « الجامع الكبير » في الفروع كتاب مشهور وضعه الإمام أبو عبد الله محمد بن الحسن الشيباني الحنفي المتوفى سنة ١٨٧ هـ وله شروح كثيرة ولا نعلم أي شرح يشير إليه ؛ و « الجامع الصغير » في الفروع أيضا للامام الشيباني الحنفي وله شروح مختلفة .

(٦) يعني شرح كتاب مختصر الطحاوي في فروع الحنفية للامام أبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي الحنفي المتوفى سنة ٣٢١ هـ وشروح مختصر الطحاوي كثيرة .

و « مختصر الكرخى »[١] و « المسعودى »[٢] و « شرح القدورى »[٣] و « شرح موجز الفرغانى »[٤] . أما الخصائص العلاجية لمختلف الأشربة فقد نقلها المؤلف بغير ذكر مصدره من كتاب « ذخيرهٔ خوارزمشاهى » لإسماعيل الجرجانى المتوفى سنة ٥٣١ هـ (١١٣٦ م) .

أما الفصل المتعلق بالشطرنج[٥] فلا يشتمل على شىء طريف أو مفيد وإنما هو تكرار لما يذكره عادة كتاب العربية و الفارسية عن الشطرنج فى كتبهم المبكرة أو المتأخرة ، وأن الشطرنج لعبة اخترعوها فى الهند ثم جلبوها إلى البلاد الفارسية فى عهد أنوشروان العادل ، فأدخل فيها وزيره « بُزُرْجُمِهْر » بعض التعديلات ، ثم انتقلت إلى البيزنطيين فأدخلوا فيها هم أيضاً تعديلات أخرى .

ولا شك أن الموضوع المتعلق بنشأة الشطرنج وتاريخه موضوعٌ مستفيض جداً لا نستطيع إيفاءه شيئاً من حقه فى ملاحظات قليلة عابرة ، ومن أجل ذلك فإننى أكتفى فى هذه المناسبه بأن أحيل القارىء المتعطش إلى الاستزادة ، إلى كتاب حديث جداً فى هذا الموضوع ، هو عبارة عن بحث مفصل مستفيض عن موضوع الشطرنج وفقاً للمصادر الشرقية والغربية التى فى متناول أيدينا وقد نشره مؤلفه « هـ . ج . مراى » بعنوان « تاريخ الشطرنج »[٦]

---

(١) يعنى المختصر فى فروع الحنفية للامام عبيد الله بن الحسن الكرخى.

(٢) يعنى المسعودى فى فروع الحنفية وهو مختصر القاضى أبى محمد عبد الله بن الحسين الناصحى المتوفى سنة ٤٤٧ هـ الفه للسلطان مسعود الغزنوى .

(٣) يعنى مختصر القدورى فى فروع الحنفية للامام أبى الحسين أحمد بن محمد القدورى البغدادى الحنفى المتوفى سنة ٤٢٨ هـ وشروح مختصر القدورى كثيرة (انظر حاجى خليفة) .

(٤) موجز الفرغانى يعنى « الموجز فى الفروع » لحبيب بن عمر الفرغانى الحنفى (انظر : حاجى خليفة) .

(٥) انظر ص ٤٠٥ — ٤١٦ من الأصل الفارسى وما يقابلها فى الترجمة العربية .

(٦) اسمه بالانجليزية هو : ‘A History of Chess’ By H. J. R. Murray وقد طبع فى اكسفورد سنة ١٩١٣ .

أما الفصل المتعلق بالخط[١] فهو ممتع من حيث بيانه لنوع « الخط المنسوب » وأنه طريقة تقوم على بناء الحروف الهجائية وفقاً لقواعد هندسية ، بمعنى أن يبنى كل حرف وفقاً للحرف الذى سبقه ، بحيث تكون كل الحروف « منسوبة » إلى بعضها . وقد ذكر المؤلف أربعة أنواع من الخطوط وهى «النسخ» و «الرقعة» و « الثُلُث » و « المُحَقَّق » ؛ وهو فى كثير من الأحوال يبين طرقاً متمايزة لبناء الحروف وفقاً لأنواع الخطوط المذكورة وعلى الأخص فى حالة « الألف » و « الدال » و « الراء » و « الكاف » و « اللام » و « الميم » و « النون » و « الواو » و « الياء » .

أما الفصل المتعلق بـ « الغالب والمغلوب »[٢] فإنه يبين طريقة الحساب بين الخصوم ، ويقول المؤلف أن هذه الطريقة علّمها « نيقوماخس » لابنه « ارسطاطاليس » (أرسطو) فبيّنها للاسكندر الأكبر ، فآمن بصدقها بحيث أنه لم يجسر أن يقدم على حرب أو منازعة إذا بينت هذه الطريقة أن النتيجة ستكون هزيمته ؛ وفيما يلى بيان هذه الطريقة بشكل مختصر :

استخرج أولا وفقاً لحساب « أبجد » (أو حساب الجمل) مجموع الحروف التى يتكون منها اسم أحد الخصمين المتنازعين فى حرب أو منافسة ، ثم أسقط من هذا المجموع تسعة تسعة ، وما يتبقى يبحث عن عدده فى العمود الأيمن الرأسى من الجدول[٣] ؛ ثم يؤخذ اسم الخصم الآخر بحروف الجمل ، ويسقط منه أيضاً تسعة

(١) الفصل الواقع فى الصفحات ٤٣٧ — ٤٤٧ من الأصل الفارسى وما يقابلها فى الترجمة العربية .

(٢) الفصل الواقع فى الصفحات ٤٤٧ — ٤٥٧ من الأصل الفارسى وما يقابلها فى الترجمة العربية .

(٣) هذا الجدول موجود فى ص ٤٥١ من النسخة الفارسية وله مقابل فى الترجمة العربية ، موجود فى فصل الغالب والمغلوب .

تسعة و يبحث عن الباقى منه فى العمود الأفقى الذى وضع فيه المتبقى من الاسم الأول ، فإذا كان باقى الاسم الثانى حرفاً أسود اللون كان معنى ذلك أن الغالب هو الاسم الأول ، و إذا كان باقى الاسم الثانى حرفاً أحمر اللون كان معنى ذلك أن الغالب هو الاسم الثانى ، وأما إذا كان باقى الاسم الثانى حرفاً أخضر اللون فمعنى ذلك وقوع المصالحة بين الخصمين[١] . ولا شك أن استحالة هذه الطريقة واضحة، بحيث لا أجد حاجة إلى الإطالة فى بيان مدى عبثها واستحالتها ،لأنه يتضح قبل كل شىء أن الخصمين المتنازعين ، إذا قدّر لهما أن يشتركا فى سلسلة من المنازعات ، فمعنى ذلك أن نتائج هذه المنازعات جميعاً — وفقاً لهذا الحساب — ستكون واحدة ، بمعنى أن واحداً من المتخاصمين سيظل غالباً دائماً وأن الآخر سيظل مغلوباً دائماً . يضاف إلى ذلك أن طريقة معاملة الأسماء واحتساب مجموع حروفها متروكة لتحكم الفرد ؛ فوفقاً للأمثلة المبينة فى هذا الفصل[٢] فإن المؤلف أحياناً يجعل الأهمية للكنية دون الاسم وأحياناً أخرى يقلب الوضع ، وفى مواضع يعتبر حرف التشديد مكونا من حرفين وفى مواضع أخرى يعتبره مكوناً من حرف واحد ، وأحياناً يعتبر حرف الألف فى كلمة « ابن » أو « أبو » قائماً فى الحساب ، وأحياناً أخرى يسقطه من الحساب . . . إلى آخر ذلك من المفارقات التحكمية .

---

(١) ليس فى الجدول المذكور أية حروف خضراء .

(٢) انظر الصفحات ٤٥٢ — ٤٥٦ من الأصل الفارسى وما يقابلها فى الترجمة العربية .

٤

التواريخ اللاحقة التى نقلت عن راحة الصدور

بطريق مباشر أو غير مباشر

بينا فيما سبق أن المصدر الوحيد الذى نقل عنه الراوندى بعض أخباره عن الفترة المبكرة من كتابه هو كتاب « سلجوقنامه » لظهير الدين النيسابوى الذى أتم تأليفه أثناء حكم السلطان « طغرل » آخر السلاجقة . وهذا الكتاب مفقود ولكن لدينا من الأسباب مايقطع بأنه كان المصدر الأول لجميع التواريخ الفارسية اللاحقة التى كتبت عن فترة الدولة السلجوقية . وقد استعمله مؤلف « راحة الصدور » وكذلك « حمد الله المستوفى » فكتب فى سنة ٧٣٠ هـ كتابه « تاريخ گزيده » ، وكذلك استعماله « حافظ ابرو » فكتب فى سنة ٨٣٠ هـ كتابه « زبدة التواريخ » ، وقد ذكره الكتابان الأخيران صراحة على أنه كان واحداً من المصادر التى اعتمدا عليها .

ومما يؤيد أن « الراوندى » و « حمد الله المستوفى » و « حافظ ابرو » نقلوا كثيراً من « سلجوقنامه » أننا نجد طائفة من النبذ تتشابه فى كتبهم جميعاً[1].

وقد أصبح كتاب « تاريخ گزيده » وكتاب « زبدة التواريخ » فيما بعد

---

(١) المراجع : يذكر الأستاذ محمد إقبال بعد ذلك بعض النبذ المتشابهة فى كتاب « راحة الصدور » وفى كتاب « تاريخ گزيده » ثم ترجمها لتذكرها للقارىء العربى لأنها بالفارسية وإذا نقلت إلى العربية ضاع الغرض من الاستشهاد بها . ويرى « بلوشيه » فى فهرست المخطوطات الفارسية بالمكتبة الأهلية بباريس ح ١ ص ٢٢٧ أن « حمد الله المستوفى » نقل مباشرة عن « راحة الصدور » ولكنى لا أرى ذلك محتملا لأن « المستوفى » ذكر مصادره فى مقدمة كتابه وليس هناك سبب لحذف « راحة الصدور » من بينها .

من أهم المصادر التي يعتمد عليها المؤرخون اللاحقون ، بمعنى أن هؤلاء المؤرخين اللاحقين نقلوا بطريق غير مباشر عن كتاب « سلجوقنامه » ومن بين هؤلاء نخص بالذكر أصحاب « روضة الصفا » و « حبيب السير » و « تاريخ ألفى » لأن هذه الكتب راجت شهرتها فى الشرق والغرب على السواء .

وقد ذكر مؤلفوها فى مقدمات كتبهم أنهم نقلوا صراحة عن « تاريخ گزيده » وآثار هذا النقل توجد فى ثنايا كتبهم[1] .

. . .

وفيما يلى نذكر أسماء الكتب الأخرى التى نقلت مباشرة عن « راحة الصدور » وهى الآتية :

١ — مختصر عن تاريخ السلاجقة ملحق بمخطوطة من مخطوطات « تاريخ جهان گشاى » محفوظة بالمكتبة الأهليـــة بباريس (تحت رقم ١٥٥٦ Supp. Pers.) وقد وصف « ميرزا محمد » مشتملات هذا المختصر فى مقدمته التى ألحقها بالمجلد الأول من « تاريخ جهان گشاى » وفيما يلى تلخيص لمقاله :

ان هذا المختصر لايعرف مؤلفه ولا تاريخ كتابته وهو يحذف صفحات المقدمة وتبلغ ٣٧ ورقة من مخطوط راحة الصدور ويستعيض عنها بصحيفة وحيدة . وهو يحذف كذلك الخاتمة وتبلغ ٣٥ ورقة من مخطوط راحة الصدور ، كما أنه يحذف أيضاً جميع الأمثال والأقوال المأثورة والأشعار وكل العناصر الدخيلة والغريبة . أما فيما يتعلق بالجزء التاريخى من النص فإنه يحتفظ به سليما دون تغيير

(١) المراجع : عند هذا الحد يكتفى الأستاذ محمد إقبال بالمقارنة بين بعض النبذ الواردة فى « راحة الصدور » والواردة فى « روضة الصفا » ولم نر وجها لذكرها لضرورة نقلها بالفارسية وليس فى ذلك فائدة للقارىء العربى .

بالنقص أو الزيادة فى كلمة واحدة ، وبهذا يمكن أن يعتبر هذا المختصر نسخة أصلية للنص التاريخى فى كتاب « راحة الصدور » .

٢ — رسالة فى تاريخ السلاجقة بعنوان « العراضة فى تاريخ الدولة السلجوقية » وفيما يلى بعض الملاحظات أنقلها للقارئ عن مقال للأستاذ « ميرزا محمد » بشأنها: « ان ثانى مختصرات راحة الصدور عبارة عن رسالة بعنوان العراضة فى الحكاية السلجوقية وضع محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن النظام الحسينى اليزدى وكان وزيراً للحاكم المغولى الأخير فى البلاد الفارسية أبى سعيد (حكم من ٧١٧ — ٧٣٦ هـ = ١٣١٧ — ١٣٣٦ م) .

وقد توفى المؤلف سنة ٧٤٣ هـ (١٣٤٢ م) وأتم تأليف كتابه فى سنة ٧١١ هـ (١٣١١ م) ويرجع الفضل فى طبع هذا الكتاب إلى الدكتور كارل زوسهايم الألمانى الذى نشره فى طبعة شرقية لها مقدمات وهوامش باللغة التركية فى مطبعة المعارف بالقاهرة فى سنة ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) ثم أعاد نشره فى طبعة غربية فى مطبعة بريل بليدن سنة ١٩٠٩ بمقدمة وتعليقات باللغة الألمانية مع الاحتفاظ بمتن الكتاب بصورة واحدة فى كلا الطبعتين .

وهذا المختصر الذى يسمى بالعراضة يشبه المختصر السابق فى أنه حذف المقدمة والخاتمة والنصوص المعترضة الموجودة فى « راحة الصدوو » ، ولكنه يختلف عنه فى أن المؤلف لم يترك النص التاريخى دون مساس به ، بل رأى من الأجدر أن يعيد كتابته بطريقة بلاغية مصطنعة . وقد أهمل المؤلف فى مقدمته ذكر « راحة الصدور » ولكنه ذكر أن عماده فى تأليفه هو كتاب آخر عن السلاجقة من بداية أمرهم إلى أيام حكم السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه ، وهو رغم ما أجراه على الكتاب من بتر وتغيير عاد فتابع نهج «راحة الصدور» تماما بحيث أننا نصادف

فى هذه الواقعة مثالا للانتحال يشبه تماما المثال الذى نجده فى « بزم آرا » عندما ادعى أنه مستقل وأصيل بينما هو انتحال لكتاب « لباب الألباب » تأليف « محمد عوفى » .

٣ — الجزء المتعلق بتاريخ السلاجقة فى كتاب « جامع التواريخ » لرشيد الدين فضل الله . وهو يشبه تماما المختصر الأول الذى ذكرناه فيما سبق فيما عدا أنه ألحق به ذيل يتعلق بحكم السلطان طغرل .

وقد ألحق به هذا الذيل فى سنة ٥٩٩ هـ كاتب إسمه أبو حامد محمد بن ابراهيم قال أنه كتبه بعد موت السلطان بمدة ثمان سنوات وشهرين ، وقد استخدمت هذا الجزء من جامع التواريخ بمثابة نسخة أخرى من المتن التاريخى لكتاب « راحة الصدور » فكان فى منتهى النفع فى كشف بعض المواضع الغامضة والمغلقة .

وفى رأيى — بقدر ما استطعت أن أصل إليه من قراءتى — أن رشيدالدين لم يذكر أنه استخدم راحة الصدور ، وما لم يكن قد ذكر ذلك فى موضع آخر من كتابه لم يقع عليه بصرى ، فإن إهمال رشيد الدين لذكر ذلك يعد أمراً جسيما غير مغتفر من مؤرخ كبير مثله .

٤ — ترجمة تركية لكتاب « راحة الصدور » هى عبارة عن جزء من مخطوط كبير بعنوان « تواريخ آل سلجوق » وضع أيام حكم السلطان مراد الثانى (١٤٢١ — ١٤٥١) وواضعه غير معلوم ، وينقسم إلى ثلاثة أجزاء ، يتضمن الجزء الأول منه التاريخ الأسطورى لقبائل الأتراك القديمة مترجما عن كتاب « جامع التواريخ » ؛ ويتضمن الجزء الثانى ترجمة « راحة الصدور » ؛ ويتضمن الجزء الثالث ترجمة كتاب « ابن البيبى » لكتاب سلاجقة آسيا الصغرى ، وقد طبع الأستاذ « هوتسما » هذا الجزء الأخير فى سنة ١٩٠٢

بمدينة ليدن نقلا عن مخطوط بها فى مجموعة التواريخ المتعلقة بتاريخ السلاجقة[1].

ويوجد من الترجمة التركية لكتاب « راحة الصدور » جملة نسخ مخطوطة فهناك نسخة فى « درسدن » ونسخة فى المتحف الأسيوى بمدينة « سان بطرسبرغ » (مدينة لينينجراد) ، وثلاث نسخ فى « طوپ قاپو سراى » فى مدينة استانبول .

٥ — وفى النهاية نذكر كتاب « تاريخ جهان آرا » للقاضى أحمد الغفّارى وقد كتبه سنة ٩٧١ هـ (١٥٦٣ م) وهو لا يشذ كل ماسبق لنا ذكره من الكتب، فلم يعتمد كليةً على « راحة الصدور » ولكن من المحتمل أن « الغفارى » كان يرجع إليه ويطلع على مافيه أثناء كتابة تاريخه[2].

---

(١) انظر :

Recueil de rextes ıelatifs à L' histoire des Seljoucides (Vol III)

(٢) المراجع : يورد الأستاذ محمد اقبال بعد ذلك طائفة من النبذ من « راحة الصدور » وما يقابلها فى « تاريخ جهان آرا » لم نر حاجة الى نقلها بصيغتها الفارسية لعدم نفعها للقارىء العربى.

راحة الصدور وآية السرور

أنشه بالفارسية

العالم الفاضل الكامل صاحب فنون الدهر افتخار العلماء
والفضلاء نجم الدين نور الإسلام والمسلمين
أبو بكر محمد بن على بن سليمان بن محمد بن أحمد
ابن الحسين بن همة الراوندى

نَوَّرَ اللهُ قَبْرَه وحُفْرَتَه وبَيَّض وجْهَه وغُرَّتَه
بمحمدٍ وآلِه[1]

ونقله إلى العربية

الثلث الأول : الدكتور ابراهيم أمين الشواربي أستاذ بكلية الآداب
الثلث الثاني : الدكتور عبد النعيم محمد حسنين أستاذ مساعد بكلية الآداب
الثلث الأخير : الدكتور فؤاد عبد المعطي الصياد مدرس بكلية الآداب

---

(١) المراجع : هكذا افتتحت النسخة الفارسية من كتاب راحة الصدور .

دلالات الرموز المستعملة فى حواشى الكتاب

ا ا : تاريخ ابن الأثير ، طبع ليدن
تگ : تاريخ گزيدة تأليف حمد الله المستوفى طبع سلسلة أوقاف جب
ج : جزء أو مجلد
جت : جامع التواريخ لرشيد الدين فضل الله
ح : حاشية
حس : حبيب السير تأليف خواندامير
ر ص : روضة الصفا تأليف مير خواند
ز ت : زبدة التواريخ لصدرالدين ، نسخة المتحف البريطانى (Stowe Or, 7)
ز ن : زبدة النصرة ونخبة العصرة لعماد الدين الكاتب الاصفهانى ، اختصار أبى الفتح البندارى ، طبع هوتسما (ليدن ١٨٨٩)
س : سطر
ش : شاهنامه نظم الفردوسى طبع كلكته (١٨٣٩)
ص : صحيفة ؛ واذا وردت بين قوسين بعد اسم النبى فتكون بمعنى صلى الله عليه وسلم .
ع : العراضة فى الحكاية السلجوقية لمحمد بن محمد بن محمد بن النظام ، طبع الدكتور سوسهايم (١٩٠٩)
فق : الفرائد والقلائد للثعالبى نسخة باريس (رقم ٣٩٥٦)
ن ا : النسخة الأصلية
ن د : نسخة الديوان
ن ك : نسخة الحكايات

ملحوظة :

الرقم الموضوع فى الترجمة العربية بين قوسين صغيرين من هذا النوع [ ] يشير إلى رقم الصحيفة فى الأصل الفارسى للنسخة التى نقلناها إلى العربية من كتاب « راحة الصدور » طبع مطبعة بريل بليدن سنة ١٩٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

واصْبِرْ فإنَّ اللهَ لا يُضيعُ أجْرَ المحُسنين

ديباجة فى حمد البارى [ص ١]

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— الحمد لله مبدع الأكوان ، وخالق الربيع ونيسان
— ورب الصيف والخريف ، ورب كل شىء فى العالم
— خلق العقل والروح أولا ، لأنهما مفتاحا جميع المغَلَّقات
— وهو أيضاً خالق النملة والفيل ، وهو الذى أوجد نهر النيل
— وهو الذى يخرج النهار من الليل المظلم ، وهو الذى يضىء شمس الكون
— وهو الذى بسط الأرض فوق الماء ، وهو الذى أخرج الدرّ الحر من الماء
— وهو الذى رفع السماء فوق الأرضين ، وزينها كما يليق
— بالنجوم التى تضىء الأفلاك ، والتى هى أيضاً رجوم للشياطين الشريرة
— سبعة منها سياره ، والأخرى ساكنة واجمة
— ملكها الشمس والقمر وبقيتها جنود ؛ وهى جميعاً خاضعة لأمر الملك
— أحدها ملك النهار والآخر ملك الليل ، وبغيرها لا يكون طرب قط
— الله الذى خلق الوهاد والجبال ، وبسط عليها بساطاً من الخضرة
— وأبدع الأرض من العناصر الأربعة ، وثبّت الأفلاك فى مستقرها
— وهى الماء والنار والهواء والتراب ، وبها يصبح وجه الأرض كالديباج

وشكراً جزيلا لله جل جلاله وثناؤه ؛ فإن التوفيق على شكره يعتبر [ص ٢] من أجَلّ نعمه ؛ وحمداً كثيراً للخالق تعالى كماله و كبرياؤه ، فإن اللسان الشاكر يعتبر من مخبّآت كرمه .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

ـــ لأفترض أننى استطعت أن أشكر الله كثيراً

ولــكن كيف أشكر الله على توفيقه إياى لشكره[١] . . ! !

ولله مئات الآلاف من مثل هذا الثناء والحمد ... فهو الملك الذى لا تستطيع رياح العزل العاتية أن تقطع أطناب خيمة كبريائه والشكر الحق لخالق الخلق الذى لا يجلس حاجبٌ على أعتاب جلاله ، حتى لا يصدّ عنه طلاب أفضاله ؛ فهو يعدل ويفضل .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

ـــ وسأحمد الله مادام فى الدنيا حمد ...!!

وهو القادر الذى لاتصل يد الزوال إلى كبريائه ؛ وهو الرازق الذى لايبلغ الفهم والـكمال حد آلائه ؛ وهو القادر ذو الـكمال ، والصانع ذو الجلال ؛ وهو الذى يميت الأرض فى الشتاء فيجعلها كومة من رماد ، ثم يحييها فى الصيف ، ويكسوها حللا زاهية ويجعل صحن الصحراء بلطفه ورأفته كجنات تفوح بالمسك ؛ وهو الذى جعل بياض النهار فاتحة لأرزاق الخلق ، وجعل الليل مطية لراحتهم ، وقد عبر عن ذلك بقوله تعالى :

آية : « هو الذى جعل لـكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً »[٢] .

إن جميع الموجودات كائنة فى اسمه ، وجميع المخلوقات ناتجة من صنعه ، وذكر الله أعلى وبالتقديم أولى .

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

ـــ افتتحت هذا الـكتاب باسم الله ، فهو الذى يمنح العطاء ويغفر الأخطاء

---

(١) حديقة سنائى ، طبع لـكنو ، ص ١١

(٢) سورة يونس ، آيه ٦٨

— وهو الملك الذى يخلق من القطرة عالما ، ويبدع من الزفرة آلافا من الأرواح
— وهو القادر الذى يخلق من العدم وجوداً ، ويذلّ بقهره العصاة والعاتين
— لا يحيط الوهم بجلاله ، ولا يحيط الفهم بكماله
— لا يتطرق الوهم إلى أعتابه ، ولا يعرف الفهم إدراك صفاته [ص ٣]
— وهو المعبود مدبر الأنام والبلاد ، وهو المقصود اللطيف بالخلق والعباد
— وهو مبدع النفع والضرّ والخير والشرّ ، صانع العقل والروح والجسم
— لا يتسرب الخيال إلى جلاله ، ولا يتطرق المحال إلى أقواله
— قد تفتحت عنه أزهار حديقة القِـدَم ، وقد جاء عنه ما فى المصحف من كَلِم

وهو عالم أبدا ؛ ناطق بذاته ؛ خالق لا يزال ؛ رازق ذو كمال ؛ صفة خلقه ليست بإيجاد المخلوقات ؛ ونعت رزقه ليس بإبداع المرزوقات ؛ وكما كان بصفاته أزلياً ، كذلك لا يزال عليها أبدياً ؛ « وهو على كل شىء قدير »[1] وكل شىء عليه يسير[2] ، إذا قدر شيئاً وفرض إرادته عليه ، فإنه يبعث إليه بأمره « كن » فيكون ، فينتقل ذلك الشىء من عالم العدم إلى عالم القدم ، وما شاء الله كان . وهو إذا أراد أن يضع أحداً فى زاوية الإهمال ، فإنه يحكم عليه بالفناء والعدم ؛ وما لم يشأ لم يكن ؛ يلبس أحدهم لباس الإيمان الطاهر فيدفع عنه بلاء الكفر فضلاً منه ؛ ويجلس الآخر فى دكان الحرمان فى ساحة الخذلان ، ويسد عليه الأبواب عدلاً منه ؛ فلطفه يعمّ الجميع ، والكل ضارع إليه .

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— هو الغنىّ ... ولكنه يدبر لنا ما نريد ، ونحن المحتاجون وهو المستجيب
— وحُكمه خلق عالما من لا شىء ، وحكمته أوجدت آدم من تراب
— فالأرض بلطفه تسمو إلى السماء ، والأفلاك فى خدمته تسجد على وجه الغبراء

(١) سورة المائدة ، آية ١٢٠
(٢) الحج ، آية ٦٩ وغيرها من الآيات وهى فى سورة الحج : « ان ذلك على الله يسير »

— وهو الذى شرف الروح كما شرف سليمان ، فذلل له مركب الريح العاتية
— وهو الذى أودع قطرة فى قلب الصدف ، فأخرج منها دراً معقوداً[١]
— ودموع السحاب باسمة بنواله ، كما تبتسم ثغور الحسان
— وبرحمته أضحت نافجة الغزال فى الطيب كطرر صاحبات العيون الغزلانية

فالحدوث والقدم ، والوجود والعدم ، عبيد قدرته وخدم عزّته ، والرحمة [ص٤] هى صاحبة ديوان جلاله ؛ والعزة هى حاجب باب كماله ؛ «وهو العزيز الرحيم »[٢]؛ وذاته المنزهة خارجة عن حدود الزمان والمكان ؛ وفعله المقدّس بعيد عن كل سؤال ، فلا الزمان يحدّ بقاءه ، ولا المكان يبلى ذاته ؛ وهو قاهر ، قهره يجعل جبل قاف لا يزن مقدار قشّة ، ويجعل العدم وجوداً ، ويجعل الوجود عدما ؛ وهو مستغنٍ عن الوجود والعدم ؛ وقدرته بالغة ، بحيث تجعل آلاف النجوم تلوح بصنعه العجيب خلال أطباق السموات السبع ؛ وهو الذى جعل زحل فى أوج السماء السابعة حتى يسعد به عبيده فى الإقليم السابع من الأرض ؛ وقد أشهد الأقاليم السبعة على سعادة الجالس فى مكان الصدارة فى السماء السادسة (أى المشترى)[٣] حتى يطلب قضاة البلاد الرشاد منه ؛ وجعل جلّاد الفلك (أى المريخ) فى السماء الخامسة بسبب سوء طويته بحيث إذا أطل على إقليم من الأقاليم فإنه لا ينتقل عنه حتى تسيل الدماء فيه أنهاراً[٤] ؛ ودقّ للسلطان المتفرد بجواده طبول النوبات الخمس فى سمائه الرابعة (يعنى الشمس)[٥] حتى يقصده

(١) المراجع : الاعتقاد السائد أن الدر يتكون من قطرة من المطر تلتقطها الصدفة ثم تغوص إلى قاع البحر .
(٢) سورة الروم ، آية ٤ وغيرها من الآيات .
(٣) فى اعتقاد المنجمين أن المشترى فى السماء السادسة ويعده المنجمون السعد الأكبر كما يسمونه « قاضى الفلك » .
(٤) المريخ فى نظر علماء الفلك يوجد فى السماء الخامسة ويسمونه « جلاد الفلك » .
(٥) الشمس فى نظر علماء الفلك توجد فى السماء الرابعة .

المغامرون ، و يستمدوا منه الإقطاع؛ورفع عرش الطرب بالزهرة فى السماء الثالثة[١] فغنّى المطرب ذو الأنغام الطيبة ألحانه الجميلة ، وتمت أسباب الطرب . وقد دق طبول النوبة الثلاث لوزير السماء الثانية (أى عطارد) حتى يضبط بقلمه أمور العالم[٢] ؛ وجعل القمر صاحب المشعل موجوداً فى الرواق الأزرق فى أول ورقة من دفتر الأفلاك ، حتى يصبح العالم بنوره فى رواء[٣] . وهو يثنى على جلاله وكبريائه فيقول : « فتبارك الله أحسن الخالقين[٤] » .

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :] [ص ٥]

— هو الذى رفع قبة السماء الخضراء ، وهو الذى خلق أديم الغبراء
— يجعل القمر أحياناً يضىء أطراف الشهباء ؛ ويجعل الشمس أحياناً بأشعتها الذهبية تطوق أديم الدهماء
— هو الله ذاته وحيدة ، وهو منزه عن النظير وصفاته فريدة
— والرؤوس ساجدة فى عبوديته ، وقد أجمعت على ذلك طوعا أو كرها

---

(١) كوكب الزهرة فى رأى علماء الفلك يوجد فى السماء الثالثة ويسمونه أيضاً «مطرب الفلك»
(٢) عطارد فى رأى علماء الفلك يوجد فى السماء الثانية ، وهو راعى العلماء .
(٣) القمر فى رأى علماء الفلك يوجد فى السماء الأولى
(المراجع) ترتب الكواكب على حسب علوها فى بيت من الشعر هذا نصه :
زحل شرى مريخه من شمسه فتزهرت لعطارد الأقمار
(٤) سورة « المؤمنون » آية ١٤

مدح الأنبياء والثناء على نبينا محمد المصطفى

صلوات الله عليه وعليهم

دار فرجار الوجود وسط دائرة الأفلاك على مركز الأرض فمرّ بمائة وأربع وعشرين ألف نقطة[1] من نقط النبوة ، حتى يتمكن المتخبطون فى الضلالة ، والضاربون فى تيه الجهالة من الرجوع إليهم طلباً للنجاة .

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— صلوات الله الذى يدير الأفلاك والسموات ، على نبيه المصطفى
— الرسول الحق الذى تبين معجزته كل من أرادها
— وتحيات أيضاً على صهريه (عثمان وعلى) وعلى صاحبه (أبى بكر)
— فإنهم أصدقاؤه الذين كانوا يشاركونه السراء والضراء ليل نهار
— وعلى سبطيه الشجاعين اللذين يسموان على جميع أهل الجنة
— وبغير محبة هؤلاء . . . لن يكون لنا فى يوم المعاد ملجأ أو زاد
— وإذا لم يكن قد بقى من هؤلاء العظماء والكبراء أثر فى هذه الدنيا
— فقد بقى كلامهم ذكرى لمن يتذكر ، فحذار أن تستهين به[2] ... !!
— وكل جوهر ثمين من الكلام ، كان مستطاباً لدى خالق الأنام
— قد نزل إلى خير الناس ، كأنه هدية من السماء
— ولقد قال سيد العرب ، لا كان من يرثنى عن طريق النسب
— فمنذ أن كان الأنبياء حتى صرت سيدهم

---

(١) إشارة إلى الحديث المعروف : النبيون مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي والمرسلون ثلثمائة وثلاثة عشر ، وآدم نبى مكلم ، رواه أبو ذر (كنز العمال ، ج ، ٦ ص ١٢١)

(٢) شه ٠ ص ٤٦ ، س ٢٧

— لم يرث الأنبيـــاءُ شخصاً ، ولم يرثهم أحد[1]

ومئات الآلاف من الصلوات والتحيات بعدد قطرات المطر ومافى الصحراء [٦] من مدر .. على روح سيد المرسلين ، ورسول رب العالمين الأكرم الأعظم « محمد ابن عبدالله بن عبد المطلب » عليه أفضل الصلوات ، وأكرم التحيات ، فقد خصه الله عز وعلا من بين الأنبياء بمزيد الكرامة ومزية الفضيلة ، فوضع على رأسه تاج الاصطفاء وجعله حارساً على جهات العالم أجمع .

ورد فى الحديث : «زويت لى الأرض فأريت مشارقها ومغاربها»[2] ، وجعل أهل أقاليم العالم مطيعين لأمره ، فقد ورد فى الحديث « بعثت إلى الأحمر والأصفر[3] »

وأمِر بسلّ السيف على أعداء الدولة ، جاء فى الحديث : « بعثت بالسيف[4] ».

كما ورد فى القرآن : « واغلُظْ عليهم[5] » ، « وما كان اللهُ ليعذّبَهم وأنت فيهم[6] » .

---

(١) اشارة إلى الحديث الشريف : « أنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة » (لسان العرب ، مادة ورث) (المراجـع :ورد فى كنز العمال ج ٦ ص ٣١٢ بهذا النص : أنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة) .

(٢) حديث معروف رواه ثوبان قال : قال النبي (ص) زويت لى الأرض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي مازوى لى منها .. الخ .. (مشكاة ، طبع دهلى ، ص ٥٠٤)

(٣) حديث معروف رواه ابن سعد .

(المراجع : هكذا ورد الحديث فى أصل الكتاب وصحته بعثت إلى الأحمر والأسود ، كنز العمال ج ٦ ص ١٠٩ وبعثت إلى الناس كافة الاحمر والاسود) .

(٤) اشارة إلى الحديث . « بعثت بين يدى الساعة بالسيف حتى تعبدوا الله وحده لاشريك له الخ .. » (كنز العمال ، ج٢ ص ٢٥٣ ، كتاب الجهاد) .

(٥) سورة التوبة ، آية ٧٤ ، « ياأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير » .

(٦) سورة الانفال ، آية ٣٣

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته[1] :]

— أيها الحاكم على جميع أرجاء العالم وعلى أبوابه الأربعة وقبابه الثمانية
— إن الآدمى طفلٌ فى حاجةٍ إلى عونك ، والعالم ضعيفٌ محتاجٌ إلى مؤازرتك
— وقد علا صوتك فى السماء فقال : أيها الإنسان تعلّم المعاملة[2]
— وقد منحك القدرُ لقاء قدرك تسعَ روضات وثمانى طاقات
— وفى الحق إن هذا ثمنٌ بخسٌ ، شبيهٌ ببيع يوسف بدراهم معدودات[3]
— وليس هناك كلامٌ يفوق مدحك ، كما إنه ليس هناك ما يعلو الوتر الكبير

إن المتجبرين يضعون جباههم على أعتاب خدمته ، ويقبلون أكمام دولته ، ويجدون لزاماً عليهم شكر نعمته .

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— البشرى البشرى . . . فقد صار مقامى فى رحاب المصطفى
والبشرى البشرى . . . فقد رأت عينى منبر المصطفى ومقرّه
— فياليتنى أركب الصعاب وأقدم مهجتى هديةً للمصطفى [ص ٧]
حتى ولو طوّفت بالآفاق رجاء لقاء المصطفى . . . !!
— ولتكن روحى وجسدى فداء لناقتى
التى تحمل عتادى صوب سراى المصطفى . . . !!
— ويا أسفا على عُجمتنا فى حضرة أفصح العرب . . . !!
ويا أسفا على لكنتنا ونحن نتلهف على مدح المصطفى . . . !!

---

(١) من قصيدة خاقانى تشتمل على ٦٤ بيتا فى مدح خواجه بهاء الدين (ارجع إلى كليات خاقانى طبع لكنو ، ص ٥١٧ — ٥٢٢) .

(٢) لعله يشير بذلك إلى : (الدين المعاملة) .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى : وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين (سورة يوسف ، آية ٢٠) .

والنبي حلو اللسان مصداقاً لقوله : « أنا أفصح[١] » ؛ وهو مليح الفم مصداقاً لقوله « أنا أملح » ؛ وهو شاهدٌ مصداقاً لقوله : « إنَّا أرسلناك شاهِدًا[٢] » ؛ وهو التركى ذوالعين الضيقة مصداقاً لقوله : « لا تَمُدَّنَّ عينيك[٣] » ؛ وهو الأعجمى الذى انطلق لسانه فى ليلة المعراج فنطق وقال : « لا أحصى ثناء عليك[٤] » .

وهو التركى الذى لا يأكل إلا بعد أن يُغِيرَ مصداقاً لقوله : « أرزاقنا تحت ظلال السيوف[٥] » .

وهو التركى ، وهو العربى ، وهو الأعجمى ، الذى ورد على لسانه خلال حياته — بعض الألفاظ الفارسية عندما قال : « يا سلمان ترا شكم درد[٦] » ، و « العنب دو دو[٧] » .

خرج من غار حراء بالدين والقرآن لا بالصنم والقربان ؛ له شعر كالليل[٨] على وجه أضاء كالضحى[٩] ؛ وهو الذى اتخذ شعار دعوته : « أدع إلى سبيل

---

(١) إشارة إلى الحديث : أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش ونشأت فى بنى سعد [المراجع: ورد فى كنز العمال ج ٦ ص ١٠١ : « أنا أعربكم أنا من قريش ولسانى لسان بنى بكر » وورد فى الجامع الصغير السيوطي ج ١ ص ١٠٧ « أنا أعرب العرب ولدتنى قريش ونشأت فى بنى سعد ابن بكر ... »]

(٢) سورة الأحزاب الآية ٤٥

(٣) سورة الحجر آية ٨٨

(٤) إشارة إلى الحديث المعروف : « اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك (مشكاة المصابيح باب السجود وفضله) .

(٥) لعله إشارة إلى الحديث : أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو ، واسألوا الله العافية فإذا لقيتم فاصبروا ، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف (كنز العمال ، ج٢ ص٢٥٤ كتاب الجهاد)

(٦) روى أن النبي (ص) قال ذلك بالفارسية لسلمان الفارسى ، ومعناه : هل وجع بطنك؟ وقد ورد هذا الحديث فى مقدمة « شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل » الخفاجي ص ٧

(٧) معناه : «العنب اثنان اثنان » أى كل العنب حبتين حبتين .

(٨) إشارة إلى الآية الأولى من سورة الليل .

(٩) اشارة إلى الآية الأولى من سورة الضحى .

ربك[1] » ، فوقفت طائفةٌ له جنودُ الكبرياء ، وأحاطت به جيوشُ القبة الخضراء ، كما قال له تعالى : « أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أن يُمِدَّكم ربُّكم بثلثة آلافٍ من الملائكة مُنْزَلِين[2] » .

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— طاووس الملائكة (أى جبريل) بريدك ، وأقرب المقربين مريدك
— تنام عينك ولا ينام قلبك[3] وطعامك — عندما تبيت — عند ربك[4]
— يامن جعلتَ الكونين طوعَ أمرك ، وكنت قاب قوسين أو أدنى[5] [ص ٨]
— إن الله الذى جعل العقل رقيباً للنفس ، جعل اسمك رديفاً لاسمه
— وهناك حيث يستشفع بك الجميع لا تغنى عنهم السموات ولا الصلوات ولا الأكوان . . . ! !
— وتبقى أنت وحدك آخر الشفعاء ، كما أنك خاتم الأنبياء[6]
— فإذا لم تكن للناس بضاعة من طاعة ، فلتكن منا الذنوب ومنك الشفاعة...!!

(١) سورة النحل آية ١٢٦
(٢) سورة آل عمران آية ١٢٠
(٣) أشارة إلى الحديث : « تنام عينى ولا ينام قلبى » (صحيح البخارى ، كتاب المناقب باب ٢٤) المراجع : ورد فى كنز العمال ج ٦ ص ١٠٦ بهذا النص : « إنا معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا » وورد فى ج ٦ ص ١١٩ . « الأنبياء تنام أعينهم لا تنام قلوبهم » وكذلك « تنام عيناى ولا ينام قلبى »
(٤) إشارة إلى الحديث : « إنى أبيت يطعمنى ربى ويسقينى » (صحيح مسلم ، طبع مصر ، ج ١ ص ٣٠٤)
(٥) سورة النجم ، آية ٩
(٦) إشارة إلى الحديث المعروف . « على منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى (كنز العمال ، ج ٦ ص ١٥٣)

مدح الصحابة والتابعين وعلماء الدين

رضوان الله عليهم أجمعين

ومئات الآلاف من التحيات والصلوات على أبطال الشريعة ، أئمة الطريقة أصحاب التقوى والشجاعة والدين الذين سووا بين القريب والغريب ، مصداقاً للحديث : « سلمان منا أهل البيت »[1] فقد ضحوا بالنفس والمال فى سبيل نضج الدعوة الإسلامية ، وهيأوا طعام الإسلام فقدموه لنا هنيئاً مريئاً،وعلى الخصوص على خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبى بكر وعمر وعثمان وحيدر (على) رضى الله عنهم وعن سائر الصحابة والتابعين ، وأزواج النبى أمهات المؤمنين .

فأول شخص نهل من الإسلام ، وعانق عروس الإيمان هو أبو بكر الصديق رضى الله عنه فهو خادم الخلافة ، وإمامها المنزّه ، أول من اعتلى منبر الخلافة ، وأول نائب للمصطفى ، صديقه فى الغار ، ومؤنسه وأنيسه ، ومحل أسراره ، كما جاء فى حديث النبى : « ما صبَّ الله شيئاً فى صدرى ، إلا وصببته فى صدر أبى بكر الصديق » ، وهو صاحب الأسرار الخافية ومفسر سورة السبع المثانى (الفاتحة) ، وهوعلى رأس العشرة المبَشَّرة[2] ، رضى الله عنهم ؛ وهو ولىّ العبادلة المغتفرة ذنوبهم رضوان الله عليهم[3] ؛ وإن أبا بكر الصديق لهو زعيم أهل التحقيق [س ٩] رضى الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة منقلبه ومثواه ؛ وقد ازدان صدر الخلافة به ،

---

(١) إشارة إلى الحديث المعروف الذى رواه ابن أسحق (انظر كتاب سيرة ابن هشام ، طبع جوتنجن ، ص ٦٧٧)

(٢) أى العشرة الذين بشروا بالجنة

(٣) فى عرف أصحاب أبى حنيفة أن العبادلة ثلاثة هم : عبدالله بن مسعود وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس ؛ وفى عرف غيرهم أربعة أخرجوا ابن مسعود ، وأدخلوا ابن عمرو بن العاص وابن الزبير (أقرب الموارد)

ونال بحق ما وهبه الله من علم وعمل ؛ فعندما غربت فى مغرب يثرب شمس زعيم الأنبياء محمد المصطفى صلوات الله عليه ، و بدأ المنافقون والمشركون يطلقون ألسنتهم بالسوء ، وجزع الصحابة المخلصون ، انبرى أبو بكر رضى الله عنه بيقين إسلامى ، وعناية رحمانية ، وخاطبهم قائلا : « من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حىّ لا يموت ، ألا وإن السيوف التى أظهر الله بها الإسلام على عواتقنا ، فمن شاء منهم أن يبرز فليبرز[1] » ، فقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « لقد كنتُ ثعلباً فصرتُ أسداً[2] » . فقويت قلوب الصحابة وخمدت فتنة المنافقين ، وتمكن الصحابة من اقتلاع جذور الردة والنفاق ، و بذروا بذور الدين فى سائر الآفاق .

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— هو شيخ الإسلام الملقب بالصديق والعتيق ،
وأعقابه يفخرون بأنه أسبق السابقين إلى الإسلام والإمامة
— فإذا كان محمد قد جعله إمام الإسلام
فلأنه بسيرته إمامٌ للصحابة وقدوةٌ لهم
— وقد جلس على سرير السلطنة فى ملك الجنة
لأنه من حيث المعتقد واليقين من أعز أحبابه
— ولما كانت ابنته عائشة أم المؤمنين زوجةً للمصطفى
فقد أصبح من غير شك يعرف بالصديق الأكبر
— ولقد وهب ماله للمصطفى وزوّجه من ابنته [ص ١٠]
فهنيئاً له ما فعل ، وهنيئاً لمن اتخذه أسوةً حسنة . . ! !

***

(١) صحيح البخارى ، طبع ليدن ، ج ٢ ص ٤٤١

(٢) المراجع : لم يورد المؤلف أصل هذه العبارة بالعربية .

فلما انتهى من أمر أهل الردة فى اليمن والشام و بلاد العرب جميعها ، ودحر المنافقين وجاءه الوعد الحق ، و بدت عليه الحمى التى هى رائد الموت ، اختار عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ووكل إليه نيابة النبوة ، فانتشر عدل عمر فى الآفاق ، وتأثره بالسيرة النبوية ، مصداقاً لما جاء فى الخبر : « لو لم أبعث لبعثت يا عمر[1] » ، وأجرى قاعدة : « ما يزع السلطان أكثر مما يزع الرحمن[2] » فألحق العجم بالعرب ، واقتلع جذور الشرك من الأرض ، وكسر طاق كسرى ، وأخذ قصر قيصر ، واستولى على مملكة الخاقان ، وملك الخان[3] ، فدحر ملوك العجم بالسيوف القاطعة ، والسهام الخاطفة ، والرماح الثقيلة القاتلة ، وجعل العالمين فى خوف منه يتهددهم ما جاء فى الحديث : « إن الشيطان ليفر من ظل عمر »[4] فاستعاض عن العرش بالمنبر واستعاض عن النوبات الخمس التى كانت من بدع الشيطان بخمس صلوات من قبل الرحمن ، وكسر ناموس الناقوس، وألحق خراسان بالعراق ،وأسس منابر الإسلام فى الروم والروس وآذربيجان والعراق وخراسان إلى حد تركستان... جزاه الله عنا خير جزاء الدنيا والآخرة، اللهم نور قبره كما نور مساجدنا.

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— أمير المؤمنين عمر الذى هو أول من اتخذ المنبر فى الإسلام وكانت أياديه وأفضاله لا عد لها ولا حصر بالنسبة للدين .

— قد استولى على قصر قيصر ، وأسلم فرسان قيصر على يديه
ووسم جبين نسل الإسكندر بميسم الإسلام

(١) حديث روى عن أبى بكر الصديق (تاريخ الخلفاء للسيوطى ، طبع كالسكتة ، ص ٩١ بتصرف يسير) .

(٢) حديث معروف انظر لسان العرب فى مادة وزع ، وفى الحاشية زيدت كلمة القرآن بدلا من كلمة الرحمن .

(٣) المراجع : «الخاقان» و « الخان » لقبان لملوك الترك .

(٤) حديث معروف (تاريخ الخلفاء للسيوطى ، ص ١١٧ بتصرف يسير) .

— وهو الذى من خشية خنجره ، انقلب أعداء الدين فصاوروا أصدقاء ، [ص ١١]
وهو الذى رفع التيجان عالية على رؤوس المسلمين ،
— ولقد أهرقت فتاة فقيرة قعب لبن على التراب
فارتعد التراب خشية درّته واضطرب من العذاب
— وأسرع بجمع القطرات وملأ بها القَعْب فى الحال
ثم وضعه على كف الفتاة أمام عُمر . . !!
— وبعد ذلك وضع تاج الخلافة
على رأس عثمان ثالث الخلفاء

* * *

وعثمان هو فريد العصر ، جامع القرآن ، زوج الكريمتين ، وخاتم القرآن فى ركعتين ، ذو النورين الطاهرين ، وقد شرفه الرسول بما أورده فى حقه حينما قال : « كيف لا أستحيي ممن يستحيي منه الملائكة »[1] .

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— لم يختم أحدٌ القرآن فى ركعتين سوى عثمان
ولم يكن بين الصحابة من هو خير من عثمان فى جمع القرآن ... !!
— وهو القدوة والإمام والرائد والمقتدى
الذى لم يبلغ أحد شأوه فى خدمة الدين والإسلام ... !!
— ذاق الجميع نعمته وجحدوها فصاروا كالغوغاء
ولم ينتفع أحد بمثل هذا الكفر والجحود والنكران ... !!
— ثم جاء على من بعده فكان فريداً فى المعالى
وحكم الذمىّ والمسيحى والمسلم، ولم يبلغ أحد فى ذلك شأوه ... !!

* * *

(١) حديث معروف (ارجع إلى صحيح مسلم ، طبع مصر ج ٢ ص ٢٣٥ ، وتاريخ الخلفاء ص ١٥٢) .

وعلىٌّ هو أسد غابة الشريعة ، ورئيس عالم الطريقة ، الليث المصور ، الضارب بالسيفين ، الطاعن بالرمحين ، المصلى إلى القبلتين ، أبو الحسن والحسين ؛ وهو الشجاع الذى أول ما امتدت يده إلى أراقة الدماء امتدت إلى قتل عدو أبى بكر الصديق(١) ، فشطره نصفين ، وأخاف كل رافض للإسلام ، وقد جاء [ص ١٢] على لسانه : إننى ناقم على أعداء الصديق ، ومنتقم منهم جميعاً .

وهو على بن أبى طالب ، ليث لؤى بن غالب رضى الله عنه وأرضاه .

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— هو صهر النبى وابن عمه الأكبر
وهو زوج زهراء النبى ، وهو أبو الحسن والحسين
— ردِّدْ ما شئت فى رفعة الأحساب فى جميع العالم
وقلْ ما شئت ... فلن تجد من هو أرفع منه ... ! !
— وقد ثبتت به أصـــول الإسلام فى الأرض
وهو مقتلع البـــاب الحديدى لحصن خيبر
— وهو على بن أبى طالب ، أسد الله الغالب ، الذى استطاع فى المعارك أن يكون قاتلا للكفار المشركين وعمرو بن عنتر(٢) .
— إن الشمس ، خجلا لموت هذا الورع التقى ، وهو يصلى ، قد امتلأت عيناها بالدماء وهى فى حجب المغرب ... ! !

وأرواحنا ورؤوسنا وآباؤنا وأمهاتنا فداء لتلك الأعين التى رأت جمال النبى ، ولتلك الآذان التى استمعت لأقواله ، ونحن أولياء لصحابته الطاهرين ونعتبر أعداءهم أحقر من التراب .

---

(١) المراجع : ورد فى حواشى الكتاب أنه لا يعرف على وجه التحقيق المقصود بعدو أبى بكر.

(٢) المراجع : فى حاشية الكتاب أن المقصود بعمرو بن عنتر غير معروف ، وذهب ناشر الكتاب إلى أنه شخصان عمرو وعنتر ، وإن عمرو هو عمرو بن عبد ود الذى قتله على فى غزوة الخندق .

[شعر عربى فى الأصل]

دِينى لأصحاب النبىّ المصطفى   إنى كفرتُ بربى إنْ لَوْ أفترِى[١]

يا رب إن غلبت ذنوبى طاعتى   فأبو حنيفة شافعى فى المحشر

* * *

وحمداً وثناء كثيرين ، وسلاما وتحية زائدين آناء الليل وأطراف [ص ١٣] النهار[٢] ، على أرواح أئمة الدين المجتهدين فى الشريعة ، الإمام الأعظم أبى حنيفة الكوفى[٣] والإمام المعظم الشافعى المطلبى[٤] ، وأبى يوسف القاضى[٥] ، ومحمد ابن الحسن الشيبانى[٦] وسفيان الثورى[٧] ، ومالك[٨] وزفر[٩] ، وأحمد ابن حنبل[١٠] ، وعلماء التفسير والمشايخ أصحاب الحديث رضى الله عنهم أجمعين ؛ فقد سلكوا جميعاً طريق الله ، واجتهدوا جميعاً فى شريعة المصطفى ؛ وما أسوأ حظ من يجرؤ على الطعن فى واحد منهم ، فقد كانوا جميعاً على حق ، وطريقهم جميعاً هى الطريق إلى الله ، ودينهم جميعاً هو شرع المصطفى .

---

(١) المراجع : هذه الشطرة سقيمة فى الوزن وقد أصابها تحريف .

(٢) سورة طه ، آية ١٣٠

(٣) هو النعمان بن ثابت الفقيه المشهور ، ولد فى سنة ٨٠ هـ وتوفى فى سنة ١٥٠ هـ (تاريخ ابن خلكان فى حرف ن)

(٤) ابو عبدالله بن ادريس الفقية ولد فى سنة ١٥٠ هـ ، وتوفى فى سنة ٢٠٤ هـ فى مصر (ابن خلكان ، حرف م)

(٥) القاضى أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصارى المتوفى سنة ١٨٢ هـ (ابن خلكان ، حرف ى)

(٦) ابو عبد الله محمد بن حسن بن فرقد الشيبانى الفقيه الحنفى المتوفى سنة ١٨٩ هـ (نفس المرجع حرف م)

(٧) أبو عبدالله سفيان بن سعيد الثورى الكوفى (٩٥ — ١٦١ هـ ، نفس المرجع حرف س) .

(٨) مالك هو الامام أبو عبدالله مالك بن أنس المتوفى سنة ١٧٩ هـ (نفس المرجع حرف م) .

(٩) ابو الهذيل زفر بن الهذيل الحنفى المتوفى سنة ١٥٨ هـ (نفس المرجع حرف ز) .

(١٠) الامام ابو عبدالله احمد بن محمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١ هـ (نفس المرجع حرف ا) .

ولا يجب أن يصل التعصب إلاّ إلى الحد الذى يجيز فقط لمن يعتقد فى مذهب الإمام الأعظم أبى حنيفه الكوفى رضى الله عنه أن يقول : إن مذهبه أوضح المذاهب وأقربها إلى الله . و إن الشخص الذى يعتقد فى مذهب الإمام المعظم الشافعى المطلبى رضى الله عنه أن يقول : إنّ مذهب الشافعى هو أسهلها وأسلمها . أما الذى يقول إن أبا حنيفة والشافعى ليسا على حق ، فإنه كافر يقينا وملحد بغير شك . وما أتعس وأشقى وأبعد عن الانصاف وأحق بالنار ممن لا يعرف مقدار واحد من ألف من علم الشافعى ، ثم يقول إن الشافعى مخطىء فى هذه المسألة أو تلك . . ! ! و إذا كان الظلم فى العالم كثيراً والغبن لا حد له ، فليس أظلم من أن يقضى شخص ثلاثين عاما فى تحصيل علوم الشريعة ، وأنواع اللغات والأحاديث والتواريخ ، وسير السلف بالعربية والفارسية فإذا اعتلى منبراً قال عنه عدوٌ جاهلٌ حقيرٌ أو امرأة عجوز غافلة إنه لا يعرف شيئاً . . ! ! أو أن يقضى فقيه عشرين عاماً يشتغل فيها بعلم الخلاف والجدل حتى يستطيع أن يقرر مسألة فى محفل من المحافل ، فينبرى له شخص لم يقض فى المدرسة أكثر من شهر واحد فيقول إنه أخطأ فى هذه المسألة . . ! ! وأعجب من هذا كله أن يجترىء أحد على كبار أئمة الدين . . ! ! [ص ١٤] وأن يتطاول على الإمام الأعظم أبى حنيفة الكوفى رضى الله عنه .. ! ! وهو الذى قيل فى حقه إنه لو لم يسلك سبيل الاجتهاد ، لما تكشفت مسائل الدين ، و إنه هو الذى بسط خوان الإسلام وحلّ دقائقه ، فاستفاد منه الآخرون .

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته]

— لو لم تكن فتاوى النعمان لما كان الإسلام
ولو لم يكن الخاتم لما كان ملك سليمان . . ! !

— ولو لم يكن النعمان مرشداً ودليلا ، لما كان هناك من يستطيع الإفتاء . . ! !
وكيف يتأتى جمع السنابل إذا لم يكن للدهقان بيدر[1] . . ! !

---

(١) المراجع : الدهقان هو المزارع صاحب الأرض .

وأرواحنا الغالية فداء للشافعي المطلبي الذى أنصف وقال : « الناس كلهم عيال أبي حنيفة فى الفقه » . وقد قرر بشأنه أن المسائل التى كشفها كانت نتيجة للوحى . وكما أن عمر سراج أهل الجنة[1] ، فإن أبا حنيفة سراج الأمة ، ومن حسن الحظ أنه عند ما أفلتْ فى مغرب الأرض نجومُ الصحابة « أصحابى كالنجوم[2] » توهج سراج مشكاة الكوفة ، فاستضاء بنورد العراق وخراسان والروم والتركستان ، مصداقا للحديث : « سراج أمتى أبو حنيفة »[3] فدينه دينى ومذهبه مذهبى وإليك أبياتاً فى هذا المعنى :

[شعر عربى فى الأصل]

يا ربِّ تعْلَمُ أنَّ زادى حبّهم ... هذا فاعلموا يا أيُّها الثَّقلان

هَذِى عقيدةُ والدىَّ ومَذْهَبى ... وطريقتى رغماً لأنفِ الشانى

دِينى لأصحاب النبى ومذهبى ... والله يعلم ، مذهبُ النعمان

فسفينةُ الإسلامِ بعد وقوعها ... فى ورطةِ الشبهاتِ والطغيان[ص١٠]

وقفت على الجودىّ رأى إمامِنا ... حتى استوت فنجت من الطوفان[4]

الناسُ كلُّهم عيالُ إمامنـــا ... فى الفقه والفتوى وفى الإتقان

---

(١) إشارة إلى قوله (صلعم) روى عن ابن عمر قال : قال رسول الله (صلعم) « عمر سراج أهل الجنة » (تاريخ الخلفاء للسيوطي ، طبع كلكته ، ص ١١٦) .

(٢) « أصحابى كالنجوم » حديث رواه عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله (صلعم) « أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » (مشكاة المصابيح ، باب مناقب الصحابة ، الفصل الثالث)

(٣) يشير إلى حديث يعتقد الأئمة فى وضعه وهو قوله (صلعم) . « إن آدم افتخر بى ، وأنا أفتخر برجل من أمتى اسمه النعمان وكنيته أبو حنيفة هو سراج أمتى (الدر المختار ، طبع مصر ص ٣٦) .

(٤) سورة هود ، آية ٤٦ .

أعطاه ربُّ العالمين فضايلا　　أربَتْ برفعتها على الإنسان
يا مَنْ يوازنه بمَنْ هوَ دُونَهُ　　هل مثلُه فى حيز الإمكان . . ؟!
فاغفر إلهى للأئمة كلِّهم　　وجميع أهلِ الصـــدق والإيقان
واخصُصْ إلهى والدَّى برحمةٍ　　محفوفة بالرَّوْحِ والرَّيحان

ولقد شرفه صاحب الشريعة بقوله الحلو الـكريم : « هو سراج أمتى ، هو سراج أمتى » . وقد قيل إن أهل الظلمات فى آخر الزمان طلبوا مصباحاً ولا بد لنور المصباح من زيت ، والزيت لا بد أن يوجد ، فقال لهم المصطفى أفضل الأنبياء سأرساه لـكم من لعاب لسانى ، لا من لعاب النحل فإنه لزج سميك يصنع منه الشمع ، ولا عجب أن يُصنع مصباح من لعاب المصطفى ، عند ذلك أخذ الرسول نصف تمرة وعبأها بلعابه ، وأعطاها لعبد الله بن مسعود[١] ، فأعطاها ابن مسعود لعلقمة[٢] ، وأعطاها علقمة للنخعى[٣] ، وأعطاها النخعى لحماد[٤] فوضعها حماد أمانة فى درج ، وانقضت فترة فإذا بامرأة عجوز تأتى إلى حماد وتقول له : « اعطنى أمانتى » ، فالتفت حماد إلى أبى حنيفة وقال « افتح الدرج وأعط الأمانة إلى هذه المرأة » ففتح أبو حنيفة الدرج ، فأبصر نصف التمرة ، فقالت المرأة : « ليست هذه مالـكى فـكيف آخذها ؟ » فأخذ يتناولها سبعين مرة ثم

---

(١) هو عبد بن مسعود بن غافل بن حبيب من كبار الصحابة ، شهد بدراً ، وساير المشاهد ، وهو أيضاً من أجلة الفقهاء ، ومن مقدميهم فى القرآن والفتوى ، توفى سنة ٣٢ هـ (طبقات ابن سعد) .

(٢) هو أبو شبل علقمة بن قيس بن عبد الله الـكوفى من كبار التابعين الفقهاء ، وهو من أصحاب عبد الله بن مسعود توفى سنة ٦١ هـ (طبقات الحفاظ للذهبى) .

(٣) أبو عمران ابراهيم بن يزيد النخعى الـكوفى فقيه أهل الـكوفة ومفتيها ، روى عن علقمة ، وتوفى سنة ٩٧ هـ ، وكان مولده سنة ٤٧ هـ (طبقات الحفاظ ، وتاريخ ابن خلـكان)

(٤) هو أبو اسماعيل حماد بن أبى سليمان الـكوفى الفقيه ، كان مولى لأبى موسى الأشعرى روى عن النخعى ، وأخذ الفقه عن الامام أبى حنيفة الـكوفى ، توفى سنة ١٢٠ هـ (طبقات الحفاظ)

يعيدها إلى مكانها ، فقالت المرأة : لا قيمة لها ، فأكلها أبو حنيفة ، فبدت[ص١٦]
فى قلبه — فى الحال — آلاف من أشعة النور وحمل من المشاعل ما أنار المشرق
والمغرب ، وأصبح هو والشافعى الإمامين الأعظم والمعظم ، أبو حنيفة العين اليمنى ،
والشافعى العين اليسرى ، وأصبح المطلبى (أى الشافعى) هو مقرر شرع النبى ،
وصار محمد بن إدريس(أى الشافعى) طاووس روضة التقديس ؛ وأصبح للإمامين
مذهبان والحق واحد .

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته[1] :]

— الجميع خيّرون ... فحذار أن تفعل السوء ... ! !

وليس فى الدين تثنية ، فحذار أن تثنى أنت .. !!

— وإنهم جميعاً لخيّرون .... فلا تتحم فسادك

ودع سوءك واترك خصومتك .. !!

فهل تظن أنك الخبير الذى أرسلته العناية الإلهية لينقد الدر المبعثر . ؟ !
ولقد قدّر رفيع الدرجات لكل واحد منهم درجة رفيعة ، مصداقاً لقوله تعالى :
« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات[2] » فكلهم سواء
رضى الله عنهم وعن محبيهم .

وأما الاجتهاد فشىء إذا أخطأ صاحبه فإنه لا يحرم الثواب « إن أصاب فله
أجران وإن أخطأ فله أجر واحد » ولولا اللعاب الخقيق النبوى ، لما استطاع
أبو حنيفة أن يكشف مثل هذه المسائل ، فكيف كان اللعاب فى المنام يستوى
بما حدث فى اليقظة ... ؟ !

---

(١) حديقة سنائى ، طبع لكنو ، ص ٨٣ و ٨٤
(٢) سورة المجادلة ، آية ١٢ .

وقد روى أن امرأة جاءت إلى الإمام الأعظم أبى حنيفة فى المسجد ، وفى يدها تفاحة نصفها أحمر ، ونصفها أصفر ، وقالت للقاضى أبى يوسف : « اعط هذه التفاحة إلى أبى حنيفة » فأغلظ لها أبو يوسف القول ، وقال لها : « اذهبى أيتها المرأة إلى حال سبيلك ، واقصدى من كنت معهم فى الليلة الماضية ، فإنك تخطئين بالمجىء هنا » فقالت المرأة : « يا أبا يوسف لقد أخطأتَ أنت ، و بعدت عن الصواب ، فلا تعبث بى ففى المسألة سر ، وفى الأمر كناية » .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته[1] :]

— إنك لم تر سليمان فى ليلة من الليالى ، فكيف تستطيع أن تفقه لغة الطير ..؟!

فأخذ أبو يوسف التفاحة إلى الأمام الأعظم ، وقال : « إن امرأة واقفة بالباب تقول ، اعط هذه التفاحة إلى الإمام أبى حنيفة » فأخذ الإمام الأعظم أبو حنيفة التفاحة وشقها ، ثم وضعها أمامه ؛ فسأله الحاضرون ما أمر هذه التفاحة ؟ [ص١٧] فقال أبو حنيفة : « أرسلت تستفتينى أنها حائضة وأن الحيض يكون أحياناً أحمر اللون وأحياناً أصفر ، فمتى تجوز لى الصلاة ؟ » . ولقد أجبتها بأن تصلى عند ما تتطهر .

وفى يوم آخر جاء إليه فلاح وقال « إننى فقدت حماراً ، ولن يستطيع أن يحل لى هذا المشكل إلا رأيك الصائب،فيا إمام المسلمين ، وحكيم العالمين ، أرشدنى إلى رأى أهتدى به . فقال له أبو حنيفة : « اذهب واحتجم » فبينما كان الرجل يحتجم ، ويجرحه الحجام ، تطلع ببصره فرأى الحمار ، فجرى ، وقال للحجّام ، لقد انتهى الأمر . . . ! ! وأسرع إلى الحمـــار ، وتعلق برقبته ، ثم أخذه إلى

---

(١) مثنوى سير العباد لسنائى (ديوان سنائى ، ورقة ٢٠٧ ب) .

أبى حنيفة وقال : « فى أى خبر وجدتَ هذا ؟ ! فقال أبو حنيفة : إن الله يقول « إن مع العسر يسرا[1] » ولقد أردت أن أونك . والحجامة أمر مباح ، ودعوت أن يذهب هذا الجرح كربك » .

وله من هذا القبيل وقائع كثيرة ، ومسائل عديدة كان رأيه الرزين وجهده المتين وعلمه المبين مفتاحا للمغلق منها : وقد روى جدى لأمى الإمام السعيد ، والمرحوم الشهيد مولانا الإمام ، ولى الإنعام ، سديد الدين جمال الإسلام ، سيد الأئمة والعلماء ، سند الأصحاب محمد بن على بن أحمد الراوندى رضى الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة منقلبه ومثواه ، عن الإمام الكبير ظهير الدين الاستر ابادى رحمه الله أنه قال ·« سمعت بإسناد صحيح عن أئمة الدين ثقةً عن ثقة أنه بينما تعلّق الإمام الأعظم أبو حنيفة الكوفى رضى الله عنه بحلقات الكعبة فى حجته الأخيرة دعا الله قائلا : « إذا كان اجتهادى صحيحاً ومذهبى حقاً فانصره . فلقد وضحت مسائل الشريعة الإسلامية من أجل وجهك » ،فصاح هاتف من الكعبة قائلا : «حقاً قلتَ مازال مذهبكمادام السيف فى يد الأتراك»وحمداً لله تعالى[ص ١٨] أن قوى ظهر الإسلام به ، وهاهم أصحاب أبى حنيفة هانئون ناعمون ، قريرو الأعين ، لأن السيف فى يد الأتراك فى بلاد العرب والعجم والروم والروس . وقد رسخ سلطانهم فى القلوب ، وهم سلاطين آل سلجوق ، رحم الله الماضين منهم وأبقى الباقين،فلطالما اختصوا العلماء من أصحاب أبى حنيفة بالعطف والرعاية ، بحيث استقرت محبتهم فى قلوب الناس جميعاً شيباً وشباناً ، ولقد اختص السلطان سنجر — برّد الله مضجعه— بعنايته أئمة الحنفية فى خراسان وماوراء النهر ، وغزنهالذين

(١) سورة الانشراح ، آية ٥

كانوا يلقبون بلقب « صدر جهان[1] كما اختص الإمام برهان الدين[2] بعنايته ، بحيث إنه حينما استولى أمير الخطا[3] الكافر على هذه النواحى ، فإنه لم يستطع أن يحتفظ بملكه بغير معونتهم وما زال لأصحابهم الحكم والتمكين ؛ ولقد أخرج من المناصب فى جميع الأنحاء كل من لم يكن من أصحاب أبى حنيفة ، وأسندت المناصب إلى أصحابه ، كما فعل السلطان السابق محمد قدس الله روحه العزيزة عندما استقر مقام الشافعية بالمسجد الجامع لـ« نظام الملك »[4] بأصفهان فأمر بقطع الرؤوس ، وأرسل الجيوش حتى خطب فى ذلك المسجد قاضى القضاة صدر صدور الدنيا ركن الدين[5] أقر الله عين الدين والإسلام بمكانه ، فلما بلغه أن أصحابه صلوا فى المسجد طرب حتى طوح بقلنسوته عن رأسه ، ثم قام وصلى ووزع الصدقات ، وقد فعل مثل ذلك فى جامع همدان ؛ ولكم أتمنى أنه عندما تصل راية الدولة والسلطنة فى ركاب السلطان المأمون ، وجنده المظفر إلى همدان ، أن يصنع مثل ذلك ،

---

(١) يقصد بقوله هنا رجالا مثل « صدر جهان عبد العزيز بن عمر بن عبدالعزيز بن مازه ، وصدر جهان محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن مازه ، وصدر جهان محمد بن عبد العزيز بن عمر ابن عبد العزيز ابن مازه وكانوا جميعا من آل السيد الامام برهان الدين البخارى الحنفى (ارجع إلى حواشى جهار مقالة لميرزا محمد القزوينى ص ١١٤ — ١٢٠) .

(١) يعنى الامام برهان الدين عبد العزيز بن مازة البخارى الحنفى الذى ينتسب إليه جميع آل برهان (المرجع السابق ص ١١٥) .

(٣) يقصد به كورخان الخطائى الذى استولى على ماوراء النهر فى عام ٥٣٦ هـ (ارجع فى بيان ذلك إلى « ا.ا » فى حوادث عام ٥٣٦ هـ) .

(٤) المقصود هنا هو نظام الملك الذى اسمه أبو نصر أحمد بن نظام الملك المشهور الذى كان وزيرا لملكشاه ، وقد لقب ألقاب أبيه قوام الدين نظام الملك صدر الأسلام ... » (ا ا ج ١٠ ص ٣٠٤) .

(٥) يبدو أن المقصود بركن الدين هنا ركن الدين صاعد بن مسعود الذى كان من أسرة آل صاعد بأصفهان (ارجع إلى النص الفارسى ص ١ ؛ س ١٠) وقد كان ممدوح جمال الدين ابن عبد الرزاق الأصفهانى وابنه كمال الدين الاصفهانى ، وقد توفى عام ٦٠٠ هـ تقريبا (ارجع إلى تذكرة الشعراء لدولتشاه ص ١٤٩) .

فتكون الصدقات واجبة عليه، كما يكون الشكر واجباً له، فهو ملك الزمان المؤيد [ص١٩]
بالتوفيق ، وهو ظل الله فى الأرض ، صاحب القران فى كل مكان ، وقد أكرمه
الله فصحّ اعتقاده على مذهب الإمام الأعظم أبى حنيفة رضى الله عنه ، وقد وجب
على أهل الروم كذلك أن يشكروا الله لأنهم يعتقدون فيما يعتقد فيه سلطانهم
عظيم الدهر الملك القاهر الذى ألقابه كالآتى :

« ملك العالم ، سلطان بنى آدم ، مولى ملوك العرب والعجم ، مالك رقاب
الأمم ، سيف الإسلام ، ظهير الإمام ، مجير الأنام ، فخر الأيام ، يمين الدولة
وأمين الملة ، شرف الأمة ، مليك بلادِ الله ، حافظ عباد الله ، سلطان أرض الله ،
ناصر خليفة الله ، غياث الدنيا والدين ، كهف الإسلام والمسلمين ، قاهر الملوك
سيد السلاطين ، الصادعُ بأمر الله ، القائمُ بحجة الله ، قامع الكفرة والمشركين ،
قاصم الملحدين ، كهف الثّقَلَيْن ، ظل الله فى الخافِقَيْن ، المؤيد على الأعداء ،
والمنصور من السماء ، شهاب سماء الخلافة ، نصاب العدل والرأفة ، باسطُ الأمن
فى الأرضين ، ناشرُ الإحسان فى العالمين ، سلطانُ الخلق ، برهان الحق ، محرز
ممالك الدنيا ، مظهر كلمة الله العليا ، ولى النعم أبو الفتح كيخسرو ابن السلطان
الكريم ضياء الملة علاء الدولة وسناء الأمة[١] ، كهف الإسلام والمسلمين عزالدين
قلج ارسلان ابن السلطان السعيد معين خليفة الله مسعود ابن السلطان العادل
عضــــد خليفة الله فى الأرض قلج ارسلان بن سليمان بن غازى[٢]
ابن قتلمش بن اسرائيل بن سلجوق ، لا زال جيد الزمان محلى بعلائه ، وعين

---

(١) كذا فى الحاشية ، وفى المتن « الملة » .
(٢) زيد فى الحاشية قوله « وجدت فى نسبة اسمه « قرا آرسلان » ولقبه « غازى »
ولكن ذكر غازى مع قرا آرسلان لم يرد فى أى كتاب آخر .

الدهر باصرة بضيائه ولا يزال ممتعاً بشبابه ذخراً لأحبابه ، وما رأيت أجلّ منه فى القلوب خطراً وألطف منه فى الصدور محلا ، وأحرىٰ منه بالشكر ، وأحق منه بالمدح » .

والدهر عقيم لا يستطيع أن يلد مثيله ، فهو صاحب العرش الذى [ص ٢٠] تلقى تاج « ملكشاه » و « سنجر » وهو الملك الذى ضربت شهرته شهرة قياصرة الروم ، وحجب صيته صيت ملوك الصين ، وهو الماهل الغازى يستمد ضياءه من سيفه ، ويكون للأرض السكنة والقرار من ثبات قلبه ويده ؛ والإقبال يجرى فى عنانه ، والدولة تقيم على أعتاب مكانه .

[بيتان فارسيان فى الأصل ، ترجمتها[١] :]

ــ إن الإقبال الإلهى يجرى ليل نهار ، وقد انقاد لك وحدك .

ــ ولكثرة ما أتمت من عدل وعمارة ، جعلك الفلك الدائر ذكرى لـ « جمشيد » و « كسرى »

النجم إذا أضاء فهو صورة لرأيه ، والقمر إذا تكشف فهو فيض من خاطره المشرق، وقد أقسمت السماء يميناً على سعادته ويساره ، وتيسرت كل الرغبات بعطاء يمينه .

[بيت شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته[٢] :]

ــ يا من أقسمت السماء بأيمان مغلظة على هناءته ويساره .

ــ ويا من تيسرت الرغبات بعطاء يمينه . . . !!

وقد ترصد الزمان ليفعل ما يشير به رأيه الثاقب ، وترقبت السعادة لتضفى على وجهه الجميل ما هو جدير به .

---

(١) من قصيدة لمجير الدين البيلقانى فى مدح السلطان آرسلان (ارجع إلى خاتمة ذكر آرسلان بن طغرل) .

(٢) من قصيدة للسيد حسن الغزنوى فى مدح بهرامشاة الغزنوى ، وهى قصيدة تشتمل على ٣٦ بيتا (ديوان السيد حسن غزنوى ، النسخة الخطية بالمتحف البريطانى ، ورقة ١٢١ ب).

[شعر عربى فى الأصل[1]]

لجلال قدرك تخضع الأقدارُ ويمين جدك يحكمُ المقدارُ

والدهرُ كيف أمرته لك طيعٌ والله حيث حللتَه[2] لك جارُ [ص ٢١]

[بيتان فارسيان فى الأصل ، ترجمتهما[3] :]

— فيأيها الشاب السعيد ... !! أنّى للدهر الهرم أن يأتى
بنظيرك فى هذه الدنيا العجوز فى مائة قرن مقبلة ... ؟!

— لقد تفتحت عين السعادة ، لتظفر بنظرة من وجهك
وأصغت أذن الزمان ، لتستمتع إلى مايشير به رأيك ...!!

وبسعادة أيامه أصبح المشترى صاحب القران (نجم السعد) وبلطافة طبعه الموفق شرعت الزهرة[4] تصنف الأغانى .

[بيتان فارسيان فى الأصل ، ترجمتهما :]

— ولكثرة السعادة التى تقع فى أيامه ، جعل « المشترى » صاحب القران

— ولكثرة الألطاف التى فى طبعه ، تأخذ الزهرة فى تصنيف الأغانى

ووفقا لأمره جرت مياه العيون الدافقة على قمم الجبال الشاهقة ، وتشبها بقلمه استمد قصب السكر حلاوته فى الحقول بين النوار والأزهار .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— إن قصب السكر منذ تشبّه بقلمك وهو يدعى لنفسه الحلاوة ... !!

---

(١) من قصيدة لمؤيد الدين الطغرائى فى مدح السلطان محمد بن ملكشاه ، وهى تشتمل على ٥٥ بيتا (ديوان الطغرائى النسخة الخطية بالمتحف البريطانى ورقة ٤٢ ا — ٤٣ ب)

(٢) لعل الضمير هنا يرجع إلى الدهر .

(٣) من قصيدة للسيد حسن الغزنوى فى مدح السلطان سنجر ، وهى تشتمل على ١٨ بيتا النسخة الخطية للديوان بالمتحف البريطانى ورقة ١٢٠ ب) .

(٤) المراجع . الزهرة نجم يمثل الأنوثة والخلاعة والطرب .

لقد أضاء وجهُ الدهر بنور وجهه ، وأضحت أطراف المزرعة روضة مخضلة تزدان بصفاء لونه ، وأريج رائحته .

[شعر عربى فى الأصل]

سَعَدَتْ بغُرة وَجْهِك الأيّامُ وَتَزيَّنَتْ ببقائك الأعْوَام

وقد افتتن الطير والوحش بألطافه الجذابة ، وتعلق الجنّ والحور بأخلاقه الزكية ، فكل من ظفر بلقائه المبارك تبددت غمومه وأحزانه .

[بيت شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— قسما بالله ... إن من يظفر برؤية وجهك فى الصباح يكون يومه مباركا[ص٢٢]

[شعر عربى فى الأصل(١)]

لقياكَ من غيرِ الزمان أمانُ مِنْ أينَ يعرف جارَكَ الحَدَثَانُ

إن الأُولى طلبُوا مَدَاكَ تأخَّرُوا عن غايةٍ فيها السباقُ رهانُ

تاجَرْتَهم فربحْتَ أثمانَ العلىٰ إن المحامدَ للعلىٰ أثمانُ

أصلحتَ لى زمنى وَرُضْتَ صعابَهُ والناسُ ناسٌ والزمانُ زمانُ

فكفلتَ لى بالنُجحِ حين وعَدْتَنِي وكذاكَ ميعادُ الكرام ضمانُ

وأريْتَ حظى أينَ مَطْرَحُ رَحْلِهِ فأناخَ بِى وَتَحَوَّلَ الحرمانُ

وإن السبع المثانى لتحسد درر ألفاظه ، وكأن عباراته الجذابة وحيٌ من السماء ، فهو قرة عين للسيادة ، ونور بصر السعادة ؛ تحتجب الشمس خلف السحاب خجلا من رأيه المضيء ؛ ويتوارى القمر فى ظلمات الليل الحالك خجلا

(١) الأبيات من قصيدة لمؤيد الدين الطغرائى يمدح بها مجد الملك أبا الفضل أسعد بن محمد ابن موسى (الديوان ، طبع القسطنطينية ، ص ٤١ — ٤٢)

من طلعته ؛ وذاته المباركة محل الخيرات : وفهمه وإدراكه موكّلان بكل أنواع العلوم والفنون

[بيت شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— إن صدره هو لوح الغيب المحفوظ ، نُقِشَتْ عليه سائر العلوم . . ! !

وما اعترضه من مشكل إلا ويسَّره له الفلك وفقاً لرغبته ؛ وهو شبيهٌ بالإسكندر ، تستمد عين الحياة ماءها من بحار أكفه الكريمة ؛ وإنه لتعيسٌ فى العالمين من يحيد عن رأيه ؛ وإن الذى يعصى أمره — وهو ظل الله فى الأرض — لعاص لله نفسه ، ولو فعل ذلك لحقّ عليه أن يطاح برأسه .

[بيتان فارسيان فى الأصل ، ترجمتهما[1]:]

— لو حاد سلطان خوارزم عن حكمك
لجعل نفسه هدفاً لسهامك القاتلة . . ! !
— وإن ما يفعله أقل أتباعك فى صفوف الحرب [ص ٢٣]
لا يستطيع أن يفعله جيش ايلكخان [2] ، ولا قائد الخاقان ... !!

وإن روحى ملكشاه ومسعود لتنعمان بخُلُف مثالك ؛ وإن الفلك ليجثو على الأعتاب مُقبِّلا لأعتابك ، وإن الملائكة لتخضع احتراماً لك .

وهو غل للخصوم المردة إذا وقعوا فى أسره ، تنفلت أرواحهم عن أجسادهم ، وتتناثر رؤسهم عن رقابهم . ومع ذلك فهو ملكٌ فى قلبه خشية الله . وقد حباه بلطفه الأزلى بكثير من الأسرار الخافيه .

---

(١) من قصيدة لمجير الدين البيلقانى فى مدح الأتابك الأعظم شمس الدين ايلدكز (ديوان مجير مخطوط بمكتبة بودلين) ورقة ١٥ ب — ١٦ ب

(٢) « ايلكخان » لقب أمراء تركستان الذين حكموا من سنة ٣٨٠ — ٦٠٩ هـ — فيما وراء النهر وكانت عاصمتهم فى « بلاساغون » . وقد اشتهروا أيضاً باسم آل خاقان أو الخانية ، أو آل افراسياب (انظر حواشى جهار مقاله لميرزا محمد القزوينى ، ص ١٨٤ ، وغيرها من الصفحات التالية) .

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته[1] :]

— وأنت الفاتح والمظفر والورع الذى يخشى الله .

وكذلك حق لى أنْ أقول إنك جمشيد وإنك الإسكندر وإنك سليمان . . !!

— وبمساعيك الحميدة تضمن السلامة الأكيدة

فإذا لم تطفىء الفتنة الوليدة ، اشتعلت النيران فى سائر الدنيا .. !!

— وأنت مانح الدنيا وآخذها ، فما أعلى قدرك وقدرتك .. !!

وباستطاعتك متى شئت أن تعطى الدنيا أو تأخذها فى يوم واحد .. !!

— فليبق العالم محكوماً بأمرك ، وليبق الفلك منقاداً لمشيئتك

وليبق حكمك كحكم سليمان يخضع له الإنس والجان .. !!

— وليكن رفيقك الطالع الميمون فى كل أمر تستهدفه

وليكن الله الأحد مغيثاً لك فى كل موضع تحتاج فيه إلى معونته .. !!

وخنجرك هو المرآة التى ينعكس عليها وجه الظفر : ورونق السلطنة مستمد من سيفك الذى يحمى الدين ؛ وهذه القبة الزرقاء التى لا باب لها والتى يسمونها [ص ٢٤] الفلك ما هى إلاّ منزل لحارس بابك وسقفك ، وهذه الأرض الفانية التى يسمونها الدنيا لتضيق عن جيشك ... ؛ وما دام تاج الإنصاف على رأسك ، فلن تستطيع الفتنة أن تطل برأسها .. !!

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— لماذا كان ظل جناح الهُما مسبباً للسعادة ..

لأن فى جناحه سراً استمده من عظمة ملكك [2]

---

(١) من قصيدة مجير الدين البيلقانى فى مدح السلطان آرسلان ، وهى تشتمل على ٣٧ بيتا ؛ الديوان ، ورقة ٦٣ ب — ٦٤ ب .

(٢) المراجع : طائر الهما طائر وهمي كالعنقاء ، تذهب الأساطير إلى أنه إذا وقع ظله على أحد من الناس رزق السعادة ، ونال الملك .

وطرة عَلَمه السوداء هي طُرّة عرائسِ الظفر ؛ والشفق الأحمر ماهو إلا شرارة من نيران سيفه ؛ و إن جواد الفلك ليكبو إذا خطا خطوة على خلاف رأيك ، وهو ينصب الشباك الدائمة لأعدائك حول هذه الأفلاك التسعة .

[بيت فارسى فى الأصل ترجمته :]

— فانتبه .. فإن نقمته تجلب أنواع النحس والبلاء .. !!
وحذار .. فإنه يفرض الجزية على أقوى الأعداء .. !!

وذاتهُ العاطرة شجرةٌ أوراقها التأييد والظفر ، وثمارها الفتح والنصر ، فكل من تصدى لنقمته ذاهب إلى نار جهنم ، وكل من احتمى به يكون فى حمى الرحمن ، وسراى الدنيا التى سقفها السماء معمورةٌ برأيه المحكم ؛ وإنه لأسود الوجه كل من يعصى أمره ؛ وقد سُطِر على صُفَّتِه الصافية البيتان الآتيان :

[بيتان فارسيان فى الأصل ترجمتهما :]

— قسما بالله تعالى ، إنه فى قبائه معادل لمائتين من الملوك الجالسين فى حضرته .. !!
— وإذا رأيته فى الميدان، لظننته فى وقت الطواف والجولان مساوياً لآلاف من الأبطال الشبيهين برستم وقد اعتلى متن جواده المنطلق « رخش [1] » .. !!

وقد أقرت الدنيا بملكه ، وشهد له الملك والدين ، واستقر [ص ٢٥] الاقبال والجاه فى حماه ، فهو ظل الله فى الأرض ، وقد عمر دنيا النصر بعظمته وجدد عهد أنوشيروان بعد له فى بلاد الروم ؛ و إذا كان موسى الكليم قد استطاع أن يجعل من العصا ثعباناً ، فإن هذا الملك الكريم قد استطاع من نيران الحرب أن يحيل الرمح أفعوانا ، وإذا كان إبراهيم الخليل قد جعل من النار راحة

(١) المترجم : رستم بطل ايرانى اشتهر بفوزه على الأعداء ، كما اشتهر جواده «رخش» بسرعة العدو ، وقوة الاحتمال .

وريحاناً ، فإن هذا السلطان الرحيم قد أنبت من نار الغضب زهر الرحمة ، ونرجس العفو ؛ وإذا كان نوح قد اصطنع سفينة يتقى بها الطوفان ، فإن هذا الملك الموفق هو السفينة فى وقت الرحمة ، وهو الطوفان فى وقت الهيبة .

[بيتان فارسيان فى الأصل ، ترجمتهما (١) :]

— إنك تظن أن الله قد خلقك من تراب وماء ...
ولكنه قد جعل كل عضو فيك مخالفاً للآخر من حيث العظمة والفضل ... !!

— فلسانك من سكر ، وطبعك فى صفاء الماء : ووجهك فى بهاء النور : وألفاظك فى نقاء الدر ، ورأسك قوامه الرحمة ، وقلبك قوامه الشفقة ، وجسمك قوامه العصمة ، وكفك برهان الكرم ... !!

وبضربة سيفك المصقول محوتَ الفتنة من صفحة الدهر ؛ وبفضل رمحك النافذ رفعت آفات العصيان عن ساحة الدنيا ؛ وإذا عقدت العزم للثأر للدين وتهيأت لقتال الأعداء فإن الريح العاتية تكون فى ركابك ، والسيف الهندى يكون فى يدك ، وكأنما أنت الأسد تقلد سيفه ، وكأنما رمحك هو الأفعوان ؛ وتتصل الأرض بالسماء فتمتلىء بالغبار الذى يثيره فرسانك ؛ وكأنما الهواء بكثرة ما فيه من رماح أتباعك هو الغابة امتلأت بالأعواد ؛ وأصوات طبول جيشك تدوّى فى بطن الأرض ؛ وأصوات نفيرك ترتفع إلى أجواز الفضاء ؛ وقد أجريت من دماء الفراعنة البحار والأنهار ، ولقد تركتَ الخصوم فى البحار ، كما ترك موسى خصومه يبتلعهم اليم ، ولقد صنعت بسيفك الحاد ، ما لم يصنعه حيدر (على) فى صِفِّين ، ولا رستم فى توران(٢) ؛ وكأنما القسى فى أيدى أتباعك [ص ٢٦]

---

(١) من قصيدة لمجير الدين البيلقانى فى مدح الأتابك نصرة الدين أبى بكر ، وهى تشتمل على ٥٥ بيتا (ديوان مجير ورقة ١٢٧ — ١٢٩) .

(٢) المراجع : التورانيون أو الأتراك وتمثلهم الأساطير فى عداء دائم مع الإيرانيين ، واشتهر رستم البطل الإيرانى بحربهم ، والتغلب عليهم .

سحب نيسان تمطر السهام والرماح ؛ وهو دائم الإكرام للناس ؛ وليوث جيشه إذ اغارت على قوم تركتهم لقمة للطيور الجارحة ؛ وإذا بغى عليه عدوٌ نال جزاءه ؛ وإذا دبر له خصم سوءاً أصابه الخذلان . وهذا جزاء كل شخص ينافسه السلطة ، وعاقبة من يكفر بنعمته .

[بيتان فارسيان فى الأصل ، ترجمتهما[1] :]

— ما أرفعك من ملك رفيع النجم ... وما أبهاك من شمس تضيء النهار ... !!
فلتكن لروحك من خالق الروح آلاف من التحيات ... !!
— فإن الأرض مؤتمرة بأمرك ... فاقتلع منها جذور المفسدين .
والعالم بجميع أركانه طيّع لحكمك ... فاغرس فيه من عندك نبتاً جديداً ..!!

فيا إلهى ... ويا خالقى ... ثبّتْ أوتاد خيمة هذا الملك ما دامت السماء مرفوعة ، واجعل الإقبال وقفاً على أعتابه ، بحيث لا يخطر على باله أن ينتقل عنه ؛ واجعل الدولة قرينة لبيته بحيث لا يصيبها زوال ؛ وكما جعلته قائداً وملكا للدنيا اجعله فى الآخرة إماما وزعيما لأهل الجنة ، وجليسا للحور العين ، واجعل جيشه مظفراً ومنصوراً ما دامت هذه القبة الزرقاء تدور فوق هذا الطفل الصغير[2] (أى الأرض) وما دامت السموات والأسماك والأرضين والأفلاك فى مقرها ؛ ويارب ... ضع فى أحضانه كل ما يقصده العباد ، وما هو منتهى المرام والمراد ، واحشره مع محمد المصطفى وأهل بيته وتابعيه بحق النبى وآله .

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— لتكن الدنيا دائماً وقتاً لرغبتك ، وليدم إقبالك إلى أبد الآبدين ... !!

---

(١) من قصيدة لمجير الدين البيلقانى فى مدح الأتابك نصرة الدين أبى بكر ، ذكر منها بيتان فيما سبق .

(٢) اشارة إلى قوله تعالى : « خلق الأرض فى يومين » سورة فصلت ، آيه ٨

— ولتكن شمس الفلك قائمة على خدمتك ما دامت الدنيا ...!!
— ومادامت الشمس تشرق على أعتابك ، فلتكن الأرض جميعها متراً لأعتابك ..!
— وليكن طالب السوء لدولتك ... محطاً لهدف أعدائك على الدوام ...!!
— وليس لسعادتك حدود ... فليكن عمرك أيضاً لا حد له ...!!
— وليكن تأييد الله ليلا ونهاراً ... حارساً لسقفك وبابك ...!! [ص ٢٧]

وهذه القطعة وأكثر الأشعار والمنظومات الفارسية والعربية التى سطرت فى هذا الكتاب من نظمى وجمعى أنا الكاتب الضعيف ، وكذلك نظمت القصيدة التالية التى هى فأل خير لإقبال الملك ، وقرأتها عليه واستشففت فيها نور خاطرى عن الملك[1] ، وقد بينت فيها بلسانى أنا محمد بن سليمان الراوندى ما تيسر لهذا الملك الموفق بحد سيفه المصقول ؛ وقد ترنمت بها أمامه ترنم العنادل والبلابل . ولما كانت قد وردت فى هذا الكتاب أيضاً درر من الشعر وغرر من الفكر قالها غيرى من الشعراء والكتاب ، ولكل طرفة عين شبيه ومنافس فقد ذكرت قصيدتى ، ولو أنها ليست معادلة لأقوال هؤلاء من حيث البلاغة ، ولكنها ترجحها من حيث أنها تناولت مدح الملك .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— لقد زينت مسامع الزمان بمدائحك ...
وإن الزمان ليتخذ من مدح الملوك القلائد والتيجان ...!!

وهذه هى قصيدتى :

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— ما أجمل عنقك فإنه سيطر على مُلك الأرواح ، وأخضع الدنيا لأمرك ...!!

(١) يشير بقوله هنا إلى الحديث المعروف : « اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله » (ارجع الى لسان العرب فى مادة ف ر س) .

— وما أجمل شموع وجناتك . فقد طغت بأضوائها على شمس السماء . . . !!

— والسدرة التى تديم النظر اليها ، فيها مقرّ روحك مع رضوان . . . !!

— وان أقل ذرة من بحار شفتيك .
لأغلى من حصيلة المنجم فى سنوات . . . !!

— وإن وجهك من كثرة ما يضفى من نور ،
قد جعل الشمس والقمر رهناً لمنتك وإحسانك . . . !!

— لقد حيّتك أنواع المسرات .
واحتجزتنى دواعى الأشواق . . . !!

— وإن قلبى خوفاً من فراقك
قد احتمى بحضرة السلطان . . . !!

— فإنه سيد السلاجقة ... السلطان العادل
الذى استطاع فى سنة واحدة أن يستولى على جميع الممالك ... !!

— ولقد تحرك ركابه الملكى
فاستولى على « گنجه [١] » و « أرّان »

— واستولى بضربات سيفه القاطعة
على الأراضى الواقعة ما بين حدود الروم الى حدود « زنجان »

— واستولى جيشك من هناك فى حملة واحدة [ص ٢٨]
على مُلك « الرى » الى حدود « شيراز » .

— واستولى على « ما زندان » و « كردكوه » أيضاً
بفضل عظمتك الى حدود « جرجان » .

— بل ان ايران بجملتها سخرت لك
من حد « فارس » الى « كرمان » .

(١) المراجع : گنجه هي المدينة التى ترد فى الكتب العربية باسم جنزه ، وهي مدينة بأران بين شروان وآذربيجان ويسميها العامة كنجة (انظر معجم البلدان مادة جنزة)

— وفتح لك من «زابل» إلى «كابل» ودان لك «الكيج ...» و «الصقلاب» [1]
وسُخِّر لك ملك الهند جميعه .. ! !

— وكما جمعت تحت حكمك العرب والعجم
فقد أخذت أيضاً ملك «التركستان» .. !!

— ولقد هزمت أعداءك بضربات سيوفك
واستوليت على كل ما لديهم من مال ومتاع ... !!

— وكما أن الشمس واضحة أمامى أيها الملك
فإنى أراك قد أصبحت ملكاً على خراسان ... !!

— ويستمد الحياة منك ومن أعتابك الملكية
فغفور الصين وخاقان الأتراك وشاه[2] خوارزم ... !!

— ولسعادة جدك وملكك ... أصبحت العقول
تأخذ أقوالك على محمل اليقين والصدق ... كالقرآن ... !!

— وأمام جودك ... تيسر أن تعطى
الدنيا لأقل العباد ... !!

— وإن رستم بن دستان
لخجلٌ أمام ضربات ساعدك ... !!

— ولقد تقوس ظهر الفلك بضربة سهامك
فدار حول العالم شاكياً مستغيثاً ... !!

— ولقد وقف زحل أمام قصر جاهك
كالحارس يدق طبوله لشمسك المشرقة ... !!

— ولقد أخذ عطارد السعد الأكبر (أى المشترى)
فجعله يرتل مدحك احتفالا بك ... !!

---

(١) المرجع : كيج بالجيم أو كيز بالزى من اشهر مدن مكران (انظر معجم البلدن مادة كيز) .
(٢) المراجع : هذه هى الألقاب المعروفة لملوك هذه الأمراء .

— ويوقف طائر الهما ، مفتوح الجناحين
فتمكنت الشمس فى ظله ... !!
— وعند ما يسوق جواده على حساده فى الميدان
فإنه يلقف رؤوس أعدائه فى ثنية صولجانه ... !!
— فليبق ملكك إلى أبد الآبدين
وليبق له الدوام رغم تقلبات الزمان ... !!
— وليبق رأسك فى شبابه ، وقلبك فى هناءته أبد الآبدين
وليبق حُسادك فى الخذلان ... !!
— ولا تطرقت عين السوء إلى جاهك
وليبق جسدك فى عصمة الله .. !!
— وليمت حسادُك ولو كانوا ألوفاً
ولتبق أنت وليدم لك العمر الأبدى ... !!

والسلطان القاهر العظيم غياث الدنيا والدين أبو الفتح كيخسرو بن السلطان السعيد قلج آرسلان بن مسعود بن قلج آرسلان بن سليمان بن غازى بن قتلمش [ص ٢٩] ابن اسرائيل بن سلجوق خلدّ الله دولته هو ثمرة شجرة آل سلجوق ؛ وشجرة آل سلجوق جذورها قائمة على تقوية الدين و إعلائه ، وثمارها ظاهرة فى بناء المؤسسات الخيرية كالمدارس والخانقاهات ، والمساجد والأربطة ، والقناطر والآبار التى أقاموها فى طريق الحجاز ورعاية العلماء ، ومجالسة الزهاد والأبدال ، و بذل الأموال ، وتجديد قوانين العدل ، و إحياء رسوم السياسة .

[شعر فارسى فى الأصل ؛ ترجمته :]

— لقد زرعت شجرة فى جنة الخلد السعيدة
لم يزرع مثلها أفريدون ... !! (١)

(١) شـه ، ص ١١٥٦
المراجع : أفريدون ملك من ملوك ايران الأقدمين اشتهر بالعدل .

— وعندما ترتفع فروع السرو فى الروضة
فإن رءوسها تطل على قصر الملك ..

— وتظل الشجرة هانئة فى رفعتها
لأن رجلا سعيداً مبصراً يستطيع أن يراها ... !!

— ويليق بالمرء أن يفكر فى ثلاثة أشياء . . .
فيها وحدها الغنية والكفاء . . . ! !

— وهى الفضل والأصل والطبع
وهى ثلاثة أشياء جميعها متصلة . . . !!

— فلا فضل بغير طبع
وهل رأيت أصيلا بغير فضل . . . ! !

— والطبع يستمد من فضل الله ،
ولا يستطيع صاحبه أن يمد يده إلى سوء أو أن يستمع إلى سوء . . . ! !

— والأصل مستمد من الآباء والأجداد
فالثمرة الطيبة نتاج للبذرة النقية ... !!

— والأصيل يكون نتاجاً لهذه العناصر الثلاثة
وتجمل به خلقة الله . . . ! !

— فإذا حصلت على هذه الأشياء الثلاثة وجب لك العقل . . .
وأصبح لزاما عليك أن تميز بين الخير والشر ... !!

— فإذا اجتمعت هذه الأربعة فى شخص
فإنه يتخلص من الحرص والتعب والغم[1]...

— وإن الشخص الذى يجعله الله ملكا
لينعم به الرجال الأتقياء[2] . . . ! !

---

(١) شـه ، ص ٥٤٧ ، س ١٩

(٢) شـه ، ص ١٧٩٢ ، س ١١

و ببركة تقريب سلاطين آل سلجوق للعلماء ، ومحبتهم للعلم ، وتكريمهم لرجاله؛ قام العلماء فى مختلف بلاد الأرض وخاصة فى العراقين وممالك خراسان ، وصنفوا كتب الفقه ، وجمعوا الأخبار والأحاديث ، كما جمعوا كتباً كثيرة فى المحكم والمتشابه من القرآن وتفاسيره وصحيح الأخبار ، بحيث رسخت جذور الدين فى القلوب وثبتت ، فانقطعت مطامع المارقين وخضع للشريعة طوعاً [ص ٣٠] أو كرهاً جماعة الفلاسفة وأهل التناسخ والدهريون، وأقروا جميعاً بأن «الطرق كلها مسدودة إلا طريق محمد »، وقد أصبح كل واحد من العلماء بفضل تشجيع سلطان من سلاطين السلاجقة محطاً لأنظار العالمين مثل : السيد الإمام فخر الدين الكوفى[1] ، والسيد الإمام برهان[2] ، وأبى الفضل الكرمانى[3] والسيد الإمام حسام البخارى[4] ،

---

(١) هو الإمام القاضى فخر الدين عبد العزيز الكوفى ، وقد كان حاكما على نيسابور وملحقاتها فى أواخر القرن السادس الهجرى .

(٢) هو الإمام برهان الدين عبد العزيز بن مازه البخارى الحنفى الذى كان جد آل برهان وينتسب إليه جميع آل برهان (ارجع إلى حواشى جهار مقاله س ١١٤ وما بعدها) .

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن أميرويه بن محمد بن ابراهيم ركن الدين أبو الفضل الكرمانى ولد بكرمان فى شوال سنة ٤٥٧ وقدم مرو فتفقه وبرع حتى صار إمام الحنفية بخراسان ، وله كتاب شرح الجامع الصغير ، وكتاب التجريد ، وشرحه بكتاب سماه الايضاح . ومات بمرو ليلة العشرين من ذى القعدة سنة ٥٤٣ (تاج التراجم فى طبقات الحنفيه لابن قطلوبغا الحنفى طبع فلوجل الألمانى سنة ١٨٦٢ م ، ص ٣٤) . قال ابن الأثير . لما انهزم سنجر (من الأتراك الخطا فى سنة ٥٣٦ قصد خوارزمشاه (أتسز) مدينه مرو ودخلها مراغمة للسلطان سنجر وقتل بها وقبض على أبى الفضل الكرمانى الفقيه الحنفى ، واصطحبه معه إلى خوارزم فى جماعة من العلماء .

(٤) هو عمر بن عبدالعزيز بن مازه الحسام البخارى الفقيه مصنف الفتاوى الصغرى والفتاوى الكبرى ، والجامع الصغير المطول ، وهو استاذ صاحب المحيط ولد فى صفر سنة ٤٨٣ ، واستشهد فى سنة ٥٣٦ هـ (يوم قطوان عند هزيمة السلطان سنجر من الأتراك الخطا) وعنه أخذ صاحب الهداية ، ومن مصنفاته أيضاً المبسوط فى الخلافيات (تاج التراجم لابن قطلوبغا ص ٤٣) .

ومحمد بن منصور السرخسي[١] والناطفي[٢] والناصحي[٣] والمسعودي[٤]. وقد استقامت مملكة سلاطين آل سلجوق ببركة فتواهم وتقواهم ، وحرصهم على أن تسير الرعية على الشريعة . وقد تصرف الملك والرعية والأمير والوزير والعسكر في الأملاك والاقطاعات وفقا لمقتضى الشرع ، وفتاوى أئمة الدين فبقيت البلاد معمورة ، والولايات مسكونة .

وقد ورد في الأثر : « من صاحَبَ العلماء وُقِّرَ ، ومن صاحَبَ السفهاء حُقِّرَ[٥] » وقد انشغل العلماء تبعاً لذلك بإجراء العدل في كل ولاية ، فكانوا يحصلون أموال دواوينهم من الرعية سالكين طريق التساهل والتسامح معهم ، فأصبحت الرعية في رفاهية ، كما أصبح العلماء في عافية ؛ وأضحى الجيش الإسلامي قوياً ، وأصبح الفجار والمرقة ولا عمل لهم في هذه الدولة ، ولم يحصل المحصلون من إقليم

---

(١) هو أبو المفاخر محمد بن منصور السرخسي الواعظ الذي كان يلقب بمفتي المشرق وكان معاصرا للشاعر سنائي الغزنوي وممدوحا له ، وقد نظم هذا الشاعر مثنوية « سير العباد إلى المعاد » وقدمها له في سرخس ، ومن مؤلفات محمد بن منصور كتاب رياض الأنس (ارجع إلى تتمة فهرس النسخ العربية بالمتحف البريطاني ص ١٥٣)

(٢) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عمر الناطفي الحنفي أحد الفقهاء الكبار ، له كتاب الأجناس في مجلد والواقعات في مجلدات ، والأحكام في الفقه الحنفي ، والهداية في الفروع وغيرها من الكتب ، وتوفي بالري سنة ٤٤٦ هـ ، والناطفي نسبة إلى عمل الناطف وبيعه (تاج التراجم وحاجي خليفة) .

(٣) هو أبو محمد عبدالله بن الحسين النيسابوري المعروف بالناصحي ، ولي القضاء بخراسان وقدم بغداد ، وحدث بها عن بشر بن أحمد الأسفرايني . . . وعقد مجلس الأملاء ، وله مختصر في الفقه ، اختصره من كتاب الخصاف وكتاب المسعودي في فروع الحنفية ، توفي في سنة ٤٤٧ (تاج التراجم ، وحاجي خليفة) .

(٤) لعله الأمام أبو الفتح مسعود بن محمد بن سعيد بن مسعود المروزي المسعودي خطيب مرو ، قال الذهبي كان كثير العبادة ، ملازما للتلاوة ، وكان ينظم الشعر ، وينشيء الخطب ، ولد سنة ٤٨٣ ، وسمع من والده ومن أبي بكر السمعاني ووالده الإمام أبي المظفر منصور السمعاني وغيرهم ، وسمع منه أبو المظفر عبد الرحيم بن السمعاني واخوه أبو زيد ، طال عمره ، وتفرد في وقته ، توفي سنة ٥٦٨ هـ (تاريخ الإسلام للذهبي ، ورقة ٣٦ ب — ٣٧ أ) .

(٥) فق ، ورقة ٤ ب

واحد على عهده بقدر ما كان يؤخذ جوراً وظلماً من مدينة واحدة ، ومع ذلك فقد كان الجيش فى ذلك الوقت أكثر هناءة ، وكان الملوك والأمراء أكثر راحة وأوفر ثراء .

[بيت شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته[1] .]

— إن الملك الذى يغتصب شيئاً من الرعية
إنما مثله كمثل الذى يحطم جدران عرشه ليزين سقفه ... !!

ولقد بدأ خراب العالم عند ما استطال العوانون والغمازون والمرقة على رجال الدين فاتهموهم بمختلف التهم ، وعندما ظهر التعصب والحسد بين الأئمة ، فوجد العوانون المفسدون وجملتهم رافضة أو أشعريون طريقهم فى جيش السلطان فى قم وكاشان وآبه وطبرس ، والرى وفراهان ، ونواحى قزوين وأبهر وزنجان ، والتفوا حول الأمراء والسلاطين قائلين لهم : إننا نلتمس التوفير لكم؛ وقد[ص ٣١] سموا الظلم توفيراً ، واعتبروا أخذ مال المسلمين وإراقة دمائهم بغير الحق منفعة ، وبهذه الطريقة سيطروا على الملك ، ومدوا يد الظلم فى المساجد والمدارس ، وأزالوا حرمة العلماء .

مثل : « من خانه الوزير فاته التدبير »[2] .

[بيت شعر فارسى فى الأصل ،ترجمته :]

— وبأفعال الوزير السيء وقرين السوء ، يتطرق الفساد إلى تاج الملك . . !!

وقد رأسوا على المسلمين قواداً غير مسلمين ممن أحلّ القرآنُ دماءهم[3] ،

---

(١) مثنوى حديقة سنائى ، طبع لكنو ، ص ١٨٣
(٢) فق ، ورقة ١٦ ب
(٣) يشير إلى قوله تعالى « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ... الخ » سورة المائدة آية ٣٧ وقد وردت بعد ذلك فى متن الصحيفة التالية .

حتى يحصلوا من المسلمين على الأموال ظلماً وعدواناً ، ففشا اللهو ، وكثرت المصادرات ، واستغلال النفوذ ، وأصبح فى كل مدينة خليع ، يؤذى المسلمين ، ويسلب دماءهم وأموالهم بحجة أنها نفع للديوان ، ويبنى الحانات ، ويمكن من انتشار اللواط والزنا ، وما ينهى عنه الشرع ، وقد فرضوا ضريبة على كل شىء باعتبار أن فى ذلك تنمية لمالية الملك ، فجعلوا العلماء فى خزى من أعمالهم .

مثل : « من تعرّى عن لباس التقوى لم يستتر بشىء من الدنيا »[1] .

وأسس كل قائد داراً للقيادة ، يجمع فيها النساء فى كل بلدة من مدن العراق وأصبحوا يأكلون ما ينهى عنه الشرع ، ويرتكبون ما يتنافى مع الدين الإسلامى ، فألسنتهم قذرة ، وجميع كلامهم سباب يَبْدأون الحديث سبا ، ثم يتلونه بالعصا ، ثم يتلون ذلك بطلب النقود ظلما وقد قال الله عز وجل فى القرآن المجيد :

« إِنَّمَا جَزاءُ الذين يُحَارِبُونَ اللهَ ورسولَهُ ويَسْعَوْنَ فى الأرض فساداً أن يُقَتَّلُوا أو يُصَلَّبُوا أو تُقَطَّعَ أيديهم وأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوا مِنَ الأَرْضِ : ذَلِكَ لَهُمْ خزىٌ فى الدنيا ولهم فى الآخِرَةِ عذابٌ عَظِيمٌ »[2] . [ص ٣٢]

وأىّ فساد أكبر من أن يكون الدبير (الكاتب أو الوزير) رافضياً أو أشعرياً ، فإنه مهما كان حال هؤلاء الكتاب ، فإنهم سيئو العقيدة يتصرفون فى أملاك المسلمين ؛ يكتبون ظلماً أن على فلان أن يؤدى عن قريته مائة دينار ، وأن يؤدى القصاب خمسين دينارا ، والبقال مائة دينار ، والبزاز خمسمائة ، وأن يؤدى فلان قدراً من المال ، وفلان قدراً آخر : ثم يعطى الكتاب هذه الأوامر للقادة حتى ينفذوها قسراً بضرب السياط ، ويكون لهم وللكتاب نصيب مما يجمع بغير حق ؛

---

(١) فق ، ورقة ٥ ب

(٢) سورة المائدة ، آية ٣٧

و إن العقلاء ليضعون هـــؤلاء الذين يجمعون مال المسلمين بغير حق فى مرتبة واحدة مع اللصوص الذين يقطعون الطريق ، فدماؤهم جميعاً مباحة ؛ ولا شك أن أى ملك عادل لا يرضى بذلك ولا يسمح بأن يقال إنه إذا لم يأخـــذ هذه الأموال قسراً لا يستطيع أن ينفق على جيشه ، فإن الملوك إذا أجروا العدل وعمروا البلاد وقهروا المفسدين وسيئ الدين ، فإنهم يجمعون أضعافاً مضاعفة من الأموال التى لاوارث لها والأملاك المهملة التى هى حق لبيت المـال ومما يفرضونه على العصاة ومما يجنونه من تعمير الأملاك الموروثة ؛ و إن أموال بيت المـال حلال شرعاً كلبن الأم لجند الإسلام ، كما أن التغلب على الـكفار سبب فى غنيمة الدنيا ووسيلة لثواب الآخرة وكذلك « جزية اليهود » وما يفرض على سيء العقيدة فإنها مباحة للملوك كلحم « الأضحية » فإذا أجاز الملوك تنصيب مثل هؤلاء الـكتبة فاسدى العقيدة فإنهم يضيعون عليهم هذه الأموال جميعاً .

مثل : « من أشد الحال مصاحبة الجهال » .

[شعر عربى فى الأصل(١)]

عن المرء لا تسأل وأَبْصِرْ قرينَه ... فإنّ القرين بالمقارن يَقْتَدى

والآن إذا أعطيت ولاية لأمير من الأمراء فإنه ينصب عليها وزيراً وضيعاً وكتبة أخساء ويطلب من وزيره إدارة الولاية ، فلا يتبع قانوناً محدداً [ص٣٣] للخراج ولا للجزية التى يتقاضونها من اليهود ولا لغلة الإقطاعات بل يتبعون كتباً

---

(١) لعدى بن زيد من قصيدة أولها :

اتعرف رسم الدار من أم معبد ... نعم ورماك الشوق قبل التجلد

(شعراء النصرانية) طبع بيروت ص ٤٦٥ ؛ وقيل هو لطرفة بن العبد أيضاً ص ٣١٨)

المراجع : هناك رواية أخرى لهذا البيت تقيم وزنه وهي :

عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدى

أضلّ وأسوأ من كتب الزند والأفستا[١] وكتب الدهريين؛ ثم يفصّلون الحديث عن فلان الظالم فيقولون إنه كان يتقاضى أنواعا عديدة من الضرائب[٢] يفصلون نوعها ثم يأخذونها و يقررون للملك التركى أنها حق واجب : ولقد أصاب العلماء من هذا البلاء ما أعجزهم عن الكلام ، فلما ذهبت حرمة العلماء انفض الناس عن العلم .

وفى شهور سنة ثمان وتسعين وخمسمائة كانت الكتب العلمية وكتب الأخبار ومصحف القرآن تباع فى العراق بالميزان فكانوا يبيعون المنّ منها بنصف دانق .

وقد أجروا الظلم والمصادرة على العلماء والمساجد والمدارس ؛ وكما كانت الجزية مفروضة على اليهود طلبوها من العلماء فى مدارسهم ، فلا جرم إذا انقلب المُلك وتبدلت أحواله .

ولقد قال جمال الدين محمد بن عبد الرزّاق الأصفهانى[٣] رحمه الله قصيدة جميلة فى وصف الدنيا وأهل هذا العصر ، جاء فيها[٤] :

[شعر فارسى فى الأصل ترجمته]

— أيها الغافلون ...... حذارِ حذارِ من هذه الدار الموحشة ...... حذار ... !!
ويا أيهـا العاقلون ...... الفرار الفرار من هذا الشيطان المريد ...... الفرار ... ! !

---

(١) المراجع : الأفستا هي كتاب زردشت نبي الفرس ، والزند عبارة عن تفسيرها وتأويلها .

(٢) هذه الأنواع عبارة عن ضرائب كانوا يجمعونها لتولى المناصب وللسلاح ولدفع غارة الجند عن املاك الأهالى .

(٣) شاعر معروف كان أبوه كمال الدين اسماعيل الإصفهانى الملقب « بخلاق المعانى » وسنة وفاته ٥٨٨ هـ (فهرست المخطوطات الفارسية ريو) .

(٤) أصل القصيدة فى ديوانه ٨٢ بيتا والمذكور منها هنا ٣ : بيتا فقط

— ويا عجبا إذا لم تضق صدوركم ، ويصيب أرواحكم الملل
من هذا الهواء العفن وهذه المياه الراكدة الآسنة ...... !!

— والساحة كئيبة مقبضة ... والبقعة رديئة مجدبة
والفرصة كريهة ماحلة ... والتربة جرداء قاحلة ...... !!

— والموت فيها حاكم ... والبلاء فيها سلطان
والمظالم فيها قاهرة ... والفتنة فيها ظاهرة ...... !!

— والأمن فيها محال ... لاأمل للعقل ولا مجال [ص ٣٤]
واليمن فيها نادر ... والصحة فيها لا تثبت على حال ...... !!

— والرأس فيها مستودع للصداع ... والقلب فيها نطع للبلاء
والورد فيها يحدث الزكام ... والخمر فيها تحدث الخُمَار ...... !!

— القمر فيها يصيبه المحاق ... والشمس فيها يصيبها الكسوف
والأرض فيها تصيبها الزلازل ... والفلك من فوقها يصيبه الدوار ...... !!

— الخفاش فيها عدو للشمس ... والفراشة فيها عدوة للشمع
والجهل فيها يرفع سيوفه بأيديه ... وأما العقل فيتعثر بما يتعلق بأقدامه
من أشواك . . . !!

— والبازى فيها مغلق العينين رغم ما عرف به من حدة البصر
وأما الرخمة الخسيسة فإنها تتنعم بأكل الجيف والأعين ...... !!

— وقد أصابت النملة الأسد بمئات من الجروح ... فهل هذا هو طريق الإنصاف
فى العالم
وأصابت البعوضة الفيل بمئات من الرزايا ... فهل هذا هو عدل الزمان ...؟!!

— وانطفأت الشموع فى كل نهار ... وذبلت الزهور فى كل ليل
وقحلت الحدائق فى كل سنة ... وأصاب القمر المحاق كل الشهر .... !!

— وقد اجتمع الفأر والنمر بقصد القضاء علىّ وعليك
واتحد الخشب والحديد من أجل قتلى وقتلك .... !!

— فلماذا تشتد على أخيك أيها الأخ ..... لن جانباً .... ؟!
وإلام تؤذى المسلمين أيها المسلم .... أما تخجل وتستحى .... ؟!

— وقوتك لا تساوى قوة بعوضة ... فلماذا تحارب الأفيال
وقلبك ليس له شجاعة النملة ... فحذار أن تُعارِك الأسود .... !!

— ولقد كنت قطرة من ماء ... وستصير بعد قليل حفنة من تراب
فلماذا كل هذه الجلبة ... ولماذا كل هذا الجهاد والعناد .... !!

— ولقد يبدو لعينيك أنك جميل الوجه والصورة ...
ولكن انتظر قليلا حتى ينصب الموت مرآته أمام وجهك .... !!

— وسترى أن دخيلتك زائفة ... وإن بدا ظاهرك فى حمرة الذهب [ص ٣٥]
ولكن ما الفائدة ... وستخرجك بوتقة جهنم فى عيارك الحقيق ... ؟!

— واليَدُ يَدُك .. فردّد إذا شئت قول ... « أنا الحق »(١)
ولكن إذا علقك الموت على مشنقته ... فاثبتْ إذا استطعت أيها السيد .. !!

— فلطمة واحدة من لطمات أسد الموت تستطيع بعالم من النمرة الضارية ... !!
وقطرة واحدة من قطرات القهر تقضى على مئات الآلاف من التماسيح الكاسرة ... !!

— ويقولون عنك فى كل يوم .... يا أسفا لجورك بالأمس
ويقولون عنك فى كل عام .... يا أسفا لظلمك فى العام السابق ... !!

— ولقد أصبحت الوجوه كأنها ابن عباس(٢) وأصبحت القلوب كانها أبو لهب
والرؤوس أشبهت ذا الخمار(٣) ... والألسنة أشبهت ذا الفقار(٤) ... !!

— ولولا أنى أعرف أن الظلم لا ينعقد بصورة من الصور فى يوم القيامة
لقلت إن يوم القيامة قد قام ، وإن جهنم قد تبدّت للعيان ... !!

---

(١) المراجع : إشارة إلى قول الحلاج وقد أعدم من أجله

(٢) ربما يكون المقصود هنا هو عبد الله بن عباس بن عم النبي (صلعم) وقد اشتهر بالفقه فى القرآن والحديث .

(٣) « ذو الخمار » هو لقب الأسود العنسى الذى ادعى النبوة فى اليمن ايام النبى (صلعم) وقد قتله أتباعه و القبيلة السابقة على موعد موت النبى عليه السلام .

(٤) ذو الفقار : هو سيف على بن أبى طالب

— وفى عهدك ... استمرت المظالم على حالها
في المساجد ضرب السياط ، وفى المدارس السجن والتعليق على المشانق ... !!

— وقد ضعف أمر الدين كضعف رأيك ، وقويت يد الظلم كقوة عضدك
وقلّ الأمن كقلة خبزك ، ووهن العدلُ كوهن عرضك ... !!

— فواهاً لك ، إذا سحب سَيّاف القَدَر سيفَه أمامك .... !!
وواهاً لك .... إذا نصب جلاّد الأجل مشنقته لأجل إعدامك .... !!

— فتماد فى غيّك ... حتى تستطيع فى مدة عمرك القصير
أن تخلد ذكرك ... بأن تخلّف وراءك مئات الآلاف من اللعنات .... !!

— وهيء لنفسك من أموال الأطفال المطاعم الشهية الفاخرة [ص ٣٦]
واشتر لنفسك من أموال اليتامى الملابس الغالية النادرة ... !!

— ولكن إلى متى ..... !! وسيجعلك التراب حلواً لينا له
وسيحترق حلقك بنيران هذه اللقم الدسمة التى تأكلها .. !!

— فصر كلباً بالنهار ... وجيفة بالليل ... حتى تأكل نفسك بنفسك
كما تأكل النار نفسها بنفسها فى بعض الأحيان ... !!

— وأنت تبيع الدين بالدنيا ... ولكن ليس فى هذا فائدة تذكر
فانتظر قليلا ... حتى يقدّم إليك الحساب فى يوم القيامة ... !!

— واستمر فى حرق الضعفاء حتى تأخذ ثيابهم
واستمر فى ضرب اليتامى حتى تجمع أموالهم ... !!

— ولكن عزرائيل سيعرف كيف يضربك كما يُضرب الدينار
وسيعرف مالك النار كيف يحرقك كما يحرق عود القُمار[1] ...!!

— وهذه بُسُطُك الغالية ... مغتصبة من أثمان حصر المساجد
ولكنك مع ذلك لا تخجل من إسلامك ...... !!

---

(١) المراجع : القمار بضم القاف نوع من العود ينسب إلى بلدة بهذا الاسم فى بلاد الهند (انظر برهان قاطع)

— وأنت تشترى الأطلس الفاخر بما تغتصبه من غزل الأيامى
ثم لا تخجل بعد ذلك من سيادتك ومكانتك .... !!

— وإذا استطاع المرء أن يصير إنساناً بارتداء الملابس الفاخرة
فماذا يكون الذئب فى الأطلس الوثير .... والسوسمار فى الحرير الناعم[1] ....؟!

— فانتظر حتى تصدر نفخة واحدة فى الصُور
فتقتلع الأرض من قرارها والأفلاك من مدارها .... !!

— وسترى أن نجوم الأفلاك قد انطفأت سُرُجها
وسترى أن بخاتى الجبال قد اقتلعت مِهَارها[2] ..... !!

— وأن الجدال قائم فى النفس الأمارة واللوامة [ص ٣٧]
وأن الأرواح الحيوانية والنفسانية فى صراع وعراك .... !!

— وستجد نفسك عند ذلك فى صورة كلب
لأن الموت سيزيح عن رأسك هذا اللباس المستعار ..... !!

— ولقد طالت ثرثراتك ..... أيها السين ..... فأقصر واختصر
فخير الكلام ما جاء فى صورة مختصرة ..... !!

— ويا ربى ... أدم إمدادات لطفك وكرمك
وجدّدْ أرواحنا كما تتجدد زهور الربيع ... !؟

— ولا ترفع جوشن رعايتك عن رؤوسنا الغافلة
ولا ترفع ستار عفوك عن أعمالنا الخاطئة ... !!

— ولاتسلنى عما رأيت ... ولا تطالبنى بما أكلت
واعف عما فعلت ... واغفرلى كل ما قلت ..... !!

وإنى أستمطر آلاف الرحمات على صاحب هذا اللســان الذى استطاع

---

(١) المراجع : السوسمار حيوان يعرف لدى العرب باسم الضبّ ويقال أن النساء يأكلن دهنه جلباً للسمنة (انظر برهان قاطع)

(٢) المراجع : المهار هو العود يجعل فى أنف البختى (انظر : محيط المحيط)

أن يصوغ هذا الـكلام ، وعلى صاحب هذا الخاطر الذى استطاع أن ينظم مثل هذه الدرر الزواهر ، ولقد عاش هو نفسه فى أيام الأمن والعدل أيام دولة آل ايلدكز[1] (أتابكة آذربيجان) ولو أنه بعث لرأى أن مساجد العراق قد خلت من حصيرها ، لأن الظالمين قد اغتصبوها واقتنوا بأثمانها البسط الغالية ، ولم يبقوا بها قطناً يشتغل الأيامى بغزله ، بل اغتصبوه واشتروا بثمنه حريراً فاخراً ، وقام الخلاف بين الناس فشرّد بهم الجور والظلم فماتوا بما أصابهم من قحط ، وقد سيطرت الأغراض الشخصية على الناس فدمّرتهم جميعاً،فلا ظالم ليموت قبل أن يخرب ديار الناس ...!! ولا معمور ليبقى فيه منزل واحد قائماً سنة واحدة إلا إذا اقتضى الظالم نظير ذلك مالا كثيراً .. !!

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— وعلى هذا وعلى ذلك تمضى الأيام
فطوبى لمن تخلّق بالطيبة والعفة بين الأنام ... !!

— فعلام تخدع قلبك بالـكذب والباطل[2] [ص ٣٨]
ألا تستطيع أن تميز بين الرفيع والسافل .... !!

— ولا أحد يستطيع أن يرى الضياء أثناء الليل
مهما أوتى نصيباً وافراً من البصيرة[3] .... !!

— والدنيا لا ثبات لها .... وهى ليست دائمة
وعظمة جمشيد لم تـكن لتعلوها عظمة ..... !!

---

(١) يعنى آل شمس الدين ايلدكز أتابك السلطان آرسلان السلجوقى وكان واليا على آذربيجان وقد حـكم آل ايلدكز من سنة ٥٣١ — ٦٢٢ هـ فى آذربيجان

(٢) الشاهنامة ص ٤٤٣ س ١٤

(٣) الشاهنامة ص ٤٦٧ س ٣٠

— ولكن الفلك الأعلى قد أوقعه
وجعل للعالم ملكا آخر غيره(١) .... !!

وقد تشرد علماء العراق فى الآفاق ، وعجز فيها التجار وأهل الأسواق ؛ وقد بلغت الحال إلى هذا الحدّ ، وانتهى الأمر إلى هذه النهاية ، فأصبح واجباً على الناس أن يتضرعوا إلى الله وأن يبتهلوا إلى الملك ذى الجلال أن يمدهم بلطفه ، فيعين على إحياء دولة آل سلجوق ، حتى تقتلع جذور الظلم من الدنيا ؛ وأصبح واجباً على ملك الإسلام السلطان القاهر عظيم الدولة كيخسرو بن قلج آرسلان — خلد الله رايات دولته وآثار سلطته — أن يتخذ العدل شعاراً ، وأن ينذر لله عز وجل أن يقوم على إحياء مراسم العدل ، بتربية العلماء ، وتقوية الإسلام ، ونصرة الشريعة ، وإرساء قواعد العدل ، فقد قالوا فى المثل : «من عَمَّرَ دنياه ضَيَّع ماله ، ومن عمر آخرته بلغ آماله »(٢) وأن يسلك النهج الذى سلكه السالفون من سلاطين آل سلجوق وأن يعنى بالرعية وعمارة الدنيا حتى يقيّض الله لهذا الملك الوارث المستحق ، وأن يُجْلِسُ على عرش سَنْجر وملكشاه وبركيارق ملكاً من سلالتهم حتى تبقى هذه الدولة إلى يوم القيامة ، وإنى أدعو الله أن يجعل راية دولته مظفرة ، ولواء سلطنته منصوراً ، وينير شمس سعادته ، ويثبّتَ ظلّ حشمته إلى أبد الآبدين بحق محمد وآله أجمعين .

---

(١) الشاهنامه ص ٥٥٤ س ١٩ — ٢٠
(٢) الفرايد والقلايد ورقة ٥ — ١

ذكر أحوال مصنف الكتاب

والثناء على أصدقائه وأساتذته

لما فرغ خادم الدولة محمد بن على بن سليمان بن محمد بن أحمد بن الحسين[ص٣٩] ابن همة الملقب بنجم الدين والمكنى بأبى بكر — متعه الله بالعلم والشباب — من دراسة الأدب وتحصيل لغة العرب ، نقض الزمان الغدار عهده معه — كما هى عادته — فحرمه من لذة التمتع بجمال أبيه .

مصراع : « وأى نعيم لا يكدّره الدهر » .

لما حَدَث ذلك استولت على خاطره فكرة تحصيل العلوم،ولم يكن قد بقى له من الدنيا مال ولا منال ، وكان القحط قد أصاب أصفهان ونواحيها من بداية سنة سبعين وخمسمائة إلى هذا الوقت ، وقد حلّ البلاء بالصغار والكبار وأصبحت البيوتات والأسر القديمة فى غاية الذلة والانكسار ، فكان طلبى للعلم وتحصيل المعرفة معيناً على تحصيل الرزق .

مثل : « من طلب العلم تكفل الله برزقه » .

فأنفذ إلىّ الملك ذو الجلال صاحب الأفضال واحداً من خاصة أتباعه ووكله بى فرضعتُ لبان صدره وتربيت فى ظل دولته ، وكان سعيداً ناضر الحظّ حتى ليخجل الفلك المُسِنّ من نضرة رأيه وتدبيره ، وأصبح خاطره المتقد عوناً لى على تعلم أنواع العلوم ، فعقدت العزم على خدمته ولازمت حضرته .

واقتبست من فوائد أقواله التى تشبه السكر وألفاظه التى تشبه الدرر ،وأصبحت له عبداً كما قالوا : « مَنْ علمك حرفاً صَيَّرك عبداً » . وهو من ناحية النسب خالى ، ولكنه من ناحية تربيتى والشفقة علىّ بمثابة والدى . هو .. « مولانا ولى

الإنعام الصدر الإمام العالم الكبير صاحب الحظ المقبل ، تاج الدين ، ظهير الإسلام،ملك العلماء ، ناصح الملوك والسلاطين ، نعمان الزمان ، وأ بوحنيفة العصر والأوان ، أبوالفضل أحمد بن محمدبن على الراوندى ، دام ظله .. ومتع الله المسلمين بطول بقائه وحسن لقائه » .

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— يا من بهمتك قد علوت الكواكب ، يا فخر الدهر ، ويا تاج دين أحمد ... !!

— إن طبعك الطاهر متصد لجميع كواكب الفلك السيارة ... !!

— وإن كاتب الفلك ليجعل مَشْقَهُ كتابَ بلاغتك ... !!

— وكأنما نزلت آية « لم يلد ولم يولد »[1] فى تشبيهك ... !!

— فليدم بقاؤك من الأزل ، وليتصل عمرك إلى الأبد .... !!

وهو مجمع الخلال الكاملة والخصال المحبوبة الفاضلة ، ولقد عمرت [ص٤٠] الدنيا بفتواه وتقواه ، وهو أستاذ الأساتذة فى العراق وقد إزدان به منصب التدريس ، وقد استدعاه الملك العادل ملك الأمراء « جمال الدين آى به » الأتابك الأعظم عز نصره إلى دار الملك « همدان » فتشرفت به مدرستها وجملة مدارس وخانقاهات أخرى ، بحيث تمتْ به عظمة علماء تلك المدينة ، وكان مقدَّما على سائرهم فى جميع العلوم لأنه بلغ من فنون العلم غاية الكمال ، ولو كان العبادى[2] وعلاء الدين الخوارى[3] على قيد الحياة لتعلما منه إنشاء الكلام ، ولجمعا الثمين الغالى مما يقوله فى دقائق علم الوعظ ، وله تصانيف كثيرة فى هذا الشأن ، ويعتبر

---

(١) سورة الاخلاص آية ٣

(٢) هو أبو منصور المظفر بن أبى الحسن بن أردشير بن أبى منصور العبادى الواعظ المروزى له اليد الطولى فى الوعظ والتذكير وحسن العبارة ومارس هذا الفن من صغره إلى كبره ومهر فيه حتى صار ممن يضرب به المثل فى ذلك (ارجع فى ترجمة حاله إلى تاريخ ابن خلكان فى حرف الميم)

(٣) هو الإمام علاء الدين الخوارى الذى كان وحيد عصره فى فصاحة الكلام وفن الأدب (ارجع الى لباب الألباب لعوفى ، ج ١ ص ٢٧٥ — ٢٧٦)

أستاذا فى الفقه والخلاف والتفسير والحديث واللغة والشعر الفارسى والشعر العربى ، وهو أظهر من الشمس فى الخط واللغة ، ولم ير أحد نظيره فى كل ذلك ، ولم يسمع أحد بمن يعدله فيه ، جزاه الله عنّى خير جزاء الدنيا والآخرة . فيارب خذ بيده فى الدارين لقاء ما تفضل به نحوى من إحسان وسعى ، وارعَ أولاده بعنايتك وأوصلهم إلى درجة كفايته ، وهب أولاده وخلفه النجباء جزاء كل كلمة علمية أنعم بها علىّ ألف كلمة مثلها ، وكما جعلته فى الدنيا صاحب المنبر ووارث الأنبياء تصديقاً للحديث المعروف : « العلماء ورثة الأنبياء[1] » اجعله فى الآخرة جليساً للحور العين وقريناً لسيد المرسلين ورسول رب العالمين بجاه عبادك الصالحين وأنبيائك والمرسلين.

ولقد التحقت بخدمته مدة عشر سنوات استطعت فيها أن أزور عيون مدن العراق ، وبلغت فى علم الخط شأوا كبيراً بحيث يتضح أثر من ذلك فى هذا الكتاب ، واستطعت أن أضبط سبعين نوعا من الخط وأن اتكسب من [ص ٤١] نسخ المصحف وتذهيبه وتجليده ، وقد اتقنت تعلم هذه الفنون ، وحصلت من ذلك الكسب على الكتب العلمية ، وصرت أقرؤها على المشايخ الكبار ، وعلماء العصر والأساتذة الأعلام ، وكنت أحصل منهم على إجازة روايتها ، ولم اصطنع الكسل فبلغت عَسَل الأمل .

مثل : « من دام كسله خاب أمله »[2]

وصارت همتى العالية مجلبة للنعم .

---

(١) حديث معروف رواه بن النجار عن أنس « العلماء ورثة الأنبياء يحبهم أهل السماء ويستغفر لهم الحيتان فى البحر إذا ماتوا الى يوم القيامة » الجامع الصغير للسيوطى ج ٢ ص ٦٩)
(المراجع : جاء أيضا فى كنز العمال ج ٥ ص ٢٠١ هــذا النص « العلماء مصابيح الأرض وخلفاء الأنبياء وورثتى وورثه الأنبياء » وجاء أيضاً فى ص ٢٠٤ « اكرموا العلماء فانهم ورثة الأنبياء)

(٢) الفرايد والقلايد ورقة ١٦ ..... ا

مثل : « بُعْدُ الهم يَبْذُرُ النِّعَم » .

وكانت العراق أثناء هذه السنوات العشر التى قضيتها فى التحصيل تفوق جنة عدن . . . المُلْكُ فيها مستقيم والمَلِكُ فيها كريم ، قد اجتمع فيها الوزراء الكاملون والعلماء الفاضلون ، وكانت مدينة أصفهان[١] ترجح أقطار العالم قاطبة ، وقد اجتمع فى يوم من الأيام فضلاء أصفهان لدى مولانا سلطان العلماء ملك قضاة الشرق والغرب ركن الدين صاعد بن مسعودَ أقر الله عين الفضل بمكانه وأخذ كل منهم يتحدث عن جمال أصفهان وكمالها الذى فاق سائر البلاد ، فقال : لو أن جنة عدن كانت فى الأرض لكانت فى أصفهان ، ولو كانت فى السماء لكانت موازية لأصفهان ، وعلى كل حال فإن أصفهان نموذج للجنة » . أما همدان فكانت فى ذلك الوقت « داراً للملك » ومقراً لملك العالم سلطان بنى آدم ركن الدنيا والدين غياث الإسلام والمسلمين طغرل بن آرسلان بن طغرل قسيم أمير المؤمنين — بَرَّدَ الله مضجعه — وكان أمراء العراق يتخذونها مقراً ويبنون فيها العمارات التى تشبه جنان الخلد .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— يكفى للملك أن يبقى ذكره والثناء عليه فى الدنيا ،
فإن التاج والزنار ينقلان من شخص إلى آخر . . . !!

كان المُلْكُ هانئاً ، وكان يجلس على أريكته السلطان الشهيد والملك السعيد خالى البال ناعم الخاطر يهنأ فى الحفلات وينتصر أتباعه فى المعارك والحروب ، وكان الأتابك يفتح له أرجاء الدنيا ، بينما يقيم هو هانئاً فى دار الملك ، وكان يقضى أيامه مشغولا بأمانى قلبه ويقضى لياليه فى فراغة ودعة ، وكان يمارس أنواع الفضل والعلم ويرى الناس فيقول لهم :

---

(٣) المراجع : يجوز فى أصفهان فتح الهمزة أو كسرها (انظر : معجم البلدان لياقوت)

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— حذار أن تثقل على نفسك من أجل الكنوز ،

فكنوز الدنيا جميعها لا تساوى تجرع غصة واحدة . . . ! ! [ص ٤٢]

— ولا ينبغى أن يكون نصيبك من دورة الزمان ،

شيئاً من الحقد أو النقمـــة أو الخصام . . . ! !

— فإنك لن تبقى فى هذه الدنيا الزائله ،

سواء تحملت الآلام أو نعمت بالكنوز[١] . . . ! !

— ألا تعلم أنك حينما تقف أمام الله ، فإنك حاصد ثمر مازرعت . . . ! !

— ومن أجل ذلك وجب عليك الطيبة والمروءة والشهامة والتنعم والسعادة . . !

— ولست أرى لك نصيباً إلا فى هذه الأشياء سواء كنت مغموراً أو مشهوراً[٢] ..!

— وأما الحريص الحقود فلن يسمع من أحد فى الدنيا ثناء[٣] .

— ولو بقيت فى الدنيا طويلا ، لتمنّيتَ إلى الرحيل عنها لما يتحمله جسدك من ألم . . . ! !

— فهى بحر أخضر لاقرار له ، ولا مفتاح لكنوز أسرارها . . . ! !

— ومهما بقيتَ فيها وتطلبت منها المزيد فإنها يوما ستلتهمك وتبتلعك . . . ! !

— ولا يلزمك فيها إلا ثلاثة أشياء لاجدوى من تركها ،

ولا لوم عليك فى تحصيلها والعمل بها . . . ! !

— وهى : أن تأكل ، وأن تلبس ، وأن تنا م ؛

فحذار أن تتطلع إلى ماسوى هذه الأمور الثلاثة . . . ! !

— فما عداها كله تعبٌ وحرصٌ ... وحالتك ســـواء

إذا ما تماديت فى الحرص أو تكالبت فى طلب الحاجات[٤] . . . ! !

وكان ذلك السلطان الموفق صاحب القران يأتنس كثيراً بالعلماء والحكماء

(١) الشاهنامه ص ١٣٥٨ س ١٢

(٢) الشاهنامه ص ١٣٦١ س ٦ — ٧

(٣) الشاهنامه ص ٨٠٦ س ١

(٤) الشاهنامه ص ٨٠٦ س ٦ — ١١

والفصحاء والزهاد والعباد ويقضى كثيراً من الوقت مع الشعراء والندماء ، ويقضى نهاره فى تحصيل العلم وليله فى خلوات التعبد ، ويتقرب إلى أقل العلماء ويتعلق بالزهاد مثل : « من تحلّى بالعلم لم توحشه خلوة ، ومن تسلى بالكتب لم تفته سلوة[1] » فإن العلم أقوى أساس والتقوى أفضل لباس .

وأفضاله على الأفواه مذكورة وفى البلاد منشورة ومشهورة . فلما أراد [ص ٤٣] السلطان السعيد الشهيد أن يتعلم الخط فى سنة سبع وسبعين وخمسمائة طلب مولانا الصدر الإمام الكبير المقبل زين الدين سيد الأئمة والعلماء أستاذ الملوك والسلاطين محمود ابن محمد بن على الراوندى ، وهو خال هذا الكاتب وشرفه بأن يكون أستاذاً له ، راغباً فى أن يستفيد من أنوار علومه وأن يضيف جديداً إلى كنوزه لتزداد معارفه فتصير نوراً على نور .

وأراد ذلك السلطان الشهيد ـ بمدد من حظّه وعظمة سلطانه وعرشه ـ أن يتعلم الفوائد التى اقتبسها ذلك الإمام الأوحد بعد تحمل المشاق فى عيون مدن العراق من كبار الأساتذة ، وأن يتلقى ما وعاه طبعه الوقاد وخاطره النقّاد من جواهر الدرر وزواهر الغرر والنكت والملح والأقوال العجيبة عن الخط والأدب أثناء استماعه لهؤلاء الأساتذة السنين الطويلة . مثل : « من لم يعلم لم يسلم » ؛ ولقد أخلص خالى فى القيام بهذه الخدمة ، وبذل فيها قصارى جهده ، فسقاه من حلاوة الألفاظ القصار ما يُستقَاه العاشق من حلاوة ليلة الوصال ، وأخذ يصوغ له المعانى الكبيرة فى الكلمات القليلة ، وسلسل له الأحرف التسعة والعشرين وسلكها فى جادة نظره الصائب حتى وصل فى مدة قليلة إلى منزل المراد ومنتهى مرام العباد ، وصقل سواد الحروف ذات المعانى فى سويداء قلبه ، وأخذ يشتغل بتعلم كل ذلك أثناء بياض النهار وسواد الليل .

---

(١) فى ورقة (ب)

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— استولى العلم على كل قلب ذكى ، والعلم هو معرفة الحروف ذات المعنى .

— والحروف فى جمالها تنافس نقوش المعانى ، وهى الطرر المفتولة للمعانى .

— وطرر المعانى فرسان للعقل

[. . . . .] (١)

— والحروف ذات العيون الضيقة دائمة الجولان .

حتى استولت على أرجاء العالم وجميع الأركان ... !!

— وهى فى شكلها تشبه صفوف النمل ،

ولكنها فى عالم البيان ... لها قدرة سليمان ... !!

وعندما تقررت عنده أصول الخط المنسوب (٢) تبرك بكلام رب العالمين [ص٤٤] وتمسك بحديث سيد المرسلين كما جاء فى الخبر : « من كتب بسم الله الرحمن الرحيم فأحسن خطه غفر له » فبدأ يكتب مصحفاً من ثلاثين جزءاً وأحضر النقاشين والمذهبين حتى يذهبوا له كل ما يكتب ، وكان ينفق على كل جزء مائة دينار مغربى ، وقد بقيت بعض أجزاء ذلك المصحف لدى الملك العادل « علاء الدين » حاكم مراغه وبقى بعضها الآخر لدى « بكتمر » حاكم أخلاط وبقى بعضها لدى النقاشين ؛ ولقد لقى كاتب هذا الكتاب تقريب السلطان وترحيبه من أجل ذلك كله ، وكثيراً ما أمرنى بأن أذَهِّب كتاباته لأنه بسبب معرفته للخط كان يستحسن ما أفعل ؛ ولقد شغل أيضاً أمراء العراق بتحصيل العلم وقراءة الكتب الفارسية تشبهاً به فقد قال الحكماء مصراعا فارسياً فى الأصل معناه : « يَتَشَبَّه أهل الدار برب الدار » وقالوا أيضاً : « أفضل ما مَنّ الله به على عباده

(١) شطرة محذوفة فى الأصل

(٢) يقصد به الخط الذى يقررون فيه إن اشكال الحروف أخذ بعضها من بعض

علم وعقل وملك وعدل »[1] . فلا غرو إذا ذهب أولاد الأمراء والكبراء على عهد ذلك الملك إلى المدارس وحصلوا العلوم فراجت سوق العلم ونعم العلماء وصار كل خطاط يتكسب فى جملة أماكن وكل أديب يعلم فى جملة مدارس .

و إن تاريخ تلك الدولة وما فيه من عجائب ــ لو قُدِّر له أن يكتب بالكامل ــ لزاد على عشر شاهنامات[2] واسكندر نامات[3] بما اشتملت عليه من سِيَرٍ عن الحرب والحفل والصيد واللهو وفتح البلاد وهزيمة الأعداء وصلة الأصدقاء .

وإذا امتدت حياة هذا الكاتب وطال عيشه فى دولة السلطان[4] وامتدت نعمته فإنه سيكتب تاريخاً عن دولته يجعله كتاباً منظوما أو منثورا ، ولكننى التزمت فى هذا الكتاب جملة أمور لأننى لو ذكرت فيه الوقائع التى حدثت أيام السلطان الشهيد والأتابك السعيد محمد والملك الكريم قزل أرسلان ومن بعده حتى هذا الوقت الذى أكتب فيه لضاع المقصود من هذا الكتاب ، فاكتفيت ببعضه وقنعت بقصيره عن طويله ، وسأثبت ما قيل من شعر الشعراء فى مدحهم فهو دليل قاطع و برهان ساطع على عظمة مرتبتهم وسلطنتهم فإن الشعراء [ص ٥٤] لا يمدحون أحداً من الملوك إلا إذا استقام ملكه وكثرت هباته .

[بيت عربى فى الأصل]

الناس أكيسُ من أن يمدحوا رجلاً ولم يَرَوْا فيه من آثارِ إحسان[5]

(١) فى ورقة ٤ (ب)

(٢) [المراجع] يقصد شاهنامه الفردوسى وقد قيل انها تحتوى على ستين ألف بيت

(٣) [المراجع] يقصد اسكندرنامه لنظامى الكنجوى وقيل أنها تحتوى على ١٢ ألف بيت

(٤) ربما يقصد السلطان « طغرل الثالث » بن ارسلان السلجوقى الذى حكم فى المدة ما بين ٥٧١ — ٥٩٠ وكان مؤلف هذا الكتاب فى خدمته .

(٥) لعبد الملك بن عبدالحميد فى هجاء شخص اسمه عثمان ويسبق هذا البيت بيتان هما :

الماء فى دار عثمان له ثمن والخبز فيها له شأن من الشان
عثمان يعلم أن الحمد ذو ثمن لكنه يشتهى حمداً بمجان

(انظر تاريخ بن خلكان ، ترجمة يوسف بن عبد البر)

ولقد كان كل أمير منهم غازياً ، وكان فى كل مدينة عالم يقتدى به . وكان الرؤساء القاهرون يحكمون فى أهم المدن . فكانت فى دار الملك همدان أسرة العلويين من السادات والأشراف ، أبقاها الله إلى يوم القيامة ؛ وكان رئيسهم الأمير السيد والمرتضى الكبير فخر الدين علاء الدوله عربشاه — رحمه الله — الذى بلغ من التعظيم والتمكين قدراً كبيراً بحيث أنه منذ أن قتله السلطان سليمان وأراق دمه بغير حق فإن شخصاً لم يسعد فى العراق وخراسان ، ولم تستطع شفة أن تفتر عن ابتسامة حتى أجلس الله عز وعلا على عرشه سيد العالم وسلطان بنى آدم سليمانشاه بن قلج آرسلان . وقد قال شاعر قصيدة فى هذه المناسبة لها معنيان مطلعها :

— لقد وصل ملك سليمان إلى سليمان .
وعمت البشرى إيران وتوران .

أبقى الله هذه الدولة إلى يوم القيامة بحق محمد وآله .
وقد كتب علاء الدولة هذه الفهلوية إلى السلطان سليمان(١)
بواذ اروندكوه اج يا بزشى   اروندا روند نى واذ آيذ وشى(٢)

وولداه هما الأمير السيد مجد الدين همايون والأمير السيد فخر الدين خسروشاه ، ويمكن أن نسميه بالفاضل الكامل لأنه على حظ كبير من السياسة والرئاسة ؛ ولقد ازدان عهده بمراسم الملك ، فلما تلاطمت أمواج الفتنة فى العراق[ص ٤٦] نُكِبَ بسرعة ، وغَدَرَ به جماعةٌ من الناس ، فوقع فى الأسر وأُرسِل إلى قلعة « سرجهان » وفيما يلى وصف ماحدث باللغة الفهلوية :

---

(١) يقصد السلطان سليمان بن محمد بن ملكشاه السلجوقى الذى حكم سنة ٥٥٥

(٢) المترجم : معنى هذه الفهلوية غير معروف وقد اثبتناها كما وردت فى الأصل . والفهلويات عامة مازالت موضع دراسة .

فهلوى :

خويش وبييانه وازاد وبنده   وانكشان واتها كيابى بتنده
او جمن خو نشان باهت سمشير   زربتنگى دريم اسبز بونده
اژان روواكه بو رويم ماتم   نه اجخوشاننه اج بييانه آتمُ
كى نوا كز بأين بييانه بومان   داله زيونده ماتم يا تما ُنم

وأخوه هو الأمير السيد عماد الدين مردانشاه الذى تلقى على يدىّ القرآن والخط وعلوم الدين والفرائض وسنن العبادة ومايلزم للرياسة ؛ ولقد نزلت فى بيته خمسة أعوام أو ستة وهنئت فى نعمته وجالست كبار رجال همدان ، وقضيت هذه السنوات من عمرى فى الفرح والبهجة،مستفيداً ومفيداً بأنواع العلوم،متمتعاً بفوائد التحصيل ، فرأيت أنه استطاع بذكائه الوقّاد أن يصبح نقّاداً لجواهر العلوم فى مدة قصيرة ، وأنه أنفذ خاطره ، ووضع نصب عينيه تعلم الحروف فتكشفت له درر الخطوط ، وتفتحت له جواهر المعانى ، فإن الكلام هو الدرر التى تحتويها خزانة الغيب ، وهو الشراب المفرح الذى ليس فيه ريب .

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— إذا أردت أن يثمر مجهودك ، فلا تنصرف عن المعلم .
— وعَـلِّم ابنك الكتابة ... وكذلك علم أهلك وأقاربك .
— وإذا استطاع الكاتب أن يكون ذا قدرة ورأى ،
وأن يكون صبوراً واعياً للكلام
— فإن الكتابة توصله إلى الخط الحسن ،   [ص ٤٧]
وترفع إلى العرش من لم يكن كفءاً له .
— فإنها الحرفة المباركة بين سائر الحرف ، وبها يستطيع الخامل أن يرتفع ... !!
— والعاقل الكامل ، هو صاحب اللسان الصامت والجسد المنزه عن المآثم ...
— الذى يكون صبوراً وعالماً وصادقاً ، ووفياً ونزيهاً سمح الوجه ... !!

— ومتى اتصف شخص بهذه الصفات ودخل على ملك ،
فلن يكون مجلسه إلا فى مكان الصدارة . . . . !

ولقد حدث فى إحدى حلقات السماع التى تفيض فيها فتوح الروح ويكون فيها راحة العاشق المجروح أن تجلى للصوفية صفاء طويتهم فأصابتهم حالة شديدة من الوجد ، وأخذ مطرب يصنع لحناً طيباً و يغنيه بصوت جميل على نغمات العود ، فقال هذا البيت :

— لدى أقوال حديثة وأموال قديمة ،
فهل أستطيع أن أحصل عليك بالأموال أم بالأقوال . . . ؟ !

وكان الإمام الغزالى رحمه الله حاضراً فقال وهو فى حالة الوجد : « لا حاجة للأموال . . . أحضر الأقوال ... !! » عليك بالكلام فإنه خازن أسرار الجبروت وخلاصة أسحار هاروت وماروت ، وقد جاء فى الحديث : « إن من البيان لسحرا »[1] فالكلام هو إمام المحراب وهو المو بذ فى معابد النار . فتبين الأمر فإن روح المعانى تتعلق بلطف الكلام ، والنفس البهيمية لا تمتزج بحلاوته أبدا .

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— نزل الكلام من القبة الزرقاء ، وهبط من أعلى السموات .
— ولو كان هناك جوهر أعلى من الكلام لنزل فى مكانه .
— فالكلام أغلى شىء فى العالم ولذلك زاد قدر الآدمى عن سائر الكائنات بسببه .
— والكلام هو سيد العالم ، والروح هى حياة الجسد ، ولكن الكلام هو حياة الروح ... !!

وكان لى صديق فريد قادر على الكلام بحيث كان الجميع يحسدونه لذكاء خاطره ، وكان صغير السن ولكنه فى المحامد يفوق الشيوخ من حيث [ص ٤٨]

(١) ارجع إلى مجمع الأمثال للميدانى فى حرف الألف .

العقل والرجحان ؛ وكان يعدُّ فى زمرة الصبيان ، ولكنه كان فريد العصر والأوان ؛
« وهو صدر العالم المحترم المقبل شهاب الدين جمال الإسلام مَلِكُ الكفاة والأفاضلِ
سيّدُ الأقران والأماثل ، تاجُ الصدورِ والأكابر ، عطاردُ الزمان والعناصر ،
أحمد بن أبى منصور بن محمد بن منصور البزّاز القاسانى أطال الله فى العز الدائم
بقاءه ، وأدام إلى المعالى ارتقاءه وكَبَتَ حَسَدَتَه وأعداءه »[1] .

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— محسود الفلك ومَحسود عليين هو شمس الشرف شهاب الدين .
— وتقديراً لفضله وعلمه ، أضحت السماء عتبة لإيوانه .....!!
— وهو شهاب راجم للشيطان اللعين ، وقد أنارت شعلته وجه الأرضين .
— وهو شمس ثانية فى هذا العالم ، والقلم فى كفه يعتبر شهاباً آخر .
— وهو سريع السير كأنه الشهاب الثاقب الذى يرجم الشياطين ،
والخلق يديمون الدعاء له طوال الليل والنهار .

وقد أنشد الزمان فى حق أقواله التى تنثر الدرر — هذه الأبيات :

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— أيها الشهاب ... أنت نور الإسلام ، وأنت عظيم الدهر وظهير الأيام ....!!
— لايستطيع خيال أن يدرك فهمك ، لأنك من حيث الوصف أعلى من الأفهام ..!!
— إن الشمس لتحسد الأرض ، لأنك تمشى على صفحتها الفاتنة .
— وإن صورتك مصورة من صورة الأرواح ،
ولست أنت مثلنا أسيراً الأجسام ....!!

ولقد تحدث لسان الفضل بوصف خطّة الشيه بالدرر والجواهر فقال هذين البيتين :

---

(١) المراجع : العبارة الموضوعة بين اقواس وردت فى أصل الكتاب بالعربية بهذه الصيغة .

[بيتان بالفارسية فى الأصل ، ترجمتهما :]

— يامن استرشدت برأيك ، واهتدت بهديك
روح البواب[١] وروح الصاحب بن عباد[٢]
— إن شفاه الحور العين وأسنانها وعيونها
تكون أحياناً وليدة لسينك وأحياناً وليدة لصادك .

وإن سيرة وفائه لمشاهدة فى حفظه لعهود الأصدقاء ، وإن رأيه المنير [ص ٤٩] لمرتبط بحسن وفائه للرفقاء .

[شعر عربى فى الأصل :[٣]]

لنا شيمةٌ لا تَرْتَضِي الغدرَ صاحباً ورأيٌ على الأيامِ لا يَقْبل الوَهْنَا
إذا ما اتَّخذْنا صاحباً لم نُجازِه بسوء وأحسَنَّا بأفعالِه الظَّنَّا
فَمَنْ تَنْقُصْ الأيامُ مِرَّةَ عَهْدِه فإنَّا على العهدِ القديم كما كُنَّا
وآكَدُ أسبابِ القطيعةِ ظِنَّةٌ تَدُومُ ودَعْوَى لا يطابقُها معنا
فإنْ عدِمتمْ عُدْنَا وإن تُظْهِرُوا الغِنَى عَنْ الوُدِّ كُنَّا عن ودادِكُمْ أغنا[٤]

وقد أمضيتُ أنا مؤلف هذا الكتاب مدة سنتين فى كنف حمايته وظل رعايته، فكانت تتفتح على الفتوح، وتتوارد علىَّ فى كل يوم من الأيام نعمُ الروح،

---

(١) البواب هو أبو الحسن على بن هلال المعروف بابن البواب الكاتب المشهور . لم يوجد فى المتقدمين ولا فى المتأخرين من كتب مثله ولا قاربه ... توفى فى ٢ جمادى الأولى سنة ٤١٣ هـ ببغداد ودفن فى جوار الإمام أحمد بن حنبل (انظر تاريخ بن خلكان فى حرف ع)

(٢) الصاحب هو أبو القاسم اسماعيل بن أبى الحسن عباد بن العباس الطالقانى وزير آل بويه الذى كان فريد عصره فى الفضل والعلم وهو غنى عن التعريف. ولد فى سنة ٣٢٦ هـ . وتوفى فى الرى فى سنة ٣٨٥ ودفن فى اصفهان (انظر تاريخ بن خلكان فى حرف الألف) .

(٣) لمؤيد الدين الطغرائى · الديوان طبع القسطنطينية ص ٨٩) .

(٤) المراجع : كلمة « معنا » فى البيت السابق وكلمة « أغنا » فى هذا البيت وردتا بهذا الأملاء فى النسخة الأصلية ، وهما تكتبان بالألف المقصورة .

حتى أضحيت وأنا المبتلى بالمحن أنعم فى مِنحِهِ الكاملة . وكان هذا التصنيف فى خاطرى فى ذلك الوقت ،فقبلت أن أذكر اسمه الشريف فى كتاب « راحة الصدور وآية السرور » حتى أخلد به ذكره وحتى أوفيه حقوقه علىّ ، لأنه حقق لى من نعمه فى هاتين السنتين كل رغبة أبديتها وطلبتها ... حتى لقد كان يؤاكلنى وينام إلى جوارى ولا يخفى عنى سراً .

[بيتان فارسيان فى الأصل ، ترجمتهما :]

— لو أننى استطعت أن أنسى عواطفك الرقيقة ،
فلتكن غمومى بمقدار أياديك علىّ ، لا يحصيها عَدّ ... !!
— وإنى أقسم بالله أن حبى لك لا يقبل الزيادة
ولو كان فى دخيلتى مئات الآلاف من القلوب بعدد بذور الخشخاش ... !!

وكما أننى لم أغفل الإشادة بأستاذيتى له فهو أيضاً لم يهمل حق تلمذته لى ،وقد علم أن عالم الجهل ظلمانى ، وأن عالم العلم نورانى ، وأن العلم هو ماء الحياة ، وأنه إذا استطاع كالخضر أن يجرى ماء الحياة فى مزرعة قلبه ، وأن يغرسَ غُصن المعرفة فى فؤاده فإن اسمه سيبقى خالداً أبد الدهر .

[بيتان عربيان فى الأصل]

العلمُ فيه جــلالةٌ ومهابةٌ والعلمُ أنفعُ من كنوزِ الجوهرِ
تَفنَى الـكُنوزُ على الزمانِ وعَصْرِه[1] والعلمُ يَبْقَى باقياتِ الأَدْهُرِ [ص ٥٠]

وبرغم أن الطبيعة الآدمية يزداد ميلها أيام الشباب إلى الملاعب والملاهى ، غير أن خاطره الوقاد الذى تستمد الشمس والقمر ضياءها منه قد بكّر فى طلوع صبحه الصادق وجعله فى تزايد واطراد ، فدفعه ذلك إلى أن ينقش على صفحات

(١) [المراجع] ربما تكون كلمة « ومرّه » أصلح من حيث المعنى من كلمة « عصره »

قلبه درر علم الخط وغرره ، ولم يجز له أن يبدى فى هذا الشأن شيئاً من الغفلة والإهمال ، فأصبحت النكات العلمية والدقائق الحكمية ،ملومة لرأيه المنير ، وتكشف له صبح اليقين عن ليلة الشك الداجية ، واستطاع أثناء شبابه واعتدال ربيعه أن يغرس أشجار العلم فى مجارى قلبه لكى يحصد فى خريف الشيخوخة ثمار الراحة واللذة ويدرك ما فيه من لطف ونعمة ؛ وكما أن أمور العالم منوطةٌ ومربوطة بالأوقات والساعات فإن دنيا العلم مربوطةٌ بأعوام الشباب وأيامه ؛ لأنه لو أراد شخص أن يغرس شجرة فى بستان فى زمن الشتاء ليجنى ثمرها فيه لما استطاع أن يتحقق له وجه المراد ولما استطاع أن يقطف ثمرتها ؛ وإن الشخص الذى يقضى شبابه فى اللهو والعبث لغير مستطيع أن يعرف شيئاً فى شيخوخته أو أن يحصّل فيها ما فاته من علم .

مثل : « مَنْ لم يتعلم فى صِغَرِه لم يتقدَّم فى كِبَره»[1]

.. وبحكم هذه المقدمات فإن الصدر شهاب الدين قد ترك كسب المال وسعى إلى تحصيل المنال . وقال :

[شعر عربى فى الأصل :[2]]

رَضِينَا قِسْمَةَ الجبّارِ فِينَا ... لَنَا عِلْمٌ وللأعــــداء مالُ

فإنّ المالَ يفنى عن قريب ... وإنّ العِلْمَ باقٍ لا يَزَالُ

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :[3]]

— ضرب ملك مجرب هذا المثل : وهو أن الشاب إذا كان سعيد الفأل .

---

(١) فى ورقة ٤ (ب) .

(٢) انظر تذكرة الشعراء لدولتشاه (طبع ليدن ص ٢١) . ومجانى الأدب ج ١ ص ٢٢ ، وهذه الأشعار منسوبة إلى الإمام على رضى الله عنه .)

(٣) شاهنامه د ص ٧٨ س ١٤ — ١٥ ، ص ٧٤ س ٩

— فإن الوعل يقع فى شباكه دون وعى ، حتى ولو طارده نَمِرٌ من الوراء وصيّاد من الأمام . . . ! !

— وإذا تكاسل المرء فى وقت الأعمال ، فإن الأيام لا تميل عليه .

— وإن شهاب الدين لكثرة ماتعلم ، لا تجد له مثيلاً فى أىّ فن . . . ! !

— ولقد بلغ رتبةً رفيعةً فى العقل والمعرفة ، [ص ٥١]
بحيث لا يستطيع أحد أن يرى له ضريباً فى هذا الزمان(١) .

وإنى أدعوا الله أن يوفقه فى عافيته وعلمه ، وأن يمتعه بشبابه وأحبابه ، وأن يثبت أطناب خيمة جاهه فى أوتاد الدوام ، وألا يجعل يد السوء تمتد إلى أيامه وأن يجعل حدائق أفراحه تزدهر بورود المراد ، وأن يجعل عين الأحزان غافلة عن ساحة هناءته ... بمحمد وآله .

ولقد تتلمذ لى ولأخوالى كذلك كثير من أولاد الكبراء والملوك وأركان الدولة ، وتفاخر بتلمذته علينا فى الخط والعلم كل شخص عرف بالبلاغة فى العراق وخراسان ،وكان أصحاب المناصب والوزراء والمستوفون وأكثر كتاب الدولة ينتسبون إلى كاشان(٢) وكانت كاشان مسقط رأسى ورأس أخوالى فكان هؤلاء يفاخرون قائلين إن زين الدين(٣) مواطن لنا ، واشتهر باسم الكاشى،وصار الحال فى سائر أنحاء العراق أنه كلما رئى خط جميل قالوا إنه خط الكاشانيين أو إنه مأخوذ عن الكاشانيين ، وإن جميع من كانوا يفدون على خدمة السلطان طغرل بن أرسلان من عسكر خراسان الذين أقبلوا على العراق ومن عسكر بغداد وعسكر

---

(١) [المراجع] يبدو أن البيتين الأخيرين من نظم مؤلف الكتاب فقد ذكر فيهما صديقه شهاب الدين الذى سبق الإشارة إليه فى الصفحات السابقة .

(٢) المراجع : ترد هذه الكلمة فى الكتب العربية بالقاف فيكتبونها « قاشان » .

(٣) المراجع : هو خال مؤلف الكتاب محمود بن محمد بن على الراوندى وقد ذكر فى جملة مواضع من الكتاب .

الشام وعسكر آذربيجان ورسل الأنحاء والأطراف ، وكانوا يرون خالى ، كانوا يقرّون له بفرط العلم ويقولون : « إن زين الدين لا مثيل له على وجه الأرضين » وكان الخط من قبله فى الغالب فى أيدى الجهلاء ولكنه بحمد الله مشهور فى أنواع العلوم ، يعرف الأدب معرفة كاملة . ولقد حدث فى سنة سبع وخمسين وخمسمائة فى مدينة كاشان التى فيها منشأ الأدب والتى تعتبر مجالا لفضلاء لغة العرب أنه أنشد فى حضرة «المعين الساوى» مستوفى السلطان قصيدة عربية نالت استحسان الفضلاء جميعاً ، بحيث قرروا أنه لا يوجد على وجه الأرض شخص آخر مثله ، استطاع فى مثل سنه — أى فى السنة الثامنة عشرة من عمره — أن يبلغ ما بلغ فى الخط والشعر . وما زال خالى هذا الصدر الكبير ، فريد الزمان ، — أطال الله بقاءه — يرسل إلى يومنا هذا إلى كل واحد من أصحاب المناصب الرفيعة قصيدة أو مقطوعة بالعربية أو الفارسية .

وله فى الإنشاء عبارات فى الترسل لا تتأتى لأى مترسل ، ولا يوجد [ص٥٢] فى بلاد العراق قاطبة أستاذ كبير من علماء الفقه والكلام لم يحصل العلم على يديه سنوات طويلة ، ولم يكن له ثانٍ فى محافل المناظرة من حيث جريان عبارته وبيانه .

مثل : « خير المواهب العقل وشر المصايب الجهل » .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته]

— إن خير هبات الله هو العقل ، وأما الجهل فصيبة على الدوام وشر .

وقد قال الحكماء . « إن خير المواهب هو العقل والعلم ، وإن شر المصائب هو الجهل والإثم » .

وإنى أحمد الله أن «زين الدين» كان له التقدم فى المعرفة بحيث أن فضلاء العراق وخراسان كانوا يتتبعون حركاته وأقواله . فلما قال فى وقت من الأوقات

رباعية جعل رديفها هذه العبارة : « فارغ باش » (أى أهنأ بالا) قالوا على منوالها بضعة آلاف من الرباعيات . وهذه هى الرباعية :

[فارسية فى الأصل . ترجمتها كما يلى :]

— لا لوعة لى إلا لوعة الاشتياق إليك . . . فاهنأ بالا ... !!
ولا حب لى إلا حبك حتى أوضعَ فى قبرى . . . فاهنأ بالا ... !!
— فياروحى إنى أقسم برأسك مادمتُ حيا :
إن تراب قدمك سيكون تاجا لى . . . فاهنأ بالا ... !!

وقد أنشد فى شهور سنة سبع وسبعين وخمسمائة قصيدة بالعربية فى مدح عزيز الدين المستوفى على شاكلة «لزوم ما لا يلزم »(1) يتخلص فى كل بيتين منها إلى وجه من أوجه المدح لم يسبقه إليه أحد ، ولقد أقر له بالفضل فضلاء قم وكاشان والرى رغم عداوتهم له ، فقد كان يخالفهم من حيث المذهب ، لأنه كان حنفياً، وكانوا يعادونه لذلك ، بالإضافة إلى منافستهم له فى الفضل ،ومع ذلك فقد قالوا : « إن أحداً لا يستطيع أن يقول نظيرة لهذه القصيدة » والفضل ما شهدت به الأعداء ... !!

وهذه هى القصيدة :

ذَهَبَ الشتاء فمرحباً بذهابه(2) وأتى الربيعُ يَمِيسُ فى جِلْبابِهِ
والثلجُ ذابَ من الشتاء كأنَّه حُسَّاد مَوْلانَا الوزير ببابِهِ[ص ٥٢]
وانْسَاب مِنْ أرْوَنْد أزرَقُ مائِهِ مثل انسيابِ الأيْمِ حَوْلَ شِعَابِهِ

---

(١) المراجع : خير تعريف لهذا الضرب من الشعر هو ما كتبه المعرى نفسه فى مقدمة ديوانه الذى اشتهر بهذا الاسم (انظر اللزوميات طبع مصر سنة ١٨٩١ م) ص ٩ — ٤٣ .

(٢) المراجع : أخذ النقد على الشاعر قوله « مرحباً بذهابه » باعتبار أن الذاهب لا يقال له : مرحباً .ولا شك أن القصيده بها مواضع كثيرة تختلف صياغتها عن الصياغة العربية الصحيحة.

تُحْيِي نداوتُهُ القفارَ كأنهـــا رَشَحَاتُ سَيْبِك إذْ تَجُودُ لَنـــاَ بِهِ
والشمسُ حلَّتْ فى العَـــلاءِ بمنزلٍ تَرْنُو على الأجرامِ فوقَ قِبابِهِ
بَهَرَتْ عيونَ النـــاظرين كأنها عَزَمَاتُ رأيك جَدَّ فى إلْهَـــابِهِ
وَتَرى الصَّبا طيبـــاً كأيام الصِّبي فوقَ الرُبى يَجْتَرُّ فَضْلَ ثيـــابِهِ
طابتْ وَرَقَّتْ فى الغداةِ كأنَّهـــا أخلاقُ مولانا لدى أصْحَـــابِهِ
والنرجِسُ الغضُّ الطرىُّ مُجَمِّشٌ طُرَرَ البَنَفْسَجِ فى مُتُونِ هِضابِهِ
وَتَبَسَّمَتْ زهرُ الأَقَاحِي غُدْوَةً كَمُوَلَّيِهِ يَفْـــتَرُّ مِلْءَ إهابِهِ
وَتَرَى الطيورَ على الغصونِ تَرَنَّمتْ فى مَوْضِـعٍ نَزِهٍ عقيب سَحَابِهِ
والعندليبُ كأنَّهُ فى لَحْنِـــهِ مدَّاحُ مولانا بصَدْرِ جَنابِهِ
مَلِكُ الصُّدُورِ عزيزُ دينِ مُحَمَّدٍ مُرْدِي العُدَاةَ وَمُرْتَجَى أحبابِهِ
ذُو هِمَّـــةٍ عَلَتْ السماءَ فَذَلَّلتْ بِرَزِينِ وطأتِها سَنَامَ شِهـــابِهِ
مَوْلًى تَسَنَّمَ فى المعالى شامخاً يُعيِي النـــواظِرَ حُسَّراً لِطِلابِهِ
كَمْ رايةٍ نُـكِسَتْ بثاقبِ رأيهِ وكتيبةٍ فُلَّتَ بسطرِ كتابِهِ
رأىٌ إذا هجم الخطـــوب كأنهُ يُوحَى إليهِ من وراءِ حِجـــابِهِ
ياطالبُ الإقبالِ جُرْتَ عن الهُدَى أمْعِنْ تَرَ الإقبالَ تَحْتَ ركابِهِ
بحرٌ يمـــوجُ من العطايا كفُّه شرقا وغرباً من زخور عُبابِهِ
إيهاً ... وقصِّرْ لا تُشبهْ كفه بالبحرِ ... أينَ البحرُ من أضرابِهِ
فى كفِّه قـــلمٌ يداوِي جَرْيُهُ نــكأَ الحوادِثِ من فُضُولِ لُعَابِهِ
يكفى صروفَ الحـــادثاتِ صَرِيفُهُ والليثُ معتَمِدٌ على أنيابِهِ[ص ٥٤]
لو كان حاتمُ طـيِّءٍ حياً لَمَـا واراه إلا الفضـــلِ مِنْ أثوابِهِ
سحبانُ يَسحَبُ فى الخجالةِ ذَيْلَه لو كان أصغى عندَ فصلِ خِطابِهِ

هذى بديهةُ خاطرٍ قد كَدَّهُ غيّرُ الزمانِ بمولماتِ عــــذابِهِ
نَحّاهُ عن أحبـــابِهِ وديارِه قِدْماً غرابُ البَيْنِ يا لِغـــرابِهِ
ما نالَ من بابٍ جَدًى ولَطَالَما قد كان عَفَّـــرَ وجهَهُ بترابِهِ
واللهُ أودعَ رزقَـــه فى كفِّه فَلَمَا يضيقُ العيشُ من أسبابِهِ
فلزمتُ بيتى واتخذت قنــاعتى ســـوراً وراءَ المالِ من أربابِهِ
لولا مواهبُكَ السنيةُ هَــدَّنى نُوَبُ الزمانِ بمخلَبَيْهِ ونابِهِ
لا زالَ سيفُكَ فوقَ أعناقِ العِدَى متـــذلّلين رِقابُهُم كقِرابِهِ
دُمْ فى العُلى ما لاح فى بَحْرِ الدُّجَى زهرُ الكواكبِ طافياً كحُبَابِهِ
وتَحُلُّ عــــزاً دائمـاً لا تنقضِى أيّامُ دولتِـــهِ مدىٰ أحقـــابِهِ

وقد قال هذه القصيدة فى ليلة واحدة ، وطلبه «عزيز الدين» عند صلاة العصر ثم استدعاه إلى حضرته فى الصباح ، ولقى منه تشريفاً خاصاً وألبسه خلعة فاخرة من ألبسة الوزراء . وآخذه أحد الحاضرين على قوله : مرحباً بذهابه ، لأن مرحباً تقال للآتى . فقال « ظهير الدين الكرجى »[1] — واحد عصره وفريد دهره — « إن مرحباً تقال للشىء الذى يُستَحَبّ ، فإذا انقضى شتاء همدان وجب أن يقال مرحباً مائة مرة . . وأن زين الدين ليمدح على ذلك . . . ! ! . » رحم الله أمثال هؤلاء السادة فإنَّ نكتةً واحدة من مقولاتهم لتفضل قصيدة برمتها .

مثل : « ذهب الناس و بقى النسناس » .

وقد أراد مؤلف هذا الكتاب العبد الفقير محمد بن على بن سليمان الراوندى أناله الله مناه فى دنياه وعقباه ، أن يتلو تلو زين الدين فأدرك جزءاً [س ٥٥]

---

(١) خواجة ظهير الدين الكرجى هو أحد فضلاء أواخر القرن السادس . اشتهر فى فن الانشاء والبيان (انظر مرزبان نامه لسعد الدين الوراوينى س ٥) .

من كل . وإذا كان قد تخلف عن بعض مقاصده بسبب الفتور والتشويش والمحن التى حدثت فى العراق فإنه قد بلغ أقصى مراده فى أيام دولة ملك العالم سلطان بنى آدم غياث الدنيا والدين أبى الفتح كيخسرو بن السلطان قلج آرسلان خلد الله ظل دولته ، وهو ينعم الآن فى ظل هذه الدولة بيمن إقباله ، وينشر فى بلاد الروم الفضائل التى كسبها أهل خراسان والعراق من أقاربه . وبفضل دولة هذا الملك العادل سيتمّ إحياء العلوم فى هذه الديار ، فإنه سيعمل على أن تكون آثار أهل الروم كما كانت من قبل سائدة فى جميع أرجاء العالم .

شعر :

إنَّ آثارَنا تَدُلُّ علينـــا فانظُروا بعـــدَنا إلى الآثار[1]

وسيحرص على أن تصبح علوم الفقه والكلام ولغة العرب والخط والأدب والشعر الفارسى والعربى متداولة على ألسنتهم فى هذه الناحية . وكما كان مشايخى وأساتذتى فى همدان مثل السيد الإمام شيخ الإسلام « فخر الدين البلخى » والسيد الإمام قطب الإسلام «صفى الدين الإصفهانى» و «بهاء الدين اليزدى» وغيرهم من كبار الأئمة — رحمهم الله — لهم الحظوة والمكانة لدى سلاطين آل سلجوق وأتباعهم فى ممالك العراق وأطراف خراسان ، فإنى أيضاً سأصير غرساً لدولة السلطان القاهر ، داعياً لهذه الدولة بالتأييد والتأبيد المتصلين ، وأنْ تُثمِرَ بركات تعليمى وتعلمى وإفادتى واستفادتى على أيام هذه الدولة ، وأن يحصّل أعقابى من دولة السلطان القاهر — عقباً بعد عقب — ما حصّله من نعم وتكريم أسلافى الماضون وأخلافهم الباقون من دولة سلاطين آل سلجوق ... رحم الله الماضين منهم وأبقى الباقين . وإذا لم يكن لى حتى الآن ما يشجعنى على الاشتغال بالأدب وقول الشعر

---

(١) المراجع : فى رواية أخرى (هذه آثارنا تدل علينا) .

كما يجب ، فإن عظمة هذا السلطان ستجلو أبكار الأفكار بحيث تكون لها لطافة الصورة وكثافة الصلَة لتكون مشجعة لى ، فالأدب طلاب الناس دائماً وإذا كسدت سوق العلم فإنه لا يسلم من التصرفات الخائنة . [ص ٥٦]

شعر (١)

قالوا : تركتَ الشعرَ ،قلتُ : ضرورةً باب الدواعى والبواعث مُغْلَقُ
خلت الديارُ فلا مديحٌ يُرْتَجى منه النوالُ ، ولا مَليحٌ يُعْشَقُ
ومن العجايبِ أنهُ لا يُشْتَرَى ومع الكساد يُخَانُ فيه وَيُسْرَقُ

وإنى أدعو الله تعالى أن يهب ذلك الملك ، الراعى للعلم ، الناشر للعدل ، الحريصَ على الدين ، النافذ الرغبات ، مزيدَ التوفيق فى مكارم الأخلاق أكثر مما هى متوفرة لديه ، بحيث إذا قدر للملوك الماضين أن يُبعثوا من قبور الممات إلى دائرة الحياة ، وأن يلبسوا — بإعادة الحياة الثانية ورجوع النفس الناطقة إليهم — لباسَ العمر من جديد ، لاعتبروا واجباً عليهم أن يقتدوا بأخلاقه المرضية ، وأنْ يتقبلوا عاداته الجميلة ، ولبادروا بالخضوع له حاملين له الغاشية دافعين له الجزية ، ففى أيام هذا الملك السعيد الميمون التقىّ أصبح نور عدله كقرص الشمس ينشر شعاع رأفته على بسيط الأرض وبساط الزمان ، ويُنْزِل العالمين فى ظلّ عنايته وجناح عاطفته ورعايته . وإنى أدعو الله تعالى أن يطرّز رداء مفاخره الملكية بطراز العدل والفضل ، وأن يرفع سرادق جلاله وحشمته الذى يُستَظَلّ به من الشمس الى أوج كيوان (٢) ، وأن يجعل حدّ سيفه الحافظ للملك ، الناصر للدين والدولة ... مرتعاً لأرواح أعدائه ومشرعاً لأشباح المعادين لدولته بحق محمد وآله .

---

(١) الأبيات للشاعر المعروف أبى اسحاق إبراهيم بن يحيى الكلبي الغزى الشاعر المعروف الذى كان يعيش فى القرن الخامس الهجرى (انظر ترجمته فى تاريخ ابن خلكان فى حرف الألف)

(٢) المراجع : كيوان على وزن إيوان هو زحل بالعربية وهو فى السماء السابعة (انظر : برهان قاطع) :

سبب تأليف هذا الكتاب

وكيفية الحال فى تأليفه

[س ٥٧]

كان السبب فى تأليف هذا الكتاب أنه حدث فى شهور سنة ثمانين وخمسمائة أن طلب ملك العالم ركن الدنيا والدين طغرل بن آرسلان مجموعة من الأشعار ، فأخذ خالى يكتبها وأخذ جمال النقاش الأصفهانى [1] يصورها ، وتمّ لهما بذلك تصوير كل شاعر ، وذكر شعره ، وكتابة بعض المضاحك والهزليات ، فكان سلطان العالم يزين مجلسه بهذه المجموعة .

وكان يصنع بعض المضاحك لأنه كان لطيف الطبع ويسميها « بالغيبية » ، و بعض المسموعات و يسميها « بالجيبية » ، وحكى لى أمير الشعراء وسفير الكبراء «شمس الدين منوچهر شصت كله » [2] قائل قصيدة آل « تماج » الحكاية التالية، قال : إنه فى هذه الأثناء وصل السيد الأشرف إلى همدان وأخذ يطوف بالمكتبات ينظر أقوال الشعراء المطبوعين فأعطانى مصراعا فقلت على وزنه بضعة أبيات فأصغى إليها راضياً ومدحنى وحثنى وحرضنى قائلا : « اختر من أشعار المتأخرين

---

(١) كان أحد أصدقاء الشاعر جمال الدين عبد الرزاق الأصفهانى وله قصيدة فى مدحه يعرف منها أنه كان ماهرا فى فن الخط والشعر والإنشاء .

(٢) من الغريب أن منوچهرى الدامغانى المعروف فى أوائل القرن الخامس كان يحمل لقب « شصت كله » أيضاً ولا نعرف على وجه التحقيق إذا كان الناس قد نقلوا الى منوچهرى الدامغانى هذا اللقب بسبب مشاركة الاثنين فى اسم منوچهرى أو أن الأمر التبس بين الشخصين . وعلى كل حال يمكن الجزم بأن لقب شصت كله هو لقب الشاعر أحمد بن منوچهرى . فهو الذى كان معاصرا للمؤلف ويجب الاعتماد على قوله . وفى تفسير كلمة « كله » اختلافات بين أصحاب التراجم (انظر ديوان منوچهرى طبع كازيمرسكى ، ص ٣) .

مثل العمادى(١) والأنورى(٢) والسيد الأشرف(٣) وأبى الفرج الرونى(٤) وأمثال العرب والعجم والأشعار العربية وحكم الشاهنامة قدر مائتين من الأبيات التى [ص٥٨] يميل إليها طبعك واحفظها وواظب على قراءة الشاهنامة حتى يسلس الشعر قياده لك واجتنب شعر سنائى(٥) والعنصرى(٦) والمعزى(٧) والرودكى(٨) ، ولا تصغ إليها ولا تقرأها فإنها عالية يتغلق طبعك دونها وتحجبك عن مقصودك ، فقال شمس الدين شصت كله : « لقد حققت أنا وجملة من الناس هذه الوصية فبلغنا مقصودنا ونلنا غاية مطلوبنا . » . . . .

(١) هو عمادى الشهريارى المتوفى سنة ٥٨٢ كان من أهل ازى ، وأكثر قصائده فى مدح سيف الدين عماد الدولة بن فرامرز ملك مازندران . وتخلصه مأخوذ من لقبه وله جملة قصائد فى مدح السلطان طغرل بن محمد السلجوقى (أنظر فهرست المخطوطات الفارسية وضع ريو) .

(٢) هو أوحد الدين محمد الأنورى المتوفى سنة ٥٨٧ هـ وكان ملكا للشعراء على أيام السلطان سنجر السلجوقى .

(٣) المقصود به السيد أشرف الدين الحسن بن ناصر العلوى الغزنوى المتوفى سنة ٥٦٥ هـ كان واحدا من شعراء بهرامشاه الغزنوى ، وكان مبرزا فى الوعظ والخطابة أيضا . حج إلى مكة فلما عاد منها إلى بغداد نال كثيرا من التشريف من السلطان مسعود السلجوقى فمدحه بجملة قصائد ؛ أنظر فهرست المخطوطات الفارسية وضع ريو .

(٤) من مشاهير شعراء العصر الغزنوى ؛ وله قصائد فى مدح السلطان ابراهيم بن مسعود الغزنوى وابنه مسعود ، ويبدو أن وفاته وقعت فى سنة ٤٩٢ هـ ، وهو ينسب إلى رونه من توابع لاهور . (أنظر حواشى كتاب چهار مقاله) .

(٥) هو أبو المجد مجد الدين (مجدود) بن آدم سنائى من شعراء بهرامشاه الغزنوى وهو مؤلف « حديقة الحقيقة » المثنوية المعروفة فى التصوف . وقد مات فى سنة ٥٤٥ .

(٦) هو أبو القاسم الحسن العنصرى المتوفى سنة ٤٣١ هـ أو (٤٤١) ، كان ملكا للشعراء أيام السلطان محمود الغزنوى ، وهو أشهر من أن يذكر .

(٧) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الملك المعزى النيشابورى أمير الشعراء أخذ تخلصه من لقب السلطان ملك شاه السلجوقى ، وكان ملكا للشعراء أيام السلطان سنجر وقتل فى سنة ٥٤٢ هـ بسهم أفلت خطأ من هذا السلطان .

(٨) هو أبو عبد الله جعفر بن محمد الرودكى المنسوب إلى رودك إحدى القرى التابعة لسمرقند ؛ وكان من شعراء نصر بن أحمد الساماني (٣٠١ — ٣٣١) ومات سنة ٣٢٩ (انظر حواشى چهار مقاله) .

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— إن الصبح لايتنفس (أى لايشرق) بغير وجهك ،
وبدونك لايتنفس أحد أنفاس العشق ... !!

— وإن وصلك لايبلغ منزل الأمل ويتحقق ،
إلا إذا تلظّى صاحبه طويلا فى منزل الحب الجامح ...!!

— وإذا كنت قد جلست معك مقدار نفس واحد
فإنى لا أتنفس إلا على ذكرى هذا النفس ... !!

فأردت أنا مؤلف هذا الكتاب محمد بن على بن سليمان الراوندى — بلغه الله مناه فى أولاه وأخراه — أن أختار جملةً من الأشعار والمنثورات وأن أسلكها فى مجموع حتى يحفظه الطالبون . فتعذرت أمنيتى هذه لأن نفسى كانت متعبة جداً بسبب نكبات العراق ، وكان قلبى فى غاية اللوعة والأسى ، يحترق لفراق الأحباب ، ويتجرع كئوس الاشتياق ، ويتحمل مشاق الفراق ، بحيث خشيت أن تنفصل روحى العزيزة عن جسدى المُعَنَّى . وفى وسط هذا البؤس ومطلع هذا النحس لم يكن لطالعى المنكوس وبختى المعكوس أن يستيقظ من نومة الغفلة فقد نكب كبار الملوك وعذب كبار الوزراء ، ولم تستقر الأحوال ، [ص٥٩] ولم تتحقق الآمال فاضطررت إلى أن أختار العزلة تاركا الكسب والنوال والجاه والمال .

مثل : « الرضا بالكفاف يؤدى إلى العفاف »[1] .

فبسطت بساط القناعة ، وقضيت الوقت فى فراغ ودعة ، فكنت استغرق أثناء بياض النهار فى الاستفادة من العلوم : ثم أنقش على صفحة قلبى أثناء سواد الليل ما استفدته فى النهار ، وأخذت أقرأ علوم الفقه والشريعة ، وأردّد على

---

(١) فى ورقة ٥ (أ) .

لسانى الذكر والقرآن ، وأونس نفسى بمطالعة كتب اللغة والأشعار العربية والعجمية .

مثل : « من ساء أدبه ضاع نسبه »[1] .

[بيت شعر فارسى ، ترجمته :]

— إن الأدب خير من الأموال والجلساء ، والطبع الحسن خير من جميع القرناء . .!!

وقضّيت أيامى منذ موت السلطان سنة تسعين وخمسمائة حتى هذا الوقت وأنا على هذه الحال ، لا مال لى ولا منال ، ولا أهل لى ولا عيال . فقلت لنفسى: إن عقلاء العالم الذين اشتغلوا بتحصيل العلوم كان مطمع همتهم ثواب الآخرة وأن أشد البواعث لهم كان فى الحصول على حسن الذكر فى الدنيا ، لأن حسن الذكر هو غاية ما يطلبه أهل العالم . وفى الشاهنامه (كتاب الملوك) وهى ملكة الكتب أكثر من ألف بيت فى مدح حسن الذكر وذيوع الصيت .

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— بفضل الشمس والهواء والماء والتراب ،
لاينمحى أبداً حسن الذكر وطهارة القول ... !!

— ولذلك فإنى أسعى إلى حسن الذكر ، فإنه وحده هو الذى يبقى
فى ساحة الأرض ودائرة السماء . . . ! !

— وبعد الموت تبقى اللعنة ، على الشخص الذى يسوء ذكره ... !!

— وإذا لحقك سوء الذكر ، فلن تظفر بسعادة فى الدنيا ولا هناءة فى الآخرة...!!

— وحسن الثناء يكثر فى الدنيا ، للملك الذى يجعل تاجه وعزه ، لخدمة الآخرين ... !!

— فافعل ذلك إذا وجب أن يطول حسن ذكرك .
فإذا لم تشأ البناء ... فلا تفعل أفعال الخير ... !!

---

(١) فى ورقة ٤ (ب) .

— وقد قال مؤبذ من المؤابذة . إن الموت إذا اقترن بحسن الذكر [ص ٦٠]
خيرٌ من أن يعيش المرء حياً يشمت به أعداؤه . . . ! !
— وإذا أردت أن يبقى ذكرك عالياً ،
فتأمل . . . ولا تنأ بقلبك عمن أصابه ألم وكرب . . . ! !

وقد دعا ابراهيم الرسول — صلوات الرحمن عليه ، وكان حبر الملة ووالد الأمة والخليل الجليل ومعمر الكعبة — دعا ربّه فقال : « واجْعَلْ لى لسانَ صدقٍ فى الآخرين »(١) . وأيا كان تفكير العقلاء فإن الوصول إلى حسن الذكر لا يتأتى بالمال والبنين ولا بكثره الحسب والنسب ، ولا يبقى حسن الذكر إلا بتصنيف الكتب والأشعار القيمة ، ولا يبقى للناس ذكر إلا بالفوائد العلمية ، ولا يبقى للملوك من سائر ما يجمعونه من الخزائن و الدفائن والجواهر الزواهر إلا الخير الذى يصنعونه من المال الحلال . فالصدقة سبب فى ثواب الآخرة ، وقد جعلوا مقابلها عشرة أضعاف ، قال الله تعالى : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها »(٢) ، ولا شك أن أوقاف المدارس والخانقاهات إنما تبذل للدرس ولنيل ثواب الآخرة . فإن الخزانة يأخذها الوارث ، والمرأة يأخذها زوج آخر ، والجواد يدخل فى ملك شخص آخر غير صاحبه ، ويغير على هذه الأشياء المغيرون . فأما المدرسة أو الخانقاه إذا صنعت لوجه الله فإنها تبقى حسن الذكر إلى يوم القيامة كما تجلب ثواب الآخرة . قال رسولنا محمد المصطفى عليه الصلاة والسلام : «ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأبقيت » فجعل الإفناء فى مقابل الأكل ، والإبلاء فى مقابل اللبس ، والصدقة فى مقابل الإبقاء .

وقال كذلك : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا عن ثلاث : صدقة جارية .

(١) سورة الشعراء ، آية ٨٤ .
(٢) سورة الأنعام ، آية ١٦١ .

وعلم ينتفع به ؛ وولدصالح يدعو له بالخير »[1] فالصدقة الجارية هى التى ينفقها الملوك فى بناء المدارس والوقف عليها ، وإنشاء المساجد والأربطة والعيون والقنوات حتى ينتفع بها سنة بعد سنة ، وحتى يصرف ريعها كل سنة على أناس يشتغلون بعلم الشريعة ويميزون بين الخير والشر . ويتصدقون بثوابها فى كل يوم[ص ٦١] على روح الملك الذى أنشأها . ومن الواجب على الملوك أيضاً أن يبذلوا المال حتى ينشئ الشعراء القصائد فى مدحهم فيحفظها الآخرون ، وحتى ينشدوا الشعر فى أعقابهم فينالوا منهم صلته فتبقى حيةً مكارم أخلاق آبائهم . ويصل الناس بذلك إلى كمال العلم . فمنذ كانت الدنيا ولا بد لها من حاكم .

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— إن العالم لايبقى بغير حاكم ، فإذا مات حاكم تولى حاكم آخر مكانه . . . !!

— وما دمت تعلم أنك لن تطيل البقاء فى الدنيا
فلماذا تضع تاج الحرص والطمع على مفرقك . . . !!

— وإذا علا إيواننا حتى بلغ فى رفعته الكواكب
فلا نصيب لنا فيه إلا خيمه واحدة . . . !!

— يتغطى أديمها وأركانها بالتراب ، وفى أرجائها الخوف والوهن والعناء والبلاء ..!

— ولن يكون لك معين إلا ماتفعل من خير
فاستمع إلى هذه النصيحة عن شيخ حكيم عارف

— قال : إن كل من يولد ، لابد أن يدركه الموت
سواء أكان ملكا كبيراً أم رجلا حقيراً . . . !!

— وأين ذهب فريدون وهوشنگ وجمشيد (٢)
وكل من أتى من لاشىء ، يعود إلى لاشىء فى لحظة . . . !!

---

(١) حديث معروف (انظر مشكاة المصابيح ، باب العلم) .
[المراجع : جاء فى الجامع الصغير للسيوطى ج ١ ص ٣٥ بهذا النص : « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا عن ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له »] .

(٢) المراجع : جميعهم من ملوك الفرس الأقدمين ، ملوك الدولة الأسطوريه التى تسمى بالبيشدادية .

— لقد ذهبوا جميعاً وتركوا لنا أماكنهم
ولم يبق أحد منهم فى هذه الدنيا الفانية . . . ! !
— لقد ذهبوا جميعاً ، وبقينا فى أماكنهم ، وكثيراً ماقرأنا عن أعمالهم وأمجادهم . . !
— فانفق كل مالديك ، ولا تجتهد فى التوفير لولدك
فقد قال الشيخ الحكيم لرجل عاقل كريم :
— إن الذى أعطاك ولداً لأهل لأن يرزق الشجيرة ، التى نبتت منك . . . ! !

وعلى أية حال فالذكر الحسن يبقى للشخص الذى سلك سبيل العدل ، وخالط الكبراء وآنسهم ، واختار مجالس أفاضل الشعراء والندماء ففيهم يبقى الذكر خالداً والصيت منتشراً ... شعر[1] [ص ٦٣]

لَوْلَا جَرِيرٌ والفَرَزْدَقُ لَمْ يَدُمْ ذِكْرٌ جميلٌ من بَنِي مَرْوَانِ
ونَرَى ثنــــاء الرُّذَكِىّ مُخَلَّدَا مِنْ كلِّ ما جَمَعَتْ بَنُو ساسان
وملوكُ غَســــانٍ تَفَانَوْا غيرَ ما قَدْ قَالَهُ حَسَّانُ فى غسانِ

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته[2]]

— إن الملوك الذين كسبوا حسن الذكر
قد مضوا جميعاً ولم يبق منهم شىء إلا حسن الذكر . . . ! !
— وكان لأنوشروان كثير من الكنوز
ولكن لم يبق له منها إلا حسن الذكر . . . ! !

لذلك ونتيجة لهذه المقدمات تبين لى فى سنة تسع وتسعين وخمسمائة أنا مصنف هذا الكتاب محمد بن على بن سليمان الراوندى — عمره الله — أن خلود الذكر

---

(١) من قصيدة لإبراهيم بن يحيى بن عثمان الغزى يمدح بها أبا عبدالله مُكَرَّم بن العلاء صاحب كرمان (انظر تاريخ جهانكشاى للجوينى ج ١ ص ١٦٣) .

(٢) انظر لباب الألباب طبع ليدن ، ج ١ ص ١٠٣ .

(٣) هذان البيتان من قصيدة « رشيد الدين الوطواط » فى مدح السلطان قطب الدين محمد خوارزمشاه .

يكون بتصنيف الكتب ، ففكرت فى أن أكتب تصنيفاً وأؤلف كتاباً لا يستطيع الزمان أن يبليه ولا الأيام أن تمحو مسودته إلى يوم القيامة ، يبقى تذكاراً لى إذا جار الزمان كعادته فجرّعنى كأس الموت المترعة ونعانى الغراب إلى مسامع الأحباب .

ولما كنت قد حصلت العلوم فى دولة آل سلجوق ، وكان مشايخى وأساتذتى من أكبر المؤيدين والمعضدين لهم ، وكانوا هم أنفسهم قد أنشأوا مدارس العراق وأبنية الخير فى سائر الآفاق ، فإننى أردت أن أجعل هذا الكتاب باسم سلطان من سلاطين السلاجقة ؛ ولكن مرادى ظل فى قبضة التعذر ، وظلت أمنيتى لا تتحقق ، حتى فتح « أنطاليه[1] » ملك العالم السلطان القاهر عظيم الدهر غياث الدنيا والدين أبو الفتح كيخسرو بن قلج ارسلان خلد الله ملكه فتيسر له بذلك ما لم يتيسر لأى ملك غيره من إعداد الجيوش وقتل الأعداء . فرأيت واجباً على أن أجعل هذا الكتاب باسمه الشريف ، وأن أقدم له هذه الرسالة تقديراً لفضله .

---

(١) المراجع : أنطالية ، بوزن أنطاكية إلا أنها باللام مكان الكاف ، بلد كبير من مشاهير بلاد الروم وقال البلخى حصن منيع على شط البحر (أنظر معجم البلدان لياقوت) وتسمى الآن أحياناً آداليا وتقع على الساحل الجنوبى للأناضول .

فهرست كتاب
راحة الصدور وآية السرور
وترتيب مستودعاته من فنون العلوم

بدأت كتابى بحمد الله والثناء على كبريائه ، ومدح المصطفى (صلعم) [ص ٦٣] وذكر أهل بيته وصحابته وسائر أئمة الدين من الصحابة والتابعين وعلماء الإسلام والمسلمين ؛ ثم مدحت السلطان (أى أبا الفتح كيخسرو بن قلج ارسلان) وأوردت القصيدة التى من إنشائى فى حقه ، ثم ذكرت أحوالى وسبب تأليف الكتاب ، ثم أتبعت ذلك بذكر سيرة الملك العادل كيخسرو ، وسأذكر بعد ذلك على سبيل الاختصار تاريخ ملك آل سلجوق ورسوم سلطنتهم ، وأذكر أحوال الشعراء المتأخرين وشعرهم الذى قالوه فى حضرتهم ، وسأجعل فى آخر كل فصل يتعلق بذكر سلطان من سلاطينهم دعائى للملك كيخسرو ، وقصيدة فى مدحه ، ثم أكتب فصلا فى آداب المنادمة والشراب ولعب الشطرنج والنرد ، وفصلا فى الرماية وركوب الخيل وآداب القصر والصيد والحرب والحفل ، ثم أكتب فصلا مطولا نظماً ونثراً فى بيان بعض أسرار علم الخط التى لم يستطع أحد إظهارها حتى الآن ، وفصلا فى الغالب والمغلوب ، و بضعة فصول فى الأدوية والأشربة التى تقوى الباه ، ثم أختم الكتاب ببعض الأضاحيك والهزليات لكى يتسلى بها متصفحوه إذا أصابهم الملل مما به من جدّ ومما به من حكايات العظماء ، ولكى يطالعه بسبب ما فيه من هزل قصار النظر الذين حرموا متع الكلام ، ولكى يقرأ كل شخص محامد أخلاق هذا الملك صاحب السيرة الحميدة

والأيام السعيدة ، وحتى يبقى ذكره مخلداً على مدى الأيام ، ويبقى اسمه ما بقى الدهر . [ص ٦٤]

ولقد أسميت هذا الكتاب الشريف باسم « راحة الصدور وآية السرور » وإنى لأتوقع أن ينظر الكبراء إليه بعين الرضا والقبول ، مغمضين أعينهم عما به من هنات « فعين الرضا عن كل عيب كليلة[1] » ، عافين عما قد يجدونه فيه من سهو أو خطأ أو خلل أو زلل ، وألاَّ يجتهدوا فى القدح فيه و إظهار معايبه .

شعر[2]

إذا أحسستَ فى لفظى فُتُوراً   وخَطِّى والبراعةِ والبيانِ
فلا تَرْتَبْ بفهمِى إن رقصِى   علىْ مِقْدارِ إيقاعِ الزمانِ

والغرض من هذا التصنيف هو ذكر ألقاب السلطان واسمه ونسبه الشريف فهو «الملك العادل السلطان القاهر عظيم الدهر غياث الدنيا والدين أبوالفتح كيخسرو ابن قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان بن سليمان [بن قرا ارسلان[3]] الغازى ابن قتلمش بن اسرائيل بن سلجوق » مد الله على الخافقين ظل دولته ، وأدام بقاء سيرته وسيرة أسلافه السابقين من سلاطين آل سلجوق ... رحم الله الماضين منهم وأبقى الباقين .

وقد بدأ ملك آل سلجوق بإسرائيل بن سلجوق وهو الجد السابع للسلطان القاهر غياث الدنيا والدين ، و إنى أكتب أنا أبو بكر محمد بن على بن سليمان الراوندى تاريخ دولة آل سلجوق على سبيل الاختصار واستنزل آلاف اللعنات

---

(١) المصراع الثانى هو : كما أن عين السخط تبدى المساويا . وهذا البيت من جملة أبيات قالها عبد الله بن معاوية بن جعفر (العقد الفريد ، ج ١ ص ٢٤٢) .

(٢) من شعر أبى الفتح البستى (انظر : يتيمة الدهر طبع دمشق ، ج ٤ ص ٢٢٥).

(٣) أضيفت هذه العبارة فى المتن ولكن بخط مختلف .

على أرواح وعيال وأموال ونساء وأولاد كل من يحذف من هذا الكتاب حرفاً أو كلمة أو يتناوله بالزيادة والنقصان ، أو يطعن فيه ويتصرف فى محتوياته ، لأن هذا الكتاب أصبح معتبراً فى نظر العالم واستحسنه الناس جميعا ؛ والحر تكفيه الإشارة .

ولقد كتب هذه التواريخ من قبل — على عهد سلطان العالم طغرل بن ارسلان ابن طغرل رحمه الله — ظهير الدين النيسابورى الذى كان أستاذاً للسلطان [ص ٦٥] ارسلان والسلطان مسعود كما كان أستاذاً لى ، لكى يطلع عليها السلطان القاهر عظيم الدهر كيخسرو خلد الله دولته ، حتى يعلم أن التسبيح والتهليل هما حلية الملائكة وأن العلم والعبادة هما حلية الأنبياء ، وأن العدل والسياسة هما حلية الملوك .

[بيتان من الشعر الفارسى فى الأصل ، ترجمتهما(1) :]

— لا يقضى الملك الظالم — على نفسه ، إلا بالقبر واللعنة ... !!

— فإذا تخلق قلبك بالعدل والحق ، فاعلم أنك تساهم فى زينة الدنيا ... !!

ومن أوجب العلوم التى يجب على الملوك معرفتها — بعد علم الشريعة وما يحتاج إليه من الطاعات والتوحيد وأصول الدين — علم سير الملوك وأخبار السلاطين وتواريخهم . فإنهم متى وقفوا على ذلك وقرأوا سيرة كل واحد منهم وطريقته ، وعلموا حاله ، اختاروا لأنفسهم خلاصة مكارم أخلاق الماضين ، وما كان سبباً لحسن ذكرهم فى الدنيا ، ونوال المثوبة والمغفرة فى الآخرة ، فتقبلوه وجعلوه قدوة. ولقد وضعت الكتب والمجلدات المطولة أو المختصرة فى هذا المعنى . وما من شك فى أنه لم يوجد فى ملة الإسلام بعد الخلفاء الراشدين وخلفاء بنى العباس من هم أشدّ ورعاً وأعلى قدراً من سلاطين آل سلجوق . ولقد حدث فى وقت من الأوقات

---

(1) شه ص ١٦٨٤ س ١٧ — ١٨ .

أن أرسلوا رسولا من دار الخلافة — عظمها الله — إلى حضرة السلطان السعيد ركن الدنيا والدين «أبى طالب طغرلبك» يحمل إليه عهد الخليفة بأنه قد منحه سلطنة العالم وحكم بنى آدم ؛ فَقَبَّلَ السلطان عهد الخليفة وأعاده . وكان كلما بلغ مدينة قرأ له المقربون آية «قل اللهمَّ مالكَ المُلْكِ تُؤْتِى المُلْكَ من تشاء» إلى نهاية الآية ؛ فاستدعى السلطان كاتباً وأمره أن يكتب على ورقة جميلة بخط حسن «بسم الله الرحمن الرحيم ، قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء»[1] ولم يكتب شيئاً غير ذلك ، وبعث بها إلى دار الخلافة إجابةً لرسالتها إليه «والله يؤتى ملكه من يشاء»[2] «ويختار ما كان لهم الخيرة»[3]. ولم تظهر فى عصر [س ٦٦] من العصور أعمال الخير التى ظهرت فى دولة سلاطين آل سلجوق وأيامهم السعيدة من حيث إحياء معالم الدين وتشييد قواعد الإسلام وإنشاء المدارس والأربطة والقناطر والإدرارات والأوقاف على العلماء والسادات والزهاد والأبرار ، وآثارهم فى ذلك ظاهرة فى سائر ممالك الإسلام ، مصراع : إن آثارنا تدل علينا .

[شعر فارسى فى الأصل ؛ ترجمته :]

— إذا كنت ملكا كبيرا أو ذليلا حقيراً ،
فلا مستقرّ لك إلا فى أعماق التراب المظلمة . . . !!

— فأين الكبراء أصحاب التيجان والعروش ، وأين الفرسان المتصرون[4] . . . ؟!

— وأين الأبطال العقلاء ، وأين الأمراء والقواد . . . ؟!

— لقد توسدوا التراب ، وغطتهم قوالبه ، فما أسعد من لم يزرع إلا الخير[5] . . . ؟!

— فلسوف يموت كل من ولدته أم ، وسيضطر الملك فى النهاية إلى تسليم الملك ... !!

---

(١) قرآن كريم سورة آل عمران ، آية ٢٦ كتب السلطان طغرلبك هذه الآية نفسها إلى السلطان مسعود الغزنوى (انظر ا ا ج ٩ ص ٣٢٦ .)

(٢) سورة البقرة ، آية ٢٤٧

(٣) سورة القصص ، آية ٦٨

(٤) شه ، س ١٤١١ ص ٢٥ — ٢٦

(٥) ايضاً ١٤١٢ س ١ — ٢

— وسيمحو الموت كل ديوان ، وسيحطم كل قصر وإيوان(١) . . . !!

وإن اقتداء ملوك هذا الزمان بآثارهم المستحبة وسيرهم المستحسنة سيكون سبباً فى تأكيد دينهم ودولتهم وتأسيس قواعد ملكهم وسلطنتهم . ولقد حرمت أنا الداعى لدولتهم محمد بن على بن سليمان الراوندى من نعم السلطان طغرل بسبب قصر عمره ولكن العلماء الكبار من الشيوخ والأساتذة فازوا جميعاً بنعم آل سلجوق .

[بيت شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— إن حظّى لم ييسر لى نصيباً من عطايا الملك ،

فماذا أستطيع أن أعمل وقد قدر لى ألا يكون لى فيها نصيب . . . !!

ولقد حصلت العلم وهو أحسن منال وأجمل مال فى أيام تلك الدولة ، ولذلك لم يؤذنى أننى لم أحصل شيئاً من حطام الدنيا .

وقد سرّنى أنى من المالِ مُقْتِرٌ [ص ٦٧]

ولا الوجهُ مبذولٌ ولا العِرْضُ منهُوبُ

كما سرنى أنى من الفضلِ مُوسِرٌ

ولو أنه فضلٌ من الرزقِ محسوب(٢)

[بيتان من الشعر الفارسى ، ترجمتهما :]

— يامن سعيت وراء الجاه فأطلت التدبير ،

وسعيت للحصول على المال فصرت فى اضطراب وتفكير . . . !!

— افترض أن العالم كله قد فنى ... فهل تستطيع أن تنال ما لم يُقَدَّر لك ... ؟!

---

(١) شه ص ١٥٣٥ س ٩

(٢) من قصيدة مؤيد الدين الطغرائى فى مدح نظام الملك وزير السلطان محمد وهى مشتملة على ٧٩ بيتا ، هذا مطلعها :

لمن فى عراص البيد شوقٌ مطارب يدرّسها رجع الحداء الأعارب

(انظر ديوان الطغرائى ، طبع القسطنطينية ، ص ١٥ وما بعدها) .

وسأذكر بعد ذلك بقدر ما يستطيع أن يستوعبه هذا التصنيف حال العدل على أيامهم وكيفية ملكهم وتاريخ أنسابهم مع بيان ابتداء نهضتهم وحركتهم فى طلب الملك ، ومدة عمر كل واحد من سلاطينهم ، والوقائع الغريبة التى وقعت على عهد دولتهم الميمونة .

وسأورد أسماء وزرائهم وحجابهم وقوادهم وصورة كل منهم حتى يقرأه السلطان القاهر غياث الدين ويلحظه بنظره الأشرف ، ويقع لديه موقع الحمد ومحل الرضا فيرى أنه لم يبق مما فعلوه من المساعى الجميلة ومما جمعوه من الأموال والخزائن والدفائن والدرر والجواهر والخيل والسلاح إلا الخير الذى فعلوه ، وإلا المدارس والمساكن التى بنوها ويدرس فيها العلماء يومياً علوم الشريعة ، فتصل مثوبتها إلى أرواح بناتها . وسيظل حسن الذكر مدخراً بواسطتها — ما دام العالم باقياً — لملكشاه ، ومحمود وبركيارق ومحمد وطغرل ومسعود الذين بنوها فى دارىْ الملك إصفهان وهمدان .

وسيظل لهم الثواب الجميل والثناء الجزيل ما دام فيها الدرس والتحصيل . فإذا أصاب بناء منها خلل فإصلاحه من مال الأوقاف التى أوقفت عليه . فأما إذا سعى ظالم إلى تخريبها فإن ثواب بناتها سيكون مضاعفاً ، ثوابٌ لقاء فعل الخير ، وثوابٌ لقاء ما أصابهم من ظلم .

مثل : « اعتبر بمن مضى قبلك ، ولا تكن عبرة لمن يكون خلفك[1] » .

[بيت شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— إن العاقل ينأى عن الأعمال السيئة ، ويعتبر بما فعله غيره ... !!

---

(١) فى ورقة ١٤ (١) .

وغرض هذا الكاتب — بعد الحث على الخير — أن يقدر القارئون حقوق هؤلاء الملوك على أهل الإسلام ، وأن يزيدوا فى الدعاء للماضين منهم واستجلاب [ص٦٨] الرحمة لأرواحهم وأن يطلبوا من الله عزّ وجل أثناء صلواتهم فى الليل و بما يقدمونه من الصدقات والصلوات والطاعات ، أن يبقى دولة خلفهم السلطان القاهر غياث الدنيا والدين عز نصره ، وأن يفسح ملكه و يعلى كلمته وأن يمده بنصره وظفره ، وأن يجمِّل تاجه وعرشه . حقق الله هذه الأمنية بحق محمد وآله .

ابتداء كتاب

راحة الصدور وآية السرور

فى ذكر العـــدل ومدح الإنصاف

افتتحت كتابى بذكر العدل لأنه جماع سيرة الملك العادل غياث الدين ؛ وبالعدل كانت عمارة الدنيا وأمن العالم فى كل العصور . قال الله تعالى : « إن الله يأمر بالعدلِ والإحسانِ وإيتاء ذى القُربى وينهى عن الفحشاء والمنكرِ والبَغْيِ يَعِظُكُم لعلكُم تَذَكَّرُون(1) » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة » .

صدق الله وصدق رسوله . فالله يأمر بالعدل، والرسول يحدث بالعدل ؛ فكل ما فيه طلب للخير للناس داخلٌ فى عبارة « يأمر بالعدل » وكل ما يتعلق بعمل الخير مدرج فى « والإحسان » وكل ما يتعلق بالشفقة والرحمة وصلة الرحم داخل فى عبارة « وإيتاء ذى القربى » وكل ما يمنع عن الزنا والفسق والفجور موجود فى عبارة « وينهى عن الفحشاء » . وكل ما يتصل بالربا وأكل الحرام والظلم موجود فى كلمة « والمنكر » وكل ما يتصل بالأخلاق السيئة من حسد وبغض وعجب وكبر مضمن فى « والبغى » وإنى أدعو الله تعالى أن يجعل ملك الإسلام السلطان القاهر أبا الفتح كيخسرو — خلد الله ملكه — مواظباً على المحاسن [ص ٦٩] مجتنباً للمساوىء ؛ فقد قال أكبر الأنبياء وأفضلهم محمد المصطفى عليه الصلاة والسلام :

---

(١) قرآن سورة النحل ، آية ٩٠ .

« عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة » . فإنه إذا عدل الملك استطاعت الرعية فى ظلال الأمن أن تشتغل بعبادة الله فتؤدى فى كل ساعة ما يساوى عبادة سبعين سنة ؛ ومتى كان عدل الملك سبباً فى هذه العبادة فإن الملك يكون مشاركا فى ثوابها ويبارك الله له فى عمره وماله ونعمته وعياله وبيته .

مثل : « العدل أقوى جيش ، والأمن أهنى عيش »[1] .

[شعر بالعربية :]

إن فريذون لم يكن مَلَكاً ولا من المِسْك كان معجوناً
بالعدل والجود نال مَكْرُمَةً فأعدلْ وجُدْ كى تَكُنْ فريذونا[2]

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— إن فريدون لم يكن ملاكا طاهراً ، ولم يكن مخلوقا من المسك والعنبر . . . !!

— ولكنه نال العظمة بالعدل والكرم ، فَجُدْ واعدِلْ تَكُنْ فريدونا[3] ... !!

— فالدنيا ياولدى لاتدوم لك ... فحذار من الحرص وتجرع الأحزان[4] . . . !!

— ومن الواجب الهرب من الملك الظالم ، لأن القيامة تقوم به فى هذا العالم . . . !!

— فإذا عمرت الدنيا بالعدل والإنصاف ،
يعمر بك العرش ... وتسعد بك حظوظ الناس[5] . . . !!

— ويبقى لك تاج الملك وعرشه ، وتصير هانئاً ، سعيد الحظ ، نَيِّر القلب . . . !!

---

(١) فق ورقة ١٤ — ب .

(٢) المراجع : ربما كان من الخير لو أنه أثبت الشطرة الأخيرة من هذين البيتين كما وردت فى المعجم فى تاريخ ملوك العجم . فقد وردت فيه على هذا النحو :
« فجد وأنصف تكن فريدونا » .

(٣) شه س ٤٦ — ٤٧ .

(٤) شه س ٤٧ س ٢٤ .

(٥) شه س ١٧٨٧ س ٢٨ .

فأما إذا ظلم الملك — والعياذ بالله والعياذ من سخطه — فإن الرعايا يعجزون عن العبادة ، وعند ذلك يكون للرعية من الله عز وجل ثواب مضاعف : ثواب [ص ٧٠] لأنهم نووا العبادة ولم يستطيعوها بسبب ظلم السلطان ، وثوابٌ آخر بسبب ما ينالهم من ظلمه . ولا شك أن شؤم هذا الظلم يعود على روح الظالم وماله وعياله حتى تزول البركات جميعها عن مملكته .

مثل : « من استعمل العدل حصَّنَ اللهُ ملكه ومن استعمل الظلم عجّل الله هلكه [1] » .

وقد قال الرسول عليه السلام ما معناه : « إن الرعية إذا ظَلَمَتْ فإنها لا تهلك ما دام المَلِكُ عادلا [2] » لأن النشوء والنماء يزيدان فى سائر الأشياء فى أيام الملك العادل . وقال محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم : « لقد ولدت فى أيام الملك العادل » . وقد حكى أن سليمان جلس يوماً على بساطه فنظر شخص إليه ورآه فى الهواء ، فقال : إن ما أعطاه الله لسليمان لم يعطه لأحد غيره . فسمع ذلك سليمان فقال : إن ما يطلبه الله من سليمان لا يطلبه الله من أحد غيره . وقال الحكماء : « إن العدل ميزان الله الذى وضعه للخلق ونصبه للحق فلا تخالفه فى ميزانه ولا تعارضه فى سلطانه ، فاستعن على العدل بخَصْلَتَيْن قلة الطمع وشدة الورع » [3] . وكان رسول الله صلوات الرحمن عليه يخطب فى يوم من الأيام فوردت على لسانه هذه الآية : « اعملوا آل داود شكراً » [4] فقال : « من أوتى ثلاثا فقد أوتى مثل ما أوتى داود » فقالوا يا رسول الله ماهى ؟ فقال : « العدل فى الرضا والغضب ، والقصد فى الغنى والفقر ، وخشيةُ الله فى السرِّ والعلانية » .

---

(١) فى ورقة ١٤ (ا) .

(٢) المراجع : هذا الحديث مروى بالفارسية فى أصل الكتاب .

(٣) فى ورقة ١١ (ا) .

(٤) قرآن ، سورة سبأ آية ١٣ .

قال أولا العدل فى الرضا والغضب :

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— اصطنع العدل يا قرة عينى ، [ص ٧١]
سواء أكنت فى نسمات الرضا أم فى نيران الغضب ... !!

فمن الواجب على المرء ألا يميل كل الميل إلى شخص ينعم برضاه ، وألا يجور على شخص يتلظى فى نيران غضبه ، فإن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأرضاه كان يحدّ واحداً من الناس فشتمه فأعطى عمر درته لآخر وقال له . أكمل الحد ، قالوا يا أمير المؤمنين ... لم أعطيت الدرة لآخر ؟! فقال : لأنه شتمنى فأغضبنى ، و إنى أخشى أن تزداد حدة ضربى بسبب هذا الغضب فلا يكون الحد من أجل الله ... !!

وقال ثانياً : القصد فى الغنى والفقر .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— إذا كنت غنياً أو كنت فقيراً ،
فلا تعط ما هو أقل من الكفاف . . . ولا تسرف كل الإسراف . . . ! !

فيجب القصد فى الغنى والفقر ، و إيتاء حقوق الناس بحيث لا ينقص المرء حقاً فى وقت المعسرة وضيق اليد ، و بحيث لا يعطى زيادة إذا انبسطت اليد ، و بحيث يأخذ ما يكون أخذه حقاً ، و يعطى ما يكون عطاؤه حقاً و بحيث يكون فى كل حال منقاداً لأمر الله مطيعاً ، له فلا يعمل وفقاً لهوى القلب ولا لمراد النفس.

حكمة : « صَيِّر الدين حصنَ دولتك والشكرَ حَوْزَ نعمتِك ، فكل دولةٍ يحوطها الدين لا تُغْلَبْ وكل نعمةٍ يحوزُها الشكر لا تسلب[1] .

(١) المراجع : وردت هذه العبارة فى الأصل بنصها العربى المذكور .

يقولون إن المأمون أرسل فى وقت من الأوقات أربعة من الرسل إلى أطراف مملكته ، وأعطى كل واحد منهم جواداً يساوى ألف دينار ، وأعطى كلا منهم ثلاثة آلاف دينار ثم أمر فأحضروا له موبذ المجوس فقال له : كم كان مقدار أكبر عطاء منح أيام ملك أنوشروان ؟ قال الموبذ : أربعة آلاف درهم . قال المأمون . إننى قد منحت اليوم أربعة رسل مقدار اثنى عشر ألف دينار قال الموبذ : إن [ص ٧٢] انوشروان كان يعطى من ماله ، و بقدر الحق ، ولم يكن يخشاه أحد إلا المذنب .

مثل : « من ساءت سيرته زالت قدرته » .

فلزم المأمون الصمت وأمر أن يطلعوه على صورة أنوشروان . فلما فعلوا رأى وجهاً كالقمر بادى النضرة وفى إصبعه خاتم من ياقوت أحمر لم تقع عين المأمون على مثله من قبل ، وقد كتب عليه عبارة : « إن الخير هو العظمة وليست العظمة هى الخير » .

وقال النبى فى نهاية الحديث بضرورة « خشية الله فى السر والعلانية » .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— راع جانب الرحمن ، فى كل حال من السر والإعلان .

ويجب على المرء أن يخشى الله تعالى فى السر والعلانية ، وأن يصنع ما يصنع لوجه الله ، وأن يتيقن من أن ما يقوله يعلمه الله ، وأن ما يفكر فيه يعرفه الله ؛ فإذا تذكر هذه المعانى الثلاثة فإنه يكون قد حقق « حق خشية الله فى السر والعلانية » .

وخير العدل هو ما يطلبه المرء للمسلمين وما يتمناه لنفسه ؛ وأن يمتنع عن أن يفعل مع الناس ما يكره أن يفعله أحد منهم معه .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— حذار أن تصنع أمراً من الأمور مع شخص من الناس ،
لو أنه صنعه معك لأصبت بالسوء والأذى . . . !!

مثل : « بالراعى تصلح الرعية ، وبالعدل تملك البرية » [١] .

حكوا أن أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه نادى فى موسم الحج فقال : « أيها المسلمون إننى أرسل إليكم العمال حتى يدفعوا الظلم الحاصل بينكم فإذا وقع عليكم ظلم منهم فارفعوه إلىّ حتى أدفعه عنكم » . وحكوا أيضاً أنه تأمل شخصاً من الأشخاص فى يوم من الأيام فظنه مجرماً فضربه بدرته . فقال الرجل : ياعمر ... إننى إن كنت صالحاً فقدظلمتنى وإنْ كنتُ مسيئاًفإنك لم تحسن[ص٧٣] الصنع بى لأنك لم تزجرنى عن السوء فى البداية . قال عمر : لقد صدقت القول نخذ قصاصك منى ...!! وحكوا أيضاً أن أمير المؤمنين عمر عند ما ولى أبا موسى الأشعرى على العراق تطاول عليه شخص فى الكوفة فأمر أبو موسى أن يضربوه وأن يحلقوا رأسه ، فوضع الرجل شعره فى كيس وذهب إلى أمير المؤمنين عمر وقص عليه القصة ، فقال له عمر :أنت صاحب الحق ، وتشفع عنده لأبى موسى حتى يعفو عنه . قال الرجل : لن أعفو عنه ؛ فكتب عمر رسالة إلى أبى موسى يقول له فيها : إذا وصلك الرجل فأذن له حتى يقتصّ منك ، وأن يفعل بك مثلما فعلت به . فلما وصل الرجل استشفع أبو موسى وأصحابه لديه حتى يقبل العفو ولكن الرجل رفض طلبهم . فأحضر أبو موسى سوطاً وموسى للحلاقة ليمكنه من أن يقتص منه . قال الرجل : سأقتص منك على باب الجامع كما فعلت معى . فتوجه أبو موسى إلى باب الجامع ، وخلع ملابسه ، واجتمع خلق كثيرون ، وأمسك الرجل بالسوط

---

(١) فق ورقة ٩ (ب) .

والموسى ، وقال : السلام عليك ياأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ... لقد عفوت عن أبي موسى ووهبت لك مثوبتى ، لكننى أردت أن يعرف الخلق أن الله عز وجل قد أعز دين الإسلام بعمر بن الخطاب بسبب عدله .

مثل « كن بعيد الهمة إذا طلبت ، كريم الظفر إذا غلبت ، جميل العفو إذا قدرت كثير الشكر إذا ظهرت »

وحكوا عن على بن عيسى وكان وزيراً لأمير المؤمنين المقتدر بالله أنه سأل يوماً رجلا من بنى أمية . ماذا كان السبب فى زوال ملككم ..؟ قال لقد شغلنا بالملذات واعتمدنا على الوزراء فقدّم الوزراء منفعتهم الشخصية على منفعتنا ومنفعة الرعية وأخفى الوزراء عنا حقيقة الأحوال وظلموا الرعية ، ويئس الرعايا من أن ينالوا انصافهم منا ...

مثل : « من طال عُدْوَانُه زال سلطانه » [1] .

ولقد قرر الوزراء خراجا ثقيلا على القرى فتركها الفلاحون وخربت [ص ٧٤] الضياع فقلت أموال الخزانة ، وضعف الجند ونفرت قلوبهم منا ، وتودد إليهم الأعداء فانحازوا إليهم ، وكانت غفلتنا السبب فى ذلك جميعه لأننا لم نتبين حقيقة الأحوال .

قال أنوشروان : «ما عَدَلَ من جار وزيرُه ،ولا صَلَحَ من فَسَدَ مُشِيرُه » [2]

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إننى لم أترك أمراً صغيراً يستفحل بل تداركته فى مبدأ أمره فقطعت دابره .. فلا جرم إذا تحدث الناس إلى يوم القيامة عن عدل عمر .

ويجب على الملك أن يكون له هيبة فى قلوب الظالمين والجائرين حتى تمنع خشيته ظلمهم وجورهم . ويجب أن يكون متواضعاً حتى يتيسر للمظلومين طلب

---

(١) فق ورقة ١٠ (ب) .

(٢) نق ورقة ٣ (ب) .

العدل منه كما قال عز وجل : « أَذِلَّةٍ على المؤمنين أَعِزَّةٍ على الكافرين »[1] فإن العالم يعمر بما للملك من نية حسنة وعدل وأمانة وديانة .

مثل : « مَنْ عَدَلَ فى سلطانه استغنى عن أعوانه »[2] .

ولا شك أن من يمد يده بظلم ويرفع سيفه بجور فإنه قد أباح دمه وآذى نفسه وماله وعياله .

[رباعية فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— إن الظالم الذى يصنع الكباب لنفسه من قلوب الفقراء ،
إذا تأملت حقيقة أمره . . . فإنما هو يأكل لحم نفسه . . . ؟ ؟
— والدنيا عسل ... وكل من يكثر من أكله
يزداد ارتفاع دمه ... وتصيبه الحمى ... ويتألم . . . ! !

وفى أيام الديالمه بكرمان وجدوا أثرا لكنز فأحضروه للملك ، وكان صندوقا ؛ فلما فتحوه وجدوا أنه يشتمل على حقتين فيهما حبتان من الشعير . فلما وزنوهما وجدوا كل واحدة منهما مثقالا ... وتعجب الملك فقال : « ما هذا الأمر ... ؟ اطلبوا لى شيخاً مسناً لا يوجد من هو أسن منه حتى أسأله عن حقيقة الحال » فطافوا فى سائر ولاياته باحثين حتى وجدوا شيخاً مسناً قد تقوس ظهره وتدلت [ص ٧٥] رأسه إلى الأرض فقالوا له : أيها الشيخ لقد حدث كذا وكذا . . فهل تعرف دلالته ؟ قال الشيخ : لست أدرى ... يجب أن تسألوا والدى فربما يعرف حقيقة الأمر . . !! قالوا : « هل لك أب ؟ » قال : إن كهلا فى المحلة الفلانية اسمه فلان هو والدى » . فلما وجدوه قالوا : هل لك فى المحلة الفلانية ابن ؟ وسألوه أن يفسر لهم الأمر الذى يطلبونه . قال : أنا شخصياً لا أعرفه ولكن من الممكن أن يعرفه

(١) قرآن ، سورة المائدة ، آية ٥٩ .
(٢) فق ورقة ١٠ (ا).

أبى . قالوا : ألك والد ؟ ! قال لى والد شابٌ فى المحلة الفلانية . فأحضروا هؤلاء الرجال الثلاثة إلى الملك . وقال الملك : ما أعجب هذه الحال أن يكون الشيخ ولداً لكهل وأن يكون الكهل ولداً لشاب ... !! ثم أمرهم أن يبينوا له حقيقة حالهم . قال الشاب : أدام الله حياة الملك ... إن الحالة التى نحن فيها إنما هى بسبب النساء . فلى امرأة طيبة لم تسمح لنفسها أن تكدر خاطرى ، و إذا أمرتها فى يوم أن تعمل ألف عمل فإنها لا تقطب وجهها ، ومن أجل ذلك بقيت حتى الآن فى نضرتى وشبابى . وأما ابنى فله امرأة تطيعه فى بعض الأحوال وتعصيه فى بعضها الآخر ، ومن أجل ذلك فقد شاب قليلا وأصبح كهلا . وأما ابن ابنى فله امرأة سليطة لا تطيعه فى حال ، ومن أجل ذلك أصبح عاجزاً وشيخاً . . !!

قال الملك : والآن هل تستطيع أن تفسر لى حكاية الحبتين ... ؟!

قال : نعم . إننى إعرف أمرها ؛ ففى العهد الفلانى عاش ملك عادل،وحدث فى عهده أن باع شخص لآخر قطعة من الأرض ، فوجد المشترى كنزاً فيها ، فتنازع والبائع واحتكما إلى الملك . فقال المشترى : لقد اشتريت الأرض ولم أشتر الكنز ، فأصدر أمرك إلى البائع أن يأخذ كنزه ... !! وقال البائع : لقد بعت الأرض بما فيها من كنز وليس هذا الكنز من حقى فلن أستطيع أن آخذه ... !!

قال الملك : فليزوج أحدكما ابنه من ابنة الآخر ولتمنحاهما الأرض والكنز حتى إذا كانا ملكا للبائع أو ملكا للمشترى فإنه على كل حال لا يخرج من بينكما ، ففعلا ذلك وزرعا الأرض فى هذه السنة شعيراً فلما نبت الشعير أمر الملك أن يأخذوه إلى سائر الأرجاء وأن يضعوا هاتين الحبتين فى الأرض حتى يعلم الناس بعد أثر عدله وهمته [(١)] . [ص ٧٦]

---

(١) انظر حكايات القليوبى ، طبع كلكته حكاية ٣٤ .

(١) راحة الصدور

مثل : « من أساء اجتلب البلاء ، ومن أحسن اكتسب الثناء »[١] .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— كل من يعمل الإحسان يظفر بالثناء ، فأما المسىء فيجنى ثمار البلاء

وقد ورد فى الكتب أنه قبل أن يقتل قابيل هابيل كانت عناقيد العنب تزن مائة مَنٍّ ، وكانت قشرة الرمان تكفى لتسير فيها قافلة برمتها ؛ فلما أريق دم هابيل بغير حق على سطح الأرض انقلبت جملة الأحوال .

ويجب أن تحسن نية الملك حتى يظهر أثرها فى الدواب والأشجار والأثمار والفلوات فتزيد بركتها ، ومن الحكايات المعروفة فى هذا المعنى أن أنوشروان تخلف يوماً عن سائر جنده ، فوصل إلى مزرعة رأى فيها بنتاً ، فطلب منها قدحا من الماء ؛ فملأت البنت قدحا من عصير القصب وقدمته فى كثير من اللطف إلى أنوشروان ، فأخذ أنوشروان يشربه ، وكان فى القدح قشّة فأخذ يتمهل فى شربه ثم قال للبنت : لقد أحضرت عصيراً طيباً لو لم تكن به هذه القشة ... !! قالت البنت : أيها السيد لقد وضعتها متعمدةً فى هذا القدح لأنك كنت عطشاً ، وأردت أن تتمهل حتى لا يصيبك أذى . فتعجب أنوشِرْوَان من مهارة هذه البنت .

مثل : « إذا أذنبت فاعتذر ، وإذا اعتذر إليك فاغتفر ، فالمعذرة بيان العقل ، والمغفرة برهان الفضل[٢] » .

وسأل أنوشروان البنت : كم عود من القصب أخرجت منها هذا العصير ؟ قالت البُنيَّة : من عود واحد . فتعجب أنوشروان ، واطلع على خراج القرية فى سجلات الخراج فوجده قليلا . فقال انوشروان : يجب أن يزيد خراج هذا المكان فدخله

---

(١) نق ورقة ١٠ (ب) .

(٢) نق ورقة ٩ (ب) .

كثير ... ثم جاء فى وقت آخر إلى المكان نفسه وطلب ماء . فخرجت الفتاة لتحضر له الماء وتأخرت قليلا وتعجلها أنوشروان قائلا : لم تأخرت ؟ قالت الفتاة : إن العصير يخرج من قصب السكر بصعوبة فاضطررت لعصر ثلاث قصبات . [ص ٧٧] قال أنوشروان : ولم ذلك ؟ قالت الفتاة : من يدرى فربما تغيرت نية الملك ، فلقد سمعت أنه إذا فسدت نية الملك على الرعية زالت البركة من جميع الأشياء . فتعجب أنوشروان ونوى سراً أن يصنع الخير وعاهد الله ألا يؤذى الرعية . ثم قال للفتاة : أيمكنك أن تحضرى لى قدحاً آخر من العصير ؟ فذهبت الفتاة وعادت قائلة .. أيها السيد ... إن الملك قد حسنت نيته لنا فعادت البركة إلينا . وتعجب أنوشروان وتزوج الفتاة[١] .

مثل : « خير الملوك من أحسن فى فعله ونيته ، وعَدَل فى جنده ورعيته » .

وقال إمام العالم مفتى أصفهان « جمال الدين اليزدى » أنه رأى فى مدينة يزد رجلا اسمه « على علاّم » كان مسنا ضعيفاً يتوكأ على عصاه وكان شيوخ يزد جميعهم يعلمون قصته فقد تَيَبَّسَتْ قدمه اثنتى عشرة سنة فصار يزحف فى السوق كالأطفال.

مثل : « من رام السلامة لزم الاستقامة »[٢] .

فرأى فى منامه فى ثلاث ليال متتالية أن المصطفى عليه الصلاة والسلام يقول له : يا على اذهب إلى السلطان محمد بن ملكشاه فإنه إذا صلحت همته وحسنت نيته ومسح بيده على قدمك نجوت من هذا البلاء وشفيت قدمك . فلما حكى منامه لأقاربه تعاونوا فيما بينهم ورتبوا له دابة وحملوه إلى أصفهان فلازم باب قصر السلطان ، وكان كلما ركب السلطان كتب إليه قصة يقول له فيها : إن لدى كلاما مع سلطان العالم فَأْذَن لى بحق الله فى خلوة أحدثك فيها بحديثى ،

---

(١) ارجع إلى حكايات القليوبى ، طبع كلكته ، حكاية ١١٠ .

(٢) نق ، ورقة ١٦ (ب)

فإننى رجل فقير ولقد جئت إليك لهذا الأمر من مكان يبعد ستين فرسخاً .
فأمر السلطان رجاله أن يسألوه عما يبغيه ، فعادوا إليه وقالوا له : « أيها المولى [ص ٧٨]
إنه شخص مسن قد يبست قدماه يقول إنه رأى مناماً يريد أن يحكيه للسلطان »
فأمر السلطان فأحضروه إليه واختلى به .

مثل : « الصبر على الغصة يؤدى إلى الفرصة[1] » .

وروى على علام منامه للملك ، وظن السلطان أن ما قاله ربما كان حيلة ليأخذ شيئاً من المال . فقال للشيخ : إذا كان مقصودك أن تنال شيئاً لخذ ألف دينار ، وعُدْ من حيث أتيت . قال على علام : « إننى لم آتِ أطلب ذهباً بل إن رسول الله بعثنى إليك لأرفع همتك فتحسن نيتك مع رعيتك ، وحتى تمسح بيدك على قدمى فتتبدل علتى صحة ببركة همتك وحسن نيتك » فمسح السلطان محمد — برد الله مضجعه — بيده على أقدامه مرة فلم يكن لمسحته تأثير قط . ولكن الرجل قال : « إن الرسول لا يكذب لحسِّنْ نيتك » فطلب السلطان الماء وتطهر وصلى ركعتين وسجد لله وعاهده على أن يحسن إلى الخلق ثم رفع رأسه من سجدته ومسح بيده على قدم على علام فإذا بصوت عال يصدر من قدمه وإذا بعلى ينهض من مكانه ويلبى الله ويذهب إلى الحج مترجلا ثم يعود ولا يقبل من السلطان شيئاً من المال .

مثل : « إن أقرب الدعوات من الإجابة دعوة السلطان الصالح وأولى الناس بالإثابة أمرُه ونهيُه فى المصالح »[2] .

وما زالت الأذهان تذكر الحكايات المأثورة عن عمر بن الخطاب وعن عمر ابن عبد العزيز رضى الله عنهما . ولقد ذكرت الحكاية السابقة حتى يتأكد

---

(١) فق ، ورقة ١٦ (أ) .
(٢) فق ورقة ١٥ (أ) .

اليقين بأن همة الملك وحسن نيته يؤثران فى الآدمى والحيوان والغلات والثمار والمياه وفى سائر الأشياء .

ومن حسن الحظ أن السلطان القاهر عظيم الدهر أبا الفتح كيخسرو بن قلج ارسلان يتمظ بسيرة أسلافه ، فدعا الله عز وجل أن يهديه إلى العدل والإنصاف حتى يأمن الضعيف فى ظل عدله من بطش القوى ، فلا يختطف الخطّافُ الخاطف الذبابَ الضعيف والبعوض التافه ، ويمتنع منقار الصقر عن التهام [ص ٧٩] العصافير ، ويتلاشى السم من إبر الزنابير ، وحتى تحمر الوجوه المصفرة ، ويزول التضاد والتنافى عن العناصر الأربعة وحتى يستحيل لعاب الأفعوان إلى شهد خالص .

ولا شك أن ما روى عن أسلافه من سلاطين آل سلجوق من عدل وإنصاف ورعاية للخلق ، إذا قورن بعدله و إنصافه ، فإن عدلهم جميعاً بمثابة ذرة إلى جبل . ولقد حكوا أن السلطان محمد بن ملكشاه كان مهيباً وكان أخوه بركيارق لطيفاً وكان يمزح مع جميع الناس . فقال السلطان محمد لـ « مرواريد اگه » فى أحد الأيام أتحبنى أكثر أم تحب بركيارق ؟ قال مرواريد . « يامولاى بالله إنى أحبك أكثر من أخيك ولكنّ أخاك يمتاز عنك بشىء ليس فيك ، فإنه أكثر رقة منك ، وألطف خلقا ، وأما أنت فطلعتك مهيبة » . قال السلطان : يا مرواريد إعلم أنه بسبب خشية طامتى استطاع الفقراء أن يناموا فى راحة وأمن ، فى ملك يمتد ألف فرسخ فى مثلها . فلو أننى مزحت مع سائر الناس لتجردوا من حيائهم وتجرأوا علىّ . . ! !

مثل : « مَنْ حَسُنَتْ سياسته دامت رياسته » .

و إن السلطان الذى لا يمتاز بالهيبة والبأس لا يستريح العالم فى ظل حكمه ، ولا تقصر أيدى الظالمين على عهده ، ولا تصلح حال الرعية على أيامه .

مثل « من ضعفت سياسته بطلت رياسته[١] .

ورووا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا جارَ السلطانُ قَحَطَت السَّنَةَ » .

وقالوا فى تفسير آية : « قالَتْ نملةٌ يا أيها النَّملُ ادخلُوا مساكِنَكُم لا يَحْطِمَنَّكُم سليمانُ وجنودهُ وهم لايَشْعُرون»[٢] قالوا : إن سليمان سأل هذه النملة ماذا تكونين فى جملة النمل ؟ قالت أنا مالكتهم . قال سليمان : وما مقدار جندك؟ قالت : إن لى سبعين ألف ألف أمير وكل أمير له سبعون ألف ألف قائد وكل قائد له جنود لايعلم عددها إلى الله تعالى ، وطبقات الأرض السبع جميعها معسكر لجندى ، ولدى علم أنك ياسليمان ستعبر هذا المكان فخشيت أن واحداً من جندك[ص ٨٠] يطأ بقدمه واحدة من النمل فأوخذ بذنبها يوم القيامة ، فأتيت من الطابق السابع للأرض لأقودها إلى أماكنها فلا تقع علىَّ جريرة[٣]

مثل وحكمة : مَنْ كانَ مرتبتُه على الناس بمرتبةِ الرياسةِ وَمزيَّة السياسةِ فحقيقٌ عليه أن يحفظ بحسن الرياسة مرتبتَه ويستديم بحسن السيرة مزيتَه لتدوم له النعمى ويَسْعَدَ فى الدينِ والدنيا[٤] .

وقال « محمد بن الحسن الشيبانى »[٥] رحمه الله : « إذا أخذ من يهودى فى المشرق درهم واحِدٌ بغير حق ، وجب على ملك المغرب ومسلميه التوجه إلى المشرق ورد هذا الدرهم إلى صاحبه وإلا أُخِذُوا بجريرته لأنهم إذا أجازوا ظلمه صاروا موالى له . »

---

(١) فق ورقة ١٤ (ب) .
(٢) سورة النمل ، آية ١٨ .
(٣) انظر حكايات القليوبى ، طبع كلكته ، حكاية ١٤٩ .
(٤) فق ورقة ١٥ (ب) .
(٥) الفقيه الحنفى المتوفى سنة ١٨٩ .

وجاء هشام بن عبد الملك ومعه قومه ذات يوم إلى عمر بن عبد العزيز فأقبل مجوسي وقال : « يا عمر إن لى قضية معه » ؛ فقال عمر لهشام : « إن له دعوى عليك ، فقم واجلس مقابل خصمك فى المكان المقرر للخصوم » . قال هشام: « إن وكيلى سيجلس معه » . قال عمر : « إن الرجل يطلبك ولا يطلب وكيلك فقم واجلس معه» . فنهض هشام وجلس مع المجوسى فكان كلما تحدث المجوسى تطاول عليه هشام وشمخ عليه . فقال عمر لهشام : « أتهدده أمامى هكذا . . . . ! ؟ . » فلما رأى المجوسى عدلَ عمر قال : « يا أمير المؤمنين ... لقد ورثت مزرعتى هذه عن آبائى وأجدادى ، فلا تدعهم يأخذوها منى » وعرض كل واحد من المتخاصمين سنده ، فكانت حجة المجوسى أقوى من حجة هشام . فمزق عمر سند هشام وقال للمجوسى : « إرجَعْ إلى زَرْعِك » .

مثل : « من أَضْعَفَ الحق وخَذَلَه ، أهلكه الباطلُ وقتله[1] . » [س٨١]

فلما رأى المجوسى إنصاف عمر قال : « إنَّ الدين الذى يكون به الإنصاف على هذه الحال لا يكون إلا حقاً » ثم مَدَّ يده وَمَزَّقَ الزُنَّار[2] وأسلم فى الحال ، وكان ذلك ببركة العدل الذى أجراه عمر .

مثل : « من اشتَدَّ تدبيرُه حَسُنَ تأثيرُه » .

خبر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أَشَدُّ الناسِ عذاباً يومَ القيامة إمامٌ جائرٌ غيرُ عادلٍ »[3] .

وعن ابن عباس رضى الله عنه عن النبى عليه السلام أنه قال : مَنْ وَلَّى والياً

---

(١) فق ورقة ١٤ (أ) .

(٢) المراجع : الزنار لباس المجوس ، فتمزيقه دلالة على أنه طلق ديانتهم .

(٣) المراجع : نص هذا الحديث فى الجامع الصغير للسيوطي هو الآتى :« أشد الناس يوم القيامة عذابا إمام جائر » .

فبلغَهُ عنه ظلمٌ على رعيته وهو يَقْدِرُ على عزلِه ولم يعزله ، فقد خَان الله ورسُولَه » .

قال فى الخبر الأول إنَّ الظلم لا يجب ارتكابه ، فعذاب الظالمين يوم القيامة أشد من عذاب سائر المجرمين ؛ وقال فى الخبر الثانى إنه يجب على المرء ألا يترك شخصاً آخر يرتكب الظلم ، ويجب عليه أن يرد عن رعيته الظلم الذى يصنعه عماله ونوابه معهم . فإزاء هذه الأخبار والأحاديث ، ما أسوأ حظ الظالم الذى يقدم على الجور و يفتح باب الظلم والطغيان ، فلقد عَدَلَ الكفرة فى الجاهلية ونفروا من الظلم ورأوا وخامة عواقبه . وما أجمل ما ذكره فى هذا الشأن الملك « هرمز » لابنه « پرويز » فلما طرب الإبن بقول والده أخذ يشيد بذكر جدّه أنوشروان (١) .

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته (٢) :]

— وكان الملك (أى هرمز) يحرص على العدل ولا يتهاون فيه ،
ومن أجل ذلك عوفيت الدنيا وسلمت على أيديه . . . !!
— ومنع عن العالم كل أنواع الدمار والخراب
فنجت الدنيا بصنعه وأصبحت آمنة الجناب ... !!
— وحدث ذات يوم عن طريق المصادفة والقضاء
أن خرج « خسرو » وقت الفجر فى جَذَلٍ إلى الصحراء
— فتنزه وتفرّج وأوقع صيداً كثير العدد ، وبدت له عن بعد قرية هانئة آمنة
— وكانت حول هذه القرية خُضرةٌ نضيرة
فقصدها « خسرو » ومدَّ بساطه على تلك الخضرة الوثيرة
— وأخذ يشرب الخمر الحمراء على هذه البقعة الخضراء

---

(١) المراجع : انوشروان هو والد هرمز وجد پرويز وقد تولى أنوشروان ملك الساسانيين من ٥٣١ — ٥٧٩ وتولى هرمز بعده من سنة ٥٧٩ — ٥٩٠ وتولى بعده خسروپرويز (٥٩٠ — ٦٢٧) .

(٢) الشعر مأخوذ من مثنوية « خسرو وشيرين » للشاعر نظامى وهو وارد فى الفصل الذى تحدث فيه الشاعر عن معاقبة هرمز لابنه خسروپرويز (انظر خمسه نظامى طبع طهران سنة ١٣٠١ ص ٦١) .

وظل على هذه الحال حتى أدبرت الوردة الصفراء[١]

— فلما ضربت الشمس عليها فوق هذا البساط اللاجوردى [ص ٨٢]

ونشرته فوق هـــذا الجدار الأصفر

— ولما أخذت تحرق الأعواد فى أثناء هزيمتها

أخذت تمزق عليها وتنصب المظلّة (أى تنشر الظلام)

— وجعلت طوق عنانها تحت ركابها ، وأخذت تضرب الفلك بالسيف بكلتا يديها

— ولما أصبحت عاجزة فى هذه الغبراء الموحشة

ألقت بدرعها مثل « عباد الشمس »[٢] فوق الماء . . . ! !

— فطلب الأمير « خسرو » منزلا من منازل هذه القرية

وهيأ المجلس فيه للشراب والانتشاء . . . ! !

— فمكث فيه تلك الليلة وهو يشرب هانئا مع الأصحاب

حتى اصطبح مع رفاقه الساهرين

— وكان يستمع طوال الليل إلى ألحان الأرغنون

وكان يشرب الشراب الأرغوانى الأحمر

— وكان يتجرع الأبريق الملىء بالخمر المفرحة

وكان يحيي النفوس والعالم بهذه الخمر القانية

— وإذا بجواد غير ملجم من جياده أبيض اللون

يغير على مزرعة ويرعى فيها ، ويعمل فيها فمه

— وإذا بغلام حلو من غلمانه يغير أيضا على هذه المزرعة

ويقتطف جمله عناقيد من كَرْمَة لم ينضج عنبها

— فلما كان وقت السحر ، وفصلت الشمس المنيرة ، رأسَ الليل عن جسد النهار

— ووضع الغراب الأسود كرة من الذهب

تحت جناح الطوطى (كناية عن طلوع الشمس)

---

(١) المراجع : أى حتى غربت الشمس وغابت .

(٢) المراجع : ترجمنا كلمة نيلوفر « بـ » « عباد الشمس » وهى زهرة تخرج من الماء عند طلوع الشمس وتغيب فيه عند غيابها وقد استعمل العرب هذه الكلمة بصورتها الفارسية .

— ذهب جماعة من الجهلاء — وأنت أدرى بحالهم —
إلى الملك فأخبروه سراً بما حدث
— وقالوا : إن خسرو قد ارتكب حماقة ليلة أمس . . . ! !
وما الفائدة . . . ! ! ولاخشية له من الملك
— قال الملك : « إننى لا أعرف جريرته . . . ! ! »
فقالوا له : « إنه يتابع طريق الظلم دائماً »
— «فقد نزل جواده فى مزرعة فأكلها ، وأغار غلامه على كرمة دهقان فاغتصبها»
— «وهو يضايق القتير فى أثناء الليل، وقد وصلت أصوات صنجه إلى غير المحارم»
— «ولو كان غريباً ، ولم يكن ولداً لك ، لأخذ صاحب المزرعة جميع أمواله وعتاده»
— وإن الفصّاد ليَخِز غيرَه مئات الوخزات
ولكن يده ترتعش إذا وخز نفسه فى عرق من عروقه . . . ! !
— فأمر الملك فاحضروا خنجراً مشحوذاً ، وأمرهم فقطعوا به أرجل الجواد
— ثم أعطوا غلام الأمير إلى صاحب الكرم
وأعطوا بذلك ماء الورد إلى الماء الأجاج (أى كفّروا عن جريرتهم)
— وأعطوا لصاحب المنزل الذى أقام فيه الأمير [ص ٨٣]
كل ما كان يملكه الأمير من عدة وعتاد
— ثم كسروا أصابع الصنج[1] ، وقطعوا أوتاره الحريرية
— فانظر إلى مقدار الجزاء الذى كان الملوك يتبعونه من قبل . . . ! !
وكانوا يتبعونه مع أولادهم . . . وليس مع الأغراب فحسب . . . ! !
— فأين هذا العدل وذلك الإنصاف ، اللذان أجراهما مع ولده على هذا النحو
— والآن يهرق الملوك دماء مئات من المساكين
ولا يتجاوزون لهم عن مقدار قراضة أو قلامة . . . ! !
— ولقد راجت فى الدنيا عبادة النيران (أى المجوسية)[2]

(١) المراجع : الصنج تعريب الكلمة الفارسية « چنگ » وهو آلة موسيقية ذات أوتار
(٢) المراجع : يقصد أن الناس يهملون مراعاة تعاليم الإسلام وكأنهم ارتدوا إلى المجوسية وعبادة النيران ، فلا يتورعون ولا يراقبون الله فى أعمالهم .

بحيث يصح لك أن تخجل من هذا الإسلام . . !!

— ونحن مسلمون ، وأما هو (أى الملك هرمز) فجوسى
فإذا كان هذا مجوسياً ، فمن يكون المسلم . . . ؟!

— فلما رأى « خسرو » ما نزل به من مذلة وصغار
ورأى ما أصابه من هوان واحتقار

— تحقق من أن كل مافعله كان رديئاً ، وأن أباه قد كفَّرَ عما فعله من سوء

— فأخذ يضرب رأسه بيده ، وجلس يفكر فى هذا الهم بعض الوقت

— فبعث إلى الشيوخ المسنين ليشفعوا له ، ولكى يأخذوه إلى الملك

— فربما يقبل الملك شفاعتهم ، ولا يأخذ فى الحسبان مامضى من جريرته

— ولبس الكفن ، وحمل السيف الحادّ فى يده
وملأ الدنيا بالصراخ والعويل حتى أمام القيامة

— وذهب الشيوخ إلى الملك معتذرين ، وقد سار الأمير وراءهم كما يسير الأسير

— فلما مثل أمام العرش بكى بكاءاً أليماً
وأخذ يتمرغ فى الأرض كما يفعل المجرمون

— وقال : أيها الملك لا تؤذنى أكثر مما أنا فيه من عناء
وترفَّعْ . . . وكن عظيما . . . فاعف عن الصغار

— وترفق بى ، فإننى ولدك العاجز الحائر
ولا طاقة لولدك أن يتحمل غضب والده ومولاه . . . !!

— فإذا كان لى ذنب . . . فدونك السيف فاقطع به رقبتى
وسيكون على يديك قتلى ، وسيكون منى التسليم لك

— فإننى أستطيع أن أحتمل كل الآلام فى هذا السبيل
ولكننى لا أستطيع أن أحتمل إغضاب الملك

— فلما قال ذلك ، وضع رأسه على الأرض فى ذلة وخضوع
وأخذ يبكى وتنحدر من مآقيه الدموع

— فلما رأى الجمعُ مقدار صبر الأمير واحتماله
أخذوا يبكون جميعاً فى حزن وألم

— ولما بكى الكبار فى ألم وأنين ، استحوذ البكاء الشديد على الملك أيضا

— لأن طفلا صغيراً على هذه الحال من الدلال
استطاع أن يكون ثاقب النظر على هذا المنوال... !!

— وإن الولد الذى لا يطلب السوء لدولة والده
لا يكون له من والده إلا الرضا والإقبال

— فتأمل فيما يفعله معك ولدك [ص ٨٠٤]
فلسوف يرى من أولاده مثل ما فعل بك

— وفى أمور الخير والشر . . . حذار أن تخضع لولدك
فلسوف ينوب عنك ولد ولدك

— فلما رأى « هرمز » ابنه السعيد ، ودواء روحه وثمرة قلبه

— قد امتاز بهذا الذكاء وبهذا التثبت فى الرأى
علم أن ذلك كله من مواهب العظمة الإلهية

— فقبل رأسه ، وزاد من إشفاقه عليه ، وجعله ولياً لعهده وأميراً على جيوشه .

وغاية رجائى من اللطف الربانى أن يجعل وارث دولة آل سلجوق ، ملك العالم ، سلطان بنى آدم ، غياث الدنيا والدين « أبا الفتح كيخسرو » بن السلطان العادل قلج ارسلان خلد الله دولته ، يحيى تلك المراسم ويدفع غائلة التعصب الواقع بين أصحاب أبى حنيفة وأصحاب الإمام الشافعى فإن التعصب ينتهى إلى العداء ، وعداوة المسلمين وخيمة مشئومة . وإنى أدعو الله أن يوفقه إلى تعمير الأوقاف والمدارس التى أنشأها أسلافه الذين تداركوا الإسلام وشجعوا العلماء وحموا الدين من كل تعصب .

* * *

وتحقيقاً لما ذكرته فى فهرست كتاب راحة الصدور ، سأبادر أنا الداعى لدولة السلطان بالنصر والتأييد « محمد بن على بن سليمان الراوندى » بذكر سلطنة كل سلطان من سلاطين السلاجقة ومدة دولته وشجرة نسبه على وجه الإجمال والاختصار حتى يقرأ الملك العادل سير أسلافه الحميدة ، ويرى كيف نهضوا فى طلب الملك منذ ابتداء حالهم إلى نهاية أمرهم وما كان لهم من محامد الأخلاق ومكارم الأعراق وما اتصفوا به من محاسن العدل والإنصاف فيختار لنفسه ما حسن من سيرتهم إن شاء الله تعالى .

فهرست

أسماء السلاطين

الملك چغرى بك أبو سليمن داود بن ميكائيل بن سلجوق[1] . [ص ٨٥]

(١) السلطان ركن الدين أبو طالب طغرلبك محمد بن ميكائيل بن سلجوق يمين أمير المؤمنين[2] .

(٢) السلطان عضد الدولة أبو شجاع الب أرسلان محمد (برهان أمير المؤمنين)[3]

(٣) السلطان معز الدنيا والدين ملكشاه بن محمد (الب ارسلان) قسيم[4] أمير المؤمنين[5] .

(٤) السلطان ركن الدنيا والدين أبو المظفر بركيارق بن ملكشاه يمين[6] أمير المؤمنين .

(٥) السلطان غياث الدنيا والدين أبو شجاع محمد بن ملكشاه قسيم[7] أمير المؤمنين

(٦) السلطان معز الدنيا والدين أبو الحرث[8] سنجر بن ملكشاه برهان[9] أمير المؤمنين .

---

(١) عد المؤلف چغرى بك فى زمرة السلاطين ولكنه لم يذكر عنه شيئا فى صفحات الكتاب .

(٢) محذوف من هذا الفهرست .

(٣) كذا فى زت ، تك ، ع .

(٤) زن ، تك . « يمين » ، سياست نامه تأليف نظام الملك . « أمين » .

(٥) كان من الواجب بعد ذلك أن يذكر هنا اسم السلطان محمود بن ملكشاه ولكنه لم يذكر لا هنا ولا فى سائر الكتاب لأن المصنف لم يعتبره من جملة السلاطين
(ارجع الى ذكر بركيارق فيما بعد)

(٦) زن « برهان » ، ع « قسيم » .

(٧) ع « ناظم » .

(٨) ن آ . « أبو الحرب » .

(٩) زن و زت . « يمين » .

(٧) السلطان مغيث الدنيا والدين محمود بن محمد بن ملكشاه يمين أمير المؤمنين[1]

(٨) السلطان ركن الدنيا والدين أبو طالب طغرل بن محمد بن ملكشاه يمين أمير المؤمنين

(٩) السلطان غياث الدنيا والدين أبو الفتح مسعود بن محمد بن ملكشاه قسيم أمير المؤمنين [ص ٨٦]

(١٠) السلطان مغيث الدنيا والدين ملكشاه بن محمود بن محمد يمين أمير المؤمنين

(١١) السلطان غياث الدنيا والدين أبو شجاع محمد بن محمود بن محمد قسيم أمير المؤمنين

(١٢) السلطان معز الدنيا والدين أبو الحرث[2] سليمان بن محمد بن ملكشاه برهان أمير المؤمنين

(١٣) السلطان ركن الدنيا والدين ارسلان بن طغرل (بن محمد) قسيم أمير المؤمنين

(١٤) السلطان ركن الدنيا والدين أبو طالب طغرل بن ارسلان (بن طغرل) قسيم أمير المؤمنين

---

(١) كان يجب بعد ذلك أن يذكر هنا اسم السلطان داود بن محمود فقد حكم جملة شهور ولكن المؤلف حذفه كما فعل عندما حذف اسم السلطان محمود بن ملكشاه .

(٢) ن ا . « أبو الحرب » .

ابتداء أمر السلاجقة

سنورد فيما يلي ذكر سلاطين آل سلجوق وفقاً للشجرة التي وضحناها فيما سبق.

فأما ابتداء أمرهم فإنهم كانوا جنوداً موفقين، وأناساً كثيرين، تعدادهم كبير، ومالهم وفير، لهم من الخيل (الفرسان) والحشم ما يمتاز بالنظام، ومن الشوكة والقدرة ما يوصف بالتمام، ومن النعمة والحرمة ما يربو على المرام؛ وكانوا أناساً يمتازون بالتقوى والدين واليقظة وعدم الإهمال، وقد جاء في المثل: «من دلائل الإقبال قلة الإغفال». وكان دليلا على إقبال شأنهم بعدُهم عن الغفله، ومجانبتهم لدار الكفر، وميلهم إلى مجاورة دار الإسلام، وزيارتهم للكعبة، وتقربهم إلى الأئمة، وقد جاء في الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «النَظَرُ إلى الكعبة عبادةٌ والنظر إلى العلماء أحَبُّ إلى الله تعالى من النظِر إلى الكعبة»[1] وقد اضطر هؤلاء السلاجقة العظام بسبب ازدحام ديارهم وضيق مراعيهم أن ينزحوا من «تركستان» إلى ما وراء النهر[2] فكانت منازلهم في الشتاء في «نُور بخارى» وفي الصيف «في سُغد سمرقند». [ص ٨٧]

وكان لرئيسهم «سلجوق» أربعة أبناء: إسرائيل[3] الجد السابع للسلطان القاهر عظيم الدهر غياث الدنيا والدين أبي الفتح كيخسرو بن السلطان قلج

---

(١) المراجع: جاء كذلك في كنز العمال. ج ٥ ص ٢٠٤ «مجالسة العلماء عبادة».

(٢) يعني في سنة ٣٧٥.

(٣) زت «يبغو ارسلان المدعو إسرائيل، زن. يبغو ارسلان؛ إا ارسلان.

المراجع: يقول الأستاذ محمد إقبال ناشر النص الفارسي لكتاب راحة الصدور إن صحة هذا الإسم «يبغو» بتقديم الياء المثناة التحتية على الباء الموحدة وقد ذهب إلى ذلك المستشرق الألماني ماركوارت.

ارسلان خلد الله ملكه ، وكان إسرائيل أكبر أبناء سلجوق وأكثرهم علماً وأرجحهم عقلاً . فلما جرى عليه ظلم محمود بن سبكتكين وغدره نهض إخوته وأهله وطالبوا بالثأر له ، فاستطاعوا أن يستولوا على الملك وأن يؤسسوا لهم ولأعقابهم مملكة فسيحة ودولة عريضة ، فنعمت الدنيا بهم ، وعمرت بعد لهم ، حتى أدركتهم عين السوء فنكب أكثر أولادهم وحبسوا فى القلاع ، وإنى أدعو الله تعالى أن يرسل من نسل إسرائيل رجلا فى حكمة سليمان يجعل ملكه الموروث نسخة ونموذجا لعهد أنوشروان ، ويكون فى قدرة سليمان يخضع له الإنس والجان والملائكة والوحوش والطيور فتقف جميعها أمامه خاشعة تمد له أسمطة الخدمة ، وينفسح العالم لركابه بحيث يكون السير فى سلطنته مرحلة « غدوها شهر ورواحها شهر »[1] ويا ربى ويا إلهى . . . ثبت أطناب دولته وأكتب لها الدوام إلى يوم البعث والقيام .

وأما بقية إخوة إسرائيل فكانوا عبـــارة عن : ميكائيل ويونس[2] وموسى بيغو[3] .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— وقد وهبهم الله كما يليق بالملوك ، كبيراً عاقلا طيب الأرومة والمحتد

فلما اصطلح السلطان محمود بن سبكتكين مع « إيلك خان[4] » ونزل محمود

---

(١) سورة سبأ آية ١٢ .

(٢) زن ، زت ، ١١ — لم تذكره .

(٣) زن ، تك ذكرت فقط « موسى » .

المراجع : انظر التعليق السابق على كلمة « بيغو » .

(٤) ايلك خان هو أحد ملوك الأتراك فيما وراء النهر « وتعرف أسرته باسم « الخانية الافراسيابية » واسمه هو نصر بن على بن موسى بن ستق وأما لقبه فهو « ايلك خان » تولى السلطنة فيما بين ٣٨٣ — ٤٠٣ هـ (حواشي چهار مقاله) وقد وقع الصلح بينه وبين السلطان محمود فى سنة ٣٩٦ ، ولكن يستفاد من الكتب الأخرى مثل تاريخ ابن الأثير أن السلطان محمود لم يأت شخصيا لعقد هذا الصلح وإنما تم الأمر بينه وبين ايلك خان بواسطة المراسلة وكتابة =

على شاطىء جيحون، تلاقيا وتقابلا واستظهرا بالمواثيق والعهود واتفقا على [ص ٨٨] تعيين حدود مملكة كل واحد منهما . وأخذ إيلك خان يتحدث و يمدح محموداً و يقول له: منذ سنوات وقد وفد على ولايتى أقوام من التركستان، فاستولوا على المراعى الموجودة فى نور بخارى وسغد سمرقند ، وجيوشهم كثيرة وجنودهم وفيرة وعددهم خارج عن الحصر والعد ، ورئيسهم المقدم عليهم هو سلجوق بن لقمان[1] وله أربعة أولاد ، وهو محترم الجانب بين فرسانه ، على تمام الأهمية والعدة بين عسكره ، وقد تهيأت له أسباب الملك بما وهبه الله من فرسان أقوياء وعدد كثير من الجند لا يبانه إحصاء ، و إنى أرى أنه لا يمكنك أن تأمن جانبهم إذا نهضت فى وقت من الأوقات وقصدت بلاد الهند وأخشى أن يحدثوا فساداً ، طلباً لولايةٍ أو رغبةً فى الاستيلاء على إحدى النواحى ، أو طمعاً فى الملك . فمن الواجب عليك أن تستظهر بهم وأن تطلب المعونة منهم .

مثل : من طال أمله ساء عمله .

فأرسل إليهم السلطان محمود رسولا ذرب اللسان وحمله رسالة مضمونها : « إننى لفى عجب من تدبيركم وعقلكم ، ولكنكم حتى الآن و بحكم الجوار لم تطابوا منا طلباً أو تلتمسوا ملتمساً ، و إنى لشديد الرغبة فى مصادقتكم واستمداد

= العهود والمواثيق ، وأما الصلح الذى يقصده المصنف فهو الذى تم فى سنة ٤١٩ (ويقول صاحب زين الأخبار فى سنة ٤١٥) وقد انعقد فيما بين السلطان محمود وقدر خان ، وهذا الأخير هو ابن أخي ايلك خان الذى سبق ذكره وقد تولى السلطنة حتى سنة ٤٢٣ (ارجع إلى كتاب طبقات ناصرى ترجمة الماجور راڤرتى (ص ١١٦ ، ٩٠٣ ، ٩٠٤) وعلى ذلك يغلب على الظن أن المصنف خلط بين هذين الصلحين (أى الصلح الذى انعقد بين محمود وبين ايلك خان ، والصلح الذى انعقد بين محمود وبين قدرخان) .

(١) كذا أيضا فى جت ، ع وترجمة طبقات ناصرى واستناداً إلى مجمل فصيحي الخوافى ، ولكن بعض الكتب الأخرى جعلت بدل « لقمان » كلمة « دقاق » أو تقاق « ومعناها فى التركية » القوس من الحديد » انظر ١١ ، زت ، رص ، حس .

المعونة منكم، ولست فى غنى على الإطلاق عن معاونتكم . فإذا لم يستطع جميع الإخوة الحضور إلى فليختاروا واحد منهم يفد إلى مَقَرّى ، ولقد اتخذت مقامى على شاطىء النهر حتى تقصر المسافة بينى و بينكم ، فإذا جاءنى واحد منكم عقدت معه العهد ووثقت معه المواثيق » . وقد دبر محمود هذا الكيد وكأنه لم يسمع المثل القائل : « لا تفتح باباً يعييك سَدُّه ولا ترسل سهماً يعجزك رَدَّه »[1] .

فلما بلغت رسالة السلطان محمود أسماع أبناء سلجوق أخذوا بها [ص ٨٩] واعتمدوا على الوفاء الإسلامى وعلى صفاء الظاهر والباطن ،فاختاروا أن يرسلوا إليه « إسرائيل »[2] وكان المقدم المحترم بينهم . فسار إسرائيل إلى محمود وفى ركابه الميمون جيش مشحون . فلما علم محمود بالأمر ، أرسل إلى إسرائيل رسولا على وجه السرعة يستقبله ويقول له : « لسنا الآن فى حاجة إلى الاستمداد بجيشك ، وإنما جملة مقصودنا أن ننعم برؤيتك والاستظهار بك ، فاترك الجيش فى مكانه وتعال أنت مع خواصك وأعيان رجالك » . فعمل إسرائيل بموجب هذه الرسالة وجاء إلى محمود مُجَرَّداً من جيشه .

مثل : « من اقتحم اللجَّةَ أتلفَ المُهْجَة » .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— كل من اقتحم بحراً لجياً ليس له انتهاء ،
مات فى خضَمّه كما تموت الجرة فى الماء . . . ! !

فلما أقبل « إسرائيل » بالغ محمود فى إكرامه ، وأجلسه على العرش إلى جواره وعنى بتقريبه ، والترحيب به ، والاهتمام بأمره ، ثم قال له فى أثناء الحديث

---

(١) فى ورقه ١٨ وكذلك أمثال الابشيهي (مجانى الأدب ج ٢ ص ٧٣ بتصرف يسير)

(٢) ١١ : ارسلان ، زن ، رص : بيغو ارسلان .

« عند ما نذهب إلى بلاد الهند لغزو الكفّار يلزمنا جيش جرار نسير به إلى هذه الديار ، وينتج عن ذلك أن بلاد خراسان تبقى معطلة مهملة ، ولى رغبة فى أن أعقد معكم ميثاقاً وتحالفاً على أنه إذا خرج علىّ عدو أو ثار ثائر واحتجتُ إلى مددٍ استعنت بخيلكم وفرسانكم » .

وأجاب إسرائيل قائلا : « لن يكون منا تقصير عن خدمتكم . . . »
وقال محمود : « و إذا عرضت لنا حاجة فبأى أمارة يصلنا المدد . . . وما مقدار عدده ... !؟ »

وكان إسرائيل يعلق قوسه فى ساعده ، و يتدلى من رباط ردائه سهمان ، فأخذ سهماً منهما وأعطاه لمحمود وقال له : « أرسل هذا السهم إلى جندنا إذا عرضت لك حاجة إلينا يأتك منا مائة ألف فارس ... »

قال محمود : « و إذا لم يكف هذا العدد فماذا نفعل . . . ؟ ! فتناول إسرائيل السهم الآخر وقدّمه إلى محمود وقال : « أرسل هذا السهم إلى جبل بلخان[1] يأتك على الفور خمسون ألف فارس غيرهم ... »

قال محمود : « فإذا لم يكفِ هذا العدد أيضاً فماذا نصنع . . ؟ » عند ذلك ناوله إسرائيل قوسه وقال : « ارسل هذه أمارة إلى تركستان ، يأتك إذا شئت مائتا ألف فارس» وتدبر محمود هذا الحديث وشغل باله فاحتجز أسرائيل عنده[2]

مثل: «من ساءت سيرته لم يأمن أبداً ، ومن حسنت سيرته لم يخف أحداً» [ص ٩٠]

---

(١) جبل إلى الشمال الشرق من خراسان . وورد فى ا ا قوله : « . . . جبل بلجان (وهذا سهو مكان بلخان) هو الذى عنده خوارزم القديمة » (ج ا ص ٢٦٧)
(المراجع : تقع جبال بلخان إلى شرق بحر قزوين فى الجمهورية التى تسمى الآن تركمانستان إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتى)

(٢) يعنى فى سنة ٤١٩ (ويقول صاحب زين الأخبار سنة ٤١٦) ارجع إلى تك ص ٤٣٥

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

ــ فاعل الشر لا أمن له ولا أمان
وأما المحسن فلا يخشى الإنس ولا الجان . . . !!

وطلب محمود الطعام ، فلما تهيأ المجلس طعاما وشرابا وظلاّ يشربان ثلاثة أيام بلياليها ، وخلع محمود على إسرائيل وفرسانه أطيب الخلع والهدايا ، ثم أمر كل واحد من أمراء جيشه أن يستضيف فى معسكره واحداً من أمراء فرسان إسرائيل ، وأن يسقيه شراباً قوياً ، حتى إذا لعبت الخمر برؤوس الضيوف قيدوهم بالقيود الثقيلة . وفعل محمود بإسرائيل مثل ذلك ، وحمله فى أثناء الليل إلى بلاد الهند وحبسه فى قلعة كالنجر .

مثل : من أطاع هواه باع دينه بدنياه[1] .

فلما أفاق إسرائيل من سكره وجدَ نفسه عليلا أسيراً فاستسلم للقضاء .

[بيتان فارسيان فى الأصل ، ترجمتهما :]

ــ أيها الجسم إذا وقعت أسيراً فى قيود الأعداء
ووقعت ذليلا فى أيدى الخصوم الألداء
ــ فارضَ بما قسمه الله لك من قضاء
حتى تعيش فى سكون وأمن وراحة ورجاء . . . !!

فأما الرؤساء الآخرون من جيش إسرائيل ممن قبضوا عليهم ، فإن محموداً أرسلهم إلى القلاع الأخرى وأمنهم على حياتهم .

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

ــ حكى أحدهم حكاية عن نمر من النمور ، قام عراك بينه وبين أسد هصور
ــ قال : لو أنك أهرقت دمى ومت بشجاعتى فى معركة الفخار

---

(١) فى ورقة ١٠ (ب) ن ا : « ودنياه » .

لـكان ذلك أجدى علىّ من أن أعيش بحُبْسنى فى عار . . . ! !
— وحذار أن تطلب مصادقة الأعداء ، ولو لقبوك ملكا ، ودانوا لك بالولاء ...!!
— ولقد تَـخْـضرّ أوراق الشجرة ، ولـكن ثمرها يكون مرير المذاق
فاحذر إذا خطوت إليها أن يتساقط عليك ثمرها . . . ! !

وبقى إسرائيل أسيراً فى قلعة كالنجر مدة سبع سنوات ، ثم جاء اثنان [ص ٩١] من التركان من فرسانه واشتغلا بالسقاية وحملِ الماء إلى هذه القلعة ، حتى إذا حانت لهما فرصة فى أحد الأيام ، قابلاه ودبرا معه حيلة لـكى يقوما بخطفه وإخراجه من القلعة فى أثناء الليل ؛ ولـكن الطريق كانت مليئة بالغابات والأحراش فلماّ فعلا ذلك ضلُّوا جميعاً الطريق .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]
— لا تحَـدِّثُ الدنيا أحداً ، بما تنويه له من شرور
ولا تجرى أبداً وفقاً لمرام الناس فى كل الأمور . . . ! !

فلما كان اليوم التالى وتنبه حارس القلعة للأمر سار فى إثره وتمـكن من القبض عليه ، وكان إسرائيل عندما أحسّ بأن الجيش يقترب منه قد قال للتركمانيين : اقطعا الأمل فى تخليصى ، واذهبا إلى إخوتى وقولا لهم : « اجتهدوا فى طلب المُلْك ، ولا تيأسوا ولو أصبتم بالهـــزيمة عشرات المرات ، وحذار أن تتراجعوا فإن السلطان محمودا ماهو إلا ابن عبد لا نسب له ، وهو رجل غدّار لن يبقى الملك له وستدول دولته على أيديكم » .

مثل : لاتثق بالدولة فإنها ظلٌّ زايلٌ، ولا تعتمدْعلى النعمة فإنها ضيفٌ راحل.

وحُمِلَ إسرائيل ثانية إلى القلعة ، وشدُّوا عليه القيود أكثر من قبل ، فظلَّ بها حتى أدركته الوفاة والتحق برحمة الله .

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]
— بغير شك . . . سيكون ماقدر له أن يكون

ولن ينقص بالتدبير ماقدر له أن ينمو ويكون . . . ! !

ــ والفاضل والجاهل . . . أمرهما سواء

وتستوى رأساهما فى النهاية فى جوف الغبراء . . . ! !

ــ ولقد تحدّث عن هذا الأمر واحدٌ من الأصفياء

يمتاز بالتقوى والحكمة والزهد والصفاء

ــ فقال : يارب ٍّ لاتقدِّر لمن يفرح لموت الناس

أن يعيش فى راحة ... واخمِدْ منه الأنفاس ... !!

ــ ولا يولد مخلوق إلّا ويكون حصاداً للموت

وإذا كان مصيرك الموت ــ فعلام الاهتمام والجزع ... ؟!

ــ وإذا استطعت أن تنجو من المصير المحتوم

جاز لك أن تفرح بموت الأعداء والخصوم . . . ! !

ــ وفى مثل هذا المعنى قال شيخ مجرب مقدام :

إذا فرحت بموت خصمك . . . فلا تَـمـتْ أنت أيها الهمام . . . ! !

ــ ولكن كل الناس ولدتهم أمهاتهم ليكونوا طعمة للردى والحمام

منذ زمان الأكاسرة إلى هذه الأيام ...!!

ــ بل إن البعوضة والفيل والنملة والذئب

لامنجاة لها من مخلب الموت ومنقار المنية . . . ! !

ــ ولو كشفت الأرض عن بوَاطن أسرارها ، وبيّـنت قوةَ مخالبها ومناجلها

ــ لرأيت أحضانها مليئة بالملوك والسلاطين [ص ٩٢]

ولرأيت صدرها مخضباً بدماء الفرسان والأبطال

ــ ولرأيت أطباقها مليئة بالعقلاء والفضلاء

وقد تخضبت الأرض بدمائهم ، وتمزق الرداء

ــ وسواء وضعت التاج على رأسك أو ازدان به مفرقك

فسيمرّ سهم الموت فيطيح بتاجك ويصرعك ...!!

ــ وإذا وجد شخص لايتعظ بموت الملوك العادلين

فإنه لا يكون إلا فاسد الأصل سيء العقل واليقين[١]

وكان « قتامش » بن اسرائيل يطوف متخفياً حوالى القلعة ، فلما بلغه الخبر بوفاة أبيه خرج عن طريق صحراء « سرخ كلاهان » من بلاد الهند حتى أتى «سجستان» ثم تحوّل منها حتى أتى إلى «بخارى» وحكى لأعمامه سائر الأحوال . وكان أعمامه يتأهبون لطلب الملك ويتحيَّنون الفرصة للانتقام .

مثل : من تعزز بالله لم يذلّه سلطان ، ومن توكل عليه لم يُضِرْهُ إنسان[٢]

ثم أرسلوا إلى السلطان محمود رسولا زودوه برسالة فحواها : « إن مقامنا أصبح يضيق بنا ، وإن مراعينا أصبحت لا تفي بحاجة مواشينا ، فأْذَنْ لنا أن نعبر النهر وأن نجعل مقامنا بين نسا وباورد»[٣] ولكن « أرسلان الجاذب » حاكم طوس الذى بنى رباط « سنگ بست » ودفن به ، قال للسلطان :[ص ٩٣] « ليس من الصواب أن تسمح لهم بالعبور إلى خراسان ، فإنهم فرسان كثيرون ، يملكون العدة والعتاد ، وإنى أخشى أن يكونوا سبباً فى متاعب لا يمكن تلافيها وتداركها ... !! »

[بيت فارسي في الأصل ، ترجمته :]

— من الخير فى كل أمر أن تطيل فيه التفكير والتحقيق
وأن تطيل المشورة وتنتصح برأى العاقل الصديق

---

(١) شه ص ١٦٤٩ س ١٢ — ١٧ و ٢١

(٢) فق ورقة ٦ (ا)

(٣) يستفاد من هذا البيان أن السلاجقة أرسلوا هذه الرسالة بعد وفاة اسرائيل ، وهذا سهو ظاهر فان السلطان محمود قبض على اسرائيل سنة ٤١٥ (بقول زين الأخبار) أو سنة ٤١٩ (وفقاً للمصادر الأخرى) وقد مات أسرائيل بعد سبع سنوات من تاريخ القبض عليه أى أنه مات فى سنة ٤٢٢ (أو سنة ٤٢٦ وفقاً للقول الثانى) . وقد اتفق المؤرخون على أن السلطان محمودا مات سنة ٤٢١ ، فكيف يكن للسلاجقة أن يرسلوا هذه الرسالة فى سنة ٤١٦ عندما كان السلطان محمود موجوداً فيما وراء النهر ، وهذا القول هو الصحيح كما يبدو .

ولكنّ السلطان محموداً لم يلتفت إلى قوله وقال : « إننى لا أهتم بأمرهم ، ولا خشية لى من أمثالهم ... ؟ ! »

ثم سمح لهم فعبروا النهر[١] ، ولزموا جانب الهدوء والسكينة طوال حياة السلطان محمود[٢] وفى هذه الأثناء نشأ ولدان لميكائيل بن سلجوق ، أحدهما « چغرى بك أبو سليمان داود » والآخر « أبو طالب طغرلبك محمد » .[ص ٩٤]

وفاز كلاهما بمكان الصدارة والتقـديم فى جيوش السلاجقة . فلما مات السلطان محمود بن سبكتكين فى سنة ثمان عشرة وأربع مائة[٣] أرسل السلاجقة رسولا إلى عميد نيسابور « سورى بن المعتز » الذى يرجع إليه الفضل فى بناء قبة الرضا رضى الله عنه[٤] ، يطلبون إليه أن يأذن لهم فى أن يتخذوا

---

(١) كان ذلك فى حدود سنة ٤١٦ أنظر ا ا ج ٩ ص ٣٢٣ ، تسك ص ٤٢٥

(٢) أما صاحب زين الأخبار وهو معاصر للسلطان محمود فقد كتب يقول إنه وقعت فى هذه الأثناء بين السلطان محمود والتركمان (يعنى السلاجقة) معركتان أخريان . وفيما يلى ننقل عبارته بتصرف واختصار .

« فلما وصلت سنة ٤١٨ إلى نهايتها خرج أهل نسا وباورد إلى الحضرة (أى مدينة غزنة) وشكوا إلى السلطان فساد التركمان ، وأمر السلطان محمود بكتابة رسالة إلى أمير طوس أبى الحرث ارسلان الجاذب وأمره أن يعاقب التركمان ... فنفذ أمير طوس حكم السلطان وأغار عليهم فتجمع التركمان وتقدموا إليه وحاربوه وقتلوا كثيراً من الناس وجرحوا كثيراً من الخلق ، وأغار عليهم أمير طوس بعد ذلك عدة مرات ولكنه لم يستطع أن يفعل شيئاً ... وتراسل السلطان محمود مع أمير طوس ، فأجابه الأمير قائلا : لقد قوى شأن التركمان ، ولا يستطاع دفع فسادهم إلا إذا خرج إليهم السلطان بشخصه ... فلما قرأ محمود هذه الرسالة ضاق صدره وجرد الجيش ثم خرج من غزنه فى سنة ٤١٩ فذهب إلى بست ثم سار منها إلى طوس ، وهنالك استقبله أميرها وبين له حقيقة الحال ، وأمر محمود بأن يخرج أمير طوس ومعه فوج كثيف من الجيش لمحاربة التركمان ، فما وصلوا إلى رباط فراوه تقابل الجيشان .. وكانت الغلبة لجيش محمود ، فأعملوا سيوفهم فى رقاب التركمان وقتلوا منهم أربعة آلاف من خيرة الفرسان ، وأسروا عدداً كبيراً منهم ، وفر الباقون إلى بلخان ودهستان .

(٣) هذا التاريخ خطأ ، لأن المؤرخين يتفقون على أن وفاة السلطان محمود وقعت سنة ٤٢١ هـ .

(٤) ارجع فى ذلك إلى تاريخ أبى الفضل البيهقى طبع كلكتا ص ٥١١

مقامهم فى هذه الأنحاء ، فأرسل العميد سورى الرسالة إلى السلطان مسعود بن محمود[١] وكان ينزل بجرجان لدى شرف المعالى نوشروان بن فلك المعالى قابوس بن وشمكير[٢] طمعاً فى الجزية التى كان يطلبها منه ، وانتظاراً لأموال الرى التى أراد أن يرسلها إليه العميد أبو سهل الحمدونى[٣] .

فلما قرأ « مسعود » رسالة « سورى » توجه إلى نيسابور ليفكر فى أمر السلاجقة ويدبر وسيلة للتغلب عليهم[٤] ، ولكن جيشه كان قد أصيب بوهن شديد بسبب السفر إلى مازندران ، وفسد سلاحه بسبب الرطوبة فعلاه الصدأ ، وضعفت دوابه لأنها لم تأكل علف الربيع ، وأحس مسعود أنه لا يستطيع أن ينهض إلى السلاجقة بشخصه ، فاختار جملة من أمراء جيشه[٥] ، زودهم بالعدة والعتاد وأرسلهم لقتالهم .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته]

ـــ وما عساك أن تفعل إذا لم تكن فى يدك الوسيلة ...؟!

يستوى الأمر إذا فعلت أو لم تفعل ... فما لك من حيلة . . . ! !

وسار ذلك الجيش ، ولم يكن السلاجقة متأهبين للقائه ، فأغار فجأة عليهم

---

(١) هى نفس الرسالة التى أرسلها إليه السلاجقة ونصها مذكور فى تاريخ البيهقى (طبع كلكتا ص ٥٧٩ وما بعدها)

(٢) يعنى فى شهر رجب سنة ٤٢٦ ، ارجع إلى تاريخ البيهقى ص ٥٧٩ وما بعدها

(٣) ذكر هذا الإسم فى النسخة الأصلية على أنه « أبو سعيد » وهذا سهو من الناسخين وذكر فى زبدة النصره على أنه « أبو سهل أحمد بن الحسن الحمدونى »

(٤) وصل نيسابور يوم الخميس الموافق ١١ رجب سنة ٤٢٦ ، (أنظر البيهقى ص ٥٩٠) وأنظر أيضاً ا ا ج ٩ ص ٣٢٥

(٥) كان عددهم عشرة من الأمراء على رأسهم « حاجب بكتغدى » وكدخداى خواجه حسين بن على بن ميكائيل « وكانت جملة الجيش خمسة عشر ألف فارس مجهزين بتمام العدة وألفى غلام من الخراس »

وأناخ بهم ولـكنه انشغل بجمع الأسلاب والغارة[1] [ص ٩٥]

مثل : الجاهل يطلب المال والعاقل يطلب الـكمال[2]

وعاود جيش السلاجقة الـكرة فوقعت بينهم و بين جيش مسعود معارك شديدة ، وانتهى الأمر بهزيمة جيش مسعود هزيمة منـكرة ، واستولى السلاجقة على ماقيمته عشرة ملايين من الدنانير من الألبسة والأسلحة والأمتعة والدواب [3]

وعُدْتُ بأموالهم ظافــراً كعَوْدِ الحُلِيّ إلى العاطل[4]

وقد وقعت هذه المعركة فى الفـــلاة الواقعة بين فراوه وشهر ستانه.[5] وكان من الاتفاقات الحسنة .

مثل : « الدولةُ اتفاقاتٌ حسنة »

أن انشغل قلب مسعود بالهند ، وكان من الواجب عليه فى هذه الأثناء الذهاب إليها ، فاضطر إلى أن يعقد الصلح مع السلاجقة[6] . وأخذ أمرهم بعد ذلك يعلو

---

(١) البيهقى ص ٥٩٩ ـ ٦٠٠ ، اا ج ٩ ص ٣٢٥ وزين الأخبار ورقة ١٣٥ (ب)، زت ورقة ٤ (ا)

(٢) فق ورقة ٤ (ب)

(٣) انظر البيهقى ص ٦٠١ — ٦٠٣ ويقول صاحب زين الأخبار هرب « حاجب بكتغدى » أثناء هذه المعارك وبقى حسين بن على بن ميكائيل وحيداً فظل يحارب حتى وقع فى أيدى التركمان . ثم يقول بعد ذلك : « إنه ظل لديهم حتى الآن (أى حتى سنة ٤٤٤ التى تم فيها تأليف كتاب زين الأخبار)

(٤) من قصيدة المتنبى فى مدح سيف الدولة ، تشتمل على ٥٢ بيتاً ومطلعها :

إلامَ طماعيةُ العــاذِل ولا رأىَ فى الحبِّ للعاقل

(٥) شهر ستانه بلدة بخراسان قرب نسا ، بينهما ثلاثة أميال (انظر معجم البلدان لياقوت)

٦) اا ج ٩ ص ٣٢٦ — ٣٢٧ ، ارجع إلى الرسالة التى أرسلها السلاجقة إلى السلطان مسعود بعد هذا الفتح (البيهقى ص ٦٠٨ ، وكان من نتيجة هذا الصلح أن أعطيت للسلاجقة ولاية نسا وفراوه ودهستان وأما بقية شروط الصلح وكيفية عقده فمذكورة فى كتاب البيهقى (ص ٦٠٧ — ٦١١)

بمرور الأيام ، فاشتد بأسهم وازدادت قوتهم ولاحت على صفحات أحوالهم أمارات الملك المؤيد بالتأييد الإلهى ، وعلامات الحكم الموفق بالعون الأزلى ، ومخايل السلطان المكلل بالعزم القوى ، وتلألأ من ناصية دولتهم [ص ٩٦] شعاع باهر انبعث من شمس إقبالهم ، وأشرق بطلوع أياتهم صباح مجدهم وعزتهم

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— اليوم الذى يكون به ثلج أو مطر ، يبدو حاله منذ فجره . . . ! !

مثل : من استعمل العدل حصَّن اللهُ ملكَه ، ومن استعمل الظلم عجَّل اللهُ هلكَه .

فلما عاد السلطان مسعود من بلاد الهند إلى غزنة[1] وعلم بارتفاع شأن السلاجقة وقوة شوكتهم أرسل رسولا إلى أمير خراسان برسالة يأمره فيها بوجوب محاربة السلاجقة و إبعادهم عن خراسان ، ولكن أمير خراسان[2] أجابه برسالة قال فيها : « إن أمر السلاجقة قد علا بحيث لا أستطيع أنا ولا غيرى أن نقاومهم ... !! » .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— لاتكلفنى بأمر ... إلا بقدر جهدى وطاقتى
ولاتضع علىّ حملا ...إلا بقدر مايحمله عاتقى[3] . . . ! !

---

(١) فى جمادى الأولى سنة ٤٢٩ ، وكان سبب ذهابه إلى الهند أنه أصيب فى صفر سنة ٤٢٨ بداء السرسام (الهلوسة) فنذر لله أنه إذا شفى من دائه ليذهبن إلى الهند ويغزو كفارها ويفتح قلعة « هانسى » التى لم يستطع أحد فتحها حتى هذا الوقت (البيهقى ص ٦٦٠) وكان الأمراء جميعاً يعترضون على ذهابه إلى الهند لأن بلاد خراسان كان قد وقع بها خلل عظيم بسبب السلاجقة ؛ ولكن مسعودا لم يستمع إلى رأيهم وسار بجيشه إلى « هانسى » وحاصرها واستولى عليها فى ربيع الأول سنة ٤٢٩ (البيهقى ص ٦٦٠ — ٦٦٥)

(٢) المراد به الحاجب الكبير « سباشى » فهو الذى أرسله مسعود إلى محاربة السلاجقة (البيهقى ص ٦٦٧)

(٣) من مناجاة نظامى فى مثنويته « خسرو وشيرين »

وظن السلطان أن أمير خراسان يتهرب من الأمر أو أنه يمهد الأمور لنفسه حتى إذا جد جديد استغل الموقف لصالحه ، فشدد عليه الأمر بأن يقوم بهذه المهمة فلم يكن لأمير خراسان بد من الطاعة والامتثال .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— وهكذا يجب الامتثال على أية حال
حتى تستطيع أن ترضى السلطان فى كل الأحوال ... !!

ونهض أمير خراسان وجهز الجيش ، ولم يكد يبدأ المعركة حتى أصابته الهزيمة(١) فلما انتهى السلاجقة من هذه المعارك اشتدت جرأتهم [ص ٩٧] وعظمت شوكتهم وانتشروا فى خراسان ، وأقبل طغرلبك إلى نيسابور فجلس فى الشادياخ على عرش مسعود(٢) . واضطربت حال الناس ولكن «طغرلبك» أمر منادياً أن ينادى أن السلاجقة لن يتعرضوا لأحد بالسوء أو بالأذى .

---

(١) وقعت هذه المعركة فى آخر شعبان سنة ٤٢٩ على باب مدينة « سَرَخْس » وجرح فيها الحاجب سباشى. (البيهقى ص ٦٧٥ — ٦٧٨) وكذلك ا ا ج ٩ ص ٣٢٧ — ٣٢٩

(٢) ارجع إلى البيهقى (ص ٦٨٧ — ٦٩٣) لمعرفة كيفية وصول ابراهيم بن اينال وطغرلبك إلى مدينة نيسابور وجلوس طغرلبك على العرش فى حديقة الشادياخ والخطبة له فى نيسابور

السلطان المعظم ركن الدنيا والدين

أبو طالب طغرلبك محمد بن ميكائيل بن سلجوق

مد الله ظله[1]

تولى السلطنة فى شهور سنة أربع وعشرين وأربعمائة[2] ، فنهج نهج الملوك الأسبقين ممن حمدت سيرتهم ، واستطاع أن يثبت قوانين الملك ورسوم السلطان .

قال « اردشير بن بابك »[3] : « حقيق على كل ملك أن يتفقد وزيره ونديمه وكاتبه وحاجبه ، فإن وزيره قوام ملكه ، ونديمه بيانُ عقله ، وكاتبه برهانُ فضله ، وحاجبه دليلُ سياسته »

ومتابعة لهذا القول المأثور ومجاراة لهذا الخبر المشهور ، اتخذ السلطان طغرلبك وسائر السلاطين الوزراء والحجاب وأصحاب المناصب . [ص٩٨]

فكان وزراؤه عبارة عن « سالار بوزكان أبى القاسم الكوبانى » و « أبى أحمد الدهستانى عمروك » و « عميد الملك أبى نصر الكندرى[4] » .

---

(١) كذا (!)

(٢) يبدو أن هذا سهو من النساخ ، ويجب أن تصحح كلمة « أربع » إلى كلمة « تسع » فان المؤرخين يجمعون على أنه تولى السلطنة ٤٢٩ هـ

(٣) هو أول ملوك آل ساسان من ملوك الفرس ، ملك أربع عشرة سنة (٢٢٦ — ٢٤٠ ميلادية)

(٤) كتب ابن الأثير فى ذيل حوادث سنة ٤٣٦ ما يأتى : « وفيها استوزر السلطان طغرلبك وزيره أبا القاسم على بن عبد الله الجوينى وهو أول وزير وزر له ثم وزر له بعده رئيس الرؤساء أبو عبد الله الحسين بن على بن ميكائيل ثم وزر له بعده نظام الملك أبو محمد الحسن بن محمد الدهستانى وهو أول من لقب نظام الملك ثم وزر له بعده عميد الملك الكندرى وهو أشهرهم . أما عماد الدين الكاتب الاصفهانى فعلى خلاف ذلك يقول فى زبدة النصرة ونخبة العصرة : « أن عميد الملك أبا نصر محمد بن منصور الكندرى هو أول وزراء السلجقية »

وأما حاجبه فهو « الحاجب عبد الرحمن الب زن الآغاجى[١] » .

وكان توقيعه هكذا (ـــے) على شكل الدبوس .

وكانت مدة ملــكه ستا وعشرين سنة .

ولقد كتب الله له السعادة الأبدية ، ووهبه فى الدنيا والعقبى منزلة الأخيار والأبرار ، فجعله حريصاً على إعلاء معالم الشرع والدين ، غيوراً على تقديم مصالح الإسلام والمسلمين . فدخل مُلْك العالم فى قبضة اقتداره ، وأصبح أهل العالم غرقى فضله وإحسانه ، يثنون على عدله ويشكرون إنصافه ، وانتصر مُلك الإسلام برأيه الصائب ، وأشرقت شمس العزة والحشمة على كافه الناس فى مشارق الأرض ومغاربها . ولقد امتلأ وجه الأرض بالعمائر التى أقامها آل ساجوق وبأبنية الخيرات التى أنشأوها فلم تبق مدينة من مدن الإسلام خالية من هذه المؤسسات لأنهم كانوا يعتبرونها من أمهات المهمات التى خصوها بالتفضيل والتقديم .

***

سمعت أنه عند ما أقبل السلطان طغرلبك إلى مدينة همدان كان بها ثلاثة من الأولياء هم « بابا طاهر » و « بابا جعفر » والشيخ « حمشا »[٢] وكانوا يقفون على جبل هناك على باب همدان يعرف باسم « الخضر » فلما وقع نظر السلطان عليهم تَرَجَّل عن جواده وأخذ كوكبة من العسكر ثم سار ومعه وزيره أبو نصر الــكندرى حتى أتاهم وقبل أيديهم ، وكان « بابا طاهر » مجذوباً فقال له :[ص٩٩] أيها التركى .. ماذا عساك فاعلٌ بخلق الله .... !!

(١) الآغاجي كلة تركية معناها الحاجب أو الخادم الخاص للسلاطين وهو الواسطة فى إبلاغ المطالب والرسائل ، يحملها من الملك ليبلغها إلى أعيان الدولة أو العكس (حواشى چهار مقاله وضع ميرزا محمد قزوينى ص ١٣٠)

(٢) كذا فى الأصل ولعله « حمشاد »

قال السلطان : ما تأمرنى به .... !!

قال بابا طاهر : افعل ما أمر الله به عند ما قال « إن الله يأمر بالعدل والإحسان ...[١] » .

فبكى السلطان وقال : سأفعل ذلك .

عند ذلك تناول بابا طاهر يد السلطان وقال : هل تقبل عهدى .. ؟

قال السلطان : نعم إنى أقبله .

وكان بابا طاهر يضع فى إصبعه رأس ابريق مكسور اعتاد أن يتوضأ منه سنوات طويلة ، فأخرجه من إصبعه ووضعه فى إصبع السلطان وقال له : لقد وضعت فى يدك ملك العالم فالزم العدل . فكان السلطان يحمل دائماً رأس الإبريق بين التعاويذ التى يحملها فإذا قامت معركة من المعارك أخرجه ووضعه فى إصبعه[٢] .

وعلى هذا النحو كان صفاء عقيدته وطهارة معتقده ، فلم يوجد من هو أكثر منه تديناً وحرصاً على الشريعة الإسلامية .

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— ومن الهبات التى جعلها الله رحمة عامة ، أنه خلق رجلين اسمهما محمد

— أحدهما كانت ذاته ختماً للنبوة ، والآخر كانت حياته ختماً للملوك

— أحدهما قمر يزدهر إلى الأبد فى أبراج العرب

والآخر ملك خالد فى ممالك العجم

---

(١) سورة النحل آية ٩٢

(٢) انظر ماكتبه الأستاذ براون بصدد هذه الحكاية فى الجزء الثانى من كتابه Literary History of Persia Vol 11.

ص ٢٦٠ — ٢٦١ وانظر كذلك الترجمة العربية التى نشرها الدكتور ابراهيم أمين الشواربى لهذا الجزء بعنوان « تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسى إلى السعدى ص ٣٢٤ — ٣٢٥

— أحدهما حرر الدين من الظلم والعسف ، والآخر عمر الدنيا بالعدل والإنصاف
— فما أحسن هذا الإسم . . . فقد استطاعت ميماه
أن تجعلا كلا العالمين يخضعان له
— ولقد حسده العالم فانقسم إلى نصفين ، فللعالم ميم واحدة ، وأما هو فله ميمان
— والعلم لدى الأتراك نافذ الأمر
لأن إحدى ميمك وهبتهم العلم والأخرى التاج[١]

فلما تقررت السلطنة للسلطان طغرلبك وأخذت عظمته تزداد يوماً بعد يوم ، بلغ الخبر مسعوداً فأقبل من غزنة فى جيش جرار تام العدة والعتاد ، سالكا طريق « بُشْت » و « تكيناباذ » حتى جاء إلى خراسان قاصداً الثأر [ص ١٠٠] والانتقام[٢] .

مثل : ليس من عادة الكرام سرعة الانتقام ، ولا من شرط الكرم إزالة النعم[٣] .

وكان طغرلبك عند ذلك فى مدينة طوس ، منفصلا عن أخيه ، فأراد السلطان مسعود أن يغير عليه وأن يمنع اتصال الأخوين ، فلما أرخى الليل سدوله ركب فيلة سريعة العدو واتجه إلى طوس مع فريق من فرسانه[٤] وكانت المسافة إلى طوس تبلغ خمسة وعشرين فرسخاً فغلبه النعاس وهو على ظهر الفيلة[٥] .

[مصراع فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— أخشى أن تستيقظ بعد ما يكون النهار قد طلع[٦]

---

(١) من قصة خسرو وشيرين لنظامى فى مدح الأتابك محمد بن إيلدكز
(٢) شرح ذلك فى البيهقى طبع كلكتا ص ٦٩٧ — ٧١٣
(٣) فى ورقة ١٠ (ا)
(٤) كان ذلك فى شهر صفر سنة ٤٣١ ؛ أنظر البيهقى ص ٧٥٦
(٥) أنظر البيهقى ص ٧٥٧
(٦) من الرباعية التى كتبها وزير السلطان طغرل بن ارسلان ليحذره فيها (تسكك ص ٤٧٧ ؛ وتاريخ جهانكشاى ج ٢ ص ٣٢)

فلم يستطع أحد أن يوقظه أو أن يسوق الفيلة فى سرعة ، فلما طلع النهار بلغه الخبر أن طغرلبك قد لحق بأخيه چغرى بك ، فثار السلطان وأنزل عقوبته بعروض الفيلة .

مثل : والفايتُ لا يُسْتَدْرَكُ .

وعاد مسعود وتهيأ للحرب وتلاقى مع السلاجقة فى الصحراء الواقعة بين « سرخس » و « مرو »[1] ، وكانت فى هذه الصحراء جملة من الآبار فاستنزف السلاجقة ماءها ثم طموها .

مثل : نظرُ العاقل بقلبه وخاطره ، ونظرُ الجاهل بعينه وناظره[2] .

ووقع جيش مسعود ودوابه بسبب ما أصابهم من عطش فى شدة النكبة والبلاء فلم يستطيعوا الصبر على ضربات السيوف وانتهى الأمر بهزيمتهم .

مثل : من رضى بالمقدور قنع بالميسور[3] .

ونظر مسعود فوجد نفسه وحيداً ، فأدار عنانه وامتطى ظهر الفيلة [ص ١٠١] لأن الجواد لم يكن يحمله إلا بصعوبة ، وولى مهزوما تاركا خزانته وأمتعته وسائر ما يمتلك ، قانعاً بالفرار والنجاة[4] .

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— ومن الذى يدرى بما يحويه الدهر من رفعة وانخفاض وتقلبات عديدة
وأن الدهر سيبديها جميعها فى أيامه الطويلة المديدة ... ؟ !

---

(١) وقعت هذه المعركة فى مكان اسمه « دندانقان » فى الثامن من رمضان سنة ٤٣١ (انظر البيهقى ٧٧٧ وما بعدها) وكان البيهقى نفسه حاضراً فيها وشاهدها بعينه . كذلك انظر ا ا ج ٩ ص ٣٢٩ — ٣٣٠

(٢) فق ورقة ٤ (ب)

(٣) فق ورقة ٥ (أ)

(٤) البيهقى ص ٧٨٣ — ٧٨٥

— وأن اندفاع الدهر وجريانه الطويل العظيم
ليجعل الكلام يندفع بغير تصميم[١] ... !!
— ولقد اقتلعت قلبي عن هذه الدنيا الفانية
لكثرة مابها من آلام وشدائد ومتاعب متوالية[٢]
— ومن الحق أن أحكى لك قصة طريفة
تظل مؤنسة للعاقل بمعانيها اللطيفة
— حذار أن تمدد يديك حرصاً وطمعاً فى الانتقام
وحذار أن تتخذ من منزلك المثر والمغام ... !!
— فالدنيا دار فانية ، مليئة بالمجىء والذهاب
يشيخ فيها واحد ، ويولد فيها آخر غض الأهاب
— يجيئها واحد ، ويذهب عنها آخر ،
ويبقى زماناً يشرب ويرعى وهو عابر[٣]
— وهكذا طبيعة الدنيا ومافطرت عليه من بناء
تأخذ بيد وتعطى بالأخرى ما تشاء[٤] ... !!

وبينما كان السلطان مسعود يفر مهزوماً تعقبه جماعة من التركمان ، فنزل مسعود عن ظهر الفيلة وامتطى صهوة جواده وحمل عليهم وضرب بدبوسه فارساً منهم فاستطاع أن يطيح به وبجواده ، فكانت أفواج العسكر التى تصل إليه بعد ذلك وترى ما وقع بزميلهم من جراح لا تستطيع أن تمر من أمامه[٥] .

مثل : الفضل بالعقل والأدب ، لا بالأصل والنسب .

وفى هذه الأثناء قال قائل لمسعود : كيف يهزم من يستطيع أن يثخن عدوه بهذه الجراح.. ؟!! فأجابه مسعود قائلا : هكذا الجراح ولكن الإقبال مالاح ..!!

---

(١) شه ص ٧٥١ س ٢٧ — ٢٨
(٢) أيضا ص ٧٩٦ س ١٩
(٣) شه ص ٢٠١٤ س ١٤ — ١٦
(٤) أيضا س ١٥٤ س ١٦
(٥) البيهقى ص ٧٨٢ — ٧٨٣

مثل : عداوة العاقل خير من صداقة الجاهل [١] .

[بيت فارسى فى الأصل ترجمته :]

— لما كان العدو العاقل خيراً من الصديق

فإن العلم لزام للصديق والعدو على وجه التحقيق[٢]

فلما أحرز السلاجقة النصر فى هذه المعارك ازدادوا قوة ، ولحقت [ص١٠٢] بهم جيوشهم المتفرقة فى أطراف خراسان ، فاشتدّ وقعهم فى القلوب ، وتقرر الملك لهم ، وسخرت الدنيا لإمرتهم واستحقوا السلطان عن جدارة واستحقاق .

قَضَى الله أمراً وجَفَّ القلم[٣]   وفيما قَضَى ربُّنَا ما ظَلَمَ

واجتمع بعد ذلك الأخوان : « چغرى بك » و « طغرلبك » مع عمهما موسى بن سلجوق الذى يطلق عليه اسم «يبغوكلان» ومع أبناء أعمامهم وكبار قومهم وقواد جنودهم وتعاهدوا على الاتحاد والتعاون فيما بينهم . ولقد سمعت أن « طغرلبك » أعطى لأخيه سهماً وقال له اكسره ، فتناول أخوه السهم وكسره فى هوادة ، ثم جمع له سهمين فكسرهما أيضاً فى هوادة ، ثم أعطاه ثلاثة فكسرها بصعوبة ، فلما بلغ عدد السهام أربعة تعذر عليه كسرها . فقال له طغرلبك : إن مثلنا مثل ذلك ، فإذا تفرقنا هان لأقل الناس كسرنا ، وأما إذا اجتمعنا فلا يستطيع أحد أن يظفر بنا . فإذا نشأ خلاف بيننا لم يتيسر لنا فتح العالم ، وتغلّب علينا الأعداء وذهب الملك من أيدينا .

[بيتان من الشعر الفارسى ترجمتهما :]

— إذا تساند أخوان واتحد شقيقان ، هان الجبل الصلد فى قبضتهما ولان . . . !!

(١) فق ورقة ٤ (ب)

(٢) شه ص ١١١٨ س ٣

(٣) لعله إشارة إلى الحديث المعروف : « جف القلم على علم الله وجف القلم بما أنت لاق » البخارى طبع ليدن ج ٤ ص ٢٥١

— والقلب الذى تجرحه أفعال الإخوان ، لاينفع فيه علاج الأطباء مهما كان . . .!!

مثل : لا سايس مثل العقل ، ولا حارس مثل العدل ، ولا سيف مثل الحق ولا قول مثل الصدق[١] .

وقد كتبوا عند ذلك جرياً على مقتضى العقل والكفاية ، كتاباً إلى أمير المؤمنين القائم بأمر الله[٢] قالوا فيه : إننا معشر آل سلجوق قوم أطعنا دائماً الحضرة النبوية المقدسة وأحببناها من صميم قلوبنا ، ولقد اجتهدنا دائماً [ص١٠٣] فى غزو الكفار و إعلان الجهاد ، وداومنا على زيارة الكعبة المقدسة ،وكان لنا عم مقدم محترم بيننا اسمه إسرائيل بن سلجوق ، قبض عليه يمين الدولة محمود ابن سبكتكين بغير جرم أو جناية ، وأرسله إلى قلعة « كالنجر » ببلاد الهند ، فبقى فى أسره سبع سنوات حتى مات ، واحتجز كذلك فى القلاع الأخرى كثيراً من أهلنا وأقاربنا . فلما مات محمود وجلس فى مكانه ابنه مسعود لم يقم على مصالح الرعية واشتغل باللهو والطرب .

مثل : من آثر اللهو ضاعت رعيته ، ومن آثر الشرب فسدت رويته[٣] .

فلا جرم إذا طلب منا أعيان خراسان ومشاهيرها أن نقوم على حمايتهم ، ولكن مسعوداً وجه إلينا جيشه فوقعت بيننا وبينه معارك تناوبناها بين كر وفر وهزيمة وظفر[٤] حتى ابتسم لنا الحظ الحسن فانحاز إلينا آخر عون لمسعود ومعه جيش جرار وظفرنا بالغلبة بمعونة الله عز وجل بفضل إقبالنا على الحضرة

---

(١) نق ورقة ٤ ب

(٢) كان ذلك فى سنة ٤٣٢ : ترجمة طبقات ناصرى ص ١٣٢) كذلك زن ص ٧ — ٨

(٣) نق ورقة ١٨ ب)

(٤) وقعت بين السلاجقة وبين جند مسعود قبل موقعة دندانقان موقعتان فى سنة ٤٣٠ وقد انهزموا فيهما معا (البيهقى ص ٤١٢ وما بعدها)

النبوية المقدسة المطهرة ، وانكسر مسعود وأصبح ذليلا ، وانكفأ علمه وولى الأدبار تاركاً لنا الدولة والإقبال .

مثل : من أطاع الله مَلَكَ ، ومن أطاع هواه هَلَكَ[١]

وشكراً لله على ما أفاء علينا من فتح ونصر ، فنشرنا عدلنا وإنصافنا على العباد وابتعدنا عن طريق الظلم والجور والفساد ، ونحن نرجو أن نكون فى هذا الأمر قد نهجنا وفقاً لتعاليم الدين ولأمر أمير المؤمنين » .

مثل : من جعل ملكه خادماً لدينه انقاد له كل سلطان ، ومن جعل دينه خادما لملكه طمع فيه كل إنسان[٢] .

وأرسل السلاجقة هذه الرسالة إلى الخليفة على يد المعتمد [س: ١٠] « أبى إسحاق الفُقَّاعى »[٣] وكان وزيرهم فى ذلك الوقت ومدبر أمورهم ومنفذ أوامرهم هو الوزير « أبو القاسم الكوبانى »[٤] .

وما لبثوا بعد أن أنفذوا هذه الرسالة ، أن قسّموا الولايات وعينوا على كل ناحية واحداً من كبارهم والمقدمين فيهم ، فاتخذ « چغرى بك » وكان أكبر أخوته مدينة « مرو » داراً لملكه واختص بأكثر خراسان ؛ وتنصب « موسى كلان » على ولاية بُست وهرات وسجستان وما يجاور ذلك من النواحى التى يستطيع فتحها ؛ وتنصب « قاورد » وهو أكبر أولاد « چغرى بك » على ولاية الطبسين ونواحى كرمان .

---

(١) فق ورقة ٦ ب
(٢) أيضا ورقة ٧ ا
(٣) زن ص ٨
(٤) يعرف أيضا باسم « سالاربوركان » ، راجع أيضاً إلى تسكك ص ٣٧ ؛

ثم جاء طغرلبك إلى العراق ومعه أخوه من أمه « ابراهيم بن ينال »[١] ، وابن أخيه « ياقوتى » بن چغرى بك داود[٢] ، وابن عمه «قتلمش بن إسرائيل» ، وتيسر له استخلاص مدينة « الرى » فاتخذها داراً للملك ثم أرسل إبراهيم ابن ينال إلى مدينة «همدان» والأمير ياقوتى إلى أبهر وزنجان ونواحى اذربيجان ، والأمير قتلمش إلى جرجان ودامغان[٣] .

حكمة : أى ملك أحسن إلى كفاته وأعوانه ، استظهر بملكه وسلطانه[٤] .

وأما ابن أخيه « ألب أرسلان محمد بن چغرى بك داود » فقد لزم خدمته وبقى معه ليدبر له المهمات والمعضلات مؤثراً رضاه متحرياً فى ذلك ما يراه ، متمثلا بقول الشاعر[٥] : [ص ١٠٥]

رضَاك رضايَ الذى أُوثِر وسرُّك سِرِّى فما أُظْهِرُ

فلما وصلت رسالة السلاجقة إلى دار الخلافة أرسل أمير المؤمنين القائم بأمر الله ، إلى طغرلبك فى مدينة الرى رسولا معه «هبة الله بن محمد المأمون»[٦]

---

(١) يكتب هذا الإسم فى كتب التواريخ بأشكال مختلفة مثل نيال وبنال ونيال وينّال وينّال ، وايناك وبرى الأستاذ هوتسما أن الإسم الصحيح هو « اينال » (أنظر زن ص ٨) ومعناها فى التركية « رئيس القبيلة »

(٢) فى الحقيقة إن « ياقوتى » هو ابن أخي طغرلبك ولكن ابن الأثير ذكر فى أحد المواضع (ج ٩ ص ٣٢ ٤)أنه أخي طغرلبك وذكر فى موضع آخر (٩ ص ٤٤ ٤) أنه ابن أخيه ، وأعجب من ذلك السهو الوجود فى « زبدة النصرة » حيث يقول فى صفحة ١٣ وأخوه (يعنى أخو طغرلبك) هو ياقوتى بن داود » ومعنى ذلك أنه جعله فى نفس الوقت أخاه وابن أخيه

(٣) لبيان تقسيم الولايات إرجع إلى زن ص ٨ ، تسك ص ٤٣٧ وترجمة طبقات ناصرى ص١٣٢ ففيها اختلاف يسير ، وأما (زت) فتتفق تماما مع زن وتقول (وكل ذلك فى سنة٤٣٠)

(٤) فق ورقة ٢١ ــ ا

(٥) مطلع قصيدة للمتنبي (الديوان طبع برلين ص ٥١١)

(٦) زن : أبو محمد هبة الله بن محمد بن الحسن بن المأمون ، تسك ص ٣٥٤ : القاضى عبد الله الهاشمي

وزوده بالرسائل الطيبة ؛ وكان الخليفة يختص هبة الله بودّه وإخلاصه ، فأمره بأن يتقرب من طغرلبك حتى يحضره إلى بغداد لتتشرف دار الخلافة بحضوره ، فإن فرصة الوصال سريعة العبور كومضة الخيال . ولكن هبة الله أقام لدى طغرلبك ثلاث سنوات لأنه كان مشغولا بفتح النواحي والولايات ولم يفرغ لزيارة بغداد . فلما كانت سنة سبع وثلاثين وأربعمائة[1] أمر أمير المؤمنين بأن يخطب باسم طغرلبك على منابر بغداد[2] وأن ينقشوا اسمه على السِّكَّة . ولقبوه هكذا « السلطان ركن الدولة أبو طالب طغرلبك محمد بن ميكائيل يمين أمير المؤمنين » .

مثل : مَنْ شَرُفَ ذَاتُهُ كَثُرَ حَسنَاتُه[3]

وذكروا بعد اسمه اسم الملك الرحيم أبي نصر بن أبي الهيجا وألقابه[4] .

وفي رمضان من تلك السنة[5] قصد طغرلبك إلى بغداد فأرسل إليه أمير المؤمنين كثيراً من الأموال والهدايا وذهب الملك الرحيم إلى النهروان لاستقباله فأمر بالقبض عليه وأرسله مقيداً إلى قلعة طبرك بالري .

مثل : من عفا عما يستوجب العقوبة كان كمن عاقب من [س١٠٦] يستوجب المثوبة[6]

وبهذا استراحت الرعية وأكثروا من الدعاء لطغرلبك .

مثل : من صار لرعيته أبا ، صار لجنده ربا[7]

---

(١) هذا سهو ويجب أن تكون سنة أربعين وأربعمائة كما تتضح صحة ذلك فيما بعد

(٢) ارجع إلى ا١ ج ٩ ص ٤١٩ ، تك ص ٤٣٧

(٣) فق ورقة ٢٣ ب (المراجع) هذا مثل للأسلوب العربي الذي يكتبه الفرس فلا يراعون فيه المطابقة بين الفعل والفاعل من حيث التذكير والتأنيث

(٤) ا١ : أبي كاليجار

(٥) أي سنة ٤٤٧ كما يستفاد من زن ص ١٠ ، ا١ (ج ٩ ص ٤١٨ — ٤١٩)

(٦) فق ورقة ٢٠ (١)

(٧) أيضا ورقة ١٨ (١)

ولما وصل طغرلبك إلى بغداد ذهب أولا إلى باب الحرم والسدة الشريفة وقدم فروض الطاعة والتعظيم ، فلما انصرف عائداً ونزل بباب النوبى أرسل أمير المؤمنين فى عقبه الهدايا الغالية وكثيراً من الأموال والنعم[1] .

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته[2] :]

— فلما علم الخليفة بمقدمه (أى مقدم طغرلبك) ، أسرع إلى استقباله وخدمته

— ووزع فى استقباله الأموال الوفيرة وخلع عليه الخلع الكثيرة

وهيأ لاستقباله الجيش كامل العدة والأهبة

— وأرسل الهدايا الملكية الغالية ، تأدباً وتكريماً إلى خزانته (طغرلبك)

— فكان بينها الديباج والحرير والغلمان والجواهر والكنوز

وتعبت أقلام الكتاب لكثرة ماخطوه من أوامر . . . !!

— ووضعوا له فى الحرم كرسياً (عرشاً)

فجلس عليه (طغرلبك) ووقف باقى القوم

— وسأله الخليفة عن حاله ، ودعا الله أن يطيل عمره ويجدده

— وقال له : إنى دعوتك إلى هذه الضيافة حتى تعلم مقدار حبى

فلا جعل الله شيئاً يسوءك فى هذه الضيافة . . . !!

— وكانت هذه الأطراف من البقاع الحارة ، والماء والعلف يكثران فيها

— فاختار بقعة طيبة فيها ، وأنزلوا هناك عتاده ، ونصبوا له هنالك العرش والتاج

— ولم يأل الخليفة جهداً فى إكرام هذا الفاتح الكبير

ولم يرتكب فى حقوق خدمته أى تهاون أو تقصير . . . !!

ثم ولاه الخليفة حكم العالم وقرر له السلطنة على ممالك العراقين والجبال (قهستان) .

---

(١) كان ذلك فى سنة ٤٤٩ عندما دخل طغرلبك بغداد المرة الثانية ولم يكن ذلك فى سنة ٤٤٧ (ارجع إلى زن ص ١٣ — ١٤ ، اا ج ٩ ص ٤٣٥)

(٢) من مثنوية خسرو وشيرين الشاعر نظامى فى الفصل المتعلق بكيفية وصول خسرو إلى مهين بانو (خمسه نظامى طبع طهران ص ٧٨)

. حكمة : إذا وليتَ فولِّ الوفىَّ الملىَّ الذى تحسنُ كفايتُه وغناؤه ، [س١٠٧] وتجمُل رعايتُه ووفاؤُه ، ويَعلَمُ بواطنَ الأمور وظواهرَها ، فاترُكِ الرعايةَ ، واطلبْ الكفايةَ ، فالرعايةُ توجب العناية ، والكفاية توجب الولاية . فالولاة أركان الملك وحصون الدولة وعيون الدعوة ، بهم تستقيم الأعمال وتجتمع الأموالُ، ويقوىٰ السلطانُ وتعمر البلدان ، فإن استقاموا استقامت الأمور ، وإن اضطربوا اضطربَ الجُمْهور »[1] .

[بيت فارسى فى الأصل ترجمته :]

— إذا ولّيتَ فولِّ شخصاً يتصف بالوفاء والكفاية

فلما عاد طغرلبك من بغداد خرج « البساسيرى » على الخليفة فى سنة تسع وأربعين وأربعمائة[2] وكان قائد جيشه فى بغداد . فأرسل أمير المؤمنين إلى طغرلبك يستدعيه إلى بغداد ويتعجله إليها . وما كاد طغرلبك يتجه إليها حتى هرب «البساسيرى» ومن معه من الجند الثائرين إلى الشام . وفى الطريق تخلف « ابراهيم بن اينال » عن السلطان طغرلبك وقصد إلى همدان طالباً الملك فذهب السلطان فى إثره وتعقبه حتى قتله[3]

مثل : من علامات الدولة قلة الغفلة[4]

ولما علم البساسيرى برجوع السلطان عاد إلى بغداد .

مثل : من أشد النوازل دولة الأراذل [5]

---

(١) فق ورقة ١٩ — ب

(٢) كانت هذه الحادثة فى سنة ٤٥٠ بناء على ما جاء فى زن (ص ١٥) و ١١ (ج ٩ ص ٤٣٩)

(٣) كان ذلك فى التاسع من جادى الآخرة سنة ٤٥١ (ارجع إلى ١١ ج ٩ ص ٤٤٠ و ٤٤٤ وكذلك زن ص ١٥ و ١٦)

(٤) فق ورقة ١٧ — ا

(٥) أيضا ورقة ٢٣ ب

وانضم إلى البساسيرى عند ذلك «قرواش بن المقلد» حاكم الموصل[١] و«ابن مَزْيَدْ جدّ دُبَيْس»[٢] و«قريش بن بدران» وحاصروا الخليفة فى حرمه وأسروه [ص ١٠٨] وقتلوا رئيسَ الرؤساء[٣] وكان وزيراً يمتاز بكمال الفضل والنبل والكرم والكفاية شر قتلة. ثم أرسلوا الخليفة إلى عانه وأودعوه لدى شخص عربى اسمه «مهارش»[٤] وظلوا سنة بعد ذلك يخطبون فى بغداد باسم المصريين[٥]

مثل : من شر الاختيار مودة الأشرار ، ومن خير الاختيار صحبة الأخيار .

فلما حدث ذلك اشتدت عداوة الناس للبساسيرى .

مثل : من طال تعديه كثر أعاديه[٦]

وفر «ايتكين السليمانى» شحنة بغداد ، وجاء إلى حلوان ، فوصلته هنالك رسالة من الخليفة طلب إليه فيها أن يبلغها إلى السلطان طغرلبك . وكان قد كتب فى هذه الرسالة ما يأتى : « بحق الله أدرك الإسلام فقد ساد العدو اللعين وأخذ ينشر مذهب القرامطة » .

فلما وصلت رسالة الخليفة ورسالة ايتكين إلى السلطان غضب كثيرا وقال إن هذه الحركات دليل على دناءة أصله .

---

(١) إن ذكر قرواش بن المقلد فى هذا المكان خطأ واضح فإنه توفى فى سنة ٤٤٤ أى قبل هذه الحادثة بست سنوات (ارجع إلى ا ا فى حوادث سنه ٤٤٤) وسائر كتب التاريخ لاتذكره فى هذه الحادثة .

(٢) لاشك أن المقصود هو نور الدولة دبيس بن على بن مَزْيَد الأسدى (ارجع إلى زن ص ١٢ و ا ا ج ٩ ص ٤٢٠) وأما ماذكر فانه فى الغالب من سهو الناسخ

(٣) المقصود به أبو القاسم على بن مسلمة وزير القائم بأمر الله

(٤) زن ، ا ا مهارش بن مُجَلّى وهو ابن عم قريش بن بدران

(٥) المراجع : قرئت الخطبة باسم المستنصر الفاطمى .

(٦) فق ورقة ١٠ ب

مثل : من رضى من نفسه بالإساءة ، شهد على أصله بالدناءة[1] .

وأمر السلطان وزيره عميد الملك أبا نصر الكندرى أن يكتب رسالة إلى اينكين يأمره فيها بالمحافظة على الطرق وأن يترقب وصوله فهو حاضر فى إثر هذه الرسالة ، كما أمره أن يبعث برسالته إلى الخليفة حتى تحصل له السكينة والطمأنينة،واستدعى عميدالملك الصفى أبا العلاء حسّول[2] — وهو بقية الكتاب

---

(١) دق ورقة ٩ ا

(٢) توجد سيرته فى تتمة اليتيمة للثعالبي (نسخة باريس رقم ٣٣٠٨ عربى ورقة ٢ ٣ ٥ ١ ا) ودمية القصر للباخرزى (نسخة المتحف البريطانى رقم ٩٩٩٤ Add ورقة ٤ د ب) والواف بالوافيات للصفدى (نسخة المتحف البريطانى رقم د ٦٦٤ Or ورقة ١٤١ ب) وفوات الوفيات لابن شاكر (ج ٢ ص ٢٣٩)

وقد كان الثعالبي والباخرزى معاصرين له ولذا وجدنا من الخير أن تنقل عنهما ما كتباه عنه .

(قال فى تتمة اليتيمة للثعالبي) وهو الاستاذ أبو العلاء محمد بن على بن الحسن (سهو صحته حَسُّون) صفى الحضرتين ، أصله من همدان ومنشأه الرى ، وأبوه أبوالقاسم من ضرب به المثل فى الكتابة والبلاغة ... وأبو العلاء اليوم من أفراد الدهر فى النظم والنثر وطالما تقلد ديوان الرسائل وتصرف فى الأعمال الجلائل وحين طامت الراية المحمودية بالرى أجِيلَ وُبجِّلَ وُشرِّفَ وُصرِّفَ وأنْهِضَ فى صحبتها إلى الحضرة بغزنة . ولما ألقت الدولة المسعودية شعاع سعادتها على مقر الملك ومركز العزيد فى إكرام أبى العلاء والإنعام عليه وأوجب الرأى أن يُرَدَّ إلى الرى على ديوان الرسائل بها خلعَ عليه وسرِّح أحسن سراح ، ولقيته بنيسابور فاقتبست من نوره واغترفت من بحره ، وهو الآن بالرى فى أجلّ حال وأنعم بال » .

(وجاء فى دمية القصر للباخرزى) :

« الوزير الصفى أبو العلاء محمد بن على بن حسون من علية الكتاب والداخلين على أنواع الفضل من كل باب ... لقيته بالرى فى داره بدرب زامهران وأنشدته قصيدتى :

يا حادى العيس رفقاً بالقوارير   وقف فليس بعار وقفة العير

فأعجب بها وتعجب منها ، وقال لولا وهن ركبتى لرقصت على نسيبه فهذا كلام كله طيب وليس لداء الركبتين طبيب ... ومما دار بينى وبينه أنه كان أنشأ رسالة فى تفضيل الخز على البرد فناقضته برسالة على الضد ، فقال لى : ما يفضل البرد إلا بارد ..!! فقلت : ولا السخنة إلا سخين عين ..! فبقى كالمبهوت ملجما بالسكوت ، وأنا ألاينه على خشونته وأوارده على كدورته ، مثنٍ على معاليه بلسان الإنصاف غير طاعن فيه بسنان الانتصاف لما أنشدنى فى دار الكتب بالرى سنة ٤٤٣ ... الخ » .
=

الفضلاء — وأعطاه رسالة ايتكين ، وصور له كيفية الحال وأمره أن يكتب إجابة مختصرة لهذه الرسالة بحيث إذا عرضت على الخليفة وثق من أننا قادمون مع جندنا فى إثرها . [ص١٠٩]

مثل : قوه اليقين من صحة الدين ، وحسن التقى من أفضل النهى[1] .

وأخذ الصفى أبو العلاء الرسالة وكتب على ظهرها الآية التالية « إرْجَعْ إليهم فَلنَأْتِيَنَّهمْ بجنودٍ لا قِبَلَ لهُمْ بِهَا ولَنُخْرِجَنَّهم منها أذلةً وهمْ صاغِرُون[2] » . فلما عرض عميد الملك هذا الجواب على السلطان طغرلبك وبين له معناه ، أعجب السلطان به كثيراً وقال « هذا فأل حسن وبمشيئة الله سيكون الحال على هذا المنوال.. ثم أمر للصفى أبى العلاء ببغلة من دوابه الخاصة وبثوب فاخر .

مثل : خير الأموال ما استرق حراً ، وخير الأعمال ما استحق شكراً[3]

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته[4]]

— إن الوزير يجب أن يكون عاقلا
وأن يحتمل المسئوليات الجسام ويكون واعيا للكلام
— فإذا اجتمعت له البلاغة وحسن الحظ ، وازدادت معانيه بحسن تفكيره
— فإنه يكون لدى الكبراء والأمراء سعيد الحال
لأنه يستطيع أن يجعل الملك مفترّ الثغر هانىء البال

= (قاف الصغدى) : حسول بالحاء المهملة والسين المهملة وبعد الواو لام على وزن فروج ، قال وسمع أبو العلاء من الصاحب بن عباد ومن أحمد بن فارس صاحب المجمل فى اللغة وتوفى سنة خمسين وأربعمائة .

(١) فق ورقة ٥ (أ) .

(٢) سورة النمل آية ٣٧ ارجع أيضا إلى تكملة ص ٣٥٧ ، وص ٤ حس فى ذكر خلافة القائم بأمر الله .

(٣) فق ورقة ١٣ (ب) .

(٤) شه ص ١٦٧ سطر ١٩ و ١٧ .

ثم اتجه السلطان إلى العراق ومعه جند اهتزت الأرض لوطأتهم واضطربت الجبال من كثرتهم

مثل : من نصر الحق قهر الخلق[١]

فلما وصل إلى بغداد ، تدارك الأحداث وقبض على البساسيرى وقتله وعلّق رأسه على جانب من جوانب بغداد .

مثل : من عدل زادقدره ، ومن ظلم نقص عمره[٢]

مثل : من زرع العدوان ... حصد الخسران[٣]

وأرجع طغرلبك الخليفة من « عانه » فى ذى الحجة سنة إحدى [ص ١١٠] وخمسين وأربعمائة وأعاده إلى مقر الخلافة ومنزل الإمامة[٤] ولما وصل إلى باب بغداد ترجل السلطان ومشى أمام هودجه فقال له أمير المؤمنين : اركب يا ركن الدين ، وأثنى عليه ثناء جميلا ، وتبدل لقبه عند ذلك من ركن الدولة إلى ركن الدين .

مثل : من حسنت سيرته وجبت طاعته ، ومن ساءت سيرته زالت قدرته .

وحسنت نية السلطان طغرلبك فنسى لأعدائه أفعالهم السيئة ولم يألُ جهداً فى فعل الخير ، ولم تكد تمضى بضعة أيام حتى استدعى عميد الملك وكلفه برسالة إلى الخليفة فحواها :

« إن مصالح الدين والملك تلزمنى المجىء إلى بغداد فى كل وقت ، ومعى جند كثير وجيش جرار متفرق فى نواحيها ، فأرجو أن تعين لى الأرزاق حتى أستعين بها على النفقات التى تنفقها » . فقال عميد الملك : « ليس من المستبعد أن يفعل

(١) فق ورقة ١٤ (أ) .
(٢) فق ورقة ١٤ (أ) .
(٣) نفس المرجع والورقة .
(٤) زن (ص ١٧) و إ أ (ج ٩ ص ٤٤٥ — ٤٤٧) يقرران أن تاريخ وصول الخليفة إلى بغداد كان فى يوم الاثنين لخمس بقين من ذى القعدة سنة إحدى وخمسين وأربعمائة (أى يوم ٢٥ ذى القعدة) وأما زت فيقول يوم ١١ ذى القعدة .

الخليفة ذلك من تلقاء نفسه ولكنني سأطيع أمرك وأذهب إليه فى هذا الشأن» .

حكمة : أنصح الوزراء من يحفظك من المآثم ، ويبعثك على المكارم ، وَيَعُدَّ ملكك أمواله ، ويجعل فيك آماله[١] .

ولم يكد عميد الملك يتجه إلى سراى الخلافة حتى قابله فى الطريق وزير الخليفة وقال له : « إننى آت برسالة إلى السلطان » ؛ فرجع عميد الملك معه ولم يخبره بما كان فاعله .

مثل : من كتم سره أحكم أمره[٢]

وسبق عميد الملك إلى السلطان وقال له : « إن وزير الخليفة قادم برسالة ، وفى ظنى أنه جاء ليطلب مالا للخليفة ، فإذا تحدث فى هذا الشأن فقل له إنى أحمد الله كثيراً فلقد كنت أفكر فى هذا الأمر وسأحدث الوزير حتى يدبره .»

مثل : من أمارة الدول إنشاء الحِيَل[٣] [ص ١١١]

فلما مثل وزير الخليفة أمام السلطان كان مضمون رسالته مثلما توقع الكندرى ، فأجاب السلطان بالجواب الذى لقنه الكندرى إياه . وبعد ذلك طلب الكندرى كتاب قانون بغداد وحدد الأموال السلطانية وعين أرزاق الخليفة[٤]

زواج السلطان طغرلبك من ابنة الخليفة :

وانتقل السلطان طغرلبك إلى اذربيجان ونزل بمدينة تبريز تاركا عميد الملك فى بغداد وقد وكله ليعقد زواجه على سيدة النساء أخت الخليفة[٥] ، ولقد تضايق

(١) فق ورقة ١٨ ب .
(٢) فق ورقة ١٦ ب .
(٣) فق ورقة ١٦ ب .
(٤) هذه الحكاية منقولة بنصها وتفصيلها فى تك ص ٣٤٨ .
(٥) يذهب زن ، زت ، ١١ على أنها ابنة الخليفة وليست أخته كما جاء هنا .

الخليفة من ذلك كثيراً ولكن عميد الملك مازال يضيق الخناق على عماله ، ويوقف أرزاقهم حتى اضطر الخليفة إلى إجابة مطلبه[١] .

مثل : من علامة الإقبال اصطناع الرجال[٢]

ثم أرسل الخليفة قوضى قضاة بغداد مع السيدة إلى تبريز ليعقد زواجها هنالك

مثل : من عمل بالرأى غنم ، ومن نظر فى العواقب سلم[٣]

[بيت فارسى فى الأصل . ترجمته :]

— كل من تدبر عواقب الأمور قبل فعلها ،

سلم وَرْدُهُ من الأشواك ، وسلمت خمره من الخمار . . . ! !

وأذن له فى أن يكون مهرها أربعمائة درهم من الفضة وديناراً واحداً من الذهب وهو مهر سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام .

فلما وصل هودج السيدة إلى تبريز ، أقيمت الأفراح ووزعت الصدقات وعقد قاضى قضاة بغداد خطبة النكاح[٤] .

آية : « ذلكَ يومٌ مجموعٌ لهُ الناسُ وذلكَ يومٌ مَشْهُودٌ[٥] » .

ثم خرج السلطان من تبريز قاصداً الرى ليتم الزفاف فيها باعتبارها دار ملكه ولكن وعكة بسيطة أصابته عند « قصران بيرونى » بباب الرى [ص١١٢] فأمر بالنزول فى قرية «طجرشت» انتجاعاً للهواء المعتدل، لأن الحرارة كانت شديدة فى هذا الوقت ، ولكن الرعاف استولى عليه ولم يفلح دواء فى إمساكه حتى انهدت

---

(١) تفصيل ذلك موجود فى زن ص ١٩ — ٢٢ وكذلك فى اا ج ١٠ ص ١٢ — ١٤ .

(٢) فق ورقة ١٦ ب .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

(٤) كان ذلك فى شهر شعبان سنة ٤٥٤ ، أنظر تفصيل ذلك فى اا فى حوادث سنة ٤٥٤ (ج ١٠ ص ١٢ — ١٤) وكذلك فى زن ص ١٩ — ٢٢ .

(٥) سورة هود آية ١٠٥ .

قوته وساءت حالته فمات فى رمضان سنة خمس وخمسين وأربعمائة[١] وعادت السيدة ومعها مهرها إلى بغداد[٢]

مثل : « كُلٌّ يجرى من عمره إلى غاية تَنْتَهِي إليها مدّةُ أجلِه وتَنْطوى عليها صحيفةُ عَمَلِه ، فَزِدْ فى حسناتك وانقِصْ من سيئاتِك قبل أن تَسْتَوْفِيَ مدّةَ الأجِل وتَقْصُر عن الزيادة فى السعيِ والعمل »[٣] .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— لجميع الكائنات قوت فى هذا العالم ، وقوت الموتِ هو بنى آدم . . . ! !

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته[٤]]

— وهكذا حال هذه الدنيا الفانية ونعيمها الباطل ،
فعاليها عال . . . وسافلها سافل . . . ! !

— فعلام تشغل قلبك بدار الأباطيل ،
وعلى فجأة ستطرق أذنك طبول الرحيل . . . ! !

— فابكِ على نفسك وأطلْ البكاء والعويل
فلن تجد عرشاً يمدّ لك إلاّ مرقد القبر الثقيل . . . ! !

— وهذه الدنيا لم تدم لأحد إلى أبد الآبدين
سواء أكان من أصحاب التيجان أم من رجال الدين . . . ! !

— وإذا لم تهرم روحك فهما تماديت فى الحرص والطلب
فلا مكان لك فى النهاية إلا التابوت الضيق . . . ! !

---

(١) انظر أيضا زن ص ٢٦ ، ج ١٠ ص ١٥ .

(٢) يستنتج من هذا البيان أن طغرلبك مات قبل زفافه إلى السيدة ، ولكن ذكر صراحة فى زن (٢٥) ، اا (ج ١٠ ص ١٥ — ١٦) ، زت (ورقة ١٤ إ) أن زفافه قد تم فى منتصف شهر صفر سنة ٤٥٥ وأنه عاش بعد ذلك سبعة شهور ثم مات فى يوم الجمعة الثامن من شهر رمضان .

(٣) فق ورقة ٥ ب .

(٤) الشاهنامه ص ٢٠٨٠ س ٤، ٩ — ١٠ وأيضاً ص ١٤٢٦ س ١١ ، ١٧ وأيضا ص ٩٠٥ س ١٢ — ١٣ وأيضا ص ١٩٥١ س ٢١ .

— ولقد جربت دوران الفلك وسيره
فوجدت أن قليلا من الناس يتجاوزون السبعين من أعمارهم ... !!
— فإذا تجاوزوها فبقية حياتهم شر مقيم [ص ١١٣]
ومن الواجب عليهم أن يبكوا هذا العيش الذميم ... !!
— فلينر الله روحك ، ولينر برهانك
وليجعل العقل حارسا أمام عين بصيرتك وإيمانك ... !!

☆ ☆ ☆

وليجعل الله مملكة العراق وخراسان وسائر أقطار الأرض من باب الروم إلى أقصى حدود تركستان والهند وسجستان وسائر أقاليم العالم وجملة رعايا بنى آدم تحت حكم السلطان الأعظم وفرمانه مطيعة لرجاله وأعوانه ؛ وليجعل أوامره نافذة فى أقطار الآفاق ، وعلى الخصوص فى مملكة خراسان والعراق ، « فهو السلطان المعظم ، مالك رقاب الأمم ، مولى العرب والعجم ، سلطان السلاطين ، المؤيد بتأييد رب العالمين ، الواثق بنصر الله ، الحاكم بأمر الله ، برهان الإمام ، ومعز الأنام ، ظل الله على الرعية ، ونوره الساطع بين البرية ، مطيع الحق ، مُطَاعُ الخلق ، ملاذ الثقلين ، وارثُ ملك ذى القرنين ، مولى الخافقين ، غياث الدنيا والدين ، كهف الإسلام والمسلمين ، أبو الفتح كيخسرو بن السلطان قلج ارسلان ، أعلى الله كلمته ، ونصر جنده وألويته ، وبسط ملكه ودولته[1] . » وليجعل الله دولة ملكشاه وبركيارق ومحمد ومحمود وطغرل ومسعود نموذجاً لدولته ؛ وليجعلهم حجاباً لسلطنته ، وليبسر له فى كل لمحة ، وليقرر له فى كل لحظة ما استطاعوا أن يحققوه فى حياتهم ، ويقرروه بمرور أيامهم ، من حيث نفاذ الأمر والقدرة على غزو العالم .

وليجعل الله العالم فى قبضة اقتدار هذا الملك السعيد والسلطان العتيد ، أطوع

(١) المراجع : العبارة الواردة بين الأقواس وردت أصلا باللغة العربية بهذا النص .

من الحجلة فى مخالب الصقر ، والثعلب أمام الببر[١] .

وليجعل الله نصيب سيفه القاطع وسنانه الثقيل اللامع ، أن يفتح فى كل يوم إقليما ، وأن يكسر عظيما من ملوك الدنيا وسلاطين هذا الزمان ؛ وليبق الله دولته حتى يوم القيامة ، وليجعل السماء فى كل خير وشر تستشير أعتابه ؛ وليجعل النجوم فى كل يسير وخطير تطيع أوامره — ما دام الملك الدوار يدور فى مداره ، وما دام كل كوكب منير يستمر فى تَسْياره ؛ وليجعل دموع أعدائه وحساده فى [س ١١٤] حمرة البقم[٢] ، وليجعل وجه خصومه فى صفرة الـ « زرير »[٣] .

[بيتان من الشعر الفارسى فى الأصل ترجمتهما :]

— اجعل عيونهم كالقار بما يجرى فيها من دموع الحسرة ،

واجعل وجوهم كالقبر بما يعلوها من غبار المحنة ... !!

— واجعل أجسامهم مقوسة كالعود لكثرة ما يصيبهم من أحداث ،

واجل نواحهم ثقيلا كنغمة الزير[٤] لكثرة ما ينزل بهم من نوائب ... !!

ويارب .... ما دامت الأرض فى مستقرها والزمان فى سَيْرِه والأفلاك فى دورتها ، اجعل نصيب هذا السلطان أن ينال كل خير وفلاح يدور بهما الزمان والأفلاك ، وأن ينال القرار والتمكين اللذين تتصف بهما الأرض فى مستقرها ، واجعل اليمين واليسر اللذين تهيئا للأرض والزمان يقيمان على يسار الملك « غياث الدين » ويمينه ، واجعلهما تابعين يطيعانِ كل أمر يصدره ؛ واجعل الشغل الشاغل

---

(١) المراجع : الكلمه الفارسية المستعملة هنا هى كلمة « كراز » ومعناها الخنزير البرى ولكننا لم نر من اللياقة التمسك بمعناها الحرفى .

(٢) المراجع : البقم نوع من الخشب يتخذون منه الصبغ الأحمر .

(٣) المراجع : « زرير » نوع من النبت يتخذون منه الصبغ الأصفر .

(٤) المراجع : الـ « زير » هو أغلظ صوت الأوتار الموسيقية .

لـكل الناس والغذاء الـكامل لـكل الأنام ـ من المهد إلى اللحد ـ أن يديموا الدعاء لهذا الملك الذى هو ظل الله فى الأرض .

و إذا كنت منذ أيام الطفولة إلى زمن الـكهولة لم أصل إلى أعتابه ولم يقيض الله لى روية جنابه ، ولـكنى عاشق مدنف لطرة رايته وصباحة غرته ، ولا شغل لى إلا أن أديم الدعاء له والثناء عليه .

[بيت فارسى فى الأصل ترجمته :]

ـ لقد أصبح عشق خدمته قرينا لروحى حتى يوم الحشر والقيامة
لأننى تغذيت بلبن خدمته ، فاختلط بكيانى منذ البداية

و يارب اجعل حضرته مكاناً لسجود الملوك (إظهاراً لخضوعهم له) واجعل الرهبان ورجال الدين يطيعونه بتقبيل أذياله وتراب أعتابه .... بحق محمد وآله .

قصيدة المؤلف

فى مـــدح

السلطان كيخسرو بن قلج ارسلان

قال المؤلف هذه القصيدة فى مدح السلطان خلد الله ملـكه

[قصيدة فارسية فى الأصل ، ترجمتها كما يلى:[1]]

— ماأعظم شأنك ... لقد اقترنت الكواكب على سعدك ، ودانت لك الأقاليم السبعة
وأصبحت الشمس المنيرة أقل عبيدك وأحقر رعاياك . . . ! !
— فإذا رفعَت الشمس راية رأيك ،
فإنها تصير كالذرة فى بحر لجىّ أخضر . . . ! !
— فلا كافى الكفاة[2] يشبهك من حيث الكفاية ،
ولا حاتم طى يتيسر له جودك . . . ! !
— ولم يتحقق فى طومار[3] عهد آل سلجوق
ثلث مالك من جاه ، ولم يتقرر لهم ذلك . . . ! !
— وأنت الملك السعيد والسلطان العتيد [ص ١١٥]
الذى لم تر الأفلاك فى سائر الزمان مثيله فى السعد والإقبال . . . ! !
— وأمرك نافذ أيها المليك . . .
ولقد أصبحت السعد الأكبر [4] للفلك الدائر . . . ! !

---

(١) المراجع : هذه المنظومة من النوع الذى يعرف فنيًا باسم « التركيب بند » وهى تتكون من خانات يقع فى كل خانة منها سبعة أبيات ثم يعقبها بيت هو الرباط الذى يربط هذه الخانات .

(٢) هو وزير آل بويه كافى الكفاة الصاحب أسماعيل بن عباد .

(٣) المراجع : الطومار أو الطامور بمعنى الصحيفه او السجل .

(٤) المراجع : كوكب المشترى يعرف عند علماء الفلك باسم السعد الأكبر .

— وهذه هى الشمس تناديك أيها المليك فتقول :
لتبق إلى أبد الآبدين ، حتى يوم الحشر . . . ! !
— وأنت الرفيع الفاضل الجواد ،
الذى حصل من الزمان على كل المراد . . . ! !

* * *

— وبك تنعم الدنيا . . . والحمد لله ، وأنت صاحب القران[١] . . . والحمد لله
— ولقد دعا جبريل لك من فوق السدرة ، فقال : ابق خالداً . . . والحمد لله
— ولا همّ لك إلا أن تجعل العالم ، جميعه فَرِحاً مبتهجاً . . . والحمد لله
— وكان فى ظنى أننى سأموت قبل أن أرى الملك ، ولكنى رأيته عيانا . . . والحمد لله
— وفى أيام السلطان قد ابتهج على السواء ، قلب الشيخ والشاب . . . والحمد لله
— وقد قدر لى ألا أموت حتى أرى عدوك ، معلقاً على المشنقة . . . والحمد لله
— ولقد أضحى الشخص الذى يكرهك ، طعمة لرغبات أعدائه . . . والحمد لله
— وإن عظمتك وجلالتك لمستمدتان من الفضل
وإن رأيك ليقتبس نوره من الشمس والقمر . . . ! !

* * *

— ما أعظم شأنك . . . يامالك الدنيا وسلطان الآفاق
ففى يدك وحدك ، مفتاح قفل الأرزاق . . . ! !
— وأنت « غياث الدين » السلطان السعيد ،
الذى فى يده قسمة الحظوظ . . . ! !
— وأنت سيد الدنيا . . . والسلطان صاحب الإقبال
وقد عقدت الدولة (السعادة) ميثاقها مع جنابك . . . ! !
— وفى دولتك يعيش فى أمن الفغفور والخاقان[٢]
وينعم فى خصبك أهل طمغاج[٣] والقفقاز . . . ! !

---

(١) المراجع : أى اقترنت الكواكب على إسعاده ، وقد أصبح الملك العظيم يشار إليه بعبارة « صاحب القران » .
(٢) المراجع : الفغفور هو لقب ملوك الصين . والخاقان هو لقب ملوك الأتراك .
(٣) المراجع : طمغاج إقليم من تركستان .

— ولا يصعب عليك أن تجود فى يوم واحد
بما يخرجه البحر والمنجم من نعم . . . ! !
— وهاهو غواص جودك يغوص حتى ساقه
فيما تخرجه البحار والمناجم من ذهب وجواهر . . . ! !
— فيارب . . . ابْقِ الدنيا دائماً فى طاعتك
واجعل الإقبال طائعاً لك فى أعدائك العاقّين . . . ! !
— إن عين الزمان لم تر مثلك فى مئات القرون
ولم تر والدةً ، ولدت وليداً مثلك . . . ! !

* * *

— ولتبق دائماً فى فرح وسرور ،
ولتبق الدنيا مطيعة لأمرك على مر الدهور . . . ! !
— وليبق الفلك حاملا لطبلة الشمس [ص ١١٦]
وواقفاً فى حراستك على سقف قصر جاهك . . . ! !
— وليقف أمامك النصر والتأييد والإقبال ،
خدماً مخلصين . . . يقومون على خدمتك . . . ! !
— وإذا بلغَتْ درجات رفعتك المائة من الدرجات
فلتكن السماء السابعة هى أولى هذه الدرجات . . . ! !
— وليبق السلطان فى الأقاليم السبعة ،
على الدوام هو « غياث الدين » العادل
— وليكن تسبيح الأرواح القدسية على الدوام
أن يبقى السلطان نافذ الأمر على مَرّ الأيام . . . ! !
— وليكن حاسد الملك وكاره السلطان
قرين الغصص ، ترديه الهموم والأحزان . . . ! !
— وليبق سلطان العالم حتى نهاية الزمان
مهيبَ الطلعة ، مظفَّر الحظ ، مسعودَ المكان . . . ! !

السلطان الأعظم

عضد الدولة أبو شجاع ألب ارسلان

محمد بن داود بن ميكاييل بن سلجوق

فى تاريخ ذى الحجة سنة خمس وخمسين وأربعمائة عزل ألب ارسلان محمد بن داود الأمير سليمان بن طغرلبك وكان طفلا[1] وجلس على العرش وتقرر له ملك العراق وخراسان .

وكانت مدة ملكه اثنتى عشرة سنة[2] بعد وفاة عمه طغرلبك — وسنتين قبل ذلك فى خراسان بعد وفاة أبيه چغرى بك[3] .

وقد عاش من العمر أربعة وثلاثين عاماً . وقد ولد فى ليلة الجمعة [ص ١١٧] الثانى من المحرم سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة[4] وكان وزيره نظام الملك الحسن

---

(١) سليمان هذا — هو فى الحقيقة ابن چغرى بك وأخو ألب ارسلان وهذا واضح من أن كنية چغرى بك هى « أبو سليمان » ولكنه ذكر هنا على أنه ابن طغرلبك بسبب أن والدته تزوجت طغرلبك بعد وفاة أبيه چغرى بك (انظر زن ص ٢٦ و اا ج ١٠ ص ١٨) وكذلك سبب أن طغرلبك وفقا لقول ابن الأثير جعله ولياً لعهده .

(٢) هذا خطأ ظاهر — لأن ألب ارسلان باجماع المؤرخين وبقول المؤلف نفسه قتل سنة ٤٦٥ وعلى ذلك لاتزيد مدة سلطنته على عشر سنوات (٤٥٥ — ٤٦٥) وبقول زن و اا بلغت مدة سلطنته تسع سنوات وبضعة أشهر .

(٣) لا يعرف بالضبط تاريخ وفاة چغرى بك . بقول زن سنة ٤٥٠ — وبقول (اا) فى رجب سنة ٤٥١ وبقول زن فى صفر سنة ٤٥٢ . وعلى أيه حال امتدت مدة ولايه ألب ارسلان على خراسان أكثر من سنتين .

(٤) هناك خلاف فى هذا بين المؤرخين — فيقول اا ، زن كانت ولادة السلطان ألب ارسلان فى سنة ٤٢٤ هـ وبلغت مدة عمره أربعين عاما ، وهذا أيضاً هو قول ابن خلكان أما سائر الكتب مثل ع — جت — رص — حس فتتفق على أن تاريخ ولادته هو الثانى من المحرم سنة ٤٢١ .

ابن على بن إسحق ؛ وحجب له الحاجب « بكرك » والحاجب « عبد الرحمن الأغاجى » وكان توقيعه « يَنْصُرُ اللهُ » .

وكان السلطان ألب ارسلان سلطاناً مهيباً يمتاز بحسن السياسة والكياسة واليقظة والقدرة على التغلب على الأعداء والقضاء على الخصوم. وكان عديم النظير غازياً للأقطار ؛ وكان زينة للعرش فاتحاً للدنيا ، وكان طويل القامة طويل اللحية بحيث كان يعقدها وقت الرماية . ولم يؤثر عنه أنه أخطأ الهدف مطلقا

وكان يلبس قلنسوة طويلة ويبدو على عرشه فى يوم الاستقبال العام شديد المهابة بالغ العظمة . ويقال إن المسافة بين طرف لحيته وطرف قلنسوته بلغت ذراعين كاملين[١] . ويقال إن الخوف كان يستولى على قلب كل رسول يتقدم إليه وهو على عرشه ؛ وقد دان له الملك .

مثل : من حسنت مساعيه طابت مراعيه[٢]

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— كل من حسنت سيرته فى أعماله بين العباد ،
طابت مراعيه للتصيد والطراد . . . ! !

وقد أمر ألب ارسلان بعد وفاة عمه طغرلبك بالقبض على وزيره « عميد الملك » فلما تم له ذلك أعطى الوزارة « نظام الملك » وكان فى خدمته قبل توليه السلطنة[٣] وأبقى أبا نصر الكندرى سنة فى اعتقاله .

مثل : من أعظم الفجايع إضاعة الصنايع[٤] .

---

(١) ارجع أيضاً إلى رص ، حس عند ذكر ألب ارسلان .
(٢) نق ورقة ٨ ب .
(٣) انظر شرح ذلك فى زن ص ٢١ ، ا ا فى حوادث سنة ٤٥٦ ؛ (ج ١٠ ص ٢٠) .
(٤) نق ورقة ١٤ (أ) .

ثم أمر فى سنة ست وخمسين وأربعمائة وهو فى مدينة نسا[1] بقتل عميد الملك وقد سعى نظام الملك فى ذلك الأمر ورضى به .

مثل : إذا استشرت الجاهل اختار لك الباطل[2] .

ولقد سمعت أنه لما أقبل إليه الجلاد طلب مبلة ثم توضأ وصلى [ص ١١٨] ركعتين واستحلفه أنه متى أنفذ أمر السلطان فيه فلينقل رسالة منه إلى السلطان وأخرى إلى الوزير نظام الملك وليقل للسلطان : « هذه منة مباركة أسديتها لى ، فلقد أعطانى عمك هذه الدنيا لأحكمها ، وأعطيتنى أنت الدار الأخرى باستشهادى ؛ وعلى ذلك فقد أحرزتُ الدنيا والآخرة بخدمتكم » . وليقل للوزير : « لقد ابتدعت بدعة سيئة ، ووضعت قاعدة خبيثة بقتل الوزراء إنى لأرجو أن تُتَّبَعَ فيك وفى أعقابك هذه السنّة التى اتبعتها معى . . . ! ! »[3] .

مثل : من أحب نفسه اجتنب الآثام ، ومن أحب ولده رحم الأيتام[4] .

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— هكذا حال الفلك منذ دارت دورته
فإحياناً تمتلىء بالكُرْه ، وأحياناً تمتلىء بالحبّ حَوْزَتُه[5] . . . ! !

— فأذا كنت عاقلا . . . لحذار أن تركن إلى صداقته لك
فإنه متى تهيأت له الفرصة . . . مزّق جلدك وفتك بك . . . ! !

— وإذا رفع الفلك الأعلى كثيراً من الحجب والأستار
فإنه يمزّق أيضاً كثيراً من حجب الأسرار . . . ! !

---

(١) يقول ا ا ، زن قتل عميد الملك بمدينة مرو الروذ – وكان معتقلا هناك سنة قبل مقتله .

(٢) فق ورقة ١٧ (أ) .

(٣) ارجع إلى ا ا ج ١٠ ص ٢٠ — ٢٢ ، تك ص ٤٣٩ ، زن ص ٢٩ ، وص ، حس عند ذكر ألب ارسلان .

(٤) فق ورقة ١١ (أ) .

(٥) شه ص ٧١٤ س ١٧ .

— فافض دنياك — بقدر ماتستطيع — فى فرح تام
واحترس من دورة الزمان ومرور الأيام . . . !!
— فإن الزمان يرفع واحداً إلى أعلى الأفلاك
وينجّيه من كل عناء وألم ومضض وارتباك . . . !!
— ثم يهبط به من هنالك إلى أسفل سافلين
وتمتلىء الأرض بالفزع والخوف والعناء والأنين . . . !!
— فإذا بذلك الشخص الذى تربى بلبن صدره الرقيق
وهو يلقيه مدحورا إلى غيابة جُب عميق[١] . . . !!
— ثم إذا به يرفع شخصاً آخر من قاع الجب إلى عرش الملك الفاخر
ويضع على رأسه تاجاً مرصعاً بالدرر والجواهر[٢] . . . !!
— ولكن نهاية الشخصين جميعاً . . . فى جوف الثرى والتراب
حيث يرقدان فى قبضة القبر ، فى كومة ، إلى يوم الحساب . . . !![٣]

ثم أغار السلطان ألب ارسلان على سائر أرجاء العالم فاستولى على إقليم فارس[٤] وأغار على الـ « شبانكاره » وقتل خلقاً كثيراً منهم[٥] .

مثل : « من حسنت سياسته دامت رياسته »

ثم أمر بتعمير البلاد .

حكمة : فضيلة السلطان عمارة البلدان[٦] [ص ١١٩]

ثم سار السلطان لغزو ملك الروم « ارمانوس » وكان قد جاء لغزو الإسلام

(١) شـه . ص ٤٧١ .
(٢) شـه . ص ٨٠٥ س ١٢ — ١٦ .
(٣) شـه ص ٤٧٣ س ٢٢ .
(٤) انظر ١١ فى حوادث سنة ٤٥٩ :
(٥) سنه ٤٥٨ (ترجمة طبقات ناصرى) .
(٦) فق ورقـة ١٦ ب .

فى ستمائة ألف فارس من أهل الروم[1] فتلاقى به ألب ارسلان فى « ملاز گرد »[2] وتمكن بجيش قوامه إثنا عشر ألف رجل أن يتغلب عليه ، ووقع أرمانوس نفسه أسيراً فى يد واحد من أتباعه .

[بيتان من الشعر الفارسى فى الأصل ، ترجمتهما :]

— لقد أعطى الزمان للموت مخلبا قويا ،
يمزق به قلوب الأسود ومخالب النمرة . . . ! !
— فعلام تحيد برأسك هربا من الزمان
وسينزع عنها تاجك إذا شاء كما أعطاك إياه . . . ! !

وحكوا أنه عندما كان السلطان ألب ارسلان ذاهباً لمحاربة ملك الروم طلب عرض الجيش فى بغداد ، وكان الأمير سعد الدولة گهر آيين فى خدمته فعرض الجيش له ، وكان فى حاشيته غلام رومى حقير جداً ، فجاء فى العرض ولم يكن العارض قد كتب اسمه ، فقال سعد الدولة للسلطان : لا تتضايق منه فربما يأتينا هذا الرومى الحقير بملك الروم أسيرا[3] ...!!

مثل : من استكفى الكفاة كفى العداة[4]

ومن المصادفات العجيبة أن هذا الغلام عرف ملك الروم أثناء الهزيمة ـ وكان قد رآه قبل ذلك ـ فأمسك به وأحضره إلى السلطان .

---

(١) شرح ذلك موجود فى زن ص ٣٨ — ٤٤ ، اا فى حوادث سنة ٤٦٣ (ج ١٠ ص ٤٤ — ٤٦) ، زت الورقات ٢٧ ب إلى ٣١ ب وجاء فى جت ورسالة الجوينى ، ع أن جيشه كان عبارة عن ثلثمائه ألف ، ويقول زن ، زت كان جيش أرمانوس عبارة عن ثلثمائة ألف رجل ويقول اا كان عبارة عن مائتى ألف رجل .

(٢) كذا أيضاً فى اا ، زت ؛ زن : مناز كرد ، ياقوت : منازجرد .

(٣) زن ص ٤٣ ، اا ، ج ١٠ ص ٤٥ ، زت ورقة ٣٠ (أ ، ب).

(٤) نق ورقه ١٧ (أ) .

مثل : من وثق بإحسانك أشفق على سلطانك[١]

واستبقى السلطان ملك الروم فى أسره بضعة أيام ثم وضع حلقة فى كل أذن من أذنيه[٢] وأعطاه بعد ذلك الأمان .

مثل : أَحْسِنْ يُحْسَنْ إليك ، وأَبْقِ يُبْقَ عليك[٣]

وقرر ملك الروم أرمانوس بعد ذلك أن يرسل إلى السلطان [ص ١٢٠] جزية يومية مقدارها ألف دينار[٤]

حكمة : خير المال ما أخذته فى الحلال وصرفته فى النوال : وشر المال ما أخذته من الحرام وصرفته فى الآثام[٥]

واتجه السلطان ألب ارسلان فى أواخر عهده إلى ماوراء النهر لمحاربة الخان[٦] ، وكانت أمه من أسرة الخانية ، فلما عبر نهر جيحون فى سنة خمس وستين وأربعمائة ، كان جماعة من ملازميه قد قبضوا على أوباش جند تمردوا فى قلعة صغيرة على نهر برزم[٧] وأسروا قائدها المسمى بالـ « برزمى » فأحضروه إلى السلطان وأخذ السلطان يسأله عن صحة الأحوال ولكنه لم يصدقه القول .

---

(١) فق ورقة ١٤ (أ) .

(٢) المراجع : وضع الحلقة فى الأذن دليل على الاستعباد والاسترقاق .

(٣) فق ورقة ١٤ (أ)

(٤) انظر : زن ص ٤٣ — ٤٤ ، اا ج ١٠ ص ٤٥ .
[المراجع : يقول ابن الأثير إن فديته بلغت ألف ألف دينار وخمسمائة دينار] .

(٥) فق ورقة ٩ (أ) .

(٦) اسمه شمس الملك تكين بن طفقاج (انظر : زن ص ٤٥ ، اا فى حوادث سنة ٤٦٥)

(٧) كذا فى حت ، تك ، حس وترجمة طبقات ناصرى ، أما ن ا فيكتبها ترزم ، ويغلب على الظن أن برزم هو نفس المكان الذى يكتبه الإدريسى فى نزهة المشتاق (الترجمة الفرنسية ج ٢ ص ١٩٢) « بورروزم » ويقول إن بينه وبين الجرجانية مسافة يوم .

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— كل شخص يكثر من الكذب وباطل الأقوال ،
لا يرتفع شأنه لدى الملوك ، ولا يرقى له حال . . . !!
— فليجتهد المرء فى ألا يحدث السلاطين ، بكلام لا يقبله العقل واليقين .
— فإذا سألك ملك عن شىء . . . فحدثه بما تعرف وأقصر عليه القول ،
ولا تطمع بكثرة الكلام أن تنال الحول والطول . . . !![1]

وأمر السلطان بمعاقبة يوسف وقتله ، وأحس يوسف باليأس من حياته فاستل خنجراً كان يخفيه فى حذائه وقصد السلطان ليقتله .

مثل : من خاف شرك ، أفسد أمرك[2] .

وأسرع الحرس الخاص وحملة السلاح يريدون أن يقبضوا عليه ، وصاح السلطان صيحة عظيمة ، ثم رمى يوسف بالسهم وكان على ثقة بأنه أصابه ولكن السهم أخطأه واستطاع يوسف أن يصل إليه وأن يضرب بخنجره[3]

مثل : كل إنسان طالبُ أمنيةٍ ، ومطلوبُ منيّة[4] [ص ١٢١]

وكان « سعد الدولة گوهر آيين » شحنة بغداد واقفاً فى خدمة السلطان فرمى بنفسه على السلطان يريد حمايته فأصابه هو أيضاً جرح ولكنه لم يكن مميتاً . وكان يصطف فى حضرة السلطان ما يقرب من ألفين من الغلمان ، فهاجوا وماجوا ولم يستطع أحد منهم أن يثبت فى مكانه ، ومضى بينهم يوسف البرزمى[5] شاهراً خنجره فى يده ، وكان رئيس الفراشين ، « جامع النيسابورى »[6] يحمل

---

(١) شه ص ١٦٧٧ س ٢٧ — ٢٩ .
(٢) فق ورقة ٣ب .
(٣) اا ج ١٠ ص٤٩ — ٥٠ ، زن ص ٤٦ ، تـك س ٢٤٤ .
(٤) فق ورقة ٦ ب .
(٥) المراجع : يعرف فى اغلب الكتب العربية باسم «يوسف الخوارزمى» .
(٦) زن ، زت ، ابن خلكان يقولون : فراش ارمنى .

مطرقة فى يده لجاء من ورائه وضربه بها على رأسه فقتله فى الحال .

مثل : من ساء عزمه ، رجع إليه سهمه .

[مصراع فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— يرتد سهم السوء إلى راميه

لا يغنى حذر من قدر ؛ وبالعقل والبصر لا يمكن الحذر من القضاء والقدر ؛ والمرء كالشمس حيثما ذهب لازمته البلايا والمحن ملازمة الظل للشمس ، ولاحقه ما جرى له فى سابق التقدير ؛ لا مردَّ لقضائه ، ولا مانع لحكمه و بلائه .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— هل رأيت كيف ارتفعت رأس ألب ارسلان إلى أوج الأفلاك ،
فتعال الآن إلى « مرو » وانظر جسده تحت أطباق التراب[1] . . . !!

إذا انقضى الأجل انتهت المهلة وحم القدر ، و إذا نزل القضاء انطفأ نور النظر وعمى البصر . [ص ١٢٢]

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— سيموت كل شخص سواء أكان ملكا كبيراً أم صعلوكا حقيراً
لأن كل من يولد ، حق عليه الموت[2] . . . !!

— فتأمل فى العالم وانظر فى أرجائه ،
وأرنى من لا يرتعد من الموت وبلائه[3] . . . !

— وستتفتت تحت التراب ، ولو كنت من حديد
ولو كنت تقياً نقيا ، أو كنت شقياً أهرمنيا[4] . . . !!

---

(١) من قصيدة قالها الحكيم سنائى الغزنوى ، تشتمل على ٥٤ بيتا .
(نسخة المتحف البريطانى رقم ٣٣٠٢ ورقة ٦٨ — ٧٠)
[المراجع : طبع ديوان سنائى فى طهران سنة ١٣٢٠ هـ . ش وهذه القصيدة موجودة فى ص ٥٢٥] .
(٢) شــه ص ١٣٥٦ س ٥ .
(٣) شــه ص ١٣٥٧ س ١١ .
(٤) شــه ص ١٢٣٩ س ١١ [المراجع : أهرمن هو إله الشر عند الزردشتيين] .

— ونحن من تراب ، ولقد نشأنا من تراب
ولقد أسلمنا إليه أمورنا فى حسرة وذلة واكتئاب[١] . . . !!
— ونحن جميعاً للموت . . . الشيخ منا والشاب
ولابد للبطل المغوار من الموت والذهاب . . . !!
— وجميع الأمور لها فى الدنيا مخرج وباب
سوى الموت ، فليس له مخرج . . . وليس منه مآب . . . !!

ويقولون إنه بعد انقضاء مدة . . . حدث فى بغداد أن قتل غلامٌ من غلمان الخليفة فى عهد السلطان ملكشاه ابنَ هذا الفراش (أى ابن جامع النيسابورى) فثار « جامع » فى طلب القصاص كأنه الأسد الكاسر أو النمر المزمجر ، وأخذ يتميز غيظاً كأنه التمساح الهائج أو الأفعوان الغاضب ، واستشرى شره كأنه الضحاك[٢] الجسور قد قصد قتل جمشيد ، أو كأنه بهرام قصد ناهيد[٣] ، فما زال يجرى وراء الغلام حتى احتمى الغلام بحرم الخليفة ، وتبعه جامع فوقف بباب الحرم وأخذ يصرخ صراخاً عالياً بلغ أجواز الفضاء ووصل إلى عنان السماء ، ولكن الخليفة لم يسمح له بدخول الحرم . فلما ركب السلطان ملكشاه أمسك جامع بعنانه وكان ذا جرأة عليه وقال له : « يا مولاى . . . اصنع بقاتل ولدى ما صنعته بقاتل والدك . . . !! » .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته]

— ما جزاء الإحسان إلا الإحسان ، وما جزاء السوء إلا السوء . . . !!

---

(١) شـ ٨ ص ١٢٦٨ س ١٦ .
(٢) المراجع : الضحاك فى الأساطير الفارسية يمثل شريراً من أصل غير فارسى يقضى على الملك جمشيد ويستولى على ملكه ويحكم إيران فيعمها شره وطغيانه .
(٣) المراجع : بهرام وناهيد كوكبان هما المريخ والزهرة — وبهرام أيضاً إسم ملك ساسانى راجع فى ملكه اللهو والطرب وهما من الأمور التى تتصف بها الزهرة (أى ناهيد ، باعتبارها الهة المتعة والأنوثة والجمال) .

قال السلطان : « إنه يقول الحق » . ثم أرسل الأمير الحاجب « قماج » حتى يحضر الغلام من حرم الخليفة ، وكان الخليفة فى ذلك الوقت هو « المقتدى » فأراد أن يحفظ عهده للغلام و يفتديه بعشرة آلاف دينار ولكن ذلك لم يقبل منه ، وأجرى القصاص فى الغلام[١]

مثل : كم من عزيز أذله جهله ، وكم من ذليل أعزه عقله[٢] ...!!

وكان السلطان ألب ارسلان رجلاً شجاعاً يخشاه الناس ، [ص ١٢٣] فلم يكد يتم له الأمر حتى استولى على خراسان والعراق وسائر الأطراف ، وقد اختار من أولاده العشرة ابنه « ملكشاه » فجعله ولياً لعهده فما زال يحكم هذه المملكة الواسعة حتى ورثها عنه سيد العالم ، ملك بنى آدم ، السلطان القاهر ، عظيم الدهر ، غياث الدنيا والدين أبو الفتح كيخسرو بن السلطان قلج ارسلان خلد الله معالم دولته...وهو الذى وضع أسس الدولة وأقام قواعدها بمراقبة أوامر الله و إعلاء أعلام الدين و إحياء مراسم الشرع و إعزاز أئمة الإسلام الذين هم خزنة علوم الدين وحفظة قواعد الشرع . وهذه هى الألطاف الإلهية تلوح على صفحات أحواله وتزداد وضوحاً كل يوم ؛ وهذه هى الإمدادات الربانية تتوالى فى حقه وتتواصل ؛ وهذه هى رايات دولته مؤيدة منصورة على الداوم بفضل تأييد الله سبحانه وتعالى ونصرته له . و إن أمارات الفضل الإلهى التى تسطع فى عهده الهمايونى المجيد ، و إمدادات الآلاء والنعم الربانية التى تتواتر لإعزاز أوليائه و إذلال أعدائه ، إنما هى جميعاً نتيجة لقصره همته على ابتغاء مرضاة الله عز اسمه، ولكونه يعتصم بقوة الملك العلاّم فى كل حركة ومقام ، وفى كل مقصود ومرام ، ولكونه

---

(١) انظر تسك (ص ٤٤٤) يقول إن هذه الحادثة وقعت سنة ٤٨١ عندما كان ملكشاه فى طريقه إلى الحج إلى مكة .

(٢) فق ورقة ٤ ب .

يستنجح آماله وأمانيه فى الدارين بفضل الله العميم وصنعه العظيم ، ويعلم أن الله هو المعطى والمنعم والمكافئ على الحسنات والمجازى للسيئات ، ويعلم أن استبقاء دولته واستدامة نعمته إنما هما ثمرة ونتيجة لمواظبته على شكر الله وحمده تبارك وتقدس . أدام الله ملكه فى تزايد وارتقاء ، ورفع راية دولته إلى أجواز السماء ، وأبقى صف عرشه فى بهاء . . . بحق محمد وآله .

وهذه قصيدة قالها مؤلف هذا الكتاب الداعى لهذه الحضرة فى وصف هذه الدولة :

[قصيدة فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— يامن سلمت الدنيا إليك ملكها . . . !!
يا سلطان الزمان . . . . ويا ملك العالم . . . !!
— ويا من يخضع لأوامر خاتمك ، جميع الناس والملائكة والجن . . . . !!
— أنت ملك عظيم ، تنحنى أمامك ، فى خضوع قبةُ الفلك الزرقاء . . . !!
— إنى لأقسم بالله أن « خسرو » و « جَمْ » [ص ١٢٤]
لم يكونا مثل الملك فى الفضل (١) . . . !!
— وأن ألفاظه العذبة لتشتمل ، على ألطاف أنفاس عيسى بن مريم . . . !!
— وأن الإحساس بالهيبة عند مدحك
قد جعل الطواطى الناطقة بكماء . . . !!
— وعند بدء الوجود كان وجود السلطان ، متقدماً على سائر الكائنات . . . !!
— وأخذ القدر يقول لهذا الملك الكريم :
يا مُقَدَّم أهل الدين . . . . تقدم . . . !!
— وأخذ رأيُك يقول للعقل الكلى ، فى مدرسة السماوات . . . تَعَلَّم . . . !!
— وأنت كيان العقل وأصل العلم ، وإن كان العقل لم يصبح مجسما . . . !!

(١) المراجع : خسرو وجم ملكان من ملوك إيران الأقدمين اشتهرا بالرفعة والفضل ، وجم ترخيم لجشيد .

— وبلطف رعايتك ... لم يبق فى سائر الآفاق
أحدٌ من رعاياك محروماً من نوالك ... !!
— ولو فرضنا أيها الملك الجليل، أن قبة الفلك العالية دارت على خلاف رأيك،
— فإنها الآن تبحث عن تحقيق رغباتك، وتخضع أمامك فى هذا الخيم ... !!
— ولقد قرّرتْ الخضوعَ لك،
وأصبح هذا هو عزم الفلك الذى يصمم عليه ... !!
— ومن الرأى الصائب أن تُحَوِّل عنانَ جوادك الأدهم صوب العراق ... !!
— حتى يكتحل نسل بنى آدم، بالتراب الذى يرتفع من حوافر جوادك ... !!
— فقد اختفت شمسُ العراق وكأنها فى محاق، وربما يزول نحسها بقدمك ... !!
— وهذا هو حال أهل العراق فى عجزهم، وقد أصبح أمرهم عسيرا مختلطا ... !!
— وربما استطاعوا النجاةَ من الغصص والآلام
وأن يصبحوا بقدمك فى سعادة وهناء ... !!
— فيارب .. بحق نعمة مقدم الشاه، اجعل أهل العراق فى هناءة وفرح ... !!
— حتى يستطيعوا أن يعرضوا حاجاتهم، أمام الكعبة المعظمة .... !!
— وما دامت « منى »، والموقف والركن، على طريق الحطيم وزمزم ....
— وما دامت ذبائحُ الحرم حلالا، وصيد الحرم على المحرم حراما .
— فإنى أدعو الله أن يبقيك موفقا إلى أبد الآبدين
ما دام المُحَرَّم يأتى فى مطلع السنين ... !!
— وابق فى الخلد ... يهنأ بك الأصدقاء، بينما يتلظى أعداؤك فى نار جهنم ... !!
— وليبق كارهك أبداً فى عناء، وليتجرع شربة السم الزعاف .... !!

السلطان معز الدنيا والدين

ملكشاه بن محمد

قسيم[1] أمير المؤمنين

كان ملكشاه جميل الصورة ، معتدل القد ، مرتفع القامة ، [ص ١٢٥] قوى الساعد ، يميل إلى الضخامة ، وكانت لحيته مستديرة ، ووجهه أبيض مشربا بحمرة ، وكانت إحدى عينيه منحرفة قليلاً عن طريق التعود لا عن طريق الخلقة . وكان يجيد استعمال الأسلحة جميعها ، كما كان فى غاية المهارة فى ركوب الخيل واللعب بالكرة . وكانت ولادته فى جمادى الأولى سنة خمس وأربعين وأربعمائة[2] وبلغت مدة عمره ثمانية وثلاثين عاما . ووزيره هو نظام الملك الحسن بن على ابن اسحق ، وحاجبه هو الحاجب قماج .

وكان السلطان ملكشاه ملكاً جباراً نافذ السلطة ، سعيد الحظ ، موفق الأيام ، مهيأ الأسباب ، ميسر الأغراض ، مؤيداً بالتأييد الإلهى ، موفقاً بالتوفيق الربانى .

حكمة : « إنّ السلطانَ خليفةُ الله فى أرضِه ، والحاكمُ فى حدودِ دينِه وفرْضِه ، قد خصّه الله بإحسانِه ، وأشركَه فى سلطانه وبذّلَه لرعايةِ خَلْقِه، وَندبَه لنُصْرةِ حَقِّه ، فإنْ أطاعَه فى أوامرِه ونواهيه ، تكَفّلَ بنصره ، وإنْ عَصاَه فيهما

---

(١) زن : يمين ، سياست نامه : أمين ، ن : قسيم .

(٢) كذا فى الأصل ولكن صحة التاريخ توجب أن تكون ولادته سنة سبع وأربعين وأربعمائة فان المؤلف نفسه قال إن مدة حياة ملكشاه بلغت ٣٨ سنة وأن وفاته وقعت سنة ٤٨٥ وعلى ذلك وجب أن تكون ولادته سنة ٤٤٧ انظر أيضاً ا ا (ج ١٠ ص ١٤٣ ، زن ص ٦٨) .

وكله إلى نفسه[1] ، حتى يتردى فى الفساد والمناهى والفسق والملاهى فيدفعه إلى جهنم ، فمن الواجب على السلطان أن يختار العدل حتى يدرك السعادة .

وقد تولى آباء السلطان ملكشاه فتح العالم فلما جاءت نوبته [ص ١٢٦] تولى إدارته وتعميره، وغرسوا له شجرة الدولة فجنى قطافها، وأسسوا له عرش السلطنة فتربع على دسته ، وصار عهده شباباً للدولة ، وربيعاً لأيام الملك ، وطرازاً لأبهى حلة ، فالعالم مسلم له ، ورايته منصورة ، ورعيته هانئة ، وبلاده معمورة .

مثل : إلزم الورع فإنه يؤيد الملك ، واحذر الطمع فإنه يولد الهلك[2] .

وكان ملكشاه ورعاً تَقِيًّا بعيداً عن الحرص والطمع ، لعب فترة فى ميدان العالم فانقادت له كرة المراد ، وأجرى جواد التوفيق فى ساحته فلم يتجه به إلى ناحية أو أمر إلا وذلّ وانقاد .

مثل : فضل السادة بحسن العادة ، وفضل الرياسة بحسن السياسة[3]

جاء ملكشاه بعد موت أبيه من خراسان إلى العراق ، وطمع عمه «قاورد» فى الملك فتحرك بجيش جرار من كرمان قاصداً العراق أيضاً ، ظاناً أن سائر البلاد قد سلمت إليه ، وتلاقى الجيشان على باب الكرج فدامت المعركة بينهما ثلاثة أيام بلياليها ، ثم انتهى الأمر بهزيمة «قاورد»[4] .

يقولون إن مبارزاً من جيش قاورد تقدم إلى صفوف عسكر ملكشاه طلباً للمبارزة ، فانبرى له فارس ونازله وضربه بسيفه ضربة أطاحت بنصفه الأعلى

---

(١) فق ورقة ١٥ (أ) .
(٢) فق ورقة ١٤ ب .
(٣) فق ورقة ١٩ (أ) .
(٤) انظر تفصيل ذلك ايضاً فى زن ص ٤٨ ، اا فى حوادث سنة ٤٦٥ (ج١٠ ص ٥٣) ، تسك ص ٤٤٣ ، زت ورقة ٣٢ ب — ٣٤ (أ) وتاريخ سلاجقه كرمان لمحمد بن إبراهيم طبع ليدن ص ١٣ .

عن جسده ، فلما عاد جواده حاملا كفله ونخذيه ورأى قاورد ذلك قال : لم يعد لنا هنا مكان للثبات والوقوف ، وولّى الأدبار منهزماً ، ثم وقع فى النهاية أسيراً ، ووقعت خزانته وخزائن أسلحته وآلاته وعدده ومتاعه وكراعه فى أيدى عسكر ملكشاه ، وكانت من الكثرة بحيث لا تدخل فى حدّ أو عدّ ولا يحتويها فَهمٌ أو وَهْم .

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— اعلم أن الشخص الذى يجمع الكنوز فى هذه الدار الفانية ،
إنما هو فى عناء دائم وتعب ناصب [١] . . . !!

— فتمتع بالمأكل ، والملبس ، وملاعب الحب والشباب [ص ١٢٧]
وتأمل ذلك جيدا . . . فعليه يدور الفلك الدائر . . . !!

— واجتهد وكن كريما وبالغ فى الكرم والجود
ولا تبق شيئا من المأكل إلى الغداة . . . !!

— فكثيراً ما يشقى واحدٌ من الناس ... وينعم آخر بأكل ما جمع
ومع ذلك فإن أحدا لا يهتم بالمنح والعطاء [٢] . . . !!

— ولقد عَشِيَتْ عيناك وزاغ بصرهما فى هذه الدنيا الفانية
جرياً وراء التاج والسلطان والكنز والمال . . . !!

— والدنيا بِرُمتها لا تساوى جرعة من الماء البارد .
فلماذا تتعب قلبك بأسبابها . . . ؟!

— ولا مكان للعقل مع دورة الفلك الدائر
وأحكامه فى اللطف والقهر غير ظاهرة [٣] ... !!

— ويا صاحب الرأى الصائب . . . إذا كانت الدنيا كنزا
فرتّبْها ونظّمْها . . . ولكن حذار أن تشغل قلبك بالغداة ... !!

(١) شـه س ٢٠٦٣ س ٢١ .
(٢) شـه س ٢٠٦٤ س ١٦ .
(٣) شـه س ٢٠٨٦ س ٧ .

واقتح أبواب مآكلك على مصاريعها ، وأفرغ ما فيها .
فإذا طال بقاؤك ، فإن الله كما أعطاكها يعطيك غيرها . . . ! !

ولما عاد ملكشاه من هذه المعارك وبلغ باب همدان تطاول جنده وتدللوا قائلين : « إنا قد ظفرنا بهذا الفتح والنصر وهزمنا جيشاً جراراً فنريد زيادة أرزاقنا » وقالوا للوزير كلاماً مثل هذا يستفاد منه أنه إذا لم يَزْدَدْ رزقهم وإقطاعهم فإنهم يدعون بالسعادة لـ «قاورد»[1] . فقال لهم نظام الملك : « إنني سأحدث السلطان بذلك هذا المساء وسأحقق لكم مقصودكم ».

ثم أمر فى نفس الليلة فجرعوا « قاورد » شراباً ساماً ، وسَمَلوا أعين ولديه الاثنين[2] فلما كانت الغداة عادَ الجند إلى المطالبة بزيادة أرزاقهم فقال لهم نظام الملك : « لم يكن من اللائق ليلة الأمس أن أحدث السلطان بشىء من هذا لأنه كان حزيناً على عمه ، وقد ضاق عمه ذرعاً بمحبسه وأحس بالضجر والسأم فامتص السم من خاتمه وأسلم الروح . » فلما سمع الجند ذلك هدأوا وسكتوا ولم ينبسوا ببنت شفة ، ولم يعد أحد منهم يتحدث عن زيادة الأرزاق .

حكمة : « اعتمد فى أعمالك على أهل المروءة ، وفى قتالك على أهل الحمية ، لأن المروءة تمنع من الخيانة والغدر ، والحمية تمنع من الهزيمة والفرّ ، [ص ١٢٨] وإياك ومباشرة الحرب بنفسك ، فإنك لا تخلو من مُلْكٍ تحاذِر به أو هُلْكٍ تُبَادر به[3] ».

(١) تسك ص ٣٤٤ ؛ رمن ، حس عند ذكر ملكشاه .
(٢) انظر أيضا تاريخ سلاجقة كرمان لمحمد إبراهيم (طبع ليدن ص ١٣) حيث يقول : « قيدوا قاورد بضعة أيام ثم خنقوه خفية وسملوا أعين أمير انشاه وسلطانشاه » ويقول آآ ، رن ، زت إن قاورد قتل خنقا والله أعلم .
(٣) فق ورقة ٢١ (أ) .

وفى سنة إحدى وسبعين وأربعمائة قاد ملكشاه جيشه إلى خراسان وطاف بأطراف ممالكه متفرجاً ، واختار فوجاً من الجند المدربين على القتال وحاصر سمرقند ونصب عليها العرادات والمجانيق حتى استولى عليها ، وأحضر الجند إليه خان سمرقند[1] مترجلا فقبل الأرض بين يديه ، وأخذه ملكشاه أسيراً إلى إصفهان مكرماً مشرفاً .

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمة :]

— حذار أن تطمع فى الدنيا فتزدى الجواد الكريم
واحترس من ذلك حتى تسلم من الألم المقيم ... !!
— فالدنيا خيال زائل إذا لم تحسن فيها الأعمال
وهى غير جديره بأن تسلم إليها زمام القلب والآمال [2] ... !!
— والفلك الأعلى لا يدور على وتيرة واحدة
فأحياناً يجلب السرور ، وأحياناً يجلب الشر والتعاسة [3]
— وأحياناً يرفع الهامة إلى الشمس العالية
وأحياناً يهبط بالمرء من أوج الشمس إلى الحضيض ... !!

ولما عبر جيش السلطان نهر جيحون ، كتب نظام الملك بأن تدفع أجرة الملاحين من أموال انطاكية ، فلما ركب السلطان شكا إليه الملاحون أمرهم وقالوا : « إنا قوم فقراء ، نحصل على معيشتنا من هذا النهر ، وإذا ذهب شاب منا إلى انطاكية فإنه يعود شيخاً ... !! » فقال السلطان لنظام الملك : يا أبتى ما هذه الحكاية ... أليس لنا فى هذه الولاية مَعين بحيث نضطر إلى تحويل

---

(١) المراجع : المقصود به أحمد خان بن خضر خان أخو شمس الملك الذى كان قبله وهو ابن أخى تركان خاتون زوجة السلطان ملكشاه وكان صبيا ظالما قبيح السيرة (انظر حوادث سنة ٤٨٢ تاريخ ابن الأثير) .

(٢) شه ص ٨٣٦ س ٢٢ .

(٣) شه ص ٤٤٦ س ٨ .

هؤلاء القوم إلى أنطاكية ...؟ « قال الوزير : « مولاى ..... لا حاجة لأن يذهب هؤلاء القوم إلى أى مكان من الأماكن ، فإن أتباعنا يشترون البراءات التى أعطيت لهم بالذهب يدفعونه إليهم نقداً ، ولقد أمرت لهم بذلك إظهاراً لعظمة ملكك و بسطة سلطانك حتى يعلم الناس مقدار اتساع مملكتك [ص ١٢٩] ونفاذ حكمك[١] .... !!

ويكتب نقلة التاريخ فى هذه المناسبة فيقولون : يا أسفا على تلك الأيام التى كان الوزراء فيها يمتازون بالفضل والعلم والعقل والقدرة : فإن الوزارة فى هذا الوقت فى أيدى الغلمان ، يروج فيها سوقُ من كان سَبَّاقاً إلى جمع الأموال وشر الأعمال ... !!

حكمة : «اعلم أن الأيدى بأصابعها ، والملوك بصنايعها ، وأن وزيرَ الملك عينُه ، وأمينَه أذنُه ، وكاتبَه نُطْقُه ، وحاجبَه خُلُقُه ، ورسولَه عَقلُه ، ونديمَه مِثْلُهُ[٢] » .

وقد سار السلطان ملكشاه أثناء ملكه مرتين من « أنطاكيه » إلى « أوزكند » وكانت الأخيرة منهما فى سنة إحدى وثمانين وأربعمائة . وفيها ذهب السلطان إلى أنطاكية ثم إلى اللاذقية على شاطىء البحر وهنالك استقت جياده من مائه ، وطلب السلطان سجادة وصلّى ركعتين شكراً لله على أن ملكه قد امتد من أقصى المشرق إلى شواطىء بحر المغرب[٣] .

مثل : شكر الصنايع من أقوى الذرايع[٤]

والطرق كثيرة لشكر نعمة الله .. ولكن خيرها هو رعاية الحقوق ، فإن أساس الدولة يتمهد بها ، وساحة الملك تتسع بواسطتها ، وأسباب السلطة تستقر عليها ،

---

(١) انظر أيضاً نسك ص ٤٤٤ ، وص ، حس وابن خلكان عند ذكر ملكشاه .
(٢) فق ورقة ١٩ ب .
(٣) المراجع : أى البحر الأبيض المتوسط .
(٤) فق ورقة ١٣ ب .

وأرباب الحكم يرتفعون بفضلها . ولقد أقطع السلطان ملكشاه خواص أتباعه الإقطاعات من أقصى ولايات الشام إلى ساحل المحيط ، فأعطى مدينة « حلب » لقسيم الدولة « آقسنقر » وأعطى « الرها » لعماد الدولة بوزان ، وأعطى « الموصل » لـ « جكرمش » ، ثم عاد من هنالك إلى سمرقند .

مثل : مَنْ أنعَمَ قضى حقَّ السيادة، ومَنْ شَكَرَ استحقَّ الزيادة[1]. [ص ١٣٠]

فلما تم له الاستيلاء عليها وأسر سليمانَ خانَها (أى ملك سمرقند[2]) ذهب إلى « أوزكند » وأنفذ الولاة وأصحاب الإقطاع إلى حدود « الخطا » و « الختن » ونصب كل واحد منهم على مدينة من المدن ، واقتلع من هذه الديار العادات المبتدعة والرسوم المستحدثة ، والقوانين الجائرة .

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— إذا كان الملك عادلاً كريماً طيب الأعمال ،
امتلأت الدنيا بالخير والجمال .....!!
— أما إذا اعوج طبعه فى العدل والإنصاف
فإن المطاعم تحرم كالسم الزعاف[3] ....!!
— فاعدل مع كل الناس فى كل الأمور
واذكر فضل الله وآلاءه على العباد ....!!
— وعَجِّلْ وتَنَعَّمْ وابحث عن طلاب قلبك
فإذا ظفرت بذلك ، فاعمل لحسن الذكر[4]
— وكيف يكون وجود المرء من عند الله ،
ولا يلزمه أيضاً معلم من بين الناس[5]...!!

---

(١) فى ورقة ١٣ ب .
(٢) كذا فى تك ، رص ، حس وأما ١١ فيقول إن اسمه هو أحمد خان (انظر ج ١٠ ١١٣ — ١١٤) ومن الجائز أن اسمه كان « أحمد بن سليمان خان » .
(٣) شه ص ١٦١٩ س ١٩ — ٢٠ .
(٤) شه ص ٩٩٦ س ٤ .
(٥) شه ص ٨٥٩ س ٢ .

— وليس هناك ما هو أعجب من شخص يجرى وراء المطامع
فيجعل قلبه دائماً رهين الآلام والمواجع [١] . . . ! !
— فتأمل ، ماذا قال التاج للرأس التى علاها . . . ؟
قال : ليكن العقل قريناً للمخ الذى ركب فيك . . . ! !
— وإذا أردت أن يبقى تاجك فى مكانه ، فاحتفظى برجحان رأيك واتزانه ... !!
— وحذار أن تصنعى السوء ، فأنت تعلمين أن السوء يرتد إلى صانعه فى النهاية ... !!
— وعمل السوء يجلب السوء لصاحبه
فلا تبحث يا ولدى عن مفتاح أقفال السوء [٢]
— ولا يجب أن يبقى من بعدك ، سوءُ شهرتك
وكذلك لا يجب أن تسوء عاقبتك أمام الله [٣] . . . ! !
— وكل شخص يمتاز بالعقل والذكاء
يعلم أن الخير والشر سيمضيان على السواء ... ! !
— وإننا جميعا إلى ذهاب ، وأن الدنيا إلى فناء
فعلام كل هذا التعب والنصب والعناء . . . . ! ! [٤]
— وها نحن نرفع العصى فى أيدينا ، نجاهد بها الأعداء
ويرهقنا الأعداء ، ثم نمضى بعد ذلك إلى الفناء . . . ! !
— فاذهب وعدَّ الملوك من « هوشنگ » إلى « كاوس »
الذين تولوا العرش وتقلدوا التاج واشتهروا بالعظمة
— وستجد أنه لم يبق ، منهم شىء غير الذكر الحسن
ولم يستطع أحد أن يحصر سجل الذاهبين منهم . . . . ! !

وكان الجند الذين يلازمون ركاب السلطان ملكشاه ، ممن أثبتت أسماؤهم فى الجرائد الديوانية ، يبلغون ستة وأربعين ألف فارس ، وزعت إقطاعاتهم [ص ١٢١]

---

(١) شه ص ٨٦٠ س ١٧ .
(٢) شه ص ٩٩٣ س ٦ ، ٧ ، ١١ ، ١٢ .
(٣) شه ص ١٠٠١ س ٦ .
(٤) شه ص ١٠١٥ س ١٢ — ١٣ .

على سائر بلاد المملكة ، حتى إذا نزلوا بأية ناحية منها كانت نفقاتهم وعلوفة دوابهم معدة مهيأة[1] . و بلغ عدل السلطان وحسن سياسته حداً كبيراً ، حتى لقد قيل إنه لم يوجد على عهده شخص له ظلامة ، فإذا فرض وجاء متظلم لم يكن له من دونه حجاب بل كان يحدث السلطان مشافهة و يطلب منه إنصافه[2]

مثل : من شرفت همته عظمت قيمته .

ومن خيرات السلطان ملكشاه أحواض الماء التى بناها على طريق الحجاز[3] ، وهو الذى رفع المكوس ورسوم الخفارة عن طريق الحاج[4] وأقطع الحرمين نظير ذلك الإقطاعات والأموال ، وكانوا يأخذون قبل ذلك من كل حاج سبعة دنانير ذهبية . وأنعم كذلك على عرب البادية وعلى مجاورى الكعبة المعظمة بالإنعامات الطائلة وما زال بعض هذه الرسوم باقياً حتى الآن .

حكمة : «اِجْعَلْ لدينك من دنياك نصيباً ، وكن فى نفسك على نفسك رقيبا ، وَصَيِّرْ لكل جارحة من جوارحك زماماً من العقل والنهى ولجاماً من الورع والتقى[5] .»

وكان السلطان يحب الصيد دون سائر أنواع الملاهى ، ولقد رأيت كتاب صيده (شكار نامه) مكتوباً بخط «أبى طاهر الخاتونى»[6] وقد روى فيه أن السلطان

(١) تسك س ٤٤٩ ، وانظر أيضاً الفصلين ٢٢ ، ٢٣ فى «سياست نامه» تأليف نظام الملك .

(٢) انظر أيضاً ا‌ا ج ١٠ ص ١٤٣ — ١٤٤ .

(٣) ا‌ا ج ١٠ ص ١٤٤ ، زن ص ٦٩ .

(٤) ا‌ا فى ذيل حوادث سنة ٤٨١ .

(٥) نق ورقة ١١٣ .

(٦) هو موفق الدولة أبو طاهر الخاتونى وكان يشتغل مستوفيا (أى يتولى الماليات) لـ « گوهر خاتون » زوجة السلطان محمد بن ملكشاه ومن أجل ذلك سمى بالخاتونى وهو من أهل « ساوه » (انظر مقدمات لباب الألباب التى كتبها ميرزا محمد قزوينى ج ١ ص و — ز) .

استطاع فى يوم واحد أن يصيد سبعين غزالاً ، وكان من عادته أن يتصدق على الفقراء والدراويش بدينار مغربى لقاء كل صيد يصيده . و بنى الأبراج من حوافر الغزلان وحمر الوحش فى كل مصيد من مصايد العراق وخراسان ، وترك آثاراً مختلفة فى ولاية ما وراء النهر وفى بادية العراق وفى مرج خوزستان وولاية أصفهان وفى كل مكان كثر به الصيد .

وقد اختار أصفهان من سائر بلاد مملكته لتكون عاصمة لملكه [ص ١٣٢] ومقراً لعرشه ، و بنى داخلها وخارجها كثيراً من العمارات والجواسق والحدائق مثل « باغ كاران » و « بيت الماء »[١] و « باغ أحمد سياه » و « باغ دشت كور » وغير ذلك . وهو الذى بنى قلعة المدينة وقلعة « دز كوه »[٢] وكانت خزانته فيها .

وكان الوزير نظام الملك شديد الاحترام والتمكين والنفوذ فى مملكة السلطان ملكشاه وكان له اثنا عشر ولداً ، نَصَّبَ كل واحد منهم على عمل أو ولاية .

حكمة : « إن عمال الولاة بمنزلة سلاحهم فى القتال ، وسهامهم فى النضال ، ومَنْ ولى المُلْكَ بلا كُفاة ، كان كمن لقى الحرب بلا حُماة ، ومما يديم لك نصحهم وولاءهم ، و يحفظ عليك ودهم ووفاءهم ، قلةُ الطمع فيهم ، وحسنُ المقابلة لمساعيهم . واعلم أنك إنْ طمعتَ منهم فى ذرة ، طمعوا منك فى بدرة ، وإنْ ارتجعتَ من رزقهم ديناراً ، اقتطعوا من مالك قنطاراً ، ثم أساءوا

---

(١) جت ، م : بيت المال وكلمة باغ بمعنى حديقة .

(٢) يعنى قلعة «شاهدز» ويقول القزوينى فى كتابه آثار البلاد : بناها — يعنى قلعة شاهدز — السلطان ملكشاه سنة خمسمائة ، وهذا خطأ ظاهر لأن السلطان ملكشاه مات فى سنة ٤٨٥ وربما أخطأ المؤرخون فى ذلك بسبب أنهم ذكروا هذه القلعة فى حوادث سنة ٥٠٠ عندما استطاع السلطان محمد بن ملكشاه أن يستخلصها من يد أحمد بن عبد الملك بن عطاش (انظر ا ا ج ١٠ ص ٢٩٩) .

القول فيك ، وأنكروا بيض صنايعك وأياديك . وإذا اصطنعت فاصطنع من يرجع إلى أصل وأبوّة وعقل ومروّة ، فإن الأصل والأبوة يمنعانه من الغدر والخيانة ، والعقل والمروة يبعثانه على الوفاء والأمانة ، وإنّ كلّ فرع يرجع إلى أصله ، وكل شيء يعود إلى طبعه ، ثم يُسْتَدَلُ بالصنيعة على قدر المصطنع ، ويحكم بالزراعة على عقل المزدرع ، لأن الحرّ لايصطنع إلا حراً وفياً ، والعاقل لايزرع إلا زرعاً زكياً »[1] .

وكانت هذه الصفات جميعها موجودة فى « نظام الملك » وأولاده [ص ١٣٣] فلا غرو إذا خصه السلطان بتقريبه والعناية به .

وكانت « تركان خاتون » بنت « طمغاج خان »[2] زوجة للسلطان وكانت شديدة التأثير فيه والاستيلاء عليه،وكان لها وزير هو«تاج الملك أبو الغنايم الفارسى»[3] يمتاز بحسن المنظر والمخبر،والكفاية والدراية،والفضل والهمة ، وكان يتولى أيضاً شئون الملابس السلطانية فشاءت تركان خاتون أن ترفعه فى وجه نظام الملك .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— من حفر بئرا فى طريق أخيه ، وقع هو فى البئر وتردى فيه . . . !!

فما زالت تحث السلطان أن يعطيه الوزارة ، وتقبح له صورة نظام الملك وتتتبع زلاته وعثراته حتى تغير السلطان عليه لكثرة ما سمع من مساوئه .

---

(١) فى ورقة ٣٠ (أ) .

(٢) المقصود به هو أبو المظفر عماد الدولة إبراهيم طفقاج خان بن نصر وهو أحد ملوك الخاقية فيما وراء النهر ، ولى السلطنة ما بين ٤٤٠ — ٤٦٠ (انظر : الدول الإسلامية ، وضع لين بول) .

(٣) اسمه المرزبان بن خسرو فيروز (زن ص ٦١) .

[شعر فارسي فى الأصل ، ترجمته :]

— كل من يسلك طريق السوء ، يكون عدوا لنفسه ولسيرته ....!! [١٣٤]
— والشخص الذى يمزق حجاب أخيه ، يرى أيضاً أن نقاب أخته قد تمزق...!!
— وإذا لم يتأمل المرء معايبه ، خاف فعل الآخرين وخشى صنعهم .....!!

وسبب العداء بين تركان خاتون ونظام الملك يرجع إلى أن السلطان ملكشاه كان له ولد من تركان خاتون اسمه محمود ، شاءت أمه أن تجعل السلطان ينصبه ولياً لعهده ولكنه كان صغير السن جداً [1] وكان أكبر أولاد السلطان هو « بركيارق » المرزوق له من « زبيدة خاتون » بنت الأمير « ياقوتى » وأخت الأمير إسماعيل ، وكان نظام الملك يميل إليه ويحثّ السلطان على أن يفوض إليه ولاية العهد [2] . وكان السلطان أيضاً يرى بركيارق أليق لهذا الأمر .

مثل: من أحسن الاختيار الإحسان إلى الأخيار، ومن عادة الأبرار اختيار الأخيار.

فلما امتلأ سمع السلطان بأنباء عثرات نظام الملك أرسل إليه رسولا ، زوده برسالة فحواها : « هل أنت شريكى فى الملك حتى تتصرف وفق ما تريد دون مشورتى ، وتنصّب أولادك على الولايات وتقطعهم الإقطاعات وفقَ ما تشتهى ... ؟! سترى أننى سآمر بخلع العمامة عن رأسك ... » [3] فثار نظام الملك قائلا : « إن الذى وضع التاج على رأسك هو الذى وضع العمامة على رأسى ... وكلاهما مرتبطان ولا ينفصلان » [4] ونقل الحاضرون هذا الكلام وزادوا فيه فزاد غضب السلطان على نظام الملك واستبدله بتاج الملك .

---

(١) زن ص ٨٢ ، اا ج ١٠ ص ١٤٥ .
(٢) زن ص ٨٢ — ٨٣ ، ا ج ١٠ ص ١٤٦ ، كانت ولادة بركيارق سنة ٤٧٤ وأما ولادة محمود فكانت فى سنة ٤٨٠ .
(٣) المراجع ، كناية عن عزله من منصبه فى الوزارة .
(٤) انظر : زن ص ٦٣ ، اا فى حوادث سنة ٤٨٥ (ج ١٠ ص ١٣٨ — ١٣٩) .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— يحق للشبان الذين يمتازون بالعلم والتدبير
أن يجلسوا فى مكان الشيخ الكبير ....!!

وحدث فى هذه الأثناء أن قامت الفتن فى سائر البلاد من إصفهان إلى بغداد .

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته .]

— حذار أن تتدلل كثيرا على السلطان ، ولو كنت من أقدم أتباعه وخدامه ...!!
— واعلم أنه مهما طالت خدمتك له ، فإنه ليس فى حاجة إليك ....!! [ص ١٣٥]
— وإذا غضب عليك فى أمر من الأمور
فاطلب المعذرة ولا تنبس ببنت شفة .....!!
— وحتى إذا لم تعرف حقيقة جريرتك
احمل قلبك عاريا وقدمه للملك [1] .....!!
— وحذار أن تتحدث بالسوء فى حضور الملك عن أحد من رجاله
فإنك تكون فى رأيه قليل الأدب والحياء .....!![2]

فلما وصل الجيش إلى نهاوند أغرى « تاج الملك » الملاحدة المخاذيل (أى الإسماعيلية من أتباع حسن الصباح) فضربوا نظام الملك بالخنجر وقتلوه ولم يكن من عداهم من سائر المسلمين ليقدموا على قتله . وكان نظام الملك عند مقتله شيخاً مسناً قد جاوز الثمانين من عمره[3] .

وكأنما كان حديثه الذى قاله كاشفا لمصير السلطان ، فإنه لم يكد يبلغ بغداد

---

(١) شه ص ١٦٧٨ س ٤ ، ٥ ، ٧ ، ٨ .
(٢) شه ص ١٦٧٧ س ٢٦ .
(٣) هذا خطأ واضح لأن المؤرخين يجمعون على أن ولادة نظام الملك كانت فى سنة ٤٠٨ وأن وفاته كانت فى سنة ٤٨٥ وعلى ذلك لا يمكن أن يزيد عمره على ٧٧ عاما ويجب أن نبدل كلمة « ثمانين » بكلمة « سبعين » .

ويقيم بها ثمانية عشر يوماً حتى مات، وكان بين موتهما فترة أقل من شهر واحد[١].
ويقول الأمير مُعِزّى من قصيدة له فى رثاء السلطان بيتين من الشعر فى هذه المناسبة ترجمتهما[٢] :

— فى شهر .... ذهب الوزير المسن إلى جنة الخلد والمآب
وفى الشهر التالى ... تبعه الملك مكتمل النضرة والشباب
— فوا حزنا .... على الملك، ويا أسفا على هذا الوزير.
ويا عجباً لعجز السلطان، وقهر الله، وسطوة المقادير ... !!

وقد أمر السلطان فى أواخر أيامه بتبديل سائر أصحاب الديوان القدماء فكان ذلك الأمر أيضاً غير مبارك بالنسبة له، فاستبدل نظام الملك بـ « تاج الملك» واستبدل المتنعم بالدنيا والمنعم بها « شرف الملك أباسعد المستوفى» [ص١٣٦] بـ « مجد الملك أبى الفضل القمى[٣] » وهو الذى هجاه أبو طاهر الخاتونى بقوله[٤].

— إن مجد الملك ينعم بالبخل، مثلما ينعم القمرى الجائع بالجلبان ....!!
— فإذا كان جميع أهل « قم » على هذه الحال
فقُم رفيقا، وبُلْ على « قم » جميعها ....!!

واستبدل « كمال الدين أبا الرضا العارض[٥] » بـ « سديد الملك أبى المعالى»
ويقول « أبو المعالى النحاس[٦] » مقطوعة فى هذا المعنى، عالية النظم

---

(١) يقول زن كان بينهما ٣٣ يوما، ويقول ابن خلكان كان بينهما ٣٥ يوما. وقد توفى ملكشاه فى السادس عشر من شوال سنة ٤٨٥ (زن ص ٦٨).

(٢) انظر تتمة سياست نامه طبع « شيفر Schefer ص ٦٥ — ٦٦ ».

(٣) انظر : زن ص ٥٩ — ٦٠ .

(٤) انظر أيضاً « مجمع الفصحاء » ج ١ ص ٦٧ .

(٥) المتوفى سنة ٥١٢، وكان من أهل الرى، وعلى قول آخر من أهل أصفهان، وقد اشتغل أيام ملكشاه وبركيارق ومحمد بوظيفة « عارض الجيش » وجمع أموالا طائلة.

(٦) وكان يفخر بأنه مساو للأمير معزى، وذهب فترة إلى الخليفة الفاطمى المستنصر ونال انعامه واحترامه (انظر مجمع الفصحاء ج ١ ص ٧٨) ويعتبر من خواص المداحين لأمير خراسان داد بك حبشى بن إلتونتاق (انظر تاريخ جهانگشاى تأليف الجوينى ج ٢ ص ٢).

طيبة التنسيق حفظ فيها ألقاب هؤلاء القوم وأساميهم[(١)] .

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته[(٢)] :]

— عَلى عهد « أبى على » و « أبى الرضا » و « وأبى سعد »
كان الأسد ، يدخل حضرتك فى وداعة الحمل أو أشد .....!!

— وكان كل من يدخل إليك فى تلك الأيام
كأنه الرسول المزوَّد بِبُشرَى النصر والظفر والإقدام ...!!

— وأما على عهد « أبى الغنائم » و « أبى الفضل » و « أبى المعالى »
فقد أصبح كل شىء يلسع حتى الحشائش النامية على أرضك .....!!

— فإذا كنت قد مَلَكْتَ خدمة « نظام الملك » و « كمال الملك » و « شرف الملك »
فتنبه إلى ما جره عليك « تاج الملك » و « مجد الملك » و « سديد الملك » ...!

* * *

وبحمد الله تعالى قد راعى السلطان القاهر عظيم الدهر أبو الفتح [ص١٣٧] كيخسرو وارث ملك ملكشاه وتاجه وعرشه حقوق السيرة ، فوجد من الواجب عليه استخدام الكفاة وتفويض الأعمال إلى مشاهير الثقاة ، ووجد أن أسباب الملك وقواعد الحكم والتوفيق لا تتأتى إلا بالأعمال الطيبة واستعمال الرجال الصالحين . فلما قام شيطان الفتنة فى « أنطاليه » تداركه السلطان القاهر — قرن الله رآيات دولته بالنصر — بأنواع ماهرة من القيادة وحسن توجيه الجيوش بحيث أن سِجِلّ دولته وكتاب أعمال سعادته قد تأرخا وتجملا بذكر محاسنه وإذاعة صيت مناقبه ، فاستقام له الحال فى تمام الممالك الإسلامية ، وأذعن له المعتدون فى سائر الأطراف ، وكملت له عُدَّة الملك وأهبته فى سائر أقطار العالم

---

(١) انظر أيضا تــك ص ٤٤٨

(٢) المترجم : انظر تاريخ الادب فى ايران من الفردوسى الى السعدى تأليف المستشرق براون وترجمة الدكتور إبراهيم امين الشواربى ص ٢٣٦ .

وآفاقه(١) ، وكان السلطان يقتدى فى أفعاله بمكارم أخلاق الملوك من أسلافه ومعالى خصالهم ، متتبعاً فى ذلك الآثار المرضية للسلاطين الماضين ، فأحيى بعاداته الجميلة سوابق العدل وأسباب السياسة التى اشتهر بها سلاطين آل سلجوق ، ومحا السنن السيئة التى وضعها فى الأرض المتهورون والمفسدون ، فاستراح الخلق واطمأنوا وأسندوا ظهورهم إلى حوائط الأمن وفراغ البال ، فأما الجبارون والعتاة فقد اضطروا إلى طلب الأمان وأسرعوا إلى الاستسلام .

وقد قصر السلطان همته الملكية على إعلاء كلمة الحق ، ووقف ذاته التى لا نظير لها على نصرة الدين ومصالح المسلمين ، فسطعت شمس الدين المحمدى فى سائر أرجاء العالم منبعثة من طرة لواء هذا الملك السعيد ، فبنيت المدارس والمساجد فى مكان بيوت الأصنام ، ودخل قياصرة الروم أيام دولة سلاطين آل سلجوق فى دين الإسلام ، وعلت مرتبة السلطان كيخسرو حتى فاقت فى علوها قمر السماء ، وانطوت رسوم الملحدين والكفار والمارقين فى سائر الأرجاء .

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته (٢) :]

— وقد جعل جيش الروم وكان أكثره من الأتراك [ص ١٣٨]
عبيداً ، بفضل سيفه المهند القاطع ....!!

— وكسر التاج الصلد الذى كان على مفرق الروم
ومضغه بأسنان الظفر ، كما لو كان شمعا لينا ....!!

— وجواده فى السرعة سباق متقدم ، قد ذرع ميادين الفلك السبعة وأكثر ....!!

— وقد استولى برأيه الصائب على جميع العالم
وهكذا يكون لأنه ظل الله فى الأرض ....!!

---

(١) يشير الى فتح انطاليه فى سنة ٦٠٣ على يد السلطان غياث الدين كيخسرو (أنظر تفصيل ذلك فى « مختصر سلجوقنامه » طبع هوتسما ص ٣٣ — ٣٥) .

(٢) الشعر من مثنوية خسرو وشيرين تأليف الشاعر « نظامى » وهو فى مدح الأتابك محمد ابن ايلدكز (خمسه نظامى طبع بمبى سنة ١٢٦٥ — ص ٨) .

— وقد دانت له كل الكائنات من أبيض وأسود
وإذا استثنينا الله — فإنهم جميعا عَبَدُوه ....!!

— ولم يغفل عن خصمه ... وفى هذا حنكته ودرايته
وهو لا ينام ... وهذا هو شرط الملك وما يضمنه ....!!

— لم تلد والدةٌ مثيلَه فى القوة والدولة
يفتح الأقطار من بلاد الحبش إلى بلاد الصين ....!!

— ومواطن صيده هى الابخاز ودربند[1]
ومواطن غاراته هى خوارزم وسمرقند ... !!

— وهو يقيم عادات أبيه ورسومه
فالعطاء فى كفِّه ، والدين قائم مرتفع ... !!

— فيارب ... لا تنزع هذا الضياء عن وجه هذا القمر
ولا تسقط هذا التاج عن مفرق هذا الملك ...!!

— فالملك هو « سليمان » الحقيقى
وقد ورث الملك والدين عنه ... !!

— وكان لسليمان الخاتم (نگين) وأما أنت فلك السرج والجواد (زين)
وكانت للإسكندر المرآة (آيينه) وأما أنت فلك (الآيين)[2]

— ولقد رأى الاسكندر فى مرآته ... ورأى كيخسرو فى كأسه
ما تراه أنت ببصيرتك فى هذه الأيام ... !!

---

(١) المراجع : « الأبخاز » اسم ناحية من جبل القبق المتصل بباب الأبواب وهى جبال صعبة المسالك وعرة لا مجال للخيل فيها تجاور بلاد اللان تسكنها أمة من النصارى يقال لهم الكرج وفيها تجمعوا ونزلوا الى نواحي تفليس فصرفوا المسلمين عنها وسكنوها فى سنة ٥١٥ حتى قصدهم جلال الدين خوارزم شاه فى سنة ٦٢١ فأوقع بهم واستنقذ تفليس من أيديهم ، و «دربند» هى باب الأبواب على بحر الخزر .
(انظر معجم البلدان)

(٢) المراجع : اشتهرت مرآة الأسكندر بأنه كان متى نظر فيها رأى جميع ما يجرى فى العالم ، والآيين هو كتاب القوانين والرسوم والعادات .

السلطان المعظم ركن الدنيا والدين

أبو المظفر بركيارق بن ملكشاه

يمين أمير المؤمنين[1]

كان السلطان بركيارق مليح الوجه جداً ، وكان معتدل القامة ، مقرون الشارب واللحية مفروق الحاجبين .

تولى الملك فى سنة ست وثمانين وأربعمائة ، ومدة ملكه اثنتا عشرة سنة . و بلغ عمره خمسا وعشرين سنة . وكانت ولادته فى دار الملك (أى العاصمة) إصفهان فى المحرم من سنة أربع وسبعين وأربعمائة[2] . [ص١٣٩]

وكان توقيعه عبارة : « اعتمادى على الله » .

ووزراؤه هم : الوزير عز الملك الحسين بن نظام الملك ، والوزير مؤيد الملك أبو بكر بن نظام الملك[3] ، والوزير فخر الملك بن نظامه[4] ، والوزير أعز الملك عبد الجليل الدهستانى والوزير مجد الملك أبو الفضل القمى .

وحجابه هم : الأمير الحاجب قماج ، والحاجب طغان يرك[5] . والحاجب عبد الملك .

---

(١) زن : برهان .

(٢) انظر تاريخ ابن خلكان عندما ترجم للسلطان بركيارق فى حرف الباء ، !! يقول إن ولادته كانت فى سنة ٤٧١ وهذا خطأ لأنه هو نفسه يقول إن موته كان فى سنة ٤٩٨ وكان عمره عندما توفى ٢٥ سنة (ج ١٠ ص ٢٦١) .

(٣) اسمه عبيد الله (زن ص ٨٥) .

(٤) المراجع : أى ابن نظام الملك ، واسمه « المظفر » وكنيته « أبوالفتح » (زن ص٨٦)

(٥) ابن الأثير يكتبه « طغايرك » .

وكان السلطان بركيارق يمتاز بحسن الخلقة والخلق وكان متلافا كريماً .

مثل : مَنْ كَرُم حَلُمَ ، ومَنْ شَرُفَ لَطُف[١]

وقد كثرت الحوادث على عهده بحيث أصبحت النوازل والكوارث لاتدخل فى عد أو حصر[٢] . وكان فى الثالثة عشرة من عمره عند ما مات أبوه ملكشاه ، وكان أكبر أولاد أبيه وقد عهد إليه أبوه بولاية العهد[٣] وكان عند موت أبيه فى إصفهان ، فطلبت « تركان خاتون » من الخليفة فى بغداد أن يعهد بالسلطنة إلى ابنها « محمود بن ملكشاه » وأن يجعل الخطبة باسمه ، ولكن الخليفة لم يجبها إلى ماطلبت ورد عليها قائلا : « إن ابنك طفل صغير وهو لا يليق للملك[٤] ...! »

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— من الحق أن أقول لك نصيحة غالية ،
تكون عوناً لكل عاقل فى حياته الآتية . . . !!
— حذار أن تمد يدك لتغتصب النعمة وتجلب النقمة
وحذار أن تحسب منزلك مستقراً دائماً لك . . . !!
— فالدنيا دار فناء . . وهى مليئة بالمجىء والذهاب
يشيخ بها شخص فيموت ... ويجلب إليها جديد يولد . . . !!
— يأتى شخص . . ويذهب عنها آخر
ويتمتع فيها الشخص بعض الوقت بالمأكل والمشرب[٥] .

---

(١) نق ورقة ٨ ب .
(٢) زن ص ٩٠ ، اا ج ١٠ ص ٢٦١ .
(٣) يقول ابن الأثير فى ذيل حوادث سنة ٤٨٠ « وفيها جعل السلطان ملكشاه ولى عهده ولده أبا شجاع أحمد ولقبه ملك الملوك عضد الدولة وتاج الملة عدة أمير المؤمنين . ... » ولكنه مات بعد سنة (أى سنة ٤٨١) فصارت ولاية العهد لـ « بركيارق » بعد وفاة أخيه الأكبر أحمد (اا ج ١٠ ص ١١٢) .
(٤) اا ج ١٠ ص ١٤٥ .
(٥) شه ص ٢٠١٤ س ١٢ ، ١٤ — ١٦ .

— وهذا .. هو حال الدنيا ووضعها ونهجها [ص ١٤٠]
فهى تأخذ بيد . . . وتعطى بالأخرى[١] ... !!

— لحذار أن تزرع فى وقت السرور شجرة تجعل الأيام ثمرتها سماً قاتلا ... !!

— فإن مثل هذه الشجرة التى تغرسها بيدك
يكون ثمرها سما ... وتكون أوراقها حنظلا[٢] ... !!

— ولا يليق بك الذهاب بأقدامك إلى النار الهوجاء
ومن الحق أن تضرب لك الأمثال قبل الوقوع فى البلاء ... !!

مثل : من هان عليه المال توجهت إليه الآمال[٣] .

وبذلت « تركان خاتون » الأموال الطائلة وأخذت تتودد إلى الأمير جعفر ولد الخليفة من زوجته « مَهْمَلَك خاتون » أخت ملكشاه[٤] ، وكانت تناديه فى حضور أبيه المقتدى بعبارة: يا أمير المؤمنين ! وكان العزم قبل وفاة « ملكشاه » أن يبنوا داراً للخلافة وحرماً ملحقاً بها فى إصفهان فى سوق العسكر حيث توجد الآن مدرسة « ملكه خاتون » وأن يقيموا الأمير « جعفر » فيها[٥] ، وأحس الخليفة بهذا الأمر .

وبعثت « تركان خاتون » إليه بذلك حتى اضطر إلى إجابة طلبها وأمر بالخطبة لأبنها[٦]

---

(١) شه ص ٥٤٦ س ٢٤ .
(٢) شه ص ٤٣٨ س ٢٠ .
(٣) فق ورقه ٩ (أ) .
(٤) انظر اا ج ١٠ ص ١٤٢ فهو يقول إن مهملك خاتون كانت بنت السلطان ملكشاه وليست أخته ، وانظر أيضاً « ذكر زفاف ابنة السلطان الى الخليفة » فى حوادث سنة ٤٨٠ (ج ١٠ ص ١٠٦) .
(٥) تك ص ٤٤٩ .
(٦) اا ج ١٠ ص ١٤٢ و ١٤٥ ومما يلاحظ أن جعفر مات سنة ٤٨٦ ولم يزد عمرة عن خمس سنوات وبضعة اشهر وكانت ولادته سنة ٤٨٠ .

ثم أسرعت « تركان خاتون » فبعثت الأمير « كربوغا » ليقطع المسافة ما بين بغداد إلى إصفهان فى أسبوع واحد ليقضى على بركيارق[١] .

مثل : من بذل ماله استُحمِدَ ، ومن بذل جاهه استُعْبِد[٢] .

ولكن حرس بركيارق النظاميين حموه فى إصفهان ، ونقلوه منها أثناء الليل إلى « ساوه » ثم إلى « آبه » حتى أحضروه إلى قائد جيشه « الأتابك كمشتكين جاندار » فحمله إلى مدينة الرى وأجلسه هناك على العرش[٣] « وأسرع أبو مسلم » رئيس الرى[٤] فعلق على رأسه تاجا مرصعاً بالجواهر واجتمع حوله على باب الرى ما يقرب من عشرين ألف رجل[٥] . [ص١٤١]

مثل : خير المال ما قضى اللوازم و بنى المكارم[٦] .

وأقبلت تركان خاتون مع ولدها من بغداد إلى إصفهان وتحصنت بها[٧] .

---

(١) اا ج ١٠ ص ١٤٢ — ١٤٣ و ١٤٦ ، تسك ص ٤٤٩ — ٥٤٠ .

(٢) فق ص ٩ (١) .

(٣) اا ج ١٠ ص ١٤٦ ، زن ص ٨٢ — ٨٣ .

المراجع : ابن الأثير يسمي الحرس النظاميين باسم المماليك النظامية .

(٤) ورد ذكره فى تاريخ ابن الأثير فى حوادث سنة ٤٩٤ (اا ج ١٠ ص ٢١٦)

المراجع : علق التاج على رأسه لأن بركيارق كان صغيرا لم يبلغ الثالثة عشرة من عمره فأشفقوا أن يضعوه على رأسه وعلقوه من فوقه مخافة أن ينوء بحمله .

(٥) يذكر ابن الأثير فى حوادث سنة ٤٩٤ ج ١٠ ص ٢١٦ ما يأتى : وكان رئيس الرى إنسان يقال له ابو مسلم وهو صهر نظام الملك فاتهم الحسن بن الصباح بدخول جماعة من دعاة المصريين عليه ، فخافه ابن الصباح وكان نظام الملك يكرمه وقال له يوما من طريق الفراسة عن قريب يضل هذا الرجل ضعفاء العوام فلما هرب الحسن من ابى مسلم طلبه فلم يدركه .

(٦) فق ورقة ٩ (١) .

(٧) كانت تركان خاتون قبل ذلك قد أرسلت جيشاً لمحاربة بركيارق فتلاقى جيشها مع جيشه بالقرب من « بروجرد » فى ذى الحجة سنة ٤٨٥ ودارت الهزيمة على جيشها (اا ج ١٠ ص ١٤٦) .

مثل : أىّ ملك عدل فى حكمه وقضيته ، استغنى عن جنده ورعيته[1] .

وأقبل « بركيارق » إلى باب إصفهان ، فأخذت « تركان خاتون » تبذل الأموال وتدافعه ، وتهب أمراء الجيش وضباطه الأموال الطائلة .

مثل : إذا ساد السَّفَل خاب الأمل[2] .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— من اختلط بسافل وضيع الأصل يصبح حقيراً وضيعاً كالظل على الأرض ...!!

واجتمع « مجد الملك القمى » و « تاج الملك أبو الغنائم » وكانا يدبران أمور « تركان خاتون » مع أمير الجيش « أنر » والأمير « بلكابك[3] » وقرروا أن يعطوا بركيارق خمسمائة ألف دينار من ميراث أبيه حتى ينفض عن المدينة . فلما سلموه المال وانصرف بركيارق إلى همدان راسلت « تركان خاتون » خال بركيارق المسمى « ملك إسماعيل » ووعدته بالزواج منه إذا استطاع هزيمة بركيارق . وأرسلت إليه الآلات والأسباب والأموال والدروع فحارب بها السلطان فى نواحى « الكرج » فى مطلع سنة ست وثمانين وأربعمائة ولكنه [ص ١٤٢] أصيب بالهزيمة . وعاد إلى أخته « زبيدة خاتون » والدة بركيارق فى شهر رجب من هذه السنة وأمر السلطان بقتله فى شهر رمضان[4] .

---

(١) فق ورقة ٢١ (ا — ب) .

(٢) فق ورقة ٢٣ .

(٣) الأمير « بلكابك سرمز » كان شحنة لمدينة إصفهان وقتله الباطنية فيها (انظر تفصيل ذلك فى « ذيل حوادث سنة ٤٩٣) .

(٤) المراجع : يذكر ابن الأثير أن أمراء تركان خاتون خافوه إذا تزوجها ففارقهم وراسل أخته زبيدة والدة بركيارق فى اللحاق بهم فأذنت له فى ذلك فوصل إليهم واقام عندهم اياما يسيره فخلا به « كمشتكين الجاندار » و « آقسنقر » و « بوزان » وباسطوه فى القول فأطلعهم على سره وإنه يريد السلطنة وقتل بركيارق فوثبوا عليه فقتلوه واعلموا اخته خبره فسكتت عنه .

ثم خرج على بركيارق عمه « تتش بن ألب ارسلان » ونزل بقهستان فعجل السلطان بركيارق بالذهاب إليه قاصداً إصفهان وكان معه عدد قليل من الجيش [١] .

مثل : من ركبَ العَجَل أدرك الزَلَل [٢] .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— إن العجلة من عمل الشيطان وهى سبب الآلام والمتاعب والغموم والأحزان .

وماتت تركان خاتون فى رمضان سنة سبع وثمانين وأربعمائة [٣] ووجد بركيارق أن لا قوة له على مقاومة تتش فاستسلم لأخيه « محمود [٤] » . واستقبله محمود بإصفهان وترجل الأخوان عن جواديهما وتعانقا ولكن « أنر » و « بلكابك » بادرا فى نفس اليوم فحجزا بركيارق فى « كوشك ميدان » .

مثل : أى ملك استبد بتدبيره ورأيه ملكته سيوف أضداده وأعدائه [٥] .

وتم الاتفاق فى هذه الأثناء على كحل بركيارق وسمل عينيه ، وفجأة أصيب محمود بالجدرى ، فتوقف الأمراء عن كحل بركيارق حتى يروا نتيجة الأمور ؛ ولم يكد ينقضى أسبوع واحد حتى مات محمود ، فأحضروا بركيارق وأجلسوه على العرش [٦] .

---

(١) المراجع : على حد قول ابن الأثير : « لم يكن معه غير الف رجل وكان عمه فى خمسين الف رجل » (انظر تفصيل ذلك فى حوادث سنة ٤٨٧) .

(٢) فق ورقة ١٦ ب .

(٣) اا ج ١٠ ص ١٦٣ .

(٤) اا ج ١٠ ص ١٥٩ .

(٥) فق ورقة ٢١ ب .

(٦) المترجم : انظر تفصيل هذه الأحداث فى « تاريخ الأدب فى ايران من الفردوسى إلى السعدى » تأليف المستشرق براون وترجمة الدكتور إبراهيم امين الشواربى (ص ٣٧٥ وما بعدها) .

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— من الذى يدرى أن هذا الزمان المديد

يستطيع أن يجلب كل هذه التقلبات من رفعة وانخفاض[1] . . . !!

— ولكن هذا هو حال الدنيا الفانية ، فقد جعلت بعد كل ارتفاع انخفاضاً ... !!

— ولقد تحتضن واحداً وتربيه فى نعمة ودلال

وتمضى عليه فى نعمته الأيام الطوال

— ثم تتغير عليه فجأة فى وقت هناءته

فتدير وجهه عما يبغى ، وتتسبب فى تعاسته ... !!

— وفى لحظة واحدة تسبب لنا كثيراً من البؤس

فندعو الله الرحمة .. ونسأله العدل وكشف الظلم[2] . . . !!

وفى خلال هذه الأحوال أقبل « مؤيد الملك بن نظام الملك » من خراسان فأسرع بركيارق فولاه وزارته[3] . وأصاب الجدرى بركيارق أيضاً [ص ١٤٣] ويئسوا من شفائه ، فلما تمّ له الشفاء جمع الجيش وخرج إلى همدان وحارب « تتش » فى صفر سنة ثمان وثمانين وأربعمائة[4] .

ثم جاء « فخر الملك بن نظام الملك » من خراسان محملا بكثير من الهدايا والآلات والتحف من الخيام الجهرمية ، والطبول المكلسة ، والأسلحة الغالية ، والأدوات المرصعة بالجواهر ، والخيول العربية الفارهة ، والصقور المدربة على الصيد ، والدروع الجميلة ، فقدّمها هدية للسلطان وتولى وزارته[5] ؛ ثم جرح اللاحدة

---

(١) شه ص ٧٥١ ص ٢٧ .

(٢) شه ص ٨٨١ س ٦ — ٨ .

(٣) زن ص ٨٥ ، اا ج ١٠ ص ١٥٩ .

(٤) كان ذلك فى ١٧ صفر سنة ٤٨٨ عند قرية يقال لها « داشيلو » على بعد ١٢ فرسخا من الرى » (زن ص ٨٥) ، (اا ج ١٠ ص ١٦٦ — ١٦٧) وقد قتل « تتش » فى هذه المعركة .

(٥) اا ج ١٠ ص ١٧٢ — ١٧٣ [المراجع : تولى الوزارة بعد إقصاء اخيه مؤيد الملك وكان بين الأخوين تباعد بسبب جواهر خلفها ابوهما نظام الملك] .

الخاذيل السلطان بركيارق[1] فلما شفى من جرحه توجه إلى خراسان لمحاربة عمه « أرسلان أرغون » وأرسل فى المقدمة أخاه « سنجر » و « الأتابك قماج » ثم تبعهما فى جيش جرار وهو يسير فى رفق وهوادة .

مثل : الرفق مفتاح الرزق .

وكان ذلك فى سنة تسع وثمانين وأربعمائة ، وكان السلطان شديد التهيب من « أرسلان أرغون » لأنه كان يمتاز بالشجاعة والتهور وعدم الخوف بالإضافة إلى ما لديه من جند كثيرين .

مثل : من استعان بالرأى ملك ، ومن كابد الأمور هلك .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— كل من يقف بغير استعانة بالرأى والمشورة فى وسط الميدان
يصبح هدفاً للسهام التى تقذفه بها أحداث الزمان ... !!

ولكن القضاء كفاه أمر عمه ؛ فقبل أن يصل بركيارق إليه ضربه أحد غلمانه بخنجر وقتله[2] . واستطاع بركيارق من غير سيف ودم مهراق[3] أن ينفرد بالملك والخزائن والأموال . [ص ١٤٤]

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— وعلى هذا الحال والمنوال تجرى أمور السماء
فحذار أن تشغل قلبك بدار الفناء ...!!

---

(١) انظر ا! فى ذيل حوادث سنة ٤٨٨ .

(٢) انظر تفصيل ذلك فى تاريخ ابن الأثير فى حوادث سنة ٤٩٠ وكذلك فى زن (ص ٢٥٨) « قتل ارسلان ارغون سنة ٤٩٠ وسنه ٢٦ سنة » .

(٣) هذه الجملة عبارة عن المصراع الثانى من بيت من الشعر روته تتمة اليتيمة دون ان تذكر اسم قائله والبيت هو الآتى :

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

— فهى تضع التاج على رأس واحد من الناس[1]
وتلقى بالآخر إلى قاع البحر طعاماً للأسماك ...!!

— وهى تجعل واحداً عارى الرأس والقدم والجسم
وتحرمه الراحة والمأكل والمسكن ...!!

— بينما تمنح الآخر المأكل الهنيء والشهد واللبن
وتعطيه الديباج والخز والحرير ملبسا ...!!

— ثم فى النهاية تودى بكلا الاثنين إلى بطن التراب
وينتهى أمرهما جميعاً إلى الفناء والهلاك . . .!!

— ولو لم تنجب الدنيا العقلاء والنجباء
لما كان لها ذكر . . . وكانت هباء فى هباء ... !!

— ألم تر أنها مليئة بالشرور
سواء أكنت رجلا شريراً أم كنت خيراً كبيراً[2] ...!!

— فإذا كانت هذه هى الحال ، فلا تسع جاهداً إلى منافعها
فالسعى يجلب عليك كثيراً من المتاعب[3] ...!!

— ولا تزعج خاطرك ، وتثقل روحك بأفعال الفلك
فهذه هى حال الفلك الدائر ... !!

— فهو ملجأ لك فى بعض الأحيان ، ومضرة لك فى أحيان أخرى
وهو يؤذينا أحياناً ، وينفعنا أحياناً أخرى[4] . . . !

ثم سار السلطان بركيارق من هنالك حتى جاء « ترمذ » وأخذ الأموال المدخرة بها وأجلس أخاه «سنجر» على عرش خراسان ثم اتجه صوب العراق[5] .

---

(١) شه ص ١٨٦٥ س ٢٢ .
(٢) شه ص ١٨٦٦ — ١٨٦٧ وايضاً ص ٢٠٢٣ س ١٣ — ١٨ .
(٣) شه ص ١٨٩٢ س ٢٢ .
(٤) شه ص ١٩١٣ س ١١ — ١٢ .
(٥) زن ص ٢٥٨ ، ا فى حوادث سنة ٤٩٠ (ج ١٠ ص ١٨٠ — ١٨١) .

وقد حدث أنه عند ما كان بركيارق يسير إلى خراسان أن توجه مؤيد الملك — وكان قد عزل من الوزارة — إلى « أنر » خادم السلطان وقال له :

« إنك لست أقل من محمود بن تركان خاتون ، وكان السلطان ملكشاه يعزك أكثر من سائر أولاده ، وكان يتخذك ولداً ، ولك هيبة فى القلوب أكثر مما لسائر الأمراء ، وكنت أكثرهم علماً وفضلا ، والرعية تحبك وتميل إليك ، فتولَّ العرش فإنك متى انتصرت نصراً واحداً سلمتْ لك الدنيا بأسرها ».

وخدع « أنر » بهذا الكلام وركب الغرور رأسه ، واتخذ سرادقا أحمر وطبولا ملكية ونقش عليها ألقابه ، وكان السلطان بركيارق ما زال فى خراسان فخرج « أنر » من إصفهان متجهاً إلى الرى وقد عزم على الثورة والعصيان . [ص ١٤٥]

مثل : من استوزر غير كاف خاطر بملكه ، ومن ائتمن غير أمين أعان على هلكه[١] .

وسرعان ما انتهى أمر « أنر » فإنه لم يكد يصل إلى « انجيلاوند » من نواحى « ساوه » حتى قتله الباطنية هنالك بضربة خنجر[٢] .

وأصبح « مؤيد الملك » أمام مافعل من ذنب وأمام خصومه « مجد الملك » ولا مكان له فى العراق وخراسان ، فذهب إلى « كنجه » (جنزه)[٣] إلى السلطان السعيد محمد أنار الله برهانه وحثه على طلب الملك ، وخرج معه من « كنجه » فى نفر قليل من الجند فى شوال سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة .

---

(١) فق ص ١٧ ب .

(٢) انظر اا الفصل الخاص بذكر عصيان الأمير انر وقتله فى ذيل حوادث سنة ٤٩٢ .

(٣) المراجع : كنجة اوجنزة اسم اعظم مدينة باران وهي بين شروان وآذربيجان وهي التى تسميها العامة كنجه (معجم البلدان حرف الجيم) .

وكان السلطان بركيارق قد أقبل من خراسان إلى «قهستان» وكان فى خدمته «مجد الملك أبو الفضل القمى[١]» . وكان يتولى الاستيفاء له ويدبر له سائر شئون الملك ؛ فثار الأمراء مثل «اينانج بيغو آخر بك» وأولاد الأمير الاسفهسالار[٢] «برسق» على السلطان ولم يرتضوا الهدوء إلا إذا ظفروا برأس «مجد الملك». ولم يجبهم السلطان إلى ما أرادوا ، فقصدوا ومعهم الجيش إلى خيمة «مجد الملك» حتى احتمى بخيمة السلطان ؛ فنهب الفرسان منزله وأغاروا عليه ، ثم أرسلوا للسلطان أن يسلمهم إياه ؛ ولـكن السلطان لم يذعن لهم ، وقال له مجد الملك : «يا مولاى . . . أنت تعلم أن مصلحة الملك فى تسليمى لهم . . . فاتركنى حتى أخرج لهم ليصنعوا بى ما يريدون» . ولـكن السلطان لم يأذن له بذلك .

مثل : من أعرض عن نصيحة الناصح ، احترق بمكيدة الـكاشح[٣] .

واصطف الجند حول مخيم السلطان ، وأغاروا على العرش والخزانة ، ورفعوا برقع الحياء وهجموا على قاعة السلطان ، وأخرجوا مجد الملك وهم يجرونه من لحيته . ثم قطعوه إرباً إرباً ؛ فلما رأى السلطان ذلك تألم كثيراً وأسرع بالخروج [ص١٤٦] من الباب الخلفى لسرادقه حتى وصل إلى خيمة الـ «آخر بك» وأسرع الـ «آخر بك» وقبل الأرض بين يديه . فقال له السلطان : ما هذا العبث ، لقد ارتفعت حرمة الحرم وذهبت هيبة السلطنة فاجلس وناد هؤلاء الرجال الأخساء وقل لهم ما تلتمسون ... ؟! »

---

(١) ابن الأثير فى جميع الأماكن يكتبه « البلاسانى » .

(٢) المراجع : كلمة « آخربك » معناها امير الإسطبل او امير الخيل والفرسان وكلمة اسفهسالار معناها امير الجيش .

(٣) فق ورقة ١٨ ب

مثل : سوء التدبير سبب التدمير[١] .

وأجلس الـ « آخُر بك » السلطان فى خيمته ثم ركب وخرج إلى الجند وأخذ يحادثهم ولـكنه لم يستطع إصلاح الأمور .

مثل : لا تفسد أمراً يعييك إصلاحه ، ولا تغلق باباً يعجزك افتتاحه[٢] .

وأرسل الـ « آخُرْ بك » حاجباً إلى السلطان يخبره بأن هؤلاء القوم لا يصغون إلى حديثه ، وأنهم يسدرون فى غوايتهم وعنادهم . وقال له إنى أرى أن خير تدبير أن تقنع برأسك وأن ترضى بالهرب .

مثل : إياك والبغى فإنه يزيل النعم ويطيل الندم[٣] .

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— إن الزمان على الدوام غير مساعد وغير موات
فاخشَ هذا الفلك الدوار الذى لاقرار له . . . !!

— والعاقل لا يستطيع التغلب عليه واجتيازه برجولته وعلمه
ولا المكافح يستطيع ذلك بإصراره وكفاحه[٤] . . . !!

— وجميع ماهو مقدر فهو كائن بغير شك
فلا داعى للكفاح والجهاد أمام دورة الأفلاك. . . !!

— فعلى هذا الحال والمنوال أفعال الأفلاك
فلا تشغل قلبك بقهرها وعسفها . . . !!

— والأفلاك تجربة كاذبة خادعة ،
وهى تُفرح أحيانا ، وأحيانا تحزن[٥] . . . !!

---

(١) فق ورقة ١٨ ب
(٢) فق ورقة ١٨ — ١ .
(٣) فق ورقة ١٤ — ١ .
(٤) شه ص ١٣٣٠ س ١٤ .
(٥) شه ص ٤٦٧ س ١٦ .

— وهى ترفع أحيانا ، وأحيانا تسقط
وأحيانا تُبهج ، وأحيانا تخيف[1] . . . ! !
— ولن يستطيع أحد أن يعرف أسرار الفلك الدائر
فلطالما دار علينا على هذه الحال الخافية . . . ! !
— فلا هو يستطيع أن ينير دياجيرنا ،
ولا هو يستطيع أن يكشف لنا عن وجهه . . . ! !
— ومع ذلك فمنه سرورنا ، ومنه خوفنا [ص ١٤٧]
ومنه رفعتنا ، ومنه سقوطنا وهبوطنا[2] . . . ! !

وطلب إليه السلطان أن يُسَكِّن الجند قليلا حتى يستطيع مع جملة غلمانه أن يخرجوا سالمين ، فلما فعل ذلك خرج السلطان مع خمسة عشر نفراً من خواصه قاصدين الرى[3] .

حكمة : « تَجَرَّع من عدوك الغصة ، إلى أن تجد الفرصة ؛ فإذا وجدتها فانتهزها قبل أن يفوتَكَ الدَّرَك أو يُعينُه الفَلَك ، فإن الدنيا تثبتها الأقدار ، ويهدمها الليل والنهار » .

وأقبل السلطان محمد إلى باب همدان وهجم عليها خمس مرات ، وكان وزيره عند ذلك «مؤيد الملك». وأقبل إليها بعد مدة السلطان بركيارق وقد جمع كثيراً من الجند من خراسان وجرجان والرى فلما تلاقى الجيشان دارت الهزيمة على السلطان محمد[4] ووقع « مؤيد الملك » فى الأسر فأرسل رسالة إلى السلطان يقول له فيها :

(١) شه ص ٩٢٤ س ١٦ .
(٢) شه ص ٥٤٦ س ٢٥ .
(٣) اا ج ١٠ ص ١٩٧ .
(٤) وقع ذلك فى جمادى الآخرة سنة ٤٩٤ على حد همدان ، وكانت هذه هي الوقعة الثانية بين الأخوين (اا ج ١٠ ص ٢٠٥ — ٢٠٦) .

« إذا عفوت عنى أعطيتك مائة ألف دينار لـكى تشرفنى بوزارتك » .

فوافق السلطان على ذلك وانشغل «مؤيد الملك» بأخذ القروض حتى استطاع تدبير المبلغ فى أسبوع واحد . وكان من المتفق عليه أن توضع أمامه دواة الوزارة فى اليوم التالى مباشرة لإيفائه هذا المبلغ ، ولـكن حدث أن نشأ خلاف بينه وبين أصحاب الخزانة بسبب اختلاف النقد وتقدير قيمة الأشياء والأجناس فأخذ « مؤيد الملك » يدقق فى الأمر ويستقصيه ، ويؤذى أصحاب الخزانة بأقواله وأحاديثه .

مثل : اتق عثرة لسانك تأمن سطوة سلطانك[(١)] .

ولم يكن الوقت ليتسع لمثل هذا الخلاف والنقاش ، ووقع التأخير عن اليوم المحدد . وفى اليوم التالى بينما كان السلطان عند الظهيرة يستريح داخل مخيمه ، ظن صاحب الطست أن السلطان قد نام فقال لجماعة من القوم : [ص ١٤٨] « إن هؤلاء السلاجقة لا حمية لهم ، فإن شخصاً مثل مؤيد الملك استطاع أن يجلب على السلطان كثيراً من البلاء ، فحرّض فى مرة من المرات عبد أبيه (أى الأمير انر) على أن يطلب الملك لنفسه فتجهز بآلة السلطنة وأعد لنفسه المخيم والمظلة وغير ذلك من علامات الملك ، ثم ذهب فى مرة أخرى إلى گنجة ، وأحضر أخا السلطان فشرده بعض الوقت وجعله مسكيناً تعيساً ، ومع ذلك فإن السلطان يريد الآن أن يستوزره وأن يعتمد عليه .. !! » .

مثل : طعن اللسان أشد من طعن السنان[(٢)]

عند ذلك خرج السلطان وهو فى قميصه من خيمته ، وطلب مؤيد الملك ،

---

(١) فق ورقة ١٢ (١) .

(٢) فق ورقة ١٢ (١) .

فلما أحضروه ، أمرهم فعصبوا عينيه وأجلسوه على كرسى فضربه بسيفه ضربة نفذت فى رقبته فما زال يضطرب ورأسه معلقة على كتفه حتى سقطت على الأرض . والتفت السلطان إلى حامل الطست وقال له : « ألا ترى الآن حية السلاجقة..؟!» وانقضى بذلك أمر هذا الوزير بسبب مخالفته وحديث حامل الطست[1] . وفر بعد ذلك حامل الطست ولم يستطع أن يرى السلطان مرة أخرى .

... وقد وقعت بين السلطان محمد والسلطان بركيارق خمس معارك ، كانت الغلبة فى أربع منها لـ « بركيارق » وانتهى الأمر بفوز محمد وهزيمة بركيارق[2] فى الخامسة .

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— هكذا حال هذا الفلك الدائر على غير قرار
فإنه لايعرف التفرقة بين الجند وبين الملوك والكبار[3] ... !!
— وهو يحصد الجميع ، ولا يفرق بين شيخ وشاب
ونرى منه العدل والإنصاف ، كما نرى منه الظلم والاكتئاب[4] ... !!
— وللبرهنة على حاله ، نصب أمامنا عينيه
فأحيانا تمتلئان بالجذل والفرح ، وأحيانا تمتلئان بالشر والغضب ... !!
— وهكذا كان الحال .. منذ كانت دورة الزمان
فاندب حظك ، ولا تبق فى حيرة وتعجب مما كان ... !!

---

(١) تسك ص ٤٥٢ — ٤٥٣ ، رص ، حس عند ذكر السلطان بركيارق أما ال ، زن فلم يذكرا عند ذكر قتل مؤيد الملك حكاية أخذه الوزارة لقاء ما وعده من مال ولا حكاية صاحب الطست .

(٢) كانت المعركة الأولى فى سنة ٤٩٣ ، والثانية فى سنة ٤٩٤ والثالثة والرابعة فى سنة ٤٩٥ والخامسة فى سنة ٤٩٦ (انظر اا ج ١٠ ص ١٩٩ — ٢٠٠ ، ٢٢٤ — ٢٢٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠) . ثم وقع الصلح بينهما فى سنة ٤٩٧ هـ

(٣) شه ص ١٠٠٣ س ٢٦ .

(٤) شه ص ١٠٠٤ س ١ .

— فلقد بقيتَ فى هذه القبة السريعة الدوران
فامتلأ قلبك بالجروح والهموم والأحزان . . . ! !

— ونصيب شخصٍ فيها الشهد والقند [ص ١٤٩]
والهناءة والراحة والنعمة والعرش الرفيع

— ونصيب شخص آخر أن يمضى فيها من خدعة إلى خدعة
يرتفع أحيانا ، وينحط أحيانا أخرى . . . ! !

— والزمان فيها يمضى على هذه الحال
وآلام أشواكه تزيد على بهاء وروده . . . ! !

— ونحن لا نجد لأنفسنا طريقاً إلى هذا الفلك الدائر
ولا إلى حافة الشمس والقمر . . . ! !

— فإذا اجتهد الملك وتحمل الآلام ،
وتنعم بكنوزه ... وتجنب الحرب والانتقام ،

— فإنه مع ذلك لابد له من الذهاب إلى الدار الأخرى
ولا تبقى إلا آثار جهوده فى مكانها

— فهذه هى حال دار الفناء والزوال
فاجتهد فى أن تعلها حتى تبتعد عن الآلام وخيبة الآمال[1] . . . ! !

* * *

ولو قدر لـ « بركيارق » و « محمد » أن يعودا إلى الحياة لأخذا فى مدح سلطان الوقت والتودد إليه ولانطلق لسانهما بالثناء عليه والدعاء لتاجه وعرشه ، فهو سيد العالم ، ملك بنى آدم ، السلطان القاهر ، عظيم الدهر كيخسرو بن السلطان قلج ارسلان ... خلد الله رايات ملكه . وأساس مملكته و بناء سلطنته قائمان على اكتساب رضاء الله . وأعلام دولته مظفرة ، ومعالم إقباله منصورة

(١) الأبيات فى مدح السلطان محمود والشكاية من الزمان ، شه ص ٩٠٥ س ٤ — ٦ ، ٨ — ١٠ ، ١٥ — ١٧ ، ٢١ .

فى جميع أرجاء العالم ، مصونة من نوائب الزمان وحوادث الأيام بفضل مراقبته لجانب الله تعالى ؛ و إنى أدعو الله أن يظل حاله على هذا المنوال ، وأن يزيد سعيه فى تشييد قواعد أمور الدين وتمهيد مصالح الشرع ، فإن كل ما يتصل بذلك من أمور إنما هى من دلائل إقبال دولته ، ومخايل اتساع ملكه و بسطته ؛ ولقد اقتصرت همته على سلوك هذه الطريق والفوز بهذه الغنيمة ليضمن لنفسه سعادة الدارين ؛ و إنى أدعو الله أن يخصه بمزيد من السعادة فى كل يوم من الأيام وأن يبقى عليه إقباله حتى يوم القيامة .

وكما أصبحت جوانب بلاد الروم والأرمن وأطراف الشام واليمن ونواحى ديار بكر — بفضل عدله — تحاكى رياض الخلد وتنافسها ، وظهرت آثار الخصب وأنواع الرفاهية على صفحات وجنات ساكنيها ، فإنى أدعو الله أن يجعل لأهل العراقين وخراسان وسائر أرجاء العالم النصيب الأوفر والحظ الأكبر [ص ١٥٠] من عدله ، وأن تُظِلّ سلطنته سائر هذه الديار وأن ترتفع راية دولته فى سائر هذه البلاد . . . بحق محمد وآله .

قصيدة المصنف

فى مدح السلطان

وهـــذه قصيدة لمصنف الـكتاب فى مدح السلطان « كيخسرو بن قلج ارسلان » قال :

[قصيدة فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— هذا هو الوقت الذى يستولى فيه الملك على العرش بما لديه من أموال
والذى يتجه فيه جيشه إلى ملك خراسان ...!!

— ولقد كتب عرش طغرل إليك مئات من المواثيق والعهود الجذابة
حتى يجلب إليك تاج السلاطين حماة العالم ...!!

— وحتى يجعل ملك سنجر ومسعود فى خراسان والعراق
كلاهما تحت إمرة ملك عادل قادر مثل سليمان[1] ...!!

— وأن مُلك العالم ليفوض إليك
لأن عدلك يصلح أحوال العالم

— وأن اسمك أصبح توقيعاً للسعادة
وهو يصبح « السعد الأكبر » إذا اتجه إلى كيوان[2] ...!!

— ولقد يحق لـكسرى والفغفور[3] أن يكونا من عبيد أعتابك
وأن يسجد فى حضرتك قيصر والخاقان ...!!

— فإنك أنت الملك الذى يتصف بصفات الإسكندر وأمارات الخضر[4]
وحياتك الأبدية تفيض بماء الحياة ...!!

---

(١) يقصد سليمان الحـكيم .

(٢) كيوان هو زحل فى الفلك السـابع .

(٣) المترجم : كسرى لقب ملك أيران ، والفغفور لقب ملك الصين ، وقيصر ملك الروم ، والخاقان ملك الترك .

(٤) المترجم : الإسكندر سعي إلى الذهاب إلى عين الحياة .

— والفتح والإقبال والظفر ، تقيم جميعاً على بابك
وقد جعلها الله جميعاً مطيعة ومصغية لأوامرك وأقوالك . . . !!

— وإن جاهك ليزداد يوما بعد يوم ، ولحظة فى إثر لحظة
فيصدر بذلك الأمر مجددا من القبة الدائرة. . . !!

— فلتدم ذكرى هذه اللاحظة التى يرتدى فيها الملك المبارك
جوشنه ومغفره لمحاربة عدوه . . . !!

— فهو لايهرق دم عدوه فحسب [ص ١٥١]
بل إنه يمحو حاسده محوا ويجعله فى عداد النسيان . . . !!

— وإذا ما ركب جواده وضرب الكرة فى ميدان الفضل
ارتسمت غمازة على صفحة الشمس المشرقة . . . !!

— فلتدم حضرتك مؤيدة بتأييد الله
وليمدك الرحمن فى كل زمان بالمدد والنصر . . . !!

— ويا أيها المليك . . . إن لك عبداً من أفاضل العالم
ولكن الفلك ينزل على رأسه النوازل القاصمة . . . !!

— وهو يحمل حملا لأجل السلطان غياث الدين
من الجواهر التى يجلبها من « راوند » ومن « قاشان »

— وياسيدى . . . ليس هذا الحمل من الأشعار المنحولة
وكيف يجلبه إلى ملك فاضل مثلك خبير بالكلام والأشعار . . . !!

— وإن خاطرى فى إنشاء المدائح اللطيفة
ليبتدع الحُسْنَ فيجتلب معانى حسان[1] . . . !!

— وإن قلبى الميمون ليجتلب مئات من الحجج والبراهين
على إعجاز هذا النظم الجميل النظيف . . . !!

— وإن من يصنع الإكسير لايمد يده إلى نفايات الاستجداء ،
بل إنه يكون مالكا لمئات من المناجم . . . !!

---

(١) المقصود حسان بن ثابت الذى اشتهر بمدح النبى (صلعم) .

— فإذا استطاعوا أن يقولوا بيتا واحدا بهذا الأسلوب من نظمى
أو استطاع أحد أن ينافس عبدك[١]، فَلْيُبْلِق بكرته فى الميدان ....!!

— فإننى لن أدعى بعد الآن ملك الكلام
ولن أنزل جوادى ليجول فى ميدان الفضل ....!!

— فيا ملك العالم ... ليدم عمرك إلى الأبد فى نشاط [ص ١٠٢]
ما دامت الخمائل تخرج الشقائق فى موسم النيروز

— وما دامت ريح الصبا تكسو البستان بحلته الزاهية
وتنثر الورود المحمرة لحظة فلحظة أمام البلابل الشادية

— وما دامت الدنيا — إظهارا لفضل هذا الملك الكريم —
تجلب الربيع أحيانا ، وتجلب نيسان[٢] أحيانا (أى دائمة الربيع)

— وإن نوبة الفلك لتجلب الظفر والنصر والإقبال بتأييد من الله
فتجعلها على بابك لحظة بعد لحظة ....!!

— فإن من يحسدك لا أدب له ، فليعلق وليشنق
بالحبل الذى فى غمازة ذقنك[٣] ....!!

---

(١) المراجع : أى الشاعر نفسه .

(٢) أى أن أيامه كلها ربيع لأن نيسان من أشهر الربيع وتنزل فيه الأمطار الخفيفة التى تجعل الزهور والنباتات تنمو وتخضر .

(٣) المراجع : يشبه غمازة ذقنه بالبئر العميقة يتدلى فيها حبل ، وكانت هذه الفجوة العميقة فى الذقن تعتبر من علامات الحسن .

السلطان غياث الدنيا والدين

أبو شجاع محمد بن ملكشاه

قسيم أمير المؤمنين

كان السلطان محمد شديد الطول ، مفروق الحاجبين يميل وجهه إلى الصفرة قليلا ، وكانت لحيته سوداء غزيرة تميل إلى الطول .

وقد ولد السلطان فى شعبان سنة أربع وسبعين وأربعمائة(١) ، وامتد ملكه ثلاث عشرة سنة ، وبلغ عمره سبعا وثلاثين سنة(٢) .

وتولى الملك بعد وفاة السلطان السعيد بركيارق سنة ثمان وتسعين وأربعمائة وتوقيعه هو عبارة « استعنت بالله » .

ووزراؤه هم : الوزير مؤيد الملك أبو بكر بن نظام الملك ، والوزير خطير الملك أبو منصور الميذنى(٣) ، والوزير سعد الملك الآبى(٤) ، والوزير نظام الملك أحمد بن نظام الملك(٥) والوزير ربيب الدولة أبو منصور القيراطى . [ص ١٥٣]

وحجابه هم : الحاجب عبد الملك ، والحاجب عمر قراتكين(٦) والحاجب على بار(٧) .

---

(١) ا ا : فى ثامن عشر شعبان .

(٢) ا ا ، ابن خلكان : عمره ٣٧ سنة و ٤ اشهر و ٦ أيام .

(٣) كذا فى الأصل وهو سهو من النساخ والصواب « الميبذى » كما هو فى ا ا ، زن واسمه محمد بن الحسين .

(٤) ا ا ، زن يسميانه بأبى المحاسن سعد بن محمد .

(٥) لقب بألقاب أبيه قوام الدين نظام الملك صدر الإسلام (ا ا ج ١٠ ص ٣٠٤) .

(٦) زن : عمر بن قراتكين (ص ١١٣) .

(٧) زن يضيف : ابن عمر بن سرمه .

وكان السلطان محمد يتحلى بالدين والتقوى و يتصف بالعدل والعفة .

مثل : إذا طلبت العزّ فاطلبه بالطاعة ، و إذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة(١)

[بيتان من الشعر الفارسى فى الأصل ، ترجمتهما :]

— إن عزك فى الأرض يكون بطاعة الرحمن ،
فاختر طاعة الله ، ولا تحِدْ عنها فى أى زمان . . . ! !
— وعمّـر خزانتك دائماً بالقناعة ، فهى كنز ليست له نهاية . . . ! !

وكان السلطان محمد صائب الرأى ، ثابت العهد ، صادق القول ، وكان جاداً فى إعزاز الدين ، مجاهداً فى قمع الملاحدة الملاعين ، وله اليد البيضاء فى حفظ بيضة الإسلام ، ولمنجل قهره الفضل فى اقتلاع شراك الكفر والبدعة ، ولا شك فى أن كل من يرى قلعة « درْ كوه » على أبواب أصفهان ، ليقدر التعب والعناء اللذين احتملهما هذا السلطان فى فتح هذه القلعة وقمع هذه الطائفة من الملاحدة . وفى الحق لو لم يتيسر له هذا الفتح لما بقى للدين رمق ولا للإسلام شفق . فقد ظل هذا الملك الكريم يجاهد سبع سنوات متصلة لم يسترح فيها لحظة واحدة حتى استطاع أن يرفع هذا السد المنكر و يزيحه عن طريق الإسلام .

مثل : الطاعة أقوى أساس ، والتقوى أحسن لباس(٢) .

وكان نصيب كل شخص يميل إلى هذه البدعة أو ينتسب إلى أهلها أن يبادره السلطان بقطع رأسه ليقتلع جرثومة كفره من أساسها ، جزاه الله عن الإسلام خيراً .

وقد ذهب إلى بغداد فى بداية ملكه لمحاربة صدقة واياز وكان اياز ولداً

---

(١) فق ورقة ٧ ب .

(٢) فق ورقة ٤ ب [المراجع : سبق ذكر هذه العبارة باختلاف بسيط فى ص ٤٢ من المتن الفارسى وص ٨٩ من هذه الترجمة العربية .]

لعبد من عبيد أخيه وكان عاصياً عاتياً استطاع أن يجمع حوله عسكراً لا حد لهم ولا حصر .

[بيتان من الشعر الفارسى فى الأصل ، ترجمتهما :](١)

— كل من كان من أهل الشر سيء الطوية والتفكير ،
إذا أراد الله أن يعينك عليه ويقويك ،

— فإنه يجعلك فى البداية تزوده بنصحك ،
فإذا لم يقبله ، فاعقد لنفسك تاجا من دمه . . . ! !

وكان عسكره يزيد فى عدده وشوكته على عسكر السلطان ، ولكن الله أمد السلطان بمدد من السماء ونصره نصراً ربانياً . [ص ١٥٤]

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— ألا تعلم مايقوله لك العارف الحكيم
لكى يغسل قلبك مما به من أدران وشرور

— إنه يقول : إن كل ملك يفوز بمدح الناس
يزداد شأنه خطرا ، ويرتفع أمره كثيرا . . . ! !

— أما الذى يصطنع الجفاء فإنه مذموم ملعون
لحذار . . . أن تطوف بأبواب الجفاة من أهل الحرص . . . ! !

يقولون إنه بدت فى السماء فوق رؤوس الأعداء سحابة سوداء عليها جملة علامات ، وكانت تبدو على شكل أفعوان ، يخرج من فمه ألسنة النيران ؛ فلما رأى الجند ذلك رمى أكثرهم بسلاحهم وتهيأوا للموت وشاهدوا بأعينهم هول يوم القيامة، فاستولى عليهم الخذلان ، فلم يستطع أن يقف واحد منهم مع أخيه وقتل « صدقة » أثناء هذه المعركة ووقع « اياز » فى الأسر . فأمر السلطان بقتل اياز ،

(١) شه ص ١٥٩٥ س ٢٤ — ٢٥ .

وبالبحث عن صدقة بين القتلى ، فلما وجدوه ، بالاستعانة ببعض العلامات التى كانت على جسده ، بعث السلطان برأسه إلى أخيه « سنجر »[١] .

مثل : من أحسن الكفاية استوجب الولاية[٢] . [ص ١٥٥]

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— لقد خلقه الله ملكا عادلا ، طيب الجوهر طيب العنصر . . .

— والله يهب لكل شخص ماهو جدير به ؛ وكلما كثر العقل قل الأذى[٣] . . . !!

— والعقل بمثابة خاتمة الهيبة ، فهو بعيد عن الكدر بعيد عن السوء[٤] . . . !!

— فيا أيها الرجل الظالم . . ياسيء الطالع ، لاتفكر فيما لم يقدره الله . . . . !!

— فالقنفذ لن يكون له جناح العقاب

ولا يستطيع العقاب أن يطير فوق الشمس[٥] . . . !!

---

(١) تتفق الكتب الفارسية مثل جت ، تك ، رس ، حس مع المصنف فى قصة صدقة واياز ولكن ماكتبه اا ، زن يختلف عن ذلك ، فهما يقولان إن الأمير إياز قتل فى ١٣ جمادى الآخرة سنة ٤٩٨ ولم تقم بينه وبين السلطان محمد معركة . وقد ذكر ابن الأثير سبب قتله وكيفيته على سبيل التفصيل (حوادث سنة ٤٩٨) ولا حاجة بنا إلى إعادته . وربما قصد المصنف بالمعركة التى ذكرها المعركة التى قامت بين صدقة والسلطان محمد فى رجب سنة ٥٠١ (اى بعد ثلاث سنوات من مقتل إياز) على باب بغداد ، وقد قتل فيها صدقة على يد غلام تركى اسمه برغش وحمل السلطان رأسه إلى بغداد (انظر تفصيل ذلك فى اا حوادث سنة ٥٠١ ج ١٠ ص ٣٠٦ — ٣١٤) اما مدد السماء والسحاب الأسود وشكل الأفعوان الذى ينفث نارا فانما هي جميعاً من باب المبالغه . ولا شك ان الحقيقة تقتصر على ما ذكره ابن الأثير حيث قال : «والتقوا تاسع عشر رجب (سنة ٥٠١) وكانت الريح فى وجوه اصحاب السلطان ولما التقوا صارت فى ظهورهم وفى وجوه اصحاب صدقة ، ثم إن الأتراك رموا بالنشاب فكان يخرج فى كل رشقة عشرة آلاف نشابة فلم يقع سهم إلا فى فرس او فارس وكان اصحاب صدقة كلما حملوا منعهم النهر والنشاب من الوصول إلى الأتراك ومن عبر منهم النهر لم يرجع (اا ج ١٠ ص ٣١٢) .

(٢) فق ورقة ١٧ ب .

(٣) شه ص ١٨٧٨ س ٩ — ١٠ .

(٤) شه ص ١٧١٥ س ٢ .

(٥) شه ص ١٨٧٧ س ٩ — ١٠ .

— ومن الذى يستطيع أن يقول إن الشر أطيب من الخير . . ؟!
ولماذا تهيء قلبك للشر والسوء[1] . . . ؟!

— إنك مريض ، والنصيحة هى علاجك ،
وسأحاول أن أنصحك لعلك تبرأ من علتك . . . ! !

— والنصيحة هى طبيبك ، والعقل هو دواؤك
فلا تجعل الحرص يمحو الرقة من قلبك[2] . . . ! !

— وما أسعد الملك ، الذى يكون كريم القلب عفيف الجسد . . . ! !

— فهو يعلم أن الدنيا تقبل عليه ، وأنها لا تقبل على باب جاهل غير عاقل[3] ...!!

وفى أثناء الخلاف الذى كان واقعاً بين بركيارق و « محمد » قوى أمر الملاحدة خذلهم الله ، فنشروا دعاتهم فى سائر المدن .

مثل : كل يعرف بقوله ، ويوصف بفعله ، فقل سديداً ، وافعل حميداً[4] .

وكان فى أصفهان أديب يسمى بـ « عبد الملك بن عطاش » وكان يتشيع فى البداية ثم اتهم بعد ذلك بالإلحاد وأخذ أئمة أصفهان يتتبعونه ويريدون التعرض له وقتله ، ففر من أصفهان إلى الرى ثم خرج منها والتحق بالحسن بن الصباح .

مثل : من استهدى الأعمى عمى عن الهدى[5] [ص ١٠٦]

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— كل من قاده أعمى فى سفر ... فإن مقره . . بغير شك .. فى سقر ...!!

ووجدوا بخطه فى هذه الأثناء كتاباً كتبه إلى صديق من أصدقائه يقول

---

(١) شه ص ١٨٨١ س ٢٦ .
(٢) شه ص ١٨٨٢ س ١١ و ١٣ .
(٣) شه ص ٩٦٩ س ٢٥ و ٢٦ .
(٤) فق ورقة ٨ (ا) .
(٥) فق ورقة ١٦ ب — ١٧ (ا) .

له فيه عن الحسن بن الصباح : « وقعت بالبازالأشهب فكان عوضاً لى عماخلّفته » .
وخطه جميل معروف وتوجد كتب كثيرة بخطه فى مدينة أصفهان[1] .

وكان لعبد الملك بن عطاش ولد أسمه « أحمد »[2] كان على عهد أبيه يبيع الكتان ، وكان يظهر أنه ينكر على أبيه مذهبه وعقيدته وأنه يتبرأ منه ، فلما فرّ أبوه من أصفهان لم يتعرض له أحد .

مثل : الكفاية بذر الولاية[3] .

وكانت تقع بالقرب من أصفهان قلعة « درْ كوه » وهى القلعة التى أمر ببنائها السلطان ملكشاه وسماها بقلعة الملك (شاه درْ) وكانت تتخذ فى غياب السلاطين مستودعا للخزائن والأسلحة ومقراً لغلمان الملك وجواريه ووصيفاته، وكان يقوم بالمحافظة على هذه القلعة جماعة من الديالمة فما زال أحمد بن عبد الملك يسعى لديهم حتى نصب نفسه معلماً لهؤلاء الديالمة ؛ وكان كلما جاء إلى مدينة أصفهان اشترى للجوارى ما يلزمهن من الألبسة والمقنعات والأمتعة ؛ فإذا عاد خلا بهؤلاء الديالمة وتودد إليهم وكانوا هم أيضاً يحبونه ويودونه .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— لا تثق فى صديق حتى تجربه ، ولولا العقل لغطّى التراب أديم الجسد ... !!

فقبلوا كلهم دعوته وصار فى النهاية حاكماً للقلعة وصاروا جميعاً تبعاً له .

مثل : دولةُ الأشرارِ محنةُ الأبرار

---

(١) ا ا ج ١٠ ص ٢٩٩ .
(٢) ا ا فى حوادث سنة ٥٠٠ .
(٣) فق ورقة ١٨ (١) .

[بيتان من الشعر الفارسى فى الأصل ، ترجمتهما :]

— واهاً الدبر الذى أصابه الخذلان
فأخذ يدق طبول الحرمان وأبواب العصيان ... !!

— وأخذ فى زهو وتفاخر يختار لنفسه من الأمور
ما لا يرضى الله عنه من السيئات والشرور ... !! [ص١٥٧]

واتخذ بعد ذلك دارا للدعوة بقرب مدينة اصفهان فى صحراء گور (دشت كور) فكان يأتى إليها كل ليلة جماعة من أهل المدينة ، يدخلون فى الدعوة ، ويقررون فيما بينهم أن يقوم كل جماعة منهم بنشر الدعوة فى محلتهم والعمل على استمالة عدد من الناس إلى هذه البدعة ؛ فإذا تم لهم ذلك أحضروهم إلى « دار الدعوة » حتى صار عدد من دخل فى الدعوة ثلاثين ألف رجل ، أخذوا يسابون المسلمين ويقتلونهم .

[بيتان من الشعر الفارسى فى الأصل ، ترجمتهما :]

— إن كل من يزين الكفر والإلحاد ،
يجعله الله حقيراً ذليلا بين العباد ... !!

— وإذا علمتَ الحق ... فليس بين سائر الدرجات
ما هو أعلى من قبة الإسلام ... هيهات ... !!

وظهر فى ذلك الوقت رجل كفيف البصر اسمه « العلوى المدنى » كان يقف فى آخر النهار على باب حارته ممسكا بعصاته فى يده وهو يدعو الله أن يغفر لمن يأخذ بيده ويسلك به هذه الحارة حتى يوصله إلى باب منزله . وكانت الحارة طويلة مظلمة وكان منزل هذا الأعمى فى نهايتها ،وكان فى دهليزه جب ، فإذا أبلغ رجلٌ « العلوىَ » إلى باب منزله هاجمه قوم من الناس وجروه إلى داخل المنزل ثم رموه فى هذه الجب . وكانت لهذه الجب ، منافذ وسراديب . وانقضت على هذه الحال

أربعة أو خمسة أشهر فُقِدَ فيها خلق كثيرون من الشبان ، ولم يخرج من هذا المنزل أحد ، ولم يعرف أحد شيئاً عن الأموات والأحياء ممن فى داخله .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— قد تحسن شهرتك ويرق ذكرك ، ويلطف صيتك
لكن الأيام ستكشف حتما عن حقيقة سرك[1] ... !!

وفى يوم من الأيام أقبلت امرأة سائلة تستجدى شيئاً من هذا المنزل فسمعت أنيناً موجعاً فى داخله فدعت الله قائلة : «شفى الله مرضاكم ... يا من أنتم فى داخل هذا المنزل .. !! » .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— لقد ضرب أحد الأصفياء مثلا على هذه الحال
فقال : إن الجدران لها آذان تصغى إلى الأقوال[2] ... !!

وظن أهل المنزل أن المرأة قد وقفت على سرهم فأرادوا أن يجروها داخل المنزل بحجة إعطائها شيئاً من الخبز ، ولكن المرأة تملكها الخوف وأسرعت بالفرار وقالت لجماعة من الناس على باب الحارة : لقد سمعت أنيناً فى البيت الفلانى ... أنيناً موجعاً ونواحاً منكراً ، وقد قصدنى جماعة من الناس وأرادوا قتلى .

حكمة : من استعان بصغار رجالِهِ على كبار أعماله ضَيَّع العَمَل وأَوْقَعَ الخلَلَ[3] . [ص ١٥٨]

وكان الأمر جللا ، وكانت الواقعة عظيمة ، واشتغل الناس بالبحث عن الغائبين

---

(١) شه س ١٦٨٤ س ١١ .
(٢) شه ١٤٢٢ س ٥ .
(٣) فق ورقة ١٨ ب .

من أهلهم وأرتفعت الصيحات والاستغاثات ، واحتشد جمع كبير من الناس على باب هذا المنزل ثم اقتحموه عنوة وأخذوا يبحثون فى أركانه وزواياه[1] ، فوجدوا فى سراديبه أكثر من أربعمائة أو خمسمائة شخص من الناس مقتولين و بعضهم مصلوب بالمسامير على الجدران ووجدوا بينهم شخصين أو ثلاثة ما زال فيهم رمق من الحياة ، واشتهر المنزل فى سائر المدينة وسرت الذائعات بشأنه ، فهرع إليه سائر الخلق ، وأخذ كل واحد منهم يجد بين القتلى صديقاً أو قريباً ، وساد الهرج والمرج فى أصفهان بشكل لم يعهده أحد من قبل ، ثم قبض على « العلوى المدنى » وامرأته ، وجدُّوا فى طلب أصحابه ثم أحرقوا العلوى وامرأته فى سوق العسكر (بازار لشكر)[2] .

[بيتان فارسيان فى الأصل ، ترجمتهما[3] :]

— الآن وقد تم مقصدك . . . فإنى استحلفك بروحك ألا تتهاون مع أحد
وإلا فستراه فى شغل دائم يريد قتلك وازهاق روحك

— ومتى وضعت قدمك على ذيل الأفعى فاسرع بدق رأسها
وإلا فإنها ستسرع فى لحظة واحدة فتُخلى جسدَك من روحك ... !!

ولما هزم السلطان محمد جيوش « صدقة » وفرغ من قتل « اياز » وعاد إلى أصفهان وجد أن هؤلاء الملاعين قد قوى شأنهم وأنهم حملوا كثيراً من الذخائر والأسلحة إلى القلعة وأنه قد مضت سبع سنوات وهم يعملون بجد دائب وحظ موافق

---

(١) المراجع : انظر تفصيل حكاية « علوى المدنى » فى كتاب « تاريخ الأدب فى إيران ، من الفردوسى إلى السعدى » تأليف الأستاذ إدوارد براون وترجمة الدكتور ابراهيم امين الشواربى طبع القاهرة سنة ١٩٥٤ (ص ٣٩٢ — ٣٩٣) .

(٢) حكاية العلوى مذكورة على هذا النحو والتفصيل فى سائر الكتب التاريخية الفارسية مثل : جت ، تك ، رس ، حس ، ع .

(٣) هذان البيتان من منظومة من نوع الـ « تركيب بند » من نظم جمال الدين عبدالرزاق الأصفهانى ويبلغ عدد ابيات المنظومة برمتها ٧٢ بيتا .

مزودين بآلات الجيوش ومعداتها ، ومعونة عوام أصفهان حتى استطاعوا أن يأخذوا هذه القلعة . واتهم قاضي القضاة[١] عبيدُ الله الخطيبى[٢] وصدرُ الدين الخجندى[٣] وجماعةٌ آخرون من كبراء أصفهان وأئمتها[٤] الوزيرَ « سعد الملك الآبى » بأنه ضالع معهم ، وعرضوا أمره على السلطان جملة مرات ولكن [ص ١٥٩] السلطان لم يصدقهم واعتمد عليه اعتماداً كلياً . وكان لـ « سعد الملك » حاجب يطلع على خفايا أسراره ، فلا تخفى عليه خافية منها ، وقد قالوا إن صيانة الأسرار فى كتمانها ، فإن كل سر لا يطلع عليه ثالث يبقى مصوناً محروساً لا يشيع ، وأما السر الذى يصل إلى آذان ثالث فإنه يتفشى بغير شك حتى تلوكه الأفواه ولا يمكن كتمانه :

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته[٥] :]

— حذار أن تحدث بسرّ أى شخصٍ وتظن أنه مؤتمن على الأسرار
فإن له هو أيضا صاحبا يحدثه به ... !!

---

(١) انظر تفصيل ذلك فى اا فى حوادث سنة ٥٠٠ (ج ١٠ ص ٢٩٩ — ٣٩٢) .

(٢) زن : عبد الله ، وهو الذى قيل فيه فى زن : « هو حاكمها (اى اصفهان) والمستولى على رئاستها وهو رجل جاهل من أنواع العلوم ، خال محتال يبدى تنمساً باظهار زهد وورع محال على محال ، ولم يكن له سوى ضخامة جثة وفخامة لحية كثة » .

قتل فى صفر سنه ٥٠٢ بهمدان وكان قد تجرد فى امر الباطنية تجردا عظيما وصار يلبس درعاً حذراً منهم ويحتاط ويحترز فقصده إنسان عجمي يوم جمعة ودخل بينه وبين اصحابه فقتله (اا ج ١٠ ص ٣٣١) .

(٣) يريد به صدر الدين عبد اللطيف بن محمد بن ثابت الخجندى رئيس الشافعية بأصفهان ، قتله الباطنية فى سنة ٥٢٣ وكان ذا رياسة عظيمة وتحكم كثير (اا ج ١٠ ص ٤٦٤) .

(٤) زن ص ٩١ — ٩٢ .

(٥) شه ص ١٤١٤ س ٦ .

مثل : وسر الثلاثة غير الخفى[1] .

وأرسل أحمد بن عبد الملك عطاش شخصاً إلى « سعد الملك » يقول له إن ذخيرته فى القلعة قد نفدت، وأن رجاله قد امتنعوا عن المقاومة ، وأنه يريد تسليم القلعة ؛ ولكن سعد الملك أجابه أن يصبر أسبوعاً وألا يسلم القلعة حتى يستطيع أن يهلك هذا الكلب ويقتلعه من أساسه ، قاصداً بذلك السلطان ... ! ! وكان يعلم أن السلطان يصاب بالحرور وأنه يحتجم مرة كل شهر فاتفق سعد الملك مع الفصاد (الحجام) وأعطاه ألف دينار ومشرطاً مسما حتى يقتل به السلطان . [ص ١٦٠]

وقد علم حاجب الوزير[2] بتدبير الوزير و برسالة ابن عطاش إليه و بجواب الوزير على رسالة ابن عطاش ، وكان للحاجب امرأة لا يُخْفِى عنها شيئاً فحدثها أيضاً بكل هذه الأمور ؛ وكان المرأة عاشق فلما اختلت به فى الليل ، وأخذا فى اللهو والمؤانسة حدثته بهذه الأسرار والأقوال ، وكان للعاشق صديق يلقب بـ « الكامل » من أتباع « شرف الإسلام »[3] فحدثه بدوره و باستفاضة بكل ذلك ، و بلغ الأمر مسامع « شرف الإسلام » فلم يتمهل وأسرع فى الليل إلى سراى السلطان فاختلى به وحكى له حقيقة الحال . فلما كانت الغداة ادعى السلطان أنه متعب ، وطلب الفصاد ، فلما ربط الفصاد ساعد السلطان وأخرج مبضعه ، وجد السلطان أن لون المبضع ردىء ، وتحقق من أن الكلام الذى نقل إليه صحيح .

---

(١) هذا مصراع من بيت ، صدره : « وسرك ما كان عند إمرىء » ، وهو من جملة أبيات للسلطان البيدى ، وقبله :

أشاب الصغير وأفنى الكبير ... كر الليالى ومر العشى
نروح ونغدو لحاجتنا ... وحاجة من عاش لاتنقضى
تموت مع المرء حاجاته ... وتبقى له حاجة ما بقى

(٢) أى حاجب الوزير سعد الملك .

(٣) يبدو أنه لقب « صدر الدين الخجندى » الذى سبق ذكره فان كتب التواريخ مثل جت ، ع ، ورسالة الجوينى تذكر « صدر الدين الخجندى » فى مكان « شرف الإسلام » .

مثل . « من استشار العالم فيما ينويه ، واسترشد العاقل فيما يأتيه ، وضح له الأمور ، وصلح به الجمهور ، واستنار منه القلب ، وسَهُل عليه الصعب[1] » .

ثم نظر السلطان إليه فى هيبة شديدة منكراً حاله ، وقال الفصاد : « أمِّنى على روحى يامولاى » ثم أخذ يسرد له حكايته الصادقة . عند ذلك أمر السلطان رجاله أن يقطعوا عرق الفصاد بهذا المبضع نفسه فلما فعلوا ذلك اسود لونه فى الحال ومات على الفور . ولم يعد للسلطان أدنى شك فى أن سعد الملك ملحد حقيقة ، فلما كانت الغداة قبض عليه وعلى « أبى العلاء المفضل » وشنقهما[2] .

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— حينما يتجلى ضياء الصدق ، ينمحق بصيص الكذب[3] ... !! [ص ١٦١]

— فإذا تقدم إليك مريد السوء ، فقتله خير
وإذا عاد عن منزلك شريداً طريداً فذلك خير ... !!

— وهلا علمت بما قاله رجل فاضل شديد الذكاء
قال : لا تجاهد إذا ساء حظك فمصيرك البلاء ... !!

— وإلا فإن الفلك الدائر ، يصير حربا عوانا عليك ، ويقطب لك جبينه ... !!

— وعلى العاقل أن يتخذ لنفسه الرقى والتعاويذ
حتى تنجو رأسه من أحابيل الفلك ومكايده ... !!

---

(١) فى ورقة ١٨ أ [المراجع : تركنا عبارة « وضح له الأمور » على حالها كما وردت فى النص] .

(٢) يبدو أنه كان واحدا من اتباع سعد الملك فان ابن الأثير يقول : « وفى شوال من هذه السنة (أى سنة ٥٠٠) قبض السلطان محمد على وزيره سعد الملك . . . وصلبه على باب أصفهان وصلب معه أربعة نفر من أعيان أصحابه والمتمين إليه — أما الوزير فنسب إلى خيانة السلطان وأما الأربعة فنسبوا إلى أعتقاد الباطنية » ولا شك إن أبا العلاء المفضل كان من الأربعة الذين اشار إليهم « ابن الأثير » .

(٣) شه ص ٤٦٢ س ١٣ ، ١٨ ، ١٩ .

وبعد ذلك بيومين اثنين سلم الملاحدة القلعة ، فأنزلوا منها «أحمد بن عبد الملك عطاش» وربطوا يديه ثم أركبوه على جمل وحملوه إلى أصفهان ونكلوا به فى خزى شديد ، ولاقى جزاء ما فعل من وزر ووبال . وخرج أكثر من مائة ألف نفر من أهل أصفهان ما بين رجال ونساء وأطفال فرموه بأنواع الوحل والبعر والروث ، وأخذ المهرجون والمخنثون يدقون أمامه الطبول والدفوف ويتغنون بالأغنية العامية الآتية :

[أغنية بالفارسية العامية ، ترجمتها :]

عطاش ... يا خالى ‏ ‏ ‏ ‏ يا روحى ... يا غالى

قد ضعت فى الحال ‏ ‏ ‏ ‏ قل لى عن الحال ..!!

وقد طافوا به فى أصفهان فى موكب كبير عظيم ثم علقوه مصلوباً مدة سبعة أيام كاملة وأخذوا يرشقونه بالسهام ثم أحرقوه فى النهاية[1] .

وقد تقدم شخص إلى « أحمد بن عبد الملك عطاش » وهو يصلب وقال له : إنك تدعى المعرفة بعلم النجوم ، فهل استطعت أن تتنبأ فى طالعك بهذا اليوم المحتوم .. ؟ قال : لقد رأيت فى طالعى أننى أطوف أصفهان فى موكب عظيم كله جلال لم يره ملك من قبل ، ولكنى لم أتخيل أن الأمر سيكون على هذه الحال . . ! !

مثل : من سرّه الفساد ساءه المعاد[2] .

وخرب السلطان هذه القلعة وشكر الله شكرا جزيلا لأنه أستطاع بفتحها أن يكسر قوة هؤلاء الملاحدة المخاذيل .

---

(١) اا ج ١٠ ص ٣٠٢ .

(٢) فق ورقة ٥ ب .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— إن الله هو الشفيع الفتّاح للأمور
وبواسطته أيضا يكون العجز والقصور ... !!

مثل: من استعان بالله استغنى عن عباده ، ومن وثق به استظهر لمعاشه ومعاده [ص١٦٢]

ثم أرسلَ السلطان بعد ذلك الأمير « شيرگير[١] » على رأس جيش جرار إلى قلعة « ألموت » فحاصرها مدة حصارا شديدا وضيق كثيرا على هؤلاء الملاعين حتى أصبح من الميقن أن يستولى عليها[٢] .

مثل : من صحّ دينه ، صحّ يقينه[٣] .

ولكن من أسف أن الدنيا الغادرة ضيعت من يده هذ الفرصة النادرة .

مثل : من عرف الدنيا وطلبها فقد أخطأ الطريق وحرم التوفيق[٤] .

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— حذار ... حذار أن تمشى فى إثر الزمان وتتبع دورته
فإنه من تلقاء نفسه يتابعنا ويتجه إلينا[٥] ... !!
— وهكذا فعل الفلك الدائر ، فإنه يقطع حبّه عن ربيبه ... !!
— فإذا طلبت رأسه وجدت أمامك قدمه ،
وإذا طلبت قدمه وجدت أمامك رأسه[٦] ... !!
— فعلى العاقل أن يظلّ قلبه دائماً ، حائراً من أفعاله[٧] ... !!

---

(١) هو انوشتكين شيرگير صاحب آبه وساوه .
(٢) زن ص ١١٧ وكذا ا (ج ١٠ ص ٣٦٩ — ٣٧٠) .
(٣) فق ورقة ٦ (ا).
(٤) فق ورقة ٥ ب .
(٥) شه ص ٨٩١ س ٨ .
(٦) شه ص ٨٩٣ س ١٥ — ١٦ .
(٧) شه ص ٨٠٧ س ٢٨ .

فنعى الناعى فى هذه الأثناء السلطان محمداً ، فلما بلغ الأمراء خبر وفاة السلطان استدعوا شيرگير وأعادوه ، ولو بقى هذا السلطان قليلا لاستطاع استئصال شأفة هؤلاء المخاذيل وتدميرهم لأنه كان ملكا يخشى الله ويرعى العدل ، ويحسن سياسة الأمور ويحب العلماء ، ولكنه مع ذلك كله كان يميل ميلا عظيما إلى ادخار الأموال والتقتير بها .

مثل : من اغترّ بالدنيا ، اغتصّ بالمنى[1] .

[بيتان من الشعر الفارسى ، ترجمتهما :]

— إن كل من يغتر بهذه الدنيا الفانية
يمتلىء بالآمال العريضة والمباهج الواهية ....!!
— وستصبح فيها حديث المجالس والأسمار
بالأعمال التى انشغلت بها ليل نهار...!!

* * *

وعندما كان السيد[2] « أحمد بن نظام الملك » يتولى الوزارة قصد الإيقاع بالسيد أبى هاشم[3] رئيس همدان وجد علاء الدولة ، فاقترح أن يؤدى [ص١٦٣] للسلطان خمسمائة ألف دينار بشرط أن يسلمه السيد أبا هاشم .

حكمة : النميمة دناءة ، والسعاية رداءة ، وهما رأس الغدر ، وأساس الشر ، فجنب نفسك سبلهما ، واجتنب أهلهما[4] .

---

(١) فق ورقة ٥ ب

(٢) المترجم : « السيد » هنا هى ترجمة للكلمة الفارسية « خواجه » وكان وزراء هذا العصر يتلقبون بهذا اللقب .

(٣) زن : تضيف الى الاسم كلمة الحسنى ، ا ا يسميه « الشريف أبو هاشم » وكلمة السيد المستعملة هنا تشير الى أنه من أهل بيت النبى .

(٤) فق ورقة ١١ (١)

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— لا تبحث عن عيب أهل الفضل إذا لم يكن فيهم عيب
ولا تتحدث بعيب أهل الفضل إذا كان عيبهم فيك ....!!

وقد بلغ « السيد أبا هاشم » هذا الخبر قبـــل أن يذهب أحد للقبض عليه فى همدان فأسرع بالركوب ومعه ثلاثة من أولاده ، وسلك طريقاً مجهولا استطاع بواسطته أن يصل إلى أصفهان فى مدة أسبوع واحد ، ثم طلب من خواص السلطان أن يعينوا له خادماً يوصله ليلا إلى السلطان ، فلما عينوا له « لالاقراتگين » طلبه وأحضر عشرة آلاف دينار موضوعة فى عشر صرر وقال له : « هذه الأموال لك ، فأدخلنى الليلة إلى السلطان ودعنى اختل به » ولم يكن « لالا » قد رأى مالا بهذا القدر فملكته الحيرة وقال « إن علىّ أن أوصل هذا المال إلى السلطان. قال السيد : « بل إن هذا المال مخصص لك » فاهتم « لالا » بالأمر وقدمه إلى السلطان فى نفس الليلة . وكان « السيد » شيخاً مسناً وكان ضعيف البصر مختل النظر وكانت « نورانى قتلغ خاتون » زوجة السلطان حاضرة فى المجلس ، فأخذ السيد أبو هاشم يطيل الدعاء للسلطان وأخرج دراً يتيما لم يكن لدى السلطان مثله ثم بكى وقال : « إن أحمد بن نظام الملك يقصد منذ مدة طويلة تخريب بيتى ، ولقد علمت أنه اشترانى منك بخمسمائة ألف دينار ، ولكنى على ثقة من أنك يا سلطان العالم لا تجيز أن يُباع واحد من أحفاد الرسول عليه السلام ....!!

مثل : لا تقبل ما يشينك عاجله ، ويضرك آجله .

وإنى أجعل لك ثمانمائة ألف دينار ، لقاء الخمسمائة ألف التى اشترانى بها ، بشرط أن تسلمه لى » .

مثل : الكريم من كفَّ أذاه ، والقوى من غلب هواه[1] .

(١) نق ورقة ٦ ب .

وغلب السلطان حب المـال ، فلم يحافظ على وزيره ، وقبل [ص١٦٤] من « السيد » ما عرضه عليه ، وعاد « السيد أبو هاشم » إلى بلدته همدان ومعه القائم بالخزانة ليأخذ المـال منه ، وطلب الخازن منزلا ليقيم فيه فقال السيد : « إنك ستنزل فى رباط القوافل وستكون نفقاتك من جيبى الخاص لأن مقامك سيطول إلى أن يوزن هذا المـال وينقد » وغضب الخازن عند ذلك واحتد قليلا ، فقال له السيد : « إذا لم تلزم الأدب أمرت أن يصلبوك ويعلقوك فى منزلك ، وأضفت إلى هذا المبلغ الذى أدفعه مبلغ مائة ألف دينار أخرى ثمناً لألف غلام أحسن منك أدباً .. !! »

مثل : الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية[1] .

[بيت شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— إننى أشرف نفسى بنفسى مثل الجواهر الغالية
لأننى لست كالرماد يتخلف عن النار . . . !!

ولم يمض أكثر من أسبوع حتى أعد الوزان المـال المطلوب دون أن يقترض السيد مالا من أحد أو أن يبيع شيئاً من ملـكه .

مثل : من حفظ ماله ، حسنت آماله ، ومنْ ركِبَ جِدَّه غلب ضِدَّه[2] .

ثم أمر فاحضروا أشجاراً ، قطعوا كل واحدة منها بقدر ثلاثة أذرع ، وأخلوا جوفها من لبها ، وجمعوا من ذلك ثمانين قطعة ، ثم حاكوا ثمانين كيسا ، عبأوا كل كيس منها بعشرة آلاف دينار ثم وضعوها داخل هذه القطع الخشبية وأقفلوا رؤوسها وربطوها بأربطة من حديد ، ثم حملوا كل اثنين منها على بغل ،

---

(١) فق ورقة ٢٣ ب .
(٢) فق ورقة ١٦ ب .

وأنفذ « السيد » أربعين بغلا تحمل ثمانمائة ألف دينار سارت فى صحبة غلام السلطان ، وقد أعطى الغلام ديناراً واحد[1] .

مثل : من جلّت أبوّته تمت مروّته .

ووصل الغلام فى مدة شهر واحد إلى السلطان ، فسأله السلطان : من أين استطاع أن يجمع السيد هذا المال كله على هذا النحو من السرعة ؟ ! قال الغلام : إنه أخرجه جميعه من خزانته ، وقد انقضى الوقت فى وزنه ونقده وتعبئته ، وإلا لاستطاع أن يعيدنى فى نفس اليوم الذى وصلت إليه فيه ... !! فتعجب السلطان كثيراً من هذه الأحوال ومن كثرة ما وصله من أموال[2]

[بيتان من الشعر الفارسى فى الأصل ، ترجمتهما[3] :]

— انظر إلى فعل هذا الفلك الدائر [ص ١٦٥]
لقد جعل لكل واحد نصيبا معلوما فيه

— وهو يخرج الوردة النضيرة من الأشواك الجافة
وإذا حسن الحظ وتيقظ ... استحال التراب الأغبر إلى مسك أذفر ... !!

ثم سلم السلطان محمد وزيره أحمد بن نظام الملك إلى « السيد أبى هاشم » ليثأر لنفسه منه .

---

(١) المراجع : هكذا فى الأصل ويغلب على الظن أنه اعطاء ألف دينار وأن الأصل الفارسى يجب أن يكون « يك هزار دينار » وليس « يك دينار » . أو أنه لم يعطه شيئاً

(٢) تذكر حكاية أبى هاشم الهمدانى على هذا النحو والتفصيل فى سائر كتب التواريخ (جت ، تك ، ع ، رص ، حس) ولكن يحسن الاعتماد اعتمادا كلياً على ما نقل فى زن (ص ٩٧ — ٩٨) بروايه أنوشروان بن خالد لأنه كان فى ذلك الوقت يتولى الخزانة وهو الذى أرسل إلى همدان لأخذ هذا المال ، وبفضل وساطته أعاد السلطان محمد السيد أبا هاشم إلى رئاسة همدان .

(٣) شة ص ٨٦٠ س ١٥ — ١٦ .

مثل : من حفر بئراً لأخيه وقع فيه(١)

[بيت شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— كل من يحفر فى الطريق بئرا لأخيه ؛
يسقط إلى أعماقه . . . ويتردى فيه ... !!

وهكذا ابتلى أحمد بن نظام الملك بالمصير الذى كان يفكر فيه ويدبره للسيد أبى هاشم .

مثل : لا تطمع فى مثل ما تَمْنَع(٢) .

ولقد بلغ السيد أبو هاشم رئاسة همدان والتمتع بهذه الحال بفضل ما بذله من أموال فقد قالوا : « بالمال تهان أعناق الرجال » .

* * *

وحمداً لله تعالى ، أن مئات الأحمال الشبيهة بهذا الحمل تصل يومياً إلى أعتاب ملك العالم ، سلطان بنى آدم ، غياث الدنيا والدين أبى الفتح كيخسرو بن السلطان قلج ارسلان ، خلد الله ملكه ، بل وأكثر من ذلك أنه مظفر دائماً على أعاديه ، فله فى صباح كل يوم — عندما تطير عنقاء الصبح الصادق فى آفاق المشرق ، ويختفى غراب الليل فى زوايا المغرب — فتحٌ جديد يطرق الأسماع ليجدد صيت فتوحاته المظفرة التى لا يحصيها عد أو يدركها حد . فلتكن حاله على هذا المنوال ما دام حياً ، ولتبق دولته ثابتة إلى يوم القيامة ، وليحقق الله لهذا السلطان الخيِّر جملة أمانيه فى الدارين . . . بحق محمد وآله .

---

(١) فى ورقة ١٠ ب .
(٢) فى ورقة ٢٣ ب .

وإنى أجمل دعائى له ولدولته فى القصيدة الآتية :

[قصيدة فارسية فى مدح السلطان ، ترجمتها :]

— ليكن السلطان مظفرا ما دامت الدنيا والحياة
وليكن عرشه محاذيا لأفلاك السماء . . . !!

— ولتكن عتبته وهى كعبة الكرم
منقوشة بالقبلات التى تطبعها عليها شفاه الجبابرة المتغطرسين . . . !!

— فهو سلطان الإقبال . . . الواهب للهناء والثراء
فليكن دائما مقيِّدا الأعداء ، مربياً الأصدقاء . . . ! !

— وليكن « بنيامين[1] » الملك إلى أبد الآبدين عزة لأخيه « يوسف »... !! [ص ١٦٦]

— ولتكن ذاته الطاهرة ، وهى صورة لعالم المعنى
لتكن دائما وجها للإقبال ، وظهرا وسندا للجند . . . !!

— وليكن الغبار المرتفع من حوافر أقدام جواد الملك
كحلا تكتحل به أعين الكواكب السبعة . . . !!

— ولتكن السماء الواسعة أقل سرادقاته ، ولتكن الشمس المشرقة أقل تيجانه ...!!

— ولتكن أمور الدولة والملة فى كل زمان ، بفضل حد سيفه ، أشدَّ قوة وأمضى بأسا...!!

— وإذا دار الفلك على غير حكمه وهواه ، فليسد طريقه ، ولتتكسر عجلته ...!!

— ولتدم نوبات الملك الخمس فى سراية[2] ...!! ولتكن الأقاليم السبعة برمتها ساحة له

— وليكن قلبه منجما للفقير القابض بكفه على الريح (أى المعدم)
وليكن كفه مانحا الذهب للمعدم الذى يهيل التراب على رأسه . . . !!

— وليكن السلطان فى الشجاعة والرجولة ، تذكارا لـ « حيدر » فى هذا العالم[3]

— ولتدم صفحة سيفه معصفرة ، بدماء أعداء ملكه وخصومه ... !!

— ولتكن أقل درجاته فى المعالى ، سقف هذه القبة المدورة (أى السماء)

---

(١) بنيامين هو أخو « يوسف » عليه السلام .

(٢) المراجع : نوبات الملك الخمس هي النوبات التى يدقون فيها الطبول امام قصر الملك .

(٣) المراجع : « حيدر » من أسماء على كرم الله وجهه .

— وحينما يُذكر ملكه ومقدارُ عظمته ،
ليكن الخجل والعار لملك الإسكندر(١) ... !!
— وكل من أسلم رأسه لأمره وما يخطه خطه ...ليستقم طبعه كما يستقيم خط الدائرة
— وليستمد المريخ من خادم السلطان
لقبه الخاص ، وليكن السعد الأكبر له
— وليكن موحد القلب فى ولائه للسلطان
وليكن الشجاع الجرىء على هذه الحال... !!
— ولتكن آذان الأفلاك بما ينثره من درر ألفاظه ...
أصدافا للدرر وأدراجا للجواهر ... !!
— ولتكن دموع من يكرهه ، خشيةَ هيبته ، مددا لماء البحر الأخضر (٢)... !!
— وقد دعا له الظفر فى يوم الوغى والقتال ،
فقال : ليكن سلطان الدين مظفرا على الدوام ... !!
— وقال النصر : لتدم نعمة الله ، على قلب السلطان ويده وخنجره ... !!
— وليكن أحسن الجواشن كفناً لعدوه فى وقت الحرب ... !!
— وكفه هى ساحل بحر القلزم ... فلتفض دائما بفيض قلبه ... !!
— ولتدم فى قبضة أحبابه ... ثنايا طرر الأحبة ... !!
— وما دام التنافر بين الماء والتراب ، [ص ١٦٧]
وما دامت الخصومة بين الهواء والنار
— ليكن البلل والجفاف لأعداء السلطان ...
الجفاف لشفاههم ، والبلل لأعينهم ... !!
— وليكن الماء فى أعينهم ، والنار فى قلوبهم ،
والريح فى أكفّهم ، والتراب على رؤوسهم ... !!

[نهاية الثلث الأول]

(١) المراجع : أى إذا قورن ملك بملك الإسكندر يستخزى ويخجل لأنه قليل بالنسبة لملك السلطان .

(٢) المراجع : أى لتفض دموع شانئه بغزارة لتكون مددا للمحيطات .

السلطان الأعظم

معز الدنيا والدين أبو الحارث

سنجر بن ملكشاه برهان[1] أمير المؤمنين

كان السلطان سنجر قمحي اللون ، مجدر الوجه[2] ، تام اللحية طولا وعرضاً ، غير أن بعض شاربه تلاشى بسبب الجدرى ، وكان عالى المنكبين ، فارع الطول ، رحب الصدر .

وكان توقيعه « توكلت على الله[3] » .

ووزراؤه هم : الوزير معين الدين مختص الكاشى[4] ، والوزير شهاب الدين[5] أبو المحاسن بن الفقيه الأجل أخى نظام الملك ، والوزير شرف الدين

---

(١) فى « زن » و « زت » . يمين .

(٢) ورد فى تاريخ الحكماء للشهرزورى أنه حينما ظهر الجدرى على سنجر كان صغيراً وأن الحكيم عمر الخيام ذهب لعيادته ، فلما خرج من عنده سأله الوزير : كيف وجدت حالته ، وبأى شيء عالجته ؟ فأجاب الخيام : إن حياة هذا الصبي مخيفة ومن الجائز ألا ينجو ، فنقل غلام حبشى هذا الكلام إلى سنجر ، فلما شفى كان يكره الحكيم الخيام ، ولا يعجب به (ارجع إلى حواشى چهار مقاله للعلامة محمد القزوينى ، ص ٢١٢) :

(٣) جاء فى « زن » ص ١٦٦ : وكانت علامة سنجر تحت « قوس الطغراء » وفوق بسم الله « توكلت على الله » .

(٤) زاد « ا » و « زن » أبو نصر بن الفضل .

(٥) فى « زن » ص ٢٦٧ : شهاب الإسلام عبد الدوام ، وفى ا « شهاب الإسلام عبد الرزاق » .

أبو طاهر[١] ماميسا[٢] القمى ، والوزير يغان بك[٣] الكاشغرى ، والوزير قوام الدين أبو القسم[٤] ، والوزير ناصر الدين طاهر بن فخر الملك .

وحجابه هم : الأمير الحاجب غزغلى[٥] ، والحاجب حسين[٦] ، والحاجب نظام الدين محمود الكاشانى[٧] ، والحاجب فلك الدين على الچترى . [ص١٦٨]

وكان السلطان سنجر ملكا لم يتمتع شخص من آل سلجوق بطول العمر كما تمتع به ، وقد ظفر بطيب العيش ، وتحصيل المال ، والحصول على المراد ، وقمع الأضداد وفتح البلاد ، وكانت له هيبة الملوك وعظمتهم ، وكان خبيراً برسوم العمران ، وقوانين السلطنة ، وقواعد الحكم ونواميسه .

حكمة : « من أصلح نفسه أرغم أعاديه ، ومن أعمل جدّه بلغ أمانيه[٨] »

وكان فى الأمور الجزئية ساذج القلب ، متحفظ الطبع ، ولكنه كان ذا رأى صائب وعزيمة صادقة فى وقت قيادة الجيش ، والقتال مع العدو ، وكان له ولع بالعدل والإنصاف ، والتقوى والعفاف .

حكمة : « تاج الملك عفافه ، وحصنه إنصافه ، وسلاحه كفافه ، وماله رعيته[٩] » .

---

(١) زاد « زن » سعد بن على بن عيسى .

(٢) لم ترد هذه الكلمة فى سائر الكتب .

(٣) كذا فى الأصل ولكن من المحتمل أنه سهو من النساخ ، فقد ذكر فى « جت » و « م » وهما يعتمدان على راحة الصدور « طغان » و « تغان » وفى « زن » تغار » وفى « حس » « تغار » وذكر اسمه على أنه محمد بن سليمان ، وقد ذكرت ترجمة حال « يغان بك الكاشغرى » فى تذكرة هفت إقليم ، وذكر اسمه « تغار بك » بدل « يغان بك » يبدو أن هذا هو الصحيح

(٤) ذكر فى « زن » نصير الدين أبو القسم محمود بن أبى توبة المروزى .

(٥) ذكر فى « زن » ص ١٨٥ : غز اغلى السلاحى .

(٦) زاد « جت » : بن داود المرعزى :

(٧) فى « جت » : الكاشانى .

(٨) فق ، ورقة ١٩ (ا) :

(٩) فق ، ورقة ١٨ ب :

وقام « سنجر » بتسعة عشر فتحاً منذ ابتداء عهده ... ومنذ صار ملكاً على خراسان من قبل أخيه بركيارق ، إلى أن انقضت أربعون سنة من حكمه ، لم يصبه فيها وهن ، ولا حلت به هزيمة قط .

مثل : « من ركب الجد غلب الضد[١] » .

وقد استولى على غزنه ، ولم يغزها شخص من آل سلجوق قبله ، وأجلس بهرامشاه[٢] من أبناء الغزنويين على العرش ، وقرر أن يؤدى إلى خزانته — يومياً — ألف دينار من عوائد المدينة ، فعين — هناك — عاملا من قبله ، لتحصيل هذا المال .

حكمة : « اصطناع العاقل أحسن فضيلة ، واصطناع الجاهل أقبح رذيلة ، لأن اصطناع العاقل يدل على تمام العقل ، واصطناع الجاهل يدل على استحكام الجهل[٣] » .

كما استولى أيضاً على ملك سمرقند ، وكان سبب ذلك أن أحمد خان[٤] كان قد عصى بعد وفاة بركيارق ، فحاصر سنجر المدينة أربعة أشهر واستولى عليها فى سنة أربع وعشرين وخمسمائة[٥] ، وأسر أحمد خان واستخلص جملة ولايات كانت فى قبضة أبيه ملكشاه ، كما أخضع ملك سجستان وخوارزم تحت حكمه ، ومنح اتسز بن محمد بن نوشتكين غرجه[٦] مُلك خوارزم ، وأعطى تاج الدين

---

(١) فق ، ورقة ١٦ ب .
(٢) ارجع فى شرح هذا الى « ا » فى حوادث سنة ٥٠٨ (ج ١٠ ص ٣٥٣ — ٣٥٦) و « زن» ص ٢٦٢ — ٢٦٤ .
(٣) فق ورقة ١٩ ـ ا .
(٤) كذا أيضاً فى « زن » و « زت » و « ا » : محمد وهوالمعروف أيضاً بارسلان خان
(٥) « ا » ج ١٠ ، ص ٤٦٥ .
(٦) فى النسخة الأصلية : غزجه ، وفى « ا » غرشجه (وكان أبوه يعنى أبو محمد خوارزمشاه انوشتكين مملوك أمير من السلجوقية اسمه بلكباك قد اشتراه من رجل من غرشستان (غرجستان) فقيل له انوشتكين غرشجه » « ا » ج ١٠ ص ١٨٢ .

الأمير أبا الفضل مُلك نيمروز بزابلستان ، وكان قائد جيشه فى أغلب حروبه العظيمة ، وكانت له مواقف مجيدة فى موقعتى غزنه و بيلان[1] .

وقد رحل «سنجر» إلى العراق بعد وفاة أخيه السلطان محمد فى ابتداء سنة إحدى عشرة وخمسمائة ، وكان السلطان محمود بن محمد قد جلس على عرش السلطنة لحفزه أمراؤه على محاربة عمه ، ولـكنه هزم ، وفر إلى أصفهان مدحورا[2] . وأخذ السلطان سنجر يوزع الولايات ، وينشر العدل فى سائر الأرجاء .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— كل شخص يعدل وهو على عرش الملك ، تستقر السعادة فى قلبه[3]
— فيزهو التاج على رأسه ، ويثبت العرش من تحته
— وينعم به التاج والعرش ، وييأس منه العدو ، ويسعد به الحظ
— فإذا دار الفلك الفانى دورته ، بقيت ذكرياته الطيبة[4] [ص ١٧٠]
— وكل شخص يكون زاده العلم ، يموت جسدا ، ولـكن اسمه لا يموت أبدا
— فعامل الناس جميعاً بالحسنى . ولا تسلك سوء السبيل فى الدنيا[5]
— فإن كل شخص يفكر فى السوء ، يسىء فى النهاية إلى نفسه
— ولا يعرف إنسان ما تـكنه القلوب ، فليس للخلق طريق إلى هذا الحجاب
— وكل ملك يتخذ العدل ديدنا ، يذكر كل شخص عدله بغير شك[6]... !!

---

(١) « ا ا » فى حوادث سنة ٥٠٨ (ج ١٠ ص ٣٥٣ — ٣٥٥) و « زن » ص ٢٦٢ — ٢٦٤ والمقصود (نفس الحرب التى أجلس سنجر بعدها بهرامشاه على عرش غزنه)

(٢) ارجع فى شرح هذا إلى « زن » ص ١٢٥ وما بعدها ، و « ا ا » حوادث سنة ٥١٣ (ج ١٠ ص ٣٨٥ وما بعدها) .

(٣) « شه » ص ١٦١٨ ، س ٢٨ .

(٤) « شه » ص ١٦٧١ ، س ٢٣ — ٢٥ .

(٥) « شه » ص ١٦٠٣ ، س ٢٢ — ٢٣ .

(٦) « شه » ص ١٦١٩ ، س ١ ، ٢ ، ٤ .

وقد أرسل على بار الذى كان حاجب الملك محمود نائبه أبا القاسم الآنساباذى[1] إلى السلطان سنجر ملتمساً المعذرة على لسان محمود ، قائلا إن ماحدث منه ناشىء عن طيش الطفولة ... !! وقد استقر الرأى على أن يلحق بخدمة عمه بالرى ، وأن يبقى بها شهراً ، وأن لايدق له بوق تركى فى وقت الركوب أو النزول ، وألا تكون له خيمة حمراء جهرمية[2] ، وأن يسير مترجلا فى ركاب عمه فى أثناء ركوبه أو ترجله ، وأن يترك كل ما يكون من شعائر السلطنة ورسومها[3] ، وقد ظل على هذه الحالة شهراً فى خدمة عمه .

مثل : « من أحكم التجارب أحمد العواقب[4] » .

فلما فعل ذلك أنابه السلطان سنجر عنه فى العراق ومنحه كل ما كان قد تركه من رسوم السلطنة وشعائرها ، وأعطاه خلعة خاصة ، كما منحه قباء مرصعاً بالجواهر ، وجواداً للنوبة مسرجاً بسرج أحمر ، وفيلا عليه هودج مرصع ، وأنعم على أمرائه أيضاً على حسب درجاتهم ، وأرجعه إلى دياره معظما مبجلا[5]

شعر[6] :

لاتطمحنَّ إلى المراتب قبل أن ... تتكامل الأدوات والأسبابُ

إن الثمار تمرّ قبل بلوغهـــا ... طعماً وهن إذا بلغن عذابُ [ص١٧١]

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— يجب أن تلتمس الأمور فى أوقاتها ، لأنها فى غير أوقاتها واهية[7]

---

(١) اسمه ناصر بن على ، ولقبه زين الدين ، وهو المعروف بأبى القاسم الدركزينى ارجع إلى « زن » ص ١٣٤ .

(٢) المراجع : « جهرم» مدينة فى إقليم فارس مشهورة بصناعة هذا النوع من الخيام .

(٣) « زن » ص ١٢٨ — ١٢٩ .

(٤) « فق » ورقة ١٦ ب

(٥) « ا » ج ١٠ ص ٣٨٨ — ٣٨٩ « زن » ص — ١٢٨ — ١٢٩ .

(٦) الشعر لمؤيد الدين الطغرائى (الديوان طبع القسطنطينية ص ٧٥ — ٧٦) .

(٧) يرد هذا البيت الفارسى فى الأصل بعد البيتين العربيين .

ووكل «سنجر» إلى عماله أن يأخذوا الضرائب من كل مدينة من مدن العراق وأمهات البلاد ، وصار — منذ ذلك الوقت — السلطان الأعظم ، وبسط نفوذه على سائر الأنحاء ، وقرئت الخطبة باسمه من حد كاشغر إلى أقصى بلاد اليمن ، ومكة والطائف ومكران وعمان وآذربيجان إلى حدود بلاد الروم[1] ، وقد ظلت الخطبة تقرأ باسمه بعد وفاته أكثر من عام[2] ، وكان ملكا مبارك الأثر تقيا ، حسن اللقاء ، دائم الخشية لله ، وقد صار إقليم خراسان فى عصره مقصداً للناس جميعا ومنهلاً للعلوم ، ومنبعا للفضائل ، ومعدنا للفضل والعلم ، وكان سنجر يحترم علماء الدين احتراما كبيراً ، ويتقرب إليهم تقربا تاما ، ويميل ميلا كاملا إلى الزهاد والأبدال ، ويختلى بهم .

وكان لا يتكلف فى ملبسه ، فكان يلبس — فى أكثر الأوقات — ثوبا زندنجيا[3] ، أو ثوبا عتابيا[4] من الحرير غير المنقوش ، وصديريا رقيقا ، ولكنه كان يديم الجلوس على العرش ولا يتخلى عن أمور السلطنة . فلما خضعت له جميع أرجاء الدنيا ، ودان له ملوك الأطراف ، ونفذ أمره فى مشارق الأرض ومغاربها ، انتهز أمراء دولته وحشمه الفرصة فطغوا و بغوا ، وساعدهم طول أيام دولته ، وسعة أسباب نعمتها ، ووجدوا أن يداً لا تعلو على أيديهم ، فتطاولوا على الرعايا وظلموهم[5] . وأخذوا فى اقتراف المظالم فى إقليم ماوراء النهر وعاثوا فيه فساداً .

---

(١) « زن » رص ٢٦٥ ، « ا » ج ١١ ، ص ١٤٧ .

(٢) إلا فى بغداد فإنه لما وصل خبر موته [أى موت سنجر] الى بغداد قطعت خطبته ولم يجلس له فى الديوان للعزاء ...« ا » ج ١١ ، ص ١٤٧ .

(٣) المراجع: منسوب الى بلدة « زندنه » بالقرب من بخارى ، والى هذه القرية تنسب الثياب الزندنجية بزيادة الجيم وهي ثياب مشهورة (انظر معجم البلدان) .

(٤) نوع من الثياب ينسب الى مخترعه ، فهو يعرف باسم العتابى .

(٥) « زن » ص ٢٧٦ .

مثل : « أغنى الأغنياء من لم يكن للحرص أســـيراً ، وأجل الأمراء من لم يكن الهوى عليه أميراً[١] .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته[٢] :]

— إذا ما وجدت جسدك معافى قويا ،

فلا تغفل ... وفكر فى المرض والألم والسقم ... !! [ص ١٧٢]

وفى شهور سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ، عندما انتقل السلطان من عاصمته مرو إلى مدينة سمرقند لتفقد تلك الولاية التى بعد عهدُه بها ، واضطربت أحوالها ، وكذا لما شاع من أن كفار «الخطا» يقصدون بلاد الإسلام ، شكا أهالى ولاية ما وراء النهر من شدة وطأة جيش خراسان ، وقسوة حشمه وأتباعه ، وأن فرسان خراق[٣] الذين كانوا قد انهزموا ونكبوا عدة مرات قد أرسلوا شخصا منهم — فى السر — يستدعون كافر الخطا[٤] .

مثل : « كفى بك داء أن ترى الموت شافيا »[٥] .

[مصراع[٦] فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— ارحم من تكون راحته الموت ... !!

ومضى جيش خراسان فى هذه الصورة من البغى والغلواء ، وقد استقر

---

(١) « فق » ورقة ١٩ — ١ .
(٢) « شه » ص ١٦١٩ ، س ٧ .
(٣) فى « زن » قرلق . وفى نسخة البدل قُرلق وقرلقية ، وفى « اا » قارغلية .
(٤) « زن » ص ٢٧٦ — ٢٧٧ .
(٥) عجزه : « وحسب المنايا أن يكن أمانيا » وهو مطلع قصيدة للمتنبى يمدح بها كافوراً الاخشيدى (ديوان المتنبى ، طبع برلين ، ص ٦٢٣) .
(٦) فى النسخة الأصلية : شعر .

فى رأس رجاله أن أحداً فى العالم لا طاقة له بمقاومتهم ، ففرضوا مائة ألف فارس وأخذوا يتباهون و يغترون بأنفسهم .

مثل : « القليل مع التدبير أبقى من الكثير مع التبذير[١] . »

فتوجه إلخان الكافر[٢] الخطائى إليهم على رأس جيش فى عدد الرمل والنمل ، وتبعه فرسان الخراق الذين بلغوا ثلاثين أو أربعين ألف فارس ، فانهزم أمامهم جيش خراسان بحيث قتل ثلاثون ألف رجل من بينهم ثلاثة [ص١٧٣] أو أربعة آلاف رجل من مشهورى الأمراء ، وأصحاب المناصب ، وأرباب الدولة فضعف أمر السلطان[٣] ، وسدت عليه المسالك من خلفه ومن أمامه ، فقال له تاج الدين أبو الفضل ، ليس هذا يا مولاى مكان الوقوف والثبات ، فالوقوف غير محمود ، عند ذلك شق السلطان طريقه ومعه ثلثمائة فارس مدرعين بالحديد فى وسط جيش الكافر وأخذوا يقاتلون ، فلم يخرج من بينهم إلا وقد هلك سائر رجاله ، باستثناء خمسة عشر رجلا ، ثم توجه إلى الصحراء ، وأخذ دليلا من التركمان وتوجه إلى بخارى ، قاصداً قلعة ترمذ[٤] .

---

(١) فى ورقة ١١٧ ا

(٢) كذا فى الأصل ولكن فى « جت » وفى طبقات ناصرى (ترجمة راورتى ص ١٥٤) « اتخان » ويقال إن هذه التسمية أصح ، ولم ترد فى أى كتاب من كتب التاريخ « إلخان » فيما أعلم ، وهناك كتب أخرى تذكر بدل الخان « گورخان » وكان لفظ گورخان لقب ملوك القراخطائيين ، وليس اسماً لواحد منهم على الخصوص (حواشى چهار مقاله) وكذلك كلمة « اتخان » فإنه يظهر منها أنها لقب وليست اسم شخص مخصوص لأن « آت » فى اللغة التركية بمعنى حصان و « خان » بمعنى قائد « فاتخان » فى رأيى كان قائد جيش گورخان « سپاهسالار » ، وزعم هنرى هورث Sir. H. Howorth أن إتخان كان حاكم تركستان الذى عزله (J. R. A. S. 1876. p. 272) ارجع أيضاً إلى طبقات ناصرى ، ص ٢٩٦ ح .

(٣) وقعت هذه الواقعة فى عام ٥٣٦ هـ وهى معروفة بحرب قطوان وهى موقع على باب سمرقند « اا » فى حوادث سنة ٥٣٦) .

(٤) اا ج ص ٥٣ .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— روى حكيم هذه القصة العظيمة ، فقال إذا هرب أسد من محاربة ذئب

— فيجب على الذئب ألا يباغته من خلفه ،

لأن ما أصابه إنما أصابه من سوء الحظ

— فالحظ السيء حية رقطاء مفترسة ،

توقع الأسد الهصور فى شراكها فى لحظة واحدة[1]

— ولا يبقى الحظ الحسن لإنسان دائما ،

ولا يبقى له الكنز ولا التاج ولا العرش

— فينبغى تخليد الاسم ، لا الإمعان فى الهوى ،

فاطرح الغواية وارفع اسمك عاليا[2]

ثم أخذ بقايا الجيش والمبعثرون من جنده يلحقون به من سائر الأنحاء ، وأخذوا يتبادلون التهنئة بالناجين ، والتعزية فى المستشهدين .

ويقول فريد[3] الكاتب هذه الرباعية فى تلك الواقعة :

[رباعية فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— أيها الملك ! إن الدنيا قد استقامت بحد سنانك

واقتص سيفك أربعين عاما من أعدائك

— فإذا أصابتك عين السوء فإن هذا أيضا من فعل القضاء ،

والله — وحده — هو الذى يظل على حال واحدة ...!!

حكمة : « إذا أشكل عليك الأمور ، وتغير عليك الجمهور ، فارجع إلى رأى

---

(١) شه س ٨٩٧ ، س ٤ .

(٢) شه س ٣٠٦١ ، س ٨ — ٩ .

(٣) فريد الدين الكاتب ، يقول دولتشاه السمرقندى كان تلميذ الأنورى ، وكان يلازم دائما بلاط السلطان سنجر ، وقد حفظت بعض أشعاره فى لباب الألباب لعوفى (ج ١ ، س ١٥٢ — ١٥٤) .

العقلاء ، وافزع إلى استرشاد النصحاء ، ولا تأنف من الاسترشاد ولا تستنكف من الاستمداد ، فلأن تسأل وتسلم خير من أن تستبد وتندم[١] . » [ص١٧٤]

فلما هرب السلطان وقف تاج الدين ملك نيمروز مكانه فى قلب الجيش ، وقاتل قتالاً عنيفاً ، وبارز مبارزة ماهرة ، حتى تعجب منه عسكر الخطائيين ، وحملوه إلى الخان[٢] فمكث عنده عاماً مكرماً[٣] ، وكانت تركان خاتون مقيمة هناك[٤] ، فأرسلها[٥] بعد عام إلى السلطان .

مثل : « عادة الإحسان مادة الإمكان[٦] » .

واستولى الأخان على ملك ما وراء النهر ، ومنذ ذلك التاريخ وابنة سنجر عند (الخان خانان[٧]) .

وعند ما نكب جيش خراسان أعلن أتسز ملك خوارزم العصيان ، وأغار على مرو ونيسابور ، واستولى على الخزائن والذخائر[٨] ، فلما أرسل إليه السلطان متوعداً ، أجاب بهذه الأبيات المعروفة على الأفواه[٩] :

---

(١) فق ورقة ١٨ ا [المراجع : ابقينا العبارة بنصها كما وردت] .
(٢) جت : آلخان .
(٣) «زن» ص ٢٧٨ ، «ا» ج ١١ ص ٥٧ .
(٤) هى زوجة السلطان سنجر وابنة محمد ارسلان خان (صاحب ماوراء النهر) ا ج ١١ ص ٥٧ .
(٥) فديت تركان خاتون بخمسمائة ألف دينار (زن) .
(٦) « فق » ورقة ١٨ ب .
(٧) يعنى « گورخان » ، خان خانان » ترجمة « گورخان » باللغة الفارسية ، ارجع إلى طبقات ناصرى ترجمة راورتى ، ص ٩١١ ح ، وإلى چهار مقاله نشر ميرزا محمد القزوينى ص ١١٣ ح .
(٨) « زن » ص ٢٨٠ ، ابن الأثير ج ١١ ، ص ٥٨ .
(٩) ارجع إلى لباب الألباب لعوفى ، ج ١ ، ص ٣٧ .

[بيتان فارسيان فى الأصل ، ترجمتهما :]

— إذا كان حصان الملك سريع العدو ، فإن حصانى — أيضا — ليس أعرج

— فتعال هنا وأنا أذهب إلى هناك ، فليس العالم ضيقا ... !!

واستطاع السلطان بعد عام واحد جمع الشتات ، وإحياء الموات ، فجاءته الرسل من الأطراف بالأحمال والهدايا ، واستقام له شأن الملك من جديد .

وبعد ذلك بسبع سنوات ، أى فى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة — جاء السلطان إلى الرى ، ورجع السلطان مسعود من طريق بغداد ، ولحق بخدمته ، وجاء رسل أطراف خراسان إلى خدمة السلطان الأعظم فى الرى ، [ص١٧٥] فاستقبلهم استقبالا رسميا وكان السلطان مسعود حاضراً [1] .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— هكذا يقول الملك السعيد الحظ :

إننى صرت — بفضل العدل — جديراً بالعرش

— وإن الله قد أعطانى كنوزا كثيرة

فلا أريد التطلع إلى جمع المال[2] والحرص عليه

— لأننا لسنا محتاجين إلى ثروة ، تجلب لعنتها تنغيص الروح

— فإن من يتغذى بلحم الفقير ، سيتربى الناس — من غير شك — على جلده[3]

— فلا ينبغى للملك فى الدنيا ، أن يبقى له ذكر إلا الخير والاستقامة .

— وبماذا تنفع الكنوز مع احتمال الآلام ... ؟!

ولماذا تحتمل الغصص فى هذه الدنيا الفانية[4] .... ؟!

---

(١) « ا » ج ١١ ، ص ٩٤ ، « زن » ص ٢٢٤ .

[المراجع : المقصود به السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه] .

(٢) « شه » ص ١٦٢٣ ، س ٢٧ .

(٣) « شه » ص ١٦٢٤ ، س ١٠ — ١١ .

(٤) « شه » ص ١٦٢٦ ، س ٢٣ — ٢٥ .

— ولسوف لايهنأ بك المقام فى الدنيا ، فمن الخير أن تنعم بالمأكل والمشرب [١]
— وأنفق بقدر ما لديك من مال ،
وحرر قلبك من الحرص على تكثير النقود والأموال[٢]...!!
— فلاشك أن كل إنسان يثنى دائما ، على الملك الذى تعمر بفضله الأرض...!!

وقد عرضوا عند استقبال السلطان بهرامشاه بن مسعود عند قدومه من غزنه رأس سورى[٣] ملك الغور مع الهدايا التى كان السلطان بهرامشاه[٤] بن مسعود قد أرسلها من غزنه ، وقال فريد الكاتب هذه الرباعية .

[رباعية فارسية فى الأصل ، ترجمتها[٥] :]

— إن الذين نافقوا فى خدمتك ،
قد قضوا عمرهم فى خدعتك .
— لقد مات سام — أعاذك الله — بالبرسام
وها هى رأس « سورى » قد جلبت إلى العراق ... !!

(ولقد كان سام أخا لسورى ملك الغور) ؛ فلما جدد سنجر العهد مع مسعود أقام فى الرى ستة عشر يوماً ومنح السلطان مسعود وجميع أمراء العراق خلعا قيمة ، ثم رجع فى رمضان من هذا العام .

و بعد عام ثار ملك الغور الحسين[٦] بن الحسين طالباً الثأر [ص١٧٦]

---

(١) « شه » ص ١٧٦٥ ، س ٢٧ .
(٢) « شه » ص ١٦٢٤ ، س ١٨ .
(٣) يعنى سيف الدين سورى بن الحسين .
(٤) كذا فى « جت » وهو الصواب .
(٥) تنسب هذه الرباعية فى « تسك » و « رس » و « حس » إلى فخر الدين خالد الهروى .
(٦) فى النسخة الأصلية الحسن ، وهذا سهو ظاهر لأن المقصود « علاء الدين الحسين ابن الحسين بن الحسن المعروف بجهانسوز » ارجع إلى حواشى چهار مقاله ص ١٥٧ ».

لأخيه[١] ، وعصى معه «على الچترى» الذى كان الأمير الحاجب للسلطان، وصاحب إقطاع هراه .

مثل : « الجهل يزل القدم ، والبغى يزيل النعم[٢] »

وكانت ثورة «على الچترى» بمدد من الملك الحسين[٣] ، وكان هذا العصيان شديد الوقع على نفس السلطان ، لأن الچترى كان من صنائعه ، وقد رفعه من درجة مضحك الملك إلى منصب الحجابه[٤] وجاء السلطان من مرو إلى نواحى هراة[٥] وكان مع ملك الغور جيش كامل من الفرسان والمشاة وقد بذلت فى الحرب مجهودات شاقة هزم على أثرها الغور ، وأسر الملك الحسين وعلى الچترى فأمر السلطان بشطر على الچترى نصفين تحت العلم ، وأبقى الملك الحسين أسيراً لديه ، وبهذا الفتح ازدادت هيبة السلطان وعظمته ، فإنه لم يكن قد انتصر بعد واقعة الخطا ، وأخذت أمور الملك تنتعش من جديد .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— هكذا يكون رأى الفلك الدائر ، فثبت أقدامك مع رأيه[٦]

---

(١) يذكر فى النسخة الأصلية أنه ابن أخيه ، وهذا سهو آخر لأن علاء الدين الحسين باجماع آراء المؤرخين هو أخو سيف الدين سورى ، ويستنبط من هذه العبارة أن الحرب التى سيرد ذكرها بين سنجر وعلاء الدين وقعت فى سنة ٥٤٤ هـ وهذا ليس صحيحا لأنه بتصريح نظامى عروضى السمرقندى مؤلف چهار مقاله (ص ٦٥ — ٦٦ ، ٨٧) — الذى كان هو نفسه حاضرا فى هذه الواقعة مع السلطان علاء الدين — أن الحرب وقعت فى عام ٥٤٧ على باب أوبه .

(٢) « فق » ورقة ١٨ ب

(٣) فى النسخة الأصلية حسن .

(٤) « تسك » ص ٤٦٠ .

(٥) هراة كذا فى الأصل بهاء مقفلة ، وهى إحدى أشكال اسم مدينة « هرات » مثل « هرى » و « هرا » وهذا صحيح وجائز ، كما قفىّ منوچهرى الدامغانى إحدى قصائده (الديوان طبع كازيمرسكى ص ٢٠٣) ارجع فى شكل « هرا » إلى كتاب أسرار التوحيد فى مقامات الشيخ أبى سعيد طبع زوكوفسكى ص ١٤١ ، س ٣) .

(٦) فى « شه » ترد الشطرة الثانية برواية أخرى معناها « وليس لنا ثبات مع رأيه .

— فإن للفلك قلباً مملوءاً بالمحبة

كما أن له قلباً مملوءاً بالحقد ، ووجها مملوءاً بالعبوسة

— فقد خلق الله العالم على هذا النحو ، وهو أنه يجب أن تشرب مايسقيك[١]

— وعلى نفس المنوال تدور شمس الفلك

فتحمل فى إحدى يديها سيفاً وفى الأخرى شفقة[٢]...!!

— فلا تَعْسفُ فى وقت الغضب ، ولا تعبث فى وقت العفو[٣]

— فلا يجد أحد راحة بغير تعب [ص ١٧٧]

ولا يدور الزمان مشرقا على نمط واحد[٤]...!!

— ولن يخلد شخص على هذه الأرض ، فالتجىء إلى الله فهو حسبك[٥]...!!

وفى أواخر سنة ثمان وأربعين وخمسمائة كانت حادثة الغز[٦] ، والغز فرسان من التركمان كان مقامهم ومرعاهم بختلان من أعمال بلخ ، وكانوا كل عام يدفعون خراجا قدره أربعة وعشرون ألف رأس من الغنم يقدمونها لمطبخ السلطان ، وكان هذا الأمر من اختصاص رئيس المطابخ ، فكان يذهب شخص من قبله لاستيفائها منهم ، وكما كانت عاده الحاشية فى التسلط والتجبر ، كان هذا الشخص الذى يذهب من قبل رئيس المطابخ يعتدى عليهم ، ويسرف فى تغيير الخراف واستبدالها ، ويبالغ فى ذلك مبالغة شديدة .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته[٧] :]

— إذا ولى ملك ظالم ، فإنه يملأ الدنيا أذى وخرابا

---

(١) النسخة الأصلية « كما يرعى » بدل « لما يسقيك » .

(٢) « شه » ص ١٤٧١ ، س ٣ — ٥ .

(٣) « شه » ص ١٦٤٦ ، س ١٥ — ١٦ .

(٤) « شه » ص ١٦٥١ ، س ٦ .

(٥) « شه » ص ١٥٩٠ ؛ س ١٤ .

(٦) أ « ج ١١ ، ص ١١٦ » ، « زن » ص ٢٨١ وما بعدها وفى سائر الكتب فى أثناء ذكر السلطان سنجر .

(٧) « شه » ص ١٧٢٩ ، س ١١ .

وكان يتطاول عليهم بلسانه ، وكان بينهم أمراء عظام ، ورجال أصحاب نعمة وجاه ، فكان يطمع فى رشوة منهم .

مثل : « الرشوة تشين الأعمال ، وتفسد العمال[1] »

وكان الغز لا يحبون تقديم الرشوة وتحمل المذلة ، فقتلوا ذلك الشخص فى الخفاء ، فلم يعد فى الموعد المحدد ، وسمع رئيس المطابخ بحقيقة الحال ، فلم يستطع إخبار السلطان بحقيقة أمره ، وتحمل الغرامة على نفسه وهيأ للمطبخ رواتبه المقررة ، واستمر الحال على ذلك حتى وصل الأمير اسفهسالار قماج والى بلخ إلى خدمة السلطان فى عاصمته مرو ، فأخبره رجال الحاشية ورئيس المطابخ بهذا الأمر ، فقال قماج للسلطان إن الغز قد علا شأنهم ، وهم قريبون من ولايتى ، فلو منحنى سلطان العالم حكمهم ، فإننى أتولى عقابهم وإخضاعهم ، وأؤدى راتب المطبخ ثلاثين ألف رأس من الغنم ...!! فأجابه السلطان إلى طلبه ، وأرسل قماج شحنة عليهم من قبله ، وطالبهم قماج بغرامة لقاء عصيانهم ، فلم يستسلموا ، ولم يمكنوا [ص١٧٨] شحنته من السيطرة عليهم وقالوا : « نحن رعية خاصة للسلطان فلا ندخل تحت حكم شخص غيره » . واستخفوا بالشحنة فطردوه .

مثل : « اعص الجاهل تسلم ، واطع العاقل تغنم[2] » .

فذهب الأمير قماج وابنه علاء الدين ملك المشرق[3] ، على رأس جيش كبير لمطالبة الغز ، فهجم الغز بقلوب مستميتة ، وقتلوا قماج و ابنه فى المعركة .

---

(١) « فق » ص ١٨ ب .

(٢) « فق » ص ٦ ب .

(٣) يقول « ا1 » إن اسمه أبو بكر .

[بيتان فارسيان فى الأصل ، ترجمتهما(١)] :

— انظر ماذا قال الحكيم صاحب الذهن الصافى
حينما أخذ يضرب المثل بكلام لطيف
— قال : إنه ليس هناك أحلى من الروح والولد والمال فى هذه الدنيا(٢)

فلما وصل خبر هذه الحادثة إلى السلطان ثار أمراء الدولة ، وقالوا لا يمكن الإغضاء عن مثل هذا العمل ، فإنهم إذا لم يلزموا حدهم زاد تعديهم فيجب على سلطان العالم أن يتحرك ركابه ولا يستخف بأمرهم .

[بيتان فارسيان فى الأصل ، ترجمتهما :]

— إذا غضب قلب ملك على شخص ، تصدع بناء العدل والدين(٣)
— ويجب على كل آثم أن يستسلم لحكمه ، وأن يزهو به الأخيار والأطهار(٤)

ولما علم الغز بتحرك السلطان تملكهم الخوف ، وأرسلوا الرسل قائلين له : « إننا دائماً عبيد مطيعون ، نسير وفقاً لأوامرك ، فلما قصد قماج ديارنا ، اضطررنا إلى القتال من أجل أطفالنا وعيالنا ، لا من أجل أنفسنا ، فقتل هو وابنه ، ونحن نقدم مائة ألف دينار(٥) ، وألف غلام تركى ليتجاوز السلطان عن ذنبنا ، وكل عبد يطلبه السلطان يكون بديلا لقماج . »

ورضى السلطان بما عرضوه ، ولكن الأمراء بالغوا فى الأمر ، وأجبروه على التوجه إلى ديارهم ، فعبر إليهم الطرق الوعرة واجتاز سبعة أنهر ، [ص ١٧٩] متحملا أنواع المشاق والمتاعب .

---

(١) « شه » ص ٥٠ ، س ٢٠ ، ١٦ .
(٢) روى فى « شه » رواية قريبة فى معناها مما ذكرنا .
(٣) « شه » ص ١٤٥٦ ، س ١ .
(٤) « شه » ص ١٤٥٥ ، س ٢٦ .
(٥) توجد كلمة غير واضحة فى هذا المكان فى النسخة الأصليه .

مثل : « أى ملك ملكته حاشيته وأصحابه اضطربت أموره وأسبابه » .

فلما اقترب السلطان من ديارهم ، قدموا نساءهم وأطفالهم الصغار ، وتقدموا ضارعين إليه ، طالبين الأمان منه ، وقبلوا أن يقدموا من كل بيت سبعة أمنان من الفضة ، فأشفق السلطان عليهم ، وأراد الرجوع ، ولكن الأمير مؤيد بزرگ[1] ويرنقش[2] وعمر العجمى أمسكوا بعنان السلطان ، وقالوا : ليست هناك مصلحة قط فى العودة .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— إنك إذا اخترت — فى الدنيا — الهوى

فإنك تبقى بلا حول فى قبضة الهوى

— وإذا نشرت العدل فى الدنيا ، فذلك أفضل من أن تغرس الظلم والحرب[3]

— فإن الإنسان الذى يزينه العقل ، يكون كالكنز الملىء بما تشتهيه الأنفس[4]

— والسوء ينجلى عن العظماء بفضل الصبر ، فينبغى أن يستعين المرء بالعقل[5]

فلم يسمح المؤيد للسلطان بأن يرجع ، وكان أكثر الجيش على علاقة سيئة بالمؤيد ، فتهاونوا فى القتال .

ولما يئس الغز من رحمة الملك ، اجتهدوا فى الدفاع عن أرواحهم وديارهم وعيالهم ، ولم يمض وقت طويل حتى نزلت الهزيمة بجيش السلطان ، وتعقب الغز أثره ، فغرق خلق كثير ممن معه فى تلك الأنهار وهلكوا ، وأسروا السلطان وجرؤوا عليه ، وأحضروه إلى العاصمة مرو ، ورتبوا له من أنفسهم حاشية وخدماً يتبدلون كل أسبوع .

---

(١) مؤيد آى آبه (٥ اا ، ج ١١ ص ١٢١) .

(٢) ق « زن » يرنقش هربوه .

(٣) « شه » ص ١٤٦٠ ، س ٢ ، ٦ .

(٤) « شه » ، ص ٤١١ ، ٣ ، ٢٣ .

(٥) « شه » ص ١٤٧١ ، س ٢ .

مثل : « من قلت فكرته اشتدت عثرته[١] » .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— كل من يتقدم بغير رأى أو تدبير ، يصير هدفا لأحداث الزمان

وقد هلك مؤيد الملك بسبب فساد تدبيره [ص ١٨٠]

مثل : « أى ملك خفت وطأته على أهل الفساد ، ثقلت عليه وطأة الأعداء والأضداد »[٢]

وقد زال ملكه بسبب ذلك الغدر الذى أجراه على الرعية بعد تأمينها .

مثل : « أى ملك جار على أوليائه ورعيته ، أعان على زوال ملكه ودولته» [٣]

وأغار الغز ثلاثة أيام على مرو ، وكانت دار الملك والعاصمة منذ أيام چغرى بك ، وكانت — فى عدة عصور — مملوءة بذخائر ملوك الدولة وأمرائها ودفائنهم وخزائنهم ، فنهبوا فى اليوم الأول الأشياء الذهبية والفضية والحريرية ، وفى اليوم الثانى الأشياء النحاسية والرصاصية والحديدية ، وفى اليوم الثالث الأشياء التافهة كحشو الوسائد والمراتب والجرار والدنان والأبواب والأخشاب ؛ وأسروا أغلب أهل المدينة ، وكانوا بعد الغارات يعذبونهم ليظهروا جميع الأشياء التى يخفونها .ولم يتركوا شيئاً على وجه الأرض أو تحتها إلا وحملوه ، ثم توجهوا إلى نيسابور وتضاعف عددهم بانضمام رجال الجيش إليهم ، وقد قاومهم أهل نيسابور فى البداية ، وتمكنوا من قتل جماعة منهم فى المدينة .

---

(١) « فق » ورقة ١٦ ب .

(٢) « فق » ورقة ٢١ ب .

(٣) « فق » ورقة ٢١ ب .

فلما علم الغز بذلك، اقتحموا المدينة ، وأسروا أهلها ، وكان كثير من الرجال والنساء والأطفال قد اعتصموا بالمسجد الجامع الحصين فهجم الغز عليهم مستعملين السيف ، وقتلوا منهم خلقاً كثيرين فى المسجد حتى اختفى القتلى فى بحار الدماء.

مثل : « إذا ملك الأراذل هلك الأفاضل[(١)] »

فلما جن الليل هجموا على مسجد آخر فى طرف سوق المدينة ، وكان يسمى مسجد المطرز وكان مسجداً كبيراً ، يتسع لصلاة ألفى رجل ، وكانت تعلوه قبة شامخة منقوشة من الخشب المدهون كما كانت جميع أعمدته مدهونة[(٢)] — فأشعلوا النار فيه ، وارتفعت ألسنة النار حتى أضاءت أرجاء المدينة جميعها ، وظل الغز يغيرون على هدى هذه النيران حتى أسفر الصبح . وأخذوا يجمعون [س١٨١] الأسرى ويحملونهم ، ثم وقفوا على باب المدينة بضعة أيام ، وكانوا يعاودون الهجوم عليها كل صباح .

فلما سلبوا كل ما على وجه الأرض ، أخذوا يحفرون تحت المنازل والحيطان ، ويخربون القصور ، و يعذبون الأسرى ، و يحشون أفواههم بالتراب حتى يرشدوا إلى مكان الدفائن ، فإن لم يفعلوا ذلك قتلوهم ، وكان الناس يختفون فى أثناء النهار فى الآبار والسراديب ، والقنوات القديمة المهجورة .

مثل : « استفساد الصديق من عدم التوفيق[(٣)] » .

وكان هذا من نتائج حركة المؤيد الذى سوف تصب عليه اللعنة أبد الآبدين .

وكان الغز يخرجون من المدينة فى وقت صلاة العشاء ، فإذا فعلوا ذلك أقبل

---

(١) « فق » ورقه ٢٣ ب .

(٢) « جت » : مذهبة .

(٣) « فق » : ورقة ١٦ ب .

الناس ليروا ماذا فعل الغز ، وماذا حملوا . والواقع أن آلاف الناس الذين قتلهم الغز — فى تلك الأيام المعدودة — لا يدخلون تحت عد أو حصر .

وقد وصلت فظاعتهم إلى حد أنهم عذبوا وقتلوا الشيخ محمد الأكاف(١) الذى كان إمام مشايخ العالم ومقتداهم ، وخلفا للسلف الصالحين .

كما قتلوا محمد بن يحيي(٢) الذى كان إمام العلماء ، وزعيم أئمة العراق وخراسان، ومزقوا فمه الذى كان — عدة سنوات — مخرجا للعلوم الدينية ، ومنبعاً للأحكام الشرعية ، فعلى من يبقون بعد ذلك ! ؟ ....

آية : « واتقُوا فتنةً لا تُصِيبَنَّ الذين ظَلَموا منكم خاصةً(٣) » .

وقال الخاقانى قصيدة(٤) فى رثائه منها :

---

(١) فى « جت » و « ع » : عبدالرحمن الأكاف ، وفى « آآ » عبد الرحمن بن عبدالصمد الأكاف (ج ١١ ص ١٢٠) وقد ذكر كل من ابن الأثير والسمعانى (كتاب الأنساب) بدل اسم « محمد » (اسم عبد الرحمن بن عبدالصمد) قال السمعانى : «هو أبو القاسم عبدالرحمن ابن عبد الصمد الأكاف من أهل نيسابور كان إماما زاهدا ورعا من صغره إلى حين وفاته لم تعرف له هفوة أو زلة ... توفى فى وقعة الغز بأن قبض عليه بمدينة نيسابور فى شوال سنة ٥٤٩ » ويحتمل أن من سهو النساخ أن اختلط اسمه باسم محمد بن يحيى الذى ذكر فى السطر التالى .

(٢) هو محمد بن يحيى أبو منصور العلامة أبو سعد النيسابورى الشافعى محيى الدين تلميذ الغزالى، برع فى الفقه وصنف فى المذهب والأخلاق ، وانتهت إليه رئاسة الفقهاء بنيسابور ، وصنف المحيط فى شرح الوسيط ، « والانتصاف فى مسائل الخلاف » قتله الغز فى شهر رمضان سنة ٥٤٨ لما دخلوا نيسابور ، حضر بعض علماء عصره درسه ، وسمع فوائده فأنشد :

رفات الدين والإسلام يحيي … لمحي الدين مولانا ابن يحيي
كأن الله رب العرش يلقى … عليه حين يلقى الدرس وحيا

وكان الغز فى وقعتهم مع السلطان سنجر قد أخذوا محيى الدين ودسوا فى فيه التراب إلى أن مات فرثاه جماعة (الوافى بالوفيات لصلاح الصفدى) . [المراجع : هكذا ورد البيتان وفى ألفاظهما ووزنهما اضطراب]

(٣) سورة الأنفال آية ٨ .

(٤) القصيدة كلها تحتوى على ٤٢ بيتاً : ارجع إلى كليات الخاقانى طبع لكنو ٥٨٧ — ٥٩٠ .

[بيتان فارسيان فى الأصل ، ترجمتهما :]

— فى أمة محمد ، لم يبعث من التراب شخص أفضل من محمد بن يحيى
— فإنه فى يوم مصرعه، افتدى الأحجار بأسنانه ، وافتدى التراب بفمه .

مثل : « إذا ارتفع الوضيع اتضع الرفيع[1] » .

وقد دمر هؤلاء الأوغاد إقليم خراسان ، فانتقل بريقه إلى العراق .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها[2] :]

— يا خاقانى . . . البس السواد حدادا على خراسان [ص ١٨٢]
فإن أيام الفتنة قد جللت سوادها بالسواد . . . ! !
— لقد حزن عيسى على مصيبتها
فصبغ ملابسه بالسواد حتى حجبت الشمس بلونها الأسود . . . ! !
— لأن الفلك انتهك حرمة العالم محمد بن يحيى
وخلع الدهر التاج من فوق رأس سنجر المبارك

ولم يقف الأمر عند هذا الحد عندما رحل الغز ، فقد وجدت بين أهل المدينة إحن قديمة بسبب الاختلافات المذهبية ، فكانت كل فرقة تجتمع فى كل ليلة فى محلة من المحلات ثم يشعل أفرادها النار فى محلة المخالفين ، حتى استحالت الخرابات التى خلفها الغز أطلالا ، وحل بالناس القحط والوباء فمات جوعاً واحتياجاً كل من هرب من السيف والتعذيب . وكان قوم من العلويين ، ومن رؤساء الغوغاء قد عمروا إقليم كهندز ، ووضعوا المجانيق على أبراجه فلجأ إليهم واحتمى بهم البقية الباقية من الضعفاء[3] وعمر مؤيد آى آبه الشادياخ[4]

(١) فق ورقة ٢٣ ب
(٢) كليات الخاقانى ، ص ٨٧٧
(٣) ابن الأثير : ج ١١ ، ص ١٢٠
(٤) المراجع : شادياخ هو الاسم القديم لمدينة نيسابور

التى كان بها قصر السلطان وقصور الأمراء، وكان لها سور قديم ، ونقل الأشياء التى كانت قد بقيت فى المدينة من الآجر والخشب ، وتغيرت نيسابور فى سنتين أو ثلاث تغيراً كبيراً — بعد عظمتها وزينتها — بحيث لم يعد أحد يعرف محلته التى كان يقيم فيها .

حكمة : السُلطانُ السُّوء يجمع السَّمَلَ ويكثر العِلَلَ؛ والولدُ السوء يشين السَّلَفَ ، ويَهُدُّ الشَّرَفَ ؛ ويَشْغَلُ الفِكر ويَطوِى الذِّكرَ ؛ والجارُ السوء يفشِى السِرَّ ، ويهْتِكُ السِّتر[1]

وانقلبت الأماكن التى كانت مجامع الأنس ، ومدارس العلم ، ومحافل الصدور — فى نيسابور — فأصبحت مراعى للأغنام ، ومكامن للوحوش والهوام ، ومن المرجح أن الأمير معزى[2] شاهد هذه الحالة لأنه يقول :

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— إن البستان الذى كان يلتقى فيه العشاق
قد صار مسكناً للصقر والنسر ، وموطناً للذئب والثعلب . . . !! [ص ١٨٣]
— واستقرت حمر الوحش . . . فى مكان أوانى الشراب وأقداحه
وحل نواح الغراب والحدأة . . . محل أنغام الناى والعود العذبة . . . !!
— وقد قلب الفلك الدوار كل شىء
فكيف يستطيع الديار أن يدور حول ديار الحبيب . . . !!

وقد سلك الغز هذا المسلك نفسه فى جميع بلاد خراسان ، اللهم إلا مدينة هراة التى كان لها سور محكم فلم يستطيعوا فتحها[3] .

---

(١) فق : ورقة ١١ — ١ .
(٢) ارجع إلى التعريف بالمعزى فيما ذكر قبل ذلك .
(٣) ابن الأثير : ج ١١ ، ص ١١٧ .

ومكث السلطان سنجر بينهم عامين ، ثم حدث أنه توجه إلى باب مدينة بلخ وكان جماعة من خواص عبيده قد جاءوا لزيارته منهم مؤيد آى آبه وغيره ، وتمكنوا من مقابلة سنجر بحضور أمراء من الغز مثل قرقود[١] ، وطوطى[٢] بك.

واستطاع مؤيد آى آبه أن يخدع فوجاً من أمراء الغز ، ووعدهم بمكافأة كبيرة من السلطان، ثم انتهز فرصة اليوم الذى كانت فيه لهذا الفوج نوبة الحراسة على السلطان ، فركب هو والسلطان وأتباعه وخرجوا بحجة الذهاب إلى الصيد ، وساروا قدما حتى وصلوا إلى شاطىء نهر جيحون فى مقابل مدينة ترمذ ، وكانوا قد أعدوا قبل ذلك سفينة ليهرب فيها السلطان ، فلما مضى وقت رجوع السلطان ، سارع أمراء الغز بالركوب والسير فى إثره ، حتى بلغوا شاطئ النهر ، ولكنهم وجدوا السلطان وحاشيته قد عبروا النهر وأن سنجر قد توجّه إلى قلعة ترمذ[٣] ، فلما بلغ الخبر الأطراف ، أسرع الأمراء وجيش خراسان ذرافات ووحدانا لملاقاته . حتى التف حوله جيش قوى كبير ، فتوجه على رأسه إلى مرو عاصمة ملكه ، ونزل فى قصر « أندرابه »[٤] ، وأخذ بلم الشعث ، ويجمع الشتات .

هيهات .... وقد « اتسع الخرق على الراقع »

ومضت بضعة أشهر انتابه فيها الحزن والغم لأنه رأى الخزائن خالية ، والمملكة خرابا ، والرعية مشردة .

---

(١) ذكر فى النسخة الأصلية باسم « قرقرد » وفى « زن » باسم « قرغود » (ص٢٨١) وفي ابن الأثير قرغوت بن عبد الحميد (ج ١١ ص ٥٤)

(٢) كتب في أسفل هذه كلمة « دودى » وذكر ابن الأثير (ج ١١ ص ٥٤) أن اسمه طوطي بن داديك .

(٣) ابن الأثير في حوادث ٥٥١ (ج ١١ ، ص ١٣٨ — ١٣٩)

(٤) قرية بينها وبين مرو فرسخان ، كان لسلطان سنجر بها آثار وقصور (ياقوت)

آية : « وبدّلناهم بجنّتيهم جنّتين[1] » . [ص ١٨٤]

فاجتمع عليه الفكر والهم ، وسوء الحالة النفسية والضعف الشخصى بسبب كبر السن ، وحلّ به المرض الذى كان آخر الأمراض ، ومنغص الأغراض ، فانتقل من الدنيا فى سنة إحدى وخمسين وخمسمائة[2] ، ودفنوه فى المقبرة التى كان قد أسسها من قبل فى مرو[3] .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— يخاف من الموت الحجر والحديد ، ونحن أمام الموت كالورقة أمام الريح[4]

— فلو عشت مائة عام أو خمسة وعشرين ،

فأنت وديعة فى الدنيا ولابد أن تذهب منها ...!!

— فكل شيء يحده عدد ، يجب أن تعده فانياً زائلا[5]

— وسوف يذوق الموت كل إنسان

فينبغى أن يحسن عمله ، ليستريح جسمه ، ويخلد إسمه

— فكل ما تستنشقه من الرياح تخرجه بالتنفس

والبعض يعد هذا عدلا ، ويعده البعض ظلماً[6]

— وقد عاش قباد سبعين عاما، ولكنه لم يسر بالموت حينما جاءه وهو شيخ[7]

— مات فطويت صفحته من الدنيا ، وتلاشت جميع آماله وأحلامه وملذاته[8]

— فتذكر فى الحياة يوم الممات ، وأننا أمام الموت كالورق فى مهب الرياح[9]

---

(١) سورة سبأ آية ٣٤.

(٢) توفى سنجر يوم الاثنين ١٤ ربيع الأول سنة ٥٥٢ (زن . ص ٢٥٥) وهذا ما ورد أيضاً فى ابن الأثير .

(٣) دفن فى قبة بناها لنفسه سماها « دار الآخرة (ابن الأثير : ج ١١ ص ١٤٧) .

(٤) الشاهنامه ، ص ١٥٨٧ ، س ٤.

(٥) المرجع السابق ، ص ١٥٨٩ ، س ٢ — ٣ .

(٦) المرجع السابق ، ص ١٥٩٧ ، س ٩ — ١٠ .

(٧) المراجع : قباد من ملوك إيران الأقدمين

(٨) الشاهنامه ص ١٦١٧ س ١٠ ، ١٢ .

(٩) المرجع السابق ، ص ١٦١٩ ، س ٨ .

حكمة : « إن الدنيا تُقبل إقبالَ الطالب ، وتُدبر إدبار الهارب ، وتصل وصال العَجُول ، وتفارق فراق الملول ، فخيرها يسير ، وعيشها قصير ، وإقبالُها خديعة ، وإدبارُها فجيعة ، ولذاتها فانية ، وتبعاتها باقية ، فاغْتَنِمْ غفوةَ الزمان ، وانتهزْ فرصة الإمكان ، فخذْ من نفسك لنفسك ، وتزود[1] من يومك لغدك ، قبل نفاد المدة ، وزوال القدرة ، فلكل امرئ من دنياه ، ما ينفقه على عمارةِ عُقباه ، [ص ١٨٥] فمن نكد الدنيا ألا تبقى على حالة ، ولا تخلو[2] من استحالة[3] » .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— الدنيا مليئة بالعيوب ، ولكن أحدا لا يرى عيوبها
وميزتها الوحيدة ... هى أنها تنقضى كما تقضيها ... ! !

وكانت ولادة سنجر[4] فى مدينة سنجار سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، وكانت مدة عمره اثنين وسبعين عاماً و بضعة أشهر ، ومدة ملكه واحداً وستين عاماً ، منها عشرون عاماً على ملك خراسان وحدها ، ثم واحد وأربعون عاماً على ملك العالم ، وقد رؤى له توقيعان ، توقيع وقع به سنة إحدى وتسعين وأربعمائة بإدرار على الإمام الشيبانى ، وتوقيع آخر أرسله — فى سنة إحدى وخمسين وخمسمائة — إلى بغداد يسند بواسطته ولاية العهد إلى السلطان محمد بن محمود الذى كان فى تلك السنة يحاصر بغداد ، وكان بين هذين التوقيعين ستون عاماً .

---

(١) كذ فى فق .

(٢) ورد فى النسخة الأصلية « يبقى ويخلو » .

(٣) فق ورقة ٧ — ا .

(٤) القول هنا سهو فسنجار مدينة معروفة فى بلاد الجزيرة لا فى الشام ، ومن الموصل إلى هناك مسافة ثلاثة أيام (ارجع إلى معجم البلدان لياقوت) ومولده (يعنى سنجر) سنجار من ديار الجزيرة فى رجب سنة ٤٧٩ (ابن الأثير ، ج ١١ ص ١٤٦) وقد قلدت كتب التاريخ مثل جامع التواريخ ، والعراضة ، وروضة الصفا هذا الكتاب فى هذا المقام ، وكانت تعد مدينة سنجار من بلاد الشام .

« أسأل الله أن يجعل سلطان العالم ، وملك بنى آدم « السلطان القاهر عظيم الدهر غياث الدنيا أبا الفتح كيخسرو بن السلطان قلج ارسلان ... خلد الله ملكه» وارث عمره وملكه ، وأن تصل أوامره إلى سائر الأطراف من نواحى مملكته، وأن يطالع بنظره المبارك هذه التقلبات ، والوقائع والحوادث فيعرف [ص ١٨٦] كيف أن الأسلاف فتحوا العالم ، وتركوا له تعميره ، ولا يخفى على خاطره المشرق الشريف — الذى تعد شعلة الشمس قبساً من رأيه المنير — أن واقعة الغز جديرة باعتبار جميع أهل العالم ، لأن هؤلاء الهمج لو أرسوا قواعد العدل بعد مثل هذا الفتح الذى أصابوه، و بعد ما ظفروا به من الأموال لما تجاسر أحد على الوقوف فى وجههم ، لأنهم كانوا يملكون وسائل الفتح والغزو ، ولكن انعدم لديهم العدل ، وظهر منهم الفجور . وقد قال أزدشير بن بابك : لا ملك إلا بالرجال ولا رجال إلا بالمال ، ولا مال إلا بالعمارة ، ولا عمارة إلا بالعدل والسياسة .[1]

و يدرك العقل من هذه الكلمات أن المال أساس الفتح،وأن إكسير المال العدل والسياسة ، ونتائج هاتين الصفتين ومنافع هاتين الخصلتين تشمل الخاص والعام،وتفيد البعيد والقريب،لأن ازدياد الدخل، واطراد التقدم، و إحياء الموات ، وتهيؤ أسباب معيشة الخواص ، وتمهيد الكسب لأرباب الحرف من العوام ، وتعمير أنحاء العالم من الأشياء التى تتأثر بالعدل ؛ أما حفظ المسالك وضبط الممالك ، وزجر المعتدين ، وقهر المفسدين ، وأمن الأطراف فأمر منوط بالسياسة ، وأى كسب للإنسان أعظم من أن يرى أولياءه منصورين ، وأعداءه مقهورين ، وأصدقاءه مرفهين ، وخصومه منهوكين . و ينبغى على كل ملك أن يراعى هاتين الناحيتين حتى يظفر بالتوفيق ، و يجب عليه ألا يضمر أذى لصديق أو عدو

---

(١) المراجع : أزدشير هو مؤسس الدولة الساسانية فى إيران .

حتى يدين له الخواص والعوام والضعفاء والأقوياء ، ولا يجد العصاة مجالا للتمرد ، فتزدان بذلك حالة الملك ، ويدوم رونقه وبهاؤه . ونحمد الله أن هذه هى سيرة الملك ، وقد كان أسلاف سلاطين السلاجقة جميعاً على هذا المنوال [ص ١٨٧]

[بيت عربى فى الأصل]

إنَّ الخيارَ مِنَ القبايلِ واحدٌ ... وبَنُو حنيفَةَ كُلُّهم أخيارُ

فيارب ...يا خالق الـكون... ابق هذه الدولة إلى يوم القيامة ، واجعل راية سلطنة غياث الدين كطلوع الصبح الصادق تفيض بأشعتها على كل ناحية ، واجعل وهج سيفه الحاد «صائد الأرواح» كوهج الشمس يغزو العالم أجمع ؛ ويارب خلد هذه الدولة حتى تقوم الساعة .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— أيها الملك ... إنى أسأل الله أن يجعل عرشك فوق قبة الفلك
وأن يصير أفريدون خادما لعظمتك ...!! (١)
— وأن يجعل ليل ملـكك رائعاً كنهار الربيع ، وأن يطيل أيام سلطنتك البهيجة
— وأن يصير كل قلب حاقد عليك ، مملوءاً بالدم القانى مثل قدح الخمر الحمراء
— وأن يجعل راية ملـكك مثل همتك ، تتجاوز طبات الأفلاك السبعة
— وأن يحكم ضربات سيفك ، بحيث تزن كل نغمة نابية يصدرها عدوك
— وأن يصبغ صفحة سيفك البيضاء باللون الأحمر من دم عدوك
— وأن يجعل فتح أنطاليه (٢) وملك العجم ، ميمونين عليك كيمن طالعك ...!!
بمحمد وآله وأصحابه وأزواجه والتابعين أجمعين .

وكان السيد الإمام الأشرف ذو الشهادتين الحسن بن محمد الحسينى رحمه الله

---

(١) المراجع : أفريدون ملك اشتهر فى الاساطير الفارسية بالعدل .

(٢) أشار فيما سبق إلى فتح أنطاليه على يد غياث الدين كيخسرو في عام ٦٠٣ هـ .

يقول هذا الدعاء للملوك السالفين ، لأنه لم يدرك عهد السلطان كيخسرو — خلد الله رايات دولته وآيات سلطنته — وإن مثل هذا المدح والدعاء مما قاله الحسينى فى السلطان سنجر لجـــدير بأن ينتقل بالوراثة إلى السلطان كيخسرو .

[قصيدة فارسية(١) فى الأصل ، ترجمتها :]

— أسأل الله أن يجعل توقيع ملك العالم علامة على النصر
وأن يمنحه بكل نفس يتنفسه مائة عمر

— إن عطاءك قد صار صورة لأجزل عطاء
فليجعل الله رضاك غاية لأقصى الإنصاف

— وليجعلك كالعقل تطوف دائماً حول المعانى [ص ١٨٨]
وكالروح تصعد دائماً نحو المعالى

— ومن أسف أن يكون توقيعك على الورق
وإنى أدعو الله أن يجعل توقيعك المظفر فوق صفحة القمر

— إن رايتك العالية تعبر بذوائبها عن النصر
أسأل الله أن يجعلها زينة للخدود الموردة لعرائس الظفر

— إنك سلطان سلاطين المشرق والمغرب جميعهما
وأرجو الله أن يجعل مفرق زحل بفضل همتك موطئاً لأقدامك(٢)

— إنك السلطان سنجر العادل الذى يمنح الملوك التيجان ،
فليجعل الله عرشك يزداد جمالا ... لحظة بعد لحظة

— أيها الملك . . . أسأل الله ، أن تصل نفحة من عبير
فتوحاتك الزاهرة إلى أرواح السلاطين الراحلين فى جنة الخلد

— وأن يدين لك جميع الملوك الذين منحتهم التيجان
بالطاعة والولاء دائماً ، وأن يكونوا خداما لك ... !!

— وأن تخجل السحب المحملة بالغيث من بحر جود كفك المحمل بالدر

---

(١) ديوان سيد أشرف نسخة المتحف البريطانى ورقة ١٢٠ ب .

(٢) المراجع : يقصد بذلك أن يجعل السماوات السبع خاضعة له ، لأن زحل فى السماء السابعة

— وأسأل الله أن يعبر جنود جيشك المنصور
— رعاهم الله — طريق النصر الرئيسى دائماً ...!!.
— حتى يحترق عدوك بنار حقده . وتمتلىء عينه بماء كيده
— وحينذاك تمتلىءُ عينه بالدموع ، ويحترق قلبه بلهيب الغيظ ،
فينصهر كيانه كالشمع ويذوب كالسكر ...!!
— لقد تفكك درع عدوك بضربات سهامك
وإنى أسأل الله فى هذه المرة أن تحطمه برمحك
— وأدعو الله أن يجعل القلم الذى يتمكن من نظم الجواهر [ص ١٨٩]
قادراً أيضاً على نثر هذه الجواهر تحت قدمك .
— يامن يستريح الغرباء بنظرة منك ، أرجو أن تسمح بلفتة إلى غريب مثلى
— وأسأل الله أن يجعل الفلك الدوار يجرى وفق مرادك
وأن يتوقف عن السير إذا خالفك ولم يُطِعك
— وأن يجعل نسيم كرمك يعم العالم أجمع دائماً فيجعله جميلا كوقت السحر ،
وأن يظل هكذا إلى يوم القيامة

وقد نظم القصيدة التالية فى بغداد ، وأرسلها إلى بلاط السلطان الأعظم ، وإنى أدعو الله أن يكون عرشه موطئاً لقدم السلطان كيخسرو بمحمد وآله :

[قصيدة(١) : فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— إن كل نسيم يحمله إلىَّ ريح خراسان
ينفخ الروح فى جسدى وكأنه نفس المسيح ... !!
— فهو مرهم الشفاء لقلبى المجروح ، وسبب العلاج لروحى المليئة بالألم ... !!
— وكأنما هو تأوه أويس القرنى من قلبه الولهان (٢)
قد أخرجته نفحة من نفحات القدس ... !!
— وكأنما هو رائحة قميص يوسف التى جعلت العين بصيرة
وأدخلت السكينة فى قلب كنعان المليء بالحزن والغم

---

(١) ديوان سيد أشرف ، ورقة ١٢٠ ب .
(٢) المراجع : أويس القرنى صوفى من أوائل رجال الصوفية .

— أو كأنما هو الروح القدسية التى أحضرت مددا
من روضة الرضوان إلى آدم العاصى المطرود من الجنة
— فصرت أشدو كبلبل ثمل
حدثته ريح الصبا عن كأس الروض الخزية ... !!
— وأنثر روحى قربانا مثل فراشة [ص ١٩٠]
أمضت الليل جميعه أمام شمعة متقدة ... !!
— وصرت فرحا كعاشق أحضر له لائمه
وعداً بوصال الحبيب لما رأى فرط نواحه ... !!
— وأى عجب فى أن يكون كل ما أقوله مستمداً من رائحة ذلك النسيم المعطر
الذى استمد عطره من تراب موكب السلطان ... !!
— إنه سنجر ... الملك الأعظم ... وسلطان السلاطين
الذى يقضى له الفلك بكل مايقوله ... !!
— إن كل نور تشعه الأنجم ليس إلا ظلالا لرأيه المشرق
وكل جوهر تخرجه المناجم ليس إلا فيضاً لجوده ... !!
— وإن كأسه لتمطر ذهباً حينما يجلس الأنس والشراب،
بينما يطايح سيفه بالرؤوس حينما يتوجه إلى ميدان القتال ... !!
— وهو يهب خواصه هدايا كثيرة مما يأخذه من قيصر الروم،
ويمنح عبيده تحفاً عديدة مما يقدمه خاقان الصين من هدايا وقرابين ... !!
— فهنيئاً ... هنيئاً ... أيها الملك المنتصر
الذى استسلم الفلك لقوتك فقدم لك الهدايا والقرابين ... !!
— وارتعد العدو فرقاً من ضربات سيفك الأزرق
فقدم لك الجزية دراً ومرجاناً ... !!
— وعندما أخرجت يدك البيضاء من جيبك
طوى الفلك آيات الصبح فى جيبه ... !!
— وبفضل تعاويذك لم يعد عجبا أن يقتلع الفيل الهائج أنياب الأسد الكاسر ... !!
— وأن يدق الفلك فى أثناء دوراته أعناق أعدائك دقا قويا عنيفا ... !! [ص ١٩١]
— وأن تكتب الشمس اسم الملك سنجر بحروف من نور ، فينتشر بهاؤه

كما يولد الذهب من صلب العدم فى رحم المنجم ... ! !

— أيها الملك ... إن أمنيتى الوحيدة أن يوفقنى الله للعيش فى كنفك ...! !

— وقسما بجلالك ، أن العالم جميعه بعيداً عن كنفك لا جمال فيه ولا رونق وهو ضيق علىّ وكأنه سجن ... !!

— وأسأل الله أن يجعل كل سحــاب يتحرك من نيسابور
يتوجه إلى بغداد حتى تصيب منه أمطاراً وفيرة ... !!

— وكل ما أطمع فيه أيها الملك العظيم أن ينثر لسانى الكلام كالسكر فى مدحك ...!!

— وقد يرد على خاطرى أن كاتبك الخاص سوف يذكر اسمى الخامل أمامك ...!!

— فإذا رفعتنى من وهدة العراق إلى أعلى خراسان كما يرتفع السحاب
فإنى أمطر الدرر فى مدحك ... !!

— فأنا ينطبق علىّ قوله تعالى « لا أرى الهدهد[1]» ورغم أننى مُسِنّ متعب ، إلا أننى أجلب ، متى حضرت إليك ، بشرى العرش والملك كما أحضر الهدهد هذه البشرى لسليمان ... ! !

— وأنت كدولاب الفلك تجلب إلى الأرض المظلمة
أشعةً مشرقة من أشعة الشمس والقمر

— فدُم بغير حاجة إلى الشمس والقمر والأرض والنور ...
فإن الخضر يجلب لك الضياء من عين الحياة ... !!

— وإنى أسأل الله أن يمـــوت حاسدك بغيظه إذا أساء الأدب يوماً فى حقك ...!! [ص١٩٢]

وقد أرسل القصيدة التالية من مكة إلى حضرة السلطان الأعظم .

[قصيدة فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— هل يحدث مطلقاً أن أحظى بلقاء الملك
ثم لا أكحل عينى من تراب قدمه شكراً وحمداً ... !!

— وهل يمكن أن أستحسن — أنا الهائم الغريب — بعد وجه الملك .. إلا رأيه...!!

— ولن أشدو كالبلبل بالمديح ... إلا فى بستان قصر الملك ... !!

(١) القرآن : سورة النمل ، آية ٢٠ .

— ولن تتفتح ورود قلبي ... إلا بندى سخاء الملك ... في مرابع حفله ... !!

— ولن أحظى بالسعادة إلا إذا ألقى على الحظ السعيد ظلا من عظمة الملك ... !!

— فأنا أحياناً أجد كالظل على أرض الملك ، وأحياناً أرقص كالذرة في فضائه ...!!

— إنه فخر الملوك وصدر السلاطين

وقد جعل الفلك قلنسوته ورداءه دثاراً له ... !!

— وإن الكواكب السيارة لتتهاوى كالشهب

إذا خرجت يوماً عن جادة الوفاء له ... !!

— وتستحيل الأرض ذهباً أصفر كالشمس ، إذا سقطت عليها ذرة من كيميائه ..!!

— يا مليكي.. .أتعرف لماذا ذهبت إلى الكعبة ؟ ؟ ! . .

لأنهم قالوا إنها مكان معظم كدارك ... !!

— وقلت لبيك وذكرت اسمك المبارك فاستجاب الله لي

وردّدت الملائكة صيتك في أجواز الفضاء ... !!

— ولم يكن الوقوف بعرفات إلا طريقاً للوصول إلى مقامك الرفيع

ولم تكن زمزم إلا بحر جودك الزاخر ... !!

— ولم أجد في المروة إلا مروءة الملك ، ولم أشاهد في الصفا إلا صفاءه ... !!

— وقد يسرت لي زيارة الحجر الأسود كل الأمور

فهو جدير بأن يكون في لونه كلون راية الملك ... !!

— وعزمت أن أجعل نفسي قرباناً للملك

فقال لي العقل : أيها الضعيف إن مثلك لا يليق أن يكون قرباناً للملك ... !!

— إن العصاة جميعاً قد جعلوا اليوم — رقابهم فداء لبقاء الملك ... !!

— لقد دعوت للملك في الكعبة وفي روضة المصطفى . وأظهرت له الولاء ...!!

— وعزمت الآن على السفر إلى القدس

ولم أعمل كل هذا إلا بهمة الملك العالية ... !!

— ودعوت الله أن يهب المَـلِكَ مزيداً من العُمر والمـلك ... !!

— كما دعوت للملك في كل روضة نزلت بها من رياض الأنبياء ... !!

— ولو رُفِعتُ إلى السماء كعيسى ،

فإن روحى سوف تصعد وتلتمس رضاء الملك ... !! [ص ١٩٣

— فالحمد لله فقد حزت الدنيا جميعها
وقد تسأل بماذا ؟!.. فأقول لك بمدحى للملك ... !!
— وقد أحطتُ بقلاع الفلك وحاصرتها ،
وبفضل دعائى للملك سأفتحها جميعاً ، وأدخلها فى حَوْزتى ... !!
— وإذا تحرك الملك افتتح السماء،
فإن شمسها المتوجة لاتليق أن تكون عبداً له ... !!
— وإنى أدعو الله أن يجعل مظلة الملك البيضاء التى تطاول الشمس
مرصعة دائماً بجواهر نجوم السعد ... !!

* * *

وقد ذكرت فى فهرس راحة الصدور أن مادحى سلاطين آل سلجوق كثيرون؛ وأنا أروى فقط شعر المتأخرين منهم، ولا أذكر من مجموع أشعارهم إلا قدر مائة بيت أو مائتين حتى لا يسأم خاطر الملك ، ولا يمل ، بل يجد فيه اللذة والمتعة ، ويتخذه وسيلة للتسلية وقد ذكرت ما قيل فى مدح كل سلطان منهم عند الحديث على عهده

وقد قرأ « سيد أشرف » شعراً فى حضرة سنجر وسليمان[1] وقال القصيدة التالية فى رثاء مسعود .

[قصيدة[2] فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— يا رب ... إننى أنا الذى سحبنى الفلك إلى رفعة النجوم
ورفعتنى الشمس المشرقة من بَرى المظلمة ... !!
— إننى أنا يارب...الذى رفعه الدولاب الدائر من وهدة التراب إلى أعلى الآفاق ...!!
— إننى أنا الذى وضعنى الفلك مهملا على بابه فى كثير من الإذلال
ثم إذا به يضمنى الآن إلى صدره فى كثير من الإعزاز والتدليل ... !!

---

(١) هو سليمان بن محمد بن ملكشاه .
(٢) ديوان سيد أشرف ص ١١١٩ — ب .

— وكنت أغوص فى الأرض فى كل لحظة مثل قارون
ولكنى الآن مثل المسيح ترفعنى كل لحظة إلى أعلى ... !!

— فهذه حضرة السلطان العظيمة ... وهذه عينى تتجه إليها
وتتخذ من ترابها المبارك التوتياء التى تكتحل بها ... !!

— فيارب هبنى التوفيق فى الخدمة حتى يسوقنى الحظ فى خضوع إلى السلطان سنجر ... سلطان السلاطين ...!!

— فهو الذى من سجيته ... أن يجعل البحر أساس عطاياه ومننه ،
وهو الذى من جوده ... أن يجعل السحاب يمطر جوهراً ... !! [ص١٩٤]

— وقد نظم الفلك درر تاجه من عقود الأنجم ،
وأظل لواؤه أرجاء ملكه الواسع ... !!

— وأصوات طبوله تجعل النصر عبداً مطيعاً ،
وغبار خيله ... كحلٌ لأعين النجوم ...!!

— فالأيام المنيرة ، وكواكب الليل الزاهرة ،
تمضى فى ملك السلطان بغير عد أو حصر ... !!

— لقد شرب ماء الحياة مثل الخضر وهو يجلس على عرش كعرش سليمان ،
فماذا يبغى بعد ذلك ليقود جيشاً مثل الإسكندر ... !!

— يا من يسمو موكب همتك فوق الفلك الأعظم .. !!
ويا من ترتفع طلعتك البهية فوق وجه السعد الأكبر ... !! (١)

— يا من يتزود أمير التركستان بالذخيرة من فتات مائدتك
ويا من يتنفس ملك الهند مستهدياً برأيك ... !!

— ويا من يأتى خاقان الصين للخدمة على أعتابك ،
ويحمل قيصر الروم الغاشية أمام جوادك ... !!

— إن جلاجل الفلك قد أنارت القمر لك
وجعلت هارون ينظم معسكرك برأيه النيِّر ... !!

---

(١) المراجع : السعد الأكبر عند علماء الفلك هو المشترى

— ولقد تعتقد حقاً أن عطارد قد كتب لك خطاب الفتح والظفر
لأنه قد انعكست فى صفحاته صورة سيفك ... !!
— ولقد وجدت الزهرة — وهى تعزف على بربطها — الحنان والصداقة لديك ..
فأخذت تتجرع فى أقداحها ماء الحياة ... !!
— ومتى منحتَ الشمس للجبال، فإنها بفعل الكيمياء [ص ١٠٥]
تحيل ذراتها ذهباً خالصاً يملأ المناجم ... !!
— وأنت تهب المريخ دماً جديداً يمنحه القوة
فيسحب السيف فى وجه أعدائك ... سواء أمرته بذلك أم لم تأمره ... !!
— والقلم فى يدك ... وأنت تصدر به أحكاماً وفتاوى تجلب السعادة
أما المشترى فإنه يسحب الطيلسان على رأسه خجلا منك ... !!
— ولبس «كيوان» الخرقة فصار أزرق اللون
وأصبح يلطخ وجه الحاسد الأصفر بالزرقة فى صور مختلفة ... !!
— والأعجب من ذلك أنه حينما تسمع السماء الخطبة باسمك
فإنها بطبقاتها السبع تسجد أمام المنبر ... !!
— فلك صدق أبى بكر، وعدل عمر، وحياء عثمان، وعلم على ... !!
— اسأل الله يا مليكى — أن تجذبنى (أنا حسن [1]) دولتك المباركة
إلى بلاطك الذى يربى ويدلل العبيد أمثالى ... !!
— فبلبل الفضل حريص فى كل عصر، على أن يرتبط برباط العبودية لك ... !!
— وهو يتمنى لو ملك المناجم لينثرها تحت قدميك
وأن يقدم الأرواح قرباناً لك ... لو أنه وجد الأرواح ... !!
— وهو عذب اللسان فى الثناء، مشرق القلب فى الدعاء
فلاجرم إذا فاض عليه الفلك بالماء والضياء ... !!
— فإذا صار لسانه سكراً ... وقلبه شمعاً
فقد تحمل العناء الذى يحمله الشمع والسكر من الماء والنار ... !!

---

(١) المراجع : يعرف هذا الشاعر باسم حسن الغزنوى .

— ومادام الفلك يظهر لك كل ليلة كرة براقة كالمرآة ،
ويضع فى تلك الكرة آلافا من قطع الذهب والأحجار الكريمة ... !!
— فلتكن هذه الجواهر زينة لتاجك ، وسريرك وحلية لمظلتك
وليكن كل مافى الحياة فى خدمتك ... !! [ص١٩٦]

* * *

وقد نظم الأنورى القصيدة[1] التالية فى مدح السلطان سنجر .

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— لو جاز أن يكون القلب واليد بحراً ومنجما
لكانت يد السلطان وقلبه ... هما البحر والمنجم ... !!
— فهو ملك العالم الذى يجرى حكمه على الدنيا كما يجرى القضاء ... !!
— وهو الذى يولد موسوماً بطاعته .. كل كائن من أبناء الإنس والجان ... !!
— وهو الذى يمهر بخاتم خازنه .. كل مايخرج من البحر والمناجم من لآلىء وجواهر ...!!
— ولو غضب فى الأرض تحريا للعدل ، لا بتعد الأمن عن السماء ... !!
— ولو ألقى قهره ظلا على الأرض ، لدَبّت الحياة فى العالم أجمع ... !!
— وقد نشط الموت بسبب حزمه وشدة عقوبته
فترى الموت محموماً (تسرى الحمى فى عظامه) ... !!
— وحيثما ضربت السكة فباسمه...ولذلك صار البخل معدوم الاسم والعلامة ... !!
— وأينما قُرئت خطبة باسم الملك ، تظل الألسنة جميعها صامتة عن غيره ...!!
— يامن قدرتك كقدرة القضاء ... تقهر الجبال وتجعلها دكا بغير حول أو طول ...!!
— ورايتك آية مظفرة ... فى كل حرف من حروفها فتح وظفر وعمران ... !!
— أنا لا أقول إنه يوجد شخص غير الله ، يستطيع أن يغير الأحوال ويعلم الغيب...!!
— ولكنى أقول إنه برأيك المنير ورايتك المظفرة ،
يظهر الليل والنهار كآيتين فى هذه الدنيا .. !!

---

(١) ارجع إلى كليات الأنورى ، طبع تبريز ، ص ٧٠ — ٧٢ .

— فرأيك يجعل الأسرار — التى كانت خفية فى عالم التقدير — واضحةً جلية...!!

— ورايتك تجعل الفتن خافية .. وقد كانت منتشرة إلى غير حد ... !!

— ولو تجسد لطفك فى الوجود ، لكان أكثر صفاء من الروح ... !!

— ولو انتشر بأسك فى العالم .. لخاف الذئب ، وسلك مسلك الراعى ... !!

— ولن يجرى تقدير القوت اليومى ... إلا إذا كانت قدرتك ضامنة له ... !!

— ولن يستقيم أمر العالم ... إلا إذا أقمت أنت فى وسطه ... !!

— وأنت فى العالم ... ولكنك أعظم من العالم ، [ص١٩٧]
فتلك كمثل المعنى فى البيان ... !!

— وشكراً لك ... فإن كل شىء فى الوجود ، يتشكل فى الصورة التى تريدها ... !!

— فى يوم الهيجاء ، يكتسى الغبار بلون الدخان ، بسبب بريق سنانك ... !!

— وتنتشر الرايات الضخمة ، معتدلة فى وسط رياح المعركة ... !!

— وتصبح شمس الفلك غير واضحة ، أمام حامل علمك ... !!

— ويصبح كل كمين — يفتح قضاء أو عنوة — فى متناول قوسك ... !!

— وتكون الدموع على الدروع الصقيلة ، مشابهة لطريق المجرة ... !!

— ويصبح عنان الأمل خفيفاً ، كما يصبح ركاب الأجل ثقيلا ... !!

— وتصبح كل جرة يكسرها الأجل ، ملقاة على حواف الأسنة ... !!

— وحينما يتحرك ركابك المنصور ، تزلزل الأرض ويحين موعد الساعة ... !!

— ويتأكد كل حى أن حملتك ، سوف تجعل إمكان بتائه أمراً مشكوكاً فيه ...!!

— وتصبح الروح الآمنة ولا أمان لها فى هذه الأحوال . ... !!

— ولا يوجد شخص قط إلا ويتحدث عن النصر الذى سوف يكون حليفك ..!!

— فنى كل حرب مهما كان وقتها ، يكون الحظ حليفاً لسيفك ويدك ... !!

— وانتصاراتك العديدة ، تجعل الفلك مخيفا للطير والوحش من كثرة القتلى ... !!

— أيها الملك ... إن لى بضع سنوات ، وأنا أتطلع إلى أمل واحد ... !!

— هو أن أكون نديما لحضرتك ؛
فإذا لم يتيسر هذا ... فسآمل أن أكون مقيما فى رحابك ... !!

— فاشتر هذا العبد قبل أن تعرفه ، فإن الرخيص قد يصير فى وقت ماغاليا ... !!

— فإذا خسرت فى هذا البيع فسوف ، يكون لك الحمد والرضا وتقبيل اليدين ... !!
— ولن يكون هناك ضير فى أن يتقلب ، شاعر بسيط مثلى فى نعيم مملكتك ... !!
— فسوف تكون كل شعرة من شعره ، لساناً يردد المديح والغزل ... !!
— حتى يشيخ فى دولتك الفتية ، كما شاخ حظ أعدائك ... !!
— جاعلا هواء الخريف فى شهرى بهمن ودى[1]
منعشا ، تتزين فيه الحدائق والبساتين بأنضر الورود ... !!
— فليكن لحديقة عمرك ... ربيع نضير دائم ... !! (ص ١٩٨]
وليس ربيعاً — كربيع الطبيعة — يعقبه خريف ... !!
— وليجعل الألسنة ندية بذكرك ، حتى تستطيع الألسنة أن تنطق بالكلام ... !!
— فعصرك لازم للزمان والمكان ، مادام الزمان لازماً المكان ... !!
— والمسكوكات تتحدث بذكرك ،
وهى فى الوقت نفسه تخلد ذكر الذهب فى الأرض ... !!
— فليكن ملكك خالداً فى هذه الدنيا ، وهو لا شك خالد فيها ... !!

وقد قرأ الأنورى هذه القصيدة فى حضرة السلطان سنجر ، ثم أنشد بعد ذلك الدعاء الآتى للملك سليمان[2] :

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— أيها الملك... لتكن الدولة خاضعة لأمرك ، وليكن ملك سميك سليمان ملكا لك...!!
— ولتصر ساحة السماء أرضاً لك ، وليكن سيد النجوم عبداً لك ... !!
— فالحشمة تكسب صفتها من حشمتك
فلتكن كل حشمة فى العالم من احتشامك ... !!
— وليكن كل ما هو قائم بذاته — إلا الله —
مستمداً قوته وقوامه من قوتك ... !!

---

(١) المراجع : « بهمن » و «دى» شهران فى السنة الإيرانية يتمثل فيهما فصل الخريف قويا ملحوظ الآثار ، ويسقط فيهما ورق الأشجار .
(٢) كليات الأنورى ، ص ٧٢ .
[المراجع : المقصود به سليمان بن محمد بن ملكشاه]

— وليكن البدر والهلال فى يوم شرابك ، مائدة للنقل وكأساً للشراب ... !!
— وليدم النهار الأشهب ، والليل الأدهم خاضعين لحكمك ... !!
— ولتكن العقدة التى لا يحلها القضاء ، مُسَخَّرةً ليد اهتمامك ... !!
— وليكن الدرع الذى لا يبليه القَدَر ، خرقةً لينة لسهم انتقامك ... !!
— وليكن كل سر فى لوحة الأجل ، مسطراً فى دفتر كلامك ... !!
— يا من أنت — كالعنقاء — بعيدٌ عن شباك الدهر
ليكن أسد الفلك صيداً لشباكك ... !!
— ويا من أنت ككيوان بعيدٌ عن متناول الخصم ..
ليكن أوج كيوان تحت أقدامك ... !!
— وليكن سيف المريخ فى غمدك ، حتى لا يصيبه صدأ ... !!
— ولتبق عين الأيام تتطلع لإشارتك ، ولتكن أذن الأفلاك منصتة لرسالتك... !!
— وإذا لم يكن المقام فى الدنيا مستديما ؛ فلتكن فى ذروة قدرك مقيما على الدوام ...!!
— وإذا كان حطام الدنيا زائلا غير باق
فلتكن نعم فضلك هى بقايا أفضالك ... !!
— وما دام آخر النهار هو الليل ، فليكن نهار عدوك حالكا مثل ليلك ... !!
— إن كل أعمالك تتسم بالوقار والثبات ... فليبقَ الدهر منقاداً لبنانك ... !!

* * *

وهذه قصيدة قالها الأنورى فى مدح السلطان سنجر[1] : [ص١٩٩]

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— لقد استقرت المملكة للملك ، فأخذ الدهر رونقه واعتباره فى النهاية ... !!
— ونما جذر السعادة مرة ثانية ، وأثمر غصنها مرة أخرى ... !!
— لقد ظل المُلك مدة متزلزلا ، ثم استقر فى النهاية للملك ... !!

---

(١) كليات الأنورى ، ص ٤٤ — ٤٥ .

— وهو الملك الذى يمنح الملك ، بل هو تاج الملوك.[١]
وقد أصاب الدولة اليسر من عطاء يمينه ... !!
— وهو الذى يمنح الملك فى نزهة واحدة
وهو الذى يأخذ الملك بغزوة واحدة ... !!
— وعندما يخرج صبح سيفك من غمده ، تتحصن الشمس بالسماء ... !!
— وعندما تنعكس صورة حفلك على صفحة الفلك
تستمد الزهرة رونقها من تلك الصورة ... !!
— وقد تصور الفلك حروبَ هذا الملك فروعته ،
فقد استطاع سيفه الصقيل أن يستولى على ساحته ... !!
— وتذكر الزمان حفله ، فاقتبست نقوش الربيع فكرتها منه ... !!
— وألقى ظل حلمه على الأرض ، فاستقرت الأرض فى مكانها ... !!
— وحمل شعلة بأسه فوق الأثير ، فاقتبست شعلة الفلك منها شرراً ... !!
— فأنت ملك ، وأنت سلطان ، وأنت عاهل عظيم ،
وقد اتخذت هذه الأسماء الثلاثة فخارها منك ... !!
— لقد أخذ الفلك يعدّ جودك ، ولكنه لم يستطع أن يحصيه بأصابع العد والحصر... !!
— ووزن القدر حلمك ... ولكنه لم يستطع أن يزنه بمعيار الكل والجزء ... !!
— واتخذ العالم عدلك شعاراً له ، وصار ملك العالم يتخذ هذا الشعار نفسه ... !!
— لقد ثبتت اليوم قواعد الملك ، لأن ركابك سكن واستقر ... !!
— لقد رأيتَ بعض الأيام الحالكة بسبب فتنة الخطأ
— فاضطرب الملك بسببها اضطراباً شديداً ... !!
— ولكنه أحس بالخجل ، فعاد يعتذر ، وأخذ يحتضن حظك الحسن ... !!
— ولم تلق ظلك على أعمال العدو ، ولو أن عدوانه جاوز كل حد ... !!
— فقد تركته همتك العالية أياماً قليلة ، يعمل منفرداً دون تعرض

(١) نسبت أكثر أبيات هذه القصيدة إلى ظهير الدين محمد بن على السمرقندى الكاتب مؤلف كتاب سندباد نامه (انظر لباب الألباب لعوفي ج ١ ، ص ٩٢) ، وتذكرة هفت إقليم ، ورقة ٥٥٩ ب .

— وتركت له ناحية من نواحى العالم ، فاحتل طرفا من أطراف العرش ... !!

— ووضع الزمان الشوك فى أقدامه ، وأمسك الثعبان بيده زمناً ... !! [ص ٢٠٠]

— ثم تحرك موكبك فى يوم الهيجاء ، فى صورة بهيجة كرياض اللعل ... !!

— فاتخذ القتال الناشب من هجمات جيشك ، صورة من صور قهر الله ... !!

— وأصبح الماء الصافى فى حلق أسد الفلك ، كالنار المحرقة من شدة خوفه منك..!!

— وأصبحت الفتنة تتوق إلى النوم

كما يتوق الطفل الصغير إليه ، فتُستعمَل اللعبُ والخشخاشُ لتنويمه . . . !!

— يا من سقط كل خصم لك ذليلا ... لأن سيفك يتولى الإذلال ... !!

— لئن كان خصمك قد اغترّ بنشوة الملك ، حينما امتلأت رأسه بنشوة الخمر ...!!

— تخيل له الأمل أنه يستطيع الثبات ، وأنه كسب للملكه الاستقرار والخلود ...!!

— فإنه قد ترك الملك فى أثناء غفلته ، فاستولى عليه ملك يقظ مثلك . . !!

— فانهض واجعل رأيك صبوحاً للدولة

وأسرع فقد استولى الخمار على خصومك ... !!

— وكما يقول الناس فى الأمثال ، إذا انقضى الأمس اتخذ حكم اليوم الذى سبقه..!!

— فليكن حكمك فى الدنيا مخلداً

فلا تستطيع الدنيا أو الدهر أن يحصلا على مثله ... !!

* * *

قطعة فى المدح للأنورى (١)

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— أيها الملك ... إن الله منذ الأزل حتى الأبد ، جعلك موفقاً فى حكم الخلق ... !!

— وقد قطف الأبد سنابل عمره الخالد ، من مزرعة مُدّتك ... !!

— وفاخرت الأرض منذ آدم ، بعظمتك الملكية وبهاء حكمك ... !!

---

(١) كليات الأنورى ، طبع تبريز ص ٢٢١ .

— فإن سحاب عدلك يقطر العافية ، وينثر ظله على جميع الكائنات ... !!
— والفتنة خوفاً من حظك اليقظ ، قد نامت ، فلم يعد أحد يراها ... !!
— ولم تسمع أذن الفلك من بين أصداء طبولك
إلا صوتاً قوياً نافذاً يدوى فى الأرجاء... !!
— وإن الكون جميعه ... لايساوى التفاتة من نظر همتك ... !!
— وقد اختار رأيك من كل ماهو كائن ، الكرم والدين والعدل ... !![ص ٢٠١]
— وأخذتَ الملك بحد سيفك ، ومنحته بإشارة خفيفة بطرف سوطك ... !!

* * *

وقد طلبوا من الأنورى أن يقول شعرا على البديهة ، فلم يستطع أن يقول من فرط السكر ، وقد اعتذر[1] عن ذلك بقوله :

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— أيها الملك إن العقل لا يستطيع
أن ينظم جواهر الثناء عليك إلا مع ماس العقل ... !!
— وقد علا الغبار عقلى فى صحن دماغى ، فأزالته روحى بمكنسة هيبتك ... !!
— فبقى نطقى خلف حجاب العجز ، وسكت لسانى خجلا وحياء ...!!
— وغرست حيرتى الشوك فى بديهتى ، حتى لا يتفتح وردٌ فى حديقتها ... !!
— وأنت نفسك تعذرنى ... ، فأنَّى لمثلى أن يمدح مثلك ... !!

* * *

قطعة أخرى فى المدح[2]

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— إن بريق رأيك قبس من نور الله ، وقد حجب نوره ضوء الشمس ... !!
— وإن مافعلته معى من لطف اليوم ، ليشبه مافعلته الشمس مع ورد الربيع...!!

---

(١) كليات الأنورى ، طبع لكنو ، ص ٦٠٧ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٦٥٩ .

— لقد شفع كرمك لى ، فنلت شرف تقبيل يدك ...!!
— واستطاعت خدمتى اتراب بلاطك ، طول العمر ،
أن تقرّ حبي فى جميـع القلوب ... !!

* * *

وقد تلطف السلطان سنجر مع الأنورى فى حفل من الحفلات وأكرمه كثيراً ، فنظم القطعة التالية شاكراً له هذا الصنيع :

[قطعة فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— لقد استدعى ملك العالم الأنورى أمامه ، وسلم عليه ، وأجلسه إلى جواره... !!
— وأمر له بالشراب وطلب منه الشعر ، فجعل ينشد سحراً ودرا ... !!
— فلما شرب مرة أخرى أرسل شخصاً ، واستدعاه إلى عرشه ... !!
— فتَجَاوَزْ عن ذلك جميعه . . . ألا يكفيه فخراً أن يذكر الملك اسمه على لسانه الأعلى . . . !!
— فليست فى الزمان سعادة أكثر من ذلك ،
ولم يعد له طلب من الزمان بعد ذلك ...!!

* * *

ويقول أيضاً فى المدح والثناء[1]

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— إن الزمان فرعٌ من حياتك ... فلتكن حياتك خالدة ... ! ! [ص٢٠٢]
— وإن الدنيا سعيدة بصحبتك ... فليكن جميع عمرك سعادة وسروراً ... !!
— وليكن أمرك ونهيك على الزمان والأرض ، نافذين مثل القضاء السماوى... !!
— وليكن على باب حضرتك العالية وسقفها ، بناء ثانياً من جنة الخلد . . . !!
— وليكن النهار والليل خادمين لك . وليكن القضاء حارساً ، والقدر حاجباً ...!!
— وليكن الفلك مرافقا دائماً لمركبك وملازماً له ... !!
— فأنت الخضر فى العلم ، والإسكندر فى العدل ، فليكن ماء الحياة شربة لك ...!!

---

(١) كليات الأنورى ، ص ٦٣٢ .

— وأنت قادر ... فليَصبْ الضعفَ ضعفٌ حتى لا يصل إلى مزاجك ... !!
— وليبق جاهك وحظك فى شباب دائم ، حتى يصل الزمان إلى نهايته ... !!
— وأمرك نافذ على الزمان ، فَلْيَبْقَ له هذا النفاذ دائماً ... !!
— وليكن لك الملك والإقبال والسعادة والشرف فى الدنيا والآخرة ... !!

وقال الأنورى هذه الرباعيات فى المدح

[رباعيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

(١)

— يا مَنْ جوهرك هو خلاصة ما فى الدنيا ... ليكن أثرك فى الناس أمراً من اثنين:
— فليكن مريدك نافذ الحكم كالماء الجارى ، وليكن عدوك محترق القلب كزهرة الشقائق الحمراء ... !!

(٢)

— أيها الملك ... أقسم بالله الذى اختارك ... إن العالم لم ير ملكا مثلك قط ...!!
— فمن أجلك تعبت الدنيا أياماً عديدة ... وأنفقت ليالى كثيرة حتى ظفرت بملك مثلك ... !!

(٣)

— لقد سرت دائماً مرافقاً للفلك ... ونثرت على القمر غبار موكبك ... !!
— إن آدم أبى ، ولكنى لا أفخر به ... بعد أن ناديتنى أنت بقولك : يا أخى ... ؟!

(٤)

— حينما نصمم على الانتقام ، نُلقى الوهن فى قلوب الأعداء ... [ص ٢٠٣]
— ولو حاربنا الفلك كحربنا[1] «اتسز» لجعلناه تحت أقدامنا كما جعلنا ملك خوارزم[2]

(٥)

— وأخيراً بَعُدَ عن قلوبنا هم «الغور» ، وتحول مأتم هجر الأحباب إلى سرور
— وعندما «يدخل قائد جيش الفلك فى برج الحمل ، تتحول قيادة العالم إلى نيسابور[3]» ... !!

---

(١) يشير إلى اتسز حاكم خوارزم فى عهد سنجر ، وقتال سنجر له ، وفتحه خوارزم .
(٢) الكليات ، ص ٥٤١ .
(٣) الكليات ، ص ٥٣٩ .

السلطان مغيث الدنيا والدين

محمود بن محمد بن ملكشاه يمين أمير المؤمنين

كان السلطان محمود ملكا مستدير الوجه ، وكان وجهه أبيض مشربًا بحمرة ، ولحيته مستديرة ، كما كان ربع القامة ، قوى الساعد ، متناسب الأعضاء .

وكانت مدة عمره سبعاً وعشرين سنة ، ومدة ملكه أربع عشرة سنة[(١)] ، كان فى خلالها حسن السيرة .

مثل : « البِشْرُ أولُ البِرّ »[(٢)]

وكان جميل الصورة ، لطيف الطبع ، عذب الكلام ، حلو الدعابة ، موزون الحركات ، حسن الخط ، جميل العبارة[(٣)] . وكان توقيعه « اعتصمت بالله »

ووزراؤه هم : الوزير ربيب الدولة أبو منصور القيراطى[(٤)] ، والوزير كمال الدين الشُّميرمى[(٥)] ، والوزير شمس الملك عثمان بن نظامه (نظام الملك) ، والوزير قوام الدين أبو القاسم[(٦)] ، والوزير نوشروان بن خالد[(٧)] .

---

(١) كانت ولايته للسلطنة اثنتى عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرين يوما (ابن الأثير : ج ١٠ ، ص ٤٧١) .

(٢) فق ورقه ١٣ ب .

(٣) ارجع إلى ابن الأثير ، ج ١٠ ، ص ٤٧١ ، زن ص ١٥٥ .

(٤) ابن الأثير ، ويزيد « زن » عبارة « ابن الوزير أبى شجاع » .

(٥) « زن » كمال الملك ابو الحسن على بن أحمد السميرمى (ص ١٢٦) .

(٦) ذكر اسمه ولقبه وكنيته فيما سبق نقلا عن « زن » .

(٧) ارجع فى شرح حاله إلى ديباجة «زن» لهوتسما ، ولقبه وكنيته « شرف الدين أبو نصر »

وحجابه هم : الحاجب محمد بن على بار ، والحاجب طغان يرك ، [ص٤٠٢] والحاجب أرغان .

ولم يكن أحد من آل سلجوق أكثر منه اتزاناً ، ولا أوسع إدراكا ، ولا أحسن وقوفاً على دقائق الأمور .

مثل : يُسْتَدَلُّ على عقلِ الرجلِ بقوله ، وعلى أصلِه بفعله ، فما أفحشَ حكيمٌ ، ولا أوحشَ كريم[1] » .

فكانَ — صورةً ومعنًى — مجموعةً لخلال الكمال ، ومستحسنَ الخِصال ، ولكن العمر لم يف له ، فلم تساعده الأيام ، ولم ينج من مكر الدهر ، ولم يهرب من وخزة القهر ، فكانت وفاته فى الحادى والعشرين من شوال سنة خمس وعشرين وخمسمائة .

[أبيات فارسية فى الأصل، ترجمتها:]

— هكذا جرت عادة الدنيا الغادرة ... ، إنها لا تميز بين الجندى والملك ... !!

— وهى تحصد الشيخ والشاب معاً ، ونرى منها العدل ، كما نرى منها الظلم ... !!

— وهذا هو قانون الدنيا ورسمها .. فهى لا تدوم ... فاسلك فيها طريق الخير ... !!

— وهى أحياناً ترفع شخصاً حقيراً ، وأحياناً تنزل إنساناً من فوق العرش ... !!

— وهى لا تسعد بهذا أو تشقى بذاك ، ولكن هذا هو دأب دار الفناء[2] ... !!

— وطريقة الدنيا أن تنتقل من ذاك إلى هذا ، ومن هذا إلى ذاك[3] ... !!

— فاعلم أن الدنيا تدور على هذا المنوال ،

فلا تدوم الرفعة ولا الذلة لشخص بحال من الأحوال ... !!

— ولكن إذا نهض شخص وترك حياة الدعة واللهو ،

(١) فق ورقه ١١ ب .

(٢) « شه » ص ١٠٢٨ ، س ٤ — ٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٢٠٩ ، س٢٦ .

واستعد لأن يبذل روحه فى الحرب والهيجاء ... !!
— فإنه يطهر الأرض من الأعداء ، ويصبح آمنا من كيد الأشقياء ... !!
— ويصير ملكا على العالم جميعه ، وينفذ كلامه فى جميع الأرجاء ... !!
— ويصبح مرفهاً صاحب سطوة ، ينشىء الرياض والبساتين والميادين والقصور ...!!
— ويجمع الكنوز وتتم له زينة الدنيا من مال وعيال ويقضى أيامه سعيداً[1] ...!!
— ومع ذلك فإنه يستحيل فى النهاية تراباً ويذهب جهده هباء ،
ويرث عدوه كنوزه جميعها ...!!
— فلا يبقى مال ولا عرش ولا تاج ، ولا بلاط ولا خزانة ولا جيش[2] ... !!

مثل : « ألذ الأشياء العافية ، وأفضل الدارين الباقية »

وقد سيطرت الأمراض المزمنة على ذلك السلطان بسبب كثرة الجماع ؛ وكان له شغف عظيم بالصقور والفهود وكلاب الصيد والبزاة والحمام ، [ص ٢٠٥] واتخذ لها القلادات الذهبية .

وقد جلس السلطان محمود على العرش بعد وفاة أبيه فى سنة إحدى عشرة وخمسمائة . وبعد ثمانية أشهر حارب عمه سنجر حينما جاء إلى العراق ، ولكنه هزم ، على أن عمه استدعاه ولاطفه ، وأجلسه على عرش العراق ، وزوجه ابنته « مهملك خاتون » وأرسله من خراسان إلى العراق ، فى أبهة كاملة وسرج مرصعة وفيلة .

مثل : « من تصرف على حكم المروة ، دل على شرف الأبوة[3] » .

وهكذا يفعل العظماء والنجباء . فلما ماتت مهملك ، أرسل سنجر إليه فى مكانها أختها الأميرة « ستى خاتون »[4] ، وهى والدة الأميرة « گوهر نسب » .

---

(١) « شه » ص ١٧١١ ، س ٢٠ — ٢٤ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٧١٢ ، س ٢ — ٣ .
(٣) فق ورقه ٩ — ا .
(٤) جاء في جامع التواريخ أن مهملك خاتون توفيت في سن السابعة عشرة ، فأرسل سنجر إليه أختها الأميرة ستى خاتون مكانها ، وهذه الأميرة هي والدة الأميرة « گوهر نسب » حفيدة سنجر . ارجع أيضاً إلى تذكرة دولتشاه طبع ليدن ، ص ١٣١ ، ولمعق البخارى أبيات في رثاء مهملك خاتون [الكتاب المذكور ص ٦٤ — ٦٥] .

وقد استقرت بذلك سلطنة محمود ، وكان أغلب مقامه فى إصفهان و بغداد .

وقد حدثت — مرة — جفوة بينه و بين أمير المؤمنين المسترشد بالله ، وانتهى الأمر بمحاصرة السلطان محمود لبغداد ، والاستيلاء عليها والصلح مع الخليفة[١] .

وكان السلطان محمود ملكا مبارك الظل ، عنده عدد كبير من الخدم ، لأنه كان يقيم فى الحريم كثيراً ، وقد عاش خدمه مرفهين ، وارتفعوا إلى مراتب الجاه والعظمة ، وكان السلطان يقف بنفسه على أحوال الديوان و إقطاعات الأمراء ، ويبت فى كل ما يطلبه الوزير أو المستوفى من مطالب ، فلم يكن هناك أمر فى الدولة يخفى عليه[٢] .

و إن السلطان القاهر عظيم الدهر أبا الفتح كيخسرو بن السلطان قلج ارسلان خلد الله ملكه هو وارث ملكه وعرشه وصاحب عظمته وحظه ، وهو أكثر منه يقظة وتعميراً للدنيا ، و إن بركة ظله لتنتشر فى أرجاء مملكته ، وتنتشر من بغداد إلى همدان فترفع خدمه إلى مراتب السعادة والرفعة ، وتجلس مادحيه أمام عرشه ؛ و إن مادحا مثلى قطع ألف فرسخ تلبية لدعاء هذه الدولة ، [ص٢٠٦] وتقرباً إلى هذه الحضرة ، حتى وضع رأسه على عتبة المكارم والمعالى ، إنما فعل ذلك تتبعاً للرزق المفقود ، حتى يصير مسعوداً ومسروراً بمواهب العطايا التى لا حصر لها ولا عد — التى تفيض من البحر الزاخر لجود سلطان العالم . وجديرٌ بملك بنى آدم غياث الدنيا والدين أبى الفتح كيخسرو — عز نصره . أن يتقرب إلى الحق تعالى بتقريبى إليه ، رعاية لحق هجرتى ورحلتى ، لأنه هو الملجأ والملاذ ، وإن المحافظة على مثل هذه الحقوق لازمة فى شرعة الكرم ؛ أسأل الله أن يجعل

---

(١) ارجع في شرح ذلك إلى ابن الأثير في حوادث ٥٢٠ «ز» ص ١٥٢ .

(٢) ارجع إلى تاريخ كزيدة وروضة الصفا وحبيب السير فى ذكر السلطان محمود .

الملك العظيم يصغى إلى كلامى ، ويجيب ملتمسى ، ويدخلنى فى زمرة ثقاة خدمه وكفاة أهل قلمه ،ومادحيه ،وأن يجعلنى دائماً موفقاً ومؤيدا...!!وأنا فى هذا الإلحاح معذور ومغفور ، لأن الملك الموفق ييسر ما يبدو للآخرين عسيرا ، فيأمر بقضائه فى لحظة واحدة ، ويقرب مايبدو فى قصورهم[1] بعيدا ، فيأمر به فى لمحة واحدة .

[شعر]

وإذا لم يكن من الرزق بد فَلْيُتَبَّع مطالع الإقبـــال

وحيث إن الملك ظل الله فى الأرض ، وبلاطه بمثابة ملجأ للعالمين ، فإنى أجعل طرق الوصول إلى المنال فى هذا العالم — وأسباب تحصيل المال — محولة إلى الملك ذى الجلال ، ومستمدة من معدن سعادته ، وأسأل الله أن يجعل السلطان غياث الدنيا والدين يجود على أحبابه ببعض ما كان السلطان محمود يصنعه فى قلائد كلابه . وأن يفوقه فلا يقاس ما كان يفعله محمود بشىء من صنيعه ، فإنه يمنح كل يوم أضعافاً مضاعفة من المال والعطاء . وأنا أذكر فى القصيدة التالية شمة عن ملـكه وسلطنته وكرمه ، ومروءته وعطائه وهباته .

[قصيدة فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— لو أن شخصاً يمنح الروح فيضاً ، لفعل ذلك الملك الفاتح الدنيا . . . !!

— فهو ملك الدنيا غياث الدين ، الذى ينعش حكمه الأرواح . . . !!

— الملك الغازى سيد الملوك ، الذى يهب العطاء سراً وجهرا ... !!

— فهو عون للنوة ، وقوة للتمضاء ، لأنه يمنح القدرة للفلك ... ،!

— فيده تمطر كما يمطر السحاب ، وقلبه يمنح كما يمنح البحر . . . !! [ص ٢٠٧]

— ولحـكمه قوة القدر من حيث النفاذ ، ولأمره سرعة « كن فيكون » ... !!

— وقلبه هو اللوح المحفوظ ، يهب الإنس والجان أقواتهم وأرزاقهم ... !!

(١) المراجع : كذا في النسخة الأصلية وهو يقصد تصورهم القاصر .

— والبحر والمنجم يمنحان الدر والجواهر ،
من فيض العطاء الذى تقدمه يده ... !!
— بل إن فضلات مائدته هى التى يوزعها الفلك على ملوك العالم ... !!
— وهو فى العطاء ظل الله فى الأرض
فليس عجيباً أن يهب بهذه الطريقة ... !!
— إن ما يمنحه الفلك فى أزمان ، قد يمنحه هو فى أقل من لحظة ... !!
— إنه يوزع الملك على العبيد والخدم ،
وقد يهبهم ملك خاقان الصين أو خان الترك ... !!
— وإن سيفه وقلمه يعملان فى وقت واحد ، فالأول يفتح الممالك ،
والثانى يوزعها ... !!
— إنه يطلب الخراج من طمغاج خان ، (١)
ويوزعه مع خراج الهند الذى يقدر بالأحمال ... !!
— وإن عسل النحل ماهو إلا قطرة من لعاب حلمه ... !!
— وإن ذرة من خيال غضبه ، لتثير الفتنة إلى آخر الزمان ... !!
— وإن سيفه البراق ليكسو الأعداء حلة أرغوانية حمراء ... !!
— وإنه ليمنح الكلاب عظام أعدائه الشبيهين بالكلاب ... !!
— وهو يمنح الجميع فلا ينبغى أن يقال إنه يمنح فلانا دون فلان ... !!
— وإن ما يسقط من بين أصابعه ، ليمنح السماء مائة سعادة ... !!
— فالدعاء له فرض على كل إنسان ،
لأن الله وهب الإنسان اللسان لهذا الغرض ... !!
— وسيفه مسلول دائماً ليعلم من بقى على قيد الحياة من أعدائه
أنه هو الذى وهبه الروح ... !!
— وسنرى سريعاً من توالى الفتح ، أن الملك سيفتح ثم يهب سجستان ... !!
— فانظر إلى كفه فإنها من كثرة الجود تهب الذهب لأهل « راوند » (٢)... !!

---

(١) المراجع : هو ملك ما وراء النهر وتركستان .

(٢) المراجع : مؤلف هذا الكتاب يشير إلى أهل « راوند » خاصة ، لأنه هو نفسه من أهل تلك المدينة .

— وهو يمنح الأقمشة الحريرية الحمراء كما يهب الأقمشة المزينة بالقصب .

— وهو يهب الخيول الفارهة التي تشبه الجبال الزاحفة ... !!

— وعطاؤه لا يقتصر على الفضة بل يشمل كنوز أنوشروان ... !!

— لقد سألت العقل : أي ملك من ملوك العالم يمنح كل ما يجود به المنجم ... ؟!

— فأجاب : إنه لأكثر إشراقاً لقلبك أن تعلم

أن الملك يهب الملك أيضاً ... !! [ص ٢٠٨]

— قلتُ له : إلى متى يستطيع العطاء ؟ ! قال إنه يمنح ما دام قادراً على المنح ... !!

— فهو يمطر الدر مثل سحاب الربيع ،

وهو يمنح الذهب مثل ريح الخريف ... !!

— إن المنجم يهب ذرة ذرة ، ولكن الملك يعطي أحمالا أحمالا ... !!

— فلتخلد حياة الملك ، حتى يهب هكذا إلى أبد الآبدين ... !!

— وليكن عمره أطول من عمر نوح ،

حتى يهب الناس الأمان من الطوفان ... !!

السلطان المعظم ركن الدنيا والدين

أبو طالب طغرل بن محمد بن ملكشاه يمين أمير المؤمنين

كان السلطان طغرل بن محمد ملكا أحمر الوجه ، تام اللحية ، دقيق الذؤابة ، طويل القامة ، معتدل الظهر ، ضخم الرقبة ، واسع الظهر والصدر .

وكانت مدة عمره خمسة وعشرين عاما ، وقد توفى على باب همذان فى شهر المحرم سنة تسع وعشرين وخمسمائة[1] ، بعد أن دام ملكه ثلاث سنوات[2] ، وقد غلب على أخلاقه العدل والسياسة ، والحياء والحمية ، والكرم والشجاعة ، والبعد عن الهزل والفواحش .

مثل : « من أعود الغنايم دولة الأكارم[3] »

وكان فى أثناء مدة حكم السلطان محمود يقيم مع عمه السلطان الأعظم سنجر ، فعهد إليه بولاية العهد بعد وفاة محمود[4] ، فلما جاء إلى العراق وقعت بينه [ص۲۰۹] وبين أخيه مسعود بضع معارك ، تبادل فيها الطرفان النصر والهزيمة[5] ،

---

(۱) ورد فى « زن » أن سنة وفاته كانت ۵۲۸ ه وأن مدة حكمه سنتان وشهر [زن ، ص ۱۷۲] وقال « اا » : كان مولده سنة ۵۰۳ فى المحرم ووفاته فى المحرم من هذه السنة أى ۵۲۹ ه .

(۲) لم يذكر المصنف هنا أسماء الوزراء والحجاب على خلاف عادته ، وورد فى « جت » الذى استقى كل ما ذكره من هذا الكتاب : ووزراؤه (يعنى وزراء السطان طغرل) الوزير قوام الدين أبو القاسم الدركزينى ، والوزير شرف الدين على بن رجا ، والحجاب منكوبرس ، (كذا) وتوقيعه فى رسالة الجوينى (اعتضدت بالله وحده) .

(۳) نق ورقة ۲۳ ب .

(٤) زن ص ۱۵۸ .

(٥) ارجع الى « اا » فى حوادث سنة ۵۲۷ و ۵۲۸ ه .

وفى إحدى المرات بينما كان ذاهباً إلى خوزستان إثر هزيمة حلت به شنق خواجه قوام على باب ليشتر ، لأنه كان يظن أنه سبب نكبته[١] .

مثل : « أىُّ ملك أساء إلى جيشه وجنده ، أحسن إلى عدوّه وضده[٢] » .

ولا تكون عظمة الملك إلا بإكرام الرعية ؛ وإن الملوك الأتقياء ليعتبرون فى زمرة العلماء والأصفياء .

سمعت أن «العمادى» وكان من شعرائه ، أخذيقرأقصيدة[٣] على«العبّادى» منها البيت التالى :

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— إننا نقطع الطريق دون أن تصل العين إلى المرشد
ونحفر المنجم ... ولكن لا يصل الفأس إلى الجوهر ... !!

وكان العبادى فوق المنبر فلما وصل العمادى إلى البيت التالى وهو قوله :

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— إذا لم يقبّل الفلك عتبة جاهك
فاعذره ... فلعله لا يستطيع أن يصل إليها ... !!

قال العبّادى «يستطيع الأمير العمادى أن يطلب كل ما يريد من رغبات... !! » فقال العمادى للقاضى الذى كان ملازماً له : «أنا محبوس بسبب قرض قدره ألف دينار ذهباً وينبغى أن أؤدى هذا القرض» . فأحنى العبادى رأسه ، فقال أحد المريدين : «ليكن له ما قال» فرفع العبادى رأسه وقال : « إن الأمير العمادى إذا دفع الألف دينار أداء للقرض ، فإنه — حتما — سيقترض غداً... !!» فقال مريد آخر : « لتكن له ألف دينار أخرى » فاستراح العمادى .

---

(١) زن ص ١٦٨ — ١٦٩ .

(٢) فق ورقة ١٢١ أ .

(٣) ديوان العمادى نسخة المتحف البريطانى ورقة ١٥ ب — ١٧ أ Or. 283

وأنا أقول إن مدح الشاعر ، أوهمة العالم ، أو إرادة الجليس ، تكون كلها سبباً لإفاضة عدل الملك ونشر فضله . وإنه لينبغى تشجيع العلماء الذين هم عماد الدين والدولة ، والإسلام ، والملة وبهم يصير أساس الملك راسخاً ثابتاً ، فتقويتهم وتشجيعهم من لوازم الواجبات ، وتوابع المفترضات . وقد كانت هذه السياسة هى التى يتبعها السلطان طغرل ، فقد بنى مدرسة فى همذان مازال يدرس فيها صديقى الصدر الإمام ، والحبر الهمام ، غلاء الدين مجد الإسلام ، ملك العلماء ، أستاذ الملوك [ص ٢١٠] والسلاطين ، ويقوم فيها بتدريس العلم ، وتعليم أنواع الفضل ، وإذا كانت أوقافها قد أصابها بعض الخلل بسبب استيلاء الظَّلَمَة على العراق ، فإن سيد العالم وملك بنى آدم غياث الدين — خلد الله ملكه — يرعى حقوق الأسلاف ، ويعمر تلك الأوقاف ، ويأمر بإحياء معالم خيرهم ، ونشر مفاخر ذكرهم إن شاء الله .

وكان الأمير العمادى مختصاً بمدح ملك مازندران ، ولقبه مأخوذ من « عماد الدولة فرامرز » ملك مازندان ، ولكنه اكتسب عظمة شاعريته من مدائحه فى السلطان طغرل ، ومطلع ديوانه فى مدح السلطان ، ونحن نورد بعض شعره :

[قصيدة(١) فارسية فى مدح السلطان ، ترجمتها :]

— إن أمر العقل مهيأ ، ورغبة الفضل محققة ،
فلم تعد هناك شبهة فى أن طغرل هو ملك العالم ...!!

— ولم يعد الزمان جاف الشفة ، دامع العين
لأن رطوبته وجفافه ملك لهذا السلطان الكامل ...!!

— إن التراب لاتهزه الريح ، والملك ثابت مستقر ،
والماء لاتنقصه النار ، لأن الملك عادل منصف

— إنه الملك طغرل ذو العرش المقدس ، الذى يتخذ الفلك مركباً
والذى تتحول الحلوى من حرارة غضبه سماً قاتلا ...!!

---

(١) ارجع إلى لباب الألباب لعوفى ، طبع براون ، ج ٢ ، ص ٢٦٢ — ٢٦٤ .

— ولا حد لمدحه ، لأنه لفرط شرفه وعلو قدره
ينفذ حكم الشريعة بعقل هو صيقل لصفاء الماء ورواء الورد ... !!
— والفلك قد انضم إلى زمرة أتباعه ، وصار قلباً واحداً معه ؛
والنهار يسير على هذا المنوال فيسعى إلى التحالف معه والإخلاص له .
— فكنوزه وجيوشه كثيرة لا تخشى العجز والنقص
لأنها تستمد منه الكمال ، فهو كنز زاخر وجيش فاضل .
— وكل من فى حضرته عبيد لعبيده ،
يحبون عرشه بحب راسخ فى القلوب ... !!
— وحجة أحقيته بالملك ... يقررها سيفه ، [ص ٢١١]
لأن الحق بغير حجة يكون مشتبها وباطلا ... !!
— وقد استقرت فى ذهنه فكرة أحقيته بالملك ، فقام يطالب به ،
وحقق السيف الباتر هذه الرغبة له .
— ولو أن الفلك خارج عن تصور العقل ،
إلا أنه بجميع أطرافه داخل فى منطقة نفوذ الملك ... !!
— فاعرف رأيه الحكيم حتى تستطيع أن تدرك
إلى أى حد تقبل السعادة فى دولته ... !!
— فعفوه فى المملكة يجعله يتجاوز عن كل جرم ،
لأن قلب الملك ذو كرم شامل ... !!
— والظلم الأسود قد تبدل فصار عدلا مشرقاً ،
وقد اختفى الظلم لأن خنجر الملك يمنع ظهوره ... !!
— وإن عجلة الحوادث الدائرة لتقف على طريق الملك
طالبة العطاء من كفه ، من فرط حبها له ... !!
— والبحر لايشبهه . . . لأن السماء تلتمس
ساحلا لبحر كفه الزاخر العميم ... !!
— وما دامت نار سيفه تجعل من رأس الخصم بخورا ،
فقد زالت عين السوء عن جادة الدهر ... !!

— إنه الملك العظيم الذى يعد كسرى تابعاً له ، وقد عدنى
أنا العمادى صاحب أجمل شعر فى الشرق والغرب ...!!
— لقد رفعنى الشعر ، ولكن الإنسان يخشى فى مثل هذه الحضرة
الملكية أن يصعد إلى مقام الملك لأن طريق النزول وعر ...!!
— إن حمرة الشفق ... قد أخبرت فى وقت الغروب [ص ٢١٢]
أن زحل مذبوح بسيف الملك ...!!
— ولم تستطع الأرض الدوران إلا بعد أن وصلت إلى بابه
لأن ذكر الملك والدعاء له ، كانا يجعلان طريق سيرها وعراً ...!!
— فهو يعد ابن الفلك ، ويعد العقل ابناً له ، فاعتبره كذلك
حتى يستطيع الناس أن يتصوروا أنه أسمى من كل شىء ...!!
— إن مدح ملك العالم ينبغى أن يكون أروع من هذا
ولكن هذا النظم هو أسمى ما استطاع أن يصل إليه عقلى ...!!

[قصيدة فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— يا من طرتك ووجهك هما الفلك والنجم ،
ويا من وجهك وشفتك هما الجنة والكوثر ...!!
— نحن نصوغ لك المديح من قلوبنا ،
وقلبك الرحيم يفيض علينا بالذهب والدر ...!!
— وأنت بخيل بالكلام ، كما تبخل الطواطى ،
وأنت معروف بالجفاء والغرور ، كما تفعل الطواويس ...!!
— ولكن حبك عظيم يزداد نمواً وقوة كالحمل الذى ترضعه نعجتان
فلا يكون ضعيفاً وهزيلا أبدا ...!!
— إننا نحبك حبا فطريا ، كما يحب الطفل أمه ،
ونَحِنُّ إلى رؤية وجهك من فرط الشوق إليك كما يحن الطفل لوجة أمه
— إن الأرواح قد سكنت لحكمك
من أجل الحصول على ذرة من تراب قدمك ...!!

— فاقبل منا تقديم أرواحنا ... ولو أنها شيء حقير [ص ٢١٣]
لا يليق بمقامك السامى الرفيع ...!!
— فلا يليق بمقامك إلا الروح الأمين (جبريل)
ليقبل شفتك الحلوة ...!!
— فاسمع أخيراً من شفة العمادى الجافة
غزلا نديا مثل دموع عينه السائلة ...!!
— حتى يتحدث فيجدد القول فى خدمة الملك المظفر
— السلطان طغرل الذى يجاوز قدره الفلك ويسمو على قباب العلم
— فترابه فلك أعظم ... وإصبعه بحر زاخر فياض
— والزمان جزء ، وملكه كل ، والنجم أنثى ، وقهره ذكر ...!!
— يا من طبعك قرين للوفاء ، ويا من يدك جار للسخاء
— مهما يكن طبعى خجلا من مدحك ، ومن أن يجد لك شبيها
— فإنى أتحدى عدوك أن يذكر شطرة كهذه فى مدحك ، ويكفيه أن يلوذ بالخزى
— لقد خلقت لتكون ملكا ، وخلق من سواك من أجل أعمال أخرى ...!!
— لو سئلت النار الكامنة فى الحجر ، لقرأت مدائحك عن ظهر قلب ...!!
— وفى يوم الوغى ، عندما ينعقد الغبار فوق الرؤوس ،
— يتصارع الأبطال ، فينسفون كما تنسف الجبال فى يوم المحشر[1] ...!!
— ويسود لون الأسد المرسوم فوق العلم ، كما يسود لون الأسد
— المرسوم فوق المجمرة ، من كثرة الدخان المتصاعد فى ميدان الحرب .
— ويصبح برج الحمل - من بريق السيوف - شبيها بصورة البقرة .
— ويقرأ لسان الخنجر منشور الأجل على منبر المعركة ، [ص ٢١٤]
— وتقفز الروح من الجسد بسبب طعنات السيف المصقول كما يقفز القط من المصيدة .
— ويشفى السيف من الدم الجديد غليل الملك .
— وترى الدرع غارقة فى الدماء غرق السمك فى الخل .
— ويطل الموت من رؤوس السيوف الراقصة كما تطل اللهب المتقدة .

---

(١) الشاعر هنا يقتبس من الآية الكريمة «وإذا الجبال نسفت» سورة المرسلات ، آية ١٠.

— ويمسك رمحك بيد النصر ، ويضع قلادة فى جيد المعركة ... !!
— إن أعداءك - بسبب ضربات سيفك - قد صاروا فى جهنم وبئس القرار .
— فهم يأكلون طعام الهزيمة على مائدة الهلاك ... !!
— فقوم منهم ... قد اكتوت قلوبهم مثل قدر الطعام ،
وقوم آخرون ... قد وضعوا أيديهم على رؤوسهم كالأباريق ... !!
— فقل لمن يشتبه فى صحة هذا الكلام ، اذهب وانظر بعينك قتال الملك .
— حتى يرى أمخاخ المخالفين بارزة ، وكيف ذهبت أعمارهم هباء ... !!
— يا من يسعد المحزونون بفضلك ، ويتغنى الفقراء بعطائك ... !!
— لقد فعلت أشياء فى دولتك ، لا يصدقها أى عالم قط ... !!
— وسوف يتيسر لك فى إثر ذلك ، أعمال أخرى إن شاء الله .
— إننى مهما اجتهدت فى مدحك ، فلن يحيط الفكر بشأنك .
— وأرى نفسى عاجزاً ضعيفاً ، فالأفضل أننى أوجز الكلام ... !!

ونتقل من كلام الشعراء الصغار إلى مدح الرجال العظام ، ونتجاوز النجم إلى الشمس؛ فنأخذ فى ذكر السيف الذى يحمى الأرواح ، والأسد الذى يدافع عن الأنفس ، الملك ذى الحظ المقبل ، غياث الدين العادل ، ذخيرة العلم، زينة الحلم ، الفارس الفتى ، زينة القمر ، محرك الفلك ، قاصم القضاء ، مخلب القدر ، من له إشراق الشمس ، وقوة جمشيد فى الحرب ، الملك الذى تضرب له النوبات الخمس على طبول الأفلاك السبعة ، وبفضله انتشر عدل افريدون فى أرجاء العالم ، فأصبح جميع ملوك الأرض يتحدثون عن عهده المبارك ، ويدينون له بالولاء .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— ما أحسنك ملكا فى الحل والعقد ... !! إن لك تأييد الله ونصره .
— ولقد تهيأت لك بتأييد الله ، جميع الرغبات من مال وجاه . [ص ٢١٥]
— أسأل الله أن تتحقق جميع آمالك ورغبات قلبك كما تهوى وتريد
— فجاءك ملجأ للدين والدولة ، لأنك ملك ترعى الدين، وتحفظ الدولة .
— وإنى أدعو الله ألا يجعل لعطائك نهاية ، وأن يجعل بقاءك مثل عطائك بلا نهاية .

وقد كشفت أحكام طالع هذا الملك هذه الحقيقة فى عالم الفتح .

ومن أشهر فتوحاته غزو فارس وشيراز وخراسان والعراق ، وجميع الآفاق على الإطلاق .

[بيتان فارسيان فى الأصل ، ترجمتهما :]

— إذا كنت فى الظاهر قد هجمت على حدود بلاد الأرمن ،
فإن حكمك يجرى فى الخفاء فى بخارى ...!!

— فالحمد لله ... إن اقتحامك تلك الديار كان بفضل نصرة الله تعالى لك ...!!

وقد وقف خاطر هذا الملك العاطر ذى الحظّ المقبل ، غياث الدين العادل ، مرجع الدين والعدل وملاذهما ، على أن الناس عبيد للدراهم والدنانير ، لأن «الإنسان عبيد الإحسان[1] » ولكنه نسخ قاعدة « أجع كلبك يتبعك[2] » فكان يهب من الذهب ما يملأ المناجم ، ويفيض على الجيش بالخيرات . وإذا كان من الواجب على كل ملك أن يبسط يده بالإحسان ، حتى يطيعه الجيش ، وأن يوسع على أفراد رعيته فى النعمة حتى لا يشعروا بالاحتياج ، فيضيقوا به وينفروا منه ؛ وألا يضيق على الناس ميدان الأمل ، وأن يسلك سبيل العطاء ، لا أن ينهج منهج البخل والتقتير ، فإن هذا الملك المظفر قد اشتهر باحتقاره للدراهم والدنانير ، وجعل الجيش بلطف مقاله ، وحسن لقائه ، وكثرة عطائه مطيعاً له ، حتى إن الجنود كانوا يتفانون فى خدمة دولته ، ويعدون هذه الخدمة واجبة عليهم ، داعين الله أن يبقى هذه الدولة خالدة .

---

(١) ترد فى حاشية النسخة كلمة « صنيع » بدل « عبيد » .
[المراجع : هكذا وردت العبارة فى الأصل وقد تركناها على ما هى عليه ، وصحتها الإنسان عبد الإحسان أو صنيع الإحسان .]

(٢) من أمثال العرب (ارجع إلى كتاب المستطرف للأبشيهى ، ج ١ ، ص ٢٧) .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— إنك أنت الذى ستبقى دولته خالدة ، وسيخلد ملك العالم بك ..!
وإذا كان فى العالم دول غير دولتك ، فإنها ستبقى بضعة أيام قليلة [ص ٢١٦]
كالضيف ثم تزول ...!!
— لقد وضع كسرى قدمه داخل أعتابك ،
وسيبقى ساجداً ... واضعاً رأسه فوق هذه الأعتاب ...!!
— ولو أن الملك والتاج لم يبقيا لألب ارسلان
إلا أنهما سيبقيان لك أيها الملك العظيم قاهر السلاطين ...!!
— فاقض أوقاتك فى الدنيا العجوز ... فى سرور ... وعش طويلا
فسيبقى عزك وحظك ودولتك فى شباب على الدوام ...!!
— فإن دولتك حياة لدول كثيرة ، وستبقى دولتك هذه إلى يوم القيامة ...!!

ومما يتمم سعادة هذا الملك الذى يسعد به وجه الأرض وظهرها ، أنه ملجأ لأهل الدين ، وجامع لشمل الأصدقاء ، وسبب لوفاق الأقارب وإحكام الصلة بينهم ، وقد جعل سم عبارة « الأقارب عقارب[1] » شهدا ، فانقاد له أهل بيته وصار أقاربه عبيداً له ، يفتدونه بأرواحهم . وقد كانت العادة فى جميع الأقطار أن يحاول ملازمو الملك أن يروجوا سوقهم بالقضاء على منافسيهم ، وأن يحاولوا إظهار إخلاصهم ، فيمعنوا فى إظهار عيوب الآخرين . وقد حاول جماعة من أصحاب الأغراض الفاسدة أن يدسّوا لدى السلطان الأعلى ملك الدنيا حامى الدين « لازال بمزيد من العلاء فوق الآراء » حتى يمتلىء وهمه بالشك وتقع الوقيعة بين الأخ وأخيه ، والولد وأبيه .

مثل : « الملك عقيم ... ولا أرحام بين الملوك و بين أحد » .

---

(١) من مقالة ليعقوب بن إسحق الكندى يعظ بها ابنته (ارجع الى حواشى چهار مقاله لميرزا محمد القزوينى ص ٢٠٦) .

وكاد يخرج من هذا السرو الحر — الذى هو صهر للسلطان — غصن[1] للفتنة ، وكاد ينتج هذا الفرع آفة ، فيخرج عن حد الطاعة [ص ٢١٧] بسبب حقد الحاقدين؛ فيعد جيشاً ويعلن العصيان . والمثل يقول « من يسمع يَخَلْ[2] » .

ولكن هذا الملك المظفر — الذى هو ظل الله عز وجل — لم يسمع كلام الحساد ، ورأى بعلو همته ، و بعين بصيرته ، أن الذى ظهر فى الميدان الأبخازى إنما يدل على أن صهره متحد معه ، محب للخير له حتى ولو اضطر أن يجود بروحه ، وهو الأمير والقائد الكبير ، العالم العادل ، المؤيد المظفر ، صاحب الحظ المقبل فخر الدين، ناصر الإسلام ، ملك الأمراء ، بهرامشاه الغازى[3] ، وقد افتداه بروحه ، واجتهد فى إظهار الإخلاص له ، فالتمس عذرا حتى لا يبقى فى الحرب ، وأوقع نفسه بحيلة فى يد الأعداء ، وقدم روحا فدية لهم حتى يعلم مدى قوتهم ، وما أصابهم من خسائر فى القتلى والجرحى ، لكى يقف على أحوالهم ، ويرى أعمالهم وتصرفاتهم ، ويلم بتنظيم جيشهم وطرقهم فى القتال ، وقد أقام مع الكفار حتى يستعين بالبقاء معهم فى العمل على نصر الملك ، فيستريح خاطره منهم .

مثل : « من القلب إلى القلب روزنة[4] » .

---

(١) يعنى الملك فخر الدين بهرامشاه كما يتضح فيما بعد .

(٢) فى النسخة الأصلية « يخل » ارجع الى مجمع الأمثال للميدانى ، فى حرف الميم .

(٣) كان الملك فخر الدين بهرامشاه فى عصر غياث الدين كيخسرو وركن الدين سليمانشاه صاحب أرزنجان ، وكان صهر سليمانشاه ، وقد ذهب فى عام ٥٩٩ هـ برفقته لغزو الأبخاز ، ووقع أسيراً فى يد العدو مع فوج من أتباعه . ومذكور فى مختصر سلجوقنامه [طبع هو تسما سنة ١٩٠٣ ص ٢١ — ٢٢] أن الملك فخر الدين بهرامشاه كان ذا سيرة حميدة ، وعلو همة وفرط مرحمة وكانت ولاية أرزنجان فى أيامه فى سعادة غامرة ، وقد جعل نظامى الگنجوى منظومة « مخزن الأسرار » باسمه فأرسلها تحفة إلى بلاطه ، فأمر له بخمسة آلاف دينار ، وخمسة بغال سريعة .

(٤) « روزنة » بمعنى مشكاة وهى النافذة الصغيرة التى تدخل منها أشعة الشمس .

لأنه إذا لم يكن الملك مطلعاً على أمر العدو ، لا يستطيع تدبير أمره ، فينبغى أن يطلع على حال عدوه حتى يدفع شره ، فيستقر بذلك ملكه . كما أن لاعب الشطرنج يجب أن يبصر ألعاب خصمه كما يرى ألعابه هو نفسه .

وأسباب الظفر على العدو والانتصار كثيرة :

أولها : الطمع فى الغنيمة إذا استولى على قلوب الجند .

وثانيها : أن يصل الحقد إلى نهايته فى صدور الجند ورجال الجيش .

وثالثها : الخوف والجبن الذى يقع فى قلوب أفراد جيش العدو .

ورابعها : أمل الصلح الذى يضعف عزائمهم ، و يقلل الأحقاد فى نفوسهم .

وخامسها : أن يذهب رسول عاقل عالم ، فإذا ارتأى الصلح مستبعداً بين الجانبين طلب من العدو الصلح حتى يضطرب و يتغافل عن الأمور ؛ [ص ٢١٨] و يجب أن يكون الرسول ماهراً ، يظهر خلاف ما يبطن ، ولا يجب أن يكون الرسول خجولا سليم الطبع ، أو أن يكون محباً للخمر أو الهوى ، بل ينبغى أن يكون متديناً ، وأن يكون محدثاً لبقاً ، محباً للملك ، حتى يسأل عن عدد جيش العدو ومحاسنه ومساوئه ودخله وخرجه ، و ينبغى أن يذيع بين العدو الرعب والتخويف ، كأن يقول : أن الملك يقول : «أنا لا أريد أن أكون سبب الفتنة و إراقة الدماء . ولا أعرف شخصاً فى الدنيا يحب أن يفعل ذلك ، إلا ابتعدت عنه ، و إن أحداً من نسلنا لم يسلم لعدوه ، ولا أعلم — أيضاً — كيف تعلمت أن تعادينى وأنت تدرك ما قاله العظماء وهو : أن العالم هو من يستطيع أن يجعل العدو صديقاً ، لا من يجعل الصديق عدواً ... ومع ذلك فأنا لست من هؤلاء لأننى أعتقد أنه يجب أن يكون لى عدو ، فعندى جيش مظفر ، وثروة طائلة ، ووزراء علماء ، ومبارزون أقوياء » . فإذا غضب العدو من هذا الكلام ، ولاحت آثار الغضب واضحة

على ناصيته فطمئنه بحجة واضحة من الفضل والعلم ، لأن هذا الغضب يذهب التفكير ، فى حين أن الأعمال تدرك بالتفكير ، ولا تخش كثرة العدو لأن العلماء قالوا : « اخش العدو المتحد لا العدو الكثير العدد » .

والجيش ينظر إلى قوة قلب القائد ، ومساندة الملك له ، فإذا وجدوه قوى القلب لا يخاف ، فإن الجيش مهما يكن قليلا فإن الغلبة تكون له ، وينصره الله عز وجل لأنه يكون ذا أمل فى الله ، ولأنه يثبت فى الشدة . والملك إذا كان عادلا ، تستقيم نيته ، يكون جيشه متحداً قوياً صبورا فى الحرب ، مسروراً من الملك والقائد . كما ينبغى أن يكون الملك عاقلا ، راسخ القلب ، يقظاً ملماً بالحروب ، ممارساً للقتال ، يعرف أن صفوف الجيش يجب أن تكون فى يوم النزال أنواعاً مختلفة ، ويعلم كيف ينبغى أن يرتب هذه الصفوف مع كل عدو فى كل مكان ومقام ، لأن الصف نوعان صف متصل وصف منفصل . والمتصل ثلاثة أنواع : مستقيم ومنحن ومثلث . وكلها لا تخرج عن الميمنة والميسرة والقلب والجناح . أما الصف المنفصل فيتطلب عند ذاك أن يكون جيشك جميعه فيه راكباً ومسلحاً ، وأن يكون فى مكان واسع حتى يستطيع الجميع الوقوف فى مجموعات ، ويستحسن أن تكون كل جماعة مشرفة على ثلاث نواح ،[ص ٢١٩] ناحية منها فى الركن الخلفى والناحيتين الأخريين فى الركنين الأماميين ، وينبغى أن يختار ميدان القتال بحيث يرى أفراد الجيش بعضهم البعض الآخر ، ويظهر بعضهم لبعض أنواع الفضل والأعمال الرائعة ، فتزداد بذلك بسالتهم ، ويحثُّ بعضهم البعض على القتال ، لأنه ما دام الجيش مطيعاً للملك ، ومتحداً ، ومجرباً للحرب ، فإنه لا ينبغى أن يخشى قتال العدو . ويجب على الملك أن ينظر إلى جيشه وجيش العدو على السواء ، ويعرف بأى سلاح يحارب العدو ، وبأى سلاح يمكن دفعه ، وينبغى أن تكون أسلحة الجيش بحيث يضعف العدو أمام

أسلحته . كما يجب أن يكون أفراد الجيش ماهرين فى استعمال هـــذه الأسلحة ، وأن يتمرنوا قبل الحرب على استعمال جميع أنواع الأسلحة ، ويواظبوا على ذلك ، وأن يكون ميدان القتال ملائماً لآلات الجيش المستعملة ضد العدو ؛ فمثلا إذا كان أكثر جيش العدو من المشاة ، وكان جيش الملك من الفرسان ، فإنه ينبغى على الملك أن يختار ميداناً متسعاً فسيحاً ، وأن يجعل صف جيشه مقوساً ؛ وأن يجعل على كل حافة من حافتى الصف جوقتين خارج الصف حتى يكونوا ركناً لذلك الصف ، وأن يقف المشاة على اليمين والشمال حتى لا يستطيع مشاة جيش العدو أن يخترقوا الصف فى الحالتين الآتيتين :

أولا : فى وقت الكر والفر عندما يرتد جنودك ويعودون إلى أماكنهم ثانية

وثانياً : عند ما يقوم الجيش بجملته بحملة واحدة فلا يسمح للمشاة بالتفرق بل يجب أن يبقوا فى مكان واحد .

وإذا كان الفرسان فى جيش العدو أكثر وكان جيش الملك من المشاة ، فينبغى أن يختار ميدان القتال بحيث يكون ضيقاً وحصيناً وأن يترك شماله ويمينه فى حراسة المشاة ، وأن يكون له فرسان خلف ظهور المشاة ، وأن يجعل صفه مستقيما ، وأن يدع المشاة يذهبون فى إثر فرسان العدو ، وأن يضع مشاة خلف ظهر الجيش حتى يحفظوا الجيش من أن يقع فى كمين العدو ، ويكونوا عوناً للميمنة والميسرة ؛ وإذا أراد أن يحمل بجميع الجيش فإنه ينبغى عليه أن يسير الفرسان نحو يمين العدو وشماله ، وأن يعبىء المشاة على أساس جعلهم فصائل حتى يغتصبوا المواقع من أيدى العدو ، فإذا لم يجد ميدان القتال حصيناً ، كأن يكون صحراء ، فإنه يجب أن يجعل جيشه مدوراً ، وأن يجعل المبارزين فى مقدمة الجيش ، وأن يجعل غير المجربين للحرب فى الوسط ، وفى مثل هذا المقام يكون النصر مربوطاً بالعناية الإلهية ، فيجب أن يرضى بالصلح .

و إذا كان الجيش جميعه من الفرسان ؛ وجيش العدو جميعه من المشاة[ص ٢٢٠] فيجب أن يفرق جيشه ، فيجعله فى صورة مجموعات ، و يجعل المبارزين قواداً لهذه المجموعات ، و يجعل ميدان قتاله حول العدو ، كما ينبغى أن يحفظ نفسه من غارات العدو ، فإذا التحم بالعدو ، فإنه ينبغى أن يأمر بأن تكون الهجمات متلاحقة ، حتى لا يستريح العدو قط ، وأن تستمر هذه الهجمات دون تراخ حتى يتعب مشاة العدو ، و يقع الرعب والخوف فى قلوب الجند من كثرة الحملات .

و إذا كان جيش كل من الطرفين مشاةً أو كانا من الفرسان ، فإنه يجب على الملك أن يجعل ميدان القتال مناسباً للمواقع التى يحتلها جيشه ، وأن ينظّم صفوف الجيش بحيث يراعى أولا أن يستطيع أفراده الثبات ، و يحاولون التغلب على العدو المنهالك ، و بحيث يراعى ثانياً أن يتمكن جنده من الانتصار على العدو . وعليه أن يجعل القلب بحيث يمكن أن يمد الجانبين بالمعونة ، وأن يختار بعض المبارزين الذين يكونون فى مقدمة الجيش ، ويجعلهم فى مؤخرة الصفوف حتى يرسلهم إلى أى مكان فيه ضعف ليقوموه ، و يؤمنوه الهزيمة ، وإذا كان فى جيش العدو مبارز ، فينبغى أن يختار الملك جماعة من جيشه أقوياء يجريهم فى مواجهته ، فيعرفوا كل مكان يذهب إليه و يكسروا شوكته ؛ و يجب أن يكون الجيش فى هذه الحالة مقوساً ، وأن يكون أفراده بصيرين بفنون القتال مهيئين له ، لأنه إذا كان الملك صبوراً و بصيراً بأمور الحرب ، وكان جيشه محباً للقتال ، مشفقاً على الدولة ، مسروراً بالحرب ، وكان الموقع موافقاً للجيش ، ومخالفاً لجيش العدو ؛ فإن الجيش ينتصر على جيش العدو — بفضل الله الوهاب — مهما كان جيش العدو وفير العدد .

و إذا كان فى جيش العدو فيلة ، فينبغى أن تكون معه الآلات والعدد التى تخشاها الفيلة ، وتجفل منها ، وأن ينصب الجيش الأكمنة فى ميدان القتال حتى

لا يستطيع جنود العدو المجيء من الخلف ، وأن يخدع سائقي الفيلة حتى لا يستعملوها ، لأن الفيل بدون قائد لا يصلح لعمل قط ، فإذا قامت المعركة جعل همه فى قتل قائدى الفيلة حتى لا تبقى للفيلة شوكة أو قدرة ، وأن يحفر الحفر الصغيرة أمام جبهة القتال ، لأن الفيلة لا تستطيع أن تشم رائحة الطين ولا تستطيع التقدم فيه، وعليه أن يلقى السهام عليها ، ولا يدع الجيش يلتحم بها ، بل يلتحم بأصحابها الذين يكونون عن يمينها وشمالها،لأنهم حينما ينهزمون تتعطل فيلتهم عن العمل.[ص ٢٢١]

ولا يتقن شخص فى العالم طريقة قتال الأعداء أحسن من سيد العالم ، عماد البشر وملجئهم ، السلطان القاهر كيخسرو بن قلج ارسلان — لا زالت رايات دولته محفوفة بالنصر — ولا يستطيع شخص أن يقود الجيش مثله ... فمن يكون هذا الأبخازى الكلب ؟! .. وما قيمة ذلك العدو ...؟! واسم سيد العالم وملك بنى آدم غياث الدين يقترن فى عالم الحرب باسم الاسكندر ويساويه فى حساب الغالب والمغلوب ، وقد كان فتح الأبخاز بداية لفتحه أقاليم العالم الأخرى ، والحظ خليق بأن يلازم عرش السلطان بحيث ييسر له كل ما يلزمه ؛ يجعله ملكا للبيض والسود من الآدميين والحيوانات والطيور والأسماك ، أدعو الله أن يجعل الجميع خاضعين لرايته الفاتحة للعالم ، وقد قلت فى مدحه ما يلى :

[بيتان فارسيان فى الأصل ، ترجمتهما (١) :]

— يا من يجعل أمرك المنير ما يخطه قلمك نافذاً
إن هذا العالم الشيخ لم ير شابا مثلك ... !!
— إنك تحيط بجميع العلوم ... ماعدا العلم الإلهى
ولك جميع الأشياء ... إلا العيب والنظير ... !!

---

(١) هذا الشعر للأنورى (الكليات ، طبع لكنو ، ص — ٥٥٠) .

فليجعل الله تعالى آثار صنعه الخفى ، وتأييداته المستترة،غير متناهية فى إعلاء كلمة السلطنة ؛ ولتكن رايات الملك وأعلامه مؤيدة ومظفرة ومنصورة؛وليكن الظفر والنصر والسطوة ممهدةله وراسخة فى قبضة قهره ، وليكن عهد سلطنته مشمولا ومحفوفاً بالسعادة ؛ ولتنصرف عين النوائب عن مطاردته ؛ وليكن مدد السعادة له متواصلا وأنواع المسرات كاملة ، ورغائب القلب حاصلة ، ولتكن جميع مطامح همته العادلة العالية فى قبضة اقتداره دائماً . وهذان بيتان جميلان فى وصف حال عدو دولة غياث الدين مد الله ظل دولته ، ولو أن بهما شيئاً من الفحش :

[بيتان فارسيان فى الأصل ، ترجمتهما :]

— أيها الملك اسمح لى ، أن أقول كيف أتمنى أن يكون عدوك

— إننى أتمنى أن يكون السيخ فى عينه ... والمسمار فى ظفره ...
والضراط فى ذقنه والإير فى استه ... !!

أسأل الله أن يجعل الكائد لدولتك ذليلا منكس الراية ، حزيناً ، كسيراً ، مختنقاً؛وأن يجعل بسطةملكه خراباً يباباً ،تحت وطأة جيش غياث الدين[ص ٢٢٢] وسطوة حشمه ؛ وأن يجعل قلبه وكبده محترقين بنار المحنة ؛ وأن يجعل قلبه ممزقاً كجيوب البرعمة وأطرافها ، وأن يجعل كبده بما فيها من جروح الآلام مليئة بالدم مثل زهرة اللعل الحمراء ؛ وأن يجعل عصر الملك العظيم مقروناً بالسرور مثل ذاته الميمونة التى هى ظل الله فى الأرض ؛ وأن يجعل كل سعادة يمكن قولها عنه مقترنة بإسعاده للعالم دائماً ؛ وكما أن أخلاقه عطرة ، فإنى أسأل الله أن يجعله مثل السوسن فارغ القلب من الأحزان ومن أحداث الدنيا ، وأن يهب روض دولته خضرة الجنة الخالدة ؛ وأن يجعل اتراب بلاطه وغبار جيشه الرائحة الزكية التى تشبه مسك التبت والختن[1] وعبير الشقائق والياسمين والسوسن ، وأن يجعل عزمه — الذى له

(١) الختن مدينة فى التركستان الشرقية .

مضاء السيف — نافذاً فى جميع أقطار العالم وآفاقه ؛ وأن يجعل عبيد حضرته وخواص بلاطه مئات الآلاف من أمثالى .

[بيت شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— إن الفلك لم يأت ، ولن يأتى بمثلى ، فى الإخلاص فى خدمتك
فليكن كل تابع من أتباعك شبيها بى فى الإخلاص لك ... !!

فقد ظللت عاماً أدعو للملك قبل أن أراه ، وأثنى على حضرته قبل أن ألتحق بها ، وقد أحضرت هذا الكتاب إليه مشحوناً بأشعار المدح وأخبار دولة أسلافه الكبار وآثارها . وقلت هذه القصيدة فى مدحه :

[قصيدة فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— يا من أشرقت الشمس وضاءة من رأيك ،
إن رايتك تستمد الفتح من لطف الرحمن ... !!

— إنك غياث الدين أبو المظفر الملك العادل ،
وقد اتخذت من قرص الشمس كرة تلعب بها فى الميدان يوم النزال ... !!

— لقد زاد الفلك جمالا وعظمة من قدرك
ووجدت كرة الأرض بفضل خلتك رائحة رضوان[1]

— إن الفلك قد قوى عزمه بشمس عظمتك
وأصبحت له بفضلك حمرة ياقوت بدخشان ... !![2]

— وقد جعلت سيفك المتلألىء لقهر عدوك [ص ٢٢٣]
فوجد الروح فى جسمه ضعيفة متزلزلة

— وقد اتخذ مضيف همتك — بسبب فرط إكرامك للضيف —
جنة الفردوس الأعلى خضرة لمائدتك ... !!

---

(١) المراجع : رضوان حارس الجنة ، والمعنى أن الأرض صارت بفضل أخلاقك كالجنة .
(٢) المراجع : احسن انواع الياقوت ينسب إلى بدخشان وهي ولاية بين خراسان والهند

— واتخذ قدرك منزلة فوق السماء السابعة ،
وأخضعت همتك العالية أقاليم العالم السبعة تحت أمرها ... !!
— وهكذا كان أجداد السلطان العادل ،
وقد ورث هو عنهم الملك والخلق والرفعة ... !!
— إن رمحك فى يوم القتال ، حينما يشتد النزال
قد وجد الروح ضعيفة فى جسم الأعداء(١)
— وإن فصل الربيع قبس من نسيم خلقك ،
وأنت حياة الأرض الميتة فى كل زمان ، وروحها وريحانها
— إن الذهب لايطمئن فى منجمه ... من يدك ،
لأنك حينما تجود به ، تعده سواء هو والتراب ... !!
— إن من لم يكن بالأمس قادراً على الحصول على درهم واحد ،
قد أصبح اليوم من فيض كفك يملك ذهبا يملأ المناجم ... !!
— أيها الملك ! إن الجوهرة التى تزن مثقالا واحدا ،
تصير — إذا أمرت بإعطائها — ذات قيمة كبيرة تعادل لآلىء بحر عمان ... !!
— أسأل الله أن يجرى حصانك فوق رؤوس أعدائك وكأنها ميدان له ،
وأن تصبح رأس أعدائك مثل الكرة فى ثنايا مضربك ... !!
— فيدك ذات أفضال على البحار والمناجم ، [ص ٢٢٤]
وقدرك يسمو فوق أوج كيوان ... !!
— وليجد مُحِبُّ دولتك الأرض ضاحكة له دائما ... !!
وليطرح الفلك عدو جاهك باكيا دائما
— وقد وجد الفلك السعد الأكبر (المشترى) كل يوم على أعتابك
وألفاه يمدح الملك فى عداد شعرائك ... !!
— وإن العقل السليم ليجد فى أبيات الشعر التى لم يقلها الشعراء فى مدحك
قبحا ... وكأنها أشعار رثاء وأحزان ... !!

---

(١) كرر هذا الشطر من قبل ويبدو أن ذلك سهو من الناسخ .

— وإننى أجد هذه القصيدة التى يقدمها شخص ضعيف مثلى
تشبه هدية النملة إلى سليمان ... !!

— أسأل الله أن تكون — فى هذا الفلك الدوار الذى يبلى كل شىء —
مسرورا دائما ، وأن يكون عدوك مخذولا دائماً ... !!

— وأن يجعل العالم جميعه طوع أمرك ،
وأن يجعل لك القدرة والإمكان فى جميع الأمور ... !!

— وأن يجعلك فى الدنيا حاكما ومسيطرا إلى أبد الآبدين ،
وأن يحقق لك الفلك الدوار كل ما تريده فيها من رغبات ... !!

السلطان غياث الدين والدنيا

أبو الفتح مسعود بن محمد بن ملكشاه

قسيم أمير المؤمنين

كان السلطان مسعود أسمر اللون ، وكان قوياً يصرع الأسود بمفرده : وكان فى طول القامة و بسطة الجسم أكثر من جنود جيشه جميعاً ، وكان طويل العماد ، قوى الرقبة ، واسع الجانب والصدر ، خفيف العارض . وكان توقيعه : « اعتمادى على الله » .

ووزراؤه هم : الوزير شرف الدين أنو شروان بن خالد ، والوزير عماد الدين أبو البركات الدركجينى[1] ، والوزير كمال الدين محمد الخازن[2] ، والوزير [ص ٢٢٥] عز الملك[3] البروجردى والوزير مؤيد[4] الدين الطغرائى ، والوزير تاج الدين[5] الشيرازى ، والوزير شمس الدين أبو النجيب[6] .

وحجابه هم : الأمير الحاجب مَنْكُبَرْس[7] ، والأمير الحاجب تتار ، والأمير

---

(١) فى « زن » ص ١٨١ — ١٨٢ يذكر اسمه هكذا ، ويذكر فى « ا ا » باسم : العماد أبى البركات بن سلمه الدزكزينى (ج ١١ ص ٤٢) واسمه فى فهرست أسماء الرجال فى حرف الكاف (كمال الدين أبو البركات بن سلمة الدزكزينى) .

(٢) يزيد « زن » ص ١٨٦ : بن على .

(٣) يزيد « زن » : أبو العز ، وفى « ا ا » أبو العز طاهر بن محمد .

(٤) يزيد « زن » : أبو إسماعيل ، « ا ا » أبو إسماعيل الحسين بن على .

(٥) يزيد « زن » : ابن دارست الفارسى

(٦) يزيد « زن » : الأصم الدزكزينى .

(٧) فى « جت » : منكوبرس .

الحاجب عبد الرحمن[١] ، والأمير الحاجب خاصبك[٢] .

وكانت مدة عمره خمسا وأربعين سنة[٣] ، ومدة ملكه ثمانى عشرة سنة.[٤] وكان قوياً شجاعاً ضخم الجسم كعلى ، كما كان رحيما عادلا ، ولم يكن فى آل سلجوق ملك فى قدرته وقوته؛ وكان زينة للعرش ، وحلية للميدان ؛ فكان يهزم جيشاً بحملة واحدة ، وكان يقتل أسداً بضربة واحدة ؛ وكان مبارك الأثر ، مبارك الظل ، حسن الطبع ، طروباً محبا للمزاح[٥] .

وكان الناس فى عهده مرفهين ، وكانت أبواب النعم مفتحة عليهم ، وكان جيشه مجهزاً معداً ، ورعيته فى أمن وراحة ؛ وإن الذين شاهدوا عصره ليؤكدون صدق الوصف وصحة هذا القول ، فقد كانت الرفاهية واضحة كالشمس المشرقة .

مثل : « ليس الوهم كالفهم ، وليس الخبر كالنظر[٦] » :

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— إن الشخص الذى يبحث عن التاج والعرش ،
ينبغى أن يستعين بالعقل ليكون له كنزا ورأيا وجيشا .
— فكل من يجلس على عرش الملك ، ينبغى أن يكون حازما ، وأن يكون كريما .
— وأن يحفظ روحه نقية من كل سوء ، وأن يسلك بالعلم طريقه إلى الله
— فإن رب الأرض والشمس ، يحاسب على مايلحق الناس
على أيدى الملك والجيش .... من عدل أو ظلم ... !!

(١) يزيد « اا » (ج ١١ ، ص ٥٩) : بن طغايرك ؛ وفى « زن » (ص ١٩٢) بفخر الدين عبد الرحمن بن طغايرك .
(٢) فى « زن » و « اا » : بن ارسلان خاصبك بن بلنكرى .
(٣) من ٥٠٢ إلى ٥٤٧ (اا ، ج ١١ ، ص ١٠٥) .
(٤) من ٥٢٩ إلى ٥٤٧ هـ .
(٥) « زن » ص ٢٢٧ .
(٦) « فق » ورقة ٢٦ ب .

— فلو لقيت ناموسة ظلما من الملك ، فإن روحه تظل مستوحشة فى جهنم.[١]

— والدنيا زائلة يكثر بها المجىء والذهاب ، [ص ٢٢٦]

فإذا شاخ بها فرد زال ... وجاء آخر مكانه[٢]... !!

— فاعلم أن الدنيا لاتدوم لإنسان

وأن تصرفاتها الظاهرة والخفية واحدة بالنسبة للجميع

— فالزم نصيحتى ولا تبتعد عنها ، ولا تسر فى الدنيا إلا فى الطريق المستقيم .

— فإن عرش الملك خرافة وهباء ، فلا ينبغى أن تطمع فى الخلود عليه[٣]... !!

— والأثر الذى يتخلف عنك بعد موتك ، يخلد خلال العصور الطويلة

— فلا يجب أن تترك بعدك إلا الثناء على طيب عنصرك ، وصحة عقيدتك .

— ولا تترك السير فى طريق الله أبدا ،

فإن الخير فى سلوكه والشر فى البعد عنه[٤]... !!

وكان السلطان مسعود سلطاناً محباً للعلماء ، مانحاً للفقراء . آمراً بالعدل بعيداً عن الإثم ، نفوراً من الجهل .

مثل : « ما غنم من أثم ، ولا نبه من سفه » .

وكان يحترس من التنعم والتكلف . كما كان يلاطف المجانين و يأنس إلى الطير ولا يسأم الصيد ؛ وكان ماهراً شجاعاً يخرج لصيد الأسود وحده ؛ وكان عنده حصان مدرب خاص بهذا العمل ؛ وقد رأى مؤلف هذا الكتاب أنه حتى عام سبع وسبعين وخمسمائة ، كانوا يحضرون ذلك الحصان فى أوقات معينة إلى مقبرة السلطان ، وكان يحمل فى الحروب تيمناً[٥] وتبركا به ؛ وكان هذا السلطان لا يختزن

---

(١) « شه » ص ١٧٢٩ ، س ١٠ ؛ ١٨ — ١٩ ، ٢١ — ٢٢ .

(٢) المرجع السابق ، ١٦٧ ، س ٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٧٥ ، س ٢٤ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٧٦ ، س ٩ — ١٠ ، ١٥ .

(٥) ارجع إلى قصيدة سعد أشرف فى رثاء السلطان فيما بعد .

الذخائر ، فكانت خزائنه فارغة فى أغلب الأوقات ، وكان يهب الأحمال التى تصل من الأطراف بمجرد وصولها إلى مجلسه .

[بيتان فارسيان فى الأصل(١) ، ترجمتهما :]

— إننا فى هذه الدنيا نأكل ونطعم ، ونهب غيرنا المأكل ، ولانذكر الغموم
— ولا نعنى بالمال والديار والعيال ،
وما دام العمر ينقضى ... فلا بقى لنا شىء من هذه الأشياء ... !!

ولما حكم أخوه السلطان طغرل فى همذان فى قصر علاء الدولة كان هو فى بغداد ، فأرسل أمراء العراق رسولا مسرعاً ، وحملوه رسالة هى : « لماذا تقعد ساكتاً وقد تجاوز أخوك طغرل حدوده ...؟ ! إننا نحن أتباعك قلقون ، ننتظر وصول ركابك العظيم ، وعلمك الميمون » .

وكان السلطان داود فى تبريز ، فأرسل إليه الأتابك قراسنقر و بعض الأمراء(٢) رسولا لتحريضه على طلب الملك ، فبادر السلطان بالرجوع ، وفوت [ص٢٢٧] على داود الفرصة .

مثل : « أشد الغصص فوت الفرص(٣) » .

فلما جاوز السلطان حلوان ، كانت الطرق مملوءة بالجليد ، وكانت الرياح والبرودة على أشدها ، فكانوا يستعملون الإبل لتمهيد الطريق ثم يتبع الفرسان إثر الإبل حتى وصلوا إلى همذان فجأة ، فخضع الأمراء .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته(٤) :]

— اعلم أنه أعز من العين ، من تشكر العين رؤيته

(١) هما من نظم السلطان طغرل بن ارسلان (تك ص ٤٧٧) .
(٢) يعنى بالأمراء الأشخاص الذين كانوا مخالفين للسلطان مسعود (تك ص ٤٦٤) .
[المراجع المقصود داود بن محمود بن محمد ، وقراسنقر هو اتابك السلطان داود ووالى آذربيجان]
(٣) « فق » ورقة ٢٦ ب .
(٤) « شه » ص ٥٠ .

وجلس السلطان مسعود على العرش ، ووصل إلى مراد القلب ، وجعل داود ولياً لعهده ، وزوجه ابنته « گوهر خاتون[١] » .

مثل : « لا تقطع قريبا وإن كفر ، ولا تأمن عدواً وإن صغر[٢] » .

[بيت فارسي في الأصل ، ترجمته :]

— لا تقطع أحدا من أقربائك ولو كان عدوا لك
ولا تأمن عدوا وإن كان ضعيفاً ذليلا ... !!

وخرج الخليفة المسترشد بالله — في إثر السلطان — من بغداد قاصداً كهستان والعراق وخراسان .

مثل : « لا خير في عزم بلا حزم[٣] » .

وكان السلطان داود وقرا سنقر قد وعداه أن يلحقا[٤] به ، فلما جاوز الخليفة الدينور ، لحق به السلطان مسعود في « پنج انگشت » فوقعت الحرب ، وهزم أمراء العراق جميعهم[٥] ، ووقف الخليفة على قمة تل ، فأرسل السلطان حاجبه الأمير تتار حتى يقبل الأرض بين يديه ، ويحافظ عليه .

---

(١) « تسك » ، ص ٤٦٤ .
(٢) « فق » ورقة ٢٦ ب .
(٣) « فق » ورقة ٢٦ ب .
(٤) أي أن يلحقا بالخليفة ولكن هذا الوعد لم ينفذ لأن الخليفة لم يذهب إلى الدينور كما كان مفروضا (اا ، ج ١١ ، ص ١٥) .
(٥) وقعت هذه الحرب في رمضان سنة ٥٢٩ (« اا » ج ١١ ، ص ١٤ — ١٦ ، و « زن » ص ١٧٦ — ١٧٧) في وادي « مرك » (ويذكره « اا » باسم دايمرج بالقرب من همذان ، أما الحرب التي وقعت في « پنج انگشت » (يذكرها « اا » باسم بنجن كشت) في سنة ٥٣٣ فكانت بين مسعود والملك داود (ارجع إلى « اا » ، ج ١١ ، ص ٣٩) ولما كانت قريتا « داي مرك » و « بنج انگشت » قريبتين كل منهما من الأخرى فمن المحتمل أن المؤلف ذكر المكان الذي وقعت فيه الحرب الثانية في « دايمرك » على أنه « پنج انگشت » .

مثل : « زلة الرأى تأتى على الملك ، وتؤدى إلى الهلك[1] » . [ص ٢٢٨]

وأمر السلطان أن تنصب للخليفة خيمة ، وأن تدق له طبول النوبة ، وأن ينزلوه فى احترام ووقار ، ويرتبوا له جميع وسائل المطبخ والمشرب . فلما توجه السلطان إلى آذربيجان قصد جمع من الملاحدة المخاذيل خيمة الخليفة فى مراغه ، وقتلوه ، فنال درجة الشهادة[2] على أيديهم .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— يا أيها العالم . . ويا أيها الرجل ، لاتلبس ثياب الحرص مرة أخرى . . . ! !
— فقد رأى العرش والتاج كثيرين مثلك ، وستسمع مثل هذه القصة كثيرا
— وقد وصلت إلى المكان الذى أسرعت إليه
وحققت فى النهاية ماتصبو إليه نفسك[3] .
— وأنت أيتها الدنيا ماذا تعملين وقد دبر القدر أمرك ،
وفرغ صاحب الكون من شأنك[4] ،.. ؟ !
— ويا أيها الشيخ ارفع رأسك عن الهوى والغرور ، فلم يولد شخص إلا ليموت[5]... !!
— لقد كان قبلك ملوك كثيرون فى الدنيا ، وكانوا جديرين بعرش العظمة
— فصادف كل منهم حزناً وسروراً ، ثم تولى وسلم الدنيا لشخص آخر ... !!
— ومتى سحقك الفلك بأقدامه الثقيلة ، فإنك لاتبقى فى الدنيا[6]
— ويكفيك التابوت الضيق ، وحينذاك تترك كنزا لشخص آخر ليس جديراً به
— ولا يأخذ ابنك ، ولا أهلك المقربون ولا أصدقاؤك عبرة منك ... !!

---

(١) « فق » ورقة ١٨ — ا .

(٢) كان ذلك فى ١٨ من ذى القعدة من سنة ٥٢٩ (ا ، ج ١١ ص ١٦ س ١٦ — ١٧ ، و « زن » ص ١٧٧ — ١٧٨) .

(٣) « شه » ص ١٩٨ ، س ١٨ — ٢٠ .

(٤) « شه » ص ٣٥٠ س ١٩ .

(٥) « شه » ، ص ١٥٤ ، س ١٣ .

(٦) « شه » ص ٣٠ ، س ١٥ — ١٧ .

— وتكون تركيتك بعد ذلك خبثا وسبا
وتصير جميع أعمالك سوءا وتركل بالأقدام من الجميع[١]... !!
— وهذه طريقة الفلك الدوار ... ما دام موجودا ،
فلِمَ تشغل روحك بالهم والعذاب ؟ ! .

ورجع السلطان من آذربيجان إلى همذان ، وسار على رأس جيش كبير إلى بغداد ، لأن الراشد بن المسترشد كان يفكر فى الخروج على رأس جيش بقصد الانتقام لأبيه[٢] .

مثل : « الحقد صدأ القلوب ، واللجاج سبب الحروب[٣] » .

وكان القحط فى العراق وكهستان[٤] شديداً فى تلك السنة ، فوصل [ص ٢٢٩] الجيش إلى بغداد بمشقة عظيمة ، فلما سمع الراشد بالأمر أسرع بالتوجه إلى إصفهان وحاصرها[٥] وكان الناس يأكلون بعضهم بعضاً من شدة القحط ، وكان سعد الدولة والياً[٦] ، وكان أحد الملاحدة قد اشتغل فى خدمته مدة طويلة ، فانتهز الفرصة[٧] وطعن الخليفة بسكين[٨] .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]
— إذا زرعت بذور الجفاء ... أيها العاقل، فإنها لاتثمر لك إلا القتل والحقد ... !!

---

(١) « شه » ص ١٤٢١ ، س ٥ — ٧ .
(٢) ارجع إلى « ا ا » فى حوادث سنة ٥٣٠ هـ (ج ١١ ، ص ٢٢) و « زن » ص ١٧٩
(٣) « فق » ورقة ١٨ — ا .
(٤) « زن » ص ١٨٠ .
(٥) ذهب الخليفة أولا من بغداد إلى الموصل ، ثم ذهب بعد ذلك إلى آذربيجان ثم جاء من هنك إلى أصفهان برفقة الملك داود (« زن » ص ١٨٠ ، « ا ا » ج ١١ ، ص ٢٦) .
(٦) فى « زن » و « ا ا » سعد الدولة يرنقش الزكوى .
(٧) « ا ا » ج ١١ ، ص ٤١ .
(٨) كان ذلك فى ٢٦ رمضان سنة ٥٣٢ (« زن » ص ١٨٠ ، « ا ا » ج ١١ ، ص ٤٠ — ٤١).

فأخرج السلطان مسعود أمير المؤمنين المقتفى أخا المسترشد ، وبايعه بالخلافة[١] ورجع من بغداد ، وجاء إلى همذان ؛ وكان جماعة من الأمراء قد تعاهدوا مع برسق[٢] حاكم ليشتر[٣] على عصيان السلطان مسعود ، وكانوا يطلبون طلبات مستحيلة ، ويعملون أعمالا غير مشروعة ، وكانوا ينزلون فى مزرعة على باب ليشتر ، فركب السلطان من همذان فى أول الليل ، فوصل إليهم فى وقت الضحى ، وأدركهم فى وقت القيلولة ، وكانوا جميعاً نائمين فلم يؤذ منهم أحداً ونزل فى وسط معسكرهم ، فلما علم الأعداء بالأمر جاءوا فرادى وأزواجاً ، وقبلوا الأرض بين يديه فاستقبلهم جميعاً ، وتجاوز عن أخطائهم .

مثل : « استصلاح العدو بحسن المقال ، أسهل من استئصاله بطول القتال » لأن الاستئصال أمر فيه شك ، أما الوصال فشىء ميسور .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— لو نظرت إلى الزمان لوجدته ليس منا ، فلا يملك شخص منا ميزان القضاء[٤]

— فلا ينبغى أن تفرط أكثر من الحد ، [ص ٢٣٠]

فى الطريق الذى تسلكه إلى الله .

— وما أقبح الصداقة مع شخص ، لا يملك ثروة كبيرة من العلم ... !!

— وكل شخص يضل طريقه فى هذه الحياة يأتى بأعمال مشينة أمام الأعداء[٥]

— والوفاء مثل شجرة مثمرة ، تثمر ثمرا جديدا فى كل زمان ومكان[٦] ... !!

(١) يعنى فى ذى القعدة سنة ٥٣٠ بعد ذهاب الراشد إلى ناحية الموصل لا بعد وفاته كما يعلم من هنا (ارجع إلى « زن » ص ١٨٣ ، « ا » ج ١١ ص ٢٧) .

(٢) ارجع إلى « زن » ص ٧٠ .

(٣) ورد فى « ا » ج ١١ ، ص ٣٠ تستر بدل ليشتر .

(٤) « شه » ص ٢٠٦٠ ، س ١٩ .

(٥) « شه » ص ٩٦٥ ، س ٢٢ .

(٦) « شه » ص ٩٨١ ، س ٢٣ .

وتوجه فى الشتاء التالى إلى بغداد حيث أسند الوزارة إلى محمد الخازن[1] ، وكان رجلا متهوراً قوى الساعد ، ذا كفاية وشهامة ، فكان لا يترك الأمراء يتصرفون ، ولا يراعى حريتهم[2] ، ويعطى الجيش مؤناً بقدر وحساب ، فكتب أمراء الحضرة السلطانية خطاباً إلى « قرا سنقر » إن هذا الوزير يستخف بنا ، وقد غير قلب السلطان عليك ، فإذا لم تتدبر أمره فى الوقت المناسب ، فإنه يزداد قوة ... !

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— إن العمل الذى ينبغى أن تعمله اليوم ، إذا تأخر إلى الغد علاه التراب ... !!

— فالروض الذى يزهر اليوم ، إذ قطفت ورده غدا فإنك تجده ذابلا[3]

— وكل شخص لا يصدق القول معك ، ينبغى أن تعده عدوا لك[4]

فاتفق أمراء الجيش جميعا على مخاصمته .

حكمة : « من لبث[5] ثياب الكبر أحب الناس دوام ذلته ، ومن ركب مطية الظلم كرهوا أيام دولته[6] » .

[بيتان فارسيان فى الأصل ، ترجمتهما :]

— كل من يتعاظم على الناس ، يصبح ذليلا مطأطىء الرأس ... !!

— وكل من يتصرف معهم بحمق وجهل ، لا يذكرونه إلا بالسوء ... !!

---

(١) كان ذلك فى عام ٥٣٣ ، ومحمد خزانه دار (كما فى النص الفارسى) هو كمال الدين محمد بن على الخازن (زن ص ١٨٦).

(٢) « زن » ص ١٨٦ ، و « ا ا ج ١١ ، ص ٤٢ .

(٣) « شه » ص ٢٢٤ ، س ١٧ .

(٤) « شه » ، ص ٢٠٨٤ ، س ١٨ .

(٥) هكذا فى النص الفارسى ، ويبدو أنها خطأ ، وأن الصحيح « لبس » .

(٦) « فق » ورقة ١٤ ب

وجاء الأتابك قرا سنقر في ركاب « سلجوقشاه » من آذربيجان ، ومر على أعلم ، ونزل في مزرعة « سكّ » ، وكان السلطان قد عينه للذهاب إلى فارس ليجلس سلجوقشاه (أخا السلطان) على عرشها ، فأرسل قرا سنقر رسالة من مزرعة « سكّ » يقول فيها : « لن أذهب لتنفيذ هذا الأمر إلا إذا أرسل [ص ٢٣١] السلطان إلى رأس محمد الخازن ويده اليمنى »

وكان جميع الأمراء يساعدونه في هذا المطلب[١] .

مثل : « ظن العاقل أصح من يقين الجاهل[٢] » .

[بيت فارسي في الأصل ، ترجمته :]

— ظن العاقل في السر والإعلان ، أفضل من علم الجاهل مهما كان ... ؟!

وأصر على ذلك حتى اضطر السلطان إلى قطع رأس محمد الخازن و يده تحت العلم ، وأرسلهما إلى قرا سنقر[٣] .

[بيتان فارسيان في الأصل ، ترجمتهما :]

— ألم تسمع من العالم هذه القصة ، التي نقلها عن أقوال القدماء ... !!

— وهي أن من يريد أن يمسك بعنان العظمة ، ينبغي أن يغسل يده أولا بالدماء.

وذهب قرا سنقر إلى فارس وهزم منكو برس[٤] ، وأجلس سلجوقشاه[٥]

---

(١) « زن » ص ١٨٧ ، « اا » ج ١١ ص ٤٢ .

(٢) « فق » ، ص ١٧ أ .

(٣) كان ذلك في شوال سنة ٥٣٣ هـ (« زن » ، ص ١٨٧ ، وكانت وزارته سبعة أشهر (« اا » ، ج ١١ ، ص ٤٢) .

(٤) كذا في « تسك » و « جت » ويبدو أن المؤلف قد خلط بين بوزابه ومنكوبرس فبوزابه كان نائبا لمنكوبرس ، وقد أسر منكوبرس قبل ذلك بعام (في سنة ٥٣٢) في موقعة پنج انگشت (« اا » : پنج كشت) وقتل بأمر السلطان مسعود (ارجع الى « ا » ج ١١ ، ص ٣٩) فلما سمع بوزابه أن صاحبه قد قتل ، قام بقتل جميع الامراء المخالفين الذين كان قد أسرهم في الموقعة من شدة غيظه ، وكان واحد منهم ابنا لقراسنقر ويقال إن أحد العوامل التي دفعت قراسنقر إلى السير لقتال بوزابه رغبته في الانتقام لابنه (ارجع إلى « اا » ج ١١ ، ص ٣٩ — ٤٠ ، و ٤٦) .

(٥) « زن » ص ١٨٨ ، و « اا » ج ١١ ، ص ٤٦ .

على عرشها،وأسندت الوزارة إلى عز الملك الذى كان رئيساً لبلاط قرا سنقر[١] ، ولم يستطع قرا سنقر الإقامة فى فارس فتركها ، ورجع منكو برس إليها مرة ثانية[٢] ، وكان سجلوقشاه مريضاً ، فعجّل بالهرب محمولا فى محفة، فتقدم « منكو برس » أمام المحفة ، وقبل الأرض بين قدميه ، وقال : « أنا عبد ... والملك لك ، فلماذا تهرب ...؟ » .

مثل : « من قصر عن السياسة صغر عن الرياسة » .

وحمل سلجوقشاه إلى المدينة ، وسجنه فى القلعة البيضاء[٣] حتى توفى ، فلما وصل قراسنقر إلى همذان ليلتحق بخدمة السلطان الأعظم وجد [ص ٢٣٢] منه تشريفاً ملكياً كبيراً ، ثم توجه قرا سنقر إلى آذربيجان حيث انتقل إلى رحمة الله[٤] .

و بعد وفاته ، عظم شأن جاولى الجاندار[٥] ، ثم توجه السلطان مسعود من همذان إلى الرى ، لأن السلطان الأعظم سنجر لم يكن راضياً عن عباس واليها فأمر مسعوداً بالتوجه للقبض عليه ، والاستيلاء على الرى[٦] .

مثل : « استعن بالصبر على أعمالك ، واستظهر بالزجر على عمالك تبلغ مرادك ، وتعمر بلادك[٧] ».

---

(١) « زن » س ١٨٧ و « آ » ج ١١ ، ص ٤٢ .

(٢) بوزابه (ارجع إلى « زن » س ١٨١ ، و « ا » ج ١١ ، ص ٤٦) .

(٣) تذكر فى النص الفارسى باسم قلعه سپيد » وفى «زن» س ١٨٩ باسم « اسفيدز » وفى « ا » ج ١١ ، ص ٤٦ باسم القلعة البيضاء وكلها بمعنى واحد .

(٤) توفى بأردبيل سنة ٥٣٥ (« زن » ، ص ١٩٠) .

(٥) « زن » ، ص ١٩١ .

(٦) (ا) ، ج ١١،ص٥٤ .

(٧) « فق » ورقه ١٤ ب .

[بيتان فارسيان فى الأصل ، ترجمتهما :]

— اصبر طويلا على الأعمال ، واقس بين حين وآخر على العال ،
— حتى تصل إلى منى القلب ومراده ، وتعمر دولتك بالأموال ... !!

فلما وصل السلطان مسعود إلى الرى ، قدم له عباس هدايا عجيبة ، واستقبله أروع استقبال ، وتقدم لأداء واجب الولاء والعبودية له ، فلم يعاقبه السلطان ولم ير من المصلحة القبض عليه ، لأنه كان رجلا محارباً[1] ، فخشى مغبة الأمر إذا أقدم على ذلك .

حكمة : « إن حاجة السلطان إلى إصلاح نفسه أشد من حاجته إلى إصلاح رعيته لأنه إذا أصلح نفسه صلحت رعيته ، وإذا أحسن سيرته ثبتت وطأته ، ثم يبقى له جميل الأحدوثة والذكر ، ويتوفر عليه جميل المثوبة والأجر[2] » .

[بيتان فارسيان فى الأصل ، ترجمتهما :]

— إذا أراد الملك صلاح نفسه ، فهذا خير له من صلاح أتباعه
— فإن هذا يجلب له السيرة الحسنة ، والسمعة الطيبة ،
ويجزل له الثواب يوم القيامة أيضا ... !!

وجاء السلطان إلى همذان ، ثم توجه من هناك إلى إصفهان ، وكان فيها الأمير الحاجب عبد الرحمن ، فاتحد معه رؤساء الأمراء فى محاربة الوزير عز الملك وأقنعوا السلطان بأن يأخذه معه إلى إصفهان ، ويسلمه إلى الأمير الحاجب تتار .

فلما وصل إلى باب همذان توفى عز الملك[3] ، وأقام عبد الرحمن حفلا

---

(١) لأنه كان يحارب دائما مع الباطنية (ارجع إلى « زن » ص ١٩١ — ١٩٢) .
(٢) « فق » ورقه ١٥ — أ .
(٣) كان ذلك فى سنة ٥٣٩ ، وخنق عز الملك البروجردى ، خنقته زوجة مؤيد الدين المرزبان وزير السلطان (ارجع إلى « زن » ص ١٩٥ — ١٩٦) .

للسلطان لم تسبق إقامته فى عهد من العهود ، فقد أظهر فيه أنواع الأبهة [ص ٢٣٣] وقدم فيه أفخر الهدايا والهبات .

وكان بوزابه وعبد الرحمن وعباس قد تعاهدوا على مخالفة السلطان ، فدعاهم عبد الرحمن ، ولكن بوزابه لم يلبث أن أحضر « محمدا وملكشاه » فجأة إلى باب[1] إصفهان ، ولم يكن مع السلطان جيش ، فأمر الأتابك ايلدگز — الذى كان أكثر الأمراء إطاعة له — أن يحضر من آذربيجان وينضم إليه ، ولم يكد ايلدگز يسير ثلاث مراحل فى طريق بغداد حتى نزل بوزابه فى همذان ، ولكن ايلدگز[2] لم يلبث أن وصل على رأس جيش كبير يضم الأمراء والأبناء ، وانضم إلى ركاب السلطان فى كرمانشاهان ، غير أن الثلوج نزلت فى حلوان ، بصورة لم يسبق لإنسان أن شاهدها من قبل فى مثل هذه المناطق الباردة فى الشتاء[3] ، فأقام السلطان أشهر الشتاء الأربعة فى بغداد ، ثم توجه إلى آذربيجان عن طريق « دربند قرابلى » وأودع الملك ارسلان ، وملكشاه بن سلجوق ، اللذين كانا ملازمين لركابه ، فى قلعة تكريت لدى الأمير مسعود[4] حاكم بغداد ، وتوجه السلطان بعد ذلك إلى مراغة ، وجاء أمراء آذربيجان ، الذين كانوا فى خدمة جاولى ، للانضمام إلى ركاب السلطان[5] ، ولم يلبثوا أن التحقوا بخدمته فى ميانه بعد بضعة أيام .

---

(١) « اا » فى حوادث سنة ٥٤٠ (ج ١١ ، ص ٦٨ — ٦٩) و « زن » ص ١٩٨
[المراجع : محمد وملكشاه هما ولدا محمود بن محمد بن ملكشاه]

(٢) كذا فى « جت » و « ع » و « رس » و « حس » ولكن فى « زن » يذكر مكان الأتابك ايلدگز « جاولى » .

(٣) « زن » ص ١٩٩ — ٢٠٠ .
[المراجع : ارسلان هو أرسلان ظفر الدين محمد وملكشاه هو ملكشاه بن سلجوق بن محمد

(٤) « زن » مسعود البلالى وفى « اا » مسعود بن بلال .

(٥) « زن » ص ٢٠٠ .

مثل : « من أصلح نفسه لله صلحت رعيته ، ومن أطاعه فى أمره ونهيه وجبت محبته وطاعته[١] »

وكان السلطان فى ذلك الوقت قد قرب خاصبك بك ارسلان بن بانكرى ، فشق ذلك على أمراء حضرته وأخذوا يدبرون المكائد لقتله ، وشكوه إلى جاولى حتى أفسدوه عليه أيضاً ، واشترك معهم فى ضرورة أسره ، فترامى الخبر بذلك إلى سمع السلطان ، فأرسل رسالة إلى جاولى يقول فيها : « لقد طلبتك لدفع العدو ، فحاولت القضاء على ... !! » .

[بيت شعر[٢] عربى فى الأصل]

أعلمه الرماية كل يوم   فلما اشتد ساعده رمانى

فالتمس جاولى الأعذار ، وبرأ نفسه من هذا القصد السىء ، وأمر [ص ٢٣٤] السلطان خاصبك بالذهاب إلى الميدان وإظهار مهارته فى الفروسية لجاولى ، حتى يكون للسلطان عذر فى إعزازه وتقريبه ، والترحيب به وتدليله ؛ فلما أبصر جاولى طريقة لعبه للكرة ، وكيفية إجرائه للحصان ، تعجب تعجباً شديداً ، واعترف بأنه لا يوجد له نظير فى سائر الأقطار .

مثل : « من أسهر عين همته ، بلغ كنه فكرته »

وأمر جاولى بإكرام خاصبك ، وتقديم أفخر أنواع التشريف له ــ من حصان وطوق وتاج مرصع وحلل ثمينة ــ وأرسله إلى بلاط السلطان مبجلا[٣]

---

(١) « فق » ورقة ١٥ ــ ا .

(٢) من نظم مالك الأزدى [ارجع إلى تاريخ الأدب العربى لنيكلسون ص ٣٤] .

(٣) ارجع إلى « رس » فى ذكر السلطان مسعود .

[بيت فارسي فى الأصل ، ترجمته[1] :]

— لا تتراخ فى عمل الأمر ، الذى فيه صلاح دولتك

وجاء من « ميانه » إلى « زنجان » ، وكان الملك سليمان قد نزل بأَنْبِطْ[2] قادما من ناحية أعلم ، هو وعباس ومعهما جيش كثير العدد ، وكان بوزابه هناك أيضاً ومعه الملكان محمد وملكشاه ابنا السلطان محمود ، وكان جند السلطان يخشونهم فاحتمى السلطان بحمى الرحمن ، ولم يأبه بوجودهم .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— الحق شفيع ميسر للأمور ، ومرجع الأمور جميعها إليه

— وليست هناك شربة بلا غصة ، ولا توجد حلاوة بلا مرارة

— فاعلم أن الراحة والتعب والنور والظلمة

متلاحقة كالسبعة عشر والثمانية عشر

فلما اقترب السلطان منهم جداً ، حدد وقت الفجر موعداً للقتال ، فتوجه الملك سليمان فى المساء إلى ارى وشعر بذلك عباس ، فتوجه لتوه فى إثره ، فلما ترامى الخبر إلى سمع بوزابه ، خاف وقال : « إن تحت هذه الحركة المفاجئة سراً خفياً » وحاول فى اليوم التالى أن يلحق بركاب الملكين فى طريق إصفهان ، فأرسل السلطان الأمير جاولى على رأس جيش كبير فى إثرهم ، فلم يدركهم ، ورجع ثانية[3] .

[بيت فارسي فى الأصل ، ترجمته :]

— لاتقلق من تأخرك فى الوصول إلى رغبات قلبك [ص ٢٣٥]

فإن السعادة ستجلبها فى يُسْرٍ إليك ... !!

---

(١) من مثنوى « ليلى ومجنون » لنظامى الگنجوى فى « ختم الكتاب » (خمسه نظامى طبع طهران ، ص ٢٧٧) .

(٢) هكذا ضبطها ياقوت فى معجم البلدان .

[المراجع : سليمان المذكور هنا هو سليمان بن محمد بن ملكشاه أخو السلطان مسعود]

(٣) « تگ » ، ص ٤٦٦ ، و « زن » ص ٢٠١ — ٢٠٢ .

ثم سار السلطان من أنبط فى طريقه إلى الرى ، ونزل فى « آخر رستم » بالقرب من باب الرى فهرب عباس إلى « أردهن » بينما خف الملك سليمان لاستقبال السلطان ، وتقبيل الأرض بين يديه ، فأكرم السلطان[1] وفادته ، والتحق بخدمة السلطان فى الرى ، وكان يحضر معه فى المجلس ، ويذهب معه إلى الميدان ، ولكن الأمير الحاجب عبد الرحمن والأمراء الآخرين قالوا للسلطان : « إن هذا الملك أخوك ، وأخو الملك يكون عادة خصما للعرش ، فلا ينبغى أن تطمئن إليه ، فقد تخدعه جماعة ، وتدفعه إلى العصيان ، فيعلن الثورة فى ناحية من النواحى ، ويكون مصدر قلق لنا » .

فأثر هذا الكلام فى السلطان ، فأمر — بعد شهر — بحبس سليمان فى الحجرة التى كان يقيم فيها[2] .

ثم تشاور عبد الرحمن مع عباس ، وزاد فى ترغيبه ، فجاء عباس من « أردهن » وانضم إليه .

ولما رجع جاولى من مطاردة بوزابه ، أودع السلطان لديه ابنه ملكشاه الذى كان من زوجته « عرب خاتون » وجعله أتابكا عليه ، بعد أن أحضره له من قلعة برجين[3] ، وأرسل سليمان إلى قلعة فرحين[4] .

---

(١) ارجع إلى « جت » ورسالة الجوينى فى ذكر هذه الحادثة .

(٢) « تسك » ص ٤٦٦ ، « زن » ص ٢٠١ ، وكان ذلك فى سنة ٥٤١ هـ .

(٣) كذا فى « اا » قال هى قلعة بين بروجرد وكرج (« اا » ج ١٠ س ٣٩١ ، ٤٢٣)

(٤) ذكر هذا الموضوع مرارا فيما بعد ، ويعلم من ذلك أنه كان قريبا من كاباله التى كانت موضعا بين جرباذقان وهمذان ، ويحتمل أن يكون « برجين » و « فرحين » و « فرزين » التى ذكرت فى هذا الكتاب بضع مرات اسما لمكان واحد كانت قلعة على باب كرج ، ولو أن الكلمة ذكرت فى الكتاب باسم « فرحين » إلا أنه يغلب على الظن أن الصواب « فرجين » بالجيم لا بالحاء ، كما يبدو أن « برجين » و « فرزين » شكلان آخران لنفس الاسم .

ثم توجه السلطان والأمراء إلى باب همذان ، بينما توجه جاولى إلى ناحية آذربيجان ، وقد شرفه السلطان ، وخصه بخلعة ثمينة ، تليق برجل عاقل مثله ، فريد فى عصره ،فلم تمنح — مثل هذه الخلعة — لأحد غيره من زملائه .

[أبيات فارسية فى الأصل[1] ، ترجمتها :]

— اعلم أيها الأخ أن الرجل العاقل ، يستطيع أن يؤدى للملك جميع الأعمال
— فيكون أولا بطلا مظفرا ، فلا يهرب من العدو وقت القتال
— ويكون ـ ثانيا ـ رحيما مع أتباعه ، يرعى الشيوخ ويحوطهم بالأفضال
— ولا يكون ممسكا مقترا ، لأن الثمار ينبغى أن تسقط من الأغصان [ص ٢٣٦]

فلما وصل جاولى إلى زنجان احتجم ، ولكن السلاح وقع على عرقه ، فقطعه فمات[2] .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— إذا اعوج سير الفلك فى مداره ، فلا نفع فى سرعته أو تمهله ...!!

[بيتان فارسيان فى الأصل[3] ، ترجمتهما :]

— إن العجلة لاتثمر لك إلا ندما ، فلا تبذر بذور العجلة فى الحديقة
— فالعجلة تذهب ماعند الإنسان من فضل وعقل
كما يصير السيف كليلا من الصدأ ...!!

وعين السلطان بعد ذلك الأمير عبد الرحمن أتابكا لابنه ، وأسند إليه ولاية گنجه وأران[4] .

---

(١) « شه » ص ١٤٥٦ ، س ١٣ — ١٤ ، ١٨ — ١٩

(٢) كانت وفاته فى جمادى الآخرة سنة ٥٤١ هـ (« زن » ص ٢٠٣ — ٢٠٤ ، « ا » ج ١١ ، ص ٧٧) .

(٣) « شه » ص ٥٨٩ ، س ٢٠ و ٢٦ .

(٤) « زن » ص ٢١٥ ، و « ا » ج ١١ ، ص ٦٩ .

مثل : « من نظر فى العواقب ، سلم من النوائب[١] »

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— إن من ينظر فى عواقب الأمور ، ينجى نفسه من نوائب الدهور

وأرسل عبد الرحمن عدداً من الأمراء فى ركاب ابن السلطان إلى أران ، وأقام هو فى الحضرة السلطانية ، وكان يقول للسلطان دائماً : « إن بوزابه تابع لائق ، فلا ينبغى أن ينفر من حضرتك أو يبعد عن خدمتك ، وسوف أذهب وأحضره للالتحاق بخدمتك » .

مثل : « من استصلح الأضداد بلغ المراد »

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— يبلغ الإنسان كل مراد ، إذا استصلح الأعداء والأضداد ... ! !

فأذن السلطان لعبد الرحمن فذهب إلى فارس ، ثم توجه السلطان إلى همذان ، وسار منها إلى جرباذقان ؛ حيث كان يوجد الملك محمد ، وهناك قابله عبد الرحمن و بوزابه على باب المدينة ، وقبلا يديه ، وشربا الشراب بضعة أيام فى ضيافته ، ثم سار الملك محمد و بوزابه إلى باب همذان عن طريق كابله ، بينما سار السلطان عن طريق آخر فلما وصلوا إلى همذان زوج السلطان أبنته « گوهر خاتون » التى كانت فى عصمة الملك داود — للملك محمد ، وجعله ولياً لعهده[٢] ، وعين بوزابه حاجبا وأتابكا للملك محمد ، بموافقة الأمير الحاجب عبد الرحمن ، [ص ٢٣٧] وخصه من أنواع التشريف بما كان جديراً به[٣] ، وأسند بوزابه[٤] وظيفة

---

(١) « فق » ورقة ١٦ ب .

(٢) « زن » ص ٢٢٢ .

[المراجع : المقصود بالملك محمد هو محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه]

(٣) « تحك » ص ٦٧ ؛ .

(٤) فى « جت » عبد الرحمن .

نائب الحاجب للعباس حتى يكون فى حضرة الملك ، وأسند الوزارة إلى تاج الدين بارس ، ثم توجه[١] فى ركاب الملك محمد إلى فارس .

مثل : « من كثر اعتباره ، قل عثاره[٢] » .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— إن كل من ينتصح بأفعال الزمان ، تبعد دولته عن الزوال والنقصان

وأراد عبد الرحمن أن يذهب إلى ناحية گنجه وأران ، فالتمس من السلطان أن يرسل معه الأتابك شمس الدين ايلدگز ، وخاصبك ، وبهاء الدين قيصر ، لأنه لم يكن يطمئن لبقائهم فى حضرة السلطان بعد ذهابه

مثل : « من ترك حزمه ، أعان خصمه »

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— كل من يتهاون فى الحزم والعزم ، يقدم مساعدة كاملة للخصم

وذهب السلطان إلى بغداد ، وفى معيته عبـــاس ، وتاج الدين الوزير ، أما الأمراء الذين كانوا قد ذهبوا مع عبد الرحمن ، فكانوا جميعاً متحدين ، مستعدين للتضحية ، وكانوا يعرفون مادار بين عبد الرحمن و بوزابه من أحاديث ، وكانوا قد قالوا للسلطان : « لن نبقى على عدوك عند ما تتهيأ لنا الفرصة » .

مثل : « من لم يستشر لم يستظهر » .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— كل من يذهب فى عمل دون مشورة ، لايجد ـ فى الحقيقة ـ التأييد والنصر

---

(١) يعنى بوزابه .

(٢) « مق » ورقة ١٦ ب .

و بعد وقت قصير وصلت الأنباء فجأة إلى بغداد ، بأنهم قد قتلوا عبد الرحمن فى مقابل « گنجه » بينما كان يرسل الجيش إلى شمكور[1] ، وأن خاصبك قد أصبح أتابكا لابن السلطان .

مثل : « من أحكمَ التجاربَ ، أحمدَ العواقبَ[2] » .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— تحسن عاقبة الشخص الذى يحكم كل تجربة يقوم بها

ولم يعاقب السلطان ابن عبد الرحمن — فخر الدين — ولكنه عزله عن ولاية بغداد وأسند إليه أمر خلخال . [ص ٢٣٨]

حكمة : « أفِضْ على جُندِكَ سَيْبَ عَطائِك ، وَاصرِفْ إليهم حُسْنَ عِنايَتِكَ و إرعائِك ، فإنّهم أهلُ الأنفَة والحميةِ ، وحَفَظَةُ السُّدَّةِ والرعيّةِ ، وسيوفُ الملكِ والسلطان ، وحصونُ الممالكِ والبلدان ، بهم تُدْفَع العوادِى ، وتُقْهَرُ الأعادِى ، ويُتْرَكُ الخَلَلُ ، ويُضْبَطُ العَمَلُ ، فَقَوِّ ضعيفَهم يَقْوَ أمرُك ، وأَعِنْ فقيرَهم يشتَدّ أزرُك ، وامتَحِنْهُم قبل الفَرْضِ ، واختَبِرْهم عند العَرْضِ ، ولا تُثْبِتْ منهم إلا الوفِيّ الكَمِيّ الذى لا يعدِل عن الوفاء ، ولا ينْكُلُ عن الهيجاء ، فإن المُرَادَ بهم قوةُ العُدَّةِ لا كثرةُ العِدَّة ، و إن أصاب[3] أحدٌ فى وقعة تندبه لها ، فلا تَمْحُ اسمه ، ولا تمنعه رسمَه ، و إن قُتِلَ فى طاعتِك واستُشْهِدَ تحتَ رايتِك ، فاكْفُلْ بَنِيه ، واحفَظْهُ فى أهلِه وذَوِيه ، فإن ذلك مما يُزِيدُهُم رغبةً فى خدمَتِكَ ، ويُسَهِّلُ عليهم بذلَ الأرواح والمهجِ فى نُصْرةِ دولتِك وطاعتِك[4] » .

---

(١) « زن » ص ٢١٦ — ٢١٧ ، و « ا ا » فى حوادث سنة ٥٤١ هـ (ج ١١ ، ص ٧٦) .

(٢) « فق » ورقة ١٦ ب .

(٣) كذا فى الأصل ولعل الصحيح « أصيب » .

(٤) « فق » ورقة ١٥ ب — ١٦ أ .

وحينما وصل نبأ قتل عبد الرحمن إلى بغداد ، كان عباس متفقاً مع الخليفة المقتفى على القبض على السلطان عند خروجه لصلاة العيد فى الصحراء ، ولكن حدث أن نزل سيل عظيم يوم العيد ؛ بحيث تعذر الخروج من المنزل ، فدفع الله تعالى هذا الشر عن السلطان ، ثم علم بعد أسبوع أن « عباسا » شعر [ص٢٣٩] بافتضاح المؤامرة ، وأنه قد عزم على الهرب ، فدعاه إلى القصر وقبض عليه ، ثم أمر رجاله ففصلوا رأسه عن جسده ، وألقوا جثته من حائط الحديقة إلى شاطىء دجلة[١] .

مثل : « من كثُر ظلمه واعتداؤه ، قرُبَ هلكه وفناؤه » .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— لا تزرع بذور السوء متى استطعت ،

لأنك إذا زرعتها أعطاك الدهر ثمرة ما زرعت ...!!

— وإذا كان مرشد الشخص أعمى ، فإنه يبقى حائرا فى الطريق الطويل[٢]

— والشخص الذى يحترف إراقة الدماء ، يمتلىء قلب خصمه بالحقد عليه

— ويراق دمه فى النهاية ، كما أراق دماء خصومه ....!!

وكان بين قتل عبد الرحمن وعباس شهر واحد . ثم عزل السلطان تاج الدين ، وأرسله إلى فارس ، وأرسل إلى بوزابه رسالة يقول فيها : « هل رأيت ما حدث لحلفائك ؟ فإذا كانت لك رغبة فى اللحاق بهم ، فباسم الله أقضى عليك »

مثل : « من لم يعتبر بالأيام لم ينزجر بالملام[٣] »

كل من لم ينصحه الدهر ، فإنه لا يتأثر باللوم .

---

(١) « زن » ص ٢١٧ ، « ا » ج ١١ ، ص ٧٦ — ٧٧ ، وكان ذلك فى ذى القعدة سنة ٥٤١ هـ .

(٢) « شه » ، ص ١٩٠٣ : س ٢٨ .

(٣) « نق » ، ورقة ٥ ب — ٦ أ .

وأسند السلطان الوزارة إلى مؤيد الدين الطغرائى[1] الذى امتاز بكمال الفضل ، وجمال العدل ، وغزارة العلم ، فوضع دواة الوزارة أمامه ، بعظمة نامة ، وكان له حظ وافر ، وقسط كامل من العلم والأدب والشعر ولغة العرب ، وكان زينة لتاج السلطان وحلية لعرشه .

وقد أنشد هذه القصيدة ، وهى ثمانون بيتاً من الشعر العربى أمام [ص ٢٠٠] السلطان ، وفى حضرته ، وفيما يلى أبيات من مطلعها ومقطعها :

[مختارات[2] : شعر عربى فى الأصل]

نظرى إلى لَمعِ الوميضِ حَنينُ	وتنفُّسى لَصباَ الأصيلِ أنينُ
ما كنتُ أعلمُ قبلَ نازلةِ الحِمَى	أن الحبايلَ والسِّهامَ عُيونُ
ولقد سَلَبتُ مَرَاحَهُنَّ إلى حِمَى	مَلِكٍ لهُ ربُّ السماءِ مُعِينُ
مسعودِ الميمونِ طائرهُ الذى	جَدُّ المُنيخِ ببابه مَيْمُونُ
ملكُ الملوكِ ابنُ السلاطين الأُولىٰ	ملكوا رقابَ العالمين وَدِينُوا
ركزوا بِبَرْقَةَ والصعيدِ رماحَهُمْ	والهندُ مَرْبطُ خَيلِهِمْ والصينُ
ملكوا الأعنَّةَ والأسنَّةَ والظُّبيَ	تحت العَجاجِ بوارقٌ ودُجُونُ
مَجدٌ تُوُورِثَ كابراً عن كابرِ	والدهرُ مُقْتبلٌ وآدمُ طينُ
للملكِ مأوىً فى ظلالِ لوائِهِ	يأوِى إليهِ النصرُ والتمكينُ

---

[1] يبدو أن المؤلف خلط بين مؤيد الدين الطغرائى ، وشمس الدين أبو النجيب الدركزينى الذى ظفر بمنصب الوزارة بعد تاج الدين ، فإن مؤيد الدين الطغرائى ، كما يتضح من جملة كتب التاريخ ، قد قتل سنة ٥١٤ هـ (يعنى قبل ذلك بثمانية وعشرين عاما) ارجع إلى « زن » ص ١٣٣ ، « اا » ج ١٠ ، ٣٩٦ ، وتوجد ترجمته أيضاً فى تاريخ ابن خلكان ، فى حرف « ح » وقد أسند مسعود إليه الوزارة فى سنة ٥١٣ ، وكانت مدة وزارته سنة وبضعة أشهر فقط .

[2] ديوان الطغرائى ، طبع القسطنطينية ص ٥ — ٨ ، وعنوان هذه القصيدة فى الديوان هو : وقال يمدح السلطان أبا الفتح مسعود بن محمد ، وقد استوزره فى سنة ٥١٣ .

تمشي الملوكُ الصِّيدُ تحت ركابِه ... وبظلِّه بجنــاحِه جبرينُ(١)

بأخيه(٢) شدَّ اللهُ أزرَ جلالِه ... ووزيرُه من أهلِه هارونُ(٣)

يا أيها الملكُ الذي بجـــلاله ... قُضِيَ القضاءُ وكُوِّنَ التكوينُ

مَرْضاتُه تُحْيِي ويُرْدِي سخطُه ... فيهما حياةٌ للورى ومَنونُ

اشْدُدْ يديكَ بحبلِ عَمِّكَ(٤) إنه ... مولاكَ وهو بمـــا تحبّ ضمينُ

واطلع عليه برايةٍ منصورةٍ ... إقبالُه بطلوعهـــا مقرونُ

أبني الملوكِ الصِّيدِ إنَّ وراءكم ... خَطْباً إذا دبَّرْتُموه يهونُ [ص ٢٤١]

غَلَبَ العبيدُ على مقرِّ سريرِكم ... والعبد خوَّارُ القَناةِ مَهِينُ

هيَ جولةُ الضَّحاكِ عَمَّ بلاؤُها ... كلَّ الأنامِ فأين أفريدونُ(٥)

أبْغِي نهاياتِ العُلاَ وسجيَّتي ... تأبى التَّوسُّطَ والتوسُّطُ هُونُ

واسلمْ لأُدْرِكَ فيكَ ما أمَّلْتُه ... ظَنّاً ... وظَنُّ الألمعيِّ يَقِينُ

فوا أسفا على ذلك العصر الذى كان الشعراء فيه يقولون هذا الشعر ، فهم على عهدنا لا يستطيعون إنشاء مثله ، وقد اقترن أمر الوزارة بالضعف والهوان ، فأصبح لا يصير وزيراً إلا من اشتهر بالفساد والفجور و إراقة الدماء .

حكمة : « آفة الملوك سوء السيرة ، وآفة الوزارة خبث السريرة ، وآفة الجند مخالفة القادة ، وآفة الرعية مفارقة الطاعة(٦) » .

---

(١) يقصد جبريل عليه السلام .

(٢) يريد به السلطان « محمود » أخا مسعود .

(٣) فى هذا البيت إشارة إلى قوله تعالى « واجعل لى وزيرا من أهلى ، هرون أخى ، اشدد به أزرى » سورة طه ، آية ٣٠ — ٣٢ .

(٤) يريد به السلطان سنجر عم مسعود .

(٥) المراجع : الضحاك فى الأساطير الفارسية مثال للشر كما أن أفريدون مثال للعدل والخير

(٦) « فق » ورقة ١٦ — ا .

[أبيات فارسية فى الأصل(١) ترجمتها :]

— إذا أصبح الملك ظالما ، فإن الدنيا جميعها تسعى إلى الخلاص منه
— ويستحق اللعنة بعد موته ، ويصير اسمه الملك الفاسق اللعين
— وكل ملك يسلك طريق السوء ، ينبغى أن تنفض اليدين من استصلاحه
— ولسوف يتفرق أتباعه من دياره ، ولا يتردد المخلصون على بابه

فوا أسفا على عصر مسعود الذى لم يكن فيه شخص يؤذى فقيراً ، رغم كثرة ما كان فيه من الحروب والخلافات .

ولما وصل تاج الدين إلى فارس ، وسمع بوزابه هذه الأنباء ، جمع بوزابه جيشاً وأحضر ملكشاه ومحمداً إلى إصفهان ، وانضم إليه « غلبك » حاكمها ، ثم أجلس الملك محمداً على العرش ، وضرب له النوبات الخمس(٢) ، وكان السلطان قد وصل إلى باب همذان قادماً من بغداد ؛ وكان جيشه قليل العدد ، فكان يرسل شخصاً فى إثر آخر إلى خاصبك ، يدعوه إلى الإسراع إليه بالمدد ، وأن يجىء بجيش أران جميعه ، ومعه الأتابك ايلدكز ، والأمير شيرگير أخى الأتابك ارسلان ابه ، وجيش آذر بيجان .

ومن محاسن الصدف أن بوزابه حينما كان يسير من إصفهان ، كان [ص٢٤٢] يتحرك ببطء ، ويهيىء مقاماً فى كل منزل ينزل فيه ، فلم يكد جيشه يصل إلى گوراب(٣) ، حتى كان جيشا أران وآذربيجان قد وصلا إلى همذان ، فأمر السلطان الجند بأن يحطوا الرحال فى ميدان « ديه بيار » ثم توجه السلطان فى اليوم التالى — على رأسهم إلى مرعى (قراتكين(٤)) فلما وصل إلى المرعى

(١) « شه » ص ١٤٥٦ ، س ٦ — ٧ ، ٩ — ١٠ .
(٢) كان ذلك فى سنة ٥٤٢ هـ (« زن » ص ٢١٩) .
(٣) فى « جت » گورآب ، ويقول إن هذا المقام يقع على حدود كرج وسلاخر .
(٤) هى من همذان على مرحلة « زن » ص ٢١٩ .

محوطاً بيمن الله ورعايته ، جاء بوزابه لقتاله فى قرية « كهران » فنشبت الحرب عند ذلك ، وكانت حرباً طاحنة ، بذل فيها بوزابه وأتباعـــه جهداً كبيراً ، وشوهوا ميسرة السلطان ، ثم وجدوا بوزابه فى النهاية مترجلا فى وسط المعركة ، فعرفه خادم من أتباع حسن الجاندار ـ كان يدعى سياهى رستم ـ وكان قد اشتغل فى خدمة بوزابه أيضاً . فقال بوزابه لسياه هذا « لو أعطيتنى حصاناً فإننى سأعطيك نصف ملك فارس » ولـكن سياه حمله إلى حسن الجاندار الذى قاده أسيراً إلى السلطان[1] .

مثل : « من جحد النعمى ، فقد الحسنى[2] » .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— كل من يكفر بالنعمة سريعا ، لا يصيبه خير مطلقا

فأعطى السلطان سيفه الخاص لخاصبك فشطره نصفين ، وأرسل رأسه إلى بغداد ، فعلقوها على باب قصر أمير المؤمنين[3] المقتفى .

مثل : « من جارت قضيته ، دنت منيته[4] » .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— كل شيطان يطول به الزمان ، ويمتد بالقول السيئ منه اللسان[5]

— ينطفىء مصباح العقل أمام عينه ، ويسلب الضياء من روحه وقلبه[6]

— وإن اليد لتبتعد دائما عن الغصن ، الذى يكون ورقه سما وثمره حنظلا

---

(١) «زن» ص ٢٢٠ ويقول «ا ا» إنها فى سنة ٥٤١ هـ ، ج ١١ ، ص ٧٨ .
(٢) «فق» ورقة ٩ ب .
(٣) «زن» ص ٢٢٠ و «ا ا» فى سنة ٥٤٢ هـ ، ج ١١ ، ص ٧٨ .
(٤) «فق» ورقة ١٠ ب .
(٥) «شه» ص ١٨٧٥ ، س ٢٧٨ .
(٦) «شه» ص ١٨٧٧ ، س ٤ .

— ولن يعمر فى الدنيا الإنسان ، لأن الإنسان سيموت ولو عمر طويلا
— فإذا كنت عادلا وتقيا ، فسوف تجد بعدلك الثناء من الجميع
— وإذا كنت سيء الظن مسيئا ، فسوف يجيئك التقريع من السماء[١]
— وسوف ينقضى هم القلب ونعيمه سريعا [س ٢٤٣]
لأن الزمان يحصى أنفاسنا دائما[٢]
— وقد يجمع شخص كنزا من هذا القبيل ، ثم يأتى شخص آخر ويأكله[٣]
— وأنت تتخلص من الروح والجسد فى لحظة واحدة
وحسبك أن تكون عظيما كبير النفس

ورجع كل من الملكين ، وذهبا إلى فارس ، وجاء السلطان إلى باب همذان ونزل فى القصر القديم فى (كوشك كهن) وكانت هذه الحرب فى سنة ٥٤١هـ[٤]. ثم ذهب السلطان فى شتاء تلك السنة إلى ساوه ، وتوجه من ساوه إلى آذربيجان ثم رجع إلى همذان فى نهاية الصيف ، وتوجه بعد ذلك إلى بغداد ، فى آخر خريف سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة . فى شهر شعبان . وكان خاصبك يقنع السلطان بألا يرى عمه ، لأنهم كانوا يرون أن السلطان الأعظم سنجر كان قادماً لقتل خاصبك ، ومعاتبة السلطان مسعود على إعلاء شأن خاصبك ، وإسناد أمر العراق وأران[٥] إليه ، وكان خاصبك يشعر بذلك ، ولكن الرأى استقر فى النهاية على أن يذهب السلطان مسعود ومعه أمراء الجيش إلى لقاء عمه ، وأن يقيم خاصبك والأمراء الآخرون فى أسد آباذ ، ومعهم العتاد والجيش حتى يعود السلطان .

مثل : « من غَرَسَ شجرةَ الحِلْمِ اجتنى ثمرةَ السِلْمِ[٦] » .

---

(١) « شه » ص ٣٦١ ، ١٥ — ١٦ .
(٢) « شه » ص ٢٠١٥ ، س ٢٣ .
(٣) « شه » ص ٢٠٠٣ ، س ٢٢ .
(٤) « زن » و « ا » سنة ٥٤٢ .
(٥) « زن » ص ٢٢٤ ، « ا » ج ١١ ، ص ٨٨ و ٩٤ .
(٦) « فق » ورقة ٩ ب .

وذهب السلطان مسعود على هذا الأساس ، وأرسل الأتابك خاصبك هدايا عظيمة للسلطان الأعظم سنجر ، وقدم له خدمات جليلة حتى رضى عنه[(١)] .

مثل : « جود الرجل يحببه إلى أضداده ، وبخله يبغضه إلى أولاده[(٢)] » .

[بيتان فارسيان فى الأصل ، ترجمتهما :]

— إن كل من يمد يده بالعطاء ، يجعل عدوه يجلس أمامه كالصديق

— والبخل يجعل الابن عدوا ، فالبخيل ذليل . . . وفى عداد الأخساء

وقد أقام السلطان مسعود ثمانية عشر يوما على باب الرى فى حضرة عمه ، فحظى بالتدليل والتشريف ، وقوى به أمراء خراسان ، كما حظى رفاقه بمثل هذا التشريف .

مثل : « المؤاساةُ أفضلُ الأعمالِ ، والمداراةُ أجملُ الخصالِ[(٣)] » .[ص٢٤٤]

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— أفضل الأعمال المؤاساة ، وأجمل الخصال المداراة

ورجع مسعود من الرى فى منتصف رمضان ، ثم توجه إلى بغداد ، وعاد السلطان الأعظم «سنجر» إلى خراسان ، وفى صفر سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، توجه مسعود من بغداد إلى باب همذان ، وذهب فى شهر رجب من هذا العام إلى ساوه ، ثم توجه فى آخر شوال إلى آذربيجان ، وأقام شهرين فى ناحية « دول » على بعد مرحلة من تبريز . وكان الملك محمد بن محمود فى « أرمى[(٤)] » ، وكانت بنت

---

(١) « زن » ص ٢٢٤ .

(٢) « فق » ورقة ٩ ب .

(٣) « فق » ورقة ٩ ب .

(٤) المراجع : بالضم ثم السكون وكسر الميم هكذا ضبطت الكلمة فى معجم البلدان ، وهى أورمية وهذا لفظ الأعاجم .

السلطان « گهر خاتون » فى عصمته ، وكانت بينهما وحشة ، فأرسل السلطان « الرشيد جامه دار » و « موفق گرد بازو » ليحضرا « گهر خاتون » فجاء الملك محمد ـ أيضاً ـ إلى بلاط السلطان .

مثل : « أحسن الآداب ما كفك عن المحارم ، وحثك على المكارم[1] »

[بيتان فارسيان فى الأصل ، ترجمتهما :]

ـــ الأدب خير من المال والأصدقاء ، والطبع الحسن أفضل من جميع القرناء
ـــ فكل من يجعل كلامه لطيفا ، يصير قلب الصخر الصلد عليه عطوفا ...!!

ثم جاء السلطان فى فصل الصيف ، فى شهر صفر سنة خمس وأربعين وخمسمائة ، إلى باب همذان ، وتوجه بعد ذلك فى فصل الشتاء فى رجب من نفس العام[2] إلى ساوه .

[بيتان فارسيان فى الأصل[3] ، ترجمتهما :]

ـــ حينما يلى الملك العرش يجب أن يكون منذ البداية سليم الجسم آمنا من الأعداء
ـــ وأن يكون عاقلا يتعفف عن اغتصاب الأموال طمعا ،
حتى لايزيد ذلك فى آلامه وحرصه وأحقاده

وفى آخر شوال من هذه السنة ذهب إلى آذربيجان مرة أخرى ، وحاصر مراغه ، وفتحها فى يومين ، وخرب سور المدينة ، وكانت بين خاصبك بلنكارى ، والأتابك «ارسلان ابه» وحشة ، فتوسط الأمر بينهما ، وأزالوا الوحشة ، [ص ٢٤٥] وقابل كل منهما الآخر على باب قلعة «روئين»[4] ، ثم رجع السلطان ، ووصل

(١) « فق » ورقة ١٩ أ .

(٢) « زن » ص ٢٢٦ .

(٣) « شه » ص ١٦١٩ ، ص ١٧ — ١٨ .

(٤) اسمها بالفارسية « روئين دز » قال « ا! » هى قلعة قرب مراغة وهى من قلاع آذربيجان ، من أحسن القلاع وأمنعها ، لا يوجد مثلها (« ا! » ج ١٢ ، ص ٣٢٢) .

إلى همذان ، ثم توجه إلى بغداد فى فصل الخريف ، من سنة ست وأربعين وخمسمائة ، وهناك تمتع برياضة الصيد ، وأبدى نشاطاً كثيراً ، وكان ملكشاه فى ركابه ، فخصه بالتشريفات الكبيرة ، وأعطى الأمراء هبات جزيلة [١].

مثل : « عادة الكرام الجود ، وعادة اللئام الجحود [٢] » .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— كل من ليس عنده شىء من الجود والحياء
فإن موته أولى من عدّه بين الأحياء ...!!

وجاء فى أوان الربيع إلى همذان ، ونزل بالقصر الصغير ، وكانت الدنيا قد أسلمت إليه العنان ، فأطاعه أمراء الأطراف ، وانقادوا إليه ، وقهر الخصوم وصار الجيش مجهزاً بالعدة والعتاد ، وأصبحت الرعية فى رفاهية وهناء .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— إذا خفق قلب الملك بالحب ، فإن الفلك يجعل كل الأمور من حوله سعيدة
— وما أسعد الملك العادل المطيع لله ، الذى تسعد بفضله قلوب رعيته
— ومن الواجب أن يكون للملك عقل راجح ، حتى يحنو على الشيخ والشاب [٣]

وفى جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وخمسمائة [٤] ، ظهرت على الملك علة يسيرة ، وكان « أبو البركات الطبيب [٥] » قد وصل من بغداد ، فاشتغل

---

(١) « زن » ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ .
(٢) « فق » ورقة ٩ ب
(٣) « شه » ص ١٤٥٥ ، س ١٩ ، ٢٥ .
(٤) ورد فى « ا » و « زن » و « جت » و « تك » ، أن هذا المرض كان فى سنة ٥٤٧
(٥) هو أوحد زمانه أبو البركات هبة الله بن على بن ملكا البلدى الطبيب (ارجع فى شرح حاله إلى عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة — ج ١ ، ص ٢٧٨ إلى ٢٨٠ — وارجع أيضاً إلى تاريخ الحكماء لابن القفطى طبع ليبزج ص ٣٤٣ — ٣٤٦) .

هو والأطباء الآخرون ـ الذين كانوا فى البلاط ـ بمعالجته ، ولكن المرض اشتد أسبوعاً ، ثم انتقل السلطان إلى رحمة الله ، فى ليلة غرة رجب ، فى القصر الجديد الذى كان قد بناه فى وسط الميدان ، ونقلوه فى نفس الليلة إلى همذان ، حيث دفنوه فى مدرسة سر برزه(١) .

وقد قال سيد أشرف المرثية التالية ، وأنشدها فى حضور أمراء الدولة :

[مرثية(٢) : ترجيع فارسى فى الأصل ، ترجمته :] [ص ٦ : ٢]

(البند الأول) :

ـــ لقد مات ملك العالم . . . ونحن صامتون هكذا
فأين آلاف الأصوات للبكاء والنحيب عليه ... !!

ـــ فيا أيتها المسكوكات ... لقد بقيت بغير عيار ، فلم يعد لك فائدة
ويا أيتها الخطب ... لقد سقط عنوانك ، فلمن توجهين ؟ ! .

ـــ ويا سيف ... أقطر دما حزنا على فراق قبضة مسعود لك
ويا طبول ... زمجرى اضطرابا على ذهاب راية أبى الفتح

ـــ ويا أيتها السلطنة المشرقة كالصبح شقى الثياب حزنا عليه
ويا أيتها المملكة المظلمة من بعده . . . قصى الشعر حتى الأذن ألما على فراقه

ـــ ويا سهم السماء ... مزق عنان الأفلاك
ومزق درع الملك فلا يصلح لأحد من بعده ... !!

ـــ ويا تاجا . . . ازدرد التراب مادام عقد الملك قد انفرط
ويا عرش السلطنة ... اشرب السم ما دام الملك قد مات ...!!

(١) « زن » دفن بهمذان فى مدرسة بناها جمال الدين إقبال الخادم الجاندار ، ويعلم من « جت » أن سربرزه » كان اسم المحلة التى كانت فيها هذه المدرسة .

(٢) ديوان سيد أشرف (حسن الغزنوى) نسخة المتحف البريطانى ، ورقة ١٢٨ أ (Or. 4514)

— ويامظلة الملك ... إن لونك الأبيض قد تحول إلى سواد
فاصطبغى الآن باللون الأزرق حزنا عليه حتى تصيرى كلون سيفه
— لقد مات الملك مسعود الذى تشبه سيرته سيرة الملائكة
ومضى كالملاك من فوق الأفلاك ...!!

(البند الثانى):

— ياملبكى . لعلك قد ذهبت للقتال فى الميدان
أو غدوت لتمتع فى البستان ...؟!
— أو تركت ملك العراق بعد تنظيمه
وذهبت لإقرار الحالة فى ملك خراسان
— لقد بسط ملوك العالم أيديهم بالظلم ،
فلعلك قد ذهبت لتأديبهم وزجرهم ...!!
— وكان ينبغى لملك كريم مثلك أن يجود بكنوز الأرض
فلعلك آثرت أن تذهب تحت التراب من أجل هذا الغرض ...!!
— أيها الرجل القوى الحر المحافظ على التقاليد القديمة ،
يخيل إلى أنك ذهبت إلى الغابة لصيد الأسود ...!!
— أو لعلك أسرعت إلى المراعى ، [ص ٢٤٧]
لتتمتع بلعب الكرة وأخذها بمضربك المديد المنحنى ...!!
— لا . لا . لقد ناداك رسول الله محمد ... أيها السلطان
فأسرعت فى الحال إلى جنة الرضوان ...!!
— لقد مات الملك مسعود الذى تشبه سيرته سيرة الملائكة
ومضى كالملاك من فوق الأفلاك ...!!

(البند الثالث):

— يا من كنت للملوك مثل رسول ،
ورعيت الأتباع مثل أخ مشفق ...!!

— إن كل عين تبكى بسبب وفاتك ، فتجرى دموعها كالينابيع ،
وكل قلب يحترق بسبب فراقك فكأنه الجمرة ... !!
— ولقد غاصت قدم الدنيا فى الوحل حسرة عليك ،
وهال الفلك فى مأتمك التراب فوق رأسه ... !!
— فبالأمس كنت تنشر السرور فى كل مكان ،
ومأتمك اليوم يشمل جميع الأقطار والبلدان ... !!
— وأى عجب فى أن يستخرجوا الجواهر من التراب
ما دام الفلك قد وضع جوهراً مثلك فى التراب ... !!
— فوا أسفا لقد هزم الدهر جيش عمرك ،
يا من حطمت دائماً الجيوش بحملة واحدة ... !!
— وأى عجب فى أن يصير الآب (الفلك) يتيما بعد موت ابنه
فلقد فارق ملكا يشبه فى عظمته عظمة السلطان سنجر
— لقد مات الملك مسعود الذى تشبه سيرته سيرة الملائكة
ومضى كالملاك من فوق الأفلاك ... !!
(البند الرابع) :
— يا شمس السماء ... لقد ذهبت وتركت قمرا
ويا ملكا ... لقد مضيت وتركت ملكا
— ويامن جعلت سموم الحياة شهدا
لقد تركت فى الحقيقة نبتا مباركا (ملكا) فى هذه الحياة .
— يا من ذهبت ، وكنت كيوسف على عرش المملكة
وتركت مثله بذور السعادة فى البئر ... !!
— لقد ذهبت ... وتركت الحظ الحسن للملك ملكشاه ، [ص ٢٤٨]
والحق أنك تركت له سنة حميدة وطريقا معبدا ... !!
— لقد تركت له ملكا مشرقا على الزمان ،
وخلفت له جيشا أكثر من النجوم عددا ... !!
— وتركت فى الوقت نفسه رجلا مثل ركن الدولة والدين
خاصبك لكى يقوم برعاية الجيش والملك ... !!

- ولكى تثبت أنه لم يكن هناك ملك مثلك
تركت فى الأمة رسولا شاهدا عليك من بعدك
- لقد مات الملك مسعود الذى تشبه سيرته سيرة الملائكة
ومضى مثل الملاك من فوق الأفلاك ...!!

(البند الخامس) :

- فاعتبر أن ملك العالم إذن هو ملكشاه بن محمود
واعلم أن صاحب الحظ الحسن هو ملكشاه بن محمود
- فقد كان الملوك والسلاطين جميعا كالمنجم ،
وأما الياقوت فهو ملكشاه بن محمود ...!!
- فهو السلطان غياث الدنيا والدين ذو النفس الطاهرة ،
فاعلم أن مطمئن الأرواح هو ملكشاه بن محمود ...!!

* * *

والحقيقة أن ملك العالم ، وصاحب الحظ الحسن ، ومطمئن الأرواح هو غياث الدين كيخسرو بن قلج ارسلان الذى هو مسند أهل العالم وملاذهم ، وفيه راحة الناس ، ورفاهية الرعية ، فقد صارت الدنيا كالجنان بفضل عظمته ، وحظه وتاجه وعرشه ، لأنه بسط جناح العدل والإحسان على العالم والناس ، ووصل إليه أمر حكم العالم عن طريق الميراث والاكتساب . ودخلت أقاليم العالم فى كنف حمايته ورعايته ، واستقر ضعفاء الدولة والملة تحت ظلال عدله وكنف رأفته ، فليدم العالم عامراً ما دامت دولته ، ولتظل هذه الدولة — حتى يوم القيامة — راعية على سائر الدول ، ونموذجاً لها .

---

(١) « ن د » تذكر بيتين آخرين معناهما :
- واعتبر ملكشاه بن محمود أعز من اليقين ، وأعلى من كل خيال .
- واعتبره خالداً فى ملك العز والدولة والجاه إلى الأبد .

[قطعة فى الدعاء له ، أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— أسأل الله ألا تصل يد الزوال إلى ملكك أبدا ،
وأن تبعد عين السوء عنك وعن دواتك ... !!

— إنك إنسان عين العقل ، وواسطة عقد الملوك
الملك غياث الدين عديم النظير ، محمود الخصال

— إن الأقاليم السبعة تحت جناحى طائر سعادتك ، [ص ٢٤٩]
والأرض تحت جناحى طائر إنصافك .

— ولقد يمكن أن توصف بسائر الصفات المحمودة ، ما عدا أنك واحد وقديم
ولقد يمكن أن يقال إنك تملك كل شىء ماعدا العيب والمثيل

— فقبل أن يستلم آدم منشور الخلافة
كنت فى ذلك الوقت ملكا ، بينما كان آدم صلصالا من طين ... !!

— وحينما استقر عطارد فى ديوان السماء فى اليوم الأول
كتب منشورا بتوليتك حكم العالم

— أسأل الله ما دام القمر يتكشف فى صفحة السماء ،
وما دام الليل يرخى سدوله على الأنحاء ،

— أن يجعل عنان الفلك دائما فى قبضة حكمك
ويجعل مجال الآمال على أعتاب جودك

— وأن يجعل كرة الأرض فى منقار طائر إنصافك ،
وأن يجعل روح الأعداء فى مخلب أسد إقبالك ... !!

السلطان مغيث الدنيا والدين

ملكشاه بن محمود[1]

يمين أمير المؤمنين

كان السلطان ملكشاه مولعاً بالشراب والصيد ، وكانت فى وجهه آثار الجدرى ، وكان لونه يميل إلى الإصفرار ، وكان مستدير اللحية ، وكان قوى الساعد معتدل القامة .

وكان توقيعه « استعنتُ بالله » ووزيره شمس الدين أبا النجيب ، وحاجبه خاصبك .

وكانت مدة عمره اثنتين وثلاثين سنة وشهرين ، ومدة ملكه أربعة أشهر بعد السلطان مسعود ، وتولى الملك فى بعض الأوقات مدة ستة عشر يوماً[2] فى إصفهان .

وكان ملكشاه ملكا ذا قوة وشوكة ، قوى الساعد ماهراً فى [ص ٢٥٠] الرمى ، سخياً حسن الطبع محباً للمزاح ، يرعى الضعفاء .

كما كان محباً للعشرة ، ومباشرة النساء ، وكان زينة للتاج والعرش ، موزون الحركات ، ممدوح الخصال .

[أبيات فارسية فى الأصل[3] ، ترجمتها :]

— له موكب الإسكندر ، وخيل دارا ، فهو تذكار للإسكندر ودارا

---

(١) زيد فى أعلى هذه الكلمة عبارة (بن محمد)

(٢) يعنى فى سنة ٥٥٥ هـ («زن» ص ٢٩٥) .

[المراجع : يرد ذكر ذلك فيما بعد فى صحيفة ٣٦٧]

(٣) من مثنوى خسرو وشيرين لنظامى الكنجوى فى فصل « حكايات كردن شابور از حال خسرو نزد شيرين » (خمسه نظامى ، طبع طهران ص ٧٠ — ٧١) .

— لقد عدته السماء لحسنه شمسا لها ، وبقى نسلا من جمشيد فى الأرض

— وهو أنيق شجاع نشيط ، وهو فى الحب كالغزال ، وفى الحقد كالأسد الهصور

— وهو وردة نضيرة لا تمسها ريح الخريف ، وهو ربيع ناضر على غصن الشباب

— وهو لا يزال شابا يانعا قابلا للنمو ، ذا وجه أبيض يعلو قامة فارعة

— فلم تنبت لحيته حتى الآن ، وما زال شاربه مختفيا ، لم يطل برأسه بعد

— وإن نسمة واحدة منه لتفتح مائة باب من أبواب جنة عدن ،
وإن القمر ليتوارى خجلا من جماله ...!!

— والدنيا تضيق بموكبه ، وعلمه يعلو السموات السبع ...!!

— وهو حينما يمنح ، يكون طول قافلة الجمال المحملة بهباته فرسخا ...!!
فإذا أراد أن يحارب ، فويلٌ للجبال من هجماته ....!!

— وهو فى وقت المبارزة ، يجعل الخطباء يتحدثون عن سيوفه الغازية

— لأن خنجره ينفذ من الفولاذ ، ويثقب الدرع المتين ...!!

— وقد ثقلت على الأرض وطأة أقدامه ، وجعلت هجماته الفلك يبطىء فى سيره

— وهو يقهر الفلك إذا بارزه فى الميدان ، ويجعله يدور إلى أعلا وأسفل

— وجماله ، وهو زينة المحافل ، له مزيد من الفضل والحسن

— وإقباله محبب للقلوب ، ويسعد القلب إذا ظفر بإقباله ...!!

وكانت بداية ملكه فى رجب من سنة سبع وأربعين وخمسمائة ، بعد وفاة عمه مسعود ، وكان عزله فى شوال من هذا العام أيضاً ، وكان سبب عزله أنه اشتغل باللهو والشراب مع بضعة أشخاص من الأسافل والمجهولين .

مثل : « أى ملك مال إلى كثرة السُّخْفِ والهزل ، نُسِبَ إلى قلّةِ العلم والسَّفْلِ[٢] » .

---

(١) « زن » ص ٢٢٨ .

(٢) « فق » ورقة ٢١ ب وروى الجزء الأخير « نسب إلى قلة العلم والعقل » .

[بيتان فارسيان فى الأصل ، ترجمتهما :] [ص ٢٥١]

— إياك أن تحوم حول حمى الهزل ، لأنك إذا فعلت ذلك ستصبح سخرية العالم

— وسوف يتندر الناس فى العالم ، بما يصدر عنك من أعمال

وكان يعاشر امرأة اسمها جمال ، كانت تسيطر عليه[1] .

مثل : « أىُّ ملكٍ نَفَذَ فى رأيه حكمُ النساء ، نَفَذَ فى ملكه حكمُ الأعداء[2] »

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— إذا تدخلت المرأة فى شئون الحكم ، فسدت الدنيا وساءت الأمور

وكان مغرما بالتنعم ، مفرطاً فى التزين ، فقضى العمر فى اللهو والطرب ، وكان مغروراً بالملك ، لأن دولته كانت بعيدة عن المنافسين .

وقد قال سيد أشرف هذه القصيدة فى مدحه ، وتهنئته بالملك وأنشدها أمامه فى يوم الاستقبال .

[قصيدة[3] : ترجيع فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

(البند الأول) :

— يتنفس صبح الملك من مشرق الإقبال ،
فترفع شمسه نور أعلامها فوق الفلك الأخضر .

— ويتقاضى الفلك فى كل نفس هبات عديدة ،
وتبدى الدولة فى كل لحظة بشارات جديدة ...!!

— وتفيض السماء على وجه الأرض جمالَ الجنة
ويجرى المشترى فى صحن العالم نهر الكوثر ...!!

---

(١) وهى التى سمته فمات مسموما (« ا » ج ١١ ص ١٧٣ — ١٨٤ ، و « زن » ص ٢٩٥).

(٢) « فق » ورقة ٢١ ب .

(٣) الديوان ، نسخة المتحف البريطانى ، ورقة ١٢٩ ب

[المراجع : يقصد بالترجيع قصيدة ينظمها الشاعر على نظام خاص ، اهم ما فيه أن تكون من جملة بنود ، يرجع فى نهاية كل منها بيت بعينه] .

— وينثر صانع الأفلاك اللؤلؤ على مظلة الكون فى أثناء الليل
ويصنع أثناء النهار من القمر والزهرة ذهبا وحليا لها
— ويصنع صائغ القدرة من فضة القمر وذهب الشمس
عرشا وتاجا للسلطان ملكشاه
— ويخيل إليك أن يد الطبيعة الصناع
تصوغ من فرط نشاطها ريشا ذهبيا فى ذيل الطاووس
— فيا أيتها الدنيا كونى آمنة من الفتنة مائة عام أخرى
لأن شخصية ملكشاه تفوح منها رائحة سنجر
— والمنة لله أن أخذت الدنيا عظمة ملكشاه [ص ٢٥٢]
وعم اسم دولته وصيتها جميع الأرجاء ... !!

(البند الثانى) :

— فتأمل وجه الدولة الجميل ... فقد ظهر فجأة من وراء النقاب
وأبصر ماء الحياة ... فقد ظهر مرة واحدة من خلال السراب
— فلما احترقت الأكباد حزنا على وفاة السلطان مسعود
ظهر للملك دم جديد نقى ... هو ملكشاه
— ولئن كان ورد بستان الملك قد توارى تحت التراب
فالمنة لله ، لقد ظهر ماء هذا الورد مرة أخرى من جديد ...!!
— وإذا كان المصطفى قد هاجر ، فإن المرتضى قد أخذ مكانه
وإذا كان المشترى قد اختفى ، فقد ظهرت الشمس مكانه ... !!
— وإذا كان السحاب قد حجب نور الشمس فلا تقنط ،
فأمطار الرحمة قد هطلت فى النهاية من هذا السحاب ... !!
لقد التهمت العالم نار الفتنة ... فتأمل السعادة
وكيف يظهر الأمن والطمأنينة من هذه الفتنة الهوجاء ...
لقد كانت الدولة تحلم بمثل هذا النهار المشرق فى ليلة الغم
وقد أقبل النهار ووضح تفسير الحلم ... !!

— فالمنة لله أن أخذت الدنيا عظمة ملكشاه
وعم اسم دولته وصيتها جميع الأرجاء ....!!

(البند الثالث) :

— والحمد لله أن استولى الملك الأعظم على العالم
فأطاعه الجن والإنس واستولى على ملك جمشيد
— والمنة لله أن سيفه كسيف الصبح إذا تنفس
يستولى على العالم جميعه سريعا دون أدنى تفكير
— والحمد لله أنه مثل الشمس ملكة الكواكب السيارة [ص ٢٥٣]
ولو أنها تشرق من المشرق إلا أنها تستولى على المغرب أيضا
— فبطشه فى المعارك يحكى قوة موسى بن عمران
ولطفه فى الحفل يشبه نفس عيسى بن مريم
— لقد تجاوز عفوه عن الجرم فاختفى الجرم ،
وبطش عدله بالظلم فضربه بشدة ....!!
— فالمنة لله أن أخذت الدنيا عظمة ملكشاه
وعم اسم دولته وصيتها جميع الأرجاء ....!!

(البند الرابع) :

— أيها الملك دعوت الله أن تسيطر على الفلك ... وقد سيطرت ؛
وأن تكون ملك العالم جميعه ... وقد صرت ....!!
— وأن تدق فى الأقطار طبولا كطبول الاسكندر وقد دققت ؛
وأن تكون لك فى المظالم روح أنوشروان وهكذا صرت ....!!
— وأن تقطف وردة الدولة من جنة الدنيا — يامليكى —وقد قطفت :
وأن تعفو عند المقدرة وقد فعلت ....!!
— وأن يحكم طالعك الميمون حكما مباركا
لتكون ظل الله فى الأرض ... وقد صرت ....!!

— ولقد قال سيدى برهان الدين[1] على باب بغداد
ستكون سلطاناً بعد خمسة أشهر ... وقد صرت ... !!
— وحينما ذكر الحظ جدك ملكشاه ، قال :
أيها الملك ... ستكون أعظم منه مائة مرة ... وقد صرت ... !!
— فالمنة لله أن أخذت الدنيا عظمة ملكشاه
وعم اسم دولته وصيتها جميع الأرجاء

(البند الخامس) :

— أيها الملك . . لقد دعوت الله أن يكون الملك المبارك ميموناً عليك وقد صار
وأن يكون عهدك المزين للعالم مباركا ، وقد صار ... !! [ص ٢٥٤]
— وأن يكون جيشك أكثر عدداً من الذرات والنجوم ،
ما دام فى الأرض والسماء ذرات ونجوم ، وقد صار ... !!
— وأن يكون وجهك الوضاء مثل وجه الشمس مملوءا بالنور ، وقد صار :
وأن يكون بياض سيفك مثل سيف الصبح مشربا بحمرة ؛ وقد صار ... !!
— وأن تكون رايتك الفاتحة للعالم حليفة للنصر ... وقد صارت
وأن يكون الفلك جميعه مقراً للملك الرفيع ... وقد صار ...!!
— وأن يكون ماء الحياة فى فم حاسدك ، إذا وجده
سماً زعافاً مملوءاً بالدم . وقد صار ... !!
— وأن يكون كل ما وسعته السموات السبع من سعادة
حليفاً لطالع سعدك ، وقد صار ...!!
— إنك تهب الدر غير منظوم ، فليكن الدر المنظوم ملكا لك
وليكن الذهب جميعه مثل الدر المنظوم ملكا لك ، وقد صار ... !!
— فالمنة لله أن أخذت الدنيا عظمة ملكشاه :
وعم اسم دولته وصيتها جميع الأرجاء ... !!

* * *

---

(١) ليس معروفا الشخص المقصود بهذا الاسم .

وكان السلطان ملكشاه يسند إلى الأمراء أقل الأعباء ، وكان خاصبك سيء الظن فيه ، فكان يتجنبه ، فقد ترامى إلى سمعه أن ملكشاه يريد أن يدعوه إلى خلوة ثم يقبض[1] عليه ، فكان خاصبك لا يراه إلا حذرا متأهبا .

مثل : « أى ملكٍ اشتغل بطيبِ اللذات والملاهيِ ، غَفَلَ عن مكائد الأضدادِ والأعادى[2] » .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— إذا اشتغل الملك باللهو والطرب ، نال عدوه منه كل ما طلب ...!!

وقد تغدى خاصبك بملكشاه قبل أن يتعشى هو به ، واتفق مع حسن الجاندار على دعوة ملكشاه ضيفاً فى قصره لمدة ثلاثة أيام ، ثم قبضا عليه وحبساه فى ذلك المنزل ، هو والمرأة التى يحبها ، و بضعة من خدمه ، ثم أرسلا [ص ٢٥٥] شخصاً إلى أخيه السلطان محمد ، وطلبا منه الحضور من خوزستان ، والجلوس على العرش فى قصر همذان[3] .

مثل : « أى ملك ضيّع الحزمَ فى أمره ، مكّنَ عدوّه من ملكه و بحرِه[4] »

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— كل من أهمل الحزم فى أمره ، مكن الأعداء من ملكه ...!!

وأخرج السلطان محمد — ملكشاه من المدينة ، وحبسه فى قصر منفرد ، فأقام فيه خمسة عشر يوماً ، ثم هبط ذات ليلة من القصر بواسطة دلو كان قد أعده ،

---

(١) « زن » ص ٢٢٨ .

(٢) « فق » ورقة ٢١ ب .

(٣) كان ذلك فى صفر من عام ٥٤٨ هـ (« آ » ج ١١ ص ١٠٦ » و « زن » ص ٢٢٨ — ٢٢٩) .

(٤) « فق » ورقة ٢١ ب .

وركب حصاناً كان ينتظره وهرب إلى خوزستان(١) .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— سر فى الليل فإنك تستطيع أن تفعل فيه العجب ،
وتهيء فيه أسباب اللهو والطرب ...!!

حكمة : « لتكن مشاوراتك بالليل ، فإنه أجمع للفكر وأعون للذكر(٢) ، ثم شاور فى أمرك من تثق منه(٣) بعقل صحيح وود صريح ، فالعاقل لا ينصح ما لم يَصْفُ ودُّه ، والودود لا يصيب ما لم يَصِحَّ عقلُه(٤) » .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها(٥) :]

— اسمع من قول الناصح بفضل الله ، بضع كلمات كل صباح
— فى اليوم الذى تكون فيه فى أحسن أحوالك
أحرق البخور أمام أعين الأعداء ...!!
— وفى الليلة التى تكون فيها مسروراً ، ارفع يدك بفيض من الدعاء ...!!

وبقى ملكشاه فى أثناء مدة حكم أخيه يقيم فى خوزستان ، لأنه [ص ٢٠٦] لم يكن قادراً على مقاومته ، وكانت أخته « گوهر نسب » تميل إليه كثيراً ، فكانت تتوجه من إصفهان إلى خوزستان لزيارته ، وتحمل إليه أحمالا من الذهب حتى يتقوى ويتمكن من محاربة أخيه ، فعلم السلطان محمد بذلك ، فأرسل الأتابك إياز على رأس جيش فنهب هذه الأموال والودائع .

وقد استطاع ملكشاه بعد وفاة أخيه محمد ، وجلوس سليمان على العرش

(١) « زن » ص ٢٢٩ .
(٢) فى « فق » على الذكر .
(٣) فى « فق » به .
(٤) « فق » ورقة ٢١ ب .
(٥) مثنوى « ليلى ومجنون » لنظامى الگنجوى فى ختم الكتاب « طبع طهران ص ٢٧٧ — ٢٧٨ .

— فى همذان — أن يستولى هو على إصفهان ويدق الطبول الخمس ، وأراد أن يناوئه[١] ، ولكنه انتقل إلى رحمة الله ، بعد أن حكم خمسة عشر يوماً فقط .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— إن الفلك الدوار يحدث كل هذه الأعمال
لأنه ـ دائما ـ مملوء بالحقد على الإنسان[٢]
— فيأخذ الأمر منك ويعطيه إلى شخص آخر ،
فكل ما فى الدنيا عرضة للزوال والتنقل ... !!
— وهكذا يكون عمل الدهر الدوار ، فاحترس فإنه يدبر لك أشياء كثيرة
— وأنفق كل ماعندك ولا تبق شيئاً للغد ، فقد يتغير الغد إلى حال أخرى[٣]
— ولا تحاول — بقدر ما تستطيع — أن تبحث عن سر هذا العالم
فورده سم خالص ...فلا تشمه حتى لاتضطرب ... !!
— ولا تكن جريئاً مع الدهر ، فإن سمه أقوى من كل ترياق[٤]
— وهكذا يكون رسم الدنيا الغدارة ، فلا ينبغى أن تتوقع منها الوفاء[٥]
— فإنها حينما تدق طبول الرحيل ، تدك فى التراب رأس الأسد والفيل[٦]

وقد جعل الله تعالى السلطان القاهر عظيم الدهر ، وأعظم السلاطين ، غياث الدنيا والدين ، أبا الفتح كيخسرو بن قلج ارسلان خلد الله ملكه ، وأدام عليه الملك والعمر ، وارثاً لملك ملكشاه ومحمد ، أسأل الله أن يديم سعادته إلى يوم القيامة ، وأن يرفع راية سلطنته ، وينشر اسمه المبارك ومظلته الميمونة

(١) كان ذلك فى ربيع الأول سنة ٥٥٥ هـ (« زن » ص ٢٩٥ ، و « ا » ج ١١ ص ١٧٣ — ١٧٤) .
(٢) « شه » ص ٢٠٥٩ ، س ٢ .
(٣) « شه » ص ٢٠٦٠ ، س ٧ — ٩ .
(٤) « شه » ص ٢٠٤٢ ، س ١٠ .
(٥) « شه » ص ٢٠٢٦ ، س ٦ .
(٦) « شه » ص ٢٠١٤ ، س ١٧ .

على جميع أرجاء الربع المسكون ، ليأمر بالعدل والإنصاف ، ويزين العالم بالصلاح والدين ، لأن الملك الذى يقوم بناؤه على أساس من العدل والإنصاف ، وتتزين جوانبه بنصرة دين الحق والقيام بمصالح الخلق ، لا عجب إذا لم تؤثر فيه [ص ٢٥٧] تقلبات الفلك الدوار ، ولا مرور الأعوام والدهور ، وإذا لم تنقص يد الحوادث شيئا من سعادته وروعته . وقد ترك الملوك الغابرون السمعة الطيبة تذكاراً من بعدهم وكانوا يرعون العلماء والحكماء والشعراء ، فبقى ذكرهم الجميل على صفحات الدهر خالداً ، وبقيت مثوبتهم مدخرة .

والآن وقد أصبح عنان الظفر ، وزمام العمران والملك ، فى يد سيد العالم السلطان الأعظم أبى الفتح كيخسرو بن قلج ارسلان — أعلى الله رايته ورويته ، ونصر جنده وألويته — صار الفلك مشايعاً لرأيه ، والزمان متابعاً لرايته ، وأصبحت فضائل ذاته منقطعة النظير ، تحمل أسباب ترجيح أسرته على جميع أسر سلاطين العصر ، وملوك الدهر فى الماضى والحاضر . ولسوف يبقى صيت عصره الميمون الذى هو سوق للفضل والبراءة ممتداً على الزمان ، ومخلداً إلى أبد الآبدين ، لأنه يزيد كل يوم فى نشر الإحسان ، وإكرام أهل الفضل والعلماء .

وقد جعلنى صيت هذا الملك — الذى يرعى الفضل — عبداً ملازماً لركابه بضع سنوات ، كنت فى خلالها أدعو له ، وأشتغل بتأليف هذا الكتاب ، كما شغلت عاماً بكتابته ، فلما وصلت إلى سدته الميمونة ، وحضرته المباركة — التى يُقَبِّل القيصر وأفلاطون أعتابها — صار علم اليقين عندى عين اليقين ، وصار اعتقادى فى عظمته ورعايته للناس مضاعفاً آلاف المرات . أسأل الله أن يجعل نهاية همة الملوك بداية لدولة هذا الملك وسعادته ، وأن يجعل جميع أنواع التوفيق من ثمرات ملكه وسلطنته ، وأن يبقى هذه الدولة إلى يوم القيامة .

وقد قلت هذه القصيدة تشريفاً للملك :

[قصيدة فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— يامن يستمد القمر منك النور ، إن فك كالشهد وشفتك كالسكر
— لقد حسد الياقوت والزمرد الندى ، شفتك الحمراء لفرط جمالها
— وحسد الكافور والجوهر أسنانك ، لأنها بيضاء كالعاج
— فكيف ، بالله عليك ، سحبت عينك الناعسة
فكانت مثل الخناجر الحادة فى وجهى ...!!
— إن شعرك الأسود المعطر ، [ص ٢٥٨]
يشبه لونه الليل سواداً ، وقد طغى عبيره على رائحة العنبر ...!!
— وكل ما فيك من مفرق رأسك إلى أخمص قدمك
يفوق بعضه بعضا ... حسناوجمالا ...!!
— ولا يوجد تحت قبة هذا الفلك ، شخص يدانيك فى جمال الوجه
— يامن يفتديك مائة ألف شخص مثلى ،
لقد مت من فراقك ، فأزح عنى الحزن والغم ...!!
— إن روحى قد بلغت شفتى تطلب قبلة منك ،
فامنحها لى من شفتك العذبة ، ثم صيرنى بها عبدا ...!!
— وأنصفنى ، ولو لم أطلب الإنصاف منك ، فإن وجودك مفخرة للبشر
— إنه الملك أبو المظفر الذى يحمى الدين ،
والذى بعث إلى الدولة وكأنه رسول مرشد ...!!
— وهو الذى أصبح تاجاً من الجاه والمال والعظمة ،
على رأس الفلك الأزرق
— إنك الشخص الوحيد فى العظمة تحت قبة السماء
ولا يوجد مثلك على سطح الأرض فى فنون الفضل ...!!
— فكل من أعجزه الزمان الغدار ،
أو صار محتاجا بسبب تقلبات الدهر القاسى ،

— لم يجد غيرك ملاذا ، ولم يجد سواك منقذا له ...!!

— فلا يوجد مثلك فى سائر الأقطار ،

ولا فوق قبة الفلك الأخضر

— فكل من ترعاه يرتفع ويسمو برأسه ،

حتى يجاوز قدره السماء السابعة

— فلك صدق أبى بكر ، وقوة عمر ،

ولك حياء عثمان ، وقوة حيدر[١]

— أسأل الله أن يخلد ملكك ، وأن يجعل الفلك طوع أمرك

وأن يجعل القمر والشمس والنجوم أتباعا لك

— وأن يجعل العمر والحظ حليفين لك

وأن يجعل الفلك — دائما — خادما مطيعا على بابك .

(١) المراجع : لقب من ألقاب على بن أبى طالب .

السلطان غياث الدنيا والدين

أبو شجاع محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه

قسيم أمير المؤمنين

كان السلطان محمد ذا وجه جميل — أبيض مشرباً بحمرة — كما كان واسع العينين ، طويل الشعر ، وكانت لحيته قصيرة دقيقة ، وكان متناسب القد لطيف الجسم نشيطاً ، مبرزاً فى لعب الكرة والرماية ، كما كان قائداً مظفراً قابل الإيذاء . وكان له وزيران هما : جلال الدين أبو الفضل[1] ، والوزير شمس الدين أبو النجيب[2] .

وكان له حاجبان هما : الأمير الحاجب ايلقفشت[3] بن قياز ، [ص ٢٥٩] والحاجب ناصر الدين أتابك اياز .

وكانت مدة ملكه سبع سنوات ، ومدة عمره اثنتين وثلاثين سنة . وكان السلطان محمد لطيف الخلق جميل الخلقة.

مثل : « من كرم خُلُقُهُ ، وجَبَ حقُّه ، ومن ساء خُلُقُهُ ضاقَ رِزْقُه[4] » .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— كل من حسن خلقه وجب حقه عليك ، وسوء الخلق يجعل الرزق ضيقا

---

(١) هو جلال الدين بن القوام الدركزينى (زن ، ص ٢٣١) .

(٢) يزيد « زن » : الدركزينى (ص ٢٤٥) .

(٣) فى « زن » جمال الدين ايلقفشت (بتقديم الفاء على القاف) بن تايماز المراى (٢٢٨)

(٤) « فق » ورقه ١٩ .

وكان كامل العقل ، صائب الرأى ، لين الطبع ، حسن السيرة ، ثابت العهد والقدم ، صادق القول .

مثل : « من صدق فى مقاله زاد فى جماله » .

[بيت فارسى فى الأصل ترجمته :]

— قول الصدق يزيد فى الجمال ، فيجب أن تكون الاستقامة سيرة الرجال

وكان متديناً ، يقظاً ، محباً للعلماء ، مكرماً لهم ، رقيق اللفظ ، دقيق النظر ، عارفاً بدقائق المعانى ، مذللا للصعاب .

وكان أول ملكه فى سنة ثمان وأربعين وخمسمائة فحينما أجلسوا أخاه ملكشاه فى همذان ، ذهب الأمير الحاجب جمال الدين ايلقفشت بن قيماز لاستدعائه من خوزستان بإذن من الأتابك خاصبك ، واتفق جمال الدين مع السلطان على القبض على خاصبك فى أول يوم يصل فيه إلى همذان ، وقد أقنع السلطان بذلك بعد أن قال له :

« إنه سيعاملك بنفس الطريقة التى عامل بها أخاك ، لأنه اتفق مع الخليفة على إسناد الملك إليه بعد أن يتخلص من كل الأمراء[1] . »

مثل : « الغيبة لُومٌ ، والافتراء مذمُومٌ . »

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— الغمز والغيبة دليلان على النذالة والخسة ؛
والافتراء والكذب دليلان على سوء الطوية .

فوقع هذا الكلام لدى السلطان محمد موقع القبول ، فلما وصل إلى باب همذان فى المحرم من سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، استقبله الأمراء جميعاً ،

---

(١) « زن » ص ٢٢٨ — ٢٢٩ .

وشرب اينانج وخاصبك ، وجميع أمراء مسعود ، فى ذلك اليــوم الشراب فى مرعى قراتــكين .

وفى اليوم التالى ، نزل محمد فى القصر ، ودخل قصر مسعود (كوشك مسعودى) وجلس لاستقبال الأمراء فقدموا له الهدايا ، وقدم خاصبك هدية [ص٢٦٠] لم ير أحد مثلها فى أى عهد. فلما فرغوا من ذلك ، أراد السلطان أن يجلس فى خلوة ، لأن التعب كان قد حل به ، فانصرف الأمراء ، و بقى خاصبك ، وجمال الدين إيلقفشت وأخوه ، وجميع خاصة السلطان ، وكان مع خاصبك زنــكى الجاندار وشومله[1] ، وكان الأمراء واقفين ، أما خاصبك فــكان جالساً فى الحضرة ، فبدأ الحديث فى الطريقة المثلى التى ينبغى أن ينظم بها الملك .

مثل : « إذا جالست الملوك ، فالزم الصمت ، واستعمل الوقار ، واحفظ الأسرار[2] » .

[بيتان فارسيان فى الأصل ، ترجمتهما :]

— ينبغى أن تسمع الـكلام أولا ، ثم تجيب إجابة صحيحة بعد أن تفهمه جيداً
— لأن العالم يكون دائما رجلا حريصا ، ولـكن لا نهاية لعلمه

وزاد خاصبك فى الـكلام ؛ فأخذ يبصر السلطان بطريقة الحـكم ، فجاء جمال الدين ايلقفشت من وراء ظهره ، وأمسك بتلابيبه ، وقال له : « قم ، فليس هذا الوقت مناسباً للكلام » . واتفق معه صارم بن محمد يونس الساطانى[3]

(١) جاء فى « زن » أنه كشطغان المعروف بشمله (ص ٢٣٠) وفى مكان آخر (ص ٢٨٧) ايدغدى بن كشطغان المعرف بشمله ، وفى « ا » أنه ايدغدى التركمانى المعروف بشمله .
(٢) « ىق » ورقة ١٣ — أ .
(٣) « شه » ص ١٦٠٣ ، س ١٢ — ١٣ .
(٤) لعله صارم الدين والى قلعة الموصل (« زت » ورقة ٨٠ — أ) .

فأمسكاه وحملاه إلى داخل المنزل ، ووضع زنكى الجاندار يده على مقبض السيف ، فقبضا عليه هو أيضاً [١] .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— اعلم يابنى أن هذه الدنيا غدارة ، مليئة بالتعب والمرض والألم والبلاء

— ففى الوقت الذى تكون فيه أكثر سروراً
ويكون قلبك فارغا من هم الزمان ومتاعبه

— لايبقى سرورك طويلا ومقيما
ويتحتم عليك الخروج من هذه الدنيا الفانية [٢]

— وأنت لست أقوى من أفريدون ، ولست مثل «پرويز» ذا عرش وتاج [٣]

— فكلنا فانون ... يمضى كل منا فى دوره
فيجب أن نترك الدنيا دون أن نخلف فيها سوءا [٤]

— وهكذا يتصرف هذا الفلك الدوار ، سواء مع الوضيع أو مع الملك المغوار

— فلا ينظر إلى تيجان العظماء [ص ٢٦١]
وإنما يمسك بالصيد الذى يقع أمامه [٥]

— فلن أعلق قلبي بهذه الدار الفانية ، ولن أتمس بفقرى أو أنعم بثرائى [٦]

وكان « شومله » قد تنبأ من قبل بهذا المصير ، فنزل من القصر وأعطى لصاحب جياد خاصبك خاتماً — كعلامة منه — وطلب منه جواداً ليركبه إلى المدينة ، بحجة أنه يريد أن يحضر شيئاً للسلطان ، واستطاع أن يأخذ جواداً

---

(١) « زن » ص ٢٣٠ .
(٢) « بشه » ص ١٧٨٧ ، س ٦ — ٧ .
(٣) « شه » ص ٢٠٦١ ، س ١ .
(٤) « شه » ص ١٥٠٩ ، س ٢٨ .
(٥) « شه » ص ١٥٨٨ ، س ١٩ — ٢٠ .
(٦) « شه » ص ١٥١٠ ، س ٢ .

خاصاً مرصع السرج ، وركبه وسلك به طريق خوزستان ، ولم يلتحق بخدمة السلطان قط مدة حياته بعد ذلك[١] .

مثل : « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين[٢] » .

فلما حدث الاضطراب فى القصر ، توجه جيش خاصبك إليه ، وكان هذا الجيش لا يدخل تحت عد من فرط كثرته ، فألقى إليه برأس خاصبك ، وزنگى الجاندار من فوق سطح القصر ، فاضطرب الجند ، وتفرقوا[٣] .

مثل : « من ظلم عقّ أولادُه ، ومن بغى نُصِر أضدادُه[٤] » .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— إذا انتشرت الفتنة وإراقة الدماء ، فلن تكون على العرش طويل البقاء[٥]

— فسواء كنت تملك كنزاً أو كنت فقيراً ذا ألم وعناء ،
فستترك ما تملك فى هذه الدار — دار الفناء ...!!

— فاعلم أن الدنيا كالتمساح القوى ، يقضم بأسنانه كل من يمسكه فى مخالبه

— وهذه طريقة الفلك الدوار ، فهو قادر على كل عمل ... أما نحن فعاجزون[٦]

ثم أسرع جنود السلطان فى الحال إلى خزانة خاصبك وقصره ، ومكان خيله للاستيلاء عليها ، فكان من بين الأشياء التى وجدوها فى خزانته ثلاث عشرة ألف ثوب من الأطلس الأحمر ، كما وجدوا فى بيت شرابه سبع دنان

---

(١) « زن » ص ٢٣٠ .

(٢) حديث معروف (البخارى ، طبع ليدن ج ٤ ، ص ١٤٢ — ١٤٣) وقد ورد أيضاً فى مجمع الأمثال للميدانى فى حرف اللام وروى (لا يلسع بدل لا يلدغ) .

(٣) « ا » ج ١١ ص ١٠٦ ، « زن » ص ٢٣٠ .

(٤) « فق » ورقة ١٠ ب .

(٥) « شه » ص ٩٨٦ ، س ١٤ .

(٦) « شه » ص ٢٠٥٨ ، س ٦ .

كبيرة من الفضة — كان قد خصصها للخمر — علاوة على الأدوات الفضية والذهبية المتعارف عليها فى كل مكان ، كما وجدوا بيت شرابه فسيحا جداً ، لا يحده طول ولا عرض من فرط اتساعه ، وكان تحت تصرفه ألف وأربعمائة بغل مجهزة مستعدة للسفر فى أى وقت إلى أية مدينة أو ناحية . [ص ٢٦٢]

وفى الجملة ، إن ما وصل من خزائنه إلى خزانة السلطان — من مال وحلى ونقد وجنس — لم يجتمع لسلطان قط ، أما ما كان عنده من الودائع والدفائن والذخائر — التى لم يعثروا عليها — فإن الله وحده يعلم كم كان مقدارها[١] .

[بيت عربى فى الأصل]

قد يجمع المال غير آكله ويأكل المال غير من جمعه[٢]

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— فانفق كل ما تملك وتصدق بالباقى ... أنت فان فلماذا تتركه للعدو ... ؟ !

— وكل يوم ينقضى من عمرك ، فإنه يصير هباء منثورا لا يعود.[٣]

— وإن يومك سوف ينقضى بخيره وشره
ثم يأتى شخص آخر فينفق ما ادخرته[٤]

وفى الوقت الذى توفى فيه السلطان مسعود ، وجلس ملكشاه على عرش الملك هرب سليمانشاه من قلعة «قرزين»[٥] بتدبير حاكم القلعة أمين الدين مختص

---

(١) « زن » ص ٢٣٠ — ٢٣١ .

(٢) من جملة أبيات للأضبط بن قريع السعدى (ارجع إلى كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ، طبع ليدن ، ص ٢٢٦) .

(٣) « شه » ص ٢٠٦٠ ، س ١٠ — ١١ .

(٤) « شه » ص ١٣٠٤ ، س ١٦ .

(٥) ذكرت فى النسخة الأصلية باسم « فرزين » (بتخفيف الراء) وذكرت فى « زن » ص ٢٢٧ و ٢٣٢ مكررا ، وأيضاً فى « تسك » ص ٤٦٩ «قزوين» .

— بعد أن ظل محبوساً فيها — بأمر من أخيه لمدة سبع سنوات ، فنزل من القلعة ، وتوجه إلى آذربيجان ، وضم إليه أمراء الأطراف مثل الأتابك ايلدگز ، والأتابك ارسلان ابه ، والبغوش كون خر ، ونخر الدين زنگى ، ومظفر الدين ألب أرغون بن يرنقش البازدار ، وخوارزمشاه يوسف — الذى كان أخا زوجته[1] — فلما أطاح السلطان محمد بخاصبك ، توجه سليمانشاه على رأس هذا الجيش العظيم إلى همذان ، وكان مع السلطان محمد جيش صغير ، لأن أتباعه كانوا قد تفرقوا متابعين أهواءهم كما هى عادة الجنود ، وقد حاول السلطان محمد تسكينهم فأجزل لهم العطاء من النقود والثياب ، ولكنهم أخذوا هذه الأشياء ، وهربوا ناهبين أغلب خزائن خاصبك .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— كل ما تأتى به الرياح يذهب فى لحظة [ص ٢٦٣]
فلا ينبغى الظلم من أجل الدراهم ... !!

ولم يبق إلا عدد قليل من الجند ، فلما اقترب العدو ، توجه السلطان من همذان إلى إصفهان ، وكان معه حسن الجاندار ورشيد الجامدار ، وموفق گردبازو ، و يمين الدين أمير بار ، وأبناء قايماز ، وجماعة آخرون من الأمراء الذين كانوا قد جاءوا معه من خوزستان ، و بعد ثلاثة أيام ، جاء سليمان إلى باب همذان على رأس ذلك الجيش العظيم ، فغطى جنوده صفحة الجبال والصحراء ، وأقاموا معسكراً فى مراعى همذان يمتد فرسخين طولا وعرضاً ، وأصبحت لهم هيبة عظيمة ، فأخذت جماعة من جنود السلطان محمد — ممن كانوا يقيمون فى همذان ،

---

(١) فى « تك » ص ٦٩ ؛ و « زن » ٢٣٢ : وكان معه (أى مع سليمان) ينالتكين خوارزمشاة وأخوه يوسف .

[المراجع : كان يوسف أخاً لزوجة السلطان سليمان ، أنظر ذلك أيضاً فى ص ٣٧٩ من من هذا الكتاب .]

وكانت فيها أرزاقهم وأسرهم — يهربون حتى قل أتباع السلطان محمد وجنوده ، وأصبحوا فى حرج شديد ، وصمموا على الذهاب إلى خوزستان ، إذا توجه سليمان إلى إصفهان ، إذ لم تكن لهم طاقة على المقاومة فى أية صورة من الصور .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— إن الشخص الذى لايرى إلا الهوى والدلال ،
ينبغى أن يترحم عليه فى وقت الشدة والنضال ... !!

— وأيام العز وأيام الشدة ، لاتبقى طويلا لأحد من الناس[١]

— فلا يجب أن تختار إلا السمعة الطيبة
فهى التى ينبغى أن تسعى إليها وتفخر بها على الدوام[٢]

وفى هذا الوقت اتجه أهل الدنيا جميعاً بقلوبهم إلى ملك سليمان .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— لن يأتى من الفلك فضل أكثر من أن تكون الدنيا مشرقة والملك عادلا[٣]

— فبالعدل يفتح قفل الكنوز ، فيظل اسمه بعد موته رفيعا عاليا

— فلا يوجد حسن فى الدنيا أفضل من العمر المديد
وليس فيها شىء أسوأ من العمر القصير[٤]

— (فإذا كنت ملكا علينا ، فكن ذا اسم طيب
حتى تصير أرواحنا فداء لروحك الغالية

— فإذا طمعنا فإننا سنشق ، ويحق علينا حينذاك أن نفتقد أرواحنا[٥])

وبذلك ارتفع شأن سليمان ، ولم يكن يخطر على بال أحد أن ينقلب الحال ،

---

(١) شه ، ص ٢٠٦٠ ، س ١٨ .
(٢) شه ، ص ٩٨٨ ، س ٨ .
(٣) « شه » ص ١٧١٧ ، س ١٨ .
(٤) « شه » ص ٢٠٥٠ ، س ٥ .
(٥) « شه » ص ١٥٤ ، س ٥ — ٦ .

وينهار الأساس المتين الذى قام عليه عرشه ، ويتفرق الجنود الكثيرون [ص ٢٦٤] وينفضوا من حوله .

وكان فخر الدين الكاشى[(١)] وزيراً له[(٢)] ، كما كان خوارزمشاه ، حاجباً له ؛ وقد أراد أمراء الدولة تغيير المنصبين ، وإسناد الوزارة إلى شمس الدين أبى النجيب — الذى كان وزيراً للسلطان مسعود — وإسناد إمارة الحجابة إلى مظفر الدين ألب أرغون ، فعلم خوارزمشاه بهذا الأمر ، واتفق مع أخته — التى كانت فى عصمة السلطان — أن تبلغ السلطان بأن جميع أفراد الجيش سيخرجون عليه ، وسيستدعون السلطان محمداً ، وسيتوجهون الليلة للقبض عليه ؛ وجهز خوارزمشاه — فى تلك الليلة — جيشه ، وأحاط بخيمة السلطان ، وهو يقول : « أنا أريد المحافظة على السلطان » فاضطرب سليمانشاه كعادته ، وركب جواد النوبة ، وحمل كل ما أمكنه أخذه من النقود من الخزانة وتسلل أثناء الليل ، وخلّص نفسه ؛ فخرج كما تخرج الشعرة من العجين ، وترك الخزانة والبلاط ومقر الحكم وجميع معداته ، وأسرع بالفرار[(٣)] .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— (إن القلب الهلوع لايعجب أحدا ، وقد ضرب حكيم مثلا على ذلك

— فقال : إذا لم تشتد الريح فى أى مكان

جاز للجبان أن يجد العزة والقوة والتمكين فيه

— ولكن لن يرتفع شأن الجبان أبدا ، ولو كان طويل القامة عريض الهامة[(٤)])

---

(١) « زن » فخر الدين أبو طالب ابن الوزير المعين أبى نصر أحمد بن الفضل بن محمود القاشانى (ص ٢٣٢) .

(٢) يعنى وزير سليمان لا محمد .

(٣) « زن » ، ص ٢٣٢ — ٢٣٣ .

[المراجع : يلاحظ هذا التعبير « خرج كما تخرج الشعرة من العجين » مقابله فى الفارسية يكاد يكون حرفيا « خويشين راچون مرى ازميان خمير از ملك بدر آورد »] :

(٤) « شه » ص ٤٥٩ ، س ١٥ — ١٧ .

— فلا تجزع على نفسك إذا لاقيت ظلماً ، لأن الدنيا فانية كالريح السارية .

وكان الأمراء غير مطلعين على حقيقة الحال ، ولكنهم لاحظوا فى اليوم التالى أن معسكر السلطان ساكن ، ليس فيه مناد ولا مجيب ، فهجموا عليه ونهبوه ، وخشى بعضهم بعضاً ، فنزل كل منهم فى ناحية على بعد فرسخ أو فرسخين من الآخر ، وكانوا يتبادلون الرسائل مستفسرين عن حقيقة الحال ، فلما اتضحت لهم الحقيقة توجه كل منهم إلى ولايته ، وترامت الأنباء إلى سمع السلطان محمد ، فلم يصدقها فى بداية الأمر ، وخشى أن تكون هناك مكيدة مدبرة [ص ٢٦٥] للإيقاع به ، وأن الأمراء إنما تفرقوا ليتقدم هو إلى باب همذان ، فيحيطون به من كل جانب ، ولكن الأنباء تكاثرت عن حقيقة الأمر ، حتى صارت متواترة ، فتوجه السلطان محمد إلى دار الملك همذان فى يمن وإقبال(١) ، وقرأ قول الله تعالى « وكفى الله المؤمنين القتال(٢) » .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— اعلم يابنى أن هذه الدنيا الخادعة
لن تهبك سرورا إلا ومعه خوف ووجل(١)

— فماذا تفيدك هذه الدنيا الفانية ، سواء ارتفع صيتك أو شقيت بالألم والمتاعب

— فلا تغدر ، ولا تدلل ، ولا تتبختر ، ولا تتعب
وما فائدة الثورة بالحقد أو التنعم بالكنوز ... ؟!

— وينبغى أن يكون هدفك فى هذه الدنيا ، البحث عن الفضل
دون البحث عن سر الوجود

— لأنك إذا وصلت إلى هذا السر ستصاب بالتعب ،
فلا تفحص أمرها ، ولا تطف حول أسرارها ...!!

---

(١) « زن » ص ٢٣٣ — ٢٣٤ .
(٢) سورة الأحزاب ، آية ٢٥ .
(٣) « شه » ص ١٤١٢ ، س ١٨ .

وأمر السلطان محمد ببناء قصر على باب مدينة همذان ، ونقل الأمراء معدات القصور القديمة إلى هذا المكان ، وأقاموا معسكراً ، و بنوا قصوراً كثيرة ، واستقر أمر الملك ، وكان جمال الدين ففشت[1] هو الأمير الحاجب ، واستبدل جلال الدين الوزير بشمس الدين أبى النجيب[2] .

مثل : « من رضى بالقضاء صبر بالبلاء[3] » .

أما السلطان سليمان ؛ فإنه لما هرب من باب همذان ، توجه إلى مازندران ، ثم سار من هناك إلى خراسان ولكنه لم يظفر هناك بتقدير أى إنسان .

مثل : « السعيد من وعظ بأمسه واستظهر لنفسه ، والشقى من جمع لغيره ، وضن على نفسه بخيره[4] » .

وفى سنة خمسين وخمسمائة ، جاء إلى باب إصفهان عن طريق الصحراء على رأس خمسمائة فارس ، وكان رشيد الجامدار والياً على إصفهان ، فوعده سليمان بالخيرات ، و بالأمانى العذاب ، إذا أدخله إصفهان ، فرفض رشيد ذلك[5] .

مثل : « من جهل قدره ، عدا طوره[6] » .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— كل من لا يعرف قدره ، يمد رجله أبعد من غطائه[7] [ص ٢٦٦]

وأجاب بقوله : « إننى أحمل هذه الأمانة نيابة عن ابن أخيك ، وليس من

---

(١) كذا فى هذا الموضع (بتقديم الفاء على القاف) على خلاف ما سبق .

(٢) فى سنة ٥٤٩ ه (« زن » ص ٢٤٥) .

(٣) فى « فق » ورقة ٥ أ « على البلاء » .

(٤) « فق » ورقة ٥ ب .

(٥) « اا » ج ١١ ص ١٣٦ .

(٦) فق » ورقة ١٦ ب .

(٧) المراجع لاتفاق هذا القول مع قولنا العربى « مدّ رجلك على قدر لحافك » تثبت البيت الفارسى ونصه كما يأتى :

پايهٔ خود هر آنكه نشناسد   پاى بيش از گليم خود بكشد . . .

عادتی أن أخون الأمانة ، وإن الدنيا ملك لك فاذهب حيثما تشاء ، وحاربه إذا أردت ،وحينذاك ستسلم لك إصفهان وجميع جهات مملكته » .

فلما سمع هذا الجواب يئس ، وتوجه إلى بغداد حيث استجار بالخليفة[١] ، فكانوا يلقبونه فى بغداد « بالملك المستجير » .

وبعد مدة جهز الخليفة المقتفى بأمر الله له جيشاً ، وأعد له العدة ، ورشحه لتولى السلطنة[٢] ، فسار من بغداد صوب آذربيجان ، ومر على معسكر الأتابك ايلدگز ، وكان « آقسنقر پيروز كوهى » مستاء من إينانج ، فانضم إليه فأصبح لزاماً على الأتابك إيلدگز أن يعاونه .

مثل : « عداوة العاقل خير من صداقة الجاهل » .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— تدبر ماقاله الحكيم القديم ، حينما كان يحاول أن يحل الأسرار

— قال : إن العدو العاقل خير من الصديق الجاهل ،

لأن العلم مفيد للعدو والصديق على السواء ...!!

— فإن الشخص العالم يفكر جيدا ، ولايفعل إلا الأمر الذى يكون قادراً عليه

— أما الشىء الذى يكون غير قادر عليه ، فإنه لايتعب نفسه بالتفكير فيه[٣]

— وكل شخص عنده عقل سليم ، يتدبر جيدا لب الأمور[٤]

واجتمع له جيش عظيم كثير العدد ، فلما وصل نبأه إلى السلطان محمد ، توجه من باب همذان لملاقاته ، وكان معه جيش كبير ، وكان اينانج فى ركابه ،

---

(١) « زن » ص ٢٤٠ و « آ » ج ١١ ص ١٣٦ .

(٢) « زن » ص ٢٤١ .

(٣) « شه » ص ١١١٨ ، س ٢ — ٥ .

(٤) « شه » ص ١٦٩٩ ، س ٢٨ .

وتقابل الجيشان على شاطىء نهر أرس ، فعبر إينانج النهر فى مقدمة الجيش ، وسار السلطان محمد فى إثره ، وهزم جيش سليمان ، وتفرق شمل جنده ، وتوجه سليمان إلى الموصل[1] ، وطلب الأتابك إيلدگز الصفح عن فعلته ، فاستماله السلطان محمد ودلله ، حتى أرسل ابنه الأتابك پهلوان فى ركابه السلطانى إلى العراق ،[ص ٢٦٧] ولما أمن السلطان من ناحية آذربيجان ، توجه فى آخر سنة خمسين وخمسمائة إلى بغداد ، وتوقف شهراً بقصر قضاعة ، لأن «موفق گردبازو» كان قد قبل أن يحضر «زين الدين كوچك» بمدد من الموصل ، ثم دخل بغداد بعد ذلك من ناحية بتّ وراذان ، حيث وجد مكاناً على نهر دجلة استطاع العبور منه ، وأدركه « زين الدين على » بجيش عظيم منظم ، ثم توجه الجميع إلى باب بغداد ؛ حيث نزل السلطان وخواصه ، وزين الدين على بالجانب الغربى ، ونزل أبناء قايماز والأتابك اياز وشرف الدين « گردبازو » على الجانب الشرقى ، ونصب جيش السلطان وزين الدين المجانيق على نهر المعلى ، ووصل أبناء مظفر الدين حماد من العراق ، ومعهم أربعمائة سفينة مملوءة بالرجال والسلاح كما أحضر أبناء دبيس بضعة آلاف من الرجالة من الحلّة . فاجتمع بذلك جيش عظيم ، وحشر كثير ، وكان رجال الطرفين يتبارزون كل يوم ، ويتقاذفون بالأحجار ، ويطارد بعضهم سفن بعض ؛ وكان الرجالة يخرجون من المدينة ، ويقاتلون مشاة الجيش ، ولم يخرج الجيش برمته فى أى يوم من الأيام للقيام بالحرب ، لأن جماعة من أمراء الخليفة كانوا يغافلونه ويمنونه بالانضمام إليه ، قائلين : « نفتتح فى يوم كذا بوابة كذا ، ونلتحق بخدمتك » .

مثل : « من طالت غفلته زالت دولته[2] » .

---

(١) كان ذلك فى سنة ٥٥١ (ارجع الى زن ص ٢٤٢ ،) « ا ا » ج ١١ ، ص ١٣٦ — ١٧
(٢) « نق » ورقة ١٧ — أ .

وكان بين موفق گردبازو وأبناء قيماز شجار ؛ فكان هذا سبباً فى التهاون فى الحرب ، وساءت الأحوال فى المدينة ، فامتنع الناس عن دفع الأموال السلطانية ، ولم يعد من المتيسر حمل مَنٍّ واحد من المتاع فى المدينة ، ووصلت الأنباء فجأة بأن ملكشاه[1] قد وصل هو والأتابك إيلدگز إلى باب همذان ، وانتشر هذا الخبر فى المدينة بسرعة البرق ، وكان معناه أنهم لا بد أن يرحلوا ، فسارع جنود السلطان إلى الهرب فى جماعات صغيرة ، خوفاً على أقواتهم وعيالهم وممتلكاتهم ، فلما أيقن السلطان أن الأمر قد أفلت من يده ، أمر بعبور دجلة فى اليوم التالى [س٢٦٨] والتوجه إلى همذان .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— ربما كان نصيبنا من هذه الدنيا الفانية ، الحقد والبغض والألم والمتاعب[2]
— فلم نر من الدهر إلا الشدائد والمصاعب ،
ولم نلق فى أى مكان ترياقا إلا هذا السم الناقع
— فحينما يمر الفلك فوق رأسى ، فإنه يجذب الدنيا بقوة أو بلين
— وهذا هو رسم الدنيا الفانية ، فحاول ألا تبذر فيها بذور السوء[3]
— وقد أيقنت أن قبة الفلك القديمة ، لم تفتح شفتيها يوما بمكنون أسرارها ...!!

وظن الجند والحاشية أن الغد سيكون مملوءا بالمتاعب ؛ فصممت كل طائفة منهم أن تعبر فى أثناء النهار دون أحمال ، فحدث اضطراب شديد فى الصفوف ، وانكسر الجسر ، وترك الملاحون سفن جيش السلطان ، وهربوا ، فكان لا يعبر إلا من يجد سفينة .

مثل : « أفضل الناس من عصى هواه ، وأفضل منه من أبغض دنياه[4] »

---

(١) المراجع : يقصد ملكشاه بن محمود بن محمد
(٢) « شه » ص ١٠٣٠ ، س ١٧ .
(٣) « شه » ص ٢٦ ، ص ٢٧ .
(٤) « فق » ورقة ٦ أ .

[بيتان فارسيان فى الأصل ، ترجمتهما :]

— النفس الوضيعة يحليها الخلاف ،

فالسيف المعوج يكون بالطبيعة فى غمد معوج ...!!

— فلا تتنكر للنعمة ، حتى لا يزول عنك الخير والبركة ...!!

وقامت الحرب وكأنها يوم القيامة ، وتحرك الرجالة من أماكنهم على الجانب الغربى وهجموا على العجم ، وخرج الجيش من المدينة ؛ ووصلت السفن المقاتلة قريباً من جيش السلطان ، وكانت أمتعة التجار والجنود فى قصر السلطان بالجانب الشرقى ، فهجم رجالة بغداد جميعا عليها ، وامتشق جنود الجيش الذين كانوا على الجانب الغربى السلاح ، وانتظموا صفوفاً لحراسة أماكن الخيل ، وكان السلطان قد أقام فى قصر سعد الدولة[1] مع عدد قليل من الجند ، بينما بقيت خيمته وعتاده ، ومعداته ، وخزانته ، وأسلحته ، وجوارى قصره ، وجميع أدواته على الجانب الغربى ، وكان «زين الدين على» وجميع جنود الجيش قد ركبوا خيولهم ، وأخذوا يقاتلون السفن المهاجمة ، ليمنعوها من المجىء إلى الجانب [ص ٢٦٩] الغربى ، وأمر زين الدين بأن تلقى المجانيق حممها عليها ، وأن تحرق معدات السلطان وأمتعة الجيش التى لا يمكن نقلها ، وأن يقف الجند فى صفوف حتى تمرّ جميع الجوارى والمعدات والخزانة ، فلما فعلوا ذلك سار السلطان فى إثرهم . وكان السلطان — وحوله جملة الجيش — ممتطياً صهوة جواده طوال تلك الليلة حتى الصباح على الجانب الشرقى ، ثم حملوا الأمتعة فى الصباح ، ونزل السلطان على بعد فرسخ من بغداد ، يملؤه الحقد الدفين ، وكان انسحابه غير منظم ، ولكن جيش بغداد لم تكن لديه القوة لمطاردته .

(١) هو سعد الدولة يرنقش الزكوى (« زن » ص ٢٤٨) .

مثل : « الظلم مسلبة للنعم ، والبغى مجلبة للنقم[1] » .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— البغى يجلب الحقد إلى كل منزل ، والظلم يسلب النعم ويقلبها شرا

وكان قد بقى للسلطان — من سائر أمتعته — فراش وقطعة من البساط ، وخمسة جياد . ونقل الأمراء منضدة صغيرة من مطبخه ، ليستعملها متى وصل إلى حلوان .

مثل : « من اكتفى باليسير ، استغنى عن الكثير[2] » .

[بيت فارسى فى الأصل[3] ، ترجمته :]

— إذا لم تملك من متاع الدنيا شيئا
فلتتحقق لك السعادة بالقناعة ، ولتتوفر لديك

وقد أوصل « زين الدين على كوچك » جميع أمتعته ومعداته ، وخزانته وجواريه ، وجميع ممتلكاته ، دون أن يضيع شىء[4] منها .

مثل : « من تمام الكرم ، إتمام النعم[5] » .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— إذا كان طبعك فياضا بالنعم ، فإن ذلك يابنى ... من تمام الكرم ... !!

---

(١) « فق » ورقة ١٠ ب .

(٢) « فق » ورقة ٦ ب .

(٣) نظامى : خسرو وشيرين (الخمسة ، ص ٥٣) .

(٤) ارجع فى ذكر محاصرة بغداد إلى « زن » ص ٢٤٦ — ٢٥٥ و « ا ا » فى حوادث سنة ٥٥١ هـ [ج ١١ ، ص ١٤٠ — ١٤٢] . وقد ذكر عماد الدين الكاتب الإصفهانى صاحب « زن » هذه المحاصرة بالتفصيل لأنه كان حاضرا فى بغداد فى أثنائها ، فشاهد الوقائع ورآها رأى العين .

(٥) « بق » ورقة ٨ ب .

ولما وصل السلطان إلى مسافة خمسة منازل من همذان ، رجع الأتابك ايلدگز و بقى ملكشاه وحده ، ففر إلى خوزستان ، ونزل السلطان [ص ٢٧٠] فى قصر همذان (كوشك همذان) .

مثل : « نحن كما كنا والعناء زيادة » .

فقد أصبح سعيه ضائعا ، وحل به التعب ، وخلت خزانته ، فلم يقم بحملة بعد ذلك ، وكان يذهب فى الشتاء إلى ساوه ، وفى الصيف إلى همذان ، واستولى عليه التعب ، فكان يبدو ضعيفاً متوعكاً ، وظل هكذا إلى شهر ذى الحجة من سنة أربع وخمسين وخمسمائة ، حين جاء من القصر إلى المدينة محمولا فى محفة فعاش أسبوعًا ثم مات .

وكان السلطان قبل ذهابه إلى بغداد ، قد أرسل «شهاب الدين مثقال بزرگ» والإمام الشيبانى[1] لخطبة الخاتون الكرمانية[2] ، وليرافقاها من كرمان إلى همذان ، وقد وصلت إلى همذان فى رجب من سنة أربع وخمسين وخمسمائة ؛ حيث تم العقد عليها ، فأقيمت سرادقات عديدة ، واجتمع المطربون احتفالا بها ، وخف السلطان لاستقبالها فى المحفة لأنه كان مريضاً ، وقد أقامت الخاتون خمسة أشهر فى عصمة السلطان ، ولكن السلطان لم يقربها بسبب المرض[3] إلى أن توفى فى ذى الحجة من هذه السنة[4] .

وقد ترك السلطان العمر المديد ، وملك العالم للملك المظفر ، والسلطان الشاب السلطان القاهر ، عظيم الدهر ، غياث الدنيا والدين أبى الفتح كيخسرو بن السلطان

---

(١) فى «جت» عماد الدين عبد الصمد الشيبانى .

(٢) «خاتون كرمانى» هى ابنة ملك كرمان ، ارجع إلى «زن» ص ٢٨٧ .

(٣) «زن» ص ٢٨٧ .

(٤) توفى يوم السبت لا نسلاخ ذى القعدة سنة ٥٥٤ هـ («زن» ص ٢٨٨)

قلج رسلان — خلد الله ملكه — وإن كل يوم يمضى من عمره بمثابة مقدمة للصبح الكاذب وطليعة للصبح الصادق ، فإذا أذن الديك فى تباشير الصباح ، نداء حى على الفلاح ، تظهر رايات الملك العالية فى جميع الأقاليم ، فتظل الآفاق ، ويشمل أمر فتحه المبارك كل مدينة ، فيجعلها ركابه الميمون تزداد عظمة وروعة وزينة ، لتصير كروضة الرضوان .

وقد أدرك هذا الملك — الذى هو ظل الله فى الأرض — منقبة العلم ومنزلة العلماء ، ومنصب الحكماء ؛ وهى أشرف المناقب ، وأرفع المناصب ، وأنفس المنازل ، وتحقق من أن الله تعالى — تشريفاً للعلم — قد منح العلماء منزلة الملائكة، وأوصلهم إلى مرتبة الروحانيين فى الشهادة بوحدانيته وقرن [ص ٢٧١] اسمهم باسمه ، وبالملائكة ، حيث يقول فى كتابه القديم : « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم[١] » .

وإن خشية الله ومراقبة جانبه — وهما سبب الفوز والنجاح والسعادة الأبدية — إنما هما من ثمرات العلم ونتائجه . كما قال الله تعالى : « إنما يخشى الله من عباده العلماء[٢] » .

وإذا تحلى شخص من بنى آدم بحلية العلم والتقوى ، واختص من عوارف صنع الله ولطائفه بهاتين الموهبتين السنيتين ، وصار محظوظاً بهما ، فإنه يصل إلى منزلة أعلى ، ويبلغ درجة الكمال .

وقد وصل سيد العالم ، السلطان القاهر أبو الفتح كيخسرو ، ذو العظمة والسلطنة ، والقوة والشوكة ، وفسحة الدولة والعدل ، إلى أقصى درجات

---

(١) سورة آل عمران ، آية ١٦ .

(٢) سورة فاطر آية ٢٥ .

العلم ، وأعلى منازل الفضل ، ولم يصل شخص قط من جملة سلاطين آل سلجوق إلى وفرة عدله وفضله ، ودرجة علمه وكماله ؛ و إن أرواح العلماء الذين كانوا بمثابة الآباء المرشدين للسلاطين ، لتزهو بمثل هذا الخلف ، وتفاخر به ، فى روضات الجنان مع الحور العين ، و إنى لأسأل الله أن يزداد علمه ، وأن تبقى دولته إلى يوم القيامة .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— أسأل الله أن يبقى سعادتك أبد الآبدين ، وأنت تعلم أننى لا أملك إلا الدعاء

ولما كانت دولة هذا الملك السعيد ، قد أعادت أنوار فصل الربيع وأزهاره إلى أشجار دولة آل سلجوق ، بعد ذبولها فى الخريف ، وأبدت فيها من جديد نضارة الرياحين وجدتها وخضرتها ، قلت — أنا الداعى المخلص والمحب المتخصص — أصف الربيع على لسان الورود والأزهار ، وأمدح هذا الملك المظفر صاحب العهد السعيد هذه القصيدة الرائعة فنظمت ماس الأفكار فى هذه الدرر الأبكار

[قصيدة فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— فتحت ريح الصبا وجه الرياض بلا توان ،
فأخذ جيش الرياحين يقبل بأمر الله : كن فكان ...!!
— وترنم البلبل الشادى على أغصان الريحان ،
وانشد قصصاً جميلة فى مدح السلطان ...!!
— وصار القمرى يترنم فوق أغصان السرو النائمة على حافتى النهر ، [ص ٢٧٢]
ويمدح من صميم قلبه وروحه ملك الزمان ...!!
— وظل السوسن معقود اللسان مثلى رغم أن له عشرة ألسنة ،
لأنه وجد أنه لا يستطيع أن يحسن مدح السلطان ...!!
— وأقبل النرجس الغض يحمل القدح فوق يده
ليقدم للرياحين — فى محفل الملك — الخمر الحمراء الأرغوانية ...!!

— ورفع شجر الصفصاف أيديه بالدعاء ،
طالباً من الله ذى الجلال أن يديم عهد الملك الشاب مادام الزمان ... !!
— وإن كل خضرة فوق شواطئ الأنهار لتدعو الله قائلة :
يارب أطل حياة هذا الملك العادل ... !!
— فهو الملك العظيم الذى له عظمة جمشيد ،
والذى يمنح الملوك التيجان ، ويأخذ من الملوك الخراج
— وهو السلطان الذى له قدر بهرام وسيرة أفريدون ،
وهو فى الحرب كرستم دستان ، وفى السخاء كحاتم الطائى .(١)
— وهو صاحب سيف وقلم ... استطاع بهما
أن يفتح المشرق والمغرب ويضعهما فى قبضته التى تنثر الجواهر ... !!
— وهو ملك العالم ، وظل الله فوق خلقه ،
وهو مالك الأرض ، وقد اقترنت الكواكب السبعة على سعده
— فالقمر المبارك عبد منقاد له ،
والشمس فى خدرها خاضعة لأمره ... !!
— وله ملك سليمان ، فانظر إلى بابه
تجد الوحوش والطير خدما له ، والإنس والجان طوعا لأمره ... !!
— وقاع البحر مملوء بالدرّ ، وبطن المنجم زاخر بالذهب
ولكن آفتها جميعاً يد الملك التى تمنح ، وقلبه المحب للعطاء ...!! (٢)
— إن ثروة ملك الصين ... هبة واحدة من هباته [ص ٢٧٣]
وإن قيصر الروم يتمنى أن يكون خادما لعتباته ... !!
— وقد أصبح الصقر — فى هذا العصر — صديقا للعصفور
وأصبح الذئب رفيقا للراعى ، وذلك بفضل عدل هذا الملك .. !!

---

(١) المراجع : جمشيد وبهرام وافريدون جميعهم من ملوك إيران الأقدمين ، ورستم دستان هو البطل الأيرانى الذى شادت بذكره الأساطير ، وحاتم الطائى هو مضرب المثل بالجود والسخاء عند العرب .

(٢) المراجع : يقصد أن الذهب والدر ينقصان على يد الملك التى تعودت العطاء بفعل قلبه الذى جبل على السخاء .

— وقد ورثتَ بحق ... وأنت الملك العظيم ...
ملكَ كسرى وجمشيد ، وعدل أنوشروان ...!!

— لقد حاول رستم البطل أن يحارب مثلك ،
ولكنك أنت الآن تفوقه فى الحرب مهارةً وقوة ...!!

— وإذا حارب الملك ... فقتاله يشبه فى الواقع يوم القيامة ،
كما أن محفله يشبه فى الحقيقة جنات الرضوان ...!!

— وغضبك ... يظهر لأعدائك صورة جهنم الحمراء ،
ولطفك ... يبدو لأصدقائك كجنات الخلد الفيحاء ...!!

— وكل شيء تشرق عليه الشمس تحت قبة السماء ،
فيه أثر منك ، وفيه أمرك واجب الأداء ...!!

— لقد هزم الملك عدوَّه بسيف القهر ، واستولى على ملكه ،
ثم وزع هذا الملك جميعه على الأصدقاء ...!!

— وقد خرج سيفه من أرض الهند
ولذلك مال برأيه إلى تلك الأنحاء

— أيها الملك الشاب ... إنك ملاذ الأنام ،
وظلك أكثر حدبا على الخلق من قلوب الآباء ...!!

— فكل من لايدين لك بالعبودية كما دان الفلك لك ،
يكون فى الحقيقة سيء الحظ ذا عناء ...!!

— فليجعل الله الفلك الأعظم طائعا لأمرك ،
وليجعل حركات الأرض والزمان وفقا لرغبات قلبك ...!!

— ولتدم فى كنف العافية إلى يوم الحشر
ولتبق فى رحاب الملك حتى تقوم الساعة ...!!

السلطان معز الدنيا والدين[1]

أبو الحارث سليمان بن محمد بن ملكشاه

قسيم[2] أمير المؤمنين

[ص ٢٧٤]

كان السلطان سليمان أسمر اللون يميل إلى الحمرة ، وكان متوسط اللحية ، قصير الرقبة ، ربع القامة .

وكانت مدة ملكه ستة أشهر ، وبضعة أيام . وقد ولد فى رجب من سنة إحدى عشرة وخمسمائة ، وبلغت مدة عمره خمسا وأربعين سنة .

وكان وزيره شهاب الدين ثقة[3] ؛ وحاجبه مظفر الدين ألب أرغون[4] ، وتوقيعه « استعنتُ بالله[5] » .

وكان السلطان سليمان ملكا حسن الطبع ، جميل الوجه ، محباً للمزاح .

مثل : « إذا شرف الخلق ، حسن النطق[6] » .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— الكلام الجميل ... من نتاج الطبع الجميل
فكل من حسن طبعه ... كان ذا كلام جميل ... !!

---

(١) قال ابن الأثير : (لقب سليمانشاه ألقاب أيه‌غيات الدنيا ، وباقى ألقابه ...) « ا ا » ج ١١ ، ص ١٣٦ .

(٢) فى « تسك » و « ع » ورسالة الجوينى « برهان » (ارجع إلى فهرس أسماء السلاطين فيما سبق حيث ورد لقب « برهان » بدل « قسيم » .

(٣) « زن » شهاب الدين محمود بن الثقة عبد العزيز النيسابورى ، ص ٢٨٩ .

(٤) يزيد فى « زن » عبارة (بن يرنقش صاحب قزوين) .

(٥) كذا فى « ع » ورسالة الجوينى .

(٦) « فق » ورقة ٨ ب .

وكان يميل إلى اللهو والأنس ولكنه لم يكن ثابتاً ؛ كما لم يكن الحظ مواتياً له ، فقد جلس على العرش بضع مرات ، ولكن الحظ لم يساعده فى هذه المرات جميعاً ؛ وقد اجتهد كثيراً ، ولكنه لم يجد توفيقاً .

[أبيات فارسية فى الأصل[1] ، ترجمتها :]

— لا تكن صديقاً للفلك الدوار ، فقد ينزع أحياناً مخك وطورا جلدك ... !!

— وحينذاك تدرك التعب والعناء ، اللذين يسببهما ذلك الفلك الدائر ... !!

— فتنبّه إلى سيئاته،ولا تسلم قلبك لمتاعبه

لأن الغدر هو رسم هذه الدنيا الفانية ... !!

— وإن التعب هو نصيبى من هذه الدنيا المظلمة ،

فكيف يصبح قلبي سعيداً وحياتى مشرقة ...؟!.

ولما رحل السلطان محمد من الدنيا ، كان « موفق گردبازو » [ص ٢٧٠] أقوى الأمراء جميعاً ، وكان « ناصر الدين آقش » و « عز الدين صتماز[2] » . والأتابك « ایاز » من العظماء ، فتشاوروا فيما بينهم فى أمر السلطنة ، واستقر رأيهم على دعوة « إينانج » للحضور من الرى ، والعمل وفقاً لرأيه ؛ فلما جاء ؛ استقر رأيه على تولية السلطان سليمان ؛ فذهب شخص لاستدعائه من الموصل ، فسيره الأتابك « قطب الدين مودود » فى عدة عظيمة ، وأهبة كاملة[3] .

مثل : « شكر الإله بطول الثناء ، وشكر الولاة بصدق الولاء[4] » .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— إن شكر الحقّ مرتبط بالثناء ، وشكر السلطان متصل بالولاء والوفاء ... !!

---

(١) « شه » ، ص ١٦٥١ ، س ٧ — ٩ .

(٢) يريد « زن » ، ص ٢٤٣ : « ابن قايماز الحرامى » ؛ وفى « ا » ج ١١ ص ١٤٢ : « سقمس بن قايماز الحرامى » .

(٣) ارجع الى « زن » ص ٢٨٨ — ٢٨٩ ، و « ا » ج ١١ ، ١٦٨ ، فى حوادث سنة ٥٥٥ هـ .

(٤) « فق » ، ورقة ٨ ب .

ووصل السلطان سليمان ، فى اليوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول سنة خمس وخمسين وخمسمائة إلى دار الملك فى همذان ، وجلس على العرش ، وتولى الملك ؛ وأنشد « سيد أشرف » هذه القصيدة يوم استقباله ، فى حضور الأمراء ، مهنئاً له بالملك .

[قصيدة فارسية فى الأصل ، ترجمتها[1] :]

— جلس ملك ملوك العالم فوق عرش السلطنة
واعتلى إنسانُ عين السلاطين سريرَ الملك ... !!
— فالمنّةُ لله ... إن علامة الملك موجودة فى اسمه
وقد طبعت على ثوبه ، فعمرت الدنيا ، وامتلأ المنجم ذهبا ... !!
— والحمد لله ... فقد جلس على عرش خراسان والعراق
ملكٌ عراقى خراسانى فى نفس الوقت ... !!
— والثناء لله ... فقد صارت الدنيا مثل جنة الفردوس ،
وأصبح هذا الملك العظيم حارسا على جنة الرضوان ... !!
— وقد وقف اليوم الإنس والجن والملائكة لخدمته [ص ٢٧٦]
لأن سليمانشاه جلس على عرش سليمان ... !!
— وهو بين الملوك كالشمس بين الكواكب ،
فإذا تربعت على العرش ... كسف نورها جميع الكواكب ... !!
— وقد سما قدره على جميع الكائنات والآدميين
وطُبع حبه فى قلوب الملائكة المطهرين ... !!
— وقد خضعت ريح القضاء لعزمه ، فوقفت تلبى النداء ،
وجمدت الجبال فوق الأرض أمام حزمه فى ضعف وحياء ... !!
— وليس بعزيز عليه أن يلقى بكرة الفلك بعيداً عن ميدان الوجود
لأن الكون جميعه يستقر فى جزء من مضربه القوى ... !!

---

(١) ديوان سيد أشرف (حسن الغزنوى) نسخة المتحف البريطانى ، ورقة ١٢٩ — ١
(Or. 4514)

— وقد أحييت الدنيا أنفاس عدله، وكأنها أنفاس عيسى
فلا جرم أن صارت له بذلك المنّة على العالم ... !!
— كما هدأت الفتنة الحالكة بفضل سيفه فى يوم الهيجاء
وقد أخمدت بسهولة، ولن تقوم أبدا مهما اشتد العناء ... !!
— وقد استقر سلطانه، وسار ذكره فى الآفاق
سير الفلك الدوار الذى لا يتوقف عن الدوران ... !!
— وزهق الباطل سريعا حينما أدى المَلَكُ
الصلوات الخمس وجلس على عرش المُلك ... !!
— فيامن وقف كيوان[1] عبدا على باب إيوانك
وجلس القمر حارسا على باب أعتابك ... !!
— قد هنأك الحظ حينما رآك جالسا على العرش وقال :
يامن جلست على عرش الدنيا، إنك تحسن الجلوس ... !!
— فاستعد مثل الملوك العظاء وافتح العالم أجمعه [ص ٢٧٧]
فإن الوقت وقت العمل، ولا يمكن التمهل والانتظار
— وأمطر غيث الرحمة من فيض كفك على سائر المسلمين
وأسرع بإنقاذهم فقد علا غبار الكفر وجوههم

وقد عهد إلى « شهاب الدين ثقة » بالوزارة، وإلى « مظفر الدين ألب أرغون» بإمارة الحجابة[2]، وكان السلطان يبسط العدل، ويفيض الفضل.

مثل : « أعظم الملوك من ملك نفسه، وبسط عدله[3] » .

وأسند ولاية العهد إلى الملك « ارسلان » الذى كان مقيما عند الأتابك

(١) المراجع : هو « زحل » وهو فى السماء السابعة ، والمقصود بذلك أن السماوات السبع خضعت له .
(٢) ارجع إلى « زن » ص ٢٨٩ .
(٣) « دق » ورقة ١١ — أ .

«ايلدگز[1]» حتى يستميل ايلدگز إلى جانبه ، فأدرجوا اسم ارسلان في الخطبة ، ونقشوه على السكة .

ثم رجع « إينانج » إلى الري .

وكان بين « موفق گردبازو » و « عز الدين صتماز » و « ناصر الدين آقش » نزاع دائم ، ولم يعد لگردبازو من النفوذ في الحكم ما كان له في عهد السلطان محمد ، لأن السلطان سليمان كان مشغولا — طوال أيامه — بالملذات والعشرة ، وكان عز الدين وناصر الدين أكثر تردداً عليه ، وكانا كلما رأيا السلطان يتحدثان معه ، في أمر القبض على « گردبازو » .

وذات يوم أنزلا السلطان ضيفاً على « گردبازو » لعلهما يستطيعان بذلك تنفيذ فكرتهما ، فلم يقصر « گردبازو » في إعداد وسائل الترف ، ولكنه حافظ على نفسه جيداً[2] .

مثل : « من جاد بما له عزّ ، ومن جاد بعرضه[3] ذلّ » .

فلم تنجح هذه الخطة ، لأن « گردبازو » كان ذا جيش كبير ، وكان يحتاط كثيراً ، وكان جنوده ينامون مسلحين — كل ليلة — حول قصره .

وفي تلك الأثناء أرسل « گردبازو » شخصاً إلى الأتابك إيلدگز ، وحرضه على المجيء وإحضار الملك ارسلان معه ، أما السلطان سليمان ، فقد ظل يداوم الشراب حتى نفر من مخالطة الناس ، وصار ملولا .

مثل : « من جانب الأخيار ، أساء الاختيار[4] »

---

(١) لأن الأتابك إيلدگز كان زوج أم ارسلان (« زن » ص ٢٨٨) .
(٢) « ا ا » ج ١١ ، ص ١٧٥ — ١٧٦ .
(٣) « فق » ورقه ٩ — أ .
(٤) « فق » ، ورقة ١١ — أ .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— إذا تركت مصاحبة الأخيار ، فإنك تكون قد أسأت الاختيار ... !!

ولم يعد الأمراء يجدون طريقاً إليه ، فيئسوا منه ، لأنهم لم يكونوا [ص ٢٧٨] يرونه كثيراً ، وكانوا إذا رأوه يستاءون منه ، لأنه كان لا يحترم أحداً منهم ، وكان يؤذى الجميع بلسانه وأقواله .

مثل : « احفظ رأسك عن عثرة لسانك[1] » .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— احفظ رأسك من ضَربات اللسان
فقد يؤذى لسانك رأسك فى بعض الأحيان ... !!

فاتفق الجميع مع « گردبازو » على استدعاء ارسلان .

[أبيات فارسية فى الأصل، ترجمتها:]

— لن يعرف إنسان هدف الدنيا ، لأنها لن تطلعنا على أسرارها[2]
— فلماذا تربط قلبك بالدنيا الفانية
ولماذا تتعب وأنت تعلم أنك لن تبقى فيها[3] ... ؟!
— لقد ارتفع فيها ناب الأفعوان وصار حاداً
ولا يستطيع أحد أن يتخلص منه بالمروءة والعلم[4] ... !!
— ووجد فيها التمساح فى البحر ، والنمر فى الصحراء
والأسد الهصور المفترس فى الغابات[5] ... !!

---

(١) « فق » ورقة ١٣ — أ .
[المراجع : هكذا وردت هذه العبارة ، والصواب « من »] .
(٢) « شه » ص ١١٥٤ ، س ١٠ .
(٣) « شه » ص ١١٥١ ، س ١٦ .
(٤) « شه » ص ١١٦١ س ٢٢ .
(٥) « شه » ص ١٢٣٤ ، س ٢٥ .

— وتجرى الأمور بشدة أو بلين
ولن يستطيع الإنسان التمييز بين الخير والشر ... !!
— ولا يجدى فيها التساؤل عن حقيقة الأمور
ويستوى فى ذلك العظيم والحقير[١] ... !!
— ولو صبك الفلك من حديد صلب ، فإنه لن يدلك إذا صرت شيخا[٢] ... !!
— وهكذا رسم الفلك الدوار ، فهو يظهر لك أحياناً الحقد وطورا الحب[٣] ... !!

فلما علم سليمان أن الأمراء قد استوحشوا منه ، وأرسلوا إلى ارسلان ، أوفد إليهم شخصاً يقول لهم على لسانه : « إذا كنتم لا تريدوننى ، فإنه لم يصبكم منى أذى ، فدعونى آخذ ما قد أحضرته معى — من الموصل — من لوازم وممدات ، وأذهب تاركاً ما بقى من الأمر لكم » .

وأراد الأمراء أن يجيبوا على رسالته ، ولكنهم رأوا أن إجابتهم لا ينبغى أن تتم قبل أخذ رأى « إينانج » .

مثل : « من حق العاقل أن يضيف إلى رأيه رأى العلماء ، ويجمع إلى عقله عقول الحكماء[٤] » .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— أبلغ رأيك إلى العلماء ، واجمع إلى عقلك عقول الحكماء ... !!

فذهب شخص إلى « إينانج » . فبعث إينانج معه رسالة قال [ص ٢٧٩] فيها : « الله . . ! الله . . . ! إذا كنتم تكرهونه ، وتريدون أن تختاروا ملكا غيره ، فليس من المصلحة تركه ، لأنه إذا ذهب إلى خراسان ،

---

(١) « شه » ص ١٣٦١ ، س ٤ — ٥ .
(٢) « شه » ص ١١٤١ ، س ٢١ .
(٣) « شه » ص ١١٥١ ، س ١٥ .
(٤) « فق » ورقة ١٨ — أ .

فلا يمكن أن نأمن جانبه ، وإنه سيعد جيشاً ، وأكون أنا أول من يتعرض لهجومه فينبغي حبسه حتى يصل السلطان الآخر ، وحينذاك يصبح الأمر في يد السلطان الجديد يتصرف فيه كيف يشاء . . . ! ! »

مثل : « أحسن العفو ما كان عن قُدْرة ، وأحسن الجود ما كان من عُسْرة[1] » .

وظن الأمراء أن سليمان سوف يهرب إذا استبد به اليأس ، فجمعوا فرساناً — من كل معسكر — مزودين بالأسلحة ، فكانوا يتبادلون المراقبة حول قصره حتى وصل « إيلدكز » ومعه السلطان ارسلان ، فى آخر رمضان سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، ثم جلس السلطان ارسلان على العرش ، وسجن سليمان فى جوسق فى وسط حديقة القصر ، ووضع عليه الحراس[2] .

ثم توجه السلطان ارسلان والأتابك ايلدكز بعد شهر إلى إصفهان ، ونقل سليمان إلى قلعة علاء الدولة[3] ، وكان سليمان قد ألف حياة الملك السجين الذى يقيم داخل قلعة ، ولكنه تعب فى هذه المرة فلم تسلم جرّته ، وانتهت حياته فى هذه القلعة فى اليوم الثانى عشر من شهر ربيع الآخر سنة ست وخمسين وخمسمائة[4] ، ودفن فى مقبرة أخيه مسعود . رحمه الله ، و برد مُضجعه .

وإنى أسأل الله أن تتمتع روحه فى روضة الرضوان وفسيح الجنان ، لقاء إحسانه و بره وتعويضاً لكل سعادة لم تتحقق له ، وكل دولة لم تدم له ؛ وها هو

(١) « فق » ورقة ١٣ ب — ١٤ أ .
(٢) « زن » ص ٢٩٦ ، و « ا ا » ج ١١ ، ص ١٧٦ .
(٣) « زن » « نقلوه إلى قلعة همذان ... » .
(٤) قيل إنه مات مسموما (« زن » ص ٢٩٦) وقيل بل خنق (« ا ا » ج ١١) ص ١٧٦ .
[المراجع : العبارة الفارسية « اين بار سبوى أز آب درست نيامد » تقابل العبارة الرائجة بيننا « ما فى كل مرة تسلم الجرة »] .

سميه يحكم فى سعادة ، ويجرى فرس السعادة والإقبال متمتعاً بسمعة طيبة ، ويهزم فى كل يوم خصما ، ويفتح إقليما ، ويلهو ويتمتع بقدر على نهج العقلاء ، وكل أمر يصدره رأيه الأعلى يكون وفقاً لحجة الصواب ، وللمنهج الاستقامة ، لأنه يلتزم طريق الله الذى لا خطأ فيه ولا زلل ؛ فأمره نافذ فى جميع الآفاق على الإطلاق ، وقد جمع محاسن جميع أسلافه ، من السلاطين والملوك الذين حكموا على وجه الأرض .

[بيت عربى فى الأصل] [ص ٢٨٠]

سُبْحَانَ من جَمَعَ الورىٰ فيهِ كما ... جمع العُلُومَ بأَسْرِها فى المُصْحَفِ

ولقد أصبحت ميامن النوايا الطيبة ، وعقائد ملوك السلاجقة الصافية ، وسير سلاطينهم العظماء مفخرة لبنى آدم ، ونقشت محاسنهم على صفحات الكون ، فالحمد لله ، والمنة له . أن استطاع هذا الملك أن يسجل مآثر هذه الأسرة الكبيرة ، الدائمة المؤيدة الخالدة ، وأن يرفع أعلام السلطنة لدولة أسلافه العظيمة فى جميع ممالك العالم ، وأطراف العرب والعجم .

[بيتان عربيان فى الأصل]

إنَّا لَنُحْرِزُ بالأَسْيافِ مُصْلَتَــةً ... ممالكَ الرُّومِ والأتراكِ والعربِ

حَتَّى تَــكُونَ لنَا الدُّنيا بأجمعِها ... مَحْمِيَّةً بين مَوْرُوثٍ ومُــكْتَسَبِ

أسأل الله أن يزين وجه الأرض بجمال عدل الملك غياث الدين وأسأله أن يبلغ به فى الدين والدولة والدنيا والآخرة إلى أقصى الهمة وغاية الأمانى ، ومطمح الآمال ، ومنتهى ما يصبو إليه خاطره المبارك ، وأن يعلى شأنه ، ويزين الخطبة والمسكوكات فى ممالك العالم بألقابه الميمونة واسمه المبارك ، ويجعل عتبة

سلطنة هذا الملك مكاناً لسجود أكاسرة العالم ، وقياصرة بنى آدم . . . ويرحم الله عبداً قال آميناً[١] .

وهذه مجالة فى مدح الملك كيخسرو خلد الله ملكه .

[قصيدة فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— يامن استضاءت الأرض برأيك ، كما استضاءت السماء الرابعة بالشمس ... !!

— إن السماء لاتدرك درجة جاهك ومدى قدرك ،

ولو ارتفعت مائة طبقة ، فهى تسجد كما تسجد الأرض ... !!

— إنه الملك كيخسرو الذى ارتفعت أصوات جوده وعدله

حتى جعلت أذن الفلك السابع صماء من شدتها ... !!

— فليجعل الله الملك المظفر ملاذا للدين ... وإنه لكذلك

وليجعل الله بلاطه ملجأ للدنيا والدين معا ... !!

— ولقد تشبَّهَ البحر بك فصار مانحاً للجواهر

ولكنك تمنحها باسماً أما البحر فعلى صفحته تجعدات كثيرة من الموج ... !!

— لقد بحثت الأزمانُ الطويلة عن ملك مثلك [ص ٢٨١]

فلم تر لك قريناً فى أصالة الرأى وبعد النظر ... !!

— لقد كنت فى شك من فكرة السمو على الفلك

حتى كشف لى قدرك عن عين اليقين ... !!

— إن الشمس تضع رأسها على أعتابك

لعلها تحظى بتقبيل يديك يوم الاستقبال . . !!

— أسأل الله أن يكون لك أسمى المواقع

فى الميدان ... ما دمت حيا ... أيها الملك العظيم ... !!

— فقد صنعت من المجرة طوقا وحلية لسرج جوادك

واتخذت من القمر زينة للجام فرسك ... !!

---

(١) المراجع . وردت العبارة بالعربية فى الأصل

— وارتعدت الشمس خوفا منك ، فبدت نحيلة صفراء اللون كالزاهد ،
وحاولت أن تنزوى خلف الجبل كالنحلة ... !!

— فلما ترنّمتْ بدعائك نجت وأشرقت ، فكان دعاؤها لك ... شفاءً لها ... !!

— وإن الشمس لتضطرب إذا رأت ، تجعداً على جبينك من أثر الغضب ... !!

— إن قوة خصمك لاتقاس بشىء أمام قوتك
فأنت كماء الحياة ... وهو كالماء الآسن ... !!

— وأنّى يكون لخصمك الذليل ، رأى قوى وعزم متين مثلك ... !!

— فإن شرارة تظهر من غضبك ، تجعل أسد الفلك المصور يكمن فى عرينه ... !!

— وإن شيئاً يبدو من لطفك ، ليجعل الماء المعين خَجِلاً من فيضك ... !!

— وإذا حملت الرياح قدراً من رائحة خلقك إلى الصين
فإن عبيرها يطغى على رائحة المسك ... !!

— فليبقك الله خالداً سعيداً ما بقيت الدنيا
لأنك المختار لهذه الدولة من بين سائر الملوك ... !!

— وما دام دعائى قد اقترن بالإجابة
فإننى لن أتعب مسامعك بأن تسمع من المديح أكثر من هذا ... !!

السلطان ركن الدنيا والدين

ارسلان بن طغرل بن محمد

قسيم أمير المؤمنين

كان السلطان ارسلان ملكا أحمر الوجنتين ، جميل الوجه طويل اللحية ، خفيف الشعر ، طويل الذؤابة ، ربع القامة ، ممتلىء الجسم .

وكانت مدة ملكه خمس عشرة سنة ، وسبعة أشهر[1] ، ومدة عمره ثلاثا وأربعين سنة وتوقيعه : « اعتضدتُ بالله[2] » .

وكان وزراؤه هم : الوزير شهاب الدين[3] بن ثقة الدين عبد العزيز ، [ص ٢٨٢] والوزير فخر الدين بن معين الدين[4] ، والوزير جلال الدين بن قوام الدين[5] .

وحجابه هم : الأمير الحاجب مظفر الدين بازدار[6] ، والأمير الحاجب الأتابك اياز[7] ، والأمير الحاجب الأتابك نصرة الدين پهلوان[8] .

وكان السلطان ارسلان جميل الطلعة ، حسن السيرة ، ذا حياء وحمية ، بطىء الغضب ، سريع الرضا ، وكان الكرم والمروءة غالبين على أخلاقه ، والحلم والسكون ظاهرين فى أحواله .

---

(١) أى من ذى الحجة سنة ٥٥٥ هـ إلى جمادى الآخرة سنة ٥٧١ هـ .
(٢) فى « ع » : اعتصمت .
(٣) تزيد « زن » : محمود .
(٤) تزيد « زن » المختص .
(٥) تزيد « زن » : الدركزينى .
(٦) المقصود هو نفس مظفر الدين ألب ارغون بن يرنقش البازدار
(٧) تزيد « زن » (ص ٢٩٧) : طغرلتكين .
(٨) هو ابن شمس الدين ايلدكز ، وأخو السلطان لأمه .

مثل : « من قرب بزه بعد ذكره[1] » .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— كل من يختار الهبة والعطاء ، تتجاوز سمعته الطيبة أفلاك السماء ... !!

فلم يسمع صاحب حاجة منه لفظة « لا » أبداً ؛ ولم ير خادم منه جفاء وذلاً قط .

مثل : « أكرم الشيم أرعاها للذمم »

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— أداء الحق أجمل أنواع الكرم

فينبغى اختيار طيب الذكر ، فالعمر لحظة يتلوها عدم ... !!

وكان متغافلا عن أمر الدخل والخرج ، وضبط أحوال الخزانة ، وشئون العرش وغير ذلك من الأمور ، كما كان متسامحاً متساهلاً فى تحرى الأمور وتفحصها ، وكان محباً للتنعم ، باحثاً عن الترفه ، مبالغاً فى التكلف والتزين فى الملبس والمأكل ، ولذلك فقد ارتفعت فى عهده أثمان الملابس الفاخرة ، والثياب الملونة ، والملابس المخططة ، والأقمشة المزركشة بالذهب ؛ ولم يلبس شخص قط ، قدر ما لبس من الملابس الفاخرة ، ولا وهب قدر ما وهب منها ، ولم ترَ ملابس فى لطف ملابسه ؛ وكانت ملاطفاته فى مجلس الأنس تبلغ غاية الكمال ، كما كان لا يؤذى شخصاً أبدا فى محفله بفحش القول ، أو لغو الكلام أو السباب ، ولم يكن يصدر من شخص قط حركة خارجة عن اللياقة فى وجوده ومحضره .

مثل : « إذا كرمت السجية ؛ حسنت الطوية[2] »

---

(١) « فق » ورقة ١٣ ب .

(٢) « فق » ورقة ٨ ب .

[أبيات فارسية فى الأصل[1] ، ترجمتها :]

— إذا قُدِّر المُلك وتقررت الولاية لسلطان ، [ص ٢٨٣]
انعكس نور مُلكه على القمر فأضاء الأكوان ... !!
— وامتلأت الولايات بفضل عدله فرحا وسرورا ،
وانطلق جميع المسجونين ... فصاروا أحرارا ... !!
— فهو يرفع الجزيةَ عن جميع الأبواب ...
ولا يطالب أى مزارع بشىء من الخراج ... !!
— ويرفع الظلم عن المظلومين فى هذا العالم ،
ويقضى على قوانين الجور والمظالم ... !!
— ويجعل جميع المدن والقرى تسلم أمرها إليه .
لأن الدنيا جميعها تديمُ الدعاء له ... !!
— وقد تصادق ، بفضل عدله ، الصقر والعصفور ،
وشرب الذئب والحمل الماء معا من معين واحد ... !!
— وأقسم الرعايا — القريب منهم والبعيد —
بما هو متصف به من عدل وإنصاف ورأى سديد ... !!
— وغمر اليُسر أطراف الدنيا ، وبدت آثاره وفيرة
وتضاعف محصول الغلال مرات كثيرة ... !!
— لأن نية الملك إذا حسنت ، صار الترابُ تبراً ... والعشب وردا ... !!
— والشجرة الخبيثة تكون جافة الأغصان ضعيفة
أما الملك صاحب النية الحسنة فميمون الطالع ... !!
— وإن كل ناحية لتتحدث بأن ماهى فيه من نعمة أو ضيق
مَرجعُه إلى رأى ملكها ونيّته ... !!

ولما توفى أبوه السلطان طغرل بن محمد — رحمه الله — كان عمره أقل من عام ،

---

(١) من منظومة خسرو وشيرين لنظامى فى « جلوس شيرين على العرش فى مكان عمتها » (الخمسة ، طبع طهران ص ١٠٢) .

وكان ابن عمه ملكشاه بن سلجوق بن محمد — أيضاً — فى نفس السن ، فرباهما السلطان مسعود ، وأرسلهما إلى المدرسة .

مثل : « من أدام الشكر ، استدام البر[١] » .

واستمر السلطان مسعود يصطحب ملكشاه وارسلان معه إلى سنة أربعين وخمسمائة ، حين سار من بغداد عن طريق « دربند قرابلى » لقتال « بوزابه » ومعه جمع من الجيش بطريق آذربيجان ، فأرسلهما من دار الملك إلى قلعة تكريت ، وأودعهما لدى الأمير الحاج مسعود بن بلال ، والى بغداد[٢] ، وكان حاكما على هذه القلعة ، فمكثا فى القلعة بضع سنين[٣] ، حتى غير الزمان الأحوال بتقلباته ، وانتقل السلطان مسعود من الدنيا ، وجلس بعده ملكشاه بن محمود [ص ٢٨٤] مدة أربعة أشهر على العرش ، ثم جاء السلطان السعيد محمد بن محمود — الذى كان صهراً لمسعود ووليا لعهده — من خوزستان بعد أن استدعاه خاصبك بن بلنكرى ، وجلس على العرش فى آخر شوال[٤] سنة سبع وأربعين وخمسمائة . وفى سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، طلب الأمير الحاج «مسعود بن بلال» الذى كان قد هرب من بغداد ، وترك إيالتها لنواب دار الخلافة ، بسبب توجسه من تصرفاتهم — أن يذهب إلى بغداد مع « حسام الدين البغوش[٥] السلاحى » — الذى كان

---

(١) « فق » ورقة ٢٨ ب .

(٢) ارجع إلى ما سبق عند ذكر رحلة السلطان مسعود إلى آذربيجان .

(٣) من سنة ٥٤٠ إلى ٥٤٩ هـ وهو هنا يشير الى قول الله تعالى « فلبث فى السجن بضع سنين » سورة يوسف آية ٤٢ .

(٤) ارجع الى ما سبق عند ذكر مجىء السلطان محمد من خوزستان واعتلائه العرش .

(٥) ذكر فى « زن » باسم البغوس ، وفى « ا ا » باسم « البقش كون خر » .

صاحب قلعة « ماهكى[1] » وولاية « بندنيجان[2] » — لاستخلاص بغداد ، ودفع جيوش أمير المؤمنين ، وقال للسلطان محمد : « لن تـكون لنا طاقة على دفع الخليفة إذا نهض بنفسه لقتالنا لأن الأمراء — فى مثل هذه الحالة — لن يقفوا فى وجهه ، فيجب أن تأذن لواحد من الملـكيين المقيمين فى تـكريت بالوقوف لمواجهة الخليفة[3] » .

فوافق السلطان محمد على ذلك ، ولـكنه عاد فندم بعد تحرك مسعود بن بلال ، فأرسل خطاباً يأمر فيه بحجز الملك .

مثل : « من أسرع فى الجواب ، أبطأ فى الصواب[4] » .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— إن الـكلام الذى لاداعى لقوله ، كالشجرة التى لا ثمر لها ولا رائحة[5] ... !!

— فللقلب قوس ، وللسان سهم ، فلا تستهن بهذا الـكلام الذى أقوله ... !!

— فينبغى أن تـكون مستقيما منزها عن العيوب [ص٢٨٥]
وأن تترك آثاراً تدل على نبلك وشرفك[6] ... !!

---

(١) كانت قلعة ماهكى بقول « اا » فى بلدة « لحف » من أعمال بغداد ، ج ١١ ، ص ١٢٩ وص ١٦٤ وغيرها .

(٢) كذا فى « جت » ويبدو أنه هو الصواب ، وفى النسخة الأصلية « بيذنجان » والمقصود « بندنيجين » لأن « بندنيجين » معربه من « وندنيكان » بقول ياقوت وقد قال حمدالله المستوفى انهم كانوا يسمون « بندنيجين » فى عصره « بندنيكان » ارجع ص ٦٣ من كتاب
Le Strange : The Lands of the Eastern Caliphate.
إذن فالقريب من الصحة أن بندنيجان » هى نفس بندنيگان » وقد ورد فى معجم البلدان لياقوت (ج ٤ ، ص ٣٥٣) أن بندنيجين وبلدة «لـحْف» كانتا معا فى ناحية واحدة ، فلاشك إذن فى أن قلعة ماهكى قريبة من بندنيجين أو ، (بندنيجان » ارجع الى « اا » ج ١١ ص ٥٦١)

(٣) « اا » ج ١١ ، ص ١٢٩ ، و « زن » ص ٢٣٦ — ٢٣٧ .

(٤) « فق » ورقة ١٦ ب .

(٥) « شه » ص ١١٧٥ ، س ١٠ .

(٦) « شه » ص ١٤٢٤ ، س ٣ — ٤ .

— فاجعل كلامك دائماً عن عقل وروية
وسُقْ حديثك بصورة تتفق ونبل قصدك ... !!

وكان السلطان يدبر مع « البغوش » شيئاً آخر ، ولـكن الله يأبى إلا مايشاء ، وعمل القضاء عمله ، فلما أخرجوا ارسلان قاتلهم أمير المؤمنين المقتفى ، وحلت الهزيمة — أولا — بجيش أمير المؤمنين ، واشتغل الجند بالنهب ، ولـكن جيش أمير المؤمنين رجع مرة ثانية ، وهاجمهم ، فحلت الهزيمة بالبغوش ، فالجأ إلى ولاية ماهكى ، وحجز الملك معه حتى توفى[1] .

[بيتان فارسيان فى الأصل ، ترجمتهما[2] :]

— إذا بقيت فى الدنيا طويلا ، فسوف يتعب جسمك فتطلب الرحيل ... !!
— فهى بحر خضم لا قاع له ، ولا مفتاح لـكنز أسراره ... !!

فلما مات البغوش ، جاء « سنقر الهمدانى[3] » والتحق ببلاط السلطان ارسلان ، وتوجه إلى حضرة الأتابك ايلدگز ، لأن والدة السلطان كانت فى عصمة ايلدگز ، وكان سنقر يجيد التقرب ؛ والحق أن مثل هذا العمل كان تقرباً عظيما ، وفرصة مغتنمة ، وقد أقام السلطان ارسلان مدة عند الأتابك ايلدگز الذى كان فى منزلة أبيه ، وظل عند أمه محفوفاً بالإعزاز والإكرام[4] .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— تدبر أفعال الفلك الدوار
فهو يحدث بدورانه كل الأمور ... !!

---

(١) حديث هذه الواقعة فى منطقة بيجمزا أوبكمزا فى أواخر سنة ٥٤٩ هـ .
(ارجع فى تفصيل ذلك إلى « زن » ص ٢٤٠ ، « ا ا » ج ١١ ص ١٢٨ — ١٣٠)
(٢) « شه » ص ٨٠٦ ، س ٦ — ٧ .
(٣) هو سنقر الحمار تكين والى همذان ، (ارجع إلى « ا ا ») .
(٤) « زن » ص ٢٣٩ ، « ا ا » ج ١١ ص ٢٣٠ .

— فينبت من الشوك ورداً نضيراً
ويجعل التراب بفعل الحظ الحسن مسكا جميلا[١] ... !!

— ويحدث مايريد بلا مراء
ولا ينقص ماقدر له النماء[٢] ... !!

فلما رحل السلطان محمد من الدنيا ، احتل سليمان مكانه - كما مر ذكره - وكان الأتابك ايلدگز أهم الأركان التي اعتمد عليها ملكه ، فلم يكد يلي العرش ؛ حتى عهد بولاية العرش من بعده للملك ارسلان ليسترضى بذلك [ص ٢٨٦] الأتابك ، ويكسب عطفه ومودته ، وكأنما الزمان كان يعجل بتولى ارسلان بدل سليمان ، فأخذ حظ صاحب العرش فى الانخفاض ، وأسرع فى الأفول فلم تكد تمضى ثمانية أشهر على توليه العرش حتى وصل إليه من الكواكب السبعة أمر العزل . ومنشور الإقالة ، فارتفعت رايات السلطان ارسلان فى سماء همذان ، وازدانت الأرض بعظمة دولته ، ومضاء سيفه ، وإصابة رأى الأتابك الأعظم[٣] . فأطاعه أمراء الأطراف ، واستراحت الرعية فى ظل عطفه وعدله ، فتزين به عرش السلطنة ، فكان يحكم الدنيا بالعدل والعطاء ، ويقضى العمر حسن السمعة طيب الجزاء .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها[٤] :]

— إذا أردت العظمة فعليك بالسخاء ،
فلا تقفل كيس نقودك أبدا عن العطاء ... !!

---

(١) « شه » ص ٨٦٠ ، س ١٥ — ١٦ .
(٢) « شه » ص ٤٣٩ ، س ٦ .
(٣) « الأتابك الأعظم » كان لقب شمس الدين ايلدگز (ارجع إلى « زن » ص ٢٩٧ ، س ٢) .
(٤) من خسرو وشيرين لنظامى فى وصف ملك خسرو پرويز وعدله (الخمسة ، طبع طهران ص ١٣٥) .

ــ وصرف أمور العالم فى سرور
وخذ خراجه وأنفقه فى حبور ... !!
ــ ولا يمكن أن تملك العالم وحدك ،
ولا يمكن أن تنفق دخله بمفردك ... !!
ــ فانظر كم جمع قارون من كنوز الدنيا
فهل ساوت كنوز الدنيا فى النهاية متاعها ... ؟!

وأسند كرسى الوزارة إلى السيد « شهاب الدين ثقة » ؛ وعقد زواجه على خاتون الكرمانية[1] ، ذات المهد الرفيع ، وانتظمت أمور الدنيا تماماً من جميع الوجوه .

وفى آواخر سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، وأوائل ست وخمسين وخمسمائة ، توجه سلطان العالم والأتابك الأعظم من ساوه إلى إصفهان ، فى فصل الشتاء ، وكان الأمير عز الدين صتماز والياً عليها ، أما الأمير حسام الدين إينانج فكان قد استسلم للملك محمد[2] ، وفى تلك الأثناء بدا على عز الدين الضعف والخور ، فاجتمع حسام الدين إينانج ، وأرسل شخصاً إلى فارس لاستدعاء الملك محمد ، وأعلن هو العصيان ، وكان الأتابك على باب همذان ، فتوجه السلطان ومعه شرف الدين گردبازو ، وناصر الدين آقش إلى باب همذان ، وجاء الملك محمد من [ص ٢٨٧] فارس إلى إصفهان ، وكان إينانج وصتماز فى ركابه ، ثم توجهوا إلى همذان عن طريق كابله ، وكان السلطان والأتابك والأمراء قد ساروا أمامه ، والتقى الطرفان عند كابله — بالقرب من قلعة « فرحين[3] » ودارت بينهما معركة شديدة[4] ، حلت الهزيمة فى نهايتها بالملك محمد ، فذهب إلى خوزستان مدحوراً ، بينما توجه عز الدين إلى ناحية قم ، وسار إينانج نحو الرى[5] .

---

(١) ارجع إلى ما ذكر عنها فيما سبق .
(٢) هو أخو السلطان ارسلان (« زن » ص ٢٩٨) .
(٣) « تسك » قلعة فرزين ، ص ٤٧١ .
(٤) « كان اجتماعهما بنواحي الكرج » « زن » ص ٢٩٨) .
(٥) ارجع فى شرح كيفية هذه الحرب إلى « زن » ص ٢٩٧ — ٣٠٠ .

مثل : « من طلب الرياسة أحسن السياسة[1] » .

وتوجه سلطان العالم ، والأتابك الأعظم إلى الرى فى إثر إينانج ، ولكنه هرب إلى جرجان خوفاً منهما وفرقا .

مثل : « مَنْ عَمِيَ عن العِبَرْ ، عَثَر بالأجل[2] » .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— إذا لم تأخذ العبرة من دروس الآخرين
حق عليك أن تصير من الهالكين ... !!

ولما طالت غيبة الأتابك عن أرّان وآذر بيجان ؛ لانشغاله بترتيب الملك ، طمع ملك الأبخاز فى بلاد الإسلام . فسار على رأس جيشه وخرج عن طوره .

مثل : « من جهل قدره ، عدا طوره[3] »

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— كل من يجهل نفسه وقدره ، يجاوز حده وطوره ... !!

فسار جيش الإسلام فى ظل الرايات السلطانية مستظهراً برأى الأتابك ورويته ، قاصداً ديار الكفر ، وخرج الجند بنيةالجهاد ، و بلوغ درجة الاستشهاد فى سبيل الله .

مثل : من ضعف رأيه قوى ضِدُّه ، ومن ساء تدبيره أهلكه جده[4] .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— سوء الرأى يقوى الضدَّ ، ويصرف عن صاحبه حُسن الجَّد ... !!

---

(١) « نق » ورقة ١٦ ب .
(٢) «نق » ورقة ١٦ ب » وهو يروى « بالغير » بدل « بالأجل » .
(٣) « اا » فى حوادث سنة ٥٥٧ هـ (ج ١١ ص ١٨٨) .
(٤) « نق » ورقة ١٦ — ا .

واجتمع الجنود حولهم من كل ناحية ، فهجموا على الكفار على الفور .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها (١)]

— لكثرة ما اجتمع من الجند حول السلطان
امتلأت بهم جميع الهضاب والوديان ... !!
— وحينما تحرك هذا الجيش الهائل من مكانه
[ص ٢٨٨]
خيل إليك أن الكون قد تحرك فتزلزل بنيانه ... !!
— وتقابل الجيشان وامتشقا الحسام
ورتبا صفوفهما فى الجناح والقلب والأمام ... !!
— ودوّت أصوات الحراب وقرقعة السيوف
فارتعدت الفيلة ووجلت الأسود ... !!
— وارتفعت دقاتُ الطبول فسمعها الموتى ... لشدتها ،
وسُلبت العقولُ من رؤوس الأحياء ... لرهبتها ... !!
— وأصمَّ صهيل الخيول أذنَ الأرض لقوته
وكأنما صب فيها زئبقاً نخرقها لشدته ... !!
— وامتشق الفرسان سيوفا تنثر البرق من أطرافها
وكشّرت أسودُ الحرب عن أنيابها ... !!
— فكمنت الآجال للأرواح تتصيدها ، وبدت القيامة فى إحدى صورها ... !!
— واتجهت السيوف الحادة إلى القلوب ،
فقامت الساعة فى الدنيا وكثرت الخطوب ... !!
— وتطايرت السهام فوق الرؤوس فى صورة هوجاء
فأخذت الهزيمة طريقها إلى قلوب الأعداء ... !!
— ولم ينج فى الحرب قوى أو ضعيف ،
فقد هلك الجميع بطعنات السيوف ... !!

---

(١) من خسرو وشيرين لنظامى فى وصف حرب خسرو مع بهرام (الخمسة ، طبع طهران . ص ٩٧) .

— وكانت السهام تَنْفُذ فى الدروع
فتشيع الموت ... فتنقبض القلوب والضلوع ...!!

— فنعمت بالقتلى جوارح الطيور ، وظفرت بالغنيمة الصقور والنسور ... !!

— وسالت الدماء حتى أصبحت أمواجا متلاطمة
فغمرت الأرض وكأنها أنهار زاخرة ... !!

— وتطايرت الرؤوس بفعل الحراب
وتفتحت الأعلام فى شدة واضطراب ... !!

— وقطع الموت رؤوس الأبطال الأقوياء
فحزنت على موتهم الأرض والسماء ... !!

— وتقطعت حمائل السيوف لسقوط الجنود على الأرض
ووقوعهم فى المعارك بين قتيل وجريح ... !!

— وبُحَّت أصوات الأتراك فى هذا القتال
من كثرة الضوضاء فى وقت النزال ...!!

— وتلوّن حرير الأعلام باللون الأحمر
فأصبحت تبدو وكأن النار مشتعلة فيها ... !!

— ولم تكد السيوف تزهق الأرواح
حتى سالت الدماء فى الهضاب والوديان ... !!

— ولم تكد السهام تصيب مفارق الرؤوس
حتى سقطت كما يسقط الورق فى فصل الخريف ... !!

ولولا تفكير الأتابك الأعظم واحتياطه — وهما اللذان منعا من الهجوم على جيش الإسلام — لما نجا أحد من الجند ، ولما هزم ملك الأبخاز ، ولما تمكنوا من الاستيلاء على كل هذه الأعلام البيضاء ، والصلبان الذهبية ، وأوانى الشراب الفضية ، وكثير من أموال الخزانة ، وأدوات الشراب ، وقد هرب ملك الأبخاز ، ونجا بنفسه ، ورضى من الغنيمة بالإياب .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— هرب بوجه أصفر ... خوفا من وميض السيف الأزرق
كما يتساقط ورق الربيع ... جزعا من ريح الخريف ... !! [ص ٢٨٩]

وفى المدة التى شغل فيها جند الإسلام — عز نصرهم وشد أزرهم — بالجهاد فى سبيل الله ، وجد الملاحدة الملاعين فرصة مواتية ، وأقاموا ثلاث قلاع محكمة ، قبل أن يعلم أهل قزوين[1] بنشاطهم ، كما أنشأوا حيطاناً من الآجر والجص فى صورة مضلعة ، وكانوا ينقلون أدوات البناء على ظهور الحيوانات ليلا ، حتى استطاعوا أن يبنوا حيطاناً عالية متينة فى مدة قصيرة ، وأن ينصبوا المجانيق والعرادات فوق القلاع ، وأن يجمعوا الذخائر ، ويحكموا الحصون ، فتوجه أهل قزوين إلى دار الملك ثائرين مضطربين شاكين ، وكانت صيحات عويلهم تجاوز عنان السماء فانتقل سلطان العالم ، والأتابك الأعظم ، وأمراء الدولة من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ؛ لأن هذا القتال كان داخل ديار المسلمين . وقد استولى جند الإسلام على أكثر هـــذه القلاع ، فى مدة أربعة أشهر ، وخربوها ، وقتل أغلب هؤلاء الملاعين ، وأقام المسلمون مكانها أبراجاً للمراقبة ؛ وأخذ حراس المسلمين يحرسون هذا المكان باستمرار ؛ ثم سار المسلمون من قزوين إلى ولاية « قِهاب » واستولوا على القلعة ، التى كان المخاذيل قد بنوها فى عهد السلطان السعيد مسعود رحمه الله ، وكانوا قد بنوها فوق قمة جبل مرتفع وسموها « جهان گشاى » .

وفى بدء إنشاء هذه القلعة ، نزل السلطان مسعود وجميع الأمراء والجند فى سفح الجبل المقامة عليه ، وأقاموا ثلاثة أشهر ، نصبوا فى خلالها المجانيق حول

---

(١) كان ذلك فى سنة ٥٦٠ هـ (ارجع إلى ١١ ، ج ١١ ، ص ٢١٠) .

أطرافها وحاصروها حصاراً شديداً[١] ، حتى سقطت فى خلال أيام قليلة ، ثم ظهر خلاف بين الأمراء ، فانسحبوا من تحتها ، وتركوا جميع الآلات وأدوات الحصار ، وكان ذلك ــ فى الحق ــ غبناً عظيماً ، ووهناً تاماً ، فقد قوى أمر هؤلاء المخاذيل فأخذوا يبالغون فى عمارة تلك القلعة وإحكام بنائها، لأنهم عدوا ماحدث فألاً حسناً ، وإلا فكيف يعجز سلطان ــ كمسعود ــ هو والأمراء وجيش العراق عن فتحها . [ص ٢٩٠]

وقد استولى السلطان السعيد ارسلان على تلك القلعة بعد فراغه من الاستيلاء على قلاع قزوين ، وسماها « ارسلان گشاى[٢] » وأقام فيها حاكماً مسلحاً ، ومعه جماعة من المبارزين ، وهى موجودة فى أيدى المسلمين إلى وقتنا هذا .

وقد حدث هذان الفتحان العظيمان فى بداية عهد السلطان ارسلان ، فقوى ظهر الإسلام ، ورفرفت أعلام الدين ، ووصل خبر ذلك إلى الأطراف والأقطار[٣] ، ثم جاء سلطان العالم والأتابك الأعظم ، وأمراء الدولة إلى إصفهان ، كما جاء زنگى[٤] صاحب فارس إلى بلاط السلطان .

ثم توجه السلطان فى جمادى الأولى سنة ستين وخمسمائة إلى مرعى هزار[٥] ثانى ، وكان الوزير نظام الدين ثقة مريضاً فتوقف فى إصفهان ، وأقام فى قصره فى محلة تياورد[٦] . وقد توفى فى الثامن والعشرين من هذا الشهر ، وحملوا جثمانه إلى همذان حيث دفنوه ، فى الخانقاه التى بناها .

---

(١) كان ذلك فى سنة ٥٤١ ﻫ .
(٢) ذكرت فى آثار البلاد للقزوينى باسم « آرسلان گشاد » .
(٣) من رسالة الجوينى .
(٤) هو زنگى بن دكلا السلغرى ، صاحب فارس (« ١١ ») .
(٥) فى « جت » ورسالة الجوينى « هزارخانى » وفى النسخة الأخرى « هزارجانى » .
(٦) وردت هذه التسمية بوضوح فى « جت » .

وكان وصول زنكى صاحب فارس إلى حضرة السلطان ، فى التاسع عشر من شعبان ، وأقام أسبوعاً فى حضرته ، وحظى فى خلاله بأنواع التشريف ، ثم رجع إلى فارس ثانية ، وتوجه سلطان العالم والأتابك الأعظم ـ بعد ذلك ـ إلى همذان

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها[1] :]

— خرج الملك متجها إلى الصحراء ، بفأل سعيد فى يوم مبارك وضاء

— وارتفعت دقات الطبول وأنغام الناى بالتحية ، كما قامت الدنيا إجلالا

— ورفع قواد الجيش الأعلام ، وتوجه الشجعان نحو الصحراء

— ولما تقدم أعظم الملوك راكبا [ص ٢٩١]

سار فى ركابه أصحاب العروش والتيجان

— فربطت يد فغفور الصين فى سرجه من ناحية ،

وربط من الناحية الأخرى قائد جيش الروم .

— وكان الملك مبتهجاً متهلل الوجه ، وقد وضع على رأسه تاجا كتاج كيقباد

— وقد حملت الشمس غاشيته على كتفها كالخادم المطيع

وصار القمر مركبا له كالعبد الذليل ... !!

— وكان علمه « الكاويانى » يرفرف فوق رأسه[2]

وكأنه سحابة تظلل القمر ... !!

— وهو قوى ... لو سقطت إبرة من السحاب

فلن تجد لها مكانا إلا فوق أسنة الرماح ... !!

— وقد تجاوزت أصوات نفيره أرجاء الأفق

فأبعدت عين السوء عن هذه الدنيا ... !!

---

(١) من خسرو وشيرين لنظامى فى « ذهاب خسرو إلى الصيد بناحية قصر شيرين » (الخمسة ، طبع طهران ، ص ١٤١ — ١٤٢) .

(٢) المراجع : عرف علم إيران باسم العلم الكاويانى ، وتذهب الأساطير الفارسية إلى أنه اشتهر بهذه التسمية نسبة إلى حداد اسمه « كاوه » كان أول من رفعه لاستنهاض الناس ضد « الضحاك » الذى اشتهر بالشر .

— وقد كورت الأرض من ثقل سيوفه ، وتحرك الريح من سير جنوده ... !!
— وسُدّت الطريق من كثرة السيوف التى أحاطت بالملك
فلم يعد لأحد طريق إلى الخلف أو إلى الأمام ... !!
— وكانت السيوف المرصعة بالذهب ، تلتف حول الملك وكأنها قلعة حصينة ... !!
— وابتسمت الأفواه ... فنظمت له عقداً من الدعاء
وأمرت الفلك أن يبعد السوء عن طريق الملك ... !!
— وقد طوت أصوات الطبول فوق ظهور الأفيال
آلاف الأميال من الصحارى والجبال ... !!

حوادث سنة ٥٦٠ وسنة ٥٦١ :

كان وصول السلطان والأتابك إلى مرعى « قراتـكين » فى الحادى عشر من شوال سنة ٥٦٠هـ ، و بعد خمسة أيام نزلوا فى القصر العامر « كوشك معمور » على باب همذان ؛ وكانت وفاة ناصر الدين آقش فى الحادى والعشرين من شهر ذى القعدة من هذه السنة ، على باب همذان ؛ ثم توجه سيد العالم والأتابك الأعظم وأمراء الدولة من همذان ، فى يوم الأحد آخر شهر ذى الحجة من سنة ستين وخمسمائة إلى ناحية الرى ، ونزلوا على بعد مرحلة من « كوشك باغ » .

وكانت وفاة الأمير عز الدين صتماز فى يوم الأحد الرابع عشر من شهر المحرم سنة إحدى وستين وخمسمائة ، وكان بطبيعة الحال على بعد مرحلة من همذان .

وفى يوم الاثنين السابع من صفر ، ذهب الوزير فخر الدين بن أبى المعين[1] من باب همذان إلى ناحية ساوه ، ثم التحق بخدمة السلطان ، وأسندت إليه الوزارة.

ثم تحرك سيد العالم وأمراء الدولة من ساوه إلى ناحية الرى ، فى يوم الأربعاء

(١) يزيد « زن » ، ص ٣٠١ : المختص .

التاسع من صفر ، وكانت قد ثارت — قبل ذلك ببضعة أيام — رياح[س ٢٩٢] شديدة فى ساوه ، اقتلعت رؤوس المآذن والخيام ، وصرعت الحيوانات ، وأحدثت خرابًا فظيعًا .

ووصل سلطان العالم إلى مدينة الرى فى يوم الجمعة الثامن عشر من صفر ، ونزل فى قصر الأمير إينانج فى حديقة « شوربا » وعين فخر الدين الكاشى — فى اليوم نفسه — وزيرًا له ، كما أصدر أمرًا بتعيين نصرة الدنيا والدين « جهان پهلوان » أميرًا لحجابه .

وفى يوم الأربعاء الرابع من شهر جمادى الأولى سنة إحدى وستين وخمسمائة ، توفى شرف الدين گردبازو ، فى ظاهر الرى تحت قبة الملك ، ثم حملوا تابوته إلى همذان ، ووضعوه فى المدرسة التى كان قد بناها . وأقام الأتابك العزاء فيه ثلاثة أيام ، وكان أمراء الدولة وأعيانها حاضرين جميعًا ، وشاعرين بالحزن لفقده .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— نحن الذين أحدثنا جميع ما فى الأرض من خير وشر
ثم أسلمنا الجسم الضعيف للموت ... !!

— فلو وجدت عرشا ، أو تاجا وكنزا ، أو شقيت وأحاطت بك المتاعب ... !!

— فإن مكانك فى النهاية هو القبر والتراب
فيجب عليك أن تغرس حسن الذكر ... !!

— لأن الخير سوف يبقى ممدوحا
بعد أن يجىء الموت ويحصد الخيّر والشرير[1] على السواء ... !!

— ومن المؤكد أن مستقرنا هو التراب
وإننا لانعلم كيف تكون الدار الآخرة ... !!

---

(١) « شه » س ١٧٧٠ ، س ٢٤ .

— فلم يولد إنسان إلا ليموت ، فالدنيا فانية ، ونحن راحلون ... !!

— فلو نعمنا بالتاج أو بمظاهر العز والنعمة
فإننا لن ننجو من قبضة الموت[١] ... !!

— وليست لنا ميزة على الموتى الراحلين
فهم أحياء فرحون ولو أنهم راقدون ... !!

— ولو أن بعضهم لم يكن له فى الدنيا ثراء
فإنهم سعداء فقد خف حملهم عند الموت والفناء ... !!

— فلو عشت مائة سنة أو خمسا وثلاثين
فإن الحياة فى الحالين تتساوى ... إذا تذكر الإنسان آلامه ومتاعبه[٢]

وكان إينانج قد لجأ إلى ملك مازندران[٣] ، ثم خرج سلطان العالم من مدينة الرى ، فى يوم الأربعاء الحادى عشر من جمادى الأولى سنة ٥٦١ هـ ، ونزل فى منطقة «دولاب» وجاءه — فى اليوم نفسه — رسول حاكم مازندران ، [ص ٢٩٣] ورسول إينانج . وقبل ذلك ترك إينانج ساوه وجرذباذقان ، وما كان له خارج الرى ، حتى يرضى السلطان عنه ، واكتفى بأن تكون الرى — فقط — تابعة له ، فلما وصل إليه نبأ وفاة گردبازو رجع فى قوله ، وطلب ساوه وجرذباذقان ، ومؤنا كثيرة فأرجعوا إليه رسوله محقراً ، ولم يجيبوا له أى التماس[٤] ، وقالوا له : إذا أراد إينانج أن يلتحق بخدمة السلطان ، فعليه أن يقنع بما يعطيه له ، وإلا وجد جزاءه .

---

(١) « شه » ص ١٧٧٤ ، س ١٦ — ١٧ .
(٢) « شه » ص ١٧٨١ ، س ١٧ — ١٩ .
(٣) كان ملك مازندران فى ذلك الوقت علاء الدين الحسن بن رستم بن على بن شهريار (« ا » ج ١١ ، ص ٢٠٧) .
(٤) ارجع إلى « زن » ص ٣٠٠ .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— إذا حقد قلب الملك على إنسان ، عجز عن تحرى العدل والدين[١]

— ولقد يستسلم المذنب العاصى ، إذا كان الحاكم تقياً مطيعاً للرحمن[٢]

— وإن الشخص ليكون سعيداً منصوراً ، إذا كان قلبه عامراً بالعدل

— ألا تعرف أن الذين ينقضون العهد ، لا يظفرون برضا الناس

— وإنه لعظيم من يزين لسانه بالصدق ، ويبعد عن طريق الالتواء

— فهو يضع عرش السعادة فوق الأرض ، ويحظى لعدله بالثناء من العظماء[٣] .

وفى يوم الثلاثاء السابع من شهر رجب سنة ٥٦١ ﻫ ، تحركت والدة السلطان ، والأمير القائد الكبير مظفر الدولة والدين قزل ارسلان[٤] من المعسكر متوجهين إلى نخجوان ، ثم نزلا فى أعالى طهران ، وأما الأتابك الأعظم وأمراء الدولة ، فإنهم توجهوا فى يوم الثلاثاء الحادى عشر من شهر رجب ، سنة إحدى وستين وخمسمائة ، إلى ناحية « فيروزكوه » وكان السلطان لا يزال مقيما فى منطقة « دولاب » وقد يئس « إينانج » وأحس بالوحشة فذهب إلى ملك خوارزم ، يطلب العون والمدد ، فجاء سلطان العالم إلى باب همذان ، وذهب الأتابك الأعظم إلى آذربيجان[٥] ، وأسندت ولاية الرى إلى « عمر بن على بار[٦] » فأمر بتعمير قلعة « طبرك » ، ووضع فيها آلات وذخائر كثيرة ، وأقام استحكامات عظيمة ، لأنها لم تكن بمنجاة من هجوم إينانج .

---

(١) « شه » س ١٤٥٦ ، س ١ .

(٢) « شه » س ١٤٥٥ س ٢٦ .

(٣) « شه » س ١٦٠٣ ، س ٧ و ٩ .

(٤) هو أيضاً ابن شمس الدين ايلدكز ، وأخو السلطان لأمه (ارجع إلى « ا » ج ١١ ص ١٧٦) .

(٥) « زن » ص ٣٠٠ .

(٦) « ذكر فى « ا » ج ١١ ص ٢٣٠ باسم « عمر بن على ياغ »

وفى سنة اثنتين وستين وخمسمائة ، جاء السلطان إلى مرعى [ص٢٩٤] « شرو ياز[1] » على باب زنجان ، وكان إينانج قد أخذ المدد من ملك خوارزم ، وتوجه إلى العراق ثم جاء إلى الرى على رأس جيش عظيم .

مثل : « آفة الجند مخالفة القيادة ، وآفة الرعية مفارقة الطاعة[2] » .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— آفة الجند مخالفة الملك ، وآفة الرعية عصيانه

وحاصر إينانج « طبرك » بضعة أيام ، ولكنه يئس من فتحها ، وكان « عمر بن على بار » قد أرسل خطاب استغاثة إلى الأتابك بآذربيجان — قبل وصول إينانج ، ودعاه إلى المجىء على عجل .

وقد ترك إينانج حصار طبرك ، وتوجه إلى أبهر وزنجان ، وكان جنود خوارزم يفضلون الإغارة والعودة إلى بلادهم ثانية .

واقترب الأتابك ايلدگز ، فاستقبله السلطان على بعد مرحلة أو مرحلتين ، ولما سمع إينانج بأنباء وصول الأتابك ، رجع من أبهر وزنجان .

وقد ارتكب جند خوارزم شناعات كثيرة فى ولاية أبهر وقزوين ، فكانوا يغيرون على أبناء المسلمين ، ويحملونهم رقيقاً ، كما نهبوا من قزوين ما يقرب من ألفى جمل من أحسن الأنواع ، وكروا راجعين إلى خوارزم .

---

(١) ضبطت هذه الكلمة فى الراحة بفتح الشين المعجمة ، وسكون الراء المهملة وكسر الواو يعنى « شروياز » ولا أعرف درجة هذا من الصحة ، وكانت اسم موضع أو ناحية بالقرب من « چمن » [سلطانية الحالية] قرب زنجان ، وكان اسمها « چمن سلطانية » يعنى روضة السلطانيه (ارجع إلى مقدمة ميرزا محمد القزوينى على الجزء الأول من تاريخ جهانگشاى ، ص لط حاشية ٢) .

(٢) « فق » ورقة ١٦ أ .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها[1] :]

— لاتتجرأ على الملوك ، خصوصا إذا كان الملك رجلا ورعاً تقياً ... !!

— فالملك يكون أحياناً سماً ... وطوراً دواء ، فلاتطلب من السم دوما شفاء

— فحاول أن تتحرى دائما رضاء الملك ، وأن تبدو أمامه متهلل الوجه ... !!

— فإذا غضب الملك ... فالتمس المعذرة ، واعتبره ماحق الظلم ومانح العدل ... !!

— إنك إذا استمعت إلى هذه النصيحة [ص ٢٩٥]

وأصغيت إلى قولى المفيد هذا ... !!

— فإنك لامحالة بالغ من الملوك بعلمك ماتريد

لأنى لم أر شخصا فى نَصَب بسبب العلم ... !!

وسار السلطان والأتابك والأمراء فى إثرهم إلى الرى ، فتوجه إينانج إلى جرجان ، لأنه لم يكن قد ترك مجالا للصلح .

وقضى السلطان شتاء ذلك العام فى الرى ، ثم توجه فى فصل الربيع — من سنة ثلاث وستين وخمسمائة — إلى « نعل بندان » بالقرب من « مشهد » ، ثم ذهب الأتابك إلى آذربيجان ، ثم جاء فى شتاء هذا العام إلى ساوه .

واستولى الهوى على قلب « عمر بن على بار » لما لاحظ استحكام قلعة طبرك وولاية الرى ، فسيطر على عقله حب العصيان ، فكان يتهاون فى تنفيذ أوامر « الأتابك » ويشترط المستحيلات .

مثل : « لا تُحَاجَّ سُلطانَك ، ولا تُلاَجَّ إخوانَك ، فمن حاجَّ سلطانه قُهِرَ ، ومن لاجَّ إخوانَه هُجِر[2] » .

[بيتان فارسيان فى الأصل ، ترجمتهما :]

— كل من يبدأ المحاجة مع الملك ، أو اللجاجة مع أخيه ... !!

---

(١) « شه » ص ١٥٩٦ ، س ٣ — ٦ ، ٩ — ١٠ .

(٢) « فق » ورقة ١١ ب .

— فإنه يجلب النهر والخذلان لنفسه ، ويجعل الهجر والحرمان من نصيبه ... !!

فخدعه سلطان العالم ، ودعاه إلى حضرته ، بالطريقة التى تجعله يغتر ؛ فلما وصل إلى ساوه اختلى به السلطان فى اليوم التالى فى قصر الديالمة ، فى الجوسق الذى كان يعرف باسم السلطان .

مثل : « إذا قَلَّتْ العُقُول كَثُرتْ الفُضُول[1] » .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها[2] :]

— قلب الإنسان وعقله هما أميرا بدنه ، وأعضاء جسمه الأخرى درع له

— فإذا تلوث قلب الإنسان وعقله ، فمن العبث أن يصفو رأيه ... !!

— وفى مثل ذلك الجسم تتلوث الروح ، وكيف يسعد الجيش بلا قائد ؟ !

— وإذا لم يكن له رونق تفرق وتبعثر ، والجسد الذى لا روح فيه يُلقى فى التراب

وأمر السلطان بالقبض عليه ، وعلى « معين الساوى » — وكان مستوفياً — وسجنهما فى ذلك الجوسق ، وبعد حبسهما ، أغار الجند على العتاد والخزانة ومكان الخيل ، وأسندوا أمر الاستيفاء إلى السيد عز الدين الذى كان فى ذلك الوقت أحد نواب السلطان ، ثم توجه سلطان العالم إلى باب همذان [ص٢٩٦] فى صيف سنة ثلاث وستين وخمسمائة ، وذهب فى الشتاء إلى ساوه .

ولما سمع إينانج خبر أسر « عمر بن على بار » توجه إلى الرى ، وطلب مدداً من حاكم مازندران ، فاجتمع له جيش كبير ؛ فسار الأمير الحاجب الكبير نصرة الدين پهلوان ، والأمراء الذين كانوا فى حضرة السلطان إلى الرى ، فالتحم بهم إينانج على باب الرى ، وحلت الهزيمة — أولا — بجيش إينانج ، ولكن الاضطراب والضعف أصابا جيش السلطان ، بسبب الطيش وعدم النظام ، فرجع الأمراء مدحورين .

---

(١) « فق » ورقة ٤ ب .

(٢) « شه » ص ١٤٥٦ ، س ٢ — ٥ .

ثم توجه السلطان من ساوه إلى همذان ، وهلك من جيشه خلق كثير عند « بئر داود آباد » بسبب البرد الشديد . وجاء الأمير الحاجب پهلوان ، والأمراء فى إثر السلطان إلى همذان ، بينما تقدم إينانج حتى بلغ ساوه ومزدقان ، وأحدث فى الولاية خراباً شديداً ، ولكنه لم يجرؤ على الهجوم على همذان ، فرجع إلى الرى .

فلما سمع الأتابك نبأ هذه الواقعة ، توجه فى سنة أربع وستين وخمسمائة إلى العراق ، ثم سار إلى الرى فى فصل الصيف ، على رأس جيش كبير ، وجاء سلطان العالم إلى خرقان ، وكان إينانج قد أحكم أسوار المدينة ، ووضع عليها المجانيق والعرادات ، فأهلك الأتابك ما فى الولاية ، وضاق الأمر على إينانج ، وأيقن أنه لا طاقة له بتحمل الحصار ، فطلب الأمان ، وتبادل الطرفان الرسل ، على أن يتقابل الأتابك و إينانج بعد أخذ العهود والمواثيق ، ثم يتوجه إينانج بعد ذلك إلى حضرة السلطان . ثم أمر إينانج بعد ذلك بفتح باب المدينة ، واستقر الرأى على أن يتم اللقاء بينه و بين ايلدگز فى اليوم التالى ، ولكن إينانج وجد مقتولا فى اليوم التالى فى نفس الخيمة التى كان قد ضربها على باب المدينة ، وهرب الغلمان الذين كانوا يتناوبون حراسته[1] فى تلك الليلة .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— إن القائد الذى يفتح العالم ، لايجب أن يتجرأ على السلطان

— لأن ثورته إذا أخمدت وفشل ، فلا يذكره شخص بعد الفشل والخذلان

— فتبصر حتى لا تزهو بحسن حظك وعلو شأنك ، [ص ٢٩٧]

وإذا شعرت بالأمان ابتعد عن الأذى والطغيان

---

(١) ارجع فى كيفية قتل اينانج إلى « ا ا » فى حوادث سنة ٥٦٤ هـ (ج ١١ ، ص ٢٢٩ — ٢٣٠) و « زن » ص ٣٠٣ .

— فإن وقت السرور يمر سريعاً ، وتحصى أنفاسك بمرور الزمان
— وهذا رسم الدنيا المليئة بالتعب والأذى
فلا تفخر بالتاج ولا تُباهِ بالكنوز والأموال(١)
— فحينما تنقضى أيامك ، لايبقى تذكارا بعدك إلا طيب ذكرك
— فلماذا تتشبث بالدنيا وتظل أسيرا للحرص
مادمت تعلم أنك لاتعمر فيها طويلا(٢)
— فابحث عن الفضل ولا تحزن كثيراً ، فالدنيافانيةونحن لابدّ راحلون(٣) ... !!

وسلمت مدينة الرى وولايتها ، وتوجه سلطان العالم من خرقان إلى الرى ، وخرّب القلعة ، وأسند أمر الرى إلى الأمير الحاجب الكبير نصرة الدين پهلوان ، واستقامت الأمور ، وجلس السلطان بضعة أيام على العرش فى الرى .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها(٤) :]

— جلس الملك الشاب السعيد على العرش ، فى دار ملكه بالرى فى أسعد الأزمان
— فعمر الدنيا وأنقذها ، ونجى الدولة من الفتنة والطغيان
— فلما فرغ من أمر الدولة ، اشتغل ثانية بالعشرة والشراب فى أمان
— فكان يشغل ليله ونهاره بالعيش والصيد ، فلم يكن يوما بلا صيد أو شراب

وظل عمر بن على بار أسيراً تحت الحراسة مدة ثلاث سنوات حتى وافاه الأجل المحتوم ، وسعى معين الساوى فى الخلاص من الأسر ، ولكنه توفى فى إثره(٥) .

---

(١) « شه » ص ١٧٩٦ ، س ١٨ — ١٩ .
(٢) « شه » ص ١٦٥٥ ، س ٢٣ .
(٣) « شه » ص ١٦٦١ ، س ٩ .
(٤) من خسرو وشيرين لنظامى فى (جلوس خسرو على العرش) الخمسة طبع طهران ، ص ٨٣ .
(٥) تزيد رسالة الجوينى بعد ذلك « وفى أثناء سنة أربع وستين انتقل خواجه فخر الدين الكاشى إلى رحمة الله » .

وفى آخر سنة خمس وستين وخمسمائة ، جاء السلطان من ساوه إلى إصفهان ؛ و برفقته الأتابك الأعظم والأمير الحاجب الكبير پهلوان ، والأمير القائد مظفر الدين قزل ارسلان ووالدة السلطان ، وأسند السلطان الوزارة فى إصفهان إلى السيد جلال الدين بن قوام الدين(١) ، فوضعت دواة الوزارة أمامه ، وكان يقيم فى محله « تياورد » فى قصر أبيه . [ص ٢٩٨]

حكمة : « ليكُنْ غرضُك فى اتخاذ الوزارة واصطناع النُصَحَاء تكثيرَ العُدَّة لا تكثيرَ العِدَّة ، وتحصيلَ النفع لا تحصيلَ الجمع ، فواحدٌ يُحَصِّلُ المراد خيرٌ من ألفٍ يُكَثِّرُ الأعداد ؛ ولا يَغُرَّنك كِبَرُ الجِسم مِمَّنْ صغر فى المعرفة والعلم ، ولا طولُ القامةِ ممَّن قَصُرَ فى الكفايةِ والاستقامةِ ، فإن الدُّرةَ فى صِغرها ، أنفع من الصخْرةَ على كبرها(٢) » .

[بيت شعر عربى فى الأصل(٣) :]

إنَّ القَذَى يؤذِي العيونَ قَليلُه ولربَّما جَرَحَ البعوضُ الفيلاَ

وتوجه السلطان فى فصل الربيع من إصفهان إلى كندمان ومرعى بلاسان ، ثم جاء فى الصيف إلى باب همذان ، وظفرت أمور الملك بتنسيق وتنظيم وتأمين .

وكان السلطان يقضى الشتاء فى ساوه ، وأحياناً فى همذان ، كما كان يقضى الربيع — أحياناً — فى مرعى « نعل بنداں » ومرعى « چرخ » .

وفى سنة ثمان وستين وخمسمائة أقام بمرحلة « سعيد آباد » على باب تبريز ،

---

(١) هو جلال الدين بن القوام الدركزينى (« زن » س ٣٠١) .

(٢) « فق » ورقة ١٩ ب .

(٣) لأبى الفتح البستى (يتيمة الدهر للثعالبى ؛ طبع دمشق ، ج ٤ ص ٢٣٠) وقبله .

لا يستخفنَّ الفتى بعدوِّه أبدا وإن كان العدو ضئيلا

وفى تلك السنة ، اغتصب عبد العزيز قلعة « روئين در » فتوجه السلطان إلى همذان [١].

وفى آخر سنة تسع وستين وخمسمائة ، جاءت والدة السلطان — فى أثناء فصل الشتاء — من آذربيجان إلى همذان ، فقد استدعاها السلطان ، لأن ملك الأبخاز كان قد هجم من جديد .

فلما أصبح الجو معتدلا ، توجه السلطان صوب آذربيجان ولم يهيء أى مكان للمقام طويلا ، بل قضى عيد الأضحى فى نخجوان ، ثم توجه منها إلى قلعة « بارس بازار » وكان الأتابك الأعظم والأمير الحاجب الكبير [ص ٢٩٩] نصرة الدنيا والدين ، والأمير القائد مظفر الدين قزل ارسلان هناك ، فرسموا خطتهم على أن يتوجه السلطان مع جملة من الجند إلى ولاية الأبخاز فى اليوم التالى . فقد كان بينهم و بينها ثلاث مراحل فقط . ولكن السلطان مرض فتوقفوا ثلاثة أيام غير أنه لم يتماثل للشفاء ، ولم يطق التوقف . فأعدوا للسلطان مقاماً بجوار قلعة « كيليا » فأقام فيه هو ووالدته ، وتوجه الوزير والصحب وجماعة الجند للهجوم على ملك الأبخاز ، وطال مرض السلطان ، فانتقل من قلعة « كيليا » إلى « دون [٢] » واستمر مرضه بنفس الشدة . ثم توجه بعد أربعين يوماً إلى شاطىء نهر أرس ، وانتشر الوباء بين الجند ، فكان لا ينجو من المائة واحد ، فهلك خلق كثير بسبب هذا الوباء ، وانتقل السلطان من شاطىء نهر « أرس » إلى نخجوان ، وتوفى باقى المرضى فى أثناء الطريق وفى نخجوان .

ونزل الأتابك الأعظم ومعه ملك الأرمن [٣] فى مقابل ملك الأبخاز بجيش

---

(١) جاء فى « جت » وفى تلك السنة كان عبد العزيز قد نهب قلعة روئين دز وأقام فيها وأعلن العصيان ومن الجائز أن المقصود بنهبها هنا الاستيلاء عليها ، وليس معلوما من هو عبد العزيز .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى ياقوت « دوين » .

(٣) المقصود ناصر الدين سكمان صاحب خلاط .

لا عد له ، فاحتمى الأبخازى بالغابة والجبل ، ولم تكن له قوة على المقاومة ، ولم يكن لجند المسلمين منفذ إلى هذه المنطقة الضيقة ، فأغاروا فى النهاية على «آق شهر»[1] التى كان الأبخازى قد بناها ، وكانت مدينة عظيمة ، فأحرقوها ، وخربوا الولاية ، ثم رجعوا إلى نخجوان .

وأقام السلطان خمسين يوماً فى نخجوان ، ومعه ملك الأرمن والأمراء الآخرون ، ومنحهم جميعاً خلعا سنية ، ثم تحرك إلى همذان ، فلما وصل إلى تبريز حملوا إلى الأتابك الأعظم نبأ وفاة والدة السلطان فى نخجوان ، فلم يخبر السلطان بذلك حتى وصل إلى همذان ، وحينذاك أقام العزاء الحار . وإنه ليخيل إلى الإنسان أن نظام تلك الدولة ، وقوام تلك المملكة ، كانا مرتبطين بوجود تلك السيدة السعيدة التى كانت متدينة خيرة تقية ، وكانت ترعى العلماء ، وترسل الصدقات والصلات إلى الزهاد ، وكانت تلك شيمتها وسيرتها .

ومن بين الأعمال المحمودة التى فعلتها أنه حينما كان السلطان يسير إلى آذربيجان لقتال ملك الأبخاز ، قالت للسيد الإمام شيخ الإسلام ظهير الدين البلخى، الذى كان مقدماً ومحترماً و إماماً لجميع أهل همذان، يقتدون به [ص ٣٠٠] ويتبعونه : « إن لنا رغبة فى أن ترافق بركات أقدام أئمة الدين وعلماء الإسلام سلطان العالم ، فعين لنا بضعة أشخاص من الأئمة الكبار ، ليجيئوا فى معيتك ، وينالوا ثواب المجاهدين فى سبيل الله » . فعين السيد الإمام شيخ الإسلام عشرة أشخاص ، فأرسلت إليهم هذه السيدة المتدينة عشرة بغال مجهزة لحمل أمتعتهم ، وعشرة بغال لحمل الفراش وأدوات المطبخ والأبسطة والمعدات الأخرى ، كما أرسلت بضع هبات لنفقاتهم ، وأرسلت إليهم — كذلك — ألف قطعة ذهباً ،

---

(١) معناها « المدينة البيضاء » .

لينفقوا منها فى الإعداد لسفرهم ، ثم قالت : « وسوف نأمر فى كل مقام بإعطائهم ما يحتاجون إليه » .

فلما وصلوا إلى هناك ، وتقدم جيش الأبخاز لقتال المسلمين ، حل ضعف بجند المسلمين ، فأثمر عمل تلك السيدة الفاضلة ، حين نادى السيد الإمام ظهير الدين البلخى فى الجند يحمسهم ، وهجم هجمة يحسده عليها « رستم بن دستان »[1] لو كان على قيد الحياة ، ثم تابعه الأتابك الأعظم وجميع الأمراء ، فحلت الهزيمة بجيش الأبخاز ، وتحقق للمسلمين نصر لم يحل بخاطر شخص من قبل .

وقد فعلت تلك السيدة السعيدة كثيراً من أمثال هذه الفعلة ، فى رعاية العلماء ، وإرسال الصدقات إليهم .

وبعد وفاتها بشهر ، وصلت — أيضاً — إلى نخجوان[2] أنباء وفاة الأتابك السعيد ايلدكز — تغمده الله برحمته — ، وقد دفنوه فى همذان فى المدارس التى بناها .

وقد حدث حينما أتموا بناء تلك المدارس ، وعينوا الإمام صفى الدين الإصفهانى للتدريس فيها ، أن أقاموا حفلا شائقاً ، حضره أئمة المدينة ، وأعدوا أنواعاً مختلفة من الأطعمة والحلوى ، وبسطوا مائدة ، وضعوا عليها الأوانى الفضية ، فارتكب واحد من الأئمة زلةً ، فوضع آنية مملوءة بالطعام فى كمه ، وأراد المشرف على المائدة ألا يجعل نظر تلك السيدة السعيدة المبارك يقع على مثل هذا العمل ، فأمر أن تكون جميع الأوانى من نصيب الأئمة ، وبذلك ارتفع شأن الأئمة .

---

(١) المراجع : بطل إيرانى قديم ، صورته الأساطير بأنه المثل للشجاعة والفروسية

(٢) «زن» ص ٣٠١ .

[مصراع فارسى(١) فى الأصل ، ترجمته] :

— نفرت النافلة ففسد أمر الجماعة ... !! [ص ٣٠١]

ودفنوه فى تلك المدارس . و بقى سلطان العالم يعانى آثار المرض .

وفى سنة إحدى وسبعين وخمسمائة ، عقدوا للسلطان على « ستّى فاطمة » أخت الأمير السيد فخر الدين علاء الدولة(٢) .

وقد نقلها السلطان إلى قصره ، فى أول جمادى الآخرة ، وتوفى بعد ذلك فى منتصف هذا الشهر .

وقد وصل هذا السلطان إلى أسمى درجات العظمة والسلطنة ، فلم يكن لأحد — من آل سلجوق — ما كان للسلطان أرسلان من أسباب الزينة والعظمة والجاه والسلطنة ، ورسوم البلاط ، ونظم الصيد ، وأبهة الحفلات وما فيها من مطربين وشعراء ، وأدوات الحرب ، والأمراء الأتراك ، والألبسة الفاخرة .

وكان شعراؤه — من أمثال مجير الدين البيلقانى ، وأثير الأخسيكتى — يسمون فى درجة النظم على الشعراء المتقدمين ، ونحن نذكر هنا بعض المدائح التى قيلت فيه وفى الأتابك محمد ، وفى قزل ارسلان .

قال مجير الدين البيلقانى القصيدة التالية فى مدح السلطان ارسلان(٣)

---

(١) من شعر لشاعر يسمى « استاد لبيبى » كان أحد شعراء مسعود الغزنوى (ارجع الى تاريخ بيهق ، طبع كلكته ، ص ٧٧) .

(٢) فى « زن » ص ٣٠١ : فخر الدين رئيس همذان

(٣) قال ناشر الكتاب « لمخ صديقى الفاضل سيد حسن تقى زاده مدير جريدة (كاوه) — بمزيد فضله — هذه القصيدة من أجلى من نسخة ديوان مجير الدين البيلقانى الموجودة فى مكتبه برلين ، وعنوان هذه القصيدة فى تلك النسخة هو (ويقول فى وصف الليل مختتما القصيدة بمدح السلطان ارسلان) ارجع أيضاً الى نسخة (ديوان مجير فى مكتبة بودلين بأكسفورد ورقة ٤٠ أ — ٤١ أ) .

[قصيدة فارسية فى الأصل، ترجمتها :]

— انظر إلى الشمس وهى تشبه العجلة الذهبية ... تجدها درجا للدر المكنون ...!!
وانظر إلى السماء الزرقاء ... تجدها مليئة بكنوز قارون ... !!

— وقد نقشت النجوم سقفها المقرنس، دون قلم فجعلته ذا ألوان وفنون ... !!

— وقد ازدان مركب الفلك ليصلح مطية للهلال
وكأنما وضعوا على رأسه التاج المرصع ... !!

— وانظر إلى القمر بين أجنحة الظلام [ص ٣٠٢]
تجده يتلألأ بين آلاف النجوم المنتشرة فى السماء ... !!

— ما أعظم آلاءك ... !! يارب ... !!
التى أقمتها لأجل الأرواح المقدسة التى تملأ الأفلاك ... !!

— وما أدق إبداعك، وقد أسدل الليل ستائره على المشرق
فكأنما وشوا الكتان المصرى بالحرير الأسود ... !!

— ولقد يمكن تثبيت الذؤابة على علم الليل ، ورفعه على رمح ثاقب ،
ولكن كيف أمكن تثبيت هلال العلم فى صفحة السماء ... !!

— ولقد استحالت دماء الشمس إلى ناحية المغرب
فخضبت دراعة الأفلاك بالحمرة القانية ... !!

— فياربى ... اكشف هذا الليل الخادع ، وانهض أيها الصبح الجميل
فلطالما أغاروا فيه على قلوب أحبائك ... !! .

— إن الفلك كالفنجان ، والشَّفَق شبيه به
وقد امتلأ الفنجان بالدماء من قلوب الأرواح القدسية

— وعلى وجه الفلك آلاف العيون وحاجب واحد[1]
ثم يستحيل هلال القمر بدرا

— والزهرة تتراقص كالذرة طرباً وسرورا ،
لأن كواكب السماء قد سقتها شراباً وفيرا ... !!

— وأصبحت مظلة سلطان العالم المباركة ،

---

(١) المراجع : يقصد آلاف النجوم وهلالا واحداً .

كالنسر الطائر ميمون الطالع فى أرجاء هذه القبة الزرقاء ... !!

— فهو ركن دين الحق ، وظل الله ، ومولى الخافقين ،

الذى استقر بوجوده العقل وسادت أحكام القوانين ... !!

— وهو السلطان « أبو المظفر ارسلان » الذى يرعى الحق [ص ٣٠٣]

وقد أصبحت القلوب رهينة لدولته الباقية ... !!

— وقد جعل الله نصف الأنجم والأفلاك خرجا له

وجعل ثلثى الربع المسكون ملكا موروثاً له ... !!

— وقد بسطت الأفلاك التسعة أيديها ضارعةً بالدعاء له ،

ووقفت كهارون على باب السلطان الذى تشبه يده يد موسى ...!!

— إن ظلّه مشرق كالشمس الساطعة ،

ولكن من العجب ... أن شمسه لا ظلّ لها ولا يعتورها غروب ... !!

— وأجنحة مظلته تصيد جبريلَ طاوس الملائكة ،

وقد ضمن الله لكل جناح منها آلاف الفتوح ... !!

— وهو كالأسد الهصور يصرع كل من عاداه ،

ويجعل جيفته نهباً للكلاب ، ودمه معجوناً بالتراب ...!!

— لقد امتلا جيحون بالماء لأنه تصبب بالعرق خجلا من كفه ،

وإنه لأحق من يشَبّه كفّه فى السخاء بجيحون ...!!

— فيارب ... اجعل ظله ثابتاً وباقياً

واجعله مباركا فى العالم كظل العنقاء(١)

— واجعل سيوف أعدائه كليلة كسيوف الخطباء

والأفلاك التسعة ذليلة أمام عظمته وقدرته ... !!

— أما سيفه المهند فيقفز فى الرقاب كما يقفز الهندى فى النار

ويشعل النار فى دم الأعداء ... !!

— أيها الملك الذى تعد حروف اسمك الستة ، [ص ٣٠٤]

حرزاً واقياً لأفلاك السماء السبعة ... !!

---

(١) المراجع : تذهب الأساطير الفارسية إلى أن العنقاء إذا وقع ظلها على شخص أصبح ملكا.

ـ إنك قوة للأفلاك جميعها ، وهى ليست شيئا بالنسبة إليك ،

وأنت فى عقلك وهمتك أعظم من أفلاطون . . . !!

ـ إن تراب ميدانك قد انعقد حول الفضاء الخالى

فأصبح كالأفلاك حول كرة الأرض . . . !!

ـ وقد رفع حراسك الظلم بلفتة منك ،

وطهروا هذه الأرض منه مرات عديدة . . . !!

ـ ودق سكان العالم النوبات الخمس لك ،

وفاقت ألحان طبلك الطبول جميعها . . . !!

ـ وتاه كل نجم فى سقف هذا الفلك الجميل ،

وافتتن بطرة مظلتك المباركة . . . !!

ـ إن الأفلاك التسعة كالفقاقيع بالنسبة إليك ،

لأن جود كفك طغى على نهرى النيل وجيحون . . . !!

ـ وأنت سياف ماهر كأشعة الشمس المستقيمة ،

فكل من يلتوى عليك تهوى به الأرض فى هوة سحيقة . . . !!

ـ ويحسد البحران ـ العذب والأجاج ـ يدك وقلبك

ويتمنيان ابتلاع شىء من جودك كما فعل الحوت بذى النون . . . !!

ـ وقد اقتلع سيفك جذور الظلم ، فارتفع علم العدل ،

وقضيت على الظلم كما قضى افريدون على الضحاك . . . !!

ـ وقد صنع الفلك من الأهلة سيوفا لجندك [ص ٣٠٥]

ووشوا هذه السيوف بالذهب فوق جواد الفلك . . . !!

ـ فانت زبدة الفطرة ، والحشم دونك فى الجوهر ،

وقد خلقنا جميعا لنكون خدما لك . . . !!

ـ يامليكى . . . . إن أفعال الفلك المخادع عجيبة حقا ،

وقد ملأت قلبى دما وحرقة . . . !!

ـ فأحيانا وأنا فى رعايتك، يطرحوننى جانباً كالنخالة

وأحيانا وأنا بعيد عنك يقدحون فى ويطعنوننى . . . !!

— وبدونك يتراكم الغم على قلبي كالجبال
وأصير حقيرا ويعلو مفرقى التراب والرمال . . . ! .
— فأنقذ مجير الدين من دلو الملك وحسوته لأنهما
قد جعلاه رهين السجن كيوسف . . . !!
— وهو يعرف أن الإنسان قد خلق من الطين الآسن
ليعش تحت أسقف السموات السبع . . . !!
— اسأل الله أن يجعل تراب أعتابك كحلا لأعين الملائكة ،
يامن رجموا باسمك إبليس اللعين . . . !!
— وإنى اختم دعائى وأنا أعرف أن الملائكة الحافين بالعرش
قد جعلوا هذا الدعاء مقرونا بالاستجابة . . . !!

ويقول فى مدح السلطان والأتابك(١) :

[قصيدة فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— يامن يشبه وجهك لون الربيع النضير ،
قد استقر الحسن على طلعتك البهية . . . !!
— ان ذؤابتك تأسر العقول بجمالها ،
وإن غمزاتك لتوقع الفتنة فى شباكها . . . !!
— وإن عقلى وقد سكر بكأس عشقك — [ص ٣٠٦]
أصابه الخمار . . . ولم يتذوق شفتك الحمراء . . . !!
— إننى لم أصل إليك ، وقد احتجزت دمع عينى ،
ودم قلبى ، حتى لا أحترق شوقا إليك . . . !!
— والدهر قد ترك لى الحزن لما وجدنى بعيدا عنك ،
وجعلنى فراقك قلقا أشقى بأحداث الزمان . . . !!
— فلا تجفُ على القلب الذى تعلق بعشقك ،
ولا تعذبْ نفسا أخذت العهد على حبك . . . !!
— ويا أيتها الزهرة النضيرة . . . !! إن أوراقك قد أسرت بعبيرها ،

(١) ديوان مجيب ن أكسفورد ، ورق ١٣ أ — ١٥ ب

آلافا من العاشقين المولهين مثلى . . . !!

— لقد سقطتُ هدرا تحت أقدام الغم ،

وملأت الدنيا فيضاً من دموع عينى . . . !!

— وأصبحت عينى كثيرة البكاء ،

وصارت تشبه ببكائها سحب الربيع الممطرة . . . !!

— ثم تبسم وجهك فسرّ القلب وأشرقت العين ،

لأن السلطان اتخذ مسلك العدل والإنصاف . . . !!

— إنه أبو المظفر ظل الله فى الأرض ،

الذى ارتعدت الدنيا مئات المرات من سيفه . . . !!

— هو ملك العالم أرسلان الذى أثمرت بفضله ،

أشجار النصر والفتح فى جميع أرجاء الأرض . . . !!

— وهو الذى غمر عدله جميع الكائنات ،

فصادق النملُ الثعبانَ ولم يتعرض له بسوء . . . !!

— وإستظلت الدنيا بمظلته المظفرة ،

وأشرق حكمه على أرجاء الدنيا كأنه الشمس . . . !!

— واكتسبت قبة الفلك ، اللطف والعظمة من قلبه فى يوم حفله وسروره .

— وقد ملأ حكمه العالم سعادة وغنى ، فأخذت نقود الظفر عيارها منه . . . !!

— ولقد عدّ الزمان أفراد العالم ،

فبدأ بأعداء الملك ليقضى عليهم ويسقطهم من عداد العالم . . . !!

— وكفُّه فى وقت العطاء تنثر الدر كالموج ،

وهى تسيطر على كنوز الأرض والسماء . . . !!

— وقد انزوت الفتنة فى ركن منعزل خوفا من بطشة وقوته . . . !!

— وتاهت الخطبة والسكة فخراً باسمه وكنيته ،

واتخذتهما أساسا وقانونا . . . !!

— وقد ضمّت دولته تاج طغرل ومحمود وعرشهما ،

وجعلتهما فى كنفه هذا الملك المظفر . . . !!

— وهو فى فتح العالم يلقب بالاسكندر الثانى لانه فتح جميع أرجاء الدنيا ... !!

— ومن مفاخره أن الأتابك الأعظم إلى جواره .

وهو الأتابك الذى امتد نفوذه إلى جميع الأرجاء . . . !!

— ولقد منح الخريف نفحة من جلاله ،

فصار الخريف يشبه الربيع فى جماله . . . !!

— وخضع القيصر له كرها ، ودفع ملك الخطا الخراج له طوعا . . . !!

— وكان عدوه يظن الدنيا واسعة عليه ،

ولكن هاهو مجال أجله ... ضيق أمامه ... !!

— واشتعل صدر عدوه نارا ، من شرر سيفه المتوهج كالشمس .. ! [ص ٣٠٧]

— يامن قوى بك ساعد الشرع ، واستقر بك أساس الدين .

— لقد حطم اسمك ناموس أهل الشرك ،

واستولى منشورك على ملك قندهار .

— واستهانت قوة سيفك الصلب ، بكل ما فى الدنيا من سهل وصعب

— وبلغ ملك كرمان بفضلك كل مراده ،

فحظى بالملك دون عناء وانتظار .

— وتمتع ملوك العالم بملكهم وملك أجدادهم ،

لما نظرت إليهم بمين رحمتك وعطفك ... !!

— فالشرع بفضلك قائم ، والدين بك راسخ ،

يامن محق بعدلك كيان الظلم ... !

— ويامن أشرقت الدنيا بنورك ، وفتح العالم بسيفك المصقول ... !!

— إنك حاكم العالم بحق ، أما من عداك فقد استعار الملك منك ... !!

— وبابك كالكعبة ، إذا أشاح أحد بوجهه عنها ،

زال عنه الملك ، وحق عليه الإعدام ... !!

— أما من أمسك بركابك من أهل الدنيا ،

فقد ترك الشوك وأمسك بالورد النضير ... !!

— ولو عصاك ملك الأبخاز الحقير ، فإن أبواب الرجاء تقفل فى وجهه .. !!

— وهو يفعل ذلك عن جهل لا عن علم ، وقد أخضعت بقوتك كل خصم .

— والدليل على أنه حمار . أنه وضع حافر الحمار (١)

ضمن جواهر ملكه ودرره ... !

— ولى أمل فى أن أرى جيشك المنصور ،

يستولى بفضل الله على دياره ... !

— وإن تشمل صيحه الله اكبر ، بلاد الأبخاز والروم وزنجبار .

— وقد أشرقت عينك بجهان پهلوان ، الذى سمت رفعته إلى الأفلاك .

— فهو الملك الذى يشبه البحر سخاء ،

وهو الذى اقتبس جبل أحُد الاستقرار والرسوخ من قلبه .

— وصادقت رايته النصر ، وأصله أرفع من الفلك ، فيليق به الفخر ... !

— وطربت الزُهرة لما تذكرت عطايا كفه ،

فشربت آلاف المرات كؤوس النشوة والبهجة .. !

— وأطاعه ملك العراق ، خوفا من سيفه القاطع ، فادعى الزهادة والعبادة .. !

— وخوفا من غارته على باب شبديز ، (٢) أسود نهار خصمه فأصبح كالقار (٣)

— فيا للعجب ممن يتصدى له ، ويحاول أن يحاربه كالأعداء فى الميدان .

— ولقد خشيته الشمس فى السماء ، فتركت السماء وترجلت على الأرض .

— وتلونت الأرض بلون الشقائق ، بعمل سيوف فرسانه ذات اللون البنفسجى .

[ص ٣٠٨]

— وغطى الغبارُ الثائر من حوافر جياده ، فى وقت الكر ، عَين الشمس بالتراب المتطاير .. !

— وكان الملك واقفا فى القلب مثل « عليّ » ،

وقد أمسك فى يده سيفا مثل « ذى الفقار » .

(١) يبدو أنه يشير هنا إلى حمار عيسى الذى كان المسيحيون يقدسونه ويعتزون به كالصليب .

(٢) المراجع : شبديز منزل بين حلوان وقرميسين فى لحف جبل بيستون سمي باسم فرس كان لكسرى [خسرو برويز] ، قدمت صورته هنالك فى الصخر .

(٣) ليس معلوما إلى أية حرب يشير فى هذا البيت ، والأبيات الخمسة عشرة التالية له

— وسار الفتح والظفر فى ركاب الملك المظفر ، فأمسك بيده بهما بقوة .
— ونثر خنجره دماء الأعداء على الأرض وكأنها الشقائق الحمراء ،
فتأوه عدوه فى أنات حزينة لما حل به من بلاء .. !
— واستحال قلب جبل « بيستون » دما خوفا من سيفه ،[1]
وأصبح خاشعا متصدعا من قهره ، كحبات الرمان ... !
— وامتلأ بحر القلزم دما من مجاته ، وشق الملك طريقه بين أمواجه ... !!
— وجعلوا طعام الوحوش المفترسة على باب كرما نشهان [2]
من أكباد الأعداء فى يوم الحرب والطعان .
— وشرب النسر فى وسط المعركة طاسا من الدم ،
المراق من أعناق مشاهير ملوك العالم ... !!
— وتبخرت دماء الأعداء التى أريقت من باب شبديز إلى حدود بخارى [3]
— وبذل الخصم أقصى جهده ، ولكنه عجز ، فتقبل قلبه العزاء من روحه .
— وانتهى أمره بأن صار ذليلا ، وكتب السيف منشور عبوديته بدماء قلبه .
— وانتقل هو إلى جهنم وبقى أخوه اللعين ،
ولكنه بقى أسيرا فى الأذلين .. !!
— فعش طويلا أيها الملك المظفر فى فطرتك الطهر ،
وقد اتخذت هذه الفطرة شعارها من الفتح والنصر .. !!
— ولقد حدث كل ذلك بفضل سعادتك وعظمتك
اللذين نبتنا فى أحضان الحظ السعيد والتوفيق ... !!
— يامن نبت وردك الجميل فى رياض الأرواح ،
ولم ينبت كالورد العادى على حافة الأنهار ...

---

(١) المراجع : جبل بيستون جبل مرتفع يشتهر خاصه بأن إدارا الأكبر سجل عليه فتوحاته وانتصاراته .

(٢) المراجع : كرمانشاهان ، هى مدينه كرمانشاه الحالية وتعرف فى الكتب العربية باسم « قرميسين » .

(٣) المراجع : أنظر ماسبق أن ذكرناه عن « شبديز »

— لقد قربت إليك محمودا (١) وورثت .
ملك سنجر ومحمود ، وهما ملكان عظيمان .
— واتخذت أبا بكر (٢) رفيقا لك فنلت السعادة ،
وأصبح كأبى بكر الصديق رفيق الرسول فى الغار .
— لقد احتضن التوفيق مظفر الدين فارتفع قدره ،
وجاوزت رفعته النجوم والأفلاك .
— فهو الملك قزل أرسلان الذى استمدت الأفلاك الثمانية
منه اللطف ، واستمدت المناجم منه الثراء .. !!
— وهو الذى يضىء سيفه فى ميدان البطولة
وكأن البرق فوق هامات الرجال ... !!
— فذاتك مشرقة كالشمس ، ومنك استمد الأربعة الآخرون السعادة (٣)
— فقد جلست فى حرم الملك كالرسول محمد ،
واتخذت من هؤلاء الأربعة أصدقاء لك كما اتخذ محمد أربعة أصحاب .
— أسأل الله أن يبقى عمرك ما بقى الماء والنار ،
وأن تصير عين عدوك ماءً وقلبُه نارا ..!!
— وأن تبقى روحك وروح من تحب فى كنف لطفه العميم ..!! [ص ٩ . ٢]
— فما زلتُ — أنا مجير الدين — أستفيد من هباتك ،
وقد أخذت هذا العام أكثر وأسرع مما أخذت فى العام السابق .

* * *

وقال مجير الدين القصيدة التالية فى مدح السلطان أرسلان (٤) .

---

(١) المراد بمحمود الذى ذكر فى الشطرة الأولى من هذا البيت اينانج محمود بن الأتابك جهان پهلوان الذى ذكر فى كتب التاريخ باسم قتلغ اينانج ، ويوجد اسم « اينانج محمود » فى زث فقط
(٢) المقصود بأبى بكر « نصرة الدين أبو بكر بن جهان پهلوان » .
(٣) يقصد بالأربعة ايلدكز وابنه جهان پهلوان وابنيه أبا بكر ومحمودا .
(٤) ديوان مجير بمكتبة بودلين باكسفورد ، ورقة ٢٩ أ — ٣٠ أ

[قصيدة فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— ها هو نسيم الصباح يمشط ورود الرياض الملتفة ،
وها هى رائحة الياسمين تحيى النفوس كأنها أنفاس عيسى
— إنها رائحة المسك ... ولكن نوافج المسك ،
لا أثر لها على كبد محترقة مثل كبدى ...!!
— ولماذا يصير نسيم السحر البارد حارا ؟ ؟
لأنى تذكرت فى إثره رائحة الروض العطرة .
— فيارب ما هذا الأسلوب الجديد ..؟!
لقد ملأ هبوب النسيم ذؤابة اللعل برائحة المسك الأذفر
— وقد وضعت الريح بيدها الخالية التاج فوق رأس الشوك ،
ووقف السحاب ينثر الدر ويدق الطبول على باب الورد النضير
— فالورد والصبح عاشقان مولهان ،
وكل منهما يشق ثيابه من فرط عشقه للآخر ..!!
— وعين النرجس الناعسة تنظر فى ذبول وانكسار ،
إلى اللعل وهو يزدهر بين أكفانه الخضراء ..!!
— والصفصاف يشرع سهامه فى الحديقة ، وريح الصبا تقابل الأغصان ،
والسحاب فى قتال مع الصواعق التى تحاول أن تكسر سهامه ..!!
— واللعل والورد فى هم دائم حزنا على عمرهما القصير ،
وقد امتحن قلبهما بالغم طوال الوقت ..!؟
— ولما انتثرت أوراق الورد وابتعدت عن بعضها صارت لعبة للرياح ،
ولما فرغ كأس اللعل أصبح مرتهناً للنسيم ...!!
— ولو أصبح للورد جمال يوسف ... فليس هذا عجيبا ...!! [ص ٢١٠]
لأن نهر النيل قدح له ، ومصر هى روضته ...!!
— ولم أخطىء حين شبهت الورد بيوسف ،
فأوراقه حمراء غارقة فى الدماء ، وهى تشبه قميص يوسف ...!!
— وقفص الأرض مملوء بهديل الحمام ،

وبحر الحديقة مملوء بعبير زهر النسترن ...!!

— وما زالت رائحة اللبن تفوح من فم السوسن ،
لأن ثدى الصبا لايزال — حتى الآن — فى فمه ...!!

— وهو صامت رغم أن له عشرة ألسن ، وهو محق فى ذلك ،
فكيف يتكلم وله مثل هذا العمر القصير ...!!

— ولو شرعت الخضرة رداءها على الماء ، فلا خوف عليه ؛
فقد جعلت الريح على بدنه درعا طول النهار والليل ...!!

— والبراعم لاتستطيع أن تضع التيجان فوق رءوسها فى الحديقة ،
لأنها تخشى سلطان الزمان ، فاصغ إلى قولى ...!!

— وترى على رأس النرجس فى الصحراء غطاء من الذهب طوال الليل ،
فلا تأخذه ، ودعه لأنه من آثار عدل السلطان العظيم .

— فهو الملك الذى رعيته الفلك ، وركابه الشمس .
وهو يهزم الأعداء كالفلك والشمس ...!!

— وهو ملك الجهات الست ، بل هو عقل الاقاليم السبعة .
وهو كالعقل آمن مطمئن من الفساد والفتن ...!!

— إنه الملك أرسلان الذى يهب الدنيا ... وتراب قدمه
حرز لزوح الملائكة ، وكحل لعين الثريا ..!!

— وهو بشير السعد الذى بفضل خلقه الحسن ، [ص ٣١١]
امتلأت الدنيا جميعها بالورد والياسمين ...!!

— وغصص خصمه كالأفلاك ، طبقات فوق طبقات ؛
وهو يحطم ما يجلبه الفلك لخصمه من سعادة ...!!

— ولو استراح الخصم بضرب عنقه ، فهو محق فى إعتقاده .
فماذا يستطيع أن يفعل ..!! إن راحة الشمع فى قطع عنقه [١] ...!!

— وقد صار سيفه أحمر كالعقيق من كثرة الطعن ،
وليس هذا عجيبا ، فإنه مصنوع فى اليمن ...!!

---

(١) المراجع : إذا قطعت فتيلة الشمعة ازداد ضياؤها وتوهجها .

— فهو يمانى الجوهر ، فاتح للروم ، قد تجعد ظهر الأفلاك .
خوفا من بطشه وصار كشعر الحبشى ...!!
— ولتبعد عين السوء عن ملكه ... لأن عدوه .
كائنا من كان ... فى عناء من قوته وبطشه ...!!
— ودلو الشمس صافى الجوهر ، ذهبى الحبال .
حتى يسقيه ماء السعادة من عين الحياة التى وجدها الخضر :
— ورائحة السعادة فى كل بقعة مستمدة منه
كما أن يثرب فيها شمة من أنفاس « أويس القرنى »[1] .
— وهو شبيه بمحمد فى صفته واسمه ، ويعمر فى عدله .
وبعلى فى رفعته وشجاعته ، وهو كالحسن فى خلقه .
— وجرعة قدح جلاله تحطم الأمواج ،
فهى تثقب الفلك بقوتها وتشق البحار ...!!
— والبحر خجل والمنجم فارغ صامت ،
أمام حديثه الذى يجعل الجواهر والدرر فى حسد دائم ...!!
— وقد أصبح العدو خوفا من سيفه الحاد ،
كالعنكبوت ينسج حول نفسه بيتا واهيا ..!!
— ولو توارى خلف هذا البيت ، ففى ذلك مهانته ، [ص٣١٢]
لأنه يصبح كالنساء موطنها داخل البيوت . . . !!
— وملكه يسع الدنيا جميعها ؛ ويوسف بجوار حسنه لا يساوى شيئاً . . . !!
— فكن مسروراً — أيها الملك — وعش طويلا فاتحا ظفرا ،
فإن لطفك وكرمك مستمدان من الله ذى المنن . . . !!
— فالمشترى يدعولك من فوق السماء السادسة[2] ،
وزحل والملائكة والأفلاك موطنٌ لك . . . !!
— فأنت ملك فاتح . . . سواء حاربت أو لم تحارب . . . !!
وأنت بطل كرستم . . . قاتلت أو لم تقاتل . . . !!

---

(١) المراجع : أويس القرنى صوفى مشهور من السابقين فى التصوف .

(٢) المراجع : يقرر الفلكيون أن المشترى فى السماء السادسة .

ـ وشمس الفلك تقى نفسها بالظل خوفاً منك ،
لأن أعضاءك كالسيوف وجسمك كالدرع . . . !!
ـ وقد عجز الفلك التافه فى النهاية ، فعاش معك دون التواء ،
بعد أن كان مملوءاً بالدس والحيل والدهاء . . . !!
ـ وقد خلَّص كرمُك النساءَ والرجال من جور الزمان
الذى كان يظلم ولا يرحم الرجال أو النساء . . . !!
ـ فيا مليكى . . . قدم الخمر فى هذه الحديقه الغناء ،
فالخمر تحت ظلال السرو تناسب الطرب والرقص والغناء . . . !!
ـ فالأوانى مملوءة بالخمر التى تجلب الطرب ،
ولكن ينبغى أن تقدمها فتيات كيوسف فى حسنهن . . . !!
ـ وقد علا السكر ذلك التركى فى دياجى الليل الهندى ،
وسهرت عين المعشوق الذى أسر بجماله القلوب . . . !!
ـ فاطلب فى هذا اليوم الجديد خمراً معتقة ،
ففى شرعة العيش والطرب يتم رونق اليوم الجديد بالشراب المعتق . . . !!
ـ ولكى تمد الأرض بنور النجوم ، [ص ٣١٣]
وضعت شموع النجوم فى قبة السماء الزرقاء . . . !!
ـ أسأل الله أن يجعل فيضه مدداً لروحك ،
لأن فى وجودك رحمة للروح والبدن . . . !!
ـ وأن يجعل الفلك جميعه جزءاً من ملكك ،
ويجعل كل سعادة فيه من نصيبك . . . !!
ـ فاستمع إلى هذا الدعاء الصادر منى عن صدق ولهفة ورغبة ،
لأن أوراد دعائى حرز لدولتك .

وقال مجير الدين[١] القصيدة التالية فى مدح الأتابك محمد بهلوان وجعلها جواباً على قصيدة السيد الأشرف[٢] :

---

(١) ارجع إلى مجمع الفصحاء ، ج ١ ، ص ٥١٢ .
(٢) تشتمل قصيدة سيد اشرف على ٤٩ بيتا (ارجع إلى ديوان سيد أشرف ورقة ١٢٠ ب) (Or. 4514)

— إن الوقت قد حان لكى يبدأ السكارى طربهم ،
ولكى يرفعوا تاج القمر الذهبي فوق مفرق الليل .
— وحينذاك يأتى الحسان بالشموع بعيداً عن أوانيها ،
وتمسك الملائكة بشعلة الأفلاك السبعة . . . !!
— وترقص الجيلات سافرات غير محجبات ، ويضرب المطربون بألحان جديدة
— ويتنقل العشاق بتقبيل شفاه المعشوقات الحلوة ،
ويشربون الخمر المشعشة على نغمات الغزل العذبة .
— ولكى يحضروا الزهرة إلى مجلس العشاق ،
يمسكون بذؤابتها أحياناً ، ويرفعون حجابها أحياناً أخرى .
— ويقفون كالهنود عند تبسم الصبح ، يرتشفون شفة الحبيب الحلوة . . . !!
— ويلقون بالحجارة فى كأس الأيام المليئة بالخير والشر ،
ويقتصون من القلوب القاسية كالحجارة . . . !! [ص ٣١٤]
— ويصنعون من الطرر السوداء طوقاً للرقاب ،
ويصطادون الفلك بشباك الأزلاف المعطرة ،
— ويضحكون كالصبح تحت سقف الفلك المملوء بالنجوم الزواهر ،
ويملأون الدنيا بالذهب والدرر والجواهر . . . !!
— فيأخذ المدربون فى المحافظه على أموالهم ،
ويحاولون أن يأخذوا من الأعداء أملاكهم .
— وينعش غناء الغلمان العذب ، ونغمات الأعواد الحلوة الأرواح فى وقت
الصباح فإذا العالم فى نشوة وبهجة . . . !!
— ويطرب غناؤهم الشيخ المقوس الظهر ، والنحيل القد ،
المتساقط الشعر ، فينتعش وهم يأخذونه فى أحضانهم . . . !!
— ويسيطرون بأصابعهم العشرة التى تضرب على بطون الأعواد
الخاوية ، على الأفلاك التسعة ، بعد أن يسمعوها تأوه القلوب . . . !!
— ويضربون — وهم فى فرط نشوتهم — أطراف العود الذى
يشبه السلحفاة ، والذى جسده عبارة عن بطن كبيرة . . . !!

— ويستولون بألحانهم العذبة على هذه الدنيا المتقلبة ،
ثم يطوفون حولها كالفلك الدوار . . . ! !
— وتتراقص الرؤوس والأعناق ، وتتهافت على الإمساك بذؤابة الحبيب المعطرة ... !!
— ومن فرط ما يغمر السماء من نشوة وسرور ،
تدور الكؤوس وقد امتلأت بالخمر والشراب .
— ويتجمع الدهماء والصوفية على السواء للرقص والغناء . . . ،
فيتجردون من الدنيا ويسلكون طريق الفناء . . . ! !
— فإذا نسوا العالم بما فيه من خير وشر ،
شربوا الخمر على ذكر ذلك الملك المظفر . . . ! ! [ص ٣١٥]
— نصرة الدين عضد الدولة محمد الذى
استمد منه سكان الفلك الرفعة والعظمة . . . ! !
— وهو « پهلوان » الحاكم المنصور ، الذى استطاعوا بفضله
أن يفتحوا السماء ويجعلوها منقادة ذليلة . . . ! !
— والذى يتضاءل كل ما كان لكيخسرو ونوذر[1] ، من عظمة أمام قوته وشوكته . . . ! !
— وقد كونت قطرة من كفه بحرى القلزم وجيحون ،
واستولى جزء من عزمه على قبة السماء . . . ! !
— ويعتبر العقلاء بلاط دولته ومنبع إقباله . . . ! !
أطهر من نهرى طوبى والكوثر . . . ! !
— وكل من فى ملكه مطيعون لطبعه الحسن ،
وتابعون منقادون لحديثه العذب . . . ! !
— إن فيض كفه يفوق كل خيال ،
وحرارة سيفه تطهر المياه وتجعلها نقية . . . ! !
— ويحترم الملوك جميعاً اسمه الشريف ، ويحفظ الملائكة منشور فتحه . . . ! !
— وهو يصنع لجام جواده من طرر الحور .

(١) المراجع : كيخسرو ونوذر ملكان من ملوك إيران الأقدمين .

ويصنع بيرق رمحه من رأس قيصر . . . ! !

— وتتزين الأفلاك التسعة طوال الليل بأنواع الزينات المختلفة ،

حتى تكون طوقا يزين رقبة حصانه الأشهب . . . ! !

— وقد انتثرت الأنجم فى صفحة الفلك كالأحرف فوق القرطاس ،

حتى تكون الأوراق التى تحمل مديحه موشاة بالذهب دائماً . . . ! !

— ومن أجل نصرته للحق ، يعدونه إذا أمسك بالسيف ، [ص ٣١٦]

عليا الثانى وذا الفقار الثانى من فرط قوته وشجاعته . . . ! !

— وقد سلت بيضة الشرع من فتنة الفلك ،

ولذلك فهو يعد يوم الوغى نائباً لعلى . . . ! !

— وهو قوى . . . تُعد شمس الفلك ذرة إذا قيست بقوته ،

ويعد العالم جميعه حقيراً بالنسبة إليه . . . ! !

— ويتحدث الناس عن سخائه ، فيقولون إن عطاءً سخياً منه ،

يكفى للاستيلاء على الدنيا بجبالها وسهولها . . . ! !

— إن قلبه الرحيم قد أحيا الجود بعد موته ،

فلا غرو إذا اعتبروا قلبه كنفس عيسى . . . ! !

— وقد بلغت رائحة عدله غزنين ، وبلغ صيت سيفه كشمير ... !!

— وهو يعد واسطة العقد بين السلاطين ،

فقد سيطر نفوذه على مملكة سنجر وتاجه .

— وأبوه هو الإسكندر الثانى ، وأخوه سلطان عظيم ،

ونسب الملوك يبدأ دائماً بالأب أو الأخ ...!!

— أيها الملك ... إن عدلك قد تجلى فى ملكك ...!!

فعاش الصقر والباز مع الدراج والحمام فى أمن تام . .!!

— ولو صنع الفلك أنشوطة من رأيك المشرق الرفيع ،

لأمكن أخذ الشمس المنيرة فى ثناياها .. ! !

— وذاتك أرفع منزلة من العقل الكلى ،

وما الأفلاك التسعة إلا جزيئات منك .. !!

— وفى يوم الوغى الذى يجتمع فيه الأبطال للنزال ،
يعدُّون دقات طبولك أعذب من ألحان الأعواد ... !!

— ويصنعون طعام الموت من أجساد الشجعان ، [ص ٣١٧]
ويجعلون ساحة الفلك ممرا للأرواح الطاهرة ... !!

— وتحترق الأفلاك بنار سيفك ،
وتتحطم سائر القوى فى ثنايا أنشوطتك ...!!

— وتنفر الجياد المارقة وجلاً من نار خنجرك ،
فتدور فى الميدان كما تدور الريح الصرصر .

— ويسرع الموت إلى آجال الأحياء ،
وتصير صفحة السيف من الدماء — كالأرغوان — حمراء

— وتلتمس السيوف مقرها فى قلوب الأبطال الشجعان ،
وتتخذ الحراب مكانها فى الرؤوس والتيجان .

— ويتردّى الأعداء بضربات رماحك ،
وتتخضب أرض المعركة بدمائهم الحمراء .

— ويطير العقل والروح إلى السماء ،
فزعاً . . من خنجرك الذى يشبه المرآة المصقولة فى الصفاء . . !!

— وتحمر ألوان الجنود المنتصرين لما يصيبهم من طرب . . . !!
وتصفر ألوان السيافين لما يصيبهم من فزع . . . !!

— وأحيانا يكون ركابهم أثقل من الجبال ،
وطورا يكون عنانهم خفيفا كالتبن أقل من مثقال . . . !!

— وحينذاك يعدون سيفك أساس النصر ،
ويعتبرون سهمك نذيرا للموت والقبر . . . !!

— ويقرأون منشور فتحك فوق قبة الفلك ،
وينصبون خيمة جاهك على مفرق النجم . . . !!

— ويعتبرون بقاءك سعادة للفلك ونصرة للحق ،
ويعدون اسمك فألا للإقبال والرزق . . . !!

— ويرون أن حملة واحده من حملاتك تعادل مائة جيش لدارا ، [ص ٣١٨]
ويعتبرون وقفة واحدة منك أثبتَ من مائة سد للإسكندر . . . !!

— ويعدون رايتك الحمراء التى هى تاج الفتح والظفر ،
أساسَ النصر وزينة العسكر . . . !!

— ويعتبر الفضلاء أشعار مجير الدين فى مدحك ،
خيراً من دُرْجِ الجوهر وَدَرْجِ الكتاب المسطَّر . . . !!

— ويعدون ما يكتبه ، أجمل من صـــور مانى (١) ،
ويعتبرون كلامه أفضل من صنعة آزر (٢) . . . !!

— وإن عظماء العراق إذا تأملوا طبعك وتأملوا سخاءك ،
ليعدون كل سخاء تافها أمام سخائك ، وكل شعر تافها أمام شعرى . . . !!

— فقد اتخذ شعرى الشرف والشهرة منك ومن مدحك ،
ولو أن اسمى منسوب إلى أبى وأمى . . . !!

— أيها الملك . . . يامانح التيجان . . . لقد أقبل موكب النوروز ،
لجعل الدنيا جميعها مليئة بالشقائق والزهور . . . !!

— ولن يطول الحال ، حتى تغطى الخضرة أطراف الحقول والأنهار
وتورق الأغصان وتزدهر الأشجار . . . !!

— فيشرب الناس على قدومك أقداحا مترعة من الخمر الشهيّة ،
ويمسكون أكوابا موشاة بالذهب والفيروز وأنواع الحلى . . . !!

— فهيِّىءْ حفلا مزدانا واشرب الخمر فى سرور ،
حتى يشرب الجميع بفضلك الخمر الصافية فى حبور . . . !!

— واهنأ بحظك السعيد ، فى يومك الجديد ، وحكمك السعيد ،
وخيرٌ للناس أن يشربوا الخمر لقدومك المجيد . . . !!

— وما دام الجميلات يطرحن شعرهن الأسود حول وجوههن البيضاء ،
وما دام الحسان يُطِلْنَ طرهن العنبرية الدكناء . . . !!

---

(١) المراجع : اشتهر مانى باجادته النقش والتصوير .
(٢) المراجع : آزر والد ابراهيم عليه السلام ، ويرى قوم أنه عمه الذى رباه بعد وفاة ابيه تارخ

ـ وما دامت ذؤاباتهن (سوداء) كقلوب الكفرة ، [ص ٣١٩]
وما دامت وجناتهن (بيضاء) نقية كقلوب المؤمنين . . . !!
ـ أسأل الله . . . أن يبقى عزك وإقبالك أنت والأتابك الأعظم فى هذه الدنيا طويلا ، وأن تظلا خالدين حتى تقوم الساعة وينفخ فى الصور . . . !!
ـ وأن يبقى أمرك ونهيك على وجه الأرض ،
وأن يجعل الملوك جميعا طوع أمرك ونهيك . . . !!
ـ وأن يجعل بابك قبلة آمال الخلائق ،
حتى يتجه الناس جميعا إليها ويلتفون حولها . . . !!

* * *

وقال مجير الدين هذه القصيدة فى مدح الأتابك پهلوان ،
[قصيدة فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

ـ إن العهد سعيد . . . والوقت أسعد الأوقات ،
إنه عيد الفطر . . . والعالم يفيض بالجمال والبركات . . . !!
ـ لقد أقبل موكب العيد فى ركاب الشرف ،
وأقبل معه موكب العشرة والسرور والطرب . . . !!
ـ وزين الهلال الجديد الذى يعد دليل العيد ،
السموات السبع ، واستقام أمر الدنيا من جديد . . . !!
ـ فيارب كيف يتجدد شباب هذا الفلك المُسِنّ الخادع
إذا لم يسرع شهر الصيام بالرحيل ...!!
ـ ويا رب ما أجمل العيد يوما للراحة والسرور ،
وما أبدع هذا الفصل المبارك وما فيه من منظر نضير ... !!
ـ فقد أقبل العيد والورد معا من مكان بعيد
وتأكد الناس من وصول العيد والورود ... !!
ـ والحق ... أنه موسم جميل فيه عيش رغيد ،
هداياه الورود والشراب اللذيذ ...!!

— فالأفضل أن تكون الكاس الآن فى لون السحر ،
لأن رسول الورد فوق جميع الآفاق هو نسيم السحر ...!! [ص ٣٢٠]
— ولو أنى لا أشرب الخمر كل ليلة من دماء قلبي
لما امتلأت كأس رأسى الآن بالخمر حتى أفعمت ...!!
— ففى كل نفس ... تنعقد أمور العشق فى قلبي ويتغلغل فيه ،
وفى كل ليلة ... تتزاحم رسل الفتنة والجمال على بابى ...!!
— وقد قلت لرفيق قلبي : اعطنى قبلة وخذ روحى ...!!
فضحك كثيرا ، وقال : كيف الوسيلة الآن ...!!
— إننى لم أفعل ذنبا ، بل إننى بذلت مهجتى فى حبه ،
فلماذا تحترق كبدى فى محبته دون ذنب جنيته ...!!
— لقد سميت شفته سكرا ، ولكنى لم أحسن التسمية
فهو شفاء القلوب ، وهو أحلى من السكر ...!!
— وقد مزقت الوردة قباءها كل سحَرَ بسبب عشقها له ،
وحسدت أجمل الورود جمَاله ، فشعرت بالغيرة منه .. !!
— لقد جفانى ولكنى مازلت ثابتا على عهدى ،
ولن يهمنى جفاؤه ... لأنه مَلِكٌ عادل ...!!
— فهو ملك المشرق والمغرب ... الذى نامت الفتنة بفضله نوما عميقا ،
وانقشع الظلم عن العالم ...!!
— وهو الملك الذى يقيم على بابه ، الإقبال والفتح والظفر ... !!
— إنه الأتابك ، وهو قرة العين ، وهو الملك الجسور ،
وهو الذى تعد نار جهنم شرارة من غضبه وهيبته ...!!
— وهو البهلوان (البطل) الذى هزل كيان الظلم خوفا من عدله ،
وهو مانح التيجان ، وهو جوهرة فى تاج المعالى ...!!
— ويُعَدُّ القضاءُ والقدر شيئاً تافها بالنسبة لعزمه ؛ [ص ٣٢١]
فتصور عزمه ، فإن عزمه يد للقضاء والقدر ...!!
— لقد تضايقت همته من هذا العالم
لأن همته كبيرة جدا ، والعالم ضيق بالنسبة لها ...!!

— وإذا خافت الصاعقة من هيبته ... فالتمس لها عذرا ،
لأنه يحق لها أن تحذر وَجَلاً أمام هيبته ...!!
— وانظر عظمته ولا تغترّ بجناح العنقاء ،
فان ظل تاجه خير من جناحها ...!! (١)
— وكل أمر يصدر وليس عليه توقيع « القوة لله »
فحكمه فى الآفاق هباء وعبث ...!!
— وللغبار الذى يثيره فى الميدان ميزة خاصة ،
هى أنه إذا أصاب العين صار شفاء للبصر ...!!
— وما أروع حكم العالم فى عهدك ،
فقد اتخذ العدل شعارا فصار عهدك كعهد عمر .. !!
— وأمام يدك التى يقبلها الفلك دائماً ،
انقشع السحاب ، وأفلس الخريف ، وصار المنجم قليل الخطر ...!!
— وكل راس لا تخضع لأمرك وحلمك ،
يجب أن تُقطع كالقلم لأن بقاءها خطر ... !!
— والكلب أفضل منى ، إذا أسميتُ عدوّك كلبا
لأن خصمك — فى مذهبي — أحط من الكلب ...!!
— والملوك والأمراء كثيرون فى هذه الدنيا
ولكنك — يا مليكى — شخص آخر وعملك شيء آخر ...!!
— إن الفلك حينما أمعن النظر فى أعمالك قال :
إنه لسعيدٌ حظُ الأب الذى له ابن مثلك . . . !!
— والفتح يولد من حد سيفك وروح عدوك ، [ص ٢٢٢]
لأن عدوك أنثى وسيفك ذكر . . . !!
— فأنصف فإن الناس يستمدون العدل فى العالم منك ،
ولا يوجد أحد فيه — غيرك — جدير بالتاج والعرش . . . !!

---

(١) المراجع : فى الأساطير الفارسية أن العنقاء إذا طارت ووقع ظلها على أحد أصبح ملكا .

— وإنه لمعجز حقا أن يكون لك من العمر ثلاثة وثلاثون سنة

وأن يخشى الفلك قدرتك وبطشك . . . !!

— لحقق رغبتك . . . فإن الملك خاضع لأمرك ،

وعش طويلا . . . فإن سيفك درع للدين . . . !!

— وإنني أعترف بأنني عاجز عن إدراك قدرتك ومدحك ،

فأنت كالخضر وأبوك هو الإسكندر الثاني . . . !!

— وما دامت كرة الأرض مستقرة فوق الماء ،

وما دام الفلك اللامع كالمرآة يدور في مجراه . . . !!

— فإني أسأل الله أن يجعل جميع الملوك طوع أمرك ،

وأن يصبح ذكرك سمرا في جميع المجالس . . . !!

— فاستمع مني — أنا مجير الدين — هذا الكلام جيدا ،

يامن ألفاظك العذبة جميعها غرر ودرر . . . !!

— وانهج نهج عمر في العدل ، لأن الأرض دار فناء ،

وتزود من الدنيا بطيب الذكر فهي دار رحيل وزوال . . . !!

* * *

وقال مجير الدين القصيدة التالية في مدح الملك الشهيد قزل [1] رسلان

[قصيدة فارسية في الأصل ، ترجمتها :] .

— إن القلب الذي يصطفيك لتختصر حياته ،

لأنه يعيش على الدماء التي يستنزفها الكبد ... !!

— وعُشُّ العالمين لا يتسع للطائر الذي يسلك بجناحيه سبيل عشقك ... !!

[ص٣٢٣]

— فهلا بكيت لحبك إذا علمت : أن صبره يصنع درعا يتقى به صاعقة هجرك ... !!

— وإن الغرم ليقع على من يظفر بتراب قدمك ،

إذا صنع من قرص الشمس تاجا له ... !!

---

(١) ارجع إلى ديوان مجير نسخة أكسفورد ورقة ١٧ (أ) — ١٨ (أ)

— فأنصفنا ... وارفع الظلم عنا أكثر من ذلك ،
فبدونك سوف يشقى المحرومون ...!!
— ولا تظهر لعشاقك ـ وقت السحر ـ وجهك الذى يشبه الشقائق
فإن شقائق السَّحَر هى التى تكثر عشاقك !!
— لقد جافاك الفلك ... وهذا سر عظيم ،
فكيف يقاوم القلب حادثين فى وقت واحد ... ؟!
— وحينما أمسك الصبح بطرتك السوداء ، وكشف عن وجهك ،
أخذ الخلق يجتمعون حول غمزاتك فى وضح النهار ... !!
— ود احمر وجهى من أجلك ، فليت حمرته تكون خجلا ،
لأن وصل معشوق مثلك يحيل الفضة ذهبا .. !!
— وإنى أقدم قلبي الذى لا يساوى شيئا قربانا لوصلك ،
فياليت الزمان يمدنى بمعونتك .. !!
— ولقد احترق كل شىء عندى بسبب تأوهاتى الحارة ،
فأنا الآن لست شيئا .. وكيف أعيش بدونك ... !!
— وليس عجيبا أن تكون ممتازا فى حلاوتك وعذوبتك ،
فإن الزمان يمد قصب السكر بحلاوتك ... !!
— ويستطيع كل من جعل كحل عينيه من تراب بلاطك
أن يديم النظر إلى وجهك .. أيها الملك العادل ... !!
— فبك تستقر الجهات الست ، وبك تحكم أركان العالم الأربعة ، [ص ٣٢٤]
وبك يسمو القَدْر حتى يستقر فوق مفرق القمر ...!!
— أنت فلك العرش ، وملجأ الشمس ، وبحر السخاء ؛
وإن البحر ليستمد من كفك الكنوز المليئة بالجواهر ... !!
— انت ملجأ العالم « قزل ارسلان » الذى يهب .
كل ما هو موجود من دخل العالم وخرجه ... !!
— فإذا استحال الفلك أرضاً كسراب بقيعة(١) ،

---

(١) سوره النور ، آية ٣٩ .

فإن قلبه يصنع فلكا آخر ، ورأيه يصنع نجما آخر . . . ! !

— فلا صارت الدنيا خرابا من غارات الحوادث ،

فإن نظرة واحدة منه كافية لأن تخلق مائة عالم . . . ! !

— ولقد حطم أحداث الفلك ، وهو قادر دائما على تحطيمها ،

وكأنما تراب أعتابه حرز للشمس والقمر . . . ! !

— والفلك يضحى أسيراً فى قبضة يده ،

إذا امتشق القوس وصوبها نحوه . . . ! !

— وإن الفلك ليديم الدوران بحثا عن نظير له ،

فيرتفع أحيانا وينخفض أحيأناخا رى . . . ! !

— إن يده تشرق بيضاء على الدنيا ، فتنير دياجى الليل البهيم . . . ! !

— ويبدو الفلك الأعين ، وكأنما صنع من غبار طريقه كحلا للبصر . . . ! !

— وقد وجد الفلك نفسه فقيرا فتعلق بسخائه ،

ورأى العدو الخطر فتعلق بشجاعته وأذياله . . . ! !

— ووجهه كالصبح يكسف نوره كل شىء ، ويغمر نوره جميع الأرجاء . . . ! !

— ورأيه الثاقب يعرف دقائق الأمور ، [ص ٣٢٥]

وقدرته تثبت النقش على صفحات الماء الجارى . . . ! !

— وقد جعل عدله الغامر منذ البداية ،

الصعوة تعيش مع الصقر فى حب ووئام . . . ! !

— والكرم يتيم مثل « زال » ، وهو كالسيمرغ

يغذى الكرم بشفقته ، كما غذّى السيمرغ زالا[1]

— ولقد خُلِق بأمر الله فى ظلمات ثلاث[2] ،

وكُوِّنتْ صورته من لطف الله فى قرار مكين .

---

(١) المراجع : فى الأساطير الفارسية إن زالا ولد بشعر أبيض فطرحته أمه على قمة جبل فربته العنقاء التى تسمي بالفارسية « سيمرغ » .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى : « يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث » سورة الزمر ، آية ٦ .

— وهدايته ... تجعل من البصر حارسا للروح ،
وعنايته ... تجعل من اللسان رسولا للخير ...!!

— وفى موسم الورد الجميل الذى ينبت من قطرات السحاب ،
جعله القدر ملكا على البر والبحر ...!!

— وهو الذى يمدّ الصبح بالنور الوضاء ،
ويسلب الظلام من الليل الحالك السواد ...!!

— ويده فى هذا الزمان الخسيس ،
هى التى رعت أهل الفضل فظفروا بالفضل ...!!

— فيا ملجأ العالم ... يا قلب الأفلاك ... إنك أنت
الذى يجرى قانونُ النفع والضرر بحكم قلمك وسيفك ...!!

— وإرادتك... هى التى تحطّم كل أمل للقضاء ،
وسياستك ... هى التى تنصب الكمين فى طريق القدر ...!!

— وقد غسل كاتبُ الفلك فمه بالبحار السبعة ،
حينما أثنى عليك ، ودعا لك بأساليب مختلفة ...!!

— وبصنع يدك ... تتزين الدنيا بالآمال ،
وبصنع سيفك ... يتخذ الفلك ذخيرته فى الظفر ...!!

— ويعترف « طاقديس »[1] الشبيه بالمرآة ، [ص ٣٢٦]
بأن قوتك تستطيع أن تبنى أرفع منه ...!!

— وأن من يظفر بإحسانك فى يوم واحد يصير سيدا كبيرا ،
ويستطيع أن ينفق على سائر البلاد من المشرق إلى المغرب ...!!

— وأنت تشق لتظفر بالشهرة ، وليس هذا عيبا
فنور القمر لا يكتمل إلا بعد طول السفر والدوران ...!!

— وكيف يصير عدوك مثلك ؟ وهو كالكلب ...!!
إنه يتحايل ويحاول أن يبدو فى صورة ليث وهو قط ...!!

— وإن الفلك لا يستطيع أن ينقص شيئا من عطاء كفيك ،

---

(١) عرش كسرى أو عرش سليمان .

لأنهما ينعشان البشر جميعا بالعطاء كل يوم ...!!

— ويصوغ قلبي بمدحك سحرا حلالا ،

كما ييسر سيفك أسباب الفتح والعظمة ...!!

— ولم ينظم شخص قط سحرا مثلي ، في هذا الزمان ،

ولينتقم الله مني ... إذا وجد شخص نظم أو يستطيع أن ينظم مثله ...!!

— ولن يسود وجهي إذا عرض الشعر للنقد ،

فكل خبير يستطيع أن يميز بين الجيد والرديء ...!!

— ولم يسلك شخص غيري مثل هذا الطريق الجديد

وكيف يستطيع إنسان غيري أن يصوغ المستحيل ...؟!

— فانتقده أنت...فليس هناك خبير أعرف منك بنقد الشعر ،

وطبعك يستطيع أن يستنبط من الكلمتين مائة لطيفة ...!!

— أدعوا الله ، مادام الفلك يدور ، ويتجول حول هذا المدار ،

— وما دام يقذف السهام من قوسه ، وتتطاير اللهب من سهامه

— أدعو الله ... أن تكون كالابن النافع في هذا الزمان العقيم ، [ص ٣٢٧]

وأن تأتي من الأعمال ما لا يستطيعه الزمان اللئيم ...!!

— وأن تكون الأفلاك السبعة والأقاليم السبعة مسخرة لك ،

وأن يجعل حكمك نافذا على جميع البشر ...!!

* * *

وإني أسأل الله أن يقبح وجه « أثير الدين الأخسيكتي » الذي قال ردا على هذا الشعر :

[بيت فارسي في الأصل ترجمته :]

— بالله عليك ياسيد مجير الدين، لماذا تغير على قوافل شعري ... !!

وهذه الحقيقة بعيدة عن الإنصاف . وإذا كانت أشعار كل من أثير الدين ومجير الدين كثيرة جدا في باب المديح ، غير أني أرى أن مراعاة الاختصار أولى

بى خشية سأم القارئ ؛ فلا أذكر هنا إلا قصيدة واحدة لأثير الدين ، تغلب فيها على مجير الدين . وكنت قد اشترطت على نفسى فى فهرس هذا الكتاب ، أن أذكر بعد الحديث عن كل سلطان شيئا من شعرى ، ولكنى أرتكب حماقة الآن إذا فعلت ذلك . ولهذا فإنى أكتفى بأن أذكر هنا القصيدة التى قالها أثير الدين الأخسيكتى فى مدح السلطان ارسلان ، ثم أنتقل بعد ذلك مباشرة إلى الحديث عن سلطنة طغرل .

[قصيدة فارسية الأخسيكتى من نوع الترجيع ، ترجمتها :]

[البند الأول]

— يامن حاجبك هو الكمين الذى ينصبه الفلك ،
ويا من ضياء الشمس مستمدٌ من بريق وجهك ،
— ويامن شعرك مقرٌّ الأرواح ،
وحلقة ذؤابتك مصيدةٌ للقلوب ،
— إن عينك قد سحرت الناس فجعلتهم فى قيدك ،
وذلك بغمزة واحدة من أهدابك الساحرة ... !!
— وإن أحدا لايعرف كيف يتصرف أمام وجهك الأبيض وطرتك السوداء . !!
— لقد ازدادت حرارة قلبى فرفعت الغشاوة عن عينى ،
وهزل جسدى وأنا أتطلع إليك ... !!
— إن للجنة لونا جميلا ،
ولكن النفس لاتتوق إليها حتى لاتحرم من رائحتك ... !!
— وملك العالمين أمام وجنتيك ،
لايساوى شعرة واحدة منك .. !!
— ونحن نناجيك دائما ... فأجبنا ،
حتى نعرف أى طريق يؤدى إليك .. ؟!
— وقد امتلأ الأثير بالتهليل والضراعة أملا فى وصلك بعد طول الفراق والحزن ... !!

— ولن ينقص أبدا رونق بهائك
إذا انضم كلب إلى زمرة أعدائك ... !!
— ولن يصيبنى اليأس ... لأن عدل الملك ،
سيؤدى فى النهاية إلى استمالة كل شانىء ... !!
— فهو الملك الذى صارت السماء عبدا له وأشرق برؤيته وجه السعد [ص٣٢٨]

[البند الثانى]

— فارفع — يابنى — الطرة من خلف أذنك ،
ولا تجعلنا معوجين كقلنسوتك .. !!
— وخذ — يابنى — قلبى وعقلى هدية لك ،
وإنى أقدمهما مع درر دموعى التى تهمى من عينى ... !!
— واجلس — يابنى — أمامى مربوط الوسط كالكأس .
واشرب معى الخمر مدة من الزمن ... !!
— وخالك الجميل شاهد علينا
فقد قبلت قبلتى فى ليلة البارحه ... !!
— وقد حان الوقت — يابنى — لترد القبلة الممنوحة
فلا تتدلل على أكثر من هذا ... !!
— ولا تهج ... كما يهيج البحر بفعل الريح والهواء
ولا تزمجر ... كما يزمجر السحاب الملىء بالماء ... !!
— فإما أن تبتعد عن عينى ابتعاد الفتنة ؛
وإما أن تقبل الليلة إلى أحضانى يابنى ... !!
— فتعال ، إشدد أزرى حتى أستطيع مدح الملك ،
واجتهد فى إرضاء طبعى يابنى ... !!
— فإنه الملك الذى تخضع الآفاق لرأيه .
ويستقر تاج الشمس تحت قدمه ... !!

[البند الثالث]

— لقد جعلت وجهك قرينا لوجه الجفاء ،

وفعلت معى كل ماتستطيع عمله من جفوة . . . ! !

— فاقتلعت الزهور من روضتى وأقفر بستانى ،

وفعلت كل شىء فى سبيل ظلمى وهوانى . . . ! !

— وأوصلت روحى إلى شفتى فالرحمة . . الرحمة ،

فليس من الإنصاف أن تنزع روحى . . . . ! !

— أم إن كل من دعوته لعهدك ، غدرت به ولم تحترم عهدك . . . ! !

— لقد هتكت حجبى فى العالم وتكشفت أسرارى ،

منذ فضحتنى ونثرت أسرارى كما ينثر الورد أوراقه . . . . ! !

— فلا تقس علىّ ، وإذا قسوت .. فرفقاً .. حينما أتحدث معك ولا تزجرنى ...!!

— ويجوز لك أن تمسك برأسى كالقلم ، ولكن لماذا تمحوت اسمى من الديوان...؟!

— فلا تضع الخبز اليسير فى حقيبتى واخجل ، واعلم أنك قد أذهبت ماء وجهى...!!

— أنت تظلم رغم أن مولاك يقول لك ، لماذا تظلم هذا الإنسان . . . ! !

— إنه الملك الذى ينشر عدله فى جميع الأرجاء ، ويخاف الصبح — أيضاً — من خنجره . . . ! !

[البند الرابع]

— إن الفلك صديق « أرسلان بن طغرل » ، والأمر أمر « أرسلان بن طغرل » . . . ! !

— وكل أمر من بدء الوجود إلى نهاية العدم ، فيه يد « أرسلان بن طغرل» ...!!

— وكل قلب آمن من الخذلان ، صديقٌ « لأرسلان بن طغرل » ...!![ص ٣٢٩]

— وكل قوانين العقل السائدة ، مندوبة عن « أرسلان بن طغرل » . . . ! !

— والأفلاك الدائرة ، والنجوم الثاقبة ، حلقةٌ لمظالة « أرسلان بن طغرل » ...!!

— وبلاط الفتح وإيوان الظفر ، فى كنف « ارسلان بن طغرل » . . . ! !

— فقصر على العالم أن رغبات العالمين ، تتحقق فى جوار « أرسلان بن طغرل» ..!!

— وإنى أرفع شعرى ليسمو به الفلك ، لأنه تحت تصرف « أرسلان بن طغرل» ...!!

— فالأفلاك التسعة من نجمه المسعود ، والبحار السبعة جرعة من جوده ...!!

[البند الخامس]

— يامن أنت أعلى منزلة من السماء ، ويامن اقترن عهدك بالخلود والبقاء . . . ! !

— إن جيش الكائنات إذا هم بالمسير ، تقدمت راية قدرك لقيادته . . . ! !

— وسوط قهرك فى سوق العدل ، قد نزل على قفا الفلك الخاسر . . . ! !

— وقد احترق صدر عدوك ، بما أصابه من سهام قوسك التى تقهر الفلك . . . ! !

— فأصبح مفلسا أمام غاراتك ، وصار الدرويش أغنى كثيرا . . . ! !

— وقال سيفك للعدو : إن جميع مصائب الفلك سوف تحط على رأسك . . . ! !

— وكل ما هو منقوش على لوح الوجود ، إنما هو آية أنت معناها . . . ! !

— ووجهك جلاء لمرآة القلب ، وخلقك الطيب عبيرُ الأرواح . . . ! !

[البند السادس]

— يامن جنابك رفيع كالفلك ، ليس للفلك دعامة مثلك . . . ! !

— إن أسد الفلك يهزم فى يوم الوغى ، أمام أفعوان رايتك العالية . . . ! !

— وكل ما فوق منضدة التراب والماء ، لايكفى إلا وجبةً واحدة لسيفك . .

— وعلى جبين بلاطك يسجد حاجبُ الفتنة المرتفع . . . ! !

— وليس فى الدنيا ثمر جديد مثلك ، ولم يدع زارعو الفلك ما يشبهك . . . ! !

— ويعد الحكماء المعتبرون أفكارك صائبة ، فيجرونها فى الأفلاك التسعة ... !!

— وتتلاشى أمامك ... جيفة الأوهام ، وتدفن فى تراب الفقر والمذلة ...!!

— وقدرك فريد فى نوعه ، فلا يستطيع العالمان تصور كنهه ...!! [ص ٣٣٠]

— فلم ينقش على خاتم السماء الزرقاء إلا اسمك ...!!

— وخصمك — وهو قطرة من بحرك — ليس إلا لقمة لتمساح سيفك ...!!

[البند السابع]

— لقد جعلنى قربك عظيما ، ورفع قدرى فوق العالمين ...!!

— لأن ملك العالم لما سما فوق الفلك الدوار ، رفعنى معه ، فسموت على الناس أجمعين ...!!

— ومنذ الأزل ، جعلنى العقل الكلى مادحاً له دون غيرى من البشر ...!!

— واختارت شمس رأيه برجا ، وجعلتنى خلف قبتها العظمى ...!!

— ورحب بى الحظ المضياف كثيرا ، وأخذ يرحب بى فى كل لحظة من صميم قلبه ...!!

— وجعلني حجاب إحسانه متواريا عن عين الغم إلى يوم القيامة[1] ..: !!
— فلما تزين بمدحه دفتري ، لم تستطع الحوادث أن تنقص من قدري ...!!
— ولما طبعت بطابع قبول الملك ، أصبح ملك « جمشيد » طوع أمري ...!!
— ولكنني الآن في حيرة ... فكيف أتقدم بمدح مثل هذا أمام عرش الملك الرفيع ...!!
— وما دام قلبي متيما بعشقه ، فسأكون كالسيف وحيد اللسان كثير الفيض ...!!

[البند الثامن]

— أيها الملك ... ليجعل الله دولتك مقرونة بالخلود ،
وليجعل الفلك الأعلى ديوانَك المنشود ...!!
— وليجعل كل ما في الأفلاك التسعة ،
تحت أمرك ما بقي الوجود ...!!
— وليجعل العقل الكلي فيما يحتاج إلى الحل والعقد ،
قائداً لك في كل الأمور وجميع الحدود ...!!
— وليجعل ملك الهند وفغفور الصين ،
حارسين على بابك دائما ...!!
— وليجعل جبريل الروح الأمين ،
راعيا لك وحارسا لمظلتك دائما ...!!
— ولو أن رأس عدوك خالية من الدماء ،
إلا أنني أدعو الله أن تكون وردا لسيف غضبك دائما ... !!
— وأن يجعل سيفك الهندي ،
راعيا للملك والدين إلى يوم القيامة ...!!
وأن يبقى الفلك دوما تحت حكمك :
وأن يجعل جواد الدولة طوع أمرك ...:!!
— وأن يجعل على الدوام عرصة الوجود جميعها أقل ملك يخضع لأمرك ...!!

[نهاية الثلث الثاني]

---

(١) المراجع : أي أن توالي إحسانه غمرني حتى غطاني فكأنما توارى كياني عن الكرب .

السلطان ركن الدنيا والدين كهف

الإسلام والمسلمين

أبو طالب طغرل بن أرسلان قسيم أمير المؤمنين

كان السلطان طغرل حسن الوجه للغاية، وكان له شعر مسترسل [ص ٣٣١] على ظهره فى ثلاث خصل ، وكان كث اللحية ، يمتد شاربه حتى يمس أسفل أذنه، وكان طويل القدّ ، رحب الصدر ، رفيع القامة ، قوياً لا يستطيع شخص أن يحمل عموده أو أن يرفع قوسه . وكان توقيعه « اعتضدت بالله وحده . »

ووزراؤه هم : الوزير جلال الدين (١) ، والوزير كمال الدين الزنجانى ، الوزير صدر الدين المراغى ، والوزير عزيز الدين (٢) المستوفى ، والوزير معين الدين الكاشى ، والوزير فخر الدين بن صفى الدين الورامينى .

وحجابه هم : الحاجب الخاص ، الأمير الحاجب قراكز السلطانى ، وملك الأمراء جمال الدين أى ابه الأعظم الأتابكى .

والسلطان طغرل ملك ولد فى عيش الدولة ، ونشأ فى أحضان الإقبال ؛ وصل إليه الملك فجأة دون أن يؤمله ، ولبس رداء الحكم دون جهد ، وانتقل من المهد إلى العرش ، (٣) وتحول من المدرسة مباشرة فركب مركب الملك دون مشقة

---

(١) « زن » تزيد عبارة : ابن قوام .

(٢) « زن » تزيد عبارة : المعروف بالتعجيل .

(٣) « زن » : صدر الدين قاضى مراغه .

(٤) « زن » تزيد عبارة : ابن الرضى .

(٥) ولد طغرل فى سنة ٥٦٤ وتولى العرش سنة ٥٧١ .

أو تعب ، وقد وقع طائر الدولة فى شباكه بغير أن يضع له فيها حبا أو طعاما ، وكان ذلك بموجب وعد الأيام وتأثير الطوالع والأحكام ، كما أطاعه جواد الفلك دون أن يمسك له بزمام أو لجام ، فجلس على أريكة الملك دون أن يتحمل المشاق أو يتجرع الغصص والآلام ، فوجد العرش مهيأ ، والملك مدا ، والخزائن عامرة بالأموال .

وقد توفر له كل هذا الإقبال فى أول عهده ، بفضل ملك الإسلام المعظم خاقان العجم ، شمس الدنيا والدين ، نصرة الإسلام والمسلمين « أبى جعفر محمد بن ايلدكز » رحمه الله . فقد أحاطه بالرعاية وحسن العناية وزوده برأيه ورويته ، وأعانه بسيفه وجيشه . فقد كاد الملك يفلت من يده ، واستطاع أحد الملوك أن ينصب نفسه على ولاية إصفهان ، وأن يضم إليه أمراء الأطراف ليعينوه ، فجلس طغرل [ص ٣٣٢] غير معتمد على معونة أحد ، ينتظر تقلب الزمن ، وجعل عونه الاعتماد على الله الجبار وتوفيقه ، فاستطاع فى مدة شهر القيام بهجومين : أحدهما على فارس ، والآخر على إصفهان فاستخلص ملك الإقليمين ، وأجبر الملكين الطامعين [1] فى الملك على ملازمه القلاع ، فاستقرت دولته بفضل سيفه المجلو البتار ، ولزم الإقبال ركابه الميمون ، وأصبحت الدنيا طوع أمره ، بفضل عزه ودولته وظفره بالمراد ، وقهره الأعداء والأضداد ، وانتزع شعار الخوف من قلوب الرعية والفلاحين ، فأمن الجميع واستراحوا فى مشرعه العذب ومرتعه الخصب وأخذوا يطلبون من الله دوام دولته وشمول نعمته .

---

(١) أحدهما ملك الأبخار والآخر الملك محمد بن طغرل عم السلطان . قصد ملك الأبخاز أذربيجان بينما قصد محمد بن طغرل بن محمد عم السلطان مملكة العراق فانضم إليه أكثر الأمراء فقام محمد وقزل أرسلان ولدا ايلدكز بحماتين عليهما فى مدة شهر وتمكنا من قهرهما والتغلب عليهما (أنظر تاريخ گزيده ، ص ٤٧٣ — ٤٧٤ وروضة الصفا فى ذكر طغرل) .

وقد اقتضى فرط عدله وفيض عاطفته ، ألا يمر زمان طويل حتى دخلت أقاليم الدنيا تحت إمرته وإمرة أعوانه ، وأخذت خصائص الملك وأمارات الحكم تبدى آثارها فى كل يوم على مخايل هذا السلطان العظيم الشجاع القوى الكريم .

[شعر فارسى فى الأصل (١)، ترجمته :]

— ووفقا لرسوم الحكم والملك لزم الملك مجلسه طوال اليوم ،
فكان زينة وبهجة وضياء للمجلس . . . !!

— فعزم أصحاب التيجان فى سائر الأنحاء على الذهاب إليه لتقبيل يده وإعلان الولاء له .

— وأقبل على عرشه جميع الملوك والأمراء من حدود الصين إلى الغور (٢) ،
ومن حدود الرى إلى أصفهان . . . !!

— وكان من بينهم قائد الأتراك وملك الزنج ، وقد رفعوا جميعا كأس الشراب فى صحة السلطان . . . !!

— وجلس الملك مؤيدا بطالعه السعيد ، على عرشه الفيروزجى اللون .

— وأخذ كل أبيض وأسود فى مشارق الأرض ومغاربها يشيدون بذكر الملك ويمجدون اسمه . . . !!

— وعندما استقرت له الممالك أخذ شأنه يقوى يوما عن يوم .

— حتى استطاع أن يرتفع بعرشه إلى الثريا وأن يزينه بالدرر والجواهر . . . !!

— ثم جلس على ذلك العرش المبارك كالأسد ، [ص ٣٢٣]
فقال له الشجعان : ليكن العرش مباركا (٣) عليك . . . !!

— فسعد به التاج والعرش معا ،
وسعدت به الدنيا ، كما سعد هو بحظه الموفق . . . !!

وقد تعلق به أمل الملك المعظم الأتابك الأعظم وكذلك أمل سائر الأمراء

---

(١) من مثنوى خسرو وشيرين لنظامى (نسخة طبع طهران ص ١٣٦) .
(٢) المراجع : الغور جبال وولاية بين هراة وغزنة وهى بلاد واسعة موحشة .
(٣) من مثنوى خسرو وشيرين لنظامى (نسخة ص ٩٨) .

الآخرين الذين كانوا أتباعا لدولته . وفى الحقيقة لم تتوفر لملك قط من آبائه وأجداده ـ أنار الله برهانهم ـ مثل هذه الخصائص التى توفرت له ، من حيث كمال العقل ، وإفاضة العدل ، ووفور العلم ، وشمول الحلم ، والتحفظ والتيقظ ، وحب العلماء ، والعفة ، وجودة الخط والبلاغة ، وخفة الركوب ، وإتقان استعمال الرمح وغيره من أنواع الأسلحة . وقد وهبه الله هذه المواهب فى مطلع حياته وعنفوان شبابه ، وأخذ يزيد فى عمره ودولته ، حتى استطاع أن يذرع طريق الملك من قدمه إلى مفرقه ، وأخذ الزمان يقول له :

[بيت فارس فى الأصل[1]، ترجمته :]

ـ للآن . . لم تنشر الدنيا عرف رائحتك ،
فلتدم الآن كما أنت ، حتى تهب عليك ريح الصبا . . . !!

وقد بلغت خصاله الحسنة وخصائصه المحبوبة حد الكمال ، بحيث قصر وهم العقلاء عن إدراكها ، وكان فى مجلس المؤانسة يبذ الفضلاء ، وفى الفصاحة يفوق الشعراء ، وقد ذاعت أشعاره على ألسنة العوام وهى أشهر من أن تحتاج إلى شرح : وله رباعيات حسنة ، هذه واحدة منها :

[رباعية فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

ـ ذلك الشخص الذى كان يركل الدنيا بضربة قدمه ،
جاء ليلة أمس يطرق الأبواب ويستجدى . . . !!
ـ أخذ من وقت صلاة العشاء حتى وقت السحر ،
يصيح . . . ويصيح . . . يطلب وجبة من فطور . . . !!

وكتب رباعية أخرى فى سنة خمس وثمانين وخمسمائة ، وزينها بيده المباركة بالخط المذهب ، وأرسلها إلى الأتابك الشهيد والملك الكريم مظفر الدنيا والدين « قزل أرســـلان » فى « كوشك نو » على باب همدان . فلما بلغته ابتهج

---

(١) هذا بيت من رباعية للحكيم سنائى الغزنوى (الديوان رقم ٢٣٣٠٢ ص ١٧٧ أ).

كثيرا وخلع على الشاعر كمال المزدقانى [1] خلعة ثمينة . [ص ٣٣٤]

[رباعية فارسية فى الأصل : ترجمتها]

— إن ملوك الدنيا وسلاطينها عبيد لى ،

وجميع من فى المشرق والمغرب عبيد لى . . . ! !

— ولكن رغم أن جميع هذا الملك والسلطان لى ،

فأنا عبدك . . . ! ! وكل من فى الدنيا عبيد لى . . . ! !

وكان هذا السلطان السعيد زينة للتاج والعرش ، وقد وزع أيامه بين الطرب وإقامة الملك ، وتوفرت له أسباب الأمن والرفاهية والسرور مدة عشر سنوات فى ظل دولة الملك المعظم الأتابك الأعظم شمس الدنيا والدين محمد بن ايلدكز — رحمه الله — بما تجمع له من المؤن والأنعام والمواشى ، وما ضمنه من طاعة الأتباع والحواشى ، وتوطدت سلطنته لأن الأتابك كان مشغول الخاطر بها فى السر والعلانية ، يريد أن يجمع حوله مالم يتوفر لسنجر وملكشاه . وكان يوفد الرسل إلى الأطراف ، ويرصع الخطبة ويضرب السكة باسمه ، وينشر ألقابه فى سائر البلاد .

وكان نواب دار الخلافة ، من قبل ، يحرصون على تحريض أمراء الأطراف على بث الفتن والقلاقل حتى يحافظوا بذلك على أمن ولايتهم وإظهار تفوقهم على الآخرين ، ولكنهم لم يجرؤوا على فعل ذلك فى عهد دولة الأتابك محمد إذ كان يقول على ملأ من الناس : « يجب أن يقوم الإمام بالخطبة والامامة لحماية الملوك ذوى السلطه الزمنية ، وهى من أفضل الأمور وأجل الأعمال ، وقد فوضوا السلطنة للملوك ، وتركوا الملك للسلطان » . وكان الأتابك يبرم الأمور بالروية وسداد الرأى .

[شعر فارسى فى الأصل : ترجمته]

— التروى هو أساس العظمة ،

---

(١) كان من شعراء السلطان طغرل وندمائه (انظر قصته مع الوزير نظام الملك مسعود فى كتاب تاريخ جهانگشاى ، ج ٢ ص ٣٢)

وكذلك العطاء والعدل والكياسة[1] .

— وما أسعد صاحب العلم والمعرفة ،
وما أسعده بين الشيب والشبان ...!!

— إذا استطعت أن يظل قلبك مفعما بالسرور ، [ص ٣٣٥]
فلن يصل إليك ضرر من كل ما يعتريك من هموم[2] .

— فاطلب ، وأدرك ما تطلب ، والبس وكل ،
فهذا هو كل نصيبك فى هذه الدنيا التى تجتازها[3] .

وبفضل هذا الأتابك صار السلطان محسودا من سائر الناس ، فبقى يشتغل باللهو والطرب بينما يشتغل الأتابك بأمور الحرب والجهاد والتعب . وقد قام الأتابك بحملتين فى بدء عهد السلطان إحداهما على آذربيجان والأخرى على إصفهان فهزم الملكين الطامعين فى الملك[4] ؛ واستمال الأمراء الذين عصوا السلطان وخرجوا على طاعته ؛ ثم عزلهم بحكمته وسداد رأيه ؛ وأنفذ أتباعه مكانهم ، ونصب من أعلامهم ستين أو سبعين شخصا فى أنحاء المملكة ، وعين كل واحد منهم فى مدينة أو ناحية ، وكان يأمل من وراء ذلك أن يضمن ولاءهم حتى يأمن هو وأولاده الأعداء ؛ وساوى بينهم وبين أبنائه . ولكن هؤلاء الأتباع هم الذين أفسدوا العلاقات بين السلطان وبين أبنائه ، وأزالوا حكمهم من الولايات والمدن بسبب نفوذهم الإقطاعى الذى جعل كل تابع منهم نافذ الأمر فى جهته ، حتى طمع الأغراب فى الملك ، وظهرت نتائج ذلك بعد وفاة الأتابك ؛ وكان الأتابك هو الذى يردع هؤلاء الأتباع عن الإغارة على إقليم فارس والاستيلاء على أمواله .

---

(١) « شه » ص ١٧٩٢ سطر ٥ .   (٢) « شه » ص ٥٤٦ سطر ٢٦ .

(٣) « شه » ص ٥٠٧ سطر ٤ .

(٤) أنظر الحاشية الواردة فى صحيفة ٤٦٣ من هذا الكتاب .

وقد ذهب بنفسه إلى هذا الإقليم جملة مرات كما ذهب إليه فى ركاب سلطان العالم السلطان الأعظم مرتين أو ثلاث مرات .

[شعر فارسى فى الأصل : ترجمته]

— (حذار أن تثقل على نفسك من أجل الكنوز ،
فكنوز الدنيا جميعها لا تساوى تجرع غصة واحدة .. !!
— ولا ينبغى أن يكون نصيبك من دورة الزمان ،
شيئا من الحقد أو النقمة أو الخصام ... !!
— ألا تعلم أنك حينما تقف أمام الله ،
فإنك حاصد ثمر مازرعت) [١]
— (فمتى أثمرت الشجرة التى تزرعها ،
ترى أن ثمرتها موافقة لما زرعت ... !!
— فإذا كانت ثمرتها شوكا فأنت الذى زرعته ،
وإن كان حريرا فأنت الذى نسجته [٢] ... !!)
— والفلك لا يدور دائما وفقا لتدبيرك ،
وقد يحصد شخص آخر ثمار تعبك [٣]

[ص ٣٣٦]

وكانت تلك الحركة مشئومة ، سببت استئصال منازل المسلمين فى تلك النواحى ، والرجوع إلى العراق ثم تحجج هؤلاء الأتباع بمحاربة الخوارزميين ففعلوا بأهل العراق مثلما فعلوا بأهل فارس فحطموا رؤوسهم وخربوا بيوتهم ونهبوا أملاكهم . ولقد سمعت أنا مؤلف هذا الكتاب أنه كان من بين ماحدث من نهب وغارة على إقليم فارس تلك الحكاية التى يروونها ، وهى : أنهم سلبوا بين الأحمال التى أخذوها إلى إصفهان لباس نوم ، فلما أخرجوه من وسط الأحمال

(١) المراجع : سبق ذكر هذه الأبيات فى ص ٨٨ من هذا الكتاب فقد كررها المؤلف فى هذين الموضعين .

(٢) «شه» ص ٩٠ س ١٨ — ١٩ . (٣) «شه» ص ٩٤٦ س ٣ .

سقط من بينه طفل ميت فى الشهرين أو الثلاثة من عمره ، كما رأيت بنفسى أن المصاحف والكتب الموقوفة التى نهبوها من المدارس ودور الكتب كانوا يرسلونها إلى الخطاطين فى همدان كى يمحوا ذكر الوقف ويسجلوا عليها أسماء هؤلاء الظالمين وألقابهم ثم يتهادون بها فيما بينهم . وقد ظهر الفساد بوضوح فى العراق بحيث أدى الأمر إلى أن كل عبد من الأتراك كان يستولى على ولاية من الولايات ولم يكن يعرف شيئا عن سير آبائه وأسلافه فكان يفعل فى حكمه كل ما يريد حتى بلغت الحال نحوا خطيرا من الشر والوبال .

وكان الأتابك السعيد بعيدا عن كل منافس ومزاحم له فى ملكه المعمور فكان لا يتصور أن الأمر سيصل إلى هذا الحد من الفساد ، وكان جاداً فى تزيين مملكته ظانا أنها ستبقى على حالها ، وكان شديد الحب والإيثار لزوجته وأولاده ، يريد أن يجعل من كل بنت من بناته ، وكل ولد من أولاده ، ملكا عظيما وحاكما مطاعا ، فكان يزوج بناته من ملوك الأطراف ، ويعلم أولاده رسوم الحكم والسيطرة ، وكان لزوجته « ايناج خاتون » نفوذ كبير عليه ، وكانت تريد أن ينصب أبناءها ملوكا .

[شعر فارسى فى الأصل : ترجمته]

— روى أحد المرشدين هذه القصة على سبيل المثال ،
فقال : ليست هناك صلة أقوى من صلة الدم .
— فإذا ظهر ابن عليه مخايل النجابة ،
وجب أن يبتعد عن حب النساء . (١)
— ولا تعمل عملا وفق مشورة امرأة ،
فإنك لاترى امرأة قط صائبة الرأى .
— ولاتفش قط سرك للنساء ،

---

(١) «شه» ص ٤٠٠ س ١ — ٢ .

لأنك حينما تقول كلاما تجده قد ذاع فى سائر الأنحاء ... !!

— والشخص الذى يكون أكبر الجماعة ،

يفضل الموت عن الامتثال لأمر امرأة ...[١] [ص ٣٣٧]

— وكل شخص تكون له ابنة وراء حجاب ،

فهو سيء الطالع ... ولو ملك العرش والتاج . . !![٢]

— وكل من يريد أن يكون إنسانا مرفوع الرأس ،

لايليق به أن يجلس مع امرأة يحدثها بسره ... !!

— وإذا أرسلت الأطفال فى عمل كبير ،

فإنك لا تعد شجاعا ولا عظيما ... !!

— فالعظمة التى تكون عاقبتها الهوان والتصغير ،

هى فى الحقيقة حياة تعسة يجب البكاء عليها[٣]...!!

مثل : « من استعان بصغار رجاله على كبار أعماله ضيع العمل وأوقع الخلل »

وفى شهور سنة ٥٨١ جاء صلاح الدين من الشام إلى الموصل[٤] ، وقد دفعه حب الغزو الذى كان به مشهورا ومذكورا إلى أن يستنجد بالأتابك حتى يسمح له بالمرور فى مملكته ليحطم قلاع الملاحدة المخذولين — لعنهم الله — فى قزوين وبسطام ودامغان ويستولى على حصونهم ويخربها ، وأراد بهذا فتح العراق . ففكر الأتابك فى ذلك الأمر مليا وخشى عاقبته فرأى ضرورة مقاومته ونهض لملاقاته ، ولكثرة ما اشتغل به من تدبير لدفع صلاح الدين عنه أصابته علة الزحير . وقد استمر هذا الداء مستوليا عليه لفترة طويلة بعد رجوع صلاح الدين ، وكان أبناؤه فى الرى ، حينما أقبل عليهم مريضا فى قلعة طبرك التى عمرها . فجمعوا له

(١) «شه» ص ٤٨٩ س ٦ .

(٢) «شه» ص ٢٨٢ س ٢ .

(٣) أيضاً ص ٦٧ س ٩ .

(٤) «ا» ج ١١ ص ٣٣٦ وما بعدها وفى ذلك الوقت كان ابن الأثير نفسه حاضرا فى الموصل .

أطباء العراق ، ولكنهم عجزوا عن معالجته وأسلم الروح[1] فأبقوه فى فراشه شهرين أو ثلاثة ، وتشاوروا فى الأمر ، ورتبوا شئونهم ، وفضل هؤلاء الأبناء أن يظل حكم الأتباع وجملة الصدور على ما هو عليه ، وأخذ هذا الرأى يتأكد يوما بعد يوم . ولكن كان الملكان الغازيان السلطان طغرل والأتابك قزل ينتظران هذه الفرصة من مدة طويلة فأصبح من المتعذر لدى الأمراء والوزراء والصدور تحقيق تلك الفكرة .

وتشاورت «اينانج خاتون» مع «خواجه عزيز» و بعض الأمراء [ص ٣٣٨] فاستقر رأيهم على أن يكون الجميع موالين للسلطان ، وأن يسلم أمر أران وآذربيجان للأتابك قزل ، على أن يظل أمير سلاح السلطان كما كان . وكانت « اينانج خاتون » تميل إلى السلطان وتود أن تتزوج منه .

[بيت فارسى فى الأصل : ترجمته]

— مهما يكن للأتباع من تدبير ،
فلا فائدة من التدبير ، إذا أراد القدر شيئا آخر . . . ! !

وكان أمير البلاط والأمير « قرآن خوان »[2] والأمير « قرا »[3] وكبار الأمراء يميلون إلى الأتابك « قزل ارسلان » لأنه كان ملكا مطاعا مهيبا كثير الأتباع كما كان يجزل العطاء فيستعبد القلوب .

مثل : « الإنسان عبد الإحسان[4] » .

وقد اعتاد جميع الناس — طوعا أو كرها — أن يبعثوا إليه بالهدايا حتى

---

(١) « ا ، ا » فى حوادث سنة ٥٨٢ ج ١١ ص ٣٤٦ .
(٢) هو نور الدين قرآن خوان [المراجع : قرآن خوان بمعنى قارئ القرآن أو حافظه] .
(٣) هو نور الدين قرا صاحب قزوين (جت ، زت) .
(٤) [المراجع : يذكر هذا المثل للمرة الثانية فى هذا الكتاب .]

يحتفظوا بمودته . وكانوا يدعون أن المملكة مهملة والإقطاعات معطلة حتى يحرضوه على الذهاب إلى دار الملك همدان لإصلاح الحال. وكان السلطان يعرف أن القلوب تميل إلى « قزل ارسلان » فإذا لم يسرع فى استدعائه فسوف يخرج عليه ، وينضم إليه جيش العراق ، ثم يطلق سراح أحد الملكين[1] المحبوسين فى القلاع وينصبه سلطانا . فاتفق السلطان مع معاونيه على أن يدعوه ويعينه أتابكا ، على أن يعمل السلطان وأعوانه على تحقيق رغباتهم على يديه ، وفى ذلك الوقت أصدر أوامره فمنح شرف الدين للب أرغون ابن أمير البلاط — قباء وقلنسوة خاصة وهدايا أخرى من الخيل والسلاح ، وأرسلها إلى آذربيجان ، على أن يعقد الاتفاق بينه وبين الأتابك « قزل ارسلان » وجاء قزل ارسلان [ص ٣٣٩] مع جيش جرار من يردان[2] أذربيجان إلى دار الملك همذان ، وقبل يد السلطان فى جوسقه الملكى (كوشك) فأراد « قراكز » حاجب السلطان طعنه فمنعه السلطان بإشارة منه ، ولكن الحاجب لم يستطع إخفاء حركته التى بدت للحاضرين .

[بيتان فارسيان فى الأصل : ترجمتهما [3] :]

— لا تؤخر عمل اليوم إلى غد ،
فمن الذى يعرف ماذا يأتى به الزمان غدا . . . !!
— فإذا نضجت الورود اليوم ونضرت ،
فأنها لا تنفعك إذا قطفتها فى الغداة . . . !!

---

(١) الملكان هما محمد بن طغرل عم السلطان طغرل الذى ثار عليه فى أول عهده ثم هزم على يديه وسجن فى قلعة سرجهان (انظر شرح ذلك فى زبدة التواريخ ورقة ٩٥ ب — ٩٦ ب) . وأما الملك الآخر فهو الملك سنجر بن السلطان سليمان الذى وشح الخطبة وضرب السكة باسمه مرتين (ارجع إلى ذيل كتاب تاريخ سلجوقيان تأليف أبى حامد محمد بن إبراهيم فى جت) .

(٢) اسم طائفة أو قبيلة .

(٣) «شه» ص ٢٢٤ س ١٥ ، ١٧ وأيضا ص ١٦١٩ س ٦ — ٥

فلما وقف قزل ارسلان على ذلك ، وثق فى السلطان ولكنه أبعد الخاصة والأتباع عنه وأمر بسمل عينى حاجبه « قراكز » .

[بيتان فارسيان فى الأصل (١) : ترجمتهما]

— لقد كحلوا عينيه فأزالوهما ،
وقضوا على حاسة بصره بسملهما . . . !!
— وهكذا ثقبوا لؤلؤتيهما وحرموهما من رؤية الدنيا ،
ونظموهما فى إبرة بدلا من الخيط . . . !!

وهكذا استقرت الأمور لقزل ارسلان ، وصار الجيش طوع أمره ، كما انعقدت القلوب حوله ، وتوطد ملكه أكثر من ذى قبل واستقر له الأمر فى مدة قليلة .

أما السلطان فقد أصابه الضعف والعجز ، ووقع فى بحار الحيرة والضيق والحرج ، وقد نظم جمال الدين الخجندى (٢) الرباعية التالية وجعلها ضمن رسالة بعث بها إليه .

[رباعية فارسية فى الأصل : ترجمتها]

— أيها الملك إن الفلك قد أخذ يتيه دلالا على دولتك ،
فأخذ يطيح بالأيام الموافقة لرضاك . . . !!
— فبقيت فى ضيق وحرج شديدين ، [ص ٣٤٠]
ولكنك ستنتصر فى النهاية لأن خصمك لا يحسن اللعب . . . !!

وكتب فى تلك الرسالة : « إن خصمك يطمع فى أن يصل إلى الملك ، ويستطيع الملك المجازف (فى رقعة الشطرنج) أن يتغلب فترة من الزمان و يقذف

---

(١) من مثنوى خسرو وشيرين لنظامى (خمسه ، ص ٨٢).

(٢) جمال الدين الخجندى ، جمال الدين بن صدر الدين عبد اللطيف الخجندى من أسرة الخجنديين الذين كانوا رؤساء الشافعية فى إيران (انظر ترجمته وأشعاره فى كتاب لباب الألباب لعوفى ج ١ ، ص ٢٦٦ — ٢٦٨).

بكرة المراد فى الميدان ، ولكنه سرعان ما لا يحتمل ضربات القضاء فيتحول عن العرش إلى المقعد العادى ، فإذا اجتر أمانيه بضعة أيام واشتغل بطهى الأوهام ، فإن عاقبته أن يستضيف القضاء سائر الحشرات لتنعم بكأس رأسه حتى لا يبقى اسمه ولا أثره ، فليسترح خاطر مولاى لأنه سيرى رؤوس خصومه معلقة ومنكسة فوق المشانق » فتفاءل السلطان بذلك القول.

وعند ما وصل السلطان والأتابك قزل ارسلان إلى الرى وجد السلطان أن « اى ابه » و « روس »[1] قد خرجا للسلب والنهب ، فصارا يتجولان فى مناطق بسطام ودامغان وأطراف مازندران ، ولم يهتم الأتابك بتتبعهما لأنه كان يعرف أنه لا يستطيع التحرك إليهما دون موافقة السلطان وأمراء المملكة ، فأقام مدة عند « دولاب » بظاهر « الرى » حتى يرى ما يتأتى من هذه الحال ، وأية حادثة سوف تحدث .

[شعر فارس فى الأصل : ترجمته]

— إن الأسد الهصور والأفعوان الشديد ،
لا يستطيعان الخلاص من أفعال القضاء . . . !! [2]
— والشجاع الذى يستهين بالفيل والأسد ولا يفكر فيهما ،
يجب أن تعده مجنونا ، فلا تسمّه شجاعا . . . [3]
— وفى مواطن الضعف والخداع ،
لا يجب أن يصبر الشجاع . . . !!
— وتذكر إحدى قصص الملوك السابقين ،
وحرر بصيرتك وتدبر عاقبة الأمور . . . !!
— واعرف أن كل من يندفع إلى الحرب أولا ،

---

(١) كان « جمال الدين اى ابه » « وسيف الدين روس » مملوكين للأتابك پهلوان ومقدمين على عساكره (زت ورقة ٩٨ ب) .

(٢) «شه» ص ٧٣ سطر ٩ (٣) «شه» ص ٥٧ س ٢١

يجب أن يبحث عن طريق العودة . . . !! [١]

— وفى ظل النصر . . . احترس من إيذاء عدوك ،

فإن الفلك الأعلى لا يدور على وتيرة واحدة [٢]　　[ص ٣٤١]

— والشجاع وإن لم يقضم السنان بأسنانه ،

فإن جلد الأسد يتمزق من بأسه وصولته . . . !!

— ومع ذلك فهو خاضع لأمر الله ،

ولو كانت أسنانه قوية كالسندان . . . !! [٣]

وكان السلطان مصابا بوجع فى أقدامه ، ومن أجل ذلك ادعى أنه طريح الفراش وقام الأطباء على معالجته ، فلما غفلت الرسل عنه بسبب علته ، سنحت له الفرصة فى إحدى الليالى ، فأعدت له الخيول واستطاع الوصول فى أثناء الليل إلى « اى ابه » و « روس » [٤] واستغل هذه الفرصة ملك مازندران — خذله الله ولعنه — فقد كان مبنى عقيدته وعقيدة جملة الروافض — عليهم اللعنة — قائما على التقية والنفاق . وكان منافقا فاسد العقيدة خبيث الذات ، فأرسل الهدايا إلى السلطان وفتح له باب « دَرْبَنْد زَرّينـكَمر » واستضافه على شاطىء النهر وحظى بتقبيل يده . ولـكن السلطان وقف على خبث عقيدته فلم يعتمد عليه . وعرف ملك مازندران أن أصحاب المناصب فى العراق من غلاة الرافضه — عليهم اللعنة — مثل خواجه عزيز وأولاده « والموفّق وكيلدر » وظهير المنشى وغيرهم ، وأنهم اتفقوا مع السلطان وتوحد رأيهم ، فلم يستطع أن يغدر بالسلطان ، وظل ينافقه دون أن يؤدى له حقوق الخدمة . وأخذ يتكشف ضعف السلطان للأتابك ، ففـكر فى أن يقبض عليه و يأسره .

---

(١) «شه» ص ٨٢٤ س ٤ — ٥

(٢) «شه» ص ٨٢٥ س ٣

(٣) «شه» ص ١٢٥ س ٢٠ — ٢١ .

(٤) كان ذلك فى شهر جمادى الأولى سنة ٥٨٣ (ذيل أبى حامد فى جت) .

وكان السلطان فى ذلك الوقت يحارب الملاحدة — خذلهم الله — كما كان يقوم بنهبهم والغارة عليهم ، وأحس الأتابك بالملل لبقائه فى هذه [ص ٣٤٢] الأنحاء ، وكان يحب آذربيجان و يميل إليها ، فنهض من « دولاب » وقصد دار الملك همذان[١] ، وكان الفصل خريفا ، فأشعل فى إحدى الليالى السيد فخر الدين علاء الدولة عربشاه نارا عظيمة فوق سطح منزله ، فظن الأتابك أن السلطان قد وصل إلى همذان ، وكان الجيش معه على أهبة الاستعداد فلم ينتظر طلوع الصباح وأسرع فى المسير إلى آذربيجان .

[أبيات فارسية فى الأصل : ترجمتها]

— إن الهرب والنجاة فى الوقت المناسب ،
خير من الحرب من أجل الصيت والشهرة . . . !!
— وكل من يبغى الحرب ظالما مفتريا ،
فإنه يعود منها مكبودا مصفر الوجه . . . !!
— ومهما يكن الشاب عالما مشهورا ،
فإنه لا يكتسب الفضل دون تجربة . . . !!
— ويجب أن يسمع إلى ما حسن أو خبث ،
كما يجب أن يتذوق كل مالح ومر . . . !![٢]
— والعاقل يكون دائما متفائلا مستبشرا ،
فلا يرى فى الأيام إلا الفرح والسرور . . . !!
— ولا يفكر لحظة واحدة فى السوء ،
ويتخذ طريق السهم لا طريق القوس . . . !![٣]
— فإذا غفل لحظة فى وقت من الأوقات ،

(١) كان ذلك فى رمضان سنة ٥٨٣ .
(٢) «شه» ص ٧٥٧ س ١٢ — ١٣
[المراجع : اى الاستقامة والنفاذ ، لا الاعوجاج والتقوس]
(٣) «شه» ص ١٧١٤ س ٦ — ٧

فلا يفيده السعى والاجتهاد . . . ! !

— ولا تشك فى الموت والردى ،

فإن يد الزمان تتطاول علينا . . . ! ! (١)

— ولن يفلت شخص من دورة الفلك ،

ولو استطاع على وجه الأرض أن يقهر الأفيال (٢) ... !!

— ولقد سمعت ماقاله لى عالم فاضل ،

يلتمس عذرا للزمان وأفعاله .

— قال : إن كل من يزرع بذور الجفاء ،

لا يهنأ يوما فى الدنيا ولا يظفر بجنة فى الآخرة ... !!

— وإن كل من يكون له عقل متزن ،

يعاب عليه أن يتحدث بشىء يضطره إلى الاعتذار (٣) ... !!

وذهب « قزل ارسلان » مع خواصه ، وتخلف عنه صدور [ص ٣٤٣] العراق وأمراؤه جميعاً ، وكان السلطان لا يزال فى الري ، وتظاهرت الخاتون بموافقته حتى عاد إلى دار الملك همذان ، ونصب خواجه عزيز وزيرا له (٤) وقبل الوزير يده وكذلك قبلها الأمير اسفهسلار عز الدين صتماز ، وشرف الدولة الأبهرى ، وأقبل عليه سائر الأمراء لتقديم فروض الطاعة .

[بيتان فارسيان فى الأصل (٥) ترجمتهما :]

— أخذ يقبل من كل صوب جند جديدون ،

فيصطفون حول الملك فى صفوف ،

— فلما اجتمع الجيش فى حافة الجبل ،

مادت الأرض والسماء من شدة الازدحام.... !!

---

(١) « شه » ص ٦٨٤ س ٢٠

(٢) « شه » ص ٦٨٦ س ١ .

(٣) « شه » ص ٧٥ س ١٨ ، ١٩ ، ٢١

(٤) فى ١٤ رمضان سنة ٥٨٣ (ذيل أبى حامد)

(٥) من منظومة « خسرو وشيرين » لنظامى (خمسه ، طبع طهران ص ٨٥) .

وكان سكان مدينة همذان يدعون له دعاء خالصا صادرا من أعماق قلوبهم ، وقد عمهم الفرح والسرور لمقدمه ، ونزل في ذلك الوقت ثلج عظيم وتوجه السلطان إلى المدينة فقبل الأمير سيد فخر الدين عـــلاء الدولة الأرض بين يديه ، وأعد قصر الرياسة لنزوله .

[أبيات فارسية فى الأصل (١) : ترجمتها]

— قالت شيرين للسلطان : أيها الملك ... أيها السيد ،
لست أنا فقط ... بل آلاف مثلى عبيد طوع أمرك ... !!
— والسماء تفخر بتاجك ،
والأرض تزهو تحت عرشك ،
— وإذا شرفنى الملك بزيارته ،
أديت له واجب الخدمة وازددت رفعة وشرفا بخدمته ... !!
— فإن الفيل إذا مر ببيت نملة صغيرة ·
شرفها بمروره ولو فقدت كل ما جمعته . . .!!
— قال الملك : إذا تقبلت ضيافتى ،
فإننى أقدم لك روحى ... إذا قبلتها ... !!
— وأنزلت السلطان فى قصر عظيم ،
كأنه جزء من فردوس النعيم ... !!
— قصر يطاول الفلك فى رفعته ،
له ميدانان متسعان طويلان .
— وقدمت له وهى تعتذر ،
كل ما يليق بمقام الملك من هدايا ... !!
— ووزعت من الأموال والعطايا ،
ما يعجز عن حصرها أمهر الحاسبين ... !!

(١) من منظومه خسرووشيرين لنظامى (خمسه ، طبع طهران ، ص ٨٥)

وأقام السلطان طيلة ذلك الشتاء فى همذان[1] ، وأخذ «روس» [ص ٣٤٤] و « اى ابه » يتحكمان و يسيطران على كل الشئون لحاول الأمراء إقصاءهما وقهرها ، وأراد « اى ابه » أن يزيح « روس » من طريقه حتى يعظم نفوذه فى مملكة السلطان ، فوشى به إلى السلطان ؛ وقبض على « روس » وهو نائم فى منزله ، ثم أغار على أملاكه ، وقد حدث خلال ذلك أن محلة من محلات همذان تعرضت لغارة حاشية السلطان فأصبحت « كأن لم تغن بالأمس[2] » وكان عمال همذان موالين للسلطان ولكنهم أغاروا على منزل نجم الدين ابن أخى أمين الدين أبى عبد الله أمير البلاط ، وسلبوه كل ما ادخره وتركوه فقيرا معدما .

وقد قال له مؤلف هذا الكتاب محمد بن على بن سليمان الراوندى : « هل نقمت على السلطان لأن أتباعه أغاروا على منزلك ...؟! » فأجاب : « إنه لا يصح مؤاخذة السلطان على أفعال السفلة من حاشيته ؛ لأنه لم يأمر بها ولا علم له بخبرها ، و إنى لن أترك محبة السلطان مهما حدث » فلما عرض مؤلف هذا الكتاب على السلطان ما قاله نجم الدين ، أمر السلطان بحصر كل خسائره ، ورد إليه ما أمكن العثور عليه ، وأعطاه بدل الأشياء المفقودة ثمنا مضاعفا من خزانته . وكان الناس يسمونه « نجم دو بيتى » لأنه كان وافر الثراء ، ينفق ماله على الفضلاء ، ويطوف عليهم بدواته وقلبه فيسجل كل « دو بيت »[3] يجده لديهم . وقد مات دون أن يخلف مالا ودون أن يترك زوجة أو ولدا ولم يرث إخوته و بقية وارثيه إلا خمسين منا من ورق « الدو بيت » .

---

(١) يعنى فى شتاء سنة ٥٨٣

(٢) قرآن كريم ، سورة يونس ، آية ٢٤ .

(٣) المراجع : يقصد بالدوبيت الرباعي أو الرباعية لأنهم قالوا إنها على نظام البيتين فى مطالع القصائد .

وحينما تم القبض على « روس » أبقوه محبوسا فى قلعة علاء الدولة ، ولم يعد أحد يذكر اسمه . وكان « سراج الدين قيماز »[1] و « جمال الدين اى ابه الفرحينى » و « بدر الدين قراقز الأتابكى » و « نور الدين قرآن خوان » فى خدمة نصرة الدنيا والدين الأتابك أبى بكر فى إصفهان ، فثار عليهم أهل إصفهان واضطروهم إلى الفرار ، وأرسل إليهم السلطان فوجا من [س ٣٤٥] الجنود كمنوا فى طريقهم وقبضوا عليهم ، ولم يدعوا واحدا يفلت منهم ، واعتقلوا أمير العلم وقتلوا الباقين ، ولم يتركوا أحدا ممن معهم حتى الموكلين[2] بالخيل والحمير . و بقيت همذان مدة ثلاثة أيام أو أربعة لاتعرف شيئا عن القتلى والأحياء ، ثم أحضروا القتلى إلى همذان وأخذ الناس يعزون كبار الأمراء مثل « نجم الدين لاجين » و الى همذان وأولاده « غزلجه الشهابى » وغيرهم . وقد سببت هذه الأحداث وهنا شديدا ، وكانت هذه الحادثة شؤما على دولة السلطان ؛ فقد داخل أمراء الأطراف اليأس منه ، وأحجموا عن الحضور إلى العاصمة محتجبين بالثلج والشتاء .

فلما كان الربيع وصلت خلعة شريفة من دار الخلافة إلى الأتابك قزل ارسلان وعهد إليه الخليفة بأمر مقاطعة « نيم روز »[3] وقبل أن يسمح لجيشه بالتوقف فى كرمانشاهان ودينور على أن ينضم « قزل ارسلان » إلى وزير الخليفة[4] ، ثم يتوجهان معا إلى همذان للثأر من السلطان وجعل همذان فى أيدى نواب دار الخلافة . وكان المخبرون القادمون من همذان يشيعون أن السلطان

---

(١) هو أحد الأمراء العراقيين (ز ت) .

(٢) فى شهر المحرم سنة ٥٨٤ (ذيل أبى حامد) .

(٣) المترجم : مقاطعة فى سجستان .

(٤) هو جلال الدين عبيد الله بن يونس وزير الناصر لدين الله (انظر ابن الأثير تحت حوادث سنة ٥٨٤ ، ج ١٢ ص ١٥) .

ضعيف ، فأخذ الخليفة فى اطمئنان تام يعد جيشا إعدادا كاملا و يجهزه بقاذفات اللهب والنبال والجرارات وجميع أدوات القتال . ولكن السلطان أسرع بالتوجه إلى جيش الخليفة قبل أن ينضم إليه « قزل ارسلان » ، وكان يرافق السلطان أمراء الدولة مثل « عز الدين صتماز » و « شرف الدولة الأبهرى » وأولاده وجملة الأتابكة . فلما تلاقى السلطان مع جيش الخليفة دارت بين الفريقين حرب شديدة لم يشهد مثلها جيش العراق[1] . وكان « اى ابه » والأتابكة يقفون على ميمنة السلطان ، فلحقت بهم الهزيمة أول الأمر ، واستمروا فى هزيمتهم مسافة فرسخين[2] وتبعهم جيش « ايوه »[3] فأدركوا مؤخرتهم وتعلقوا [ص ٣٤٦] برؤوسهم ، وأخذ خيالة البغداديين يلقون بالمزاريق ، ويضربون بها الخيل والرجال فلم ينج منهم أحد ، وأخذ قاذفو النفط يقذفون النار فى الهواء فتتطاير وتحرق الفارس وحصانه على الفور ، ونزل وابل من السهام على خيمة السلطان ، حتى غطتها برمتها . ولكن السلطان حمل فى عزم وشجاعة رمحا ثقيلا مقتديا برستم بن دستان ، وصاح على القفشديين[4] ، ثم حمل عليهم واستطاع أن يوقع وزير الخليفة أرضا ، وأن يأسره ، وأن يجعل الهزيمة تحل به و بجيش الخليفة[5] .

---

(١) التقوا فى الثامن من ربيع الأول سنة ٥٨٤ « بداى مرج » عند همذان (ا ا) ، « وداى مرج » (أو داى مرك) هو نفس المكان الذى نشب فيه القتال فى سنة ٥٢٩ هـ بين السلطان مسعود والخليفة المسترشد : (انظر « ا ا » ص ٢٧ ، ج ٦) .

(٢) المترجم : الفرسخ ستة كيلو مترات .

(٣) اسم قبيلة من قبائل التركمان . وورد فى « زت » عن هذه الموقعة ما نصه : « وكان على ميسرة الوزير جلال الدين [وزير الخليفة] الأمير محمود بن برجم [ترجم « ا ا » ج ١٢ ص ١٩٧] الأيوايى ، يعنى المنسوب إلى « ايوا » أو « ايوه » ومعه جموع التركمانية والأكراد . . . » (ارجع كذلك إلى « ا ا » ج ١٢ ص ٣٠١) وضبط الكلمة غير معروف .

(٤) يعنى أولاد وأتباع قفشد صاحب زنجان « زت » .

(٥) «ا ا» ج ١٢ ص ١٥ .

ورغم أن السلطان وأتباعه كانوا قد غلبوا على أمرهم فى أول الأمر ولحق بهم الوهن الشديد ، إلا أنهم انتصروا الآن نصرا مؤيدا ، وغنموا غنائم كثيرة تتضمن الذهب بالأحمال والخيول والأسلحة التى لا حصر لها . و بلغ من كثرة الخيول التى غنموها أن انخفضت أسعارها إلى حد كبير ، ولكن لم يوجد فى همذان من يرغب فى شراء واحد منها مراعاة لحرمة الخلافة ..! وأخذ الجرحى يستجدون الخبز فى مسجد همذان ، وساءت حال الخلافة إلى درجة لم يسمع بمثلها أحد . وقد أنشد السلطان هذه الرباعية فى وصف تلك الموقعة :

[رباعية فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— بسبب هذه الفتنة التى أثارتها يد الفلك ،
كانت روحى معلّقة فى شعرة واحدة ... !!
— ولو أن الإقبال لم يأخذ بيدى ،
لأراق الفلك دمى دون عذر ... !!

ولكن هذا الجيش المهزوم لم يعتبر بما حدث ، إذ جاء إلى العراق حتى الآن عشر مرات أخرى كان نصيبه فيها الفشل والهزيمة وذلك بسبب نيته السيئة ولأنهم لم يعملوا بموجب الحديث الذى يقول : « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين »[1]

[بيتان فارسيان فى الأصل ،[2] ترجمتهما :]

— ما أعجب ماقاله كبش وحشى لقطيع من الغزلان ، [ص ٣٤٨]
قال : إنه لو صار الوادى كله جريرا ،

---

(١) حديث ، البخارى ، طبع ليدن ج ٤ ص ١٤٢ — ١٤٣ .

(المترجم) : انظر أيضاً السيوطى : الجامع الصغير فى أحاديث البشير والنذير ، ج ٢ ص ٢٠٥ الطبعة الرابعة .

(٢) « شه » ص ٨٣ ؛ ص ٦ — ٧

— ووقعت فيه فى شبكة صياد ثم تخلصت قدمى منها ،
فإنى لا أطأ بأقدامى هذا الوادى مرة ثانية .. !!

ولما انتهت حرب السلطان مع الخليفة ، وصل علاء الدين — والى مراغة — إلى خدمة السلطان ، وقدم له الطاعة فى همذان ، فأعزه وأكرمه إلى أبعد حد ، وعهد إليه بتربية ابنه « بركيارق » . ثم استعد جيش السلطان لمحاربة الأتابك قزل ارسلان مرة أخرى ، والتحق غرس الدين بن شوملة بخدمة السلطان صاحب العرش الأعلى . وبهذا اجتمع فى همذان جيش جرار ، وتوجه الأتابك قزل ارسلان على رأس جيش كبير إلى دار الملك فى همذان ، وجمع السلطان جنده وحفروا الخنادق . ثم شرع أتباعه فى الحرب ، وتواترت أخبار المعارك ، واختفى الأتابك فجأة ، ولم يتعقبه السلطان لأنه كان لا يثق فى « اى ابه » ولا فى « از ابه »[1] . وقد مضت على هذه الحالة خمسة عشر يوما لم يعرف فيها أحد ماذا حدث وأين ذهب الأتابك .

شعر [أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— حينما يتعد المرأ ويتكاسل فى وقت العمل ،
يعافه الزمن . . . وتنساه الأيام . . . !!
— ولا يبقى الجسم صحيحا قويا ،
إذا لم يكن قادرا نشيطا[2] . . . . !!
— ويجب أن تتمنى بأن يبقى اسمك عاليا ،
وتبصّر . . . حتى لا يضعف قلبك بتحمل الهموم . . . !!
— فإن الزمن إذا كان يسخو فى عطائه ويحسن إلينا ؛
فإنه أيضا . . . يأتينا بما يسوؤنا ويؤلمنا . . . !!

---

(١) كانا عبدين كبيرين قديمين (ذيل أبى حامد) .

(٢) دهخدا ص ١٦٧٣ س ١١ — ١٢ .

— وتعفف . . . واحذر التفكير الطائش ،

وحسب الزمان أنه يدور علينا بشروره . . . !!

وهكذا فعل الأتابك حركة اضطرب لها السلطان، كما رأى من «اى ابه» تحكمات ضايقته وأتعبته. وحينما تأكد السلطان أنه لايوثق به ولا يصلح لعمل ، وأنه يجب إعداد جيش آخر لمقاومة الأتابك ، أمر « ابن الأَزْدَمُر »[1] و « ابن سراج الدين قتلغ ابه شرفى »[2] يقتل[3] « اى ابه » و « از ابه » فى [ص ٣٤٨] سراى الحضرة . ثم خرج اينانج ولحق بأمه فى الرى . وذهب فى اليوم التالى الأتابك علاء الدين إلى مراغة ، وتوجه السلطان إلى اذربيجان . وأما الأتابك قزل ارسلان فقد قصد « كرما نشاهان » ، وكان هناك «شهاب الدين بن الحديدة» مع خادم من خواص جيش الخليفة ، فأحضرهما إلى باب همذان ، ليقوما بالبحث عن الأموال المهربة فى المدينة ؛ وتحت ستار هذا العذر أغاروا على منازل المسلمين ، فنقم العوام على السلطان . وذهب السلطان إلى تبريز فأحدث فيها اضطرابا شديدا . فرأى الأتابك أنه من الضرورى أن يتوجه إلى اذربيجان ، ولم يكد الأتابك ينصرف إليها حتى عاد السلطان إلى همذان ؛ وصارت هذه المسألة دورية ، بحيث أصبح متعارفا بين الأمراء والصدور أنه فى كل مرة يأتى الأتابك ، يذهب السلطان وهكذا دواليك . وأمضى السلطان ذلك الشتاء فى العاصمة همذان واستسلم له العراق . ونظراً لكثرة الثلج واشتداد البرودة لم يحاول أحد أن يتحرك .

[بيتان فارسيان فى الأصل (٤) ترجمتهما :]

— مهما طالت وتثاقلت الليلة الليلاء ،

---

(١) الأزدمر هو شحنة اصفهان (ذيل أبى حامد) .

(٢) يبدو أنه أحد أتباع شرف الدولة صاحب أبهر .

(٣) ذلك فى جمادى الأولى سنة ٥٨٤ (ذيل أبى حامد) .

(٤) «شه» ص ١٤٥ س ١٤ — ١٥ .

فإن ظلامها لا يطول بلا انتهاء ... !!

— فإذا أشرقت الشمس انقلبت إلى نهار وضاء ،

وأصبحت الأرض كفص الياقوت الـــلألاء ... !!

وكان السلطان — بسبب ما جبل عليه من حسن المعتقد وحب العلماء ، يميل إلى ظهير الدين البلخى ، وكان يزوره فى كل ليلة فى بيته ليستشيره فى مهام الأمور ، وكان سادة العراق وأمراؤهم يعرفون رجاحة عقل هذا الرجل ، ولهذا كانوا يرهبونه .

وذات يوم قال ظهير الدين البلخى للسلطان : « إن هؤلاء الذين معك إنما هم مخالفون لدولتك ، فيجب القبض عليهم جميعاً ، وإعطاء أملاكهم لأتباع آخرين حتى يكونوا متضامنين معك » .

وفى هذا الوقت أخذ أركان الدولة يكتبون الرسائل ويرسلونها إلى قتلغ اينانج فى الرى ليخبروه بأن السلطان يذهب فى الليل إلى منزل ظهير الدين البلخى ويتآمر معه ، فليس لنا بعد ذلك أن نثق فيه قط . فإذا عاهدتنا [ص ٣٤٩] اتفقنا مع علاء الدولة ، واستعنا به فى القبض على السلطان . وكانوا يضعون هذه الرسائل وسط عصا مجوفة ، يغطونها بلحاء الشجر ، ثم يبعثون بها مع أحد الضباط إلى الرى . وكانوا يرسلون خلال الليل أشخاصا يكمنون فى طريق السلطان . وقد رأى السلطان منهم شخصين أو ثلاثة (بضعة أشخـاص) فأمر بالقبض عليهم وإحضارهم إلى قصر ظهير الدين البلخى ، فباحوا بكل ما حدث ، فأمنهم السلطان على حياتهم ، واستعان بهم ، واستحلفهم ألا يبوحوا بالسر ، وألا يذيعوا أن السلطان قد رآهم وذلك لـكى يعرف إلى أى مدى يصل الأمر .

وفى اليوم التالى جاء هذا الضابط إلى قائد حرس السلطان فى « هفتاد

بَوْلان »[1] على باب مزدقان . فسأله « ابن سراج الدين قتلغ ابه شرفى » عن الأخبار والأحوال ، فرد عليه رداً عنيفا بسبب ما ألم به من مالى وضجر .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— إن اللسان الذى ليس فى رأس صاحبه تفكير ،
حتى ولو أمطر الدر فلن يصل إلى حد الجمال .[2]
— فاقطع علاقة قلبك مع شخص ،
لا يوجد مع لسانه قلب صادق[3]
— والشخص الذى حنكته الأيام ،
لا ينبغى أن يكون أستاذا فى كل فن[4] .
— وقد قال العارفون العقلاء :
إن الشخص الذى يقترف سوءا يجزى به[5]

فغضب ابن سراج الدين وسحب رمحه ليهوى به على رأس الضابط ودافع الضابط عن نفسه بعصاه ، فانكسرت العصا وظهرت الرسائل التى فى جوفها ، فأخذها ابن سراج الدين ، وكان شابا فاضلا شجاعا ، ينظم الشعر ، [س ٣٥٠] ويكتب بخط حسن . فلما قرأ تلك الرسائل وعلم بما فيها ، اعتقل الضابط وامتطى جواد النوبة ووصل فى نفس اليوم إلى السلطان ، وعرض عليه هذا الأمر مشافهة ، فأعمل السلطان فكره واستقر رأيه خلال الليل إنه متى أصبح الصباح ، وجاء أصحاب المناصب إلى الديوان ، اختلى بالوزير وأمر بإحضار الأمراء ، فعنّفهم وحقّرهم على رؤوس الأشهاد . وعين مشرفا على قصر كل عظيم منهم ، حتى

---

(١) هكذا ضبطه ياقوت وهو يقول : « هى قرية من قرى الرى وهو الموضع الذى ظفر فيه طغرلبك بأخيه لأمه «إبراهيم اينال» فقتله خنقا بوتر قوسه » ، وفى نزهة القلوب « هفتاد پولان » بالباء المثلثة .

(٢) « شه » ص ٨٢٢ س ٢٤ .

(٣) « شه » ص ٨١٥ س ٢٥ .

(٤) « شه » ص ٨٢٠ س ١٥ .

(٥) « شه » ص ٧٣ س ٦ .

يحافظ على الخزائن والاصطبلات والمعدات الحربية ، ويقوم بنقلها إلى قصر السلطان . وأما أدوات المطبخ وأمثال ذلك فقد أبيحت للنهب والغارة .

ولما أصبح الصباح توجه العظماء إلى قصر السلطان جريا على عادتهم ، وجلس السادة فى الديوان . ثم استدعى السلطان الأمير سيد علاء الدولة واختلى به . وبعد أن أمّنه على حياته ، أطلعه على حقيقة المؤامرة ، وقال له : « إنه سوف يدعوهم جميعاً حتى يتضح سر هذه المشكلة » . وقد حضر هذا الاجتماع « خواجه عزيز » الذى كان وزيراً للسلطان فى ذلك الوقت ، كما حضره أبناؤه ، والموفق وكيلدر ، وظهير المنشى ، وشهاب كاتب الديوان ، وقتلغ الطشت دار ، وجميع الذين اشتركوا فى هذه المؤامرة . ثم انفرد السلطان فى خلوة ، وصار يستدعى الواحد بعد الآخر . ولما اجتمع شمل الجميع فى سراى علاء الدولة حيث كان السلطان ، كشف لهم السلطان عن المؤامرة ، فطلبوا الأمان ، ثم ركل السلطان خواجه عزيز وألقاه وسط القصر ، وأمر بالقبض على جميع الحاضرين .

[بيتان فارسيان فى الأصل ، ترجمتهما :]

— يكون مذموما محتقرا قلب الشجرة ،
التى تثمر ثمرا نكدا للتاج والعرش .
— ولن ينفعك الندم والأسف ،
إذا ما قطع سيف الزمان رأسك (١) .

وقد هرع الأشخاص الموكلون بحراسة كل قصر ، ونفذوا [ص ٣٥١] أوامر السلطان ، فنقلوا إلى قصره جميع أموال هؤلاء العظماء النقدية والعينية . ثم طلب السلطان مفتاح قلعة علاء الدولة وحبس هؤلاء القوم هناك . ثم تحرك بذاته الشريفة ليتفقد أحوال هؤلاء المسجونين فتعهدوا له بدفع الأموال

---

(١) «شه» ص ٨١٣ س ٢٢ .

فى سبيل إطـلاق سراحهم وتأمينهم على حياتهم ، فوعدهم أن يؤمن حياة كل شخص منهم يدفع قدراً معينا من المال ، ويكتب إقراراً بما يمتلك ، و يتعهد بترك عمله . فأخذ هؤلاء القوم يقترضون ، و يدفعون ما يحصلونه إلى الديوان . وأخيراً لجأوا إلى ظهير الدين البلخى ، فأرسلوا إليه شخصا طالبين شفاعته لدى السلطان قائلين : « إنهم على شاكلة أهل التصوف سيسيرون فى ركابه كبقية المريدين » . وقد استمر الحال على هذا المنوال ما يقرب من شهر .

وذات يوم كان السلطان يتفقد القلعة ، و يعظ المسجونين و يزجرهم ، فعجل قتلغ الطشت دار بنهايته ؛ إذ بدأ يخاطب السلطان بسفه و بكلام غير لائق و يقول له : « اقطع هذه الرؤوس وضعها حيث شئت فطالما أردت أن أفعل برأسك مثلما فعلت برأس أبيك ، ولـكن حظك كان أقوى من إرادتى » فرد عليه السلطان قائلا : « ماذا كان بينك و بين أبى ...؟! لقد كنت عبداً ذليلا فاشتراك وقلدك الملك » . فأجاب قتلغ : « نقدنى علاء الدولة بموافقة الأتابك محمد عشرة آلاف دينار ، وكلفنى أن أعطى أباك شرابا ساما فى الحمام أخذاً بثأر أخته التى كانت زوجة لأبيك ، فنفذت ما أشار على به . ولقد أردت أن أفعل بك ما فعلته بأبيك » . فلما سمع السلطان هـذه القصة ، اشتد غضبه ، وأمر على الفور بقتل جميع المعتقلين ؛ فقطعت هذه الرؤوس[1] جميعها نتيجة لهذا الحديث . [ص ٣٥٢]

[شعر فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— الشخص الذى يحترف إراقة الدماء ،
تصير منه قلوب الأعداء مملوءة بالخشية والحذر .
— ولسوف يراق دمه بنفس الطريقة ،

---

(١) فى السابع من ذى الحجة سنة ٥٨٤ (ذيل أبى حامد) .

التى أراق هو بها دماء أعدائه . . . ! !

— فلا تحاول إيذاء الرجل الحر ،

فإنه لا يقبل الخضوع بالإيذاء والألم .

— والدنيا إذا تأملتها مرحلة قصيرة ،

فلا تكثر الشكوى من أفعالها .

— وقد انقضى الأمس ، ولما يقبل الغد ،

ولست فى عناء من أمر اليوم .

— وكفاك ما فى « اليوم » من أفراح ،

فإن العاقل لايتحدث عن أمر الغد .

— ويجب أن يبقى اسمك طويلا ،

ومادمت غير مخلد ، فلا تصنع أعمالا غير مخلدة (١)

— والدنيا تدبر السوء .. ولاتقوله لأحد .

وهى لاتغيث الملهوف فى كل الأحوال ... !!

وكان السلطان قد أمن علاء الدولة على حياته فى أول الأمر وعفا عنه . ولـكن تآمره هذه المرة كان جرما عظيما لا يغتفر ؛ غير أن السلطان أخفى عنه غضبه حتى عزم على الرحيل إلى « مرغزار سگ » طلبا للمرعى ، ثم اضطره إلى مصاحبته فى هذه الرحلة ، وادعى علاء الدولة المرض ، وحاول التخلف عن الركب . فقال له السلطان : « لامفر من مجيئك معى ، واصطحب معك الأطباء ، لأن تغييرك للبيئة والهواء ، يكون فيه أمل كبير فى استعادة الصحة والشفاء » . ولما ابتعد الركب بقدر مرحلتين من همذان ، أمر السلطان بقتل علاء الدولة ، ونقلت جثته إلى همذان حيث دفن مع أسلافه من السادات رحمهم الله .

ونظرا لما له من حقوق على مؤلف هذا الـكتاب محمد بن على بن سليمان الراوندى ، فقد نظمت الأبيات التالية فى رثائه :

---

(١) «شه» ص ٧٠٦ س ٢

[مرثية فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— وا أسفاه ... أى محنة هذه التى وقعت فى الدنيا ... ؟ [ص ٣٥٣]
وا أسفاه ... أى وقعة تلك التى حدثت فجأة ...؟ !
— وما هذه العين التى أخذت تريق الدماء .. ؟
وما هذا الألم الذى وقع فى قلب الكهل والشاب ...؟!
— لقد أظلمت الشمس ووصلت المحنة إلى أوجها ،
واصفر وجه القمر ، وأصابه العجز والذبول .
— إنها مصيبة للروح ، أحرقت الفؤاد ،
وملأت القلوب بالغم فأخذت فى الصراخ والنواح .
— هل تعرف عن أى شيء هذا جميعه ؟ إنه بسبب الخبر السيء ،
عن موت عربشاه ملك الزمان .
— فيا أيتها العين ... ابك دما فقد مات فخر الدين[1] ،
مات زعيم عصره ، وملك الدنيا .
— إننى لا أدرى لم عجلت الدنيا بإراقة دمك ؟ ،
ولماذا أحرقت قلوب العالمين بالحزن عليك ؟
— إن الدموع التى كانت تنافس فى صفائها الجواهر والدرر الثمينة ،
قد أصبحت كالياقوت مصبوغة بحمرة الدماء ... !!
— وليس من اللائق ، أن يعد الفلك من أجلك ،
مثل هذا الكفن تحت الثرى المعتم ... !!
— وليس من المعقول أيضا أن يكون الموت الذى اغتالك
سببا فى خراب مائة أسرة من آل النبى .
— فتأمل البحر والجبل ، وانظر إلى وقع المصيبة عليهما ، [ص ٣٥٤]
فلقد تحوّل قلب الجبل إلى حجر صلد ، وفاض البحر بطوفانه .
— لأنه نور عين المصطفى وفخر آل المرتضى ،
وكان أهل البيت يستمدون منه نظامهم وسلامتهم .

---

(١) هو فخر الدين علاء الدولة رئيس همذان

— فيأيها التراب ... ابتعد بسلامة عن طريقه ،
وارفع النقاب سريعا عن وجهه القمرى .
— أنى اخشى ألا يكون العرش الجديد ملائما لكسرى ،
وأخشى ألا يكون مقامه لائقا له .
— وإنى أتساءل : كيف وضعت عنه تاجه وعرشه ؟ .
ويارب ... على أى شكل صنعت مرقده .. ؟ !
— لقد صمم على الرحيل فأقامت الزهرة ،
فى إيون طالعه مأتما لفقدانه .
— وأخذت تكتب بالحمرة سجلا لآلامه ،
وكيف أن هذا العزم والسفر لم يكونا من مرامه .
— إنه نور عينى حيدر وزعيم أهل البيت ،
شمس فاطمة ، ورئيس أهل البيت .
— فيأيها الفلك الدون ، ماذا تريد من آل النبى ،
وماذا تريد من أسرة حيدر ؟
— لقد نصبت كمينا للحسين فى كربلاء ،
وأوقعته فيه .. فماذا تريد بعد ذلك ... ؟
— لقد تعجلت بإراقة دم ملك قهستان ،
ولم يكن هذا لائقا ، فماذا أردت منه ؟
— أيها الفلك الأعمى ! إنك لم تقل ماسبب حقدك عليه ،
وماذا تريد من رئيس أسرة حيدر .
— وماذا أردت حينما وضعت السهم فى حلق هذا الرجل البرىء ،
وماذا أردت من هذا السيد المطهر الأنور ... ؟ !
— إذا كان القمر قد غاب ، فلتخلفه هذه النجوم الثلاثة (١)
وليجعل الله مقامه فى الجنة .

[ص ٣٥٥]

---

(١) المراد بالنجوم الثلاثة أولاد عـلاء الدولة : يعنى السيد مجد الدين همايون ، والسيد فخر الدين خسروشاه ، والسيد عماد الدين مردانشاه

— فيارب ارفع منزلة مجد الدين .
وبارك فى عمره فهو عز الدين (١)
— وإذا كان والده قد ذهب إلى جنة الخلد واختار مقاما رفيعا ،
فبارك ... ياإلهى فى عمر ولده
— وأبعد الأذى عن أصدقائه وأحبابه ،
وأحرق أعداءه بنار القهر والغضب .
— فإن له صفات تامة من الفضل والعقل والأدب ،
فبحق وجهك .. ياإلهى ... انفع الجميع بهذه الفضائل .
— وانزل رحمتك على قبر فخر الدين ،
وتقبل بعفوك وكرمك كل أفعاله .
— والمنة لله ... إن ثمر الشجر باق على حاله ،
وهذا مردانشاه الجواد الملائكى السيرة والخلق .

بعد ذلك أخذ سلطان العالم يطوف بأطراف همذان ، ويقوم بالكر والفر فى تلك المناطق ؛ فاختلت أحوال المملكة ، وتحرك الأتابك « قزل ارسلان » من اذربيجان ، ولم يكن للسلطان قدرة على مقاومته . فرأى من الضرورى أن يترك العاصمة ويتوجه إلى اذربيجان ، خصوصا بعد أن ثار عليه عمه وأولاد عمه(٢) ، وطمع أعداؤه فى الاستيلاء على ملكه ، وكثر عدد الطغاة من أتباعه .

وقد استغل الأتابك هذه الفرصة وشرع فى الهجوم ، واستطاع [ص٣٥٦] نهب الذخائر والنفائس والأموال والممتلكات . وأما السلطان فقد نجا بمفرده وانضم إلى « القفجاق »(٣) . وصادر الأتابك أموال أعدائه فى همذان والعراق

---

(١) [المراجع : وربما يكون صحة الاسم مجد الدين « بدل » عز الدين ، وهو بذلك يشير إلى نفس الشخص كما تدل على ذلك الأبيات التالية]
(٢) المقصود فيما يبدو عمه محمد بن طغرل .
(٣) هو عز الدين حسن بن القفجاق والى اذربيجان (زت ورقة ١٠٢ ا)

وفى كل مكان آخر ، ووضع يده على الأموال الأميرية ، وأخذ دخل الإقطاعات واستولى على مخازن الجيش . فلما استولى جيش آذربيجان على همدان ، آذوا الخلق كثيراً بدرجة لا يصدقها أحد ، فأخذ الناس يرسلون الصدقات والصلات إلى أرباب الطاعات والعبادات ، ويجمعون الزهاد فى الزوايا والمساجد ؛ ليبتهلوا إلى الله أن يعيد إليهم السلطان . وكان فى أطراف العراق أكثر من عشرة آلاف من أهل الخير والفضل ، لم يقدر لهم أن يروا السلطان إطلاقا ، ولم يظفروا بلقائه ، ولكنهم كانوا يحبونه من صميم قلوبهم ، فكانوا يشيعون فى كل لحظة « أن السلطان قد وصل » وذلك عملا بالحكمة القائلة : « تفَاءلُوا فإنّ الأَراجِيفَ من مُقدّمَاتِ الكوْنِ » .

وظلوا يؤمّون المساجد ، ويؤدون العبادات طالبين إلى الله أن يعيد السلطان فى أسرع وقت .

وأرسل الخليفة خلعة إلى الملك الكريم والغازى الرحيم ، الملك المعظم قزل ارسلان — برد الله مضجعه — .

وأخذت الرسل تفد من أطراف البلاد إلى حضرة السلطان . وكان من بين هؤلاء الرسل ، شاب حسن السيرة ، جميل الوجه ، غزير الشعر ، ذو عقل ودهاء وعلم وذكاء ، وهو شهاب الدين الاسترابادى الذى كان كاتبا وأستاذا [ص ٣٠٧] فى ديوان ملك مازندران فقد حضر برسالة إلى السلطان .

ولما كانت رابطة الفضل والعلم تجمعه بمؤلف راحة الصدور محمد بن على ابن سليمان الراوندى ، فقد جرت بينهما مجالسات ومؤانسات ، كما كانت له أيضاً علاقة ود وصفاء بأستاذ السلطان يعنى خال المؤلف ، الصدر الإمام الكبير ، زين الدين مجد الإسلام ، ملك العلماء « محمود بن محمد بن على الراوندى » .

وقد حرض خالى على ترك دار الملك همذان والشخوص إلى مازندران ، باعتباره رسولا للسلطان ، لحمل معه رسالة بخط السلطان نفسه وهدية إلى ملك مازندران وهى عبارة عن مصحف كبير كتبه السلطان بخطه الجميل الذى يعجز عن تقليده ابن البواب وابن مقلة[1] .

ولما كان هذا الرجل أستاذا للمؤلف فضلا عن صلة القرابة ، فقد اقترح عليه أن يصحبه فى رحلته قائلا له : « يجب أن تؤدى لى حق الأستاذية ، كما يجب عليك أن تطيعنى عملا بالقول المأثور : « من علّمك حرفا صيرك عبدا » ، وأن تهرع إلى ملازمتى . فلا مراء فى أنك ابنى العزيز وصديقى الوحيد ، وعليك الاعتماد كله فى حفظ مصالحى والاسترشاد برأيك الرشيد وعقلك السديد . وإذا أصابنى خطر فى تلك الولاية بسبب عفونة هوائها أو ألمّ بى تعب أو مرض فلن يزول ذلك إلا بمعونة شخص مشفق مثلك هو بمثابة ولدى » .

وقد رأيت أنا المؤلف أن امتثال أمره واجب الأداء ، لما له من حق علىّ . وكانت رغبة مشاهدتى تلك الديار حافزة ومشجعة لى على تلك الرحلة ، ولقد قرأت وصفاً لمازندران فى الشاهنامة التى هى ملكة الكتب وأم الأسفار ، هذا نصه :

[أبيات فارسية فى الأصل[2] ، ترجمتها :] [ص ٣٥٨]

— لتبق مازندران ذكرى للتمليك ،
ولتبق جميع أرجائها عامرة دائماً .
— فبساتينها زاخرة بالزهر والورد دائما ،
وأرضها مملوءة بالشقائق والرياحين . . . . !!

---

(١) هو أبو على محمد بن الحسين بن مقلة الكاتب المشهور (انظر ترجمته فى ابن خلكان تحت حرف م) .

(٢) شاهنامه ص ٢٣١ س ١٤ — ٢١ .

– وهواؤها منعش ، وأرضها منقوشة بألوان الزهور ،
وليس فيها برد ولا حر وإنما هى ربيع دائم .
– والبلابل تغرد فى حدائقها ،
والغزلان تختال فى رياضها .
– والحياة فيها مستمرة ، لاكلال فى طلابها ،
وجميع أرجائها مليئة بالألوان الرائعة والنسائم الطيبة .
– وكأنما ماء الورد ينساب فى جداولها ،
فتنعم الأرواح برائحته وعبيره . . . !!
– وشتاؤها بجميع شهوره ،
ترى فيه الأرض مكسوة بالشقائق والزهور .
– وطوال السنة تكون شواطىء أنهارها ضاحكة باسمة ،
وفى كل مكان فيها يشتغل الناس بالصيد . . !!

وحينما وصلتُ إلى تلك الديار ، رأيت أنواع النعم مجتمعة فيها ؛ ففواكهها تشبه فى لطفها ماء الحياة ؛ وخيراتُها هى فواتح الحسنات ، ومسيرُ الأقدام فيها على بسط من الرياحين ؛ وقد امتلأت رحابها بخضرة البساتين وبزهور الشقائق والنسرين وانتشرت فيها رائحة الترنج فى كل مكان ، فملأت الأرواح بالأفراح فى مجالس الخمر والراح ، وهان أمر النارنج فيها فلم يعد قصرا على الأمراء والكبراء بل حازه المعدمون والفقراء .

ولكن من أسف أن ذلك المكان كان معقلاً للأحرار ، فبدا الترنج والنارنج كأنهما السبب فى المتاعب والآلام ، وأصبحت زهور النرجس والرياحين غير مستساغة كأيام الشيخوخة ، وأصبحت ألحان البلابل كألحان المطرب الذى يغنى للسكارى ، فلا تؤثر أغانيه فيهم ، ولا يستفيد هو منهم أية فائدة . وكانت وديانها غابات ومزارع ، وحدائق وأنهار ، ولكن كثرة الحياة فيها سلبت رواء

الغابات والمزارع ، وانتزعت كثرة الأنهار كل طعم للفواكه والأثمار بحيث فسد فيها كل لطيف ، وأصبح لحم الضأن سما زعافا يسبب موت [ص ٣٥٩] آكله وطاعمه .

وقد تحملت الشدائد والمكائد مدة ستة أشهر فى ذلك الموضع المشئوم ، حيث مبيت الغربان والبوم ، فلم أر فيه فى أية لحظة فائدة من الفوائد . إذا قصدت التنزه وعزمت على التفرج ، اجتمعت غصة الجرب وقصة التعب فوضعتا كثيراً من البؤس على جسمى الحبيس حتى ليخيل إلىّ أن خضرة الوادى قد استحالت إلى سواد فى سواد . فإذا ارتفع صراخى إلى عنان السماء ، تركت التفرج وانصرفت عن هذه الأماكن النزهة ، وكأنها غير جديرة بالرؤية ، حتى تكرّم اللطف الربانى والعطف الرحمانى بإيقاظ حظى العاثر ، وإسعاد طالعى فأذنوا لنا — ولم نحصّل من المراد إلا أقلّه — أن نعود ، فلما فتحوا لنا باب «دربند زرينكمر» ووصلت ظافرا إلى « پيروزكوه » عاد البصر إلى عينى ولم يصدق بذلك قلبى .

[بيت فارسى فى الأصل(١) ، ترجمته :]

— هذا الذى أبصره ... يارب ... هل هو يقظه أو حلم ؟

فقد رأيت نفسى أعود إلى مثل هذه النعمة بعد مزيد من العذاب . . . !!

ولقد قال العظماء : « حينما يجاوز سرور القلب حدّ الاعتدال ، يستولى عليه الكدر والوبال » وكثيراً ما يحدث أن يحزن شخص ، فيضحك كثيراً حتى يموت . وأثرت فىّ الأغذية غير الموافقة والأهوية غير اللائقة ، حتى لقد أخذ يظهر علىّ فى كل يوم وهن جديد حتى وصلت إلى « راوند » موطنى الأصلى ، ورأيت وجوه أصدقائى الأعزاء ، وكان هذا هو جل مأربى ، فاتّقدت حرارة الوصال بقلبى الملتاع ، وأخذ ضعفى يزيد يوما عن يوم ، والحمى تزيد ساعة

---

(١) هذا البيت هو مطلع قصيدة للشاعر أنورى (كليات ، طبع تبريز ص ١٢ — ١٤)

بعد ساعة ، وكان فراق الأحباب قد بلغ بى غايته ، وكان قلبى المحترق فى نهاية العذاب ، ولم يكن لى سبيل إلى الذهاب إليهم ولا قدرة على الإقامة بعيدا عنهم .

فكنت طوال أيام الفراق أنشد هذه القطعة لتكون وِرْدًا لآلامى ومؤنسة لى فى أحزانى :

[أبيات فارسية فى الأصل : ترجمتها]

— ماذا تريد الدنيا منى . . . أنا المسكين المحتاج . . . ؟ ،

وماذا يود العالم منى . . . أنا المتعب المكدود . . . ؟ ! [ص ٣٦٠]

— وا أسفاه ! . . لقد صارت الدنيا حلقة أمام عينى ،

وبقيت أنا وسط هذه الحلقة مقيد القدمين . . . ! !

— ويا أيها الأصدقاء ! لم لا يذكرنى واحد منكم . . ؟ !

ويقول : لم صار محمد عاجزا محتاجا . . ؟ !

— ويا أيها الكبراء والأصدقاء . . . يا أيها الغافلون ،

ارحمونى ، فإن قلبى متعب مكدود . . . ! !

— وأنتم أيها الأتباع المخلصون ... لقد نسيتم حق عليكم ،

هل علمتم أن مثل هذا السلوك لا يرضى الله ... ! !

— إن الناس ينصحوننى ، ويقولون لى اصبر ... ولكن ماذا يجدى النصح ... !

وكيف أصبر ، وأنا موزع القلب ، وماذا يجدى النصح ... ؟ !

— ولقد صبرت كثيرا ، فلم يفدنى الصبر ،

فيا أيها الأصدقاء ... لا تقولوا : عاقبة الصبر ظفر كثير ... ! !

فلما استراح جسمى الضعيف من مشاق السفر ، أظهر لطف الهواء تلك العلل « وبضدها تتبين الأشياء »[1] . وهكذا تحملت المتاعب مدة سنة ونصف ، بحيث أن وهم بنى آدم يعجز عن إدراك حالتها ويقصر كذلك عن فهم كيفيتها وكميتها .

---

(١) صدر هذه الشطرة : « وندمهم وبهم عرفنا فضله » والبيت من قصيدة المتنبى يمدح بها أبا على هارون بن عبد العزيز الكاتب (الديوان طبع برلين ص ١٩٧) .

وفى فصل الصيف استولت علىّ أزمة من اليرقان حطمت قلبى وروحى ، وكنت أترقب أن يعتدل حظى المنكوس المنحوس، ولكنه كان يبتعد عن ذلك . وفى وقت الشتاء ألمّ بى ألم أصاب وسطى وفخذى ، وكاد يقضى علىّ وحاولت تجرع الدواء ، ولكننى نفرت منه . وذات يوم اشتدت بى العلة والمحنة حتى خيل إلىّ أن طائر روحى كاد يطير من جسدى ، وأن ببغاء قلبى الحبيسة فى قفص جسمى قد عقدت العهد سرا مع أجلى : [ص ٣٦١]

[بيت عربى فى الأصل :]

إذا تمّ أمرٌ دنَا نقصُه .·. توقَّعْ زوالاً إذا قيل تمّ

وفجأة طرق بابى صديق مُعين ، وألقى السعد على باب منزلى بُشرى الراحة وإعلان الفرج . فاستقبلتنى السعادة وقالت لى : « لقد تعهدت أن أتحرى رضاك ، ولقد أدركتك بفألى السعيد ، ولن يكون هناك مجال لاختلال أحوالك بعد الآن » .

فتلقيت القول بالفرح والترحاب ، وخرجت مسرعا من زاوية الإدبار والهلاك ، وسمعت عند ذلك بشارة مقدم سلطان العالم ، ركن الدنيا والدين طغرل بن ارسلان ، وأنه قد عاد من آذربيجان إلى دار الملك همذان ، بعد أن رأى من خصومه الأشداء وأتباعه الشريرين شدائد كثيرة ومكائد لا حصر لها، وقاسى الهزائم والمتاعب ، ولكنه لم يلبث أن ودع عرش السلطنة ، وولى وجهه شطر الآخرة ، وترك أسباب الملك ، وتخلى عن الخدم والحشم ، وأرسل ابنه الحبيب إلى دار الخلافة ، وذهب هو نفسه إلى مقبرة أسلافه فأقام فيها ولازمها[1] .

وقد وقع علىّ هذا الخبر وقعا سيئاً ، فاستحال المرهم الذى تخيلته شافيا إلى

---

(١) انظر شرح هذه الواقعة فى « زت » ورقة ١٠١ ـ ١ ، ب وأيضا فى ذيل أبى حامد .

جروح وقروح ، واستحالت الراحة التى توهمتها إلى غم و بلاء . فقلت : « يا سبحان الله : إذا فعلت الدنيا بصاحبها وملكها مثل هذه الفعلة النكراء ، فماذا تفعل بالآخرين ...؟!

[مصراع فارسى ، ترجمته :]

أى محنة هذه التى وقعت فجأة وألمّت بنا ... ؟!

يا ليتنى لم أكن حيا حتى لا أسمع هذا الخبر

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— لقد كنت بأحزانى كسير القلب ،
فلما أصبت بعشقك ... أجهز علىّ .... !!

وأخذت أقول لنفسى : إن الدولة ولو تعثرت ، فهى خير من أن يبقى العالم بغير حاكم ، ولن يطفىء الفلك سراج آل سلجوق، وسيستقر ملكهم لمن يستحقه .

وأحيانا كنت أقول إذا تمرد الرعايا ، شردوا الخواص ونكبوا الديار والبلاد فمتى تنصلح الأمور ..؟! وأى محنة هذه التى حلت بنا وأى آفة هذه التى حدثت لنا ... ؟!!

[بيتان فارسيان فى الأصل ، ترجمتهما :]

— إن آهتى لتخرج من قلبى الحزين ، [ص ٣٦٢]
كما تخرج النغمة الحزينة من أوتار العود .
— وإنى لأتخلص من هذه المحن بنفس واحد عميق ،
يخرج بصعوبة كأنه يخرج من الصخر الصلد .... !!

وتفحصت سر هذه الحال ، وتلمست أسباب هذا المقال ؛ فقالوا : إن الأتابك توجه إلى آذربيجان ، وتغلب على خيل القفچاق ، وجعل جيشهم فى ارتباك وتشتت ، وسلب الأطفال و باعها ، وأسر الكبار ، فداخل السلطان

اليأس من دولته ، وذهب إلى قبر أسلافه ولازمه . بعد ذلك اجتمع أمراء العراق بتحريض الأتابك قزل ارسلان ، وجاءوا فى إثر السلطان إلى دار الملك همذان ، وأظهروا له الخضوع والطاعة قائلين: «لقد هربنا من الأتابك ، وقصدناك نادمين ، فإذا غفرت لنا ذنبنا وقبلتنا ، فإننا نكون فى خدمتك وطوع أمرك ، و إلا فسنتفرق شيعا فى الأطراف » . فوقع السلطان فى حبائل تمويههم وتصنعهم وانخدع بأقوالهم، فأرسل إليهم شخصا أقسم لهم أيمانا مغلظة على تأمينهم ، كما أخذ عليهم أيضاً أيمانا مغلظة بالوفاء للسلطان ، واتفق معهم على أن يكون « ميدان شوّرين »[1] ، المكان المختار لتقديم البيعة وفروض الطاعة .

ثم خرج السلطان ، وحضر الأمراء ، فالتفوا تحت مظلته وقالوا : « إن الأتابك قد أمر بوجوب أسرك فى دزمار »[2] . ثم ضرب فخر الدين قتلغ القراقزى مظلة السلطان بسيفه ، وأخذ السلطان أسيرا[3] .

[شعر : أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— إذا اعتمدت على هذه الدنيا البالية ،
فإنها تبدى لك الدلال وتخفى عنك الحقيقة .
— وقد كتب صاحب الدنيا على صفحة الفلك ،
إن المرء يحصد ما يزرع . . . ! !
— فلماذا تربط قلبك بالدنيا الفانية . . . ؛
وهى سواء إذا تحملت الآلام أو نعمت بالثراء . . . ! !
— وكنوزك يستفيد بها الآخرون .
فهل يليق بالعاقل أن يربى أعداءه . . . ؟ !

---

(١) فى همذان .

(٢) ياقوت دزّمار بتشديد الزاى . يقول تاريخ گزيدة وذيل أبى حامد إن السلطان حبس فى قلعة كهران .

(٣) فى رمضان سنة ٥٨٦ (ذيل أبى حامد) .

— وماذا تعمل حينما لاتكون الوسيلة فى يدك . . . ؟! ،
إذا عملت أو لم تعمل . . . فالنتيجة واحدة . . !!

— وتعال حتى نسعد ، ونأكل ، ونعطى للآخرين ، [ص ٣٦٣]
فإذا جاء وقت الرحيل رحلنا آمنين . . . !

— وهل يجب علينا أن نزرع شجرة[1] ،
ثمرها سم وأصلها مر[2] . . . ؟!

— وسواء كنت متعبا مكدودا أم كنت ذاتاج وعرش ،
فالعاقبة أنه يجب عليك أن تعد عدتك للرحيل . . !!

وعلى أثر ذلك جاء الأتابك قزل ارسـلان إلى همذان ، واستقر له الملك ، وأخرج سنجر بن سليمان من القلعة وأجلسه على العرش ، وأقطع الأمراء الإقطاعات؛ ثم توجه إلى أصفهان ، وزف إلى « اينانج خاتون » فتمتع بالعظمة التامة وبالملك الموفق . ولكن الخليفة زين له ضرورة الجلوس على عرش السلطنة ، فما كان منه إلا أن أعاد سنجر إلى القلعة ونصّب نفسه سلطانا ، وأصدر مراسم جديدة بذلك . ولكن كُفران نعمة سيده والغدر به لم يكونا مباركين عليه . وكانت تلك الحركة شؤما انطوت به دولته ، فإن إينانج خاتون وأمراء العراق الذين كانوا عماد دولته ، انقلبوا وبالا عليه ، واتفقوا فيما بينهم على تحطيمه ، ولكنهم فى الحقيقة خربوا بيوتهم بأيديهم ، وتفصيل ذلك أنهم تدبروا الأمر أولا وقالوا : « لقد خرجنا على السلطان طغرل ، وغدرنا به فكيف يعتمد علينا شخص بعد ذلك ؟! ... لنبادر بقتل ملك الدنيا قزل ارسلان قبل أن ينتقم منا ، لأنه يجب أن نحول بينه و بين التفكير فى أن يبعدنا و يولى أتباعه » . وهكذا أجمعوا رأيهم

(١) «شه» ص ٤٤٧ س ٥ .
(٢) «شه» ص ٤٣٨ س ٢٠ .
(٣) «شه» ص ١٤١١ س ٢٠ .

وقتلوه[1] وهو نائم ثمل بالشراب ، واستولوا على الملك ، وقسموه فيما بينهم . وفى تلك الليلة أيضاً أخذ الأتابك أبو بكر خاتم عمه ، وتوجه إلى آذربيجان ، واستولى على القلاع والخزائن والذخائر الموجودة فى تلك البقاع ، وخضع له أمراء أران وآذربيجان ، ودانوا له بالطاعة . وقد اقتسم قتلغ اينانج والعراقيون ملك العراق ، وتركوا آذربيجان للأتابك أبى بكر .

* * *

وفى تلك السنة أيضاً ثارت فتنة عجيبة ، وحركة غريبة ، إذ بينما كان أمراء العراق جالسين فى مملكتهم فارغى البال ، سمعوا أن الاسفهسلار [ص ٣٦٤] حسام الدين دزمارى والأمير الحاجب « أنا سوغ لى[2] » قد أخرجا السلطان من القلعة التى كان مسجونا فيها ، و باشرا بجيشهما الصغير[3] — عملا خطيرا ، فتوجها مع السلطان لملاقاة جيش العراق . وكان لكل أمير عراقى من الشوكة والبطش ما يزيد مائة مرة على ما لخصمه ؛ لهذا نظر العراقيون إلى هذه الحركة على أنها لعب ولهو فتهاونوا فى حرب خصومهم ، ودارت رحى المعركة عند أبواب قزوين ، واستطاع السلطان أن ينتقم منهم ، فقد حاربوا بهوادة وتراخ ، كما أن خيولهم لم تكن معلوفة بحيث تقوى على خوض المعارك ، فأصبحت لا فائدة فيها ، ولم يستطع الفرسان البقاء على متونها ، فتركوها وترجلوا ، واجتهد الأمراء فى الهرب ناجين بأرواحهم تاركين عدتهم وعتادهم . وتوجه جنود السلطان إلى دار الملك همذان مزودين بكثير من الغنائم والخيول والأسلحة

---

(١) فى شعبان سنة ٥٨٧ (انظر ا اج ١٢ ص ٤٩ — ٥٠) .

(٢) فى تاريخ گزيده : سيف الدين محمود أنانعلى . فى ذيل أبى حامد : محمود أنا سفلى . فى زبدة التواريخ : محمود بن سنا (كذا) التركمانى كان أحد أتباع الأتابك بهلوان .

(٣) كان جيش السلطان مكونا من ثلاثة آلاف فارس ، بينما كان جيش العراق يزيد على خمسة عشر ألف مقاتل (زت) .

التى لا حصر لها . وبهذا استقر الملك للسلطان ، وأصبح معززا موقرا ، وحضر إليه الأتباع من مختلف البقاع ، وقدّموا إليه الخضوع والطاعة .

[أبيات فارسية فى الأصل(١)، ترجمتها :]

— عاد مرة أخرى ملك الملوك السعيد ،
الذى كان بتاجه زينة العرش .

— عاد إلى السلطنة تاجه وعرشه ،
وجلس على العرش فى مكان ارسلان .

— ملجأ الملك ، الإمبراطور طغرل .
سيد العالم السلطان السعيد .

— مضىء عرش إقليم المعانى ،
صاحب الولاية على ملك الحياة .

— الملك طغرل مالك الدنيا ،
وفلك الدولة وبحر العالم .

— لقد رفع رأسه بفتح الأقاليم السبعة ،
وأدخل رؤوس الأفلاك التسعة فى دائرته ...!!

— وضم الأحباش والتراكمة والأتراك ،
وربط ما بين شوشتر والشاش(٢).

— وأدخل العنقاء تحت مظلته ،
وجعل الثريا تاجا على مفرقه .

— وقد ارتفعت مظلته إلى عنان السماء
وكرّ بجواده على جيحون وأبعد الأنحاء .

— وقد أرسل إليه خاقان الصين الخراج ،
وأرسل إليه القيصر الجزية ...!!

---

(١) من مثنوى خسرو وشيرين لنظامى (خمسه طبع طهران ص ٥٣ — ٥٤) .

(٢) المراجع : « الشاش » هى ناحية بما وراء نهر سيحون متاخمة لبلاد الترك .

وهكذا جلس السلطان الشهيد السعيد على عرش السلطنة ، وباشر حكم المملكة . [ص ٣٦٥]

وأما أمراء العراق فقد صاروا منكو بين منكسى الأعلام ، منكسى الرؤوس ، أذلاء هائمين على وجوههم فى الدنيا ، ووقع فى الأسر « فخر الدين قتلغ القراقزى » الذى طوّح مظلة السلطان بضربة سيفه ، فقد شقّه السلطان نصفين ، وأرسله إلى جهنم . ثم تعطف على خواجه معين الكاشى ، فقلّده منصب الوزارة ، وردّ الوزير على هذا التشريف بأن أهدى السلطان مائة ألف دينار ، وكان ذلك فى سنة تسع وثمانين وخمسمائة وأخذت وزارته فى الازدهار والعلو .

ولما وصل السلطان إلى دار الملك همذان ، أسرع إلى خدمته ملك الأمراء جمال الدين اى ابه — عز نصره — وأخذ يطلب عهد السلطان لكى يرضى عن أمراء العراق ويؤمنهم . وقبل أن يفلح فى إبرام هذا الأمر ، حضر من قم ابن الأمير الحاجب شرف الدين ألب أرغون ، وقدم الخضوع للسلطان وقبل يده ، وكانت بينه وبين السلطان أحقاد قديمة ، فلم يطق السلطان صبرا وقبض عليه وعلى جمال الدين اى ابه وصادر أملاكهما .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— حينما تتجه عين الماء إلى البحر الخضم ،
تعتريها الحيرة والذهول ...!!
— وعمل الملك شبيه بصنيع البحر ،
وبأمره يضيء القمر فى الفلك ...!!
— فواحد يحصل فى يده على حصاة من البحر ،
وآخر ينال ما فى الصدف من در وجوهر[١] ...!!

---

(١) « شه » ص ١٦٧٨ س ١٩ — ٢٠ .

وكان السلطان يريد منذ سنوات أن يشفى غليله من ابن الأمير الحاجب ، فحرمه من منصب الحجابة ، ولاقى ابن الأمير الحاجب كثيراً من العذاب والقسوة ، فقبل أن يدفع لحراسه مالا كثيراً لا حصر له ، حتى يقوموا بتهريبه ، وأغراهم بالمال فأخفوه فى منزل بقاعدة « اروند » فى « جالوسكرد » . ولكن شخصا أفشى سره إلى السلطان ودله على مكانه ، فأشخص إليه أتباعه وحاصروا منزله على غرة ولكنه لم يستسلم ، وشرع يلقى السهام . وأخيراً أصيب بجرح بالغ فى رأسه وأسلم الروح ، فاجتز رأسه وحمل إلى السلطان ، وبذلك انتهى أمر هذه الحجابة (باربكى) ، واستولى السلطان على أتباعه وقصره .

وأما جمال الدين اى ابه فقد أمنه السلطان ، فأرسل شخصا [ص٣٩٦] يخرج أبناءه من قلعة « فرزين » ، وسلم مفتاح القلعة لشمس الدين مبارك — وكان من خواص السلطان ومحل ثقته — وكان من عادة السلطان أن يرسل الخزائن والذخائر والدفائن إلى هذه القلعة ، كما أرسل « عز الدين فرح »[1] إليها سبعين حملا من الخزائن من إصفهان ونواحيها .

ولقد حمى القراقز السلطانى والحاجب الخاص ملك الأمراء جمال الدين « اى به » ودافعا عنه ، حتى أمر له السلطان مرة أخرى — بإقطاع ، وأعاده إلى خدمته .

* * *

وكان خوارزمشاه[2] خلال ذلك قد أتى إلى الرى ، واستولى على قلعة طبرك ، وكانت اينانج خاتون قد ذهبت إلى قلعة سرجهان ، وطلب خوارزمشاه

(١) كذا فى الأصل ، زت فى كل موضع « فرج » بالجيم ويقال إن هذا هو الصواب ،

(٢) ابتداء ذكر خوارزمشاه هنا انتقال فجائى لم يسبقه تمهيد الحوادث لهذا الانتقال ، ولهذا يحتمل أن تكون بعض الفقرات قد سقطت من النص فى هذا الموضع .

ابنة السلطان ليزوجها من ابنه يونس خان[١] . وفى فصل الربيع فى شهور سنة تسع وثمانين وخمسمائة توجه سلطان العالم إلى الرى ، وحاصر قلعة طبرك ، واستولى عليها وخربها واجتث جذور الفتنة من الرى ، وقتل طمغاج الخوارزمى الذى كان حاكما هناك ، وحملت جثته إلى خوارزم ، واعتقل كبار الأمراء الخوارزميين ، وأرسلهم أسرى إلى قلعة فرزين ، ثم جاء السلطان إلى همذان ، وكان خواجه معين فى الرى ، فهجم جماعة من الخوارزميين على نواحى جرجان وبسطام ودامغان ، فانضم خواجه معين إلى السلطان الذى أسرع وهاجم الخوارزميين ؛ وفى وادى « خوار الرى » حدثت حرب طاحنة[٢] فأسر خمسة وعشرون شخصا من أمراء خوارزم مثل « مياجق » و « صوتاش » و « محمد خان » وغيرهم ، وحدث قتل عظيم : وأرسل شاعر خوارزمى الرباعية الآتية إلى السلطان ، فأنعم عليه بمائة دينار .

[رباعية فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— يا من أمام أعزائك يبدو الخوارزمى ذليلا ،
ويا من صير خنجرك القاطع الخوارزمى حقيرا .
— ما كان يستطيع أن يرى فى المنام
هذا الخوارزمى الحقير أكثر مما رآه فى حملة سمنان ...!!

بعد ذلك أرسل السلطان تابعه « مخلص سعد »[٣] إلى « اينانج خاتون » ليحضرها من قلعة « سرجهان » إلى دار الملك همذان ، وخطبها واصطحب معه

---

(١) هو ابن علاء الدين تكش خوارزمشاه المذكور .

(٢) كان ذلك فى الرابع من المحرم سنة ٥٩٠ (ذيل أبى حامد) .

(٣) زب أنفذ السلطان من عنده عز الدين فرج الخادم فأقام عندها (أى عند اينانج خاتون) أياما إلى أن تجهزت بأحسن الجهاز ، وقصدت خدمة السلطان ... (ورقة ١٠٤ — ١) ويجوز أن « مخلص سعد » هو لقب عز الدين فرج هذا .

أموالا كثيرة وهدايا لاحصر لها. وقد زفت اينانج خاتون إلى السلطان [ص ٣٦٧] فى شهر رمضان[1] بدار الملك همذان ، وعاشت معه مدة فى السراى ، ثم أوهموا السلطان أنها سوف تعمل معه ما عملته مع «قزل ارسلان» فأمر السلطان بقتلها .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— هذا هو ما قرره الحاكم العادل ،
وهو أن تكون عاقبة الشرير وبالا عليه[2]
— وإذا كان المسىء فى قوة الأسد ،
فإنه لا ينبغى أن يتجرأ على الله[3]...!!
— وليس لأهل العالم سر مكتوم ،
فالأولى أن تفعل الخير فى الخفاء ... !!
— وحينما تكون هادئا نزيه الرأى ،
فإنك تجد نصيبك فى الدنيا والآخرة [4] ... !!
— ولكن إذا خلع الفلك الدوار سرجك وأوقعك ،
فالعاقبة أن يكون التراب فراشك ومرقدك[5] ...!!

وكان مجد الدين علاء الدولة ، قد عاشر فى غيبة السلطان مطربة من معشوقاته اسمها زليخا .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— إن الشخص الذى يسيطر على عقله ،
لا يسمح لنفسه أن تنقاد فى طريق الهوى .

فلما عاد السلطان اعتقله ، فأرسل إليه خمسمائة ألف دينار من الذهب

---

(١) يقول أبى حامد فى شهر رمضان سنة ٥٨٨ .
(٢) « شه » ص ١٦٩٠ س ١٤ .
(٣) « شه » ص ١٦٩٠ س ٢٣ .
(٤) « شه » ص ١٦٨٤ س ١٢ — ١٣ .
(٥) « شه » ص ٦٧ س ١٠ .

الأحمر ، منها مائة ألف نقداً ، وأربعمائة سبيكة مجدولة من الذهب قيمة كل منها ألف دينار ، ولكن السلطان بعث به أسيراً مع هذا الذهب إلى قلعة فرزين .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— هكذا قال العالم : إن الميت بكرامته
خير من الحىّ الذى ينال منه العدوُّ بغيته(١) ...!!
— فقابل عدوك بوجه عابس مقطّب ،
واجعل وجه مريد السوء ممتقعا(٢)
— والحلم هو رأس الإنسانية ، [ص ٣٦٨]
وحينما تغضب تلحقك الذلة(٣)...!!
— إذا كان سير الفلك سيئا ،
فاحذر ... حتى لا يزيده الزمان سوءا ...
— وإذا كان المَلكُ جبلا من نار ،
فإن الحياة لعابد النار أطيب وأجمل ...!!
— لأن النار تزيد احتراقا بالغضب ،
ولكنها حينما تكون هادئة تكون مضيئة ...!!
— ونصيبنا من الملك ، اللبن والعسل فى بعض الأحيان ،
وأحيانا يكون نصيبنا منه السم الزعاف(٤) ... !!

وقد ازدان وجه الأرض بنور عدل ذلك السلطان الذى كان ظل الله عزّ اسمه ، وأخذت الدنيا تعمر بفضل عظمته وهيبته وتعلّقه بتأليف القلوب ؛ وأخذت دولته فى العلو والازدياد ؛ وأخذ حظه فى النمو والاشتداد .

---

(١) « شه » ص ٣٥٢ س ١٧ .
(٢) « شه » ص ١٤٢٤ س ١٢ .
(٣) « شه » ص ١٤٢٧ س ١٢ .
(٤) « شه » ص ١٦٧٨ س ١٦ — ١٨ .

[أبيات فارسية فى الأصل[1] ، ترجمتها :]

— ما أبدعك من مُلك ... هو فى الحقيقة مُلك الحياة ،
وما أجملك من عهد ... هو فى الحقيقة عهد الشباب .
— وليس هناك ما هو أحسن من هذه الحياة ،
ولا يوجد عصر أبهج من أيام الشباب .
— فالملك هو طغرل وهو قائد الدنيا ،
وهو شاب كريم محبب إلى القلوب بصورة عجيبة ...!!
— ولم يكن فى الفترة التى بينه وبين آدم ،
شاب فى مثل سعادته فى العالم ...!!
— كان لا يشرب جرعة من الخمر دون غناء
وكانت أساريره لا تنبسط بغير مطرب .
— وكان « النقوط » الذى يعطيه للمغنى
لقاء لحن واحد ، لايقل عن كنز ثمين ...!!

وكان طغرل فخوراً بقوة ساعده ، وكان وزن دبوسه ثلاثين منًّا ، وكان يقضى بضربة واحدة منه على الفارس وجواده ، وكان يستخدم من الحمائل التى تحمل سيفه ، مايزن سبعة أمنان .

[بيت فارسى فى الأصل[2] ، ترجمته :]

— وكان سيفه كسحابة من حديد ،
وقد أسموه « مفتاح الأقاليم السبعة » .

وقد نفخوا له جلدا وألبسوه سبعة دروع ، فمزقه بضربة واحدة ، وكان فى كل وقت يتغنى بهذه الرباعية التى من نظمه :

---

(١) من مثنوى خسرو وشيرين (خمسه ، طبع طهران ص ٨١) .
(٢) نفس المصدر (خمسه ، طبع بمباى ص ٧) .

[رباعية فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— أنا لست فاكهة الغصن المربى فى الظل ، [ص ٣٦٩]
ولست غبارًا فى عين الشمس .
— ولا أعتبر نفسى رجلا إن لم أضع ،
قناع النساء على رأس خصومى الذين ليسوا رجالا مثلى ...!!

ومن أسف أنه لم يضع القناع على رأس خصومه ، ولكن خصومه علقوا رأسه اللطيف على المشنقة ، ونكسوا علم دولته . سلط الله — عز وجل — القهر والهلاك على أرواحهم النجسة . فقد شاع الدمار فى عهدهم الأغبر ، ولكن هؤلاء الذين قتلوه لم يمض عليهم العام إلا وانسلكوا فى عداد الأموات .

وفى الوقت الذى عاد فيه السلطان إلى همذان بعد القتال فى قزوين ، أنشد هذه الرباعية فى وصف حال القلعة وفتح العراق .

[رباعية فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— لا تَظُنّنّ أن شخصا قد عاونى ،
فقد فتح السيف واستيقظ الحظ .
— وكان من جملة الأتباع الذين أخلصوا لى فى الأطراف ،
« محمود أنا سوغ لى » و « دزمارى » ...!!

فأجاب على ذلك خال المؤلف مولانا الصدر الكبير « تاج الدين محمد على الراوندى » بهذه الرباعية وأرسلها إلى السلطان .

[رباعية فارسية فى الأصل ، ترجمتها]

— أيها الملك إذا كان الفلك قد غدر بك ،
فقد انحنى خضوعا لك وانتَحَبَ من أجلك .
— وهذا العمل لم يعمله محمود ولا دزمارى ،
وإنما كان الفضل لإقبالك والعون من لطف الله ...!!

فوقع ذلك الشعر من السلطان موقع الحمد ومحل الرضا . وقال بنطقه السامى : « إن الحقيقة هى ما قالها تاج الدين ، وقد اتضح لى أن الهزيمة والنصر والقهر والظفر إنما هى أمور ينبغى أن تلتمس من الله تعالى ، فالحمد لله والشكر له فقد ألقت عنقاء الدولة ظلها على رأسى وعادت إلىّ المملكة مرة أخرى ، فلاطفتها واتخذتها مسكنا »[١] .

[أبيات فارسية فى الأصل[٢] ، ترجمتها :]

— رأيت هذه المحنة السيئة فى المنام :
وهى أن صقرا طار من يدى ،
— وكان يطير قاصدا يد سنجر ،
ولكنه لم ير الجلوس هناك مكانا جديرا به .
— فجاء وجلس على طرف يدى ، [ص ٣٧٠]
وجرح طرف إصبعى بمنقاره .
— والآن فهمت تعبير تلك الرؤيا ،
فقد رأيت هذا الصقر نفسه صيدا لى ...!!

وفى شهر المحرم سنة تسعين وخمسمائة كان السلطان يتفقّد مملكته ، وخشى أن الخوارزميين يتجمعون بخوارزم ومازندران ، وأنهم ربما يقصدون الرى ، فأسرع وقاد الجيش إلى تلك المدينة .

وعند ما أخبروه أن خواجه « ممين الكاشى » أرسل رسالة إلى « سراج الدين قيماز » يخبره فيها أنه سيده ، أمر باعتقاله وأغار على أمواله ومملكته ، وقلد الصاحب الكبير « فخر الدين بن صفى الدين الورامينى » منصب الوزارة ،

---

(١) [المراجع : فى الأساطير الفارسية أن العنقاء إذا أصاب ظلها شخصا أصبح ملكا]

(٢) يبدو أن هذه الأشعار من نظم السلطان طغرل ومقصوده من ذكر سنجر : الملك « سنجر بن سليمان » الذى كان الأتابك قزل ارسلان قد نصبه على عرش السلطنة على أثر حبس السلطان طغرل .

فقبل يد السلطان محاطا بكل أسباب العظمة والجاه ، ولم يتمتع شخص بمنصب الوزارة منذ أيام نظام الملك ، مثلما تمتع هذا الوزير ، وأخذ السلطان عند ذلك ينشغل بالأنس والطرب بعد أن فرغ باله من القلاقل والفتن فى الأطراف .

وكان خوارزمشاه قد ورث كفران نعمة سيده من سلفه « أتسز » الذى عصى السلطان سنجر ، فأنشد هذين البيتين :

[بيتان فارسيان فى الأصل ، ترجمتهما :]

— إذا كان حصان الملك سريع العدو ،
فإن حصانى أيضا ليس أعرج . . !!
— أنت تجىء إلى هنا وأنا أذهب إلى هناك ،
فالعالم ليس ضيقا على مولاه . . . !!

وطوّح خوارزمشاه بحقوق الطاعة ، وحمل المظلة ، وخلع على نفسه لقب السلطنة ، وتوجه إلى العراق بناء على استدعاء أميرين أو ثلاثة[1] ، وكان السلطان فى ذلك الوقت — مغروراً بقوة ساعده ، ولكن أحدا من الأمراء لم يكن على اتفاق معه ، وكانوا جميعا يراسلون « قتلغ اينانج » والعظماء الذين فى خدمته ، ويقولون لهم : « متى تقابلنا على باب الرى سلمناكم السلطان ، وتكون هذه المسألة مفتاحا لباب همذان » .

[بيتان فارسيان فى الأصل[2] ، ترجمتهما :]

— عندما مشطوا شعر الليل المسكى الأسود ،
أضاءوا سراج النهار المشرق .
— واختفت الكعبتان البيضاوان ، تحت لوحة النرد الأبنوسية ،

وورد الخبر بوصول خوارزمشاه إلى سمنان ، فذهب السلطان [ص ٢٧١]

---

(١) كان « قتلغ اينانج » أحد هؤلاء (انظر ا ج ١٢ ، ص ٦٩ — ٧٠) .

(٢) من مثنوى خسرو وشيرين لنظامى (خمسه ، طبع طهران ص ٦٦) .

عند مشرق الشمس لزيارة الأئمة ، وفجأة أسرع « قتلغ اينانج » من رباط « قوطة سررود » فاضطرب الجيش وأخذ كل شخص ينشد :

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— ليت أمى لم تلدنى ،
ولم يتحول الفلك على هذا النحو عنى ..!!
— إذن لما كان لى تعب ولا حزن ولا ألم ،
ولما قاسيت غم القتل وهول المعركة .. !!
— ولو لم يلد العاقل أحدا ،
لما رأى مولودٌ فى الدنيا هذه المحن ...!!
— فالمولود يولد فيعيش محروما من نعمة البصر ومنى القلب ،
وينبغى له البكاء على حياته التعسة ...!!
— وخاتمة المرء أن تكون وسادته قالبا من الطوب .
فوا أسفا ... على قلبه ... وحياته ... ومذهبه[1] ... !!

وخرج السلطان من المدينة فى الرابع والعشرين من جمادى الآخرة[2] سنة تسعين وخمسمائة ، فباشر الحرب وأقام الميمنة والميسرة وتولى القلب . ثم حدثت الحملة الأولى بين الجانبين . وفى الحملة الثانية هجم بذاته المباركة وألقى بنفسه وسط المعركة .

مثل : « إذا جاء أجل البعير يحوم حول البير »

وتراجع الجيش فجأة عن السلطان ، وبقى وحيدا فى الوسط مع صاحب المظلة ، ولكنه لم يقبل التسليم ، وكانوا هم أيضاً حريصين على قتله لأنهم

(١) « شه » ص ٥٨٨ ، س ٦ — ٧ .

(٢) يقول « زنتـرو » ١١ ، ج ١٢ ص ٧٠ و « تنكت » وذيل أبى حامد ، كان خروج السلطان فى شهر ربيع الاول ، لا فى جمادى الآخرة .

تعبوا منه ، وتجرعوا على يديه أنواع الجن . فسقط فى أيديهم بسهولة لم تحدث لغيره من الفرسان ؛ إذ أوقعوه عن جواده واحتزوا رأسه دون مراعاة حرمة لسلطنته .

[أبيات فارسية فى الأصل[١] ، ترجمتها:]

— مادام الموت لم يستعمل معه المداراة ، [ص ٣٧٢]

كان من الواجب على السماء أن تتوقف ...!!

— وما دام الفلك قد وضعه تحت التراب ،

فإنه لاشك مقدودٌ من الحجر ...!!

— ومن الواجب على المشترى ،

أن يظل فى عراك مع زحل من أجل الانتقام له ...!!

— واللهو من بعده حرام ،

ويجب ألا يحتوى الكأس إلا النار والضرام ...!!

— والحرب من بعده حرام ،

ويجب أن تخجل بعارها السيوف والسهام ...!!

— ولكى أبكى أكثر مما فعلت بسبب حزنى عليه ،

كان يجب أن تكون لى أربع أعين ...!!

— وما دامت عينى غير مضيئة بنور طلعته ،

وجب أن تكون عين الشمس أيضا معتمة لفقده ...!!

— ولقد طال شعرى كالأفاعى على جسدى حزنا لفراقه ،

فلم يعد أحد يستطيع إهلاكى ..!!!

— ووجب أن يخلد ذكر كل شخص ،

له سيرةٌ مثل سيرته ...!!

وطلبا لثأر ذلك السلطان استمر المشترى فى حرب مع زحل ، واسود وجه

---

(١) من قصيدة عمادى شهريارى فى رثاء « فرامرز » ملك مازندران (ديوان عمادى نسخة المتحف البريطانى ، رقم ٢٩٨ ورقة ٥) .

المريخ فى مأتمه فأصبح كالقار ، وأهرقت الزُهرة دماء قلبها أمام عطارد ، حتى تسجل على وجه القمر مراثيها له[1] ، لأن نغمات الإقبال قد خفتت بسبب فراقه ، ولأن الدولة قد هزلت بسبب موته ؛ وأصبح لزاما على الجائرين الظالمين الذين قهروا ذلك السلطان العادل ، وغلبوا ذلك الملك الكامل ، أن يلتمسوا الأعذار ، وأن ينظروا إلى ما فعلوه بعين الاعتبار . فإن البقاء لله وحده ، وجميع العيون باستثناء عين الله ندية بالدموع بسبب النكبة فى موته .

[بيتان فارسيان فى الأصل ، ترجمتهما :]

— إن عمرك إلى ذهاب ، فاصنع الخير ،
فنى ذلك نفعك ، قبل أن ينقضى العمر ...!!
— وإذا ساء يومك ... فلا تفكر فى الغداة ،
فإن الغداة لن تسوء أكثر من اليوم ...!!

فوا أسفاه على ذلك الملك الفاضل ؛ ويا أسفا على ذلك السلطان العظيم الذى استمرت عين السحاب تبكى طوال الدهر على موته .

[أبيات فارسية فى الأصل[2] ، ترجمتها :]

— وا أسفا ... إنى أرى عالم المعنى خرابا يبابا ، [ص ٣٧٣]
وا أسفا ... إنى أرى قمر الكرم قد غاب فى السحاب ...!!
— وا أسفا ... إن شابا مثلك قد صار تحت الثرى ،
وكأنما هو الكنز أراه تحت التراب ...!!
— وبسبب موتك اشتعلت النار فى القلب الصلد ،
وتفجر الماء كما أرى من عين الصخر ...!!

---

(١) [المراجع : يصورون الزهرة بأنها تمثل الأنوثة التامة وأنها ترقص وتغنى على قيثارتها بالأناشيد المطربة] .

(٢) من قصيدة لجمال الدين عبد الرزاق الإصفهانى فى رثاء جمال الدين محمود الخجندى [ديوان جمال الدين رقم ٢٨٨٠ ، ورقة ٣٠١ (أ) — ٣٠٢ (أ)] .

— وبعد موتك تشتت شمل أهل الفضل وأصبحوا كالذرات ،
وأصبحت أراك كالشمس ، وأراها جميعا عالقة بك ...!!
— ولقد رأيت بإنسان عيني أن العيون مليئة بالدماء ،
وها أنذا أرى كأس الشراب تذكارا لوجهك ...!!
— وقد احمر قلب الصخر لما جرى عليه من دماء عيني ،
واحترقت الأكباد بتأوهاتي خلال الليل ...!!
— فلماذا يفرح عدوك بموتك ،
والحال أني أرى أن نهاية أعمار الناس جميعا على هذا المنوال .

ليت للزمن التافه واحدا في الألف من أمثاله ، حتى يستطيع الفاضل أن يهدأ إليه ، وحتى يستطيع العالم أن يهنأ به .

[مصراع فارسي في الأصل ، ترجمته :]
ماذا يمكن عمله حينما لا يكون في المقدور عمل شيء ...؟!

[أبيات فارسية في الأصل[1] ، ترجمتها :]
— ليس لي في هذه الحالة نطق أو لسان ،
وليس لي قلب للتفكير ولا طبع للبيان ...!!
— إذن فكيف أرثي ملكا ،
ليس كمثله أحد تحت فلك السماء ...!!
— فوا أسفا ... على لطفه وشمائله ،
ووا أسفا ... على سَرْوةٍ ليس لها مثيل في بستان ...!!
— وا أسفاه ... على ما كان له من رهبة ومهابة ،
فقد أضحى الدين بفقده عاجزاً ضعيفاً ...!!
— وا أسفاه ... على شخصه الذي لم يبق منه أثر ،
وا أسفاه ... على اسمه الذي لم يعد له علامة ...!!

---

(١) من شعر جمال الدين عبد الرزاق الإصفهاني في رثاء خواجه قوام الدين صدر جهان الإصفهاني الذي يقال إنه كان من أسرة الصاعديين في إصفهان (ديوان جمال الدين ، رقم ٢٨٨٠ ، ورقة ٢٩٥ (ب) — ٢٩٦ (ا) .

— أين ذهبت تلك الرجولة والشجاعة ،
وكأنما شاخ الفلك ولم يعد شابا ...!!
— وا أسفاه ... على مثل هذا الفارس المغوار ،
لم يستطع أحد أن يكبح جماحه ...!!
— لقد انقصم بفقده ظهر الدنيا ، [ص ٣٧٤]
عندما غاب الملك عن وجه الأرض ...!!
— وتعبت الرعية ، وحق لها أن تتعب ،
لأن القطيع قد تفرق بغير راعٍ يرعاه ...!!
— ولكن لماذا يزيد سرور الأعداء ،
ولا أمان لهم من مثل هذه الضربة ...!!
— فقل لهذا العدو : لاتغتر بدورة الأفلاك ،
فإن الدنيا لا تصادق أحداً ...!
— وليس فى الفلك يوم من الأيام ،
لايترصّد لك فيه وقد أعد السهم فى قوسه ...!!
— ولن يدور الفلك وفقا لرغبة أحد من الناس ،
لأن عنانه ليس فى يد أحد منهم ...!!
— فما الحيلة سوى الرضا بالتقدير ،
لأنه ليست هناك قدرة تحول دون قضاء السماء ...!!

إن الأرامل لا يبكين على أزواجهن إلى هذا الحد الذى بكته الدنيا على هذا السلطان .

[أبيات فارسية فى الأصل[1] ، ترجمتها .]

— بسبب موتك أصبحت كل القلوب جريحة ،
وبدونك لا أرى فى الحياة راحة ...!!

---

(١) هذه الأبيات من قصيدة جمال الدين عبد الرزاق التى تبلغ ٤٧ بيتا نظمها فى رثاء صدر جهان قوام الدين الإصفهانى السابق ذكره (ديوان جمال الدين ، رقم ٢٨٨٠ ورقة ٢٩٤ (أ) — ٢٩٥ (ب) .

— وإذا كان الموت يقبل الفداء فنحن نفتدى ...!!
كل شعرة على جسدك بمائة روح لطيفة ...!!
— ولكى يلد الزمان إنسانا مثلك ،
ما أكثر ما يمر من الشهور والسنين ...!!
— فوا أسفا وواحسرتاه ... لأنك رقدت تحت الثرى ،
ولم نستطع أن نفعل إلا أن نرثيك بجملة أبيات ...!!
— وإنى أقصر القول ، فإن وفاة شخص مثلك .
أعظم من أن تجعل أحدا يستطيع رثاءك ...!!

استيلاء خوارزمشاه على مملكة العراق

وذكر ما اقترفه من مظالم [ص ٣٧٥]

وشرح غاراته وجيشه

فى الرابع من شهر رجب سنة تسعين وخمسمائة وصل خوارزمشاه مع العراقيين إلى دار الملك همذان ، وجلس على العرش ؛ وقد عامل العراقيين بالتحقير والذلة ، وجرّدهم من أسلحتهم واستولى على أموال العراق ، ولم يترك فيها أثراً للعمران ، وأخذ جيشه كل ما استطاع أن يأخذه من القرى . ثم أمر السلطان ببناء جوسق بين « دزج » و « قاسمآباد » فتم ذلك فى مدة شهر ؛ وسار الأمراء على منواله فشيدوا الجواسق ، وأقام كل منهم جوسقا لنفسه . وجلس السلطان فى جوسقه ، واستقبل الناس فى بلاطه ، محوطا بأنواع العظمة والأبهة،وأنعم على أئمة همذان بالجبب والعمائم، وقسم أرزاق العراق ، فأعطى«قتلغ اينانج » حكومة إصفهان ، وأعطى « قراقز الأتابكى » إيالة همذان وأعطى الملك « يونس خان » إقليم الرى .

وحينما عاد خوارزمشاه إلى خوارزم أراد السيد ملك الأمراء « ألغ بار بك اى ابه » — عز نصره — أن يستولى على قلعة فَرّزين ، فأمر قراقز بأن يعلن عصيانه ليونس خان ، وهجم هو بذاته المباركة على رأس القلعة .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— الشجاعة تكون بالحذر واليقظة ،
والشجاع يكون موضعا للمدح والثناء ....!!

— والتواكل منبعث من التشاؤم ،

والتشاؤم والتواكل صنوان[1] ...!!
— ولا مجال أبداً للرأى مع مريد السوء ،
وإذا قبلتَ نصحى فِسلْ إلى عمل الخير .
— وسيمرّ بنا دائما الخير والشر ،
وهذه هى الحقيقة يعرفها كل من له عقل ...!!

وفى الحال أسرع سكان القلعة ، وأنزلوا « شمس الدين مبارك » منها وسلموها فوراً إلى ألغ باربك ، فما كان من ذلك الملك الرحيم إلا أن أمن « شمس الدين مبارك » حتى عاد إلى خوارزم ، ولكنه حرض خوارزمشاه متى وصل إلى همذان ، أن يمر بقلعة فرّزين ، ويستولى عليها . فلما جاء خوارزمشاه تعذر عليه تحقيق هذا المراد ، وارتد عن هذه القلعة عاجزاً ، ولم يستطع الاستيلاء عليها . [ص ٣٧٦]

وقد عمّر ملك الأمراء « جمال الدين اى ابه » هذه القلعة ، وزاد فى استحكاماتها ، وأبقاها فى حوزته ، واتخذها مقرا له ولعياله وماله وأبنائه — أبقاها الله كذلك حتى يوم القيامة .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— ليس هناك شىء أعز من دم القلب ،
والعاقل من يجعل القلب والولد فى منزلة واحدة[2] ،
— وقد قال أسد هصور لولده الصغير ،
إذا لم يكن ولدنا شجاعا جسورا ،
— فإننا نقطع عنه الحب والصلة الطاهرة ،
ويكون أبوه هو ماء البحر .. وأمه هى التراب ...!!

---

(١) « شه » ص ١٤٢٩ س ٩ ، ١١ .
(٢) « شه » ص ١٦٩٨ س ١٧ .

— فالأب يكون مسرور القلب بابنه ،
وبه يتحرر قلبه من الغموم ...!!
— إذا كان الابن محبا لوالده ،
وكان ميالا للخير والعدل[١] ...!!
— وكان طاهر الملبس طاهر الغذاء ،
ويعمل وفقا لنصائح والده ،
— فزَيِّـنْ مأكلك وامنح أكثره ،
ولا تجعل يومك يقصر عن طلاب قلبك[٢] ...!!
— واطلب الرزق ... وأدركه ... والبس ... وكل ،
فهذا هو جل نصيبك من هذا المعبر[٣] ،
— فإن الذى أعطاك ، سوف يعطى ولدك ،
وستنمو الشجرة التى نبتت من أصلك ...!!
— ولا نقص فى عطاء الله العادل ،
فتمتّع كثيرا ، ولا تتألم ولا تحزن[٤] ...!!

واختار « قتلغ اينانج » وجيش العراق يوما مسعودا وطالعا ميمونا ، وسار الجيش وفق هذا الاختيار ، وقصدوا دار الملك ، وأظهروا مافى طبيعتهم من العصيان . فتوجه إليهم من الرى «يونس خان» بن خوارزمشاه فى استعداد تام ، وعدة كاملة وحشم منظم . ولما تقدم العراقيون وتوجهوا إلى بغداد ، تبعهم « يونس خان » ، وقابلهم بين قريتى « محمّدِى » و « سامين »[٥] ، فاستعدوا للمعركة ، واشتركوا فى القتال فى شهور سنة إحدى وتسعين وخمسمائة ، فترك

(١) « شه » ص ١٧٨٤ س ٢٧ — ٢٨ .
(٢) « شه » ص ٥٤٦ س ٢٧ .
(٣) « شه » ص ٥٠٧ س ٤٠ .
(٤) « شه » ص ٥٤٧ س ٣ ، ٤ .
(٥) قريتان بالقرب من العراق .

العراقيون عتادهم على الفور ، وفروا إلى طريق بغداد . وبهذا انتصر [ص٣٧٧] الخوارزميون . ولكن قليلا من غلمان العراق من الفرسان وقفوا يحاربون الخوارزميين واحدا واحدا أو اثنين اثنين ، وسلكوا طريق الظلم والتخريب ، فكانوا كلما نزلوا بقرية من القرى ، استولوا على ما بها من دواب ، وتركوا الفلاحين يسيرون من ورائهم فى حسرة وحزن ، وهم يذبحون أبقارهم ، ويشوون لحومها أمام أعينهم ، دون أن ينالهم مما يفعلون إلا الألم والأسى ، ونهبوا بهذه الطريقة جميع الأموال والمتاع والدواب من ولاية العراق ، ولم يستثنوا حتى الديك الصائح الذى هو أدنى دلالة على العمران ، وتركوها دفعة واحدة خرابا يبابا .

[أبيات فارسية فى الأصل(1) ، ترجمتها :]

— كل ملك يكون ظالما ،
سرعان ما تتطهر منه الدنيا جميعها ...!!
— وتحلّ عليه اللعنة بعد موته ،
ويكون اسمه الملك الذى لادين له ...!!
— وكل ملك يسلك طريق السوء ،
يجب أن تنفُض عنه يدك ، وتقطع الأمل فى صلاحه ...!!
— وسرعان ما ينفضّ الرعايا عن إقليمه ،
وسرعان ما ينفضّ المخلصون عن بابه ..!!

وانضم العراقيون إلى ملك « الايوه » وجلسوا فى حضرته ، وتشاوروا فى الأمر ، واتفقوا على أن يذهب إلى دار الخلافة الأمير الحاجب الكبير « شمس الدين محمد بن محمود الكنجوى » ، وفى معيته عدة أشخاص من أعيان العراق وعظمائهم . فلما فعلوا ذلك تعاهدوا مع وزير الخليفة

(1) « شه » ص ١٤٥٦ س ٦ — ٧ ، ٩ — ١٠ .

« مؤيد الدين »[1] ، وساروا جميعاً على رأس خمسة آلاف جندى إلى دار الملك همذان[2] . فأغاروا على ما بقى من العراق ، ثم أعدوا أسباب الحرب من جديد ، وقصدوا الرى فلم يواجههم يونس خان ، وإنما ذهب إلى جرجان حيث عرض الأمر على والده . وقد اختلف العراقيون عند ذلك مع « مؤيد الدين » وزير الخليفة وعصوه ، وحاصروا مدينة الرى ، ودارت رحى الحرب[3] .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— أين يُوجد ملكٌ يجنح للسلم ولا يحارب ،
حتى ولو كان سطح الأرض فسيحا متسعا لفتوحاته ...؟!

— وإذا اعتدى فيلٌ ضخم على بعوضة صغيرة ،
فإن الفساد يتطرق إلى دعائم العدل والدين[4] ...!!

— وأعز جوهرة رأيتها بين الجواهر ،
هى الرضا بأفعال الزمان ...!!

— فإذا حققت رغبة القلب فى هذه الدنيا ، [ص ٢٧٨]
وصلت إلى الهدف الذى أسرعت إليه[5] ...!!

— فلا تجعلْ الحرص يسيطر على عقلك ،
فإن العارف لا يسميك زاهدا عفيفاً[6] !!

وفتح الروافض وعلى رأسهم عز الدين النقيب — بوابات محلاتهم ، فاستطاع جيش بغداد الدخول فى مدينة الرى ، وقتلوا معظم جنودها ، وأغاروا على الغرباء وأهل المدينة[7] ، واشتدوا فى طغيانهم بما لم يسبق له مثيل فى بلاد الإسلام ؛ فلم يبقوا على شىء من أرواح المسلمين أو أموالهم .

---

(١) نرى هذا الاسم فى ابن الأثير « مؤيد الدين بن القصاب » (ج ١٢ ص ٧٢) .
(٢) « ا ا » فى شوال سنة ٥٩١ . (٣) « ا ا » ج ١٢ ص ٧٢ — ٧٣ .
(٤) « شه » ص ٢٢٨ س ١ ، ٢٣ .
(٥) « شه » ص ١٧٩٣ س ٤ . (٦) « شه » ص ١٨٥٦ س ٤ .
(٧) « ا ا » فى حوادث سنة ٥٩١ ، (ج ١٢ ص ٧٣) .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— أدعو الله ... أن لا يصدر عن الملك ظلم ،
فإن الزمان بظلمه يصبح خرابا يبابا ...!!
— وإذا صار الملك المسيطر على العالم ظالما ،
وجب ألا يضىء الشمس والقمر[١]...!!
— وكفاك طلابا أن تبحث عن الخير والعدل ،
فإن الدنيا لا تدوم لأحد[٢].
— ولن يقدر لشخص أن يبقى إلى الأبد ،
فكفاك زاداً أن تكون صادقا مستقيما[٣].

وفر « قتلغ اينانج » وكبار أمراء العراق ، ووصلوا إلى أبواب مدينة « آبه » ؛ وكان عليها شحنة اسمه « خلجى قشطة » فتصدّى لهم ومعه جماعة من الأكراد ، وخُشِيَ أن يتمكنوا من قتل جميع أمراء العراق ؛ لأن كل واحد منهم كان يختفى فى ركن من الأركان مع اثنين أو ثلاثة من خاصته . وقد أصيب فى هذه المعركة « سراج الدين قيماز » و « نور الدين قرا » وقتلا ، ونجا الآخرون .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— إذا اختارت روحك طريق الطمع ،
فإن هذا الطريق يكون شاقا طويلا عليك ويصير دون جدوى[٤].
— وستندم وتأسف كثيرا لأن السكران ،
يضع كلتا يديه ليلا فى النار . .!!
— وسواء أكان لنا المال والعرش أم كنا فى عناء شديد ،
فى النهاية يجب أن نحزم الرحال ونذهب مكرهين ..!!

---

(١) « شبه » ص ١٠١٥ س ٢١ .
(٢) « شبه » ص ١٤٥٨ س ٢٤ .
(٣) « شبه » ص ١٥٩٥ س ٤
(٤) « شبه » ص ١٠٧٥ أ س ١١ .

— ولا يثبت هذا ولا ذاك في دورة الزمان ،
ويفنى كل خير وشر بغير جدال[1]...!!
— فهذه هي دار الفناء والزوال ،
ولا يستطيع من فيها أن يبقى في أمان وسرور .
— وإذا مضيت عن هذه الدنيا الزائلة ، [ص ٣٧٩]
فلابد أن يتولاها صاحب آخر .

ثم قصد « قتلغ اينانج » و « جمال الدين اى ابه » إلى همذان ، واستعدا للقتال من جديد . وقد زار ملك الأمراء « جمال الدين اى ابه » — عز نصره — المدرسة التي كان قد شيدها في همذان في محلة « سابقآباذ » ، (وكان خال مؤلف هذا الكتاب « تاج الدين » مدرسا فيها) فتبرك برؤية العلماء والأدباء .

ومما يروى عن هذا السلطان ، وما اشتهر عنه من حسن العقيدة وطيب السيرة ، أنه عند ما وصل إلى دار الملك همذان ، وبالرغم من أن العلماء أسرعوا لاستقباله ، فإنه لم يكد يستريح قليلا ، حتى أسرع بالذهاب لرؤيتهم ، وجلس أمامهم في خشوع ملتزما قواعد الأدب ، يستمع إلى كلام الله ورسوله في تضرع وخشية . وقد حدث أنه أخذ فألا من القرآن فخرجت له هذه الآية الكريمة : « فَقُلْ الحَمْدُ لله الذى نَجَّانَا من القَوْمِ الظَّالِمِين ، وقُلْ ربِّ أَنزِلْنِي مُنزلاً مُبَارَكاً وأَنتَ خيرُ المُنْزِلين »[2] .

فلما استمع إلى معناها ، توجه فوراً إلى « قتلغ اينانج » وأطلعه على فأله ، وقال له : « إن منزلى المبارك سيكون في قزوين والكرج . سأذهب إلى هناك » ثم سافر في اليوم نفسه . وعلى أثر ذلك وصل خبر ينبىء بأن « مؤيد الدين »

(١) « شه » ص ٣٠٧ ، ت ٢٣ — ٢٤ .
(٢) قرآن كريم ، سورة « المؤمنون » ، آية ٢٨ — ٢٩ .

فى طريقه إلى همذان ، فانتقل « قتلغ اينانج » وعسكره أيضاً إلى الكرج ، وكان « سيف الدين تكز » غلام « جمال الدين اى ابه » يحافظ على « دربند كرج » . فلما تبعهم مؤيد الدين ووصل إلى هناك ، ترك قتلغ اينانج وصحبه عددهم ، واتخذوا طريق الرى . وقد وزع مؤيد الدين الأسلحة على السادة والقضاة والندماء وقال لهم : « كل شخص يريد أن يكون إنسانا ، يجب عليه أن يقدم على قهر خصمه ، وأن لا يضنّ بروحه إذا ضاقت الأمور وتأزمت » ، وكان ينشد هذا البيت[1] :

[بيت عربى فى الأصل]

تَأَخَّرْتُ عن سَبْقِ الحَياةِ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حياةً غير أَنْ أَتَقَدَّمَا

وقصد قتلغ اينانج الرى ، ولم يوافقه جمال الدين على رأيه وذهب إلى القلعة محاولا أن يثنيه عن عزمه قائلا له : « إن هذه الآونة هى وقت النكبة ، ولا يجدى فيها الاضطراب ، ويجب أن تلجأ إلى مكان منعزل حتى تمر أيام البؤس والنحس » . كان هذا هو رأى جمال الدين ولكن قتلغ لم يمتثل لرأيه وذهب إلى الرى . [ص ٣٨٠]

[أبيات فارسية فى الأصل(٢) ، ترجمتها :]

— وَضُح أن الرأى هو مفتاح الفتح ،
والرأى الحديدى مفتاحه ذهبى .. !!
— والرأى القوى خير من مائة سَيَّاف ،
كما أن القلنسوة الملكية أحسن من مائة قالب .
— وإنك تستطيع برأى سديد أن تقصم ظهر جيش برمته ،
ولكنك بالسيف تقتل فقط واحدا أو عشرة من جملته ...!!

---

(١) لحصين بن الحمام المرى من شعراء الحماسة (كتاب الحماسة ، طبع فريتاخ ص ٩٣) .
(٢) من مثنوى خسرو وشيرين لنظامى (خمسه ، طبع طهران ص ٨٤) .

فلما وصل « قتلغ اينانج » إلى الرى استولى على مائة وستين ألف دينار من مخلفات سراج الدين قيماز ، ثم أخذ يهيىء العدّة والعتاد طمعاً فى الملك الذى لم يكن من نصيبه .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— قلب الرجل الطامع يكون مملوءا بالألم ،
فبقدر ما تستطيع ... لا تحُمْ حولَ الطمع(١) . !!

— ومن زادت مطامعه ... زاد عناؤه ،
فجُدْ ... واجتهد ... والبس وحذارِ من الطمع(٢)

— ولا يتجه نظر العاقل إلى شىء ،
يعجز عنه ، فيتلوى من الغضب لحرمانه منه . .!!

— ولا تضمر فى قلبك سوءا ،
لأن الذى يضمر السوء تكون أيامه سيئة كذلك ..!!

وكان محمد خان ومياجق وعدة أشخاص من الخوارزميين فى سمنان ودامغان ، فطلبوا من « قتلغ اينانج » أن ينضموا إليه ، وقطعوا على أنفسهم العهود والمواثيق أن يخلصوا له ، ثم جاءوا وأكدوا له أنهم معه قلب واحد ، وأنهم يخشون خوارزمشاه ، وأظهروا له الصداقة والمودة ، وحفظوا ألسنتهم خشية أن يشك فى نيتهم .

مثل : « قَوِّمْ لسانَكَ تَسْلَمْ ، وقَدِّم إحسانَكَ تَغْنَمْ »(٣) .

[بيتان فارسيان فى الأصل(٤) ؛ ترجمتهما :]

— لا تطلب الصداقة من العدو ،
حتى ولو أظهر لك التودد ، ودعاكَ ملكا .

---

(١) « شه » ص ١٤٥٨ س ١٣ . (٢) « شه » ص ١٤١٨ س ٥ .

(٣) « فق » ورقة ١٢ — ١ . (٤) « شه » ص ١٤٢٣ س ١٤ — ١٥ .

— فالشجرة تكون خضراء ولكن ثمرها يكون مرا ،
فإذا قربت منها ، تساقط عليك ثمرها .

وقد دبرت ابنة السلطان طغرل وزوجة يونس خان ، هذه المكيدة لهم ، لكى تنتقم لأبيها من قتلغ اينانج . وتشاور الخوارزميون مع قتلغ اينانج ، وأفهموه أنه يجب أن يرسل طليعة جيشه إلى ساوه . ثم خرج منهم على اينانج [ص ٣٨١] جماعة من الفرسان المحاربين وذبحوه ذبح الشاة . وقد اشترى « فخر الدين مَرْوَرْ »[1] رأسه وجثته وأرسلهما إلى همذان ودفنهما بقبر أبيه .

[بيتان فارسيان فى الأصل ، ترجمتهما :]

— إذا مضى علىّ زمان فى الحرب ،
فبغير شك أننى أفضّل ألاّ أموت فى حَفْل !
— ووا أسفا على رسوم العدل وقوانين الإنصاف ،
فإن الموت يُقبل ويسلم الجميع للفناء ...!!

ودفن « قتلغ اينانج » فى شهر جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ، وبقى مجد الدين علاء الدولة فى أسر مياجق محبوساً فى الرى .

وفى يوم الاثنين الثانى عشر من شهر جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ، نزل مؤيد الدين فى عظمة تامة — قصر خوارزمشاه فى همذان ، وعين « عماد الدين طغلو » واليا عليها . ثم ذهب « سنقر الطويل »[2] مع ألفى رجل إلى إصفهان . وكان قد داخل « صدر الدين الخجندى »[3] عظمة وغرور بسبب تأييد دار الخلافة له ، فاستولى على اصفهان ، ولكن سنقر الطويل قتله[4] .

---

(١) يعنى فخر الدين خسرو شاه رئيس همذان ابن علاء الدولة .
(٢) « ا ا » فلك الدين سنقر الطويل شحنة إصفهان .
(٣) هو صدر الدين محمود بن عبد اللطيف بن محمد بن ثابت الخجندى رئيس الشافعية بإصفهان ، وكان قبل ذلك ناظر المدرسة النظامية ببغداد « ا ا » .
(٤) « ا ا » فى نهاية حوادث سنة ٥٩٢ (ج ١٢ ص ٨١) .

وعند ما كان مؤيد الدين فى قصر خوارزمشاه ، لفت نظره ألقاب خوارزمشاه ، وكان من بينها لقب « كهف الثقلين » ، فلم يعجبه هذا اللقب وقال : « من يكون هو حتى يكتب هذا ...؟! » ، وأمر بإزالة هاتين الكلمتين فوراً من كل مكان وُجدتا فيه . فتعجب الناس من هذا التصرف ، وكان مؤيد الدين قد أقبل من الرى مريضاً وطالت عليه العلة إلى أن توفى خارج همذان فى غرة شعبان سنة ٥٩٢ هـ . فكان موته راحة وطمأنينة للمسلمين ؛ إذ أن أهل العراق كانوا يئنون من القوانين الجائرة التى فرضها فى خوزستان ، كما أن المزارعين لم يكونوا آمنين على أملاكهم إذ كان يطلب منهم الصكوك ويقول لهم : « إن الأرض ملك لأمير المؤمنين وليس لأحد أن يدعى ملكيتها » [ص ٣٨٢] فلما قضى عليه عزرائيل بضربته القاصمة ، فاستراح الناس منه ، ورتلوا قوله تعالى : « وكفى الله المؤمنين القتال »(١) .

لقد استولى مؤيد الدين على أموال المصالح وأحلّها لنفسه ، وكان وضيع الهمة طامعاً فى أموال اليتامى والأيامى ، ولم يقنع بملك العالم ، بل سعى إلى اغتصاب أموال الأيتام وضياعهم .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— فى كل عمل لا تأمر إلا بالعدل ،
فروحك لن تسعد إلا بالعدل ...!!
— وإذا صار مرءوسك صاحب كنز ،
فعليك أن تبتهج له بسبب ذلك الكنز(٢)
— وإذا قدرت على عمل سوء فى وقت من الأوقات ،
فاخشَ الله ... ولا تسىء إلى أحد ...!!

(١) قرآن كريم ، سورة الأحزاب ، آية ٢٥ .
(٢) « شه » ص ١٧٦٥ س ٥ ، ٧ .

— فإن كثيرا من أمثالك يظفرون بالتاج والزنّار ،
ولكنهما لايستقران على كل شخص[١] ...!!
— وكل من ينقش اسمه ويدقه عاليا فى الدنيا ،
لايذهب منها حزينا إبان مفارقته إياها[٢]...!!

وهكذا ضعفت قواعد تلك المملكة ، وتطرق الخلل إلى أوساطها وأذنابها وحواشيها ؛ لأن دعائمها لم تكن قوية محكمة من حيث إفاضة العدل وثبات العزم ونفاذ الحزم . وقد دفنوا أس تلك الفتنة ليلا فى « بوابة شوّرين » وأخفوا قبره .

فلما علم مياجق بهذه الحال ، أسرع بدابته وأخبر خوارزمشاه ليعجل بإرسال ألفين أو ثلاثة آلاف فارس إلى الرى ، ثم ذهب إلى همذان . وقد أخفى جيش بغداد خبر وفاة مؤيد الدين ، وأصروا على القتال .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]
— مهما يكن صوتك ناعما ، فإن النهار يفضح سرك أيضا[٣] ...!!

ولم يتحرك جيش بغداد من سراى خوارزمشاه ، وتراجع مياجق حتى يتقدم الجيش فى إثره ، ثم عاد وقاتل قتالا شديدا ، فحلت به الهزيمة عدة مرات ، واستولى جيش « ايوه » على الأمتعة والذخائر من الجانبين ثم رحل ، فضعف البغداديون وانتصر مياجق ، ووصلت أنباء هزيمة البغداديين إلى دينور، [ص٣٨٣] وكان مياجق فى ساوه وقد نهبت أموال العوام والفلاحين والأكراد . وفجأة نزل مياجق إلى سراى خوارزمشاه ، وأخرج جثة مؤيد الدين من القبر ، وقطع رأسه وأرسله إلى خوارزمشاه[٤] ، وحضر أمير من الأمراء إلى المدينة

---

(١) « شه » ص ٢٠٢ س ٢٥ — ٢٦ .
(٢) « شه » ص ٢٤٣ س٢٢ .
(٣) « شه » ص ١٦٨٤ س ١١ . (٤) « ا » ج ١٢ ص ٧٣ .

ليستطلع الأخبار من ركن الدين حافظ ، فادعى العوام أنه جاء للقبض عليه وقتلوا رؤساء فرسانه فهرب الأمير ، وانضم إلى مياجق .

[أبيات فارسية فى الأصل[1] ، ترجمتها :]

— انظر وتأمل الأمور حتى لايضعف قلبك ،
فإن الفلك الأعلى ما زال ولا يزال يدور على هذا المنوال ...!!

— فالزمان قد يجعل واحدا فى حرب وخصام ،
ويجعل الآخر مسرورا بتاج الملك والسلطان ...!!

— وجسد الميت شبيه بجسد القتيل ،
يخفق زمانا ثم يهدأ ويسكن ...!!

— والحياة كلها لاتساوى شيئا عند الموت ،
وهى شجرة ، أوراقها وثمارها سُم ...!!

ثم أرسل مياجق الرسل إلى المدينة وقال : « لا تعصوا السلطان ، واحذروا أن يحرق المدينة والولاية » . فردّ عليه الناس قائلين :« ما دمنا لانرى السلطان ، فلن نسمح لك بدخول المدينة » ، فما كان من مياجق إلا أن حاصر المدينة ، وأخذ الناس فى قتاله ، وأغار على حيوانات القرويين ونهبها جميعها ؛ وأطلع خوارزمشاه على حقيقة الموقف ، فوصل فى ثلاثة أيام إلى مشارف همذان ونزل فى قصره . واستقبل الناس فى يوم الاثنين الموافق ١٩ من شعبان سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ، وأرسل الرسل إلى همذان وقال لسكانها : « إذا لم تصدقوا أنى وصلت ، فأرسلوا رسلكم إلىّ حتى يرونى ويسلمونى المدينة ، وإلا فسوف أستولى عليها بالقوة وأزيل جميع معالمها ولا أستثنى حتى ترابها » .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— حينما يهيج البحر بالأمواج المتلاطمة ،
فإنه يرغى ويزبد فى غير حياء[2] ...!!

(١) « شه » ص ١٨٩ س ٤ — ٦ . (٢) « شه » ص ٣٣٧ س ٢٣ .

— والقمر يستمر فى الإنارة ،
مادامت الشمس المضيئة مختفية[1] ...!!
— وتختنق رأس الظلمة ،
حينما ترتفع أشعة الشمس فى السماء ...!!

ولم يجرؤ شخص على الخروج من المدينة . وأخيراً تقدم شاب [س ٣٨٤] ذو علم ودهاء ، وفضل وذكاء ، من أبناء العظماء والرؤساء ، هو « عماد الدين عكرمة» رئيس قصر[2] «حسام الدين تزمش»[3] وقال: « سأخرج بنفسى لأعرف حقيقة الأحوال » . ثم ذهب وأحضر ابن صالح ومعه فرمان السلطان فلم يصدقه الناس ، وقصد العوام قتله لأنه بتصرفه هذا يضع نساء المسلمين وأموالهم فى يد مياجق ، فصعد ركن الدين حافظ المنبر ، وأقسم أن خوارزمشاه فى القصر ، وتوجّه إلى المعسكر السلطانى ابن علم الدين خطيب همذان ، وأخو مؤلف هذا الكتاب ، وعدة أفراد آخرين من أتباع السلطان ، وابن القاضى وجيه ، وصلاح المُعَرِّف ، وصدر الدين الكرمانى ، وقبلوا يد خوارزمشاه ؛ فعرف صدر الدين الكرمانى وقال له : « الحمد لله لأنك قد رأيتنى حيا » . فقدم له صدر الدين الخضوع ، واعتذر نيابة عن الناس ، وأطلق لسانه بالثناء وقال : « إن سكان المدينة كانوا يظنون أن مياجق عاص » ، فسر خوارزمشاه ورضى عنهم .

وقال « إننا نحترم الأئمة أكثر من العراقيين » . ثم نادى قائلا : « ليس لشخص أن يتدخل فى أمر غيره ، وإذا ارتكب شخص من جندنا عملا غير لائق ، فإننا نأمر بقتله » . فاستبشر الناس وفرحوا .

وقد أطلق خوارزمشاه سراح الأسرى الذين كانوا قد أسروهم فى بغداد ،

---

(١) شه س ٨٣٢ س ٦ .
(٢) [المراجع : الكلمة الفارسية المستعملة هى « كدخدا »] .
(٣) من أمراء العراق .

وأنعم عليهم وقال لهم : « إننى أيضاً عبدٌ لأمير المؤمنين ، فإذا أردتم أن تقيموا هنا فلتبقوا ، و إلا فلتذهبوا » .

وكان جمال الدين على ابن أخى الأمير الحاجب ، قد ارتكب فى الولاية ظلماً وطغيانا أكثر من الحد ، فأمر بربطه إلى شجرة ، وجلده مائة جلدة ، وأجبره على رد ما سلبه من الغلات .

وكان جمال الدين هذا شخصا متغيراً متلونا ، ولكنه كان أينما حل ، يظهر غاية الكفاية ويعتنى بعمله كل العناية ، ومع هذا كان مجلبة للضرر والأذى .

[أبيات فارسية فى الأصل(١) ، ترجمتها :]

— هكذا قال أحد العلماء المنصفين المشفقين ،
إن تصرفات الفلك كلها عجيبة ...!!
— فنحن نرى رجلا مقتدرا ذا نفوذ ،
قد وصل تاجه إلى السماء حيث السحاب الأسود ...!!
— وهو مع هذا لا يعرف يده اليسرى من اليمنى ،
ولا يعرف العطاء الكثير من القليل ...!!
— ونرى آخر يعرف دورة السماء العليا ،
وعدد ما بها من نجوم وكواكب ...!!
— ومع ذلك يقوده الفلك بعنف وشدة ،
وكل قسمته منه ، هو سوء الحظ والنكد ...!!

وأمر خوارزمشاه أن يقتل كل عراقى يلبس قلنسوة خوارزمى؛ لأن [س ٢٨٥] المراقبين يأتون بدعوى أنهم خوارزميون ثم يغيرون على البلدة ، وكان خوارزمشاه على حق فيما أمر ، ولكن أحداً لم يستمع إليه .

(١) « شه » ص ١٧١٨ س ٢٢ — ٢٦ .

وعند ما كان خوارزمشاه فى همذان ، قدم إليه «مجير الدين البغدادى »[١] برسالة من دار الخلافة ، فألقى خوارزمشاه عدة أثواب من قماش الأطلس تحت قدم جواده ، كما نثر أمامه طبقا من الذهب ، واحترمه احتراماً كبيراً ، وقام تعظيما له . وحينما قال مجير الدين : « إن أمـــير المؤمنين يسلم عليك » ، قام خوارزمشاه ، وأظهر الخضوع ، وأبدى شرائط التعظيم والتبجيل . ثم أبلغه مجير الدين رسالة أمير المؤمنين التى يقول فيها : « إن ملك أبيك وجدك كان منحة منا ، ونحن الآن نسلمه إليك . فاقنع به كما كان فيما سبق ، ولا تطمع فى أكثر منه ، وإلا فـأ كتب إلى الأمصار أنك خارج علىّ فينهض الناس فى سائر البلاد لغزوك ، وتراق الدماء » . فأجاب خوارزمشاه : « الحكم لأمير المؤمنين ، وما أنا إلا شحنة من قِبَلِه ، ولـكن أعدائى كثيرون ، ولا أستطيع أن أبقى دون جيش . وقد عرض صاحب الديوان أن مائة وسبعين ألف فارس من أتباعنا لا يقوون على العمل باليسير من الخبز ، فليتعطف الخليفة علىّ ويمنحنى ولاية خوزستان حتى يكون فى ذلك كفاية لأتباعنا ... » .

فلما انصرف « مجير الدين » رحل عن الدنيا فى اليوم التالى ، وكان معه رجل فصيح اللسان وهو « شهاب الخوارزمى »[٢] فأرسله خوارزمشاه إلى الخليفة .

مثل : « من أعان ظالما سَلَّطَه اللهُ عليه » .

[أبيات فارسية فى الأصل[٣] ، ترجمتها :]

— ألم تسمع من أحد العلماء هذا المثل ،

الذى أورده من حديث القدماء ...!!

---

(١) هو مجير الدين أبو القاسم محمود بن المبارك البغدادى الفقيه الشافعي مدرس بالمدرسة النظامية ببغداد [« ا ا » ج ١٢ س ٨١] .

(٢) يقال إن المقصود بشهاب الخوارزمى هو شهاب الدين مسعود الخوارزمى حاجب خوارزمشاه . (انظر تاريخ جهانكشاى الجوينى ، ج ٢ ص ٥٤).

(٣) « شه » ص ١٢٢٢ س ٩ — ١١ .

— قال : لو تربى على لبن صدرك شبل الأسد ،
فلا بد أن تحتد أنيابه ويجرؤ على قتلك ...!!
— وإذا رفع رأسه يبحث عن صيد ،
فإنه يقصد أول ما يقصد مربيه ...!!

ولا شك أن تلك الشجاعة التى أتاحها له أمير المؤمنين كانت وبالا عليه ؛ فقد تجرأ عليه فى البداية ثم أضره فى النهاية ، والشرُّ قديم .

[بيت عربى فى الأصل[١]]

أعلمه الرماية كل حين فلما اشتد ساعده رمانى [ص ٣٨٦]

فعند ما أرسل خوارزمشاه الرسل ، أعطى ابنه « يونس خان » دار الملك همذان ، وألحق (ابنه) الملك «جغر» بخدمته ، وقلد « صدر الوزان »[٢] منصب القضاء ، ثم تحرك لتفقد أحوال مملكة إصفهان . واستقبل يونس خان « صدر الوزان » ، ونزل فى سراى « صماز » ، وجاء مجد الدين علاء الدولة من ابوه إلى همذان خفية ، فاستطاع « يونس خان » بالوعود الخلابة — أن يقبض عليه و يعتقله و يرسله إلى أبيه فى إصفهان ، وكان ذلك بالاتفاق مع صدر الوزان الذى كان خائفاً منه ، و بذلك استقر له الأمر ، وتوفرت له أسباب العظمة .

وفى يوم عيد الأضحى صحب جميع القواد وأئمة المدينة وذهب إلى المصلى ، ثم دعاهم إلى منزله حيث أقام لهم وليمة رائعة ، دفع نفقاتها ألف دينار ، أخذها رهنا لقنديل فضى اغتصبه من جامع همذان ، فكان سبباً فى الإطاحة به إلى جهنم ، وهو يحمل فى عنقه الخزى والنكال والوزر والوبال ؛ إذ استغل العامة

(١) انظر لسان العرب تحت مادة س د د . وكذلك انظر فيما سبق حاشية رقم (٢) من صحيفة ٣٣٨ من هذا الكتاب .

(٢) هو صدر الدين محمد بن الوزان رئيس الشافعية بالرى ... قتله الملاحدة بقلعة الموت فى سنة ٥٩٥ («ا» ج ١٢ ص ١٠٠) .

تلك الفرصة وأغاروا على الطعام ، فأصابته ضربة دبوس قتلته ، فصار القنديل الذى اغتصبه من المسجد غلٌّ من نار بقى فى عنق ذلك الأشعرى الملعون .

[بيتان فارسيان فى الأصل ، ترجمتهما :]

— يجب أن تخلف حسن الذكر ،
فى هذه الأرض الضيقة الخاوية[1] .. !!
— والفلك لا يمضى فى دورته ويحسن التدبير ،
وربما جنى شخص آخر نتيجة متاعبك[2]...!!

وهكذا آل العراق إلى الأئمة المارقين والأتراك الظالمين . وفضلا عن أنهم كانوا يهملون الأعمال الديوانية ، فقد ، خالفوا أمور الشرع فى القضاء والتدريس والتولية والنظر على الأوقاف ، فجعلوها إقطاعا استولى عليه المارقون فى كل مدينة من المدن .

ومنذ تم فتح بلاد الإســـلام على يد جيش الدين ، وطلع عليها صبح الأمة الإسلامية وهم يتخذون أربعة أشخاص لإقامة الملك ، يكلون إليهم [ص ٣٨٧] أمور الدولة حتى تقوم بهم كما يقوم العرش على قواعد أربع .

أولهم : القاضى العادل الذى يمضى أحكام الشرع ويرعى جانب الحق ، ولا يميل به فى حكمه حمد الناس أو مذمتهم له ؛ ولا يؤثر فيه مدح الخواص ولا ذم العوام . وثانيهم : هو صاحب الديوان الذى يأخذ حق المظلوم من الظالم ، وينصف الضعيف من القوى . وثالثهم : هو الوزير الناصح الذى يدعم بيت المال بما يأخذه من حقوق الخراج وجزية اليهود ، ولا يستسيغ الظلم . ورابعهم : الوكلاء والحجاب الذين يبلغون الأخبار الصحيحة الصادقة ، ولا يحيدون عن الصدق .

---

(١) « شه » ص ١٣٠٤ س ١٧ . (٢) « شه » ٩٤٦ س ٣ .

وإنما تيسر التقوى للشخص المتدين الذى يخشى عذاب الله ، أو الشخص الـكريم الذى يخشى العار ، أو الشخص العاقل الذى يخشى عواقب الأمور ، وقد قيل :

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— لاتعمل سيئا ... حتى لاتقع فى السوء ،
ولا تحفر بئرا ... حتى لاتقع فيها .
— أما سمعت ما قاله ذلك الرجل العاقل الشجاع ،
حينما سئم مرور الأيام ،
— قال : إذا أردت أن تنال الثناء بعد موتك ،
فاجعل العقل تاجا على مفرقك ...!!
— فـكل رأس تزين بنور العقل والرجحان ،
يكون قد تدرع بالعلم على سائر الجسد والـكيان ...!!
— ولا يستطيع أحد أن يقطعه سوى سيف الأجل ،
فبضربته يصير الفولاذ شمعا ليّـنا هيّـنا ...!!

بعد ذلك رأى خوارزمشـاه ضرورة السفر إلى خوارزم ، وكانت قد أصيبت عين ابنه يونس خان بأذى . يقول مؤلف الـكتاب : « سمعت أنه فى نفس اليوم الذى سملت فيه عين ابن الملك المؤيد[1] ، عميت عين يونس خان ومات ابنه الأكبر ، فظل بقية حياته يتجرع الغصص والآلام ، حتى مات وذهب إلى جهنم .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتهـا :] [ص ٣٨٨]

— كل شخص يعمل سوءا يلق جزاءه ،

---

(١) المقصود سنجر شاه بن طغانشاه بن المؤيد اى ابه صاحب نيسابور ، وقد سملت عيناه فى خوارزم بناء على أمر خوارزمشاه ، وسبب ذلك وكيفيته مذكوران فى كتاب تاريخ جهانگشاى للجوينى (ج ٢ ص ٣٦) .

وهذا ما يعرفه كل من له عقل[١] ...!!
— والشجرة التى تتعهدها ، تؤتى ثمرها ،
وترى ثمرها على الخصوص فى أحضانها ...!!
— فإذا كان ثمرها شوكا فأنت الذى زرعته ،
وإذا كان حريرا فأنت الذى تنسجه[٢] ...!!

وتنبه خوارزمشاة فجاء إلى زنجان ، وأرسل رسولا إلى الأتابك أبى بكر ، وكتب إليه بخطه — عدة أسطر مضمونها : « إننا نقرئ ولدنا أبا بكر السلام ، وإنه يعرف أن لنا مهمات فى خوارزم ، فيجب أن تكون همذان ملحوظة بعناية ابننا » . فيكتب « أبو بكر » هذا الجواب : « إننى فى ثغر ملك الأبخاز الكافر ، وإن قيامى وحدى بهذه المهمة أمر متعذر ، لذلك فإنى أرسلت أخى أوزبك فى مكانى » ، فلما وصل خوارزمشاه إلى الرى ، جاءه أوزبك إلى همذان ، وكان « عز الدين صتماز » قد تخلص من أسر ملك الأبخاز الكافر ، فالتحق بخدمة أوزبك . وكان « نور الدين كُكجة »[٣] غلاما متهورا وظالما ، فاستولى على إيالة همذان ، وارتكب مظالم ومخالفات عديدة يكاد لا يصدقها العقل ، وامتدت نيران ظلمه بحيث أحرقت همذان وما جاورها ، إلى أن اتفق عز الدين صتماز مع الملك على القبض عليه ، فعرف ذلك وهرب بعد أن نهب ولاية همذان ، واتجه إلى إصفهان .

[بيتان فارسيان فى الأصل ، ترجمتهما :]

— إن جور الملوك فى الدنيا ،
كفيل بطمس جميع ما فيها من محاسن .

---

(١) « شه » ص ١١٦٩ س ٢٢ .
(٢) « شه » ص ٩٠ س ١٨ — ١٩ .
(٣) « ١١ » كوكجة ، وهو أحد مماليك البهلوان الأتابك .

— فتنبه لأنك سوف تجنى ما زرعت ،
وستحاسب على كل ما قلت[١] ... !!

وفى ذلك الوقت التحق بخدمة الملك « أوزبك » الأتابك سيد الأمراء « جمال الدين اى ابه » الأتابك الأعظم الذى كان وحيد عصره ، وأحسن أهل زمانه سيرة ، ورئيس أمراء العراق وقائدهم ، وكان الخير معقودا بناصيته ، وينسب إليه ما تبقى من آثار العمران . فليبق الله دولته إلى يوم القيامة ، ولتُخَلَّد أسرته ، وليهبه الله حظا وافرا من الملك والعمر والأبناء .

وقد نصبه أوزبك أتابكا ، فانتظمت بفضله أمواله ، وأحكم السيطرة على الدولة ، وظفر باحترام تام وحكم موفق . [ص ٣٨٩]

وأما عز الدين صتماز ، فقد عاد إلى زنجان غاضبا ؛ لأن زمام الأمور كلها فى الدولة أصبحت فى يد اى ابه .

وفى السادس من شهر ربيع سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة التحق بخدمة أوزبك أبناء « قرآن خوان » وابن « نور الدين قرا » وكانوا أصهار جمال الدين ، وكان مع كل منهم ألف فارس ، فصاروا حكاما فى همذان ، وكانت الولاية لابن « قرآن خوان » فكان يعدل فى حكمه . وهكذا صار الجميع يأتمرون بأمر السيد جمال الدين ملك الأمراء « اى ابه » فنعمت الولاية بالهدوء والسكينة .

[أبيات فارسية فى الأصل[٢] ، ترجمتها :]

— فَلْيَظَلّ ذلك الملك مسيطرا على الدنيا ،
وليكن الله معينا له والدولة مواتية ...!!

---

(١) « شه » ص ٣٧٨ س ١١ .

(٢) من مثنوى « خسرو وشيرين » لنظامى (خمسه ، ص ١٤٥) .

— وليكن الفلك حاملا لسيفه ،

وليكن مهيبا ... فى ضخامة الفيل ، وشجاعا ... فى قوة الأسد ....!!

— وكل رأس تسعى إلى الابتعاد عن خدمته ،

لا كان لها خلاص من ضربة سيفه ....!!

— وليكن أمره نافذا على الدوام فى الدنيا ،

وليكن الله نصيرا له فى الدنيا والآخرة ....!!

وفى ذلك الوقت كان أمير العلم فى بغداد مع « حسام الجاندار » ونور الدين حسن ، وكان معين الكاشى نائبا للوزير ، وقد طلبوا إلى الخليفة أن يكلف « أبا الهيج السمين »[1] بالقدوم إلى همذان ، فكتب الخليفة رسالة إليه يقرئه فيها السلام ، ويطلب إليه أن يسير إلى همذان ويطرد الجمع الذى هناك . فلما وصل مع جنوده إلى همذان ، حاصروا الملك أوزبك واستولوا على همذان فى لحظة واحدة ، وأوقعوا ابن « قرآن خوان » عن حصانه ، فأراد الهرب ، وعرفه رجل كردى فأركبه جواده ، وأمسك بالعنان لكى يخلصه ، ولكن أحد الغلمان أدركه ، واستطاع قطع يد ذلك الكردى بضربة من سيفه ، وهرب ابن « قرآن خوان » . وقد حدثت هذه الموقعة فى يوم الثلاثاء التاسع من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة . ثم مثل أمير العلم أمام السلطان ، فقبل الأرض بين يديه ، وأبلغه سلام الخليفة ، وقدم له الهدايا قائلا : [ص ٣٩٠] « لقد أرسلها إليك أمير المؤمنين » .

[أبيات فارسية فى الأصل[2] ، ترجمتها :]

— لا ترسل رسالة طالبى الإنصاف ،

إلا على لسان الرجال الصادقين ....!!

---

(١) هو من أكابر أمراء مصر ويعرف بالسمين لأنه كان كثير السمن ، وكان فى إقطاعه البيت المقدس وغيره مما يجاوره (« ١١ » ج ١٢ ص ٨١) .

(٢) من مثنوى ليلى والمجنون للشاعر نظامى (نسخه طبع طهران . ص ٢٧٨) .

— وحتى يستقيم أمر الدولة ،
- ينبغى ألا يستكثر الإنفاق ،
— وقبل أن تخطو خطوة إلى الأمام ،
يجب أن تفكر فى طريق الرجوع . . !!
— وكن صادقا فى أقوالك ،
حتى يوثق فى عهودك وأفعالك ...!!

وسار أمير العلم مترجلا فى ركاب الملك حتى ذهب إلى منزله ، وتوجه جملة الأتباع والأمراء إلى قصر الأتابك . ولما خمدت الفتنة ، انصرف فى الليلة التالية ملك الأمراء « ألغ باربك اى ابه » — رحمه الله — لأنه لم يكن يثق فى رجال بغداد .

[أبيات فارسية فى الأصل(١) ، ترجمتها :]

— لاتعتمد على عهد شخص ،
مالم تجد له مكانا فى قلبك ...!!
— ولا تغترّ بشخص يعجبك مظهره ،
ولا تجرؤ عليه مالم تجربه ...!!
— ولا تستصغر عدوك ،
فإن المتاعب يمكن أن تأتيك عن طريقه ...!!
— ولا تفش لإنسان سرا ،
تضار بسبب إذاعته وإعلانه ...!!
— واقتلع ما تود اقتلاعه من جذوره ،
ولا تطرح ما تعبت فى الحصول عليه ...!!
— وتجنّب صداقة الشخص المتقلب ،
الذى يكون تارة لينا وتارة صلبا ...!!

---

(١) نفس المصدر ونفس الصفحة .

— فكل من لايستقر على حالة واحدة ،
لايمكن الاطمئنان إليه أبدا ...!!

وفى ذلك الوقت كان مياجق يدبر مكيدة للملاحدة — خذلهم الله — إذ أوهمهم أنه لاسبيل له إلى خوارزم ، وأن أوزبك قد انضم إلى معسكر بغداد ، فصار يخشى منهما على نفسه أيضا ، وأنه يريد أن يكون بينه وبينهم ميثاق حتى يجد الأمان بينهم ، فخدعوا بهذا الكلام وأقطعوه قرية ، واجتمع حوله طائفة من رؤساء أمرائهم . فلما قوى غافلهم وقتلهم ، كما قتل أناسا آخرين من تلك الولاية ، وغنم غنائم كثيرة ، ثم هجم على همذان ، واشتبك مع أمير العلم وأبى الهيج السمين فى ميدان « شوّرين » ، ودارت رحى الحرب [ص ٣٩١] بين الطرفين مدة يومين . وذات ليلة هرب أمير العلم وأبو الهيج وتوجها إلى «بروجرد» . وقد ذهب مياجق لتفقد المنطقة ثم قفل راجعا لأن ككجة وناصر الدين آغوش كانا قد توجها إلى الرى ، واستوليا على خزانته وقتلا أتباعه هناك . فلما وصل مياجق إلى الرى فرّا هاربين .

وفى شهر رجب سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ـ قدم الملك أوزبك إلى همذان ، فأرسل إليها الأتابك أبو بكر « بهاء الدين سنباط » وشيشقاط وناصر الدين آغوش وككجة ليلتحقوا بخدمة الملك أوزبك ؛ فلما أسنِدَت الولاية إلى ككجة ارتكب مظالم بصورة تجل عن الوصف ، ويعجز عن إدراكها الفهم . فأرادوا أن يعزلوه ، ولكنه قال لهم : « لقد حصلت على هذه الولاية بسيفى ، ولن أدعها تفلت من يدى » ، وكان توقيعه : « الله والسيف » .

وأخذ الأتابك أبو بكر يستكشف أسرار العراق ويستقصى أخبارها ، فأطلعه شخص من حاشية قصر الملك أوزبك ، وخاصة رجال بلاطه ، كان محطا للأسرار ومرجعا للأعمال — على حقيقة الأمور من بدايتها إلى نهايتها ،

فغضب الأتابك ، واستقال بهاء الدين سنباط ، والتحق بخدمة الأتابك ، وأطلعه على حقيقة الحال . فأرسل الأتابك « ابن القاضى زين الدين » ليكون نائبا له روزيرا للملك أوزبك .

فلما وصل إلى همذان قدم عشرة آلاف دينار هدية ، وكان يستضيف كل يوم أميرا فكثرت نفقاته ، وكانوا يلقبونه بتلك الأمراء وسيد الوزراء .

[أبيات فارسية فى الأصل[1] ، ترجمتها :]

— إذا لقى التابع عنتا من مولاه ،
فليصبر ، لأن النعمة والثروة يتحققان بالجد ...!!
— فإذا ظفرت بقدر من نعمته فاجتهد
أن تكون دائما مصغيا لأوامره ...!!
— ولا ينبغى التباطؤ فى تنفيذ أوامر الملك ،
ولا ينبغى أن يصبح قلب الملك ضيقا بك .
— أما سمعت ماقاله فاضل حذر عاقل ...!!
قال : إذا علا شأنك فاحرص على الخضوع والتواضع ...!!

ولم ينل ابن زين الدين من وظيفته أكثر من الاسم والمظهر ، لأن الملك والدين ضدان لا يجتمعان . وكل من يهمل الدنيا ويظفر بالآخرة ، يكون محمودا [ص٣٩٢] لدى العقلاء . وكان الحاكم فى هذا العصر يختار بين الملك والكفر وبين الإسلام ، بمعنى أنه لا يصل إلى الملك إلا إذا أعرض عن الإسلام . فلا غرو إذا خسر فى النهاية الدين والدنيا معا .

مثل : « المُلكُ يبقَى مع الكُفرِ ، ولا يبقَى مع الظُّلمْ » .

ثم أسرع نور الدين كبجة إلى « ايوه » على أمل أن ينهضوا معه ، ولكن الأمر جاء على خلاف ظنّه ، فإن ملك الايوه « فخر الدين إبراهيم »

---

(١) « شه » ص ١٦٧٧ س ٨ ، ١٧ ، ٢٠ .

أرسل «صدر الدين الدونى» إلى أوزبك برسالة مضمونها : « إن نور الدين كُكجة قد أغار على المنطقة التى منحنى إياها الخليفة وخوارزمشاه . وإنى أود أن أعرف ما إذا كان قد حضر بأمركم ، وإلاّ فإن مقاومته سهلة » . فكلفه الملك أوزبك بصدّه ، لأنه لم يأذن له بذلك . فأيقن كُكجة أنه لا مفر من القتال ، فأغار عدة مرات ثم رجع إلى همذان .

[أبيات فارسية فى الأصل[1] ، ترجمتها :]

— أمر « هرمز » مناديا ينادى فى المدينة ،
أنه ويل لمن يتعدّى على غيره ...!!
— فلو أتلف حصان مزرعة ،
ولو حدث نهب فى بستان ،
— ولو انتهك شخص حرمة غيره ،
ولو اغتصب أحد منزلا غير منزله ،
— فإنه يستحق عقابنا الرادع ،
وقد أقسم هرمز بإيمان مغلّظة على تنفيذ هذا ...!!

وكان كُكجة يغافل الناس ، ويستولى على أموالهم بتلك الطريقة ، وكان يرتكب هذه المظالم بتوجيه من القاضى الزنجانى ، ذلك الثعلب الأسود المارق الأثيم ، فهو إبليس يبدو فى صورة إدريس ، كله خداع ورياء وتلبيس ، وقد مكّنه اشتغاله بالقضاء من الاطلاع على أملاك الناس وأموالهم ، فأطلق عنان الجائرين فى اغتصاب هذه الأموال ، فأزالوا الحرمة عن أموال المسلمين وأملاكهم ، لأنه متى علم الظالمون بِحيَل القضاة باسم الشرع فإنه لا يبالون بشىء ، ولا يتورعون عن اغتصاب بيوت المسلمين .

---

(١) من مثنوى خسرو وشيرين لنظامى (خمسه ص ٦١) .

[مصراع فارسى فى الأصل[1] ، ترجمته :]

— إذا دخل لص يحمل مصباحا فإنه يسرق أفضلَ المتاع ...!!

وكان هذا المغتصب الفاجر يطلب كتبا من الناس ، وكان يبتز [ص٣٩٣] أموالهم عن طريقها ، لأن شخصا لم يكن يرسل إليه كتبا دون أن يضيف إليه مالا . فإذا امتنع أحدهم عن ذلك جعله هدفا لنقمته . ولكن لم يكد يمضى عليه عام حتى توفى قبل أن ينتفع بذلك المال ، وأسلم روحه إلى مالك جهنم .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— لأن يظل فمك خلوا من الطعام ،
خير من أن تهيىء مائدة من حرام[2] ..!!
— وإذا ادعى العظمة فقير جاهل ،
فإن ميزان العدالة يصيبه الاختلال .. !!
— وحينما يضنّ الغنى بشىء من عنده ،
فإنه يصبح أحقر من الفقير نفسه ...!!
— وإذا رضيت بعدل الله وقضائه ،
صرتَ غنيا مطمئنا صافىَ الذهن[3] ...!!
— والشخص الذى لايتكالب على الدرهم ،
تمتر عليه الأيام جميعها رغدة سعيدة[4] ...!!

وفى شهر المحرم سنة أربع وتسعين وخمسمائة ، ولد لأوز بك ولد من ابنة السلطان سماه طغرل ، وأقام أهل المدينة معالم الفرح والابتهاج بمقدمه .

ولكن الظلم الذى وقع بعده مولده ، وأصاب همذان فى سنتى أربع وتسعين

---

(١) مصراع من نظم سنائى الغزنوى (مجمع الفصحاء ج ١ ص ٢٥٥) .
(٢) « شه » ص ١١٠٤ س ١٠ .
(٣) « شه » ، ص ١٦٠٣ ، س ١٦ ، ١٧ ، ٢٠ .
(٤) « شه » ، ص ١٧١٤ س ٩ .

وخمسمائة وخمس وتسعين وخمسمائة فاق كل ما حدث فى السنوات السابقة .

وفى ذلك الوقت أيضا ذهب « مياجق » إلى إصفهان ، وطرد جيش خوارزمشاه ، ثم توجه إلى كاشان ، وحاصرها ، فقاومه أهل كاشان فى عناد وإصرار ، ولم يدعوا المدينة تسقط فى يده مدة أربعة شهور ، وارتكبوا معه الكثير من الشناعات التى لا ينبغى ذكرها . وكلما أمعنوا فى صد مياجق عن المدينة ، كلما كان هو أكثر تشبثا بالاستيلاء عليها . « والإنسان حريص على ما منع » . وكان يقول « إن هذه المدينة تصلح لأن تكون قاعدة وملجأ لى » . ومازال يقطع على نفسه العهود الكثيرة والمواثيق العديدة حتى أخضعها لسيطرته ، ودخل المدينة ، ثم أغار على الولاية ، وكانوا قد اختصوها بعنايتهم ، فحطم سائر ما بها ، حتى إذا لم يبق بها شىء ، هدم المنازل وحفر الأرض ليخرج ما فى بطنها من خبايا وكنوز دفينة ؛ وزاد تعجب الناس لأنهم كانوا كلما دخلوا قصرا ، وحفروا بئرا عثروا على كنز من الكنوز . . !!

وفى راوند مسقط رأس مؤلف هذا الكتاب ، كان يعيش « بهاء الدين أبو العلاء » وحيد أوانه وإمام عصره وزمانه ، وكان ذا حسب [ص ٣٩٤] ونسب يمتلك كثيرا من الأموال الموروثة والمكتسبة ، فاستخرجوا من منزله أحمالا من الذهب والفضة ؛ ثم حفروا مكانا ظهرت فيـــه نفائس جديدة من بينها سلّم مصنوع من الفضة وما أشبه ذلك . وكان بهاء الدين هذا رجلا لطيفا ظريفا . فقال لأحد الأشخاص : « أيها الشاب ، إن لى سؤالا ، فأجب عليه حتى أحل لك هذه الأموال . لقد ورثت هذا القصر أبا عن جد بعد أن تداوله قبلى سبعة عشر وارثا ، وقد عمّرته عشر مرات ، وتفقدته جيدا ، فلم أر أثرا لهذه الكنوز ولم أهتد إلى هذه المخبآت . فكيف عرفتها ، وكيف استطعت الوصول إليها ... ؟! » .

فقال الخوارزمى : « أيها العالم سأصدقك القول ، هذه الدنيا جيفة ، والكلب وحده هو الذى يشم رائحتها جيدا ... !! » . فشفى هذا الجواب صدر هذا الرجل العظيم ، وطيّب خاطره .

ثم أرسل الخوارزميون ما فى تلك الولاية من دواب وأموال إلى خوارزم . وفى الحق أن الغز لم يرتكبوا فى خراسان مثل تلك المظالم ، ومثل تلك القسوة التى ارتكبها الخوارزميون مع العراقيين من قتل بغير حق ، ومن ظلم ونهب وتخريب ، بحيث أنه لو فُصِّلَ كل ذلك لملأ عشرة كتب من حجم هذا الكتاب .

وقد حرض رافضة كاشان — عليهم اللعنة — هؤلاء الظالمين على أن يخربوا الولاية ، وينقلوا ما فيها إلى المدينة ويبيعوه لهم . ولا ينبغى أن تسمى فرقة من فرق المسلمين — التى تبلغ الاثنتين وسبعين فرقة — بالملاحدة الذين يستحقون اللعنة ، إلا هؤلاء الرافضة فإنهم ليسوا من أهل قبلتنا ، وهم يعدون اجتهاد المجتهدين أمرا باطلا ، كما أنهم صيروا الصلوات الخمس ثلاثا فقط ، ورفعوا الزكاة التى كان أبو بكر الصديق يحرص على التمسك بها ، وأخذها من أهل الردة .

وهؤلاء الملاحدة يذهبون إلى طوس للحج ، وبينهم ألف رجل من كاشان يطلقون على الواحد منهم لقب الحاج رغم أنه لم ير الكعبة ، ولم يصل إلى بغداد . وكل ما فعله أنه ذهب إلى طوس . وحتى لا يطعن إنسان فى كذبهم كانوا يروون خبرا ، ينسبونه إلى عائشة الصديقة رضى الله عنها خلاصته : « أن كل من يزور طوس تقبل زيارته كسبعين حجة » . وكان لى قريب يقول « إن الثعبان كلما كبر ، تحول إلى أفعوان ، كالرافضى كلما كبر صار ملحدا

وباطنيا » . وقد شرحت فضائح الرافضة وقبائحهم وخبث عقيدتهم فى كتاب مستقل . كما نظم شمس الدين اللاغرى هذه الأبيات الجميلة .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

[ص ٣٩٥]

— أيها الملك ... إن مراكز الباطنيين ،
هى قم وكاشان وآبه وطبرس[1] ...!!
— فاجعل كرامتك فى الاعتقاد بالخلفاء الأربعة ،
وأشعل النار فى أماكن الباطنيين الأربعة ...!!
— ثم أحرق فراهان ومصلحكاه[2] .
حتى تصير حسناتك ستا بدلا من أربع ...!!

وذهب مياجق من كاشان إلى الرى ، وكان فى نيته أن يتوجه إلى همذان . أما الملك أوزبك وككجة وناصر الدين آغوش وأمير العلم فقد ساروا إلى قزوين ليقاتلوا مياجق ، واستدعوا ملك الأمراء جمال الدين اى ابه ، ولكنه لم يحضر وقال لهم : « إنكم ظالمون فكل من يرتبط بكم تكون عاقبته الخسارة ، ولا ينتصر أبدا ، ولهذا فلن أجىء مطلقا » . فقال الملك أوزبك : « لا شأن لى بالظلم ، لابد أن تكون الشكوى من ككجة » .

فقال ككجة : « إن ايتغمش[3] هو الذى يظلم لأنه كان فى همذان يقوم بإرشاد من قاضى زنجان بمصادرة أموال الأغنياء وأملاكهم . ولما خرج من

---

(١) [المراجع . هذه البلاد اشتهرت فى ذلك الوقت بأنها مراكز للتشيع قبل أن يصبح مذهب الشيعة مذهبا رسمياً لإيران] .

(٢) من الجائز أنه يقصد المكان الذى يطلق عليه ياقوت « مصلحكان » وقد كان محلة فى مدينة الرى .

[المراجع : فراهان من رساتيق همذان] .

(٣) هو أيضاً من مماليك الأتابك پهلوان ، استولى على البلاد وكان شهماً شجاعاً ظالماً (اا ج ١٢ ص ١٢٨) .

المدينة كان يأمر فى كل قرية ينزل فيها بتشريد الفلاحين المساكين ، ثم بسلب كل ما يجده فى منازلهم ؛ وهكذا خرب القرى واحدة واحدة ، ولم يترك أثرا للعمران » .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— لقد قَلَّ لديه الحياء والتفكير ،
ولذلك تساوى فى نظره الحسن والقبيح ..!!

وسار كُكجة فى غيِّه ، وأخذ ينهش اينغمش أمام السلطان ، ويرميه بالتقصير والتعدى على الناس . ولو كان عاقلا ما سلك هذا السبيل ، واستمع إلى وشايات الواشين ، ولما اغتر بمعسول أقوالهم ، فلا جرم أن باءت تدبيراته بالفشل لأن اينغمش كان أثيرا لدى السلطان لإخلاصه فى خدمته ، كما كان لا يتأخر عن تقديم المشورة له إذا اقتضى الأمر ذلك .

[أبيات فارسية فى الأصل[1] ، ترجمتها :]

— أزِلْ كل ما يحول دون عظمتك ،
ولا تتشبث به ولو كان منجما من الكنوز .
— ولا تُعجَبْ بشىء ليس لك حق فيه ، [ص ٣٩٦]
تصبحْ ملكا فى جميع أمورك ...!!
— وسارع إلى تعمير كل خراب ،
لأن المصلحة فى الإسراع .
— وأظهر قوتك للناس ،
حتى لا يتجرأ شخص عليك ...!!

وقال الملك إنه متى فرغ من هذا الأمر ، وبلغ همذان مظفرا منصورا ، أمر بالكشف عن حقيقة هذه الحال ووضع الأمور فى نصابها .

---

(١) من مثنوى ليلى والمجنون لنظامى (خمسه ، ص ٢٧٧ — ٢٧٨) .

وفى يوم الاثنين الحادى والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وتسعين وخمسمائة ، جهز مياجق قلب الجيش ، ولبست نساء خوارزم الدروع ، فكانت كل امرأة منهن تهزم خمسين عراقيا . ولكن العراقيين هزموا القلب وعلى رأسه مياجق ، ثم انشغل العراقيون بجمع الأسلاب ، فاستغلت زوجة مياجق هذه الفرصة وأتتهم من ظهورهم ، بينما عاد مياجق للقتال فانهزم العراقيون ، وأمعن النساء فيهم تقتيلا بصورة لم تكن فى الحسبان .

ثم هاجم الملك أوزبك وككجة وناصر الدين آغوش مدينة زنجان ، وأغار مياجق على همذان بتحريض من دار الخلافة وكانت قد أغرته على ذلك ، قائلة : « إن خوارزمشاه ليس إلا حاكما من قبلنا ، أما شمس الدين مياجق فهو نائب أمير المؤمنين على الإطلاق ، وهو محافظ الثغور وملك الآفاق إسكندر الزمان ، و بطل العالم الذى يشبه رستم فى الفتح والظفر على الأعداء » . وفى يوم الخميس التاسع عشر من رجب سنة ٥٩٤ نزل الملك مياجق فى صحراء « تير بنجرد » فذهب أئمة همذان للقائه ، فجلس أمامهم وسألهم عن أحوال همذان . فلما سمع أخبار المظالم ، صب اللعنات على الظالمين وقال : « سنصلح ما ارتكبه الآخرون من ظلم وتخريب ، وسنيسر قوانين من سبقونا من الملوك العادلين ، فليبشر الأئمة الرعية بذلك على لساننا وليستميلوهم » .

[أبيات فارسية فى الأصل(١) ، ترجمتها :]

— لا يبدى الفلك أفعالا طيبة ، [ص ٣٩٧]

إلا بعد أن يظهر شرورا كثيرة ...!

— ولا يجنى زارع ثمرا ،

إلا بعد تحمل المتاعب وبذل الجهود ...!!

---

(١) من مثنوى خسرو وشيرين لنظامى (خمسه ، ص ٧٧) .

— ولا يعرف قيمة الورود والزهور ،
إلا من قاسى ما فيها من أشواك ...!!

وفى يوم الجمعة العشرين من رجب سنة ٥٩٤ قرئ فرمان خوارزمشاه بحضور علاء الدولة[١] . وأئمة همذان . وقد كتب فيه : « إن الملك العادل ، الفاتح المظفر الحاجب الأعظم ، ملك أمراء الشرق والغرب ، شمس الدين ظهير الإسلام والمسلمين ، قائد الجيش الغازى ومحافظ الثغور « مياجق » هو ظهير أمير المؤمنين وعبدنا ، وقد اتضح لنا عدله فاستقر رأينا على أن يكون نائبنا على جميع بلاد العراق ، وأن يباشر كل ما كان لنا من حقوق قبل ذلك ، وأن يخضع له الحكام والقضاة وغيرهم من العمال » كما قرأوا فى نفس اليوم ، المنشور بتولية « حسام الجاندار » واليا ، فارتكب هذا الوغد الحقير من المظالم ما يستنكف عن فعله الملحد والكافر ؛ لأنه لم يبق قط على دماء المسلمين وأموالهم . ولكن مياجق احتال عليه وقال له : « سأزوج ابنتى من ابنك » .

ثم أحضر القضاة والأئمة ، ولم تكن له بنت ، فعقدت الخطوبة على مجهولة ، وأنفق حسام فى هذه الخطبة عشرة آلاف دينار ومائة حمل من أنواع الملابس والمأكولات . وفى اليوم التالى أرسل حملا من الذهب بمثابة مهر للبنت . ولكن هذه المصاهرة كانت ضربا من المحال والهباء . وليس ما أنفقه حسام فى هذه الخطبة معادل لما ارتكبه من ظلم فقد استولى على أموال القضاة والأئمة بغير حق ، وأعطاها لغير مستحق ، و بذلك حمل الخزى والنكال فى الدنيا ، والوزر والوبال فى الآخرة واستحق عذاب جهنم .

مثل : « أَخْسَرُ الناسِ من أخذَ من غيرِ حقٍ وأعطى غيرَ مستَحِقٍ[٢] » .

(١) لا يعلم على وجه التحقيق من هو علاء الدولة ، ولعله يقصد مجد الدين علاء الدولة .
(٢) فى ورقة ١١ (أ) .

وأخيراً قتله خوارزمشاه ، ونكل به ليكون عبرة للناس ، وماتت زوجته كمدا ، وصار ابنه فقيرا معوزا .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— لم يستفد شخص قط من الظلم ،
ويستمر الحال على هذا المنوال ، ما بقيت الدنيا ...!!

وشرع جند مياجق فى النهب والإغارة ، وأتوا على كل ما فى [ص ٣٩٨] ولاية همذان ، وامتدت غاراتهم إلى كرمانشاه وحدود أبهر وزنجان ، وحملوا كل ما وجدوه من متاع ، ولم يتركوا شيئاً قط ، فصارت تلك البلاد خاوية على عروشها ، وتجاوز ظلمهم كل حد ، وأسلموا الناس للهم والغم ، وتمثلوا بهذه الأبيات :

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— إذا لم يكن لديك شىء فجاهد قليلا ،
لأن الشخص المُعدِم لا يساوى شيئا .
— والغنىّ هو من يملك قلبا كريما ،
ولا يفنى جمع الدراهم(٢)
— فالإنسان ما عاش محتاج إلى الطعام ،
وهو ضيق القلب ما دام معوزا .
— فانفق ... وتمتع ... ولا تدع ذلك للغد ،
فقد يأتى الغد بالفقر وبما يكدرك ...!!

ونهب شمس الدين مياجق خيرات العراق ، وادعى السلطنة فيها ، وتنقل فى أطرافها . ولما لم يبق شىء على وجه الأرض ، حفر بطنها واستولى على ما فيها من دفائن ، وبهذه الوسيلة جمع ثروة طائلة ، واستولى على العراق جميعه فى مدة

---

(٢) « شه » ص ١٤٢٧ س ١٤ ، ١٥ .

وجيزة . وإن المظالم التى ارتكبها هو وأتباعه لم تحدث على أيدى الكفار والأبخازيين والترك الخطائيين والصليبيين ؛ فقد نزعت من قلوبهم رحمة الإسلام ، فكانوا يريقون دم الإنسان كما يريقون الماء ، وكانوا يغلقون المدارس بصورة لا يجيز المجوس والنصارى واليهود والوثنيون أن تصيب بيوت النار والكنائس ومعابد اليهود وبيوت الأصنام . وسَنَّ هؤلاء الظالمون قانونا فى العراق بمصادرة المدارس والمساجد وأموال العلماء فكانت هذه البدعة وبالاً عليهم .

مثل : « لحوم العلماء مسمومة » .

وأخيراً جمع ملك الأمراء جمال الدين اى ابه وأمير العلم وبعض الأمراء أربعة آلاف فارس ، واستدعوا الأتابك أبا بكر ، وتغلبوا على مياجق فى نواحى « قِما » — فاستقام لهم العراق ، وقضى الأتابك ذلك الشتاء فى الرى .

وفى تلك الأثناء غدر به « صدر الدين بن الوزان » ، فقد كان لدى الأتابك عدد قليل من الجند ، لأن أغلب جنده تفرقوا لجمع الخراج ؛ فأخبر الأتابك « أن خوارزمشاه سيقوم أثناء الليل بحملة ، وأنه استطاع [ص ٣٩٩] أن يسير سريعا من دهستان إلى دامغان ، وأنه واصل السير فى الصباح لينهى أمر السلطان طغرل ، وينبغى لذلك الحيطة والحذر » . واضطرب جيش الأتابك لهذه الأخبار وكان الوقت شتاء ، فأخذ الجند يهربون من منازلهم ، وذات ليلة وقع اضطراب فى المدينة ، فركب الأتابك وتوجه إلى آذربيجان وبهذا استولى الخوارزميون على العراق مرة ثانية . وجاء جند مياجق إلى الرى ، وعادوا سيرتهم فى الظلم فعلم خوارزمشاه بهذه الحالة وأسرع إلى العراق . ولم تكن لمياجق طاقة على مقاومته ، فشرع فى النهب السلب ؛ ثم سلك طريق « دينور » . « وليشتر » ، فاقتفى خوارزمشاه أثره . وحينما اقترب منه ، أهلك مياجق جميع

الحيوانات ، وألقى بأمتعته فى الماء ، وتوجه وحيدا إلى الرى ، وتحصن بقلعة « أردهن » . وظل خوارزمشاه يقتفى أثره حتى عجز عن المسير ووقع أسيرا ، وقتل خوارزمشاه جميع أنصاره وأعوانه . فاجتثت بذلك جذور الفتنة والظلم[1] ، وكان جند خوارزمشاه يحملون فى كل مرة الغنائم من العراق ، ولكنهم فى هذه المرة لم يجدوا شيئاً للمسلمين يمكن أخذه ، فانصرفوا إلى قزوين واستولوا على غنائم كثيرة من ولايات الملاحدة المخاذيل[2] ، وتركوا العراق خرابا يبابا حتى لم يعد فيه مطمع لطامع .

ولما توجه خوارزمشاه إلى خوارزم غضب على وزيره[3] ، لأنه كان يحمى مياجق ، وأوعز إلى الملاحدة بقتل هذا الوزير[4] ثم شنقوا مياجق وعلقوه مقلوبا من رجليه ، وصار خوارزمشاه يذيع فى المدينة أن كل كافر بنعمة سيده ، سوف يلقى نفس المصير ، ولكنه هو أيضاً ابتلى بكفران نعمة سيده طغرل فلم يكن بين موته وموت مياجق أكثر من شهرين[5] ، فاستراح العراقيون وأمنوا شر الأعداء ، وأظهروا الفرح والسرور .

بعد ذلك حاربوا الملك أوزبك وككجة وبعض الخوارزميين الذين كانوا فى العراق وتمكنوا من طردهم . وفى هذه الأثناء لحق بأوزبك [ص ٤٠٠] الأتابك أبو بكر فقد حضر من آذربيجان ، وتوجه إلى إصفهان ، واقتسم الملك معه ؛ فأعطى الملك أوزبك همذان . وكان ككجة فى الرى . وكان الأتابك قد صادفه مرة فأخذ يقول له : « إنى لا أعبأ بالأتابك ؛ لأنه كان معتزا بقوته

(١) ذلك فى ربيع الأول سنة ٥٩٥ (انظر ابن الأثير ، ج ١٢ ص ١٠٠) .
(٢) انظر نفس المصدر ونفس الصفحة ، تاريخ جهانكشاى الجوينى ، ج ٢ ص٤٣ — ٤٥
(٣) هو نظام الملك مسعود بن على (انظر ابن الأثير) .
(٤) فى جمادى الآخرة سنة ٥٩٦ (انظر ابن الأثير ؛ تاريخ جهانكشاى ج ٢ ص ٤٥) .
(٥) توفى خوارزمشاه فى رمضان سنة ٥٩٦ ه‍ .

وشوكته ، معتدا بآلاته ومعداته ، كما كان شجاعا جسورا غير هياب ، يستطيع بمهارته فى القتال ، أن يخضع الثعبان الأرقم والأسد المصور .

[بيت عربى فى الأصل]

سَلَكْتُ ولَوْ مَا بينَ أنيابِ أرقَمٍ   وخُضْتُ ولو ما بين كَفَّىْ غَضَنْفَرِ

كما كان شجاعا مبارزا خبيرا بأمور القتال وأنواع الأسلحة ، يستطيع أن يجعل العتاة ، يجثون أمامه فى ذلة وخضوع ، كأنه النمر يجيئه الثعلب فى حقارة ومسكنة ، وكان الجنود منقادين له ، مطيعين لأمره ، يسيرون على نهجه و يقدرونه حق قدره .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— إذا خرج شخص عن عهده وميثاقه ،
فإن الموت يأتيه من حيث لا يحتسب .

وكان يقول كل يوم : إن الملك ليس وقفا على آل سلجوق من أمثال طغرل وسنجر ، ولم يدم لهما ، وقد صرع الفلك خوارزمشاه وأودعه الثرى ، فإذا زال الملك عن آل ايلدگز فأية غرابة فى هذا ؟!.. و إذا تركوا لى مااستوليت عليه بحد سيفى فهو المراد و إلا قاتلتهم ، وليكن ما يكون .

مثل : « الليل حبلى ليس يدرى ما يلد[1] » .

[مصراع فارسى فى الأصل ، ترجمته .]

الليالى حبالى ... فلننتظر ماذا تلد ..؟!

وقد نويت العدل واخترت طريق الحق ، فليس بعزيز على الله أن يجعل التاج من نصيبى .

---

(١) من مزدوجة لأبى الفضل السكرى المروزى ترجم فيها أمثالا للفرس (يتيمة الدهر ، ج ٤ ص ٢٤) وصدره : أحسن ما فى صفة الليل وجد .

[أبيات فارسية فى الأصل[1] ، ترجمتها :]

— كثيرا ما يبدو الفأل من قول عابر ،
فإذا مرت الأيام صدق هذا الفأل .
— لأن صاحب المعانى إذا بشر بفأل حسن ،
فكيف تعرف أنه هو نفسه صاحب هذا الفأل ...؟
— وإن الفأل ليسوء إذا كنت سيء الظن ،
وإذا قلت خيرا ، جاء فألك حسنا ...!!
— فالدنيا نصفان : نصف للذكر الطيب ،
ونصفها الآخر للتمتع بالسعادة والهناءة ...!!

* * *

ولم تَفِ الدنيا لإنسان قط .

حكمة : « الدُّنيا ظلُّ الغَمَامِ وحُلْمُ النِيَامِ ، والعسلُ المشوبُ بالسُمِّ ، والفَرَحُ المَوْصُولُ بالغَمِّ[2] » . [ص ٤٠١]

وكان الأتابك فى إصفهان كعادته المعهودة — يشتغل بالشراب والأنس ، ولم يكن يتفقد أحوال الدولة قط ، بينما كان ملك الأمراء جمال الدين اى ابه يُنَظِّم شئونه ، فكان هو الحاكم الفعلى المسيطر على جميع شئون الدولة ، وكان يتمتع بكل أسباب العز والنعمة . ولما كان ككجة صهرا له ، فقد كان يطمئن إليه . ولم يكن ما حدث ليخطر على بال أحد .

حكمة : « تَفَقَّدْ أمرَ عدوِّك قبلَ أن يَمتَـدَّ باعُه ، وَيطُولَ ذِرَاعُه ، وَتَشْتَدَّ شَوْكتُه ، وتَحْتَدَّ شكيمتُه ، وعالجْه قبل أن يُعْضِلَ داؤُه وَيَعْجَزَ دواؤُه[3] » .

وصفوة القول أن ككجة قد عظم شأنه ، ولم يكن للأتابك جيش ،

---

(١) مثنوى خسرو وشيرين لنظامى (خمسه ، ص ٩٤) .
(٢) فق ورقة ٧ (ب) . (٣) نفس المصدر ورقة ٢١ (١)

فكان يقول على ملأ من الناس : « إننا لن نقاتل گكجة ، وإنما نذهب إلى همذان ، فإذا اتحد معه الملك أوز بك ، اهتممنا بالأمر ، وأخذنا حذرنا ، وإلا فمن هو گكجة ...؟!» سرعان ما تناقل الناس هذا القول ، فكان كل شخص يود التقرب من گكجة ، ينبئه بهذا الخبر قائلا : « إن الأتابك لا طاقة له بمقاومتك ، فضع يدك على المُلك ، لأنك أنت الغالب المظفر فى العراق » .

[أبيات فارسية فى الأصل[١] ، ترجمتها :]

— لا تقل ما لا يليق أمام الخصوم والأعداء ،
بل لا تقله أمام أصدق الأصدقاء ...!!
— واحذر أن تقول سرك لأعز الأصدقاء ،
وتخيل أنه قد يكون يوما ألد الأعداء ...!!
— وإذا كنت فى خلوة فاخف سرك عن الحيطان ،
فقد يكون خلف الحيطان آذان ...!!
— وإذا استطعت أن تخفى هذا السر فى نفسك ،
فلا تفكر فى إذاعته وإفشائه .
— ولا تظن أن السر يمكن حفظه ثانية ،
فخير لك بلا ريب أن تمسك عن قوله .
— فسواء أكان صديقك عالما أم جاهلا ، [ص ٢٠٢ :]
لا تسلم بضاعتك لشخص غير مخلص .
— وإذا غرست شجرة فاغرسها فى تربة صالحة ،
بحيث تأمل أن تجنى منها ثمار ما زرعت .
— وقل الكلام فى موضعه حتى يصير
لك من ترداده ذكر حسن فى النهاية .

فلما تحرك الأتابك من إصفهان ، تحول أكثر الجيش إلى گكجة ،

---

(١) من مثنوى خسرو وشيرين لنظامى (خمسه ، ص ١٣٩) .

فلما وصل إلى همذان ، لم يهدأ بال كُكجة ، وصمم على الهجوم عليه ليلا ، ولـكن الأتابك أسرع بالتوجه إلى آذربيجان وتخلف الجيش عنه .

أما عن عقله وكفايته ورأيه وعلمه و إنعامه وعطائه وسيطرته وجهاده فمن الأفضل ألا أتعرض لها كثيراً .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

ـــ ألم تر قط حمارا سعيد الحظ

فتأمل قليلا .. فالملك على هذا المثال تماما

ولما انهالت عليه النعم ، واستقر له الملك ، تركه لأشخاص غير لائقين ، فاستبد « مُنْـكَل »[1] و « يواش » و « چنان » وأمثالهم بعرش السلاطين . و إن اللسان ليتعفف عن شرح ظلم هذه الجماعة ، لأن فى هذا مدعاة للعار . و إن ما بقى من خير قليل فى العراق ، إنما يعود فضله إلى « ايتغمش » الذى كان ينادى بالإصلاح ويكثر من البذل . وقد تمثلت فى سيرته العدالة وصلاح الدنيا . ولـكن نعيم الحياة يكدر بوجود هؤلاء الفراعنة ، لأنهم كانوا يحتلون مناصب الوزراء والأمراء ، ولا أدرى ماذا أقول فيهم ولا كيف أذكر أسماءهم .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

ـــ لقد أصبح ملك العراق مضطربا ،

ولم يبق فيه أى أثر للحياة ،

ـــ وصارت لرؤساء العراق جميعا

سمعة سيئة تجرى على الألسنة .

ـــ وقد انقضت مدة طويلة ،

منذ قيضت السماء المفسدين أن يأخذوا مكان الصالحين ...!!

---

(١) هو من مماليك أبى بـكر الأتابك ، استولى على بلاد الجبل واصبهان وغيرها (١١ ج ١٢ ص ١٩٤) .

فكم من أموال استولوا عليها ...!! وهل يستطيع أحد أن يصدق أنهم ملوك وأنهم أصحاب جاه ...؟! إنهم يأكلون الأخضر واليابس ، ويلتهمون الخضرة من الصحراء ، ويسطون على خبز الفقراء اليابس . [ص ٤٠٣]

وقديما كان الجند من المسلمين ، وكانوا يلومون الصوفية ، لكى يبيحوا لهم أن يستولوا على كل ما يجدونه . وأما الآن فقد أصبح مباحا للأتراك وجنودهم ألا يبقوا على شىء قط فى العراق ، وأن يستبيحوا دماء المسلمين وأموالهم ، وزال كل ما كان للدراويش من حرمة .

[بيتان فارسيان فى الأصل ، ترجمتهما :]

— فى الوقت الذى لا تملك فيه العيون إلا الدموع ،
لا يمكن لشخص أن يطفىء نار الألم .
— فعيون الناس حقيقة ، غرقى فى الدموع ،
ولكن هذه الدموع قد جفت فى مآقيهم ...!!

فليبق الله تعالى الملك المظفر ، صاحب القران وظل الرحمن ، الذى أوصل نفسه بالاستقلال إلى منصب الكمال ، وتزين بزينة العدل ، وتحلى بحلية الحكمة ووصل إلى المراتب العلية ، والمدارج السنية ، وصار جديرا بالتاج والتخت ، والإقبال والبخت ، وأظهر أزهار العدل فى حديقة العلم والفضل ، وتحلى بكمال الكفاية وجمال الكياسة ، وهو سيد العالم السلطان الأعظم والملك المعظم ، مالك رقاب الأمم ، مولى العرب والعجم ، سلطان السلاطين ، المؤيد بتأييد رب العالمين ، الواثق بنصر الله ، الحاكم بأمر الله ملاذ الثقلين ، وارث ملك ذى القرنين ، أبو الفتح كيخسرو غياث الدين . وليجعله الله وارثا لهذا الملك ولينشر عليه راية دولته ؛ لأن العراق تذكار من طغرل وارسلان ، وسنجر وسليمان ، وملكشاه وألب ارسلان ، وليقيِّض الله لعظمة حظه النضير ،

أن يصقل الدنيا من صدأ الخريف ، وأن يملأها بالربيع اللطيف .

وقد نظمت أنا مؤلف هذا الكتاب القصيدة التالية فى مدح هذا السلطان :

[قصيدة فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— يا من بوجودك تصلح الدنيا ،
ويا من تقر بفضلك الأفلاك .
— ويا من بيدك زمام الأمور ،
وبفضل رأيك تنفذ الأعمال .
— لقد قبّلَتِ الشمسُ عتبتَك ،
مرات عديدة إظهارا للطاعة والخضوع .
— إن ذاتك العاطرة مبرأة من العيوب ،
وإن عرضك الطاهر بعيد عن الدنس .
— إن الأرض قد أخضعت السماء وسمت عليها ،
وها هو حصانك يتخذها مطية له .
— وهو يتخذ من الهلال حدوة لحافره ، [ص ٤٠٤]
ويجعل الشمس تقبل مساميرها .
— إن إقبال حظك يقر بأنك معجز ،
وإن من ينكر ذلك لعاجز لا محالة .
— وإن عمائم أعدائك لتتناثر
أكداسا على تراب أعتابك
— وإن شانئك ليطلب منك الأمان ،
حتى لا تجتث جذره من الأرض ببطشك .
— وإن البلابل لتصدح فى الرياض ،
بآيات المدح منشدة صحائف كرمك .
— وقد علّم مدحُك الطيورَ جميعها ،
أداءَ النغمات الموسيقية المختلفة بمناقيرها .

— وَيَقْصر العقلُ عن إدراك مدى حزمك ،
وهو لهذا يتتبع جلائل أعمالك .
— وأنت لست محتاجا إلى السعى ، لأن إقبال حظك
قد يسر لك كل الصعاب والشدائد .
— لقد تقرر مُلك الدنيا ـ حتى
سواحل البحار ـ لغياث الدين الملك العادل .
— فإذا كانت عين السوء قد أصابتك بعض الوقت ،
فإن للفلك فى ذلك أسرارا خفية[١].
— حتى يهبك فى كل لحظة سعادة ،
ويؤثرك فى كل آونة بلطف .
— وأى عجب ؟ ! .. لقد حطمتَ جميع القوانين ،
واكتسحت تماما جميع الأسواق والميادين .
— وإن المدينة لتتوق إلى رؤيتك ،
لتعم السعادة جميع أرجائها .
— ومدينة قونية قد تجددت مرة أخرى ،
واستظهرت بمنزلتك الرفيعة .
— فقل للأمن أن ينير الأرجاء بنورك ،
وقل للعدو أن يأخذ الإدارات باسمك .
— وقد تاق إليك عرش طغرل ،
فصار يكتب إليك الرسائل .
— إن الفلك الدائر لم يَجُد بملك عادل مثلك ،
فى دوراته المستمرة .
— فيا أيها الملك ... إننى عبدك ،
الذى يديم لك الدعاء بالخير ...!!

(١) يشير فى هذا البيت إلى هزيمة كيخسرو على يد أخيه ركن الدين سليمانشاه وفراره واغترابه من سنة ٥٩٦ — ٦٠٠ (أنظر مختصر سلجو قنامه ، ص ٧ وما بعدها) .

— ويطلب لك العز والجاه فى صلواته ،
ويدعو لك بالسعادة عند إفطاره .
— ولقد نظمت شعرا جميلا رائعا ،
أحمَرَّ زهرُ الرمان خجلا منه .
— فهل يخفى عليك أيها الرئيس العظيم ،
قدر خدماتى لك ؟!...
— أدعو الله ... ما دامت السحب تمطر على الأرض ،
وما دامت الخضرة تكسو قمم الجبال ...!!
— وما دام النرجس ينبت وسط الحشائش ،
وما دامت الأشواك تنبت وسط الورود ...!!
— وما دام الفلك يطعن أعداءك ،
فتستقر أسنة رماحه فى قلوبهم وأرواحهم ،
— أدعو الله أن يجعل عمرك فى سعادة دائمة ،
حتى يجلو عن الدنيا صدأها ...!!
— وها هو عدوك يذهب من الدنيا ،
محملا بأثقال من الهم والحزن ...!!

فصل فى ذكر آداب المنادمة

وشرح لعبتى الشطرنج والنرد[1]

لا يخفى على الرأى الأعلى المشرق للسلطان عظيم الدهر أبى الفتح [ص ٤٠٠] كيخسرو بن قلج ارسلان — خلّد الله ملكه — (وهو الذى تعد الشمس قبسا من نوره، وهو أكثر الناس معرفة بالأمور) أن منادمة الملك ومجالسته أمر عظيم وعمل خطير، لأن النديم شاهد على عقل الملك، وبرهان على فضله.

والإنسان بفطرته الطبيعية يميل إلى اقتباس أخلاق جليسه. وقد قيل.

[بيت عربى فى الأصل]

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه فإن القرين بالمقارن يقتدى[2]

فلا غرابة إذا تحلّى الإنسان بكمال العقل، وتزين بجمال الفضل، لأنه يتأثر بمحاسن جليسه ومساوئه، وحسنه وقبحه. وإن الحيوان ليتمتع كذلك بنفس هذه الخصائص، فإذا تزوج حيوانان، فإن كل واحد منهما يتأثر بطبع الآخر. فتتعلم المهر من الحصان، كما يتعلم البعير من الجمل. وأثر الصحبة وخواصها أشهر من أن نطيل الحديث فيها.

وبناء على هذه المقدمات، كان للملوك السالفين رجال مصطفون وجلساء مجربون وندماء مختارون.

حكمة: « إذَا نادَمْتَ الملوكَ فَتَوَخَّ جميلَ الاحترامِ، وتَوَقَّ سبيلَ

---

(١) كذا فى النسخة الأصلية، ولكن هذا الفصل خلو من أى شىء يتعلق بالنرد.

(٢) المراجع: فى رواية أخرى لهذا البيت:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى

الاقتِحَامِ ، ولا تَبْتَدِئ بالمقال ، ولا تَنْبَسِطْ فى السُّؤال ، فمن انبسط فى مجالسِ الملوكِ حُطَّ من مَحَلِّه ورُتْبَته واسْتُخِفَّ بحقِّه وحُرمتِه . فإذا تكلَّمُوا فأقبِلْ عليهم بوجهِك ، واصْغَ إليهم بسمعِكَ ، وَوَكِّلْ بشفاهِهم ناظرَكَ ، واشْغَلْ بخدَمتِهم خاطِرَكَ ، واستَمِعْهُ استماعَ مستبشرٍ به مُسْتَطْرِفٍ له[1] » . [ص ٤٠٦]

وينبغى أن يكون النديم حسن الوجه طيب الخلق حتى لا يمل الملك رؤيته .

مثل : « حُسْنُ اللقاءِ يَزِيدُ فى الإخاء » .

وقد قيل إن النديم هو الشخص الذى يكون لائقا للوزارة ، وينبغى أن يكون عظيما مهذب الأخلاق ، متحليا بأنواع العلوم ، له إلمام بمختلف الفنون ، مُطّلعا على تاريخ الملوك حافظا للأشعار ، عالما بآداب الملك فى وقت الحفل والحرب والأكل والصيد ، حتى يلقن الملك فى كل وقت — المُلَح والطرائف ، ويعلمه المراسم والتقاليد . كما ينبغى أن يكون بما امتاز به من كمال العقل وغاية الفضل قادرا على ضبط نفسه بين من لا يعرفهم ولا يعرفونه ، وأن يجتهد فى معرفة اختلاف أهواء الناس . والوقوف على مدى فهمهم وعلمهم ومقدار كياستهم إنما يتوفر بثمانى خصال :

١ — الرفق والحلم .

٢ — صيانة الذات ومعرفة النفس .

٣ — طاعة الملوك فى تحرى رضاهم .

٤ — مراعاة حرمة الصديق بمعرفته جيداً ، وعدم إفشاء سره .

٥ — دقة الشخص فى كتمان سره وأسرار الناس .

---

(١) « نق » ورقة ١٣ (ب) .

٦ — توخّى رضا الناس ، والحرص على تملّق السلاطين وأصحاب النفوذ والجاه .

٧ — القدرة على حفظ اللسان ، والتحدث بقدر الحاجة .

٨ — أن يجعل المرء شعاره الصمت فى المحافل .

ولا شك أن كل من يتحلى بهذه الخصال الثمانية ، يصل إلى تحقيق مآربه ، ويظفر بعظائم الأمور . [ص ٤٠٧]

[بيت عربى فى الأصل]

بِقَدْرِ الكَدِّ تُكْتَسَبُ المَعَالى وَمَنْ طلبَ العُلَى سَهِرَ اللّيَالِى

وينبغى أن يكون النديم ملما بأنواع العلوم فيتخذ الكتاب أنيسه .

مصراع : « وخير جليس فى الزمان كتاب »[1] .

لأن الإنسان يهتدى بالكتب ، ويستطيع أن يلتمس فيها اللذة والمتعة .

مثل : « نعم المحدث الدفتر » .

كذلك يجب أن يظفر الإنسان بحظ وافر مما تحويه الكتب من جد وهزل ، فقد قيل :

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— الهزل طول الوقت يذهب كرامة الناس ،
والجد المتواصل يزهق أرواحهم .

ومنذ وجدت الدنيا فإن كل ما يصدر عن بنى آدم من كلام ، هزلا كان أم جدا ، لا يخلو من حكمة إذا دقّقت النظر فيه ، ومتى قرأه الخواص والعوام ،

---

(١) صدره : « أعز مكان فى الدنى سرج سابح » . والبيت للمتنبى (الديوان طبع بيروت ص ٥١٧) .

فإن نتائج هذه الحِكَم ترسخ وتثبت بالتدريج فى أذهانهم وقلوبهم . وقد قيل إن فى جبال الهند ، أدوية تحيي الموتى . وتفسير هذا القول ، أنهم قصدوا بالجبال « العلماء » وبالأدوية « كلامهم » وبالموتى « الجهلاء » الذين يحيون باستماع هذا الكلام ، ويجدون فى العلم حياة أبدية . وقد أوصل بعض العظماء هذه الحكم إلى الأسماع بروايتها على ألسنة الحيوان والبهائم ، ورواها بعضهم عن طريق العاشق والمعشوق ، مثل ليلى والمجنون ، كما رواها أناس آخرون بطريق الأوزان البراقة والأشعار الخلابة .

وقد رتب أمر المُلك الذى عليه مدار العالم ، ويُعَدّ مطلوبَ الكبار من بنى آدم ، فى صورة عدة قطع خشبية ، ليعرف الخواص الحكمة فى ترتيبها ، ويصرف العوام يومهم فى اللهو بهـا ، وهى عبارة عن الشطرنج والنرد . وقد وضعوهما ليلعب بهما الندماء مع الملوك ، وليعلموهم كيف ينبغى أن يقسم الجيش إلى جناح وميمنة وميسرة . وكما يعد الخصمُ العدةَ والعتاد فى ناحيةٍ ، فإن خصمه المقابل له فى الناحية الأخرى ، لا يكون غافلا عنه ، ويكون كلاهما حازما فى الحرب . وقد اخترع حكماء الهند هذا الشطرنج وأهدوه إلى أنو شروان العادل ، فكشف بزرجمهر سرّه ، وزاد عليه بابا ، ثم أهداه أنو شروان إلى قيصر الروم ، فأعمل حكماء الروم أذهانهم فيه ، وزادوا عليه هم أيضاً بابين . [س ٤٠٨] ونحن نبين فى الأبواب الأربعة التالية على سبيل الاختصار — طرق اللعب بالشطرنج ، حتى يتسلى به فى خلوته ، ملك العالم وسلطان بنى آدم غياث الدنيا والدين أبو الفتح كيخسرو بن قلج ارسلان — خلد الله ملكه .

١
الشطرنج الذى وضعه حكماء الهند[١]

أعد حكماء الهند رقعة مربعة من ثمانى خانات طولا وعرضا ، ورسموا عليها أربعة وستين مربعا بالتساوى ، وجعلوا فيها ثمانى قطع ومثلها من البيادق ، وطلوها بلونين من كلا الطرفين ، وأجلسوا الملك والوزير فى القلب ، وأوقفوا فيلين على الميمنة والميسرة ، ووضعوا بجانب الفيلين حصانين من الجانبين ، وجعلوا الرخين فى الزاويتين ، وصفوا أمامهم صفا من العساكر . وعلى هذا النحو يستعد المتنافسان من الجانبين للمباراة .

رخ	فرس	فيل	وزير	ملك	فيل	فرس	رخ
بيدق	بيدق	بيدق	بيدق	بيدق	بيدق	بيدق	بيدق
بيدق	بيدق	بيدق	بيدق	بيدق	بيدق	بيدق	بيدق
رخ	فرس	فيل	ملك	وزير	فيل	فرس	رخ

ملاحظة : عربنا الكلمات الفارسية على هذا النحو :

پياده : تعريبها : بيدق   فرزين : تعريبها : وزير   شاه : تعريبها : ملك

---

(١) ارجع فى ذلك إلى كتاب تاريخ الشطرنج ص ٢٢٠ وما بعدها .
A History of Chess by (H. J. R. Murray, Oxford, 1913).

وطريقة سير هذه القطع ، أن يسير كل رخ فى الزوايا فى خط مستقيم ، وأن يضرب كل ما يستطيع ضربه ، وأن تسير الأفراس عبر مربعين : إما فوق بيدق الرخ ؛ وإما فى مكان بيدق الملك والوزير . وعلى هذه الصورة يهجمون ويضربون . وأما الفيلة فتسير فى خط منحرف ، فتترك مربعا وتستقر فى الثانى ، وتضرب بقدر ما تستطيع ، بينما يسير الوزير فى الزوايا ، ويضرب بانحراف من كل جانب من الجـــوانب الأربعة ، وينتقل الملك من مربع إلى آخر فى أية ناحية يريدها ، ويضرب . ويسير البيدق فى خط مستقيم ، ويضرب بانحراف كالوزير فى المربعين الأعليين ، ولا يجوز أن يذهب الملك إلى مربع ، يمكن أن تضربه فيه آلة من هذه الآلات ، لأنه إذا جاء رخ فى مقابل الملك ، لزم أن يلْعب الملك . وإذا لم يكن للملك مربع فى الشطرنج مثلا ، وكانت جميع المربعات التى حوله مستغرقة ، أو إذا خلا مربع وكانت آلة من آلات الخصم تستولى عليه ، فيكون الملك فى حكم الميّت ، رغم بقاء جميع آلاته ، إذا لم يستطع اللعب بقطعة أخرى ، ويستطيع الخصم أن يستولى على جميع [ص ٤٠٩] الآلات التى كانت للملك المغلوب . وإذا كان بين الملك والرخ آلة بحيث إذا لعب بها الخصم طلب الملك ، فإنه يكون له من العراء الحادث لعبتان . ويحدث كثيراً أن يطلب الخصم الملك بالفرس ، ويكون الفرس فى مقابل الرخ أيضاً . فبالضرورة يجب أن يلعب الملك ، فيضرب الرخ ويسمون هذا « بالشاهرخ » وكل قطعة يُقصد بها الملك ، إذا كانت فى مقابل قطعة أخرى ، وضربتَ بها فإنها تسقط دون مقابل ، وكل بيدق من بيادق الجانبين يصل بالسير إلى نهاية المربعات التى بها قطع الخصم ، يصير وزيرا .

٢

الشطرنج الذى وضعه بزرجمهر(١) [ص ٤١٠]

أعد بزرجمهر رقعة مستطيلة ، ورسم عليها أربعة وستين مربعا بالتساوى ، طولها ستة عشر مربعا ، وعرضها أربعة مربعات ، وجعل عدد أدوات اللعب ست عشرة أداة أيضاً . ويلاحظ أن لونها وخط سيرها وطريقة اللعب بها ، هى بعينها التى سبق شرحها فى الباب الأول ، ولكن ترتيبها على الجانبين كان بشكل آخر ؛ إذ جعل كل رخ فى زاوية ، ووضع الملك والوزير فى الوسط ، والفرسين أمام الملك والوزير ، والفيلين أمام الفرسين وصفّ البيادق فى صفين أمام الفيلين ، وهى تسير فى اللعب والضرب على نفس قاعدة الشطرنج السابقة . وإذا أريد اللعب على هذه الرقعة بالكعبتين ، فإن أول لعبة تكون لمن يحصل على عدد أكبر ، فيكون له الحق فى أن يضرب أولا ، كما يكون مقيدا بنقش الكعبتين . فإذا وصل نقش الكعبتين إلى ستة ، فإنه ينبغى اللعب بالملك . أما إذا وصل إلى خمسة ، فإنه يلعب بالوزير . وحينما تصل الكعبتان إلى أربع ،

رخ			بيدق	بيدق							بيدق	بيدق			رخ
وزير	فرس	فيل	بيدق	بيدق							بيدق	بيدق	فيل	فرس	ملك
ملك	فرس	فيل	بيدق	بيدق							بيدق	بيدق	فيل	فرس	وزير
رخ			بيدق	بيدق							بيدق	بيدق			رخ

(١) ارجع أيضاً إلى كتاب تاريخ الشطرنج ، ص ٣٤٠ .

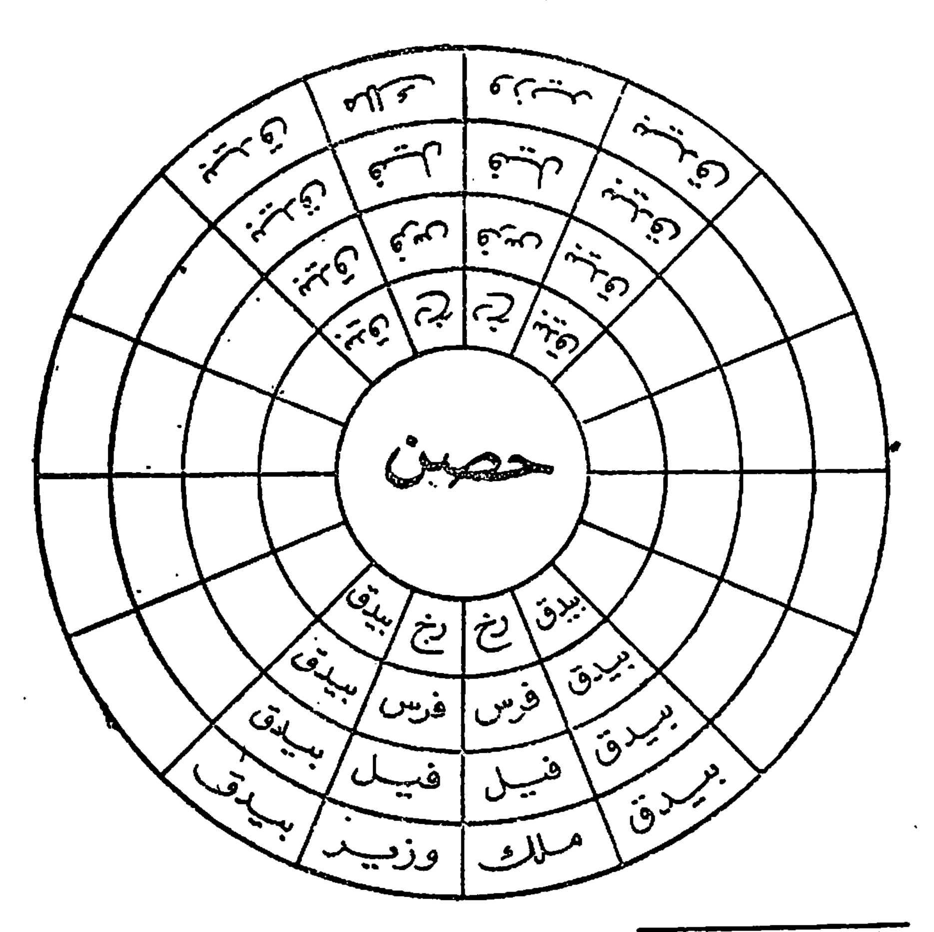
فإنه ينبغى اللعب بالفيل . و إذا وصلتا إلى ثلاث ، فإنه يلعب بالحصان . و إذا بلغ عدد الكعبتين اثنين،فإنه يلعب بالرخ. وأما إذا كان واحدا،فإنه يلعب بالبيادق. وفى حالة ما إذاوصل النقش إلى ستة فلا مناص من اللعب بالملك . فإذا لم يكن له مربع ، فإنه لا يكون فى حكم الميت ، مثله فى ذلك مثل الدوشش فى لعبة النرد .

وكل أداة لا يكون لها مربع لا تشترك فى اللعب . و إذا لم تكن أدوات الخصم جميعها فى موضع الضرب ، فإنه لايتمكن من الفوز بها حتى يظهر النقش ، فإذا كان رخ الخصم فى مربع ، و يستطيع البيدق أخذه ، فإن البيدق لايضربه ، حتى يظهر نقش الواحد . كما أن كل بيدق يصل فى السير إلى المربع السادس عشر يصير وزيرا .

٣

الشطرنج الذى وضعه حكماء الروم(١)

أعد حكماء الروم رقعة على شكل دوائر وجعلوا فى مركزها حصنا ؛ [ص ٤١١] بحيث أنه إذا واتت الفرصة الملك فإنه يستطيع أن يلجأ أثناء سيره إلى هذا الحصن ، حتى يأمن خصمه ، ثم يخرج ليواصل العمل . وقد رسموا حول الحصن



(١) ارجع الى كتاب تاريخ الشطرنج ص ٣٤٢ — ٣٤٣ .

أربع دوائر، قسموها إلى ثمانية أقسام، فنتج عن ذلك أربع وستون خانة، ثم رتبوا آلات اللعب على الجانبين، فوضعوا الملك والوزير على الحافة، ووضعوا فيلين أمامهما، كما وضعوا الفرسين أمام الفيلين، وجعلوا الرخين بجوار الحصن أمام الفرسين، ووضعوا البيادق أربعة على الميمنة وأربعة على [ص ٤١٢] الميسرة على طول الجانبين. وفى هذا الترتيب يبدو القلب والجناح والميمنة والميسرة فى صورة أظرف.

وأما طريقة اللعب، فتسير وفقا لقاعدة الشطرنج القديمة. وكل بيدق من أحد الجانبين، يصل فى السير إلى خانات الخصم، يصير وزيرا فى مقابل خانته. فمثلا حينما يصل بيدق الشاه إلى الخانة الأخيرة لملك الخصم، يصبح وزيرا، ويكون الجميع على هذا النسق أيضاً. وتقف الفيلة الأربعة متقابلة، ويضرب الواحد منها الآخر. وحينما يكون الملك فى الحصن، لا يضرب أحدا ولا يطرده أحد.

٤

الضرب الثانى الذى وضعه الروم

فى هذا الباب زاد الروم على الشطرنج القديم ثمانى أدوات : أربعة [ص ٤١٢] أسود وأربعة بيادق ، واختار بعضهم الإبل بدلا من الأسود . وقد أعدوا رقعة هى عبارة عن عشرة مربعات فى عشرة مربعات ، فتكون جملتها مائة خانة . وفى الزوايا جعلوا أربعة حصون ، بالإضافة إلى المربعات المائة . والترتيب فى هذا الباب يتبع أيضاً قاعدة الشطرنج القديمة ، وكذلك طريقة السير والضرب هى

حصن											حصن
	أسد	رخ	فرس	فيل	ملك	وزير	فيل	فرس	رخ	أسد	
	بيدق	بيدق	بيدق	بيدق	بيدق	بيدق	بيدق	بيدق	بيدق	بيدق	
	بيدق	بيدق	بيدق	بيدق	بيدق	بيدق	بيدق	بيدق	بيدق	بيدق	
	أسد	رخ	فرس	فيل	وزير	ملك	فيل	فرس	رخ	أسد	
حصن											حصن

بعينها الطريقة السابقة . ووضعوا الأسود فى زوايا المربع الأصلى . ويلاحظ أن الأسود تسير وتضرب فى الزوايا ، مثل سير الفيلة ، غير أن الفيل يتعدى خانة ويستقر فى الثانية بينما الأسد يتخطى مربعين ويستقر فى الثالث ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الفيلة لاتلتقى ، بينما الأسود تتلاقى ويضرب الواحد منها الآخر .

أما الحصون الأربعةالتى فى زوايا المربع الثانى ، فإن الملك إذا واتته الفرصة ، سار إلى واحد منها ، بحيث لايخشى عليه إذا سار ملك الخصم محاذيا له . وإذا وقعت بجوارهأداة من أدوات الخصم ،فإنهلايستطيع ضربها ، إلا إذا أمن وخرج ؛ لأنه فى حالة استقراره فى إحدى هذه الزوايا ، لايضرب أحدا ولا يطرده أحد ؛ إذ أن هذه الخانات التى تكوّن حصونه ، إنما تكون خارجة عن بساط الرقعة .

وفى هذين البابين اللذين وضعهما الروم توجد حكم عديدة . [ص ٤١٣] فترتيب بساط الدائرة للمعركة ، يكون أحيانا مفيدا جدا وزاخرا بالحكم ؛ لأنه إذا تأملها شخص يجد القلب والجناح والميمنة والميسرة كلهـا ظاهرة ومعلومة . والحكمة فى هذه الخانات التى هى بمثابة الحصون ، تبيّن أنه لامفر للملوك من الأمكنة الحصينة ، خصوصا فى الوقت الذى يكون فيه العدو منتصرا ، لكى يحتموا بها ، ويقيموا فيها ، حتى إذا صارت الأمور على ما يرام ، [ص ٤١٤] خرجوا ثانية . وقبل استتباب الأمور لاينبغى أن يتحرك الملك بنفسه لأن استقرار الملك فى مكانه يثبّت أقدام جيشه فى مكانها ، نند قيل :

[مصراع فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

ليس لألف حمامة قلب صقر واحد .

وعلى هذا ينبغى لملوك العصر أن يحتاطوا ، لأن فى هذا مصلحتهم ومصلحة رعاياهم . فلا شك أن ثبات الملوك إنما هو ثبات للعالم وأهل العالم .

وقد قال الحكماء السابقون ـ قدس الله أرواحهم ـ : « إن مثل الملوك كمثل مركز الدائرة ، ومثل الجيش والرعايا ، كمثل محيط هذه الدائرة فإذا استقر المركز فى مكانه استقر المحيط » .

وإنما وضع الروم مربعات الحصون هذه ، لكى يعلم الملوك أن الاحتياط واجب .

* * *

وقد وضع الشطرنج القديم رجل حكيم ، كانوا يسمونه صصبة بن باهر الهندى[1] وقصته طويلة . والمقصود هنا هو معرفة الشطرنج والحكمة من وضعه ورغم أن فيه فوائد كثيرة ومصالح عديدة ، إلا أن الغرض الأساسى هو بيان أوضاع الحرب ، ولذلك وضعوا البيادق فى المقدمة ، لأن الملك يجب أن يكون محميًا بجيشه ، وأجلسوا الوزير بجانبه نظرا لمكانته ، وجعلوا الفيلين إلى جانبهما ليستظهرا بهما ، ووضعوا الفرسين بجانب الفيلين بدلا من الفرسان ، لكى يكرا ويفرا ويحاربا عوضا عن المبارزين ، وجعلوا الرخين فى الطرفين حتى يهيئوا للمبارزين مكانا واسعا يتيح لهم أن يزاولوا عملهم فيه بسهولة ويسر ، وسمحوا للبيدق أن يتحرك مربعا واحدا ، لأنه لايجدر به أن يقاتل فيبتعد عن الجيش . وكذلك الحال مع الوزير ، فقوته مستمدة من قوة الملك ، والملك يعمل وفقا لرأى وزيره ومشورته . وينتقل الفيلان إلى المربعين فى الزوايا لأن بهما يتم الإحكام والتحصين ، فهما يقفان من بعيد ، ويحافظان على سائر العدد والآلات [ص ٤١٥]

(١) يرد اسم هذا الرجل بأشكال مختلفة فى الكتب العربية والفارسية مثل صَصَّة وصِصة وصوصة وصيصة وصهصهة وصمصمة وغير ذلك. أما اسم أبيه فهو فى كل موضع « داهر » (بالدال المهملة) وليس « باهراً » كما ورد فى هذا النص (ارجع إلى تاريخ الشطرنج ص ٢١٧ . وللوقوف على حقيقة هذا الرجل ومعرفة أصله انظر نفس المصدر ص ٢٠٧ — ٢١٩) .

والحصان يسير فى مربعين ، لأن الفرسان يجب أن يصلوا إلى أى مكان يستطيعون الوصول إليـه . والجُنْدِىُّ (البيدق) الذى يصير وزيرا ، إنما يصل إلى هـذا المنصب ، لأنه حينما تـكون له مثل هذه القوة فى الحرب ، وحينما يمتلك هذا التفـكير السليم الذى يمكنه من التقدم أمام الجيش ، والمحافظة على نفسه ، وتخطى جميع الصفوف دون أن يهلك — يكون جديرا بالوزارة لامحالة .

ويجب على الشخص الذى يلعب الشطرنج ، أن يجعل نصب عينيه قتل الملك فيجِدّ فى كل مرة حتى يلعب أحسن من سابقتها ، وعليه كذلك أن يراقب كل أنواع اللعب ، وينظر بإمعان إلى جميع المربعات ليتقن إصابة الأهداف .

والشطرنج هو لعبة الحـكماء وأرباب الفهم وذوى الخواطر السريعة ، فينبغى فيها الجهد لـكى يتقنها اللاعب ، لأن من يلعب رديئا ليس له عذر قط إلا العجز والإقرار بأنه لعب رديئا وقد رووا أن الخليفة المأمون كان يقول « إذا لعبتُ النرد وخسرت فإننى أقول : إن الحظ لم يكن مواتيا. أما إذا لعبت الشطرنج وخسرت فما عساى أن أقول غير أننى عجزت عن أن ألعب جيدا فلعبت رديئاً » .

كذلك يتمثل العقل والرئاسة ، والملك والعظمة ، فيما اختاره خسرو پرويز إد أنه لم يلعب النرد مطلقا ، وإنما كان يتسلى بلعب الشطرنج . فقـالوا له : « لم لاتلعب النرد؟ ! . . » فأجاب : « لأن الدنيا كلها يجب أن تترقب عملا رائعا منى . وحيث أنى أنوى القيام بعمل فريد ، فقد اخترت لعب الشطرنج لأنه يتلاءم مع قوة الخاطر ومظهر الملك » .

وما أجمل ماقاله ابن الرومى (١) فى وصف الشطرنج .

---

(١) هو على بن العباس بن جريج (انظر ترجمته فى ابن خلـكان فى حرف العين) .

[أبيات عربية فى الأصل]

أرضٌ مُرَبَّعَةٌ حمراء مِنْ أَدَمٍ مَا بَيْنَ شَخْصَيْنِ مَوْصُوفَيْنِ بالكَرَمِ

تذكَّرا الحربَ فاحتالا لهَا شَبَهًا مِنْ غيرِ أَنْ يَعْبَثَا فيهَا بسَفْكِ دَمِ

هذَا يُغيرُ علَى هذا وذاكَ علَى هـذا يُغيرُ وعينُ الحربِ لَمْ تَنَمِ

فانظرْ إلى خيلٍ[1] جاشَتْ بهَا هِمَم مِنْ عَسْكَرَيْنِ بلا طَبْلٍ ولا عَلَمِ

فليبق الله تعالى شمس إقبال السلطان مشرقة ، فهو ملك بنى آدم ، السلطان الأكبر والمعظم ، كيخسرو ابن السلطان قلج ارسلان — خلد الله ملكه — ؛ وليبق ظل دولته دائما ؛ وليحفظ حظه الفتى من نوائب الفلك العتيق ؛ وليجعل عين السوء بعيدة عنه ، حتى يلتمس فى الشطرنج التسلية والنشاط والسرور .

وإنى أوصيه ألا يلعب قط على رهان حتى لا يصير اللعب قمارا ، فيستجلب كراهية الشرع ، وأن يجتهد فى ألا يضيع الصلاة بسبب الشطرنج ، وإلا طغى [ص ٤١٦] فساده على منفعته ، وحقت عليه كلمة الله : « وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا »[2] .

---

(١) كذا فى النسخة الأصلية والوزن معيب .

(٢) قرآن كريم ، سورة البقرة ، آية ٢١٩ .

فصل فى الشراب(*)

لمـــا التحق الداعى لهذه الدولة محمد بن على بن سليمان الراوندى بخدمة سيد العالم وملك بنى آدم ، السلطان القاهر عظيم الدهر غياث الدين — خلد الله ملـكه — وحظى بشرف جواره ، واجتهد فى تقبيل سدته الميمونة ، وملازمة ركابه المباركة ، رأى من المصلحة أنه لزام على السلطان — اقتداء بمحاسن أخلاق سلاطين العراق وخراسان ، واقتفاء آثارهم ، ومتابعة لنهج عظماء العالم — أن لا مفر من تدبير دار شرابه بشرط أن تـكون متفقة مع الشرع ، فلا يقع خُدَّام الملك وغلمان دار الشراب تحت طائل العقوبة ، وحتى يبقى عمال الشراب الخاص ، بعيدين عن اللعنة إذ جاء فى الخبر : « لَعَنَ اللهُ فى الخَمْرِ عشرةً : بايِعَها ومُشْتَرِيَهَا وعاصِرَهَا ومُعْتَصِرَها وشَارِبَهَا وسَاقِيَهَا وحامِلَهـا والمحمولَةَ إليه ، والمُدِمِنَ عليها وآكِلَ ثمنها[1] » .

ولـكى تتحقق المنفعة ، ولا يضيع المقصود من بهجة الحفل ، فإن الحرمة التى تقع أثناء الاجتماع والأنس والنشوة التى تحصل بسبب الإفراط فى شرب الخمر المحرمة ترتفع فى شرب المثلث[2] الذى يبدو حلالا ، كما أن نبيذ العسل والتمر والشعير والزبيب وغيرها من الأطعمة الحلال مباحة مع أنها تسكر، كذلك

(*) المراجع : الآراء التى ذكرت فى هذا الفصل آراء شخصية للمؤلف لايتسع المجال لمناقشتها وقد اعتمد فيها على كتب الفقه التى ذكرها فى هذا الفصل .

(١) حديث رواه الترمذى وابن ماجه عن أنس (مشكاة المصابيح ، كتاب البيوع) .

(المترجم) : هناك رواية أخرى لهذا الحديث وردت فى كتاب الجامع الصغير للسيوطى ج ٢ ص ١٢٣ .

(٢) المقصود بالمثلث العصير الذى يطبخ حتى يذهب أقل من ثلثيه .

يوجد فى مازندران خبز يسكر ، وبذور البنج وغيره من الأدوية مسكرة أيضاً .

وقد ذكرتْ منافع الشراب ومضاره فى كتاب «ذخيرهٔ خوارزمشاهى»[١] وكتب الطب الأخرى . وإذا تفحصها شخص بعين البصيرة بقطع [ص ٤١٧] النظر عن التحريم ومخافة العقوبة إن آجلا أو عاجلا ، فإنه يتجنب على الفور الإفراط فى شرب الخمر ، مدفوعا فى ذلك بما يتولد عنها من مضار . وليست هناك مضرة قط من شرب القليل المباح ، بل قد تتحقق به المنافع . وقد قال « أبو الحسن الكرخى »[٢] و « الحسن بن زياد »[٣] رضى الله عنهما إنه قد ثبتت لدى الإمام الأعظم أبى حنيفة الكوفى — أخبار صحاح وروايات سليمة ، فى تحليل شىء من الخمر ، وردت عن كبار الصحابة مثل عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وعلى بن أبى طالب وعبد الله بن عباس وعطاء[٤] وإبراهيم[٥] وعلقمة .

فكل من يفتى بخلاف ذلك يصبح كافرا ، ولا يسىء الظن بالصحابة والتابعين إلا كل مارق : « فإنَّ مُحَرِّمَ ما أُحِلَّ كمُحَلِّلِ ما حُرِّمَ » .

---

(١) للوقوف على معلومات عن هذا الكتاب ارجع إلى فهرست النسخ الفارسية المحفوظة بالمتحف البريطانى ، وضع ريو ص ٤٦٦ — ٤٦٧ .

(٢) هو أبو الحسن عبيدالله بن الحسن الكرخى الفقيه العراقى ممن يشار إليه ، ويؤخذ عنه ... وكان أوحد عصره غير مدافع ولا منازع ، مولده سنة ٢٦٠ وتوفى فى شعبان سنة ٣٤٠ (أنظر كتاب الفهرست لابن النديم ، ص ٢٠٨) وهو مؤلف كتاب المختصر فى الفقه .

(٣) هو الحسن بن زياد اللؤلؤى ويكنى أبا على من أصحاب أبى حنيفة وممن أخذ عنه وسمع منه ، وكان فاضلا عالما بمذاهب أبى حنيفة فى الرأى ... توفى سنة ٢٠٤ وله كثير من الكتب فى الفقه (كتاب الفهرست ص ٢٠٤) .

(٤) هو أبو محمد عطاء بن أبى رباح من أجلاء الفقهاء وتابعى مكة . . (انظر ترجمته فى ابن خلكان فى حرف العين) .

(٥) هو إبرهيم بن يزيد النخعى التابعى (نفس المصدر ، حرف الألف) .

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه للصحابة : « شَهِدتُ تحريمَ الخَمرِ كما شَهِدتُم ، وشَهِدتُ إباحتَه وغِبتُم [1] . والإباحةُ بعد الحَظْرِ من صاحِبِ الشَرْعِ يكونُ وفيهِ إجماعُ الصحابَةِ قولاً وفعلاً » وقد عطش رسول الله صلوات الرحمن عليه — فى حجة الوداع ، فأحضروا له نبيذ تمر فلما شمّه [ص ٤١٨] وجده حريفا ، فطلب ماء وأضافه إليه ثم شربه . فسأله أحد الحاضرين : « يا رسول الله هل هذا حرام أولا ؟ » فقال الرسول : « لا » . وقد ورد هذا الحديث فى جميع كتب أصحاب أبى حنيفة مثل شرح الجامع الكبير ، والجامع الصغير ، وشرح الطحاوى ، ومختصر الكرخى والمسعودى ، وشروح القدورى ، وموجز الفرغانى [2] وغيرها . وقد نقلت هذه المسائل والأخبار عن هـذه الكتب المذكورة .

قال . « والعصير إذا طبخ حتى يذهب أقل من ثلثيه يحلّ ؛ لأن عمر رضى الله عنه لما رأى المثلث قال : « ذهَبَ شيطانُه وَريحُ جُنونهِ وَبَقِىَ حلالُه » [3] ولما لم يكن يعد خمراً فلا يجب تحريمه أو الحدُّ عليه . ونبيذ التمر والزبيب إذا طبخ قليلا يصير حلالا ، حتى ولو تخمر وصار كثيفاً إذا لم ينووا شربه من أجل السكر .

سئل عبدالله بن عباس — رضى الله عنه — عن نقيع التمر والزبيب المطبوخ ونبيذ العسل والحنطة والشعير فقال : « اشْرَبِ الْوَاحِدَ وَالاثنَيْنِ والثلاثَ فإذا خِفْتَ الشُكْرَ فَدَعْ ، لأنه ليَس بخَمْرٍ فلا يَحْرُمُ شُرْبُهُ » والأصل فى جميع

(١) كنز العمال ، ج ٣ ص ١١٣ .

(٢) [المراجع : سبق التعليق على هذه الأسماء فى هوامش صفحتى ٢٣ ، ٢٤ من هذا الكتاب ، فارجع إليها .]

(٣) كنز العمال ، ج ٣ ص ١٠٩ (باب الأنبذة) .

الأشربة أنها حلال ومباحة مالم يرد نص بتحريمها . يحكى أن أعرابيا شرب نبيذا من إبريق عمر فسكر ، فحدّه عمر رضى الله عنه فقال له الأعرابى : « لقد شربتُ من إبريقك . . ! » فأجاب أمير المؤمنين : « إننى أقمتُ عليك الحدّ لسكرك لا لشربك » . وعن عمر رضى الله عنه أنه قال : « إنا نأكل لحمَ الجَزُور ونشرَبُ عليهِ النبيذَ ليقطَعَهُ فى بطُونِنا »(١) وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنِّى كنتُ نَهيتُكُمْ عن الأوْعِيَةِ فاشربُوا بمَا بدَا لَكُمْ وإياكُم وكُلَّ [ص ٤١٩] مُسْكِرٍ » . وعنه رضى الله عنه : « إن القومَ لَيَجْلِسُونَ على الشَّراب وهوَ لَهُمْ حلالٌ ، فَلاَ يزَالونَ حتى يَحْرُمَ عليهِم » . وعن الشَّعْبى(٢) أنه قال : « لَقَدْ كنتُ أدركتُ أصحابَ عبدِ الله(٣) وأصحابَ علىّ رضى الله عنهُم يَشْرَبُون نبيذ الخَوَابى » . وعند أبى حنيفة أنه إذا وضع سمك مملح فى الخمر لكى يصبح جوارشا فإنه يكون حلالا ، وجواز أكله مجمع عليه ، ولم يشذ على ذلك أحد . ومذهب سفيان(٤) متفق مع أبى حنيفة فى هذه المسائل .

« وعند أبى حَنيفَةَ لايجوزُ شربُ المُنَصَّفَ لأنَّ أميرَ المؤمنينَ عُمَرَ كان يَكتُبُ إلى أمَرَاء الأجْنادِ أن اؤمروا الناسَ حتَّى يَطْبخُوا العصيرَ كَىْ يذهبَ ثُلُثاه ، ويبقى ثُلُثه فإذا لم يَذهَبْ ثُلُثاهُ لايَحِلُّ ويجوزُ بَيْعهُ ولَا يُحَدُّ شارِبُه»(٥)

---

(١) كنز العمال ، ج ٣ ص ١٠٩ (باب الأنبذة) .

(٢) هو أبو عمرو عامر بن شرحبيل الشعبي السكونى التابعي (انظر ترجمته فى ابن خلكان ، حرف العين) .

(٣) لعله يقصد عبد الله بن عباس .

(٤) أى سفيان الثورى (انظر ابن خلكان ، حرف السين) .

(٥) المترجم : هذا النص ورد بالعربية فى الأصل وكذلك جميع العبارات التى ضبطناها بالشكل فى هذا الفصل .

وفى مذهب أبى يوسف ومحمد[1] أنه مادام لا يجوز شربه فإنه لا يجوز بيعه . قال : وخَلِيطُ التَّمْرِ والزَّبيبِ والشَّعيرِ إذا ذهبَ ثُلُثَاه وبقى ثُلُثُه ، حَلَّ كَحالِ الانفرادِ فى المُثَلَّثِ لقوله تعالى « وَمِنْ ثَمَراتِ النَّخيلِ والأعنابِ [ص٤٢٠] تَتَّخِذُون منهُ سَكَرًا ورِزْقًا حسنًا[2] » .

وقال محمد بن الحسن : « إنى لا أحلّه ولا أحرمه » وجاء فى مختصر الفرغانى قوله : « كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ[3] المُرَادُ ما يَحْدُثُ عَنْهُ السُّكْرُ ، كالمُؤْلِم ما يَحْدُثُ الألَمُ عنه ، ومَالَا يَحْدُثُ السُّكْر منه لا يُسَمَّي مُسْكِرًا ، وإن كان يَحْدُثُ من كثيره ، كما لا يُقالُ لِلطَّعامِ مُشْبِعٌ وإن كانَ يَحْدُثُ الشِّبَعُ مِنْ كثيره . هذا إذا شَرِبَ ليقوّى على الطاعةِ أو ليَسْتَمرِئَ الطَّعام . أمّا إذا قَصَدَ به السُّكْرَ والتلَهِّيَ ، فإنه لا يَحِلُّ بالإجماع لأنَّ اللهوَ والطربَ حرامٌ وكذا ما يُتَوَسَّل بهِ إليهِ » . وقال القاضى أبو يوسف : « المُسْكِرُ عندنا القَدَحُ الأخيرُ » . روى ذلك عن عباس وعطاء وإبراهيم رضى الله عنهم .

وعن عَلْقَمة قال : سألتُ ابنَ مسعودٍ عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ مُسْكِرٍ حرامٌ » فقال : « هى الشَّرْبَةُ الأخيرةُ » . وفى تأويل هذا قال أبو يوسف أيضا « إذا طلبَ السُّكْرَ من الشَّرابِ وجَلَسَ لذلك فالكُلُّ حرامٌ ، لأنه قَصَدَ بالشُّرْبِ مَعْصِيةً » .

والمثلث لا يدخل تحت نصوص التحريم فهو مباح وحلال . [ص ٤٢١] ونقيع التمر والزبيب إذا غلوه قليلا ، وأضافوا إليه بعض التفاح أو السفرجل أو أوراق الورد ، لا ينطبق عليه اسم الخمر ، ويكون شرابا طيب الرائحة مستساغا

---

(١) أى محمد بن الحسن الشيبانى .

(٢) قرآن ، سورة النحل ، آية ٦٩ .

(٣) حديث (انظر البخارى ، طبع ليدن ، ج ٤ ص ٢٩) .

(المترجم) : انظر أيضاً السيوطي : الجامع الصغير ، ج ٢ ص ٩٤ .

حلالا . وقد جرّب مؤلف هذا الكتاب تحليل المثلث فى همدان . وإنى لأروى هنا قصة عن أعظم الوزراء على الإطلاق ، الباقى من كبار أهل العراق ، رئيس سادات العالم وأفضلهم ، وحيد عصره ومحط قضاء حاجات الخلائق ، الدعامة التى يستظهر بها أصحاب أبى حنيفة ، ويتطلعون دائما إلى تقلده الوزارة فى عهد سلطان الزمان ، وهو الشاب صاحب الصورة الحسنة والسيرة العطرة المطلع على مختلف العلوم ، الخبير بأنواع الفنون ، الوزير ابن الوزير ، الصاحب الصدر الكبير ، العالم العادل النحرير ، شهاب الدين ثقة الإسلام والمسلمين ، ملك الأمراء والكبراء ، ذو المناقب والمآثر ، ابن الصاحب العادل شهاب الدين محمود ، ابن ثقة الدين عبد العزيز — أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره — فقد حاز قصب السبق ، وزاد فى فضله على سائر الناس ، وكان عالما متدينا فريد دهره .

وهذه القصة تدل على ما كان يتصف به هذا الوزير من تدين وتعصب وحمية وهى : أنه فى أيام دولة طغرل عند ما كان يتولى الكتابة والوزارة ، كان غلاة الرافضة عليهم اللعنة — مثل خواجه عزيز وزملائه وأعوانه وأصدقائه ، يقصرون القضاء فى إصفهان على الأشاعرة ، ويظهرون للسلطان أن فى هذا صلاحا للمملكة ، فجعلوا أمر الرياسة والخطابة والقضاء فى يد الخجنديين[1] . فلما وصل الأمر إلى الوزير المذكور ليمهره بطغرائه ، نقض ذلك القرار وقال : « إن المُلك الذى يتحكم فيه الدين ، لا ينبغى له سلطان ، وإذا لم تكن إصفهان تابعة للسلطان ، فالأفضل ألا يكون مسلما ؛ لأن فقدان الحمية ليس من الإسلام فى شىء . وإن الشىء الذى حصل عليه أجداد السلطان وأسلافه بحد السيف من الأشاعرة ، لن أتركه يوضع مجانا فى أيديهم » وفى الحقيقة لم يكن هناك شخص غير هذا

---

(١) للوقوف على أحوال هذه الأسرة ارجع إلى كتاب لباب الألباب لعوفى ، ج ١ ، ص ٣٥٤ — ٣٥٦ .

الوزير يجرؤ على التصريح بمثل هذا القول ، ولهذا فإنه قضى على الأشاعرة والروافض فى مهانة وذلة وغلبهم على أمرهم .

وعلى أثر حادثة مقتل السلطان ، زهد هذا الوزير الذى كان وحيد عصره فى الوزارة واعتزل منصبه ، فاستراح بذلك من العمل مع [س ٤٢٢] العراقيين ، وتخلص من متاعبهم وشرهم وظلمهم .

ولكن سرعان ما سببت حالته النفسية ضعف جسمه ، فلم يكن للأطباء المعالجين كلمة إلا قولهم : « إن شرب الخمر يقطع دابر هذا المرض ، ويخلصك منه » ولكن نظرا لما كان يتصف به من فضل وتقوى ، كان يأبى تناول الشراب ، ولا يقدم عليه ، ولا يفكر فى تجرعه ، فكف الأطباء عن وصف علاج آخر ، وأصروا على أنه ليس هناك علاج آخر غير هذا فلا مفر من شربه ، لأن هذا المرض لا يداوى إلا بالشرب . وأخيرا قال : « إذا كان لشراب المثلث خاصية الدواء فإنى أشربه ، وإلا فلا » . فقال الأطباء : « إنه أحسن وأفضل » فأمر بأن يحضروا مائة مَنٍّ من عصير العنب ، ويضيفوا إليها مائتى مَنٍّ من الماء ، ويغلوا هذا المخلوط حتى يتبخر ثلثاه ، ففعلوا وقد استغرق نضج هذا الشراب عدة أيام ثم صار شرابا طيب الرائحة نافعا منعشا . وبالرغم من هذا فقد توقف عن شربه ، واستدعى فقهاء المدينة ليجيزوا تحليل تناوله .

فأحلَّ الجميع ذلك ، وشفى ذلك الوزير العظيم من مرضه فى مدة قليلة بعد أن كان قد يئس من الحياة. وابتهاجا بشفائه أوقف الأوقاف على الأعمال الخيرية وسجل العقود بذلك .

وكذلك تأكدت أنا مؤلف هذا الكتاب من تحليل الشراب ، لأن الرسول صلوات الرحمن عليه قال : « إنَّ اللهَ تعالَى لَمْ يَجْعَلْ فيما حَرَّمَ شفاء » .

وقرأت فى الآثار أن : « لا راحةَ فِي مَعْصِيةِ الخالقِ » . وفى الشراب منافع كثيرة ، ومصالح عديدة . وقد ألفوا كتاب الشراب ، وقسموه خمسين بابا فى منافع الشراب ومضاره . وإن كلام الخالق لناطق بمنافعه إذ يقول : « ومَنَافِعُ للناسِ[1] » .

وكان ملوك العصر والوزراء العظام ، يشتغلون بالشراب فى مجالس الأنس والحفلات والولائم . فكانوا مع تحققهم من آية التحريم يرتكبون إثما كبيرا يخسرون به أرواحهم وما ملكت أيديهم : « خَسِرَ الدُّنيَا والآخرةِ[2] » .

ولو تم الأنس بطريقة لاتستوجب العقوبة لكان ذلك أولى ، ولو شربوا ذلك الشراب الحلال لكان أفضل .

وإذا كان شرب الخمر مخالفا للشريعة ، ووردت أخبار [ص ٤٢٣] وآثار كثيرة فى توقيع العقوبة على شاربيها ، فقد كانت حلالا فى الأمم السابقة ، إذ لم يكن شخص يتجنب شربها فى تلك الأزمان ، وكان ملوك العجم يجعلونها زينة محافلهم وعنوان عظمتهم .

ويروى أن الملك « كيقباد[3] » أقام حفلا كبيرا دعا إليه عظماء الدولة ، ثم جاء « لقلق » وقد طوق ثعبان رقبته بشدة ، وحط أمام عرش الملك فى صورة مظلوم يطلب الإنصاف والغوث ، ويشكو الثعبان بلسان الطيور . فقال أحد الحجاب : « إن هذا الطائر الأخرس قد أصابه ظلم على يد هذا الحيوان المفترس ، فجاء يستغيث بالملك . ولا يمكن أن يتأكد من مناصرتنا له ، ويكون آمنا إلا إذا خلصناه » . وكان كيقباد يجيد الرمى فقال : « سألصق بسهمى رأسَ الثعبان

---

(١) قرآن كريم ، سورة البقرة آية ٢١٦ .
(٢) قرآن كريم ، سورة الحج آية ١١ .
(٣) يقال إن المصنف قد أخذ هذه الحكاية من كتاب الشراب الآنف الذكر .

بالأرض ، فيحلق الطائر فى الفضاء ، ويعانى الثعبان الألم والهلاك . فقالوا : « إن رأيكم السامى لهو الأرجح » . فنفذ الملك رأيه ونجا الطائر وطار وتوارى عن الأنظار . وبعد مدة نزل الطائر فى نفس الموضع مستبشرا مرحا ، وكان فى منقاره خمس حبات من العنب فوضعها على الأرض فى خضوع ثم غاب عن الأنظار ، فقال الملك : « إنه جاء بهـــذه الحبات كرد للجميل الذى صنعناه معه ، فأحضروها لنرى ما هى . . . ؟ ! » فلما نقلوها إلى جوار العرش ، قال الملك : « ماذا عساها أن تكون . . . ؟ ! » قالوا : « إن هذه من نوادر الدهر وغرائب العصر ، فلم تر أعيننا مثل هذا الشىء ، ولم تسمع آذاننا بمثل هذه الحادثة » . فأحضروا طوائف مختلفة من الناس من العلماء والحكماء والأطباء والدهاقين والرهبان والفلاسفة والعطارين والبقالين والزراع ، ثم جاءوا بهم إلى الملك فكان كل واحد يقول كلاما وينظم قولا .

وأخيراً اتفقوا على أن هذه الحبات مهما يكن نوعها فلن تستبين [ص ٤٢٤] بهذه الصورة ، وينبغى دفنها فى الأرض ليرى ما ينبت منها . فبحثوا عن مكان حصين على شاطىء نهر ، وزرعوا الحبات على حافة مزرعة ، وبالغوا فى العناية بها حتى ظهر نبت من كل منها بعد مدة ، كان يفوق فى خضرته ما لأجنحة الطاووس من شهرة . ووصل الخبر إلى كيقباد ، فتجشم المشقات ورآها ، ووصى بمزيد العناية بها حتى تثمر عنبا وتظهر خاصيتها . ثم قالوا : إن هذا النبات ناضر الخضرة وقد قارب النضج ، فينبغى أن نكثر من زراعته ليصير زينة الحدائق وحلية الرياض . فلما كثر لم يستطيعوا أكله ، لأنهم لم يقفوا على منافعه ومضاره . فقال الملك : « من الممكن أن تكون منفعته فى الشراب » فلما عصروه ووضعوه فى الدنان تخمر ، فتعجب الفلاسفة من ذلك ، واتفقوا على أنه ينبغى أن يحضروا جماعة ممن أهدرت دماؤهم ، حتى تجرى عليهم التجربة ؛ فأحضروا ثلاثة أشخاص

مختلفى المزاج ، فتجرع كل واحد منهم جرعة بإكراه عظيم وخوف شديد . وفى الجرعة الثانية تجرأوا ، وفى المرة الثالثة صاحوا ليحضروا لهم الجرعة الرابعة . فلما وصلت الحال إلى المرة الخامسة اعترتهم نشوة وشرعوا فى الرقص ، وزال عنهم الحياء والخجل ، ولم يروا شخصا أعلى منهم ، ولما بلغوا غاية السكر تطاولت ألسنتهم بسب كيقباد . وفى اليوم التالى لم يستطيعوا أن يصبروا عن الشراب ولكن العظماء لم يجرؤوا على تجربة هذا الشراب ، وقالوا لاتضمن سلامتهم مالم تمر عليهم أربعة فصول ؛ إذ من الجائز أن ينقلب هذا السرور غما فيجلب لهم الموت والهلاك .

وخلال هذه الفصول الأربعة استمروا يقدمون هذا الشراب لعدة أشخاص منهم حتى تتضح فوائده ، فزادوا جميعاً نشوة ونشاطا ، وبهذا عرفوا فائدة هذا الشراب ، وجعلوه بعد ذلك زينة لمجالسهم ، ووسيلة لجمع الأحباب . وبالتجربة استخرجوا منه أنواعا حلوة وحامضة ، وبواسطة وضعه على النار ، حصلوا على مشروب حلو لذيذ ، كما صنعوا منه أنواعا من الحلوى والأدوية .

ومن الخل الحامض أنتجوا أصنافا من المربى ، تهادوا بها فى شتى المناسبات ، وصار الواحد ينافس الآخر فى الحصول عليها .

ونظموا الأشعار الرائعة باللغتين العربية والفارسية فى وصف الخمر ، [ص ٤٢٥] وصار الخل لكثرة منافعه مطلوبا ومرغوبا بالرغم من حموضته .

فمن الأشعار الرائعة أنشدوا هذه الرباعية الجميلة :

[رباعية فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— ناولنى شراباً كشراب الجنات ،

واعطنى بنت الكرم فإننى رجل أعزب .

— فهى فتاة طروب تتمايل ،
وهى غانية ذات وجنتين حمراوين ... !!

وهكذا لم يدعوا شيئاً فى الشراب إلا وصفوه ، حتى أنهم قالوا أشعارا بالعربية والفارسية فى وصف أوانيه :

[بيتان عربيان فى الأصل[1]]

رَقَّ الزُّجَاجُ ورَقَّتِ الخَمْرُ فَتَشَابَهَا فَتَشَاكَلَ الأَمْرُ
فَكَأَنَّهَا خَمْرٌ ولاَ قَدَحٌ وكَأَنَّهَا قَدَحٌ ولاَ خَمْرُ

[بيتان فارسيان فى الأصل ، ترجمتهما :]

— إننى أنهض للشراب ولا أطيع أمرك مطلقا ،
وأشرب الخمر لأدفع عن نفسى الهموم .
— وحينما أرى القدح يضع شفته على شفتك ،
فإننى بسبب الغيرة لا أهدأ حتى أشرب دم القدح ... !!

[رباعية فارسية فى الأصل[2] ، ترجمتها :]

— إن قارورة من الخمر المعتقة لأفضل من مُلك نضير ،
فالأولى أن تبتعد عن كل ما ليس خمرا .
— فدن الخمر أفضل مائة مرة من مُلك أفريدون ،
وغطاء إبريق الخمر أفضل من تاج كيخسرو[3] .

وغرض الحكماء من الشراب هو نشوة الروح ومنفعة الجسم [ص ٤٢٦] وحفظ الصحة . وللجسم ثلاث قوى :

---

(١) للصاحب اسماعيل بن عباد (انظر ترجمته فى « ابن خلكان » حرف الألف) .
(٢) تنسب هذه الرباعية إلى الحكيم عمر الخيام وتوجد فى مجموعة رباعياته، طبع عباس ص ٥٨ .
(٣) جاء فى حاشية الكتاب أن عبد الرزاق يقول : إن المؤلف قد أخطأ فى إيراد هذا البيت خطأ فاحشا فى حق الملك الذى ألف الكتاب باسمه لأنه جعل تاجه أقل من سدادة إبريق الخمر .

الأولى : القوة الشهوانية ووظيفتها حصول اللـــــذة وقضاء الشهوة ، وموطنها الـكبد .

الثانية : القوة النفسانية التي يسمونها القوة الناطقة[1] ووظيفتهـا طلب الحـكمة والعلم وتحرى الصواب ، ومنع الإنسان من ارتـكاب الأفعال القبيحة . وهذه القوة خاصة بالإنسان وموطنها الرأس ، وهى أشرف القوى ، على عكس القوة الشهوانية فهى أخسها وأحطها . وكل قوة تعمل عملا مخالفا للأخرى . وكل من يريد أن يمنع واحدة منهـا من العمل ، يستطيع أن يفعل ذلك بالقوة والقهر فيتجنب العاقل السوء ويتشبث بالصواب الذى يدعو إليه العقل ، ويكون ذلك بقهر القوة الشهوانية ، وإبرام الأعمال الصائبة ، والخوف من الآخرة ؛ ولهذا السبب يستولى عليه تعب شديد ، ولذلك بحث الحـكماء عن شىء يرفه عنه ، ويخلصه من هذا التعب . فلم يتوفر هذا الشىء فى أى طعام أو شراب إلا فى خمر العنب ، التى تـكسر من حدة هذه القوى ، وتوجهها وجهة صائبة ، لأن نظام العالم وقوام بنى آدم ، إنما يتأتى حينما تتخذ كل قوة الوجهة السليمة . وأما إذا قضت الخمر على هذه القوى ، وعطلتها عن تأدية وظائفها ، فإن عمارة العالم تنقطع ونسل بنى آدم يتلاشى .

وينبغى أن يشرب الإنسان الخمر بمقدار بحيث تتمكن القوة الهاضمة من هضمه بأى وجه، وبحيث يفيد فى التغذية. يقول روفس الطبيب: «إن الخمر [ص ٤٢٧] تزيد الحرارة الغريزية ، وتهضم الطعام جيداً ، وتنظم الأخلاط المضطربة ، وتنقى الدم ، وتنضر وجه الإنسان ، وتسمن الناقهين ، وتنشط الصفراء المختلطة

---

(١) جاء فى كتاب « ذخيره خوارزمشاهى » الذى نقل عنه المؤلف هذه العبارة ما ترجمته : « ويطلقون على الثانية القوة الحيوانية ووظيفتها العز والجاه والرئاسة والظفر والغلبة والانتقام وموطنها القلب . والثالثة القوة الإنسانية ويسمونها القوة الناطقة .

بالدم فتفرز مع البول ، وتطرد البلاغم السائلة والمتجمدة ، وتقوى روح الإنسان ، وتحيل الدم فى الجسم لحما ، وتحفظ الجسم سليما ، وتنظف العروق من الأخلاط ، وتزيل الشهوة الكلبية ، وتسلك القولون ، وتوصل الغذاء سريعاً إلى الأطراف » . ويقول جالينوس : « إنها تكسر ريح المعدة ، وتوسع العروق ، وتوزع الغذاء إلى الجسم كله ، وتزيل السُدَّة وكل ما يعوق الأمعاء ، وتلطف الأبخرة الغليظة ، وتخرجها مع العرق ، وتطيب النوم » . ويقول بقراط : « الشراب لايدع خليطا فاسدا فى الجسم حتى يفتح له الطريق ويطرده ، وهو يبهج النفس ، وينعش الروح ويقوى القلب . ولكنه فى النهاية يجلب الأمراض والحمى » . ويقول ديسقوريدس : « يضاف إلى هذه المنافع جميعها أن الشراب يفيد شارب السم ، كما أن الشراب القوى يفيد لديغ العقرب ». ويصفه الأطباء للمصابين بالماليخوليا والإغماء » . ويقول اسقابياذس كبير الأطباء : « ينتج عن الشراب الردىء والإفراط فيه — الوسواس والأفكار السيئة والجنون والتبلد والرأى الخطأ والنسيان ونقصان العقل وظلام العين وتلف الحواس واضطراب النوم ، والتيقظ بلا سبب وتشتت الفكر . وهذه الأمراض جميعها موطنها الرأس . كذلك ينتج عن الإفراط فى الشراب أمراض الجسد مثل السكتة والخناق والرعدة والنقرس والفالج وآلام الصدر وإفساد المزاج وضعف الكبد والاستسقاء والصداع وألم الأسنان والأورام والحمى والموت المفاجىء .

وعلى هذا يحسن أن يتجنب العاقل جميع هذه المضار بصرف النظر عن عقاب الآخرة ، فيشرب قليلا من المثلث الحلال ، وذلك بأن يخلط [ص ٢٨ ؛] عصير العنب بالماء ويغليه حتى يبقى ثلثه فقط ، ثم يضعه فى قربة حتى يتخمر ، ويشرب منه بقدر ، بشرط أن يحترز من السكر فيجنى بذلك جميع المنافع ويأمن عقاب الآخرة ، وتتوفر له بهجة الحفل وألفة الأصدقاء واجتماع الندماء .

وإذا أرادوا صنع شراب الزبيب ، كان عليهم أن يختاروا الزبيب النظيف ، ثم يغسلوه ويضعوه فى قربة مخلوطا بماء دافىء ، ويدعكوه ويعصروه ، ثم يغلوه فيصير بإضافة تفاحتين أو ثلاثا أو بإضافة السفرجل — شرابا قويا حاد المزاج ، كما يكون حلالا عظيم النفع مغذيا .

وشراب التمر يكون حاراً ولطيفا ، وهو يرقق الطبع ويعد له ويطرد فضلات المعدة ، ويقوى الصدر ، كما أنه يغذى الجسم ويسمنه ، ويفيد الأمعاء الغليظة . وكذلك المشروبات الأخرى من حنطة وشعير وعسل وسكر وغيرها فإنها كالأغذية تحدث النفع والضرر حسب الأمزجة .

أدعو الله أن يهيىء أسباب المتعة والسرور لسيد العالم ، سلطان بنى آدم ، ملك العرب والعجم ، السلطان القاهر ، فى مجالسه ومحافله ، وأن يجعل المنافع من نصيب ذاته المباركة العالية .

فصل فى السباق والرماية

ليعلم السلطان صاحب الرأى الأعلى القاهر ، عظيم الدهر ، غياث الدنيا والدين ، أبو الفتح كيخسرو بن قلج ارسلان — خلّد الله رايات دولته — أن الإنسان خلق من أجل العبادة كما قال الله تعالى : « وما خَلَقْتُ الجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ »(۱) . ولما كان الإنسان مخلوقا للعبادة ، فإنه لا يجوز له أن يلعب أو يلهو،وذلك عملا بقوله عليه السلام : « خبر» « ما أنا من دَدٍ ولا الدَّدُ [س ٤٢٩] منى »(۲).وكذلك يحكى أن صِبْيَةً ذهبوا ذات مرة إلى منزل يحيى بن زكريا عليهما السلام ، وكان لا يزال فى الثالثة من عمره حتى يخرج ليلعب معهم فقال لهم : « ما خُلِقْنَا للعب » . فمدحه الله وأثنى عليه وقال : « وآتيناهُ الحُكْمَ صَبِيًّا »(۳) .

وعلى هذا لا يجوز للناس أن يلهوا إلا بالشىء الذى فيه المصلحة ، مثل الرماية وسباق الخيل ، فهما حلال لأنهما من وسائل غزو الكفار والجهاد ، فأحلّهما الرسول صلى الله عليه وسلم وقال : « إن اللهَ ليدخل بالسّهمِ الواحد ثلاثة الجنّة : صانعه يحتسب فى صنعته الخير ، والرامى به . والممدّ به اركبوا ، ولأن ترموا أحب إلىّ من أن تركبوا . كل ما يلهو به الرجل باطل إلا رميه بقوسه ، أو تأديبه فرسه أو ملاعبته أهله ، فإنه من الحق . ومن علم الرمى ثم تركه فهى نعمة كفرها»(٤).

---

(۱) قرآن كريم ، سورة الذاريات آية ٥٦ .

(۲) انظر لسان العرب تحت كلمة « ددا » .

(المترجم) : أنظر أيضاً الجامع الصغير للسيوطي ، ج ۲ ص ۱۲۳ .

(۳) قرآن كريم ، سورة مريم آية ۱۳ .

(٤) رواه البيهقي عن عقبة بن عامر (كنز العمال ، ج ۲ ص ۲٦۸) .

(المترجم) : ذكر السيوطي رواية أخرى لهذا الحديث فى موضعين من كتابه الجامع الصغير (ج ۱ ص ۳۹ ، ج ۲ ص ۲٦۸) .

ويجب على الشخص إذا تعلم الرمى أو ركوب الخيل ، أن ينوى أنه يتعلم ذلك ليحارب الكفار وأعداء الله عز وجل ، فإنه ينال ثواب هذه النية .

ويجوز شرعا وضع رهان على الرمى بالسهام أو سباق الخيل ، كأن يخرج الواحد عشرة سهام ليرميها أو يعين حصانا ويقول : « أنت خصمى ، إذا أصبتَ الهدف بهذه السهام العشرة، فهذا المال لك ، وإذا أصبتُه فهولى ، فكل من[ص ٤٣٠] يوفى الشرط يكون المال ماله ، وإذا أصاب الاثنان الهدف أو أخطآه معا يكون المال ملكا لله . ويجب أن يبين عدد السهام والمسافة بين الشخص والهدف حتى تصح المباراة .

وأما إذا قال شخص لآخر : إذا أصبتَ الهدف فسوف أعطيك قدرا من الدنانير ، وإذا أصبته أنا فسوف آخذ منك هذا القدر من الدنانير » ، عُدَّ ذلك مَيْسِرًا وكان محرما ، إلا إذا كان بينهما محلّل ، يقول إذا أصاب فلان الهدف فلا ندفع له شيئاً ، وإذا أصبته أنا أعطيتنى شيئاً ؛ وإذا أصبتَه أنت دفعتُ لك شيئاً فهذا كله جائز . فإذا أصاب المحلل الهدف فلا ينبغى أن يُعْطَى الاثنان الآخران شيئا . وأما إذا أصاب أحدهما ، فإن خصمه يعطيه المال .

وكذلك إذا قالوا : لو أصاب المحلل الهدف ، فإنه يأخذ مالَ الاثنين . وإذا أصاب أحدهما صار هو صاحب المال ، فإن ذلك يصح أيضاً . ويجب ألا يشترطا على المحلل أى شرط حتى يدفع ، كما ينبغى أن يكون نصيب المحلل فى الرماية مساويا لنصيبهما وإلا فإنه لا يصلح محللا .

وكذا الحال فى سباق الخيل إذا كان هناك رهان من جانب واحد ، كان ذلك جائزا . أما إذا كان من الطرفين عُدَّ غير مستساغ إلا إذا جاء بينهما محلل ، وكان مثالها فى الفروسية والركوب . ويجب أن تعين المسافة والميدان . أما إذا

قالوا : « لنرم لنرى من يصيب الهـــدف أسبق ، أو لننظر من يرمى أبعد من الآخر ، كان ذلك غير مستحب » . وإذا وضعت عشرة سهام وقال أحد المتنافسين : إذا أصبتُ الهدف بخمسة من هذه العشرة كان من نصيبى ، وإذا أصبتَ أنت الهدف بثلاث يكون من نصيبك ، كان ذلك جائزا . وإذا قالا : كل من يتخلف منا يدفع للشخص الفلانى عشرة دنانير ، ولـكن هذا الشخص لم يشترك معهما فى الرماية ، كان ذلك غير جائز .

وحينما يصيب السهم الهدف ، أو يتجه إلى أعلاه أو إلى يساره أو إلى يمينه ، ثم يمر أو يبقى هناك ، يحسب ذلك السهم ضمن الأسهم التى تصيب الهدف . أما السهم الذى يتجه إلى الأرض ، ثم يقفز منها ويصيب الهدف ، فلا يحسب إلا إذا اتفق على ذلك ، فيمكن وقتئذ عدّه أيضا ، لأنه متى ارتبط اثنان بعقد صحيح ، ثم أراد أحدهما أن ينقضه ، فإنه لا يستطيع ذلك دون [ص ٣١ ؛] عذر . والحاكم يلزمه فى تلك الحـــالة تنفيذ شروط العقد . وكذا الحال فى سباق الخيل .

أما إذا مرض أحد المتبارزين بحيث لا يستطيع أن يشترك فى سباق الخيل أو الرماية ، جاز أن يبطل العقد ، فإذا لم يفسخ العقد فى حالة المرض ، ثم صح الجسم بعد ذلك ، فإنه لا يجوز إبطال هذا العقد ، ويأمر الحاكم بالرماية . وأما إذا قال الشخص السليم : « أنا أصبر حتى يشفى المريض » ، أو قال المريض : « أنا أصبر حتى أشفى » كان الخيار لصاحب الجسم السليم . وإذا اختلف على من يبدأ الرمى ، فإن الشخص الذى يبدأ هو الذى يكون الجعل (أو القرعة) فى جانبه . وإذا وقع خلاف فى تقدير مسافة الهدف أو كبره أو صغره ، كان على المتبارزين أن يتبعوا المتعارف عليه عند أهل هذه الصنعة .

و إذا اشترطوا الرمى بقوس بعينها لايصح الشرط، ويجوز الرمى بأية قوس.
و إذا قالوا وسط جمع « لنلقِ » حتى لايحدث إنكار من المتبارين ، فإن ذلك يكون جائزا. و إذا قال إمامٌ لجماعةٍ : « كل من يرمى مائة سهم على الهدف الفلانى ، يعطى مائة دينار » جاز ذلك ، فإذا أصاب أحد الهدف ، فيجب أن يدفع إليه هذا المبلغ من خراج الملك ، لا من مال الصدقة ولا من مال الإمام .
و إذا لم يقل إمام الوقت هذا الكلام ، بل قاله أمير ،فإنه لاينبغى أن يعطى شيئا.
و إذا قال شخص لآخر :« اضرب هذا الطائر ، فإذا أصبتَه كان لك دينار » فإنه لا يحل ذلك . و إذا قال : « ارم عشرة سهام فإذا أصاب أكثرها أعطيك هذا القدر » ، فإن ذلك لايصح أيضاً . والرهان فى السباق جائز ، ولكنه غير جائز فى الشطرنج والنرد » .

فصل فى الصيد

الصيد حلال للملوك من أجل الرياضة والنزهة . جعل الله تعالى أوقات الملك العادل ، السلطان القاهر عظيم الدهر — مقرونة بالسرور والراحة ، وحرس ذاته من الآفات ليتمتع برياضة الصيد ، وليلتمس به طعاما حلالا ؛ فإن أسلافه السابقين كانوا يشترون صيدا بحصان عربى ، حتى يأكلوه حلالا طيبا . وكل حيوان يدرب على الصيد ، يكون كل ما يصطاده حلالا . وتدريب الحيوانات على الصيد أمر موكول إلى أهل تلك الصنعة حتى يقرروا أن هذه الحيوانات صارت مدربة .

وفى مذهب أبى يوسف ومحمد ، يكون الحيوان قد تم تدربه على الصيد[٤٣٢] إذا اصطاد ثلاث مرات ، ولم يأكل ما يصطاده . ويكون تدريب طيور الصيد الجارحة ، بحيث أنه إذا نودى عليها ، فإنها تعود وتلبى النداء . أما شرط الحل فيكون بأن ينادى عليها أولا ثم يطلق سراحها ، وبشرط أن يكون الشخص الذى يتولى الصيد ويطلق هذه الطيور من الأشخاص الذين يحل لنا أكل ما يذبحون .

ويجب ألا يتوقف الصياد وحيوانات الصيد عن السعى فى إثر الصيد وذبحه إذا أمكن . وإذا مات الصيد قبل أن يصل إليه الصياد ، فإن هذا الصيد يكون حلالا ، بشرط ألا ينشغل الصياد بشىء آخر غير الصيد ، وبشرط ألا يسقط الصيد من أعلا إلى أسفل ، وألا يسقط فى الماء ، ويستثنى من ذلك كل ما أكلت جوارح الصيد من لحمه فإنه لايحل .

وإذا ترك الصياد اسم الله متعمدا ، أو استعان بكلب فى الصيد ، لم يذكر اسم الله عليه ، فإنه لا يحل أكل الصيد فى هذه الحالة ، وكذلك الحال إذا ألقى الصياد سهما ، ولم يذكر اسم الله عامدا ، أو إذا أصاب شخص آخر ذلك الصيد بسهمه ، ولم يذكر اسم الله فلا يصح أكل ذلك الصيد .

وإذا عاد الكلب أول الأمر من الصيد ، وشغل بشىء آخر ، ثم رجع إلى الصيد مرة أخرى ليأخذه ، أو إذا طاش سهم ناحية الشمال أو اليمين ، وكان الصيد فى تلك الجهة فأصابه السهم ، أو إذا حولت الريح السهم حتى أصاب الصيد فإنه لا يجوز أكله .

وإذا أدرك الصياد الصيد حيا ، وكان يمكن ذبحه ، ولكنه لم يذبح حتى نفق ، أو مات بتأثير إصابة الكلب أو إصابة السهم فإن أكله لا يحل .

وإذا خنقه الكلب دون أن يحدث به إصابة ، أو كسر منه موضع ، أو مات بتأثير الزبطانة[1] دون إصابة ، فإنه لا يكون حلالا . وإذا توقف الصياد ساعة ، ثم وصل إلى الصيد فوجده ميتا ، فإنه لا يحل أكله . وإذا سقط فى الماء ومات ، فلا يصح أكله . وإذا سقط بسبب الهواء على شجرة أو فوق سطح ، ثم ارتد إلى الأرض ومات ، فإنه لا يستطاع أكله . وإذا وجد الصيد حيا والفهد لا زال ممسكا به بين أسنانه ثم ذبح ، كان ذلك حلالا . وإذا أخرج الصيد من فم الفهد أو الكلب ، وذبح قبل أن يموت ، أو إذا فضت أحشاؤه قبل موته ، وأتى الكلب على قطعة منها وأكلها ، فإن البقية تكون حلالا .

وأما إذا وقع الصيد بعد ذبحه — فى الماء ومات ، فإنه يحل أكله ، وذلك على خلاف الإصابة بالسهم أو جوارح الصيد . وإذا فصل الصياد بسيفه

---

(١) الزبطانة والسبطانة قناة جوفاء كالقصبة مضروبة بالعتبة يرى الطير بحصاة توضع فى جوفها (انظر أقرب الموارد) .

قطعة من الصيد ، فإن كان ذلك من القفا ، فلا ينبغى أكله ، [ص ٤٣٣]
وأما إذا كان من جانب الرقبة ، عد ذلك حلالا .

وإذا ألقى شخصان سهمين أصابا بهما الصيد فى وقت واحد ، ثم تقدما إليه فوجداه ميتا ، فإنه يحل لهما ويكون من نصيبهما . وإذا سبق سهم أحدهما الآخر ، ثم لحق به الثانى ، فإذا جرح الصيدَ سهمُ الأول ولم يقض عليه ، ثم أصابه سهم الثانى ، فإنه لا يكون حلالا .

وإذا حصل الكلب أو الفهد على صيد كثير ، ثم أكل منه واحد ، فجملة الصيد الذى حصل عليه من قبل ، يكون حراما إلا ما ذبح منه . وفى مذهب أبى يوسف ومحمد ، أن الصيد الذى أكل منه الكلب يكون فى حكم الميت ، وأما بقية الصيد فحلال . وقد فصل العلماء المتأخرون هذه المسألة فقالوا : إذا مضت مدة لم يصد فيها الكلب صيدا ، واحتمل فيها نسيان الكلاب للصيد ، ثم أكل الكلاب الصيد، فإن أكله يكون فى حكم الميت. أما السابق فيكون حلالا. وإذا لم تمض مدة وحدث هذا ، فجملة الصيد حرام ، وهذا وجه حسن .

وفى حالة صيد الوحش الذى يمكن أن يستأنس كالظبى الذى يستأنس ويقبل الألفة ، فإنه لايحل أكله إلا بالذكاة[1] والذبح . وكذا الحيوان المستأنس مثل البقرة أو الناقة إذا عصت وتعذر كبح جماحها ، أو إذا سقطت فى بئر أو إذا كانت فى وضع لايمكن فيه ذبحها ، ففى هذه الحالة يجوز أن تُرمى بالسهم أوتقتل بأية جراحة .

والذبح هو الأصل فى قتل الحيوان وغيره ، ويكون بقطع العروق الأربعة ، الحلقوم والمرئ والوَدَجَيْن ، إلا إذا كان ذلك متعذرا ، فيباح العقر والجراحة ، وهما متعاقبان . والحكم بالتعاقب يجوز لمن لا يقدر على الأصل . وما دامت

(١) [المراجع : الذكاة بالذال بمعنى الذبح ، تقول ذكا الذبيحة ذكا وذكاة أى ذبحها] .

القدرة على ذبح الحيوان الوحشى أو الأهلى متوفرة ، فإنه لا تجوز الجراحة . ولهذا السبب عندما يذبح الحيوان فإنه إذا فضت أمعاؤه بعد موته ، جاز ذلك لأنه تحقق الشرط الأول وهو الذبح ولـكنه مكروه . وأما إذا جرح الحيوان بسهم ووجد حيا ثم فضت أمعاؤه فلا يكون حلالا ؛ لأنه إذا قدر على الذبح وهو الأصل كان الذبح ضروريا . وعلى هذا إذا فضت أمعاء الخروف قبل ذبحه لا يكون حلالا . وأما إذا ذبح ثم قفز كلب وأكل شيئا منه ، [ص ٤٣٤] أو شرب الـكلب أو الفهد دم الصيد ، فإنه يكون حلالا بعد ذبحه ، وإذا أرسل شخص مسلم كلبه إلى الصيد ، ثم صاح به مجوسى ليحثه على الإسراع ، فأسرع وأخذ الصيد ، كان ذلك حلالا . وإذا انطلق الـكلب من تلقاء نفسه إلى الصيد وصاح به مجوسى ، فأخذ هذا الـكلب الصيد وقتله ، فإنه لا يحل أكله . أما إذا صاح به مسلم ، وذكر اسم الله ، فأسرع الـكلب على أثر صياحه ، وأخذ الصيد ، فإنه يكون حلالا حتى إذا لم يكن قد حث الـكلب على الإسراع . أما إذا لم يتأثر الـكلب بصوت المسلم ، فإنه لا يحل الصيد إلا إذا وجد حيا وذبح . وإذا تعود الـكلب أو الفهد على أن يكمن فى موضع ثم يثب فجأة على الصيد ، فإن صيده يحل أكله . أما إذا لم يتعود ذلك أو تعود الاشتغال بشىء آخر حتى يقترب الصيد ، ثم يقفز ويأخذه ، فإنه لا يجوز أكله ما دام لم يذبح . وإذا أمسك الـكلب صيدا وجرحه ، ثم ذهب على الفور وأمسك بآخر ، فإن الاثنين يكونان حلالا . أما إذا استراح الـكلب وَهْلَةً على أثر الصيد الأول ثم ذهب وأمسك بالآخر ، فلا يحل ذلك .

وإذا ألقى الصياد سهما مر بصيد فأصابه وأصاب آخر ، كان كلا الاثنين حلالا .

* * *

وبعد فإنى أدعو الله أن تهنأ دائما أوقات سيد العالم ، ملك بنى آدم ،

السلطان القاهر ، وأن تكون مجالسه زينة للمجالس ، زاخرة بالطرب ، حافلة بالسرور ، وأن يكون الأنس والصيد من سمات عصر هذا السلطان ، وأن تكون الرماية ولعب الكرة وسباق الخيل – وهى أمور فاق فيها أبطال العالم – وسيلة لتسلية خاطره المبارك .

وليوفقنى الله حتى أقدم إليه فى كل يوم نادرة من نوادر الزمان تكون موشّحة بمدحه ، ليتسلى بها فى أوقات فراغه ، ولتخلّد اسمه من بعدى .

أبقى الله تعالى دولة هذا السلطان إلى أبد الآبدين ، وأبعد عنه نوائب الفلك الغدار ... بحقّ مُحَمَّدٍ وعِتْرَتِهِ الطاهرينَ وأصحابه الغُرِّ الزَّاهِرِين[1] .

قال مؤلف الكتاب هذه القصيدة فى مدح السلطان كيخسرو :

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها:]

— ليلة أمس من قبة الكرة الفضية (أى السماء) ،
اختفت الشمس وطلع القمر .

— وأمسى الفلك حارسا على أعتابك ، [ص ٤٣٥]
وأخذ ينشد هذه النغمة وقت العزف .

— إن الدنيا يا غياث الدين تنير بك ،
كما يضىء الزمان بك .

— إن قاضى السماء السادسة (المشترى) الذى منه ،
تكون السعادة لكل شخص سوى الله .

— قد قضى أن تكون الدنيا كلها ،
تحت أمرك ، عن جدارة .

— وشحنة السماء الخامسة أى المريخ ،
يعقد الإيمان بالله تعالى ،

---

(١) المراجع : وردت هذه العبارة بالعربية فى أصل الكتاب .

— « إن كل من يخرج على حكمك وأمرك ،
سأفصل رأسه عن جسده » .
— وملك السماء الرابعة (أى الشمس) ، سراج النهار ،
الذى يقبل عتبتك دائماً .
— قال : ليخلد حكمك فى الدنيا أيها الملك ،
وليكن جاريا ونافذا عليها .
— والمطرب ذو الأنغام الشجية فى السماء الثالثة (أى الزهرة) .
قد صارت السماوات بألحانه كالجنة .
— أخذ يعزف ويقول : أيها الملك عش دائماً ،
فى السماع والطرب والبهجة ... !!
— وكاتب السماء الثانية (أى عطارد) ،
كتب منشوراً كهذا يقول فيه : أيها الملك ،
— إن الأرض والسماء فى ألوف الأزمنة ،
لم تريا سيداً مثلك .
— والقمر الذى يحسد حبيبى على جماله ،
صار ضيق القلب ، أصفر الوجه ، منحنى الظهر .
— وأخذ يقول : إن أنوارى لا تصل إلى المكان ،
الذى لا يكون تحت إمرتك .
— إن ما دحك لم ير له ضريباً ،
فى الفضائل المختلفة ،
— ولكنه معدوم الحظ فى الدنيا ،
ولذلك فإنه يرى فيها العناء دائما
— وإنه يقسم بمن جعل مأوى الأرواح فى الأجساد ،
— وبمن صنع من الدخان فى ستة أيام ،
سبع سماوات فوق رؤوسنا . (١)

---

(١) إشارة إلى الآية الكريمة « ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أوكرها قالتا أتينا طائعين » . (سورة فصلت ، آية ١١) .

— وبمن وضع سبع طبقات من التراب ،
على حافة الماء من قعر البحر .
— ثم أوجد العناصر الأربعة :
التراب ... والنار ... والماء ... والهواء .
— وسقى النرجس شرابا مروقا .
حتى يعربد فى فصل الشتاء .
— ووضع أنواع اللطف فى الورد ،
حتى يهيم البلبل بعشقه مثلى .
— وأخرس السوسن ذا الألسنة العشرة ،
لأنه ليس عاشقا فلم يصر ناطقا .
— وأوجد سائر الثمار الأخرى المختلفة ،
التى بسببها تكون للربيع قيمة حقيقية .
— وأوجد كل هذه الكائنات بصنعه ،
فهو خالق الخلق وصانع الأشياء . [ص ٤٣٦]
— وقسما بالرسل هداة الخلق من الضلال إلى الهدى ،
— وبمحمد الرسول وخاتم النبيين ،
الذى بلغ قاب قوسين أو أدنى (١) ،
— وبصهريه وختنيه وسبطيه ،
الذين ملأ حبهم قلبى ،
— أنى أدعو بعزة هؤلاء جميعا أن تظل أيها الملك ،
صاحب الأمر مثل كيخسرو ودارا .
— فلستُ أرى فى الدنيا شخصاً
يستطيع أن يستغنى عنك وعن نعمتك . . . ! !
— ولولا الخوف من أن أتهم بالكفر ،
لقلت إن يدك هى يد القضاء ،

---

(١) إشارة إلى الآيتين الكريمتين « ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى » (سورة النجم آية ٨ — ٩) .

ـــ فأحيانا تبسط الرزق . . . وأحيانا تمنعه ،

وأحيانا تميت . . . وأحيانا تحيي . . . !!

ـــ وإذا حكمت على الفلك بعدم الدوران ،

فإن عجلته المقدسة لا تتحرك من مكانها . . . !!

ـــ فلتكن سعيدا أيها الملك الذى ،

تفخر بك الأقاليم السبعة فى الصباح والمساء . . . !!

ـــ إن كفك الكريمة عند منحها الذهب ،

لا تأسف . . . ولا تعبأ بأمر الغد .

ـــ إن الكرة الأرضية لم تشاهد حاكما ،

مثلك متصفا بالعقل والذكاء .

ـــ وإن قبة الفلك لتدور وهى بين الخوف منك والرجاء فيك .

ـــ وكل ذرة لا تلجأ إلى بابك لا تنجو من يد البلاء .

ـــ ويدك السخية هى البلسم والدواء ،

لسائر المحتاجين والمعوزين فى العالم .

ـــ والبحر والسحاب هما مضرب المثل فى السخاء ،

ولكنهما لا يتساويان بك فى الكرم . . . !!

ـــ إن الملك يمنح الذهب بالقنطار ،

فأنى للسحاب مثل هذا الصنيع . . . ؟! حاشا . . . !!

ـــ والسحاب يجود بمائه ليلا ونهارا ،

لأنه يحس بالخجل والحياء أمام يدك المانحة للذهب . . . !!

ـــ فإن ما تمنحه يدك فى لحظة واحدة ،

لا يمنحه البحر لأحد فى سنوات عديدة .

ـــ ولذلك فأنت تظفر بكل رغباتك فى العالم ،

والفتح والإقبال ضامنان لذلك وشاهدان عليه .

ـــ والشمس تُسْكِنُ لك الحب فى قلبها والقمر يحيي ، فى الحقيقه باسمك ...!!

ـــ وحيثما يكون فى الوجود إنسان ،

ويستوى فى ذلك الرجل والمرأة والعجوز والطفل والشاب ،

— فالجميع يريدونك حاكما عليهم ،

فقل لخصمك : أبك دما . . . !!

— أيها السيد ! . . إنك تجلو عروس الشعر ،

حتى صارت أبهى من الزهراء .

— إنى أقسم بذلك الحب الذى جاءنى من العدم ، [ص ٤٣٧]

وسوف يذهب كالعنقاء إلى العدم ،

— لقد عشقت مدح الملك ومن أجل ذلك ،

جمعت هذا الكتاب من الدرر الغالية :

— حتى يكون زينة للعروس ما دامت بكرا ،

فلا تفتضح عند زوجها(١) .

— فيارب زده توفيقا ،

ما دامت القبة الخضراء قائمة فى مكانها .

— ولتكن عين العالم مضيئة بك ،

فإنك ظل الله فى الدنيا .

— وما دامت لك السلطنة على عرش الدنيا ،

ليكن نصيبها منك الأمن والعدل .

— أيها الملك . . لقد عشت سنوات طويلة ،

أتزهد عن إخلاص ، لا عن رياء ونفاق .

— وأجهد نفسى كثيرا فى المدارس ،

أصل الليل بالنهار وكأنما حياتى ليلة الشتاء الطويلة(٢) .

— ودرست علم الفقه والخلاف كثيرا ،

حتى صرت عالما بالنسبة إلى أقرانى .

---

(١) المترجم : يقصد بذلك أن المؤلف قد زين كتابه بالدرر الغالية ، وجعله يبدو كالعروس البكر المزدانة بأنواع الزينة والحلى ، وذلك حتى لا تفتضح عند زوجها (أى عند الملك) ولا يظن أنها عاطلة فقيرة .

(٢) المترجم : يقصد أنه يواصل ليله بنهاره فى سبيل تلقى العلم والدراسة .

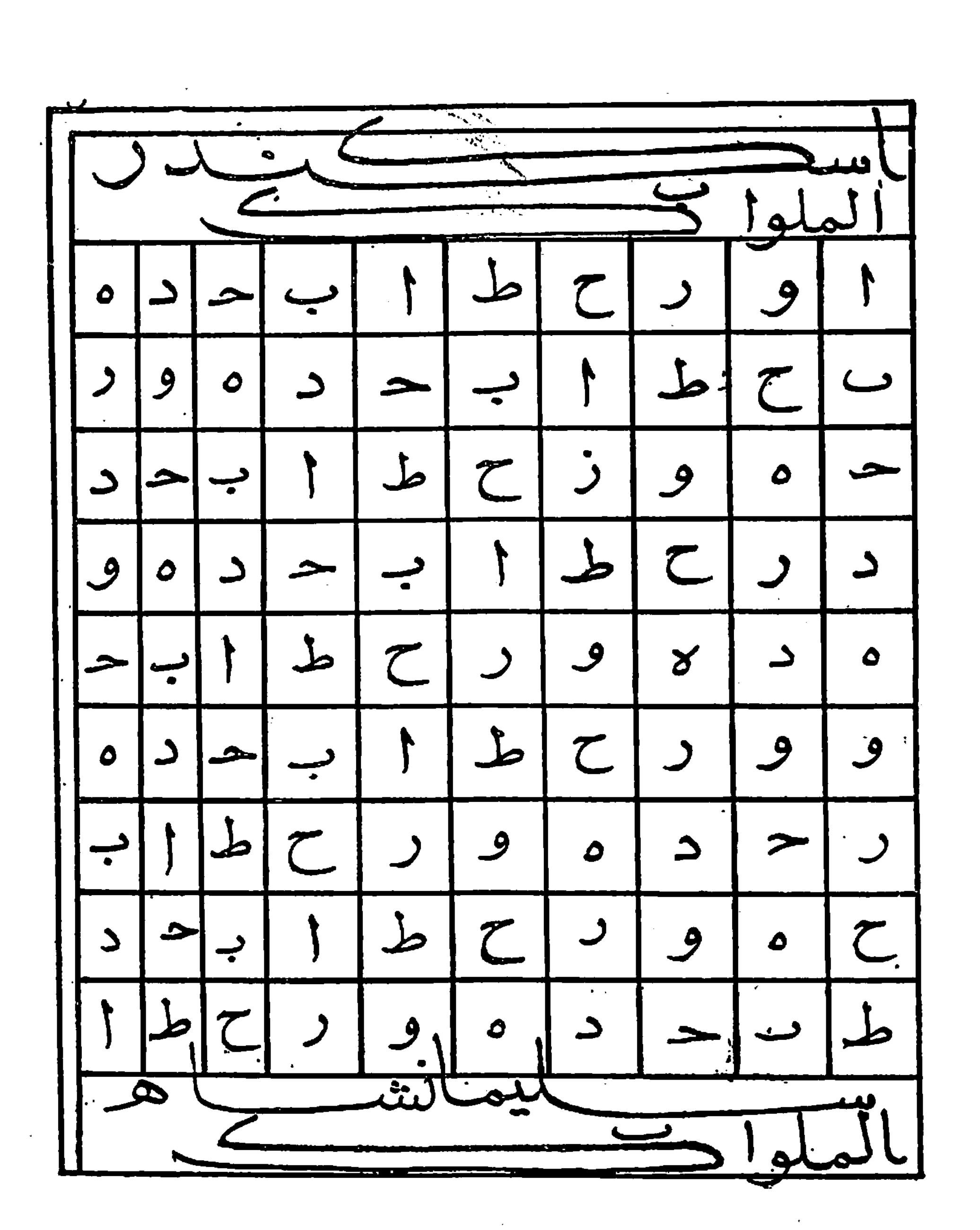
— وحفظت من العربية والفارسية ،
أشعارا مثل اللآلىء المتلألئة .
— واشتغلت بالخط والتذهيب وتجليد المصاحف ،
وأتقنت هذه الصناعة بحيث أنه لا يوجد نظير لى .
— وكل الفنون التى يمكن لشخص مثلى أن يعرفها ،
إنما أنا المنشىء لهـا ... !
— ولقد أردتُ بسائر هذه الأمور ،
أن أجمع من عطاياك المـال الكثير .
— وفزتُ ـ أنا العبد الضعيف بملازمة الملوك ،
ووصلت فى نهاية المـائدة إلى الحلوى .
— فيا أيها الملك . . . لقد عجز هذا العبد ،
نختم هذه القصيدة بالدعاء لك .
— وهو لا يعرف أى شىء فى العالم ،
ليس لك أو لم تنله ...!!
— حتى يرجوالله المنزه ،
أن يمن عليك به أيها الملك ..!
— وهو لا يطلب لك أقلّ
من دوام الملك والإقبال والعمر المديد ...!!

فصل فى معرفة الخط من الدائرة والنقط

عرض مصنف هذا الكتاب على صاحب الرأى الأعلى ، السلطان القوى ، عظيم الدهر ، غياث الدين — خلد الله — رايات دولته وآيات سلطنته — أن الأرقام الهندسية والأشكال الكروية ، والمثلثات والمسدسات والمربعات المتساوية الأضلاع ، جميعها مأخوذة من الدائرة والخط المستقيم . وكان أقصى همة كل فنان أن يبدأ فنه من هذه النقطة .

وهكذا وضع رياضيوا الهند الأرقام الحسابية ، فأخذوا الصفر من [ص٤٣٨] الدائرة ، كما أخذوا الرقم (١) من الخط المستقيم . ومن هذا الرقم حسبوا خانات الآحاد والعشرات والمئات والألوف ، واعتبروا الأرقام التسعة التالية أصول الأعداد : ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٦ ـ ٧ ـ ٨ ـ ٩ ـ وابتداء من العدد (١) إلى العدد (٩) إذا وضع كل منها بالترتيب منفصلا عن الآخر ، كان فى خانة الآحاد . أما إذا أضيف صفر إلى يمين كل منها ، فإنه يصل إلى خانة العشرات ، فالرقم (٤) يصير (٤٠) والرقم (٧) يصير (٧٠) . و إذا تقدم العدد صفران يصبح فى خانة المئات ، فالعدد (٤) مثلا يصير (٤٠٠) . أما إذا تقدم العدد ثلاثة أصفار فإنه يصبح فى خانة الألوف . فالعدد (١) يصير (١٠٠٠) والعدد (٩) يصبر (٩٠٠٠) وهكذا يمكن تكوين عشرات الألوف ومئات الألوف وألوف الألوف بهذه الطريقة . ومهما وضع من الأرقام ، فإنه يمكن حسابها على هذا النحو : فمثلا العدد ٤٩٥١ مكون من أربعة أرقام ويقرأ أربعة آلاف وتسعمائة وواحد وخمسون .

وقد استخرج بعض المحاسبين الحساب من حروف الجمل ، التى هى أصول



يا اسكندر الملوك

ه	د	ح	ب	ا	ط	ح	ر	و	ا
ر	و	ه	د	ح	ب	ا	ط	ح	ب
د	ح	ب	ا	ط	ح	ز	و	ه	ح
و	ه	د	ح	ب	ا	ط	ح	ر	د
ح	ب	ا	ط	ح	ر	و	ه	د	ه
ه	د	ح	ب	ا	ط	ح	ر	و	و
ب	ا	ط	ح	ر	و	ه	د	ح	ر
د	ح	ب	ا	ط	ح	ر	و	ه	ح
ا	ط	ح	ر	و	ه	د	ح	ب	ط

يا سليمانشاه الملوك

الخط ، فوضعوا لحرف الألف واحدا ، وتدرجوا بإضافة واحد إلى الحروف التي تتلوه حتى حرف الياء الذي هو في مقابل (١٠) بعد ذلك وضعوا لكل حرف على التواتر في خانة العشرات ، العدد (١٠) وكذا في حالة المئات وضعوا (١٠٠) حتى الألف .

وكذلك استعمل المحاسبون الأرقام الهندسية مع حروف الجمل ، وضبطوا بها الأسماء والرسائل . فمثلا كلمة محمد : الميم تساوى (٤٠) فوضعوا نقطة تحت رقم ٤ ، ثم عدّوا رقم ٨ ، وأضافوا أربعين أخرى إلى الأربعة . وقرأوا هذه الأعداد لكلمة محمد على هذا النحو ٤٤٨٤ وسجلوا بهذا الحساب كل ما يريدونه واختصره أيضا محاسبوا العراق وخراسان ، وحذفه بعضهم من الكتابة عملا بهذه الحكمة « خير الكلام ما قل ودل » فمثلا كلمة « ربع » أسقطوا منها الباء ورأس العين ، وأسقطوا الدال والنون من كلمة دنانير .

وجميع هذا الشعب تختص بعلم الخط، وفيه صنفت كتب عديدة مطولة ومختصرة وقد ساهم العلماء في هذا السبيل ، ولكنهم لم يستطيعوا إظهار هذه الأسرار .

وفي هذا المقام ينبغي الاحتراز عن الإطناب ، والاقتصار على ذكر مختصر مفيد ، ولذا صنف الداعي لهذه الدولة محمد بن علي بن سليمان الراوندي ، مختصرا لكل حرف أصلي من حروف الهجاء ، وأعقبه بنظم رباعية ليتعلم من يريد ، ويضعه نصيب عينيه ، ولكي تتمرن يده بعد ذلك في أسرع وقت ، بحيث يغنى اليوم الواحد عن العشرة إن شاء الله .

(١) حرف الألف : [ص٤٣٩]

فيه كلام كثير . وقد قال العلماء : إن طوله ينبغي أن يكون على شاكلة رجل يقف معتدلا ، وينظر بالتفاتة قليلة إلى قدمه . وقالوا أيضا : يجب أن يكون

خطا مستقيما ارتفاعه عشر نقط ، تكون عقدا كاملا بأى نوع من الأقلام : « تلكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ »(١) وفى الثلث والمحقق يلحقون نقطة بجانب الألف تـكون فى محاذاتها ومتصلة بها ، ونقطة فى نهايتها ، وثمانى نقط فى وسطها .

[رباعية فارسية فى الأصل ، ترجمتها:]

— كل طريقة يحيط بها خاطرك ،
عن علم الخط تتساوى فيها هذه النكتة .
— إذا وضعت بالقلم عشر نقط على الورقة ،
فإنه يتـكون منها جميعا خط هو الألف .

(٢) حرف الباء :

تـكون أيضاً من النقط العشرة للألف . فالخط المستقيم فى الطول هو الألف وهو نفسه باء فى العرض ، وارتفاعها من الجهتين نقطتان : واحدة من جانب ، والثانية من الجانب الآخر .

ورأس الباء وذيلها كلاهما عبارة عن نقطة . وأما فى الـكتابة فيضيفون إليها حركة حتى تصير منحنيـــة ، وتبدو أجمل فى النظر إذ تـكون على شكل صولجان .

[رباعية فارسية فى الأصل ، ترجمتها:]

— اعلم أيها الرجل الطيب النفس أنهم كتبوا الباء أيضا من نقط القلم العشر ،
وذلك بإضافة رأسين إلى النقط الثمانى .
ولـكن يجب أن تـكون الألف مستقيمة ورأسية ،
وأما الباء فأفقية ممتدة . . . ورأسها وذيلها متقابلان .

---

(١) قرآن كريم ، سورة البقرة آية ١٩٦ .

(٣) حرفا التاء والثاء :

ولهما نفس النسبة التى لحرف الباء ، إلا إذا أراد الخطاط أن يمد الخط فى مكان ، أو صادفه موضع لاتستوعبه الكلمة ، فإنه يمد ذيل الباء [ص ٤٤٠] والتاء أطول ، أو يقطعهما . ويصلح قطع هذه الحركة فى آخر الخط والأماكن الأخرى . وكذلك للتفريق بين الباء والتاء وضعوا نقطة أسفلها مع انحناء فى نهايتها وزيادة قليلة فى الحركة .

[رباعية فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— التاء أيضا ينبغى أن تكون فى حد الباء والألف ،
مع ميل فى رأسها وذلك بزيادة نقطة إلى أسفل .
— وإذا وقعت هذه الباء أو التاء فى نهايه الكلمة ،
فإنه يجوز أن تقطعها أو تمدها .

(٤) حرف الجيم :

أخذت رأسها من نصف حرف الباء . أما جسمها فنصف دائرة . وجعلوا سعة الدائرة وضيقها بقدر الألف ، حتى لا يكون فراغ الدائرة ، أكثر من ارتفاع الألف . ويجب أن يكون صدر الدائرة فى محاذاة رأس الباء ، بحيث أنه لو رسم عليهما خط مستقيم ، لدخل فى هذا الخط صدر الدائرة ورأس الباء . وتارة يقطع ذيل الجيم وتارة يُمَدّ .

[رباعية فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— فى رأينا أن السر الذى فى الجيم من الخطوط ،
هو أنها نصف من الدائرة ونصف من الباء
— ويجب ألا تزيد الدائرة عن الألف ،
ويتقابل صدر الدائرة مع رأس الباء .

(٥) حرف الدال:

عبارة عن دائرة لايزيد فراغها على قامة الألف . ويجب أن تقسم إلى ثمانية أقسام . ويرسم من القسم الثانى خط مستقيم هو الألف من الجانب الإنسى ومن الجانب الوحشى ، ومن الثانى أيضاً يوضع خط الباء الأفقى . ومن نصفى الألف والباء المتصلتين ببعضهما ، يجب أن تؤخذ الدال من أول الألف وآخر الباء . وفى خط النسخ يجب أن يقطع ذيل الدال أفقيا . وأما إذا اتصلت بحرف فإنها تنحنى .

[رباعية فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— قسم الدائرة إلى ثمانية أقسام فى الحال ،
ثم مثل خطى الألف والباء .
— فخذ نصف أول الألف ونصف آخر الباء ،
وصلهما ببعضهما حتى تتكون صورة الدال .

(٦) حرف الراء :

عبارة عن ربع دائرة لرأس الجيم ، ويجب أن توضع نقطة أسفلها أولا ، ثم نقطتين أو ثلاثة أعلاها . والراء بهذا الشكل فى خطى الثلث [ص ٤٤١] والرقعة . وأما فى النسخ والمحقق ، فالراء عبارة عن ربع دائرة مقابلة لرأس الجيم ، توضع أمامها نقطة وينحنى آخرها ، وهذه يسمونها حرف الراء ، ويرسمون ذيل حرف الواو من هذه الراء ، والبعض يرسمون هذا الحرف نفسه على شكل راء مدورة ، ويعملون منها الواو الثلث .

[رباعية فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— الراء ربع من الدائرة وثلاث نقط أخرى ،
وإذا تضاعف الربع صارت الراء أفضل .
— فى الثلث والرقعة يكون ثلاثتها أحسن من بعضها .
والراء الممدودة الذيل تكون أحسن فى الخط المحقق .

(٧) حرف السين :

أول أسنانها رأس حرف الباء ، والثانية حرف التاء ، والثالثة ربع الألف وباقى حرف الألف بأكمله . أما نهايتها فتمتد أكثر ، حتى تصير فى مقابل أسنان السين . وقد قال البعض إن السين يجب أن تكون مثل أسنان منشار النجار . ومن الخطأ أن يقال إن الخط المنسوب مأخوذ من ذلك . بل إن كل حرف له نسبة بآخر ، طبقا لخطوط الأساتذة المتقدمين مثل ابن البواب وابن مقلة . وأخذ نسبة السين من رأس الباء والتاء والألف أولى من أن تؤخذ من منشار النجار . وليس هناك تفاوت بين السين والشين أكثر من النقط .

ولكن جماعة من واضعى الخط ، أرادوا من أجل كلمات قليلة أن يستنبطوا فوائد كثيرة يسجلونها . وكان الامتداد الحاصل فى السين ، ناتجا من ربط ثلاث باءات ببعضها ، ورسم قوس لها ، جعلوا رأسه وذيله متقابلين ، ومدوه من البداية مستقيما بحيث يكون متساويا مع ما يقابله . ويلاحظ أن امتداد السين وآخر الباء الواقعة فى ذيلها والمنحرفة قليلا إذا اتصلا ببعضهما تلاقيا .

[رباعية فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— خذ رأس السين من رأسى الباء والتاء ،
وخذ من ثلث الألف مدّة أخرى .
— ولكى تتكون السين صل نهايتها بالباء ،
وتقبل هذا الكلام قبولا حسنا .

(٨) حرف الصاد : [ص ٤٤٢]

رأسها النصف الأخير للباء ، متصل به ربع من الدائرة ، وربع من الألف وحرف الباء . وتختلف الضاد عنها بزيادة النقطة فقط .

[رباعية فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— من نصف الباء وربع مستقيم من الدائرة ،
يمكن أن تهيء صادا لطيفه وحسنة .
— ويكون آخر السين والصاد والنون الثلاثة معا ،
ربع من الألف ، وباقى كل منها من الباء

(٩) حرف الطاء :

عبارة عن النصف الأول من الباء ، يتصل بها ربع من الدائرة ، وألف فى آخر نصف الباء ، ويكون ربع الدائرة مقفلا . والظاء لها نفس الرسم بزيادة نقطة واحدة فقط .

[رباعية فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— ارسم صورة الطاء من الألف والباء ،
وأنشىء فيها ربعا من الدائرة .
— ثم اكتب ألفا وسط الباء وذلك الربع ،
اجعل آخره للصاد وأوله للطاء .

(١٠) حرف العين :

يكتب بعدة طرق . ولكن أصله العين الصادية ، بحيث تربط رأس صاد بنصف دائرة ، ويكون فراغها قدر الألف : أعنى عشر نقط . وتلك عين صادية .

أما العين النعلية فيجب أن تكون على صورة النعل ، كما يكون طرفاها الواحد فى مقابل الآخر ، تكون رأسها مستقيمة . ولا تكتب هذه العين إلا فى المكان الذى يتلوه فيها ألف أو لام أو دال ، لأنه لا يحسن امتداد من العين النعلية ، بينما يحسن من العين الصادية .

وعين فم الأسد تـكون مثلا عند ما تريد أن تـكتب كلمة « على » أو كلمة تجيء فيها عين بعدها ألف ، فإنك تنزلها من رأس الألف . وكذلك ترسم بنفس الطريقة العين النعلية فتـكتب من نصف الألف . وإذا رسموا على العين المحاذية للألف صورة أسد ، فإن العين التى كتبتها يجوز أن تـكون شبيهة بفمه .

[رباعية فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— من نصف الصاد ونصف مستقيم من الدائرة ، [ص ٤٤٣]
تتكون عين صادية لطيفة وحسنة .
— والعين النعلية وعين فم الأسد من صورة النعل ،
يأتيان قبل الألف وبعدها .

(١١) حرف الفاء :

هو عبارة عن باء كاملة تتصل بها رأس فوقها نقطة . والقاف مثل الفاء عليها نقطتان ، وعنقها ربع ألف تتصل به باء كاملة .

[رباعية فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— الفاء صورة لباء مكتوبة كتابة حسنة ،
توضع فوقها نقطة على عكس الباء .
— ولـكى تصير قافا يجب أن تسمع منى ،
فتكتب فوقها ربع ألف (أى نقطتين) .

(١٢) حرف الـكاف :

تؤخذ الـكاف فى الثلث والرقعة من الألف والباء . أما فى النسخ والمحقق فتـكتب من باء واحدة بذيل مقطوع ، وباء معكوسة أخرى على رأسها ، وبها بياض قليل بحيث أنه لو كتبت ألف وسطه ، فإنه لايبقى فيه فراغ كثير .

[رباعية فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— اسمع منى هذه النكتة التى هى أعز من الأرواح ،
والتى هى أغلى من الجواهر والياقوت الأحمر .
— أكتب ألفا ، وصل بآخرها باء ،
فتصير كافا تساوى قوت الأرواح .

(١٣) حرف اللام :

تؤخذ من الألف والتاء بحيث تكون التاء منحنية قليلا . ولام النسخ تترك فى نهاية الكلام على حالها .

[رباعية فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— الكاف واللام كلاهما من أم واحدة ،
ولقد أخرجا من ثلاثة حروف .
— وكلاهما من ألف ومن باءين أخريين ،
والباء المنحنية أولى باللام .

(١٤) حرف الميم :

فى النسخ والمحقق عبارة عن رأس الفاء متصلة بحرف الراء فى نهايتها ، كما أنك لو كتبت رأس الفاء ، فإنك تستطيع بالربع الأخير من دائرتها أن تجعل منه واواً أو ميما . وإذا وضعت رأس ألف على راء تكونت منهما ميم .

[رباعية فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— إذا ثنيت ربع الألف ، [ص ٤٤٤]
ووضعتها على رأس الراء ، فإنها تصير ميما سنية .
— ومن رأس الفاء والراء وربع الألف ،
تستطيع أن ترسم عدة أنواع أخرى من الميات .

(١٥) حرف النون :

تتكون النون من ربع الألف ، وحرف الباء بأكمله ، ونهايتها مدورة . ويكتبونها بشكل التاء المقوسة قليلا ، مع تدوير ذيلها ، وهذه يعتبرونها نونا كذلك . وفى النسخ والمحقق إذا قوسوا ربع الألف والتاء ، فإن النون تتكون منهما .

[رباعية فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— تكون النون من ربع الألف وباء واحدة من الأصول ،
وعندئذ يعملون منهما عدة أنواع .
— وتكتب النون كالسين بنقص فيها ،
والعقل لا يقبل إلا ما كان له أصل .

(١٦) حرف الواو :

تتكون من رأسين معكوسين للباء ، والنصف الأخير لهذا الحرف . وفى خط الثلث والنسخ والمحقق ، أضافوا إلى الراء رأس الباء المعكوسة ، وكونوا منهما واوا .

[رباعية فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— عندما تصل رأسين معكوسين للباء ،
ثم تنزل راء من زاويتها .
— تكون ميما . أما إذا أخذت رأسى الباء ،
ووصلتهما بآخر الباء فإنك تحصل على واو .

(١٧) حرف الهاء :

إذا وصلت رأس الألف المنحنية بمعكوس رأس الباء تكونت الهاء ، وترسم الهاء بطرق كثيرة : منها الهاء ذات العينين ، وتكون من صفرين

متصاعدين الواحد فوق الآخر ، وتسمى « أذن الفيل » . وقد استخرجوا ثلثها على صورة الدال . وما كان فى وسطها خط هو حرف الهاء أيضا . وهناك أنواع أخرى لا تكتب إلا متصلة . وكذلك هناك أنواع من الهاء تؤخذ من الصفر ومن رأس الباء .

[رباعية فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— اكتب رأس الباء والألف متصلين ،
وصل معكوس رأس الباء بالألف .
— والهاء ذات العينين تجىء من صفرين ،
صاعدين فوق بعضهما ومنفصلين من الوسط .

(١٨) حرف اللام ألف : [ص ٤٤٥]

أصل « اللام ألف » يكون من صورة الألف والباء ، مع انحناء قامة الألف (مثل ألف الدال) التى تتصل من نهايتها بالباء المكوسة . وكذلك تتكون « اللام ألف » من ألفين منحنيين متصلين ببعضهما ، على أن يكون الفضاء الفاصل بين رأسى الألف بمقدار نصف حرف الباء . وقد تجعل الألف منحنية فى نهايتها ، وتقام عليها ألف أخرى . وهذه أيضاً يسمونها « لام ألف » ، وتكثر كتابتها فى الثلث والرقعة . وتكتب هكذا إذا كانت متصلة . أما فى خط النسخ فتكتب ألفان منحنيان على رأس نصف الباء فتتكون منهما اللام ألف .

[رباعية فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— يجب أن تؤخذ « اللام ألف » من الباء والألف ،
فتخرج من نهاية الألف باء معكوسة .
— والألف المائلة كالدال فى الأصل ،
ويجوز لك أن تجعلها أكثر استقامة .

(١٩) حرف الياء:

قيل إن أصل الياء ينبغى أن يكون دالين متصلتين فى نهايتهما بالنصف الأخير للباء. وقيل يجب أن تكون عبارة عن دال معكوسة تماما ومتصلة بحرف الباء كاملا.

[رباعية فارسية فى الأصل، ترجمتها:]

— إن الخطاط يجعل الياء على شكل دال معكوسة،
متصلة بها باء فى نهايتها.
— وكذلك إذا وصلتَ دالين وجعلت فى نهايتهما باء،
فإنه تخرج لك من هذه الأحرف ياء.

وقد أفرد المؤلف كتابا آخر لمعرفة أصول الخط. ولكن بحكم أن لكل عمل رجالا، ولكل مكان مقالا، رأى أنه ليس من الضرورى فى هذا الكتاب الإطناب فى الحديث عن الخط أكثر من هذا. وغرض المؤلف من ذكر الخط — وهو حرفته — فى هذا الكتاب، إنما يرجع إلى حث [ص ٤٤٦] الناس على زيادة طلبه، حتى يشاهد ويعرف كل منهم بواسطته ألقاب آل سلجوق وأنسابهم وسيرتهم وسريرتهم، وذكر دولتهم وبسطة مملكتهم وعظمة سلطتهم، وحتى يقدروا مثل هذا الخلف الذى عمت رعايته الفضل، واشتهرت عظمته وعظمة صلاته فى سائر الأقطار؛ خصوصا فى مملكة خراسان والعراق. وهو السلطان غياث الدين — دام ظله — ولم ير شخص مثل ساحته، ولم يشتهر أحد بتدينه وعدله.

وقد زين الداعى لهذه الدولة محمد بن على بن سليمان الراوندى عروس الفكر هذه من درر الشعر وحلل الخاطر — بجواهر اللآلىء، وأحضرها إلى الحضرة العليا مزدانة محلاة. وقد طرز كسوة التاريخ لسلطنة آل سلجوق بذكر ألقاب سيد العالم، ملك بنى آدم، السلطان القاهر عظيم الدهر، غياث الدين، كهف الإسلام والمسلمين أبى الفتح كيخسرو — مد الله ظله — فألف من ذلك كتابا وترك تذكارا فى العالم يجد فى طلبه جميع أنواع الناس؛ فيطالعه كل صغير وكبير

وغريب وقريب ، ليلتمس فائدة من فوائده و يطلب مائدة من موائده ، و يقرأ الجميع كل ذلك و يعرفونه . و به أيضاً يظل حيا اسم هذا الداعى دلالة على طلب الفضل وحب العلم ، وليكون باعثا ومحرضاً للآخرين ؛ حتى يجدّوا فى رعاية الفضل وتحصيل العلم ، فيحظوا بقرب الملوك وجوارهم ، و يحصلوا على الصلات الجسيمة والمنح العظيمة .

ومن الإنصاف أن أقرر أن شخصا قط من أبناء جنسى ، لم يجد تلك الراحة واللذة والعطاء والصلة التى وجدتها ، بسبب ما توفر لى من فضل وتأليف . وكان من حسن حظى أننى فى آخر المائدة وصلتُ إلى الحلوى ، فرأيت حضرة سيد العالم غياث الدين — متعه الله — وقديما قالوا :

[مصراع فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

كن آخر المائدة لتصل إلى الحلوى .

ولقد تذوقت مدحه ، وطوقت عنقى بحمل منته وطوق نعمته . فلتكن هذه الدولة حتى القيامة ، أول الدول وآخرها ، ولتبق أيضاً فى العظمة والسلطنة حتى نفخ الصور ويوم البعث والنشور ، وليمنحنى الله التوفيق فى خدمته ، حتى أعيش بقية العمر فى حضرته . وسأظل فى كل وقت حتى ميعاد انقضاء [ص٤٤٧] الأجل — أجمع للملك من الأقاصيص والأعاجيب العالمية ما يبهجه فى وقت البهجة والفرح ، وما يؤنسه فى وقت الخلوة ، وما يكون موجبا لسلوته ، وأوصلها إلى الحضرة . وفى مدح السلطان واتساع ميدانه لا يستطيع الخاطر أن يقرر فى ألف مجلد عشر معشار ما هو جدير به . وقد أطلت الحديث فى هذا المجلد ، وضمنته ذكر مجالس الأنس ، وتهيؤ أسباب المعاشرة والمنادمة ، ووسائل اللعب والصيد والقنص.

والآن اشرح الطرق لمعرفة الظفر فى الحرب ؛ والأسباب الموجبة لهزيمة الخصم ، وموقف الغالب والمغلوب ؛ حتى يكون للسلطان حظ من ذلك أيضاً ، ثم أختم الكتاب إن شاء الله .

فصل فى الغالب والمغلوب

عندما طلب الإسكندر العلم ، وأحضروا له ارسطاليس ، بادر أبوه نيقوماخس بإعطائه كتاب الهزيمة ، وأرسله إلى الإسكندر على رأس الجدول ، ثم أثبت أسماء الملوك تحته ، فعلم الإسكندر أنه سوف يكون حاكما على الدنيا جميعها ، وسوف يتغلب على ملوك العالم . وعلى هذه الحال اسم سليما نشأه ، وكان هذا الجدول للإسكندر بمثابة دستور عظيم . فإذا تجادل مع شخص أو خاصمه ، أخذ يطالع هذا الحساب . فإذا كانت الغلبة له بموجب هذا الجدول ، كان يستعد للخصام و يتهيأ للحرب . أما إذا كانت الغلبة لخصمه ، فإنه كان يدع الخلاف ، و يصطلح معه . و إذا دعت الضرورة إلى الحرب ، كان يختار واحدا من كبار رجال جيشه تكون له الغلبة على خصمه بمقتضى هذا الحساب ؛ فكان ينصبه قائدا لجيشه ، و يرسله لمحاربة ذلك العدو حتى يحاربه ويخضعه ، ويعود كاتبا رسالة الفتح ، قاصما ظهر الخصم . وعلى هذا النحو سارت الأمور دائما وفقا لمراد الإسكندر .

وهكذا إذا تخاصم ملكان ، و نُظِرَ فى هذا الحساب والجدول ، فإنه يعرف لمن منهما تكون الغلبة . وهذا سر عظيم وعلم شريف . وخصائص [ص ٤٤٨] الأعداد والحروف ومزاياها كثيرة عديدة ، وكان حكماء اليونان فى الأزمنة القديمة ، يعتقدون فيها و يحلفون بها الأيمان المغلظة . ولكن صحة هذا العمل ، تتوقف على رعاية شروطه ، إذ يجب أن يكون هناك تجانس واتفاق بين الواحد والآخر ، فالجنس مع الجنس ، والشبيه مع الشبيه ، فيكون الملك مع الملك ، والوزير مع الوزير ، والأمير مع الأمير ، والقائد مع القائد ، والأميرة مع الأميرة ، والضابط مع الضابط ،

والمصارع مع المصارع ، والكاتب مع الكاتب ، والصانع مع الصانع ، والرجل مع الرجل ، والمرأة مع المرأة وأمثال ذلك .

وأما أولئك الذين ليسوا متجانسين مثل العبد والسيد ، والحقير والكبير ، والمريد والأستاذ ، والفقير والغنى ، والضعيف والقوى ، فإنه تصح أيضا مقارنتهم الواحد بالآخر بموجب هذا الحساب . ولكن المحافظة على سلامة الطريق صعبة ، لأن عظماء الناس قلما يسيئون الظن بمرءوسيهم ومن هم دونهم ، فيغفلون بذلك عن شرهم . ولهذا السبب تبقى المقارنة غامضة ، وإنما تعلم صحة الحادثة بعد انقضائها وعندما لا يكون مفر منها .

فصل فى تسجيل الاسم والكنية واللقب

بحساب الجمل

إذا كان شخص أكثر شهرة بكنيته ولقبه ، فإنه يحسن لكى يصح العمل ، أن يُؤْخَذَ اسمه من تلك الكنية واللقب ، لأنهما أكثر جريانا [ص ٤٤٩] على الألسنة وأكثر تعارفا لدى الناس .

مثال ذلك أبو مسلم وأبو جعفر وأبو الفضل فإنهم يقولون : إنه يجوز أن تذكر الألف من أجل الدقة فى الحساب ، كما يجوز أن تحذف من الحساب لمعرفة الناس بها . وكذلك الحال مع الأسماء التى يسقط منها أغلب الناس الألف واللام ؛ ذلك لأن أصحاب هذه الأسماء ، يكونون معروفين أكثر بين قومهم بحسن وحسين وعباس ومظفر . . . الخ . و إذا لم تُسْقَط الألف واللام ، فإن ذلك يجوز أيضا .

وكذلك حديث اللقب تنطبق عليه نفس القاعدة ، وذلك فى الأمثلة الآتية :

(ا) أركان الدولة والمملكة مثل يمين الدولة وجلال الدولة وشهاب الدولة وأمثال هذا .

(ب) عظماء الديوان مثل صفى وكامل وكافى ومؤتمن ومختص ومهذب ورشيد وأمثال هذا .

(ح) الوزراء مثل نظام الملك وعميد الملك ومجد الملك وأمثال هذا .

ويجب أن يؤخذ كل ما يعرف به الناس خارجا عن الاسم والكنية وذلك مثل « زنكه » « وكسته » و « غريبك » .

ولا يجب أن تؤخذ الكنية مع الاسم أو الاسم مع الكنية ، بل يجب أن يؤخذ الاسم مع الاسم . والكنية مع الكنية حتى يصح ذلك .

فصل فى حل المثال[1]

قتل أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه على يد أبى لؤلؤة ،
ز * ه *

وقتل أمير المؤمنين على رضى الله عنه على يد عبد الرحمن بن ملجم ، ونظائر
ب * ط *

هذا كثير .

وقد وقعت جميع هذه الأخطاء ، لأن المجنى عليهم ، لم يحتاطوا تماما فغفلوا عن شر السفلة وكيدهم ، واحتقروا الخصم الضعيف ، مع أنه لا ينبغى فى أى وقت من الأوقات ، أن يخلو المرء من الحزم والاحتياط ، بل يجب أن يحذر القوى والضعيف وإذا كان الخصم ضعيفا ، فلا ينبغى التهوين من أمره ، حتى تقل الآفات ، وهناك فرق كبير بين العالم والجاهل .

(١) لفهم هذا المثال أنظر الفصول التالية .

فصل فى تسجيل حساب الجمل

اعلم أنه بدون حساب الجمل لا يمكن معرفة حساب الغالب والمغلوب . وقد وضع هذا الجدول للأشخاص الذين لايعرفون حساب الجمل ، ولأولئك الذين يعرفونه أيضا ولكنهم لا يحفظونه ، وقسم على هذا الترتيب :

الخانة الأولى للآحاد والثانية للعشرات والثالثة للمئات والرابعة للألوف .

وهذا هو أصل الحساب . ولكننا زدنا عملا آخر فى هذا الجدول لأجل سهولة الحساب .فمع أن الناس يعرفون حساب الجمل ، إلا أنه فى وقت العد ، يكون من الصعب عليهم إسقاط تسعة تسعة ؛ ولذا روعى فى هذا أيضا إسقاط تسعة تسعة ابتداء من رقم عشرة إلى مائة ومن مائة إلى ألف . وكتبت [ص ٤٥٠] الأرقام الهندية أمام الحروف حتى لا يكون هناك تعب فى عدها وتصبح سهلة .

(أنظر رسم الجدول)

آحاد ★	عشرات ★	مئات ★	ألوف ★
أ ★ واحد	ى ★ عشرة ١ ★	ق ★ مائة ١ ★	غ ★ ألف ١ ★
ب ★ اثنان	ك ★ عشرون ٢ ★	ر ★ مائتان ٢ ★	
ج ★ ثلاثة	ل ★ ثلاثون ٣ ★	ش ★ ثلاثمائة ٣ ★	
د ★ أربعة	م ★ أربعون ٤ ★	ت ★ أربعمائة ٤ ★	
هـ ★ خمسة	ن ★ خمسون ٥ ★	ث ★ خمسمائة ٥ ★	
و ★ ستة	س ★ ستون ٦ ★	خ ★ ستمائة ٦ ★	
ز ★ سبعة	ع ★ سبعون ٧ ★	ذ ★ سبعمائة ٧ ★	
ح ★ ثمانية	ف ★ ثمانون ٨ ★	ض ★ ثمانمائة ٨ ★	
ط ★ تسعة	ص ★ تسعون ٩ ★	ظ ★ تسعمائة ٩ ★	

فصل فى كيفية العمل بجدول الغالب والمغلوب

اعلم أن العمل بهذا الشكل والجدول ، إنما يصح حينما يكون هناك شخصان من طبقة واحدة . فإذا كانا غير ذلك ، فإنه يؤخذ اسم أحد الخصمين بحروف الجمل ، وتحصى أرقامه ، ثم يسقط منها تسعة تسعة ، وما يتبقى يبحث عن عدده فى الجدول ، ويوضع عليه الإصبع ، ثم يؤخذ اسم الخصم الآخر بحروف الجمل ، ويسقط منه أيضا تسعة تسعة ، ويبحث عن الباقى فى مقابل الإصبع الموضوع عليه . فإذا كانت الحروف حمراء ، فإن الخصم الثانى يكون هو المتغلب على الخصم الأول . أما إذا كانت سوداء ، فإن الخصم الأول يكون [ص ٤٥١] هو المتغلب على الخصم الثانى . وإذا كانت خضراء[1] ، فإن الصلح يقع بينهما . وإذا لم يحدث صلح ، فإن الغلبة تكون للشخص الأصغر سنا . ولو فرض أن الحرب تتابعت واستمرت ، فلا بد وأن تكون عاقبتها الظفر للشخص الأصغر سنا .

وإذا جاء الحرفان متساويين فى الحساب كما يبدوان فى الجدول ، [ص ٤٥٢] وذلك مثل الألف والألف والباء والباء والزاى والزاى كان ذلك دليلا على وقوع الصلح بينهما .

(١) الوجود فى هذا الجدول حروف حمراء وأخرى سوداء فقط .

« فصل »

البرهان على صحة هذه الأعداد هو أن نذكر المعروفين والمشهورين منذ آدم عليه السلام حتى هذا العصر – من الأنبياء عليهم السلام ، ومن الملوك والمبارزين لنعرف من كان غالبا ومن كان مغلوبا . ثم تُقابل الأسماء . وقد وجد بالتجربة أنه صحت جميع العمليات ، ولم يقع خطأ قط . وحيث أنه لم يقع خطأ فى الزمن الماضى ، فسوف لا يقع خطأ أيضا فى المستقبل .

ونحن نحسب جميع الأسماء فما تبقى منها يرجع إليه تحت كل حرف فى جدول الغالب والمغلوب حتى تعلم الحقيقة ، ويرتفع الشك من القلب :

فصل فى أسماء العظماء والملوك والقدماء

قهر آدم عليه السلام إبليس ، وقبل آدم تغلب إبليس على جان بن جان[1] ،
ط ✲ د ✲ د ✲ ح ✲

وغلب + قابيل[2] + هابيل[2] ، وغلب الضحاك جمشيد ، وغلب افريدون
ج ✲ د ✲ أ ✲ ط ✲ ج ✲

بيورسب[3] : يعنى الضحاك ، وغلب تور ايرج ، وغلب «افراسياب» [ص ٤٥٣]
ب ✲ ج ✲ ز ✲ د ✲

« سياوش » ، وغلب كيخسرو أفراسياب ، وغلب «طوس بن نوذر» «فروذ» ،
ح ✲ هـ ✲ د ✲ ج ✲ هـ ✲

وغلب « گيو » « كروى زره » ، وغلب « فريبرز » « كلباد » ، وغلب
ط ✲ ب ✲ د ✲ و ✲

+ « رهّام » + « بارمان » ، وغلب « كراز » « سيامك » ، وغلب
ب ✲ و ✲ ج ✲ هـ ✲

« گرگين » « اندريمان » ، وغلب «بيژن» «هومان» ، وغلب «اخواست»
ج ✲ هـ ✲ و ✲ ج ✲ و ✲

« زنـگه شاوران » ، وغلب + « پرتة » « كهرم » ، وغلب « فروهل »
أ ✲ ز ✲ د ✲ و ✲

---

(١) يجب أن يحسب هذا الاسم بأكمله يعنى « جان بن جان » لاجان فقط . والنون المشددة تحسب نونين (يعنى ن + ن = ١٠٠) .

(٢) فى هذين الاسمين لايجىء حاصل الجمع صحيحاً (يعنى مايتبقى بعد إسقاط تسعة تسعة) مثلا فى قابيل (١ + ١ + ٢ + ١ + ٣ = ٨) . ثمانية : يعنى تبقى حاء حطي لا الجيم وفى هابيل (٥ + ١ + ٢ + ١ + ٣ = ١٢ − ٩ = ٣) .
ثلاثة : يعنى تبقى الجيم لا الدال ، كما جاء فى نسخة الأصل وفى سائر الأمثلة توجد أسماء لايصح حاصل جمعها ؛ وذلك من قبيل هابيل وقابيل ، ومثل هذه الأسماء وضعنا قبلها علامة صليب .

(٣) يجب أن تضاف ألف إلى هذا الاسم حتى يصح الحساب .

[المترجم] : كلمة بيور فى الفارسية بمعنى عشرة آلاف ، أسب بمعنى حصان . وقد سمي الضحاك بهذا الاسم لأنه كان يملك عشرة آلاف فرس للدلالة على مبلغ قوته وسطوته .

+ «زنسكونه»[1] ، وغلب + « گوذرز كشواذ گان» «پيران بن ويسه» ،
هـ * هـ * ب *

وغلب « أرجاسب » « لهراسب » ، وغلب « گشتاسب » و+ « اسفنديار »
و * ا * ط * د *

« ارجاسب » ، وغلب « رستم بن زال » ابنه + « سهرب » ، وغلب « رستم
و * ز * ب * ز *

ابن زال » أيضاً + « اسفنديار » ، وغلب « شغاذ » أخو «رستم» «رستم » ،
د * ج * ز *

وغلب « بهن فرامرز » ابن « رستم » ، وغلب « الإسكندر » « دارا » ،
ز * و * ب * ح *

وغلب « أردشير » « أردوان » ، وغلب « شيروى » + « پرويز »[2] .
د * ا * د * ا *

---

(١) يصح الحساب فى هذا الاسم إذا لم نعد الهاء الصامتة .

(٢) المراجع : أسماء الملوك المذكورين فى هذا الفصل يمكن الرجوع إليها فى كتاب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم للثعالبى .

فصل فى ذكر الرسل والصحابة

والخلفاء الراشدين

غلب إبراهيم عليه السلام النمرود ، وغلب موسى عليه السلام فرعون
ز *   و *   ح *   ا *

وعوج ، وغلب داود عليه السلام جالوت ، وغلب محمد المصطفى [ص ٥٠٤]
ز *   د *   ح *   ب *

+ أبا جهل[1] ، وغلب أبو لؤلؤة عمر ، وغلب محمد بن أبى بكر أمير المؤمنين
ب *   هـ *   د *   ب *

+ عثمان ، وغلب عبد الرحمن بن ملجم أمير المؤمنين عليا ، وغلب يزيد
و *   ط *   ب *   د *

+ الحسين ، وغلب سعد بن أبى وقاص يزدجرد ، وغلب أبومسلم نصر بن سيار ،
و *   ج *   ج *   ج *   ز *

وغلب عبد الله السفاح مروان الحمار ، وغلب المأمون الأمين[2] .
ز *   ط *   ب *   ب *

---

(١) تبقى الألف من اسم أبى جهل ، وأما الباء فخطأ قطعيا ؛ لأنه على حد تعبير المصنف نفسه إذا تساوى الخصمان فى الحساب ، فإن ذلك يكون دليلا على الصلح .

(٢) لما كان حساب كلا الاثنين مساويا للآخر ، فإنه يجب أن يكون ذلك دليلا على الصلح .

فصل فى ذكر السلاطين والأمراء

غلب السلطان « محمود » « قدرخان » ، وكذلك غلب السلطان « محمود »
ح * ا * ح *

أمير العراق « رستم بن على الديلمى » فى لرى ، وهزم الأمير «چغرى» السلطان
ز * ز *

« مسعود » فى دندانقان ، وهزم السلطان طغرل إبراهيم ينال فى همدان ، وغلب
ط * و * ز *

السلطان « ألب ارسلان محمد »[1] « قتلمش » ، وكذلك غلب السلطان
ب * و *

ألب ارسلان ملك الروم « ديوجن » القيصر ، وهزم السلطان السعيد
ب * ا *

+ « ملكشاه » « قاورد » ، وغلب الأمير + « تتش »[2] + « سليمان
ح * هـ * ز * ز *

ابن قتلمش » على باب حلب ، وهزم الأمير « تكش »[2] « سليمان [ص ٤٥٥]
ط * ب *

ابن چغرى بولواج » ، وهزم أمير اسطبلات ملكشاه « التونتاش » الأمير
ط *

مسعود[3] بيجز ، ومحمود بن مسعود[3] على باب سرخس ، وتصالح السلطان
ط *

---

(١) عد المصنف لفظ محمد وترك « ألب ارسلان » .

(٢) يبقى حرف الياء من هذا الاسم كما لوحظ فى موضع آخر من هذا الفصل .

(٣) الاسمان متساويان فى الحساب ، وإذن فيجب أن يكون هذا دليلا على الصالح .

بركيارق مع السلطان محمد ، وهزم الأمير إسماعيل الملك تتش وانتصر عليه ،
ب *   ب *   د *   ب *

وغلب السلطان السعيد « محمد بن ملكشاه » + ملكشاه بن بركيارق و إياز
ا *   ح *   ب*

وصدقة ، وغلب السلطان مسعود طغرل وسليمانشاه . ونحن نكتفى بهذا القدر ،
أ *   ط *   و *   ت *

وتقاس الأمثلة الأخرى على هذا النحو.

كيفية العمل بجدول الغالب والمغلوب فيما يتعلق

بفتح الحصون والمدن

فصل

حينما تفتح مدينة أو حصن ، يؤخذ اسم الفاتح بحروف الجمل ، وتسقط تسعة تسعة ، وما بقى يبحث عن عدده فى الجدول ، ويوضع عليه الإصبع . وكذلك يؤخذ اسم المدينة أو الحصن ، فتسقط منه تسعة تسعة ، ويبحث عن الباقى فى مقابل الإصبع الموضوع عليه . فإذا كانت الحروف حمراء ، فإنه يتعذر الاستيلاء على المدينة . أما إذا كانت الحروف سوداء ، فإن هذه المدينة تسقط ويستولى عليها . وإذا كانت خضراء ، فإنه يقع الصلح بين الطرفين .

والآن نذكر عدة أسماء لبعض الأشخاص الذين فتحوا الحصون والمدن .

« فصل »

فتح أمير المؤمنين على رضى الله عنه خيبر ، وفتح عمرو بن العاص الإسكندرية ،
ب * ب * و * ح *

وفتح سعيد بن العاص طبرستان ، وفتح عبدالله بن عامر «دارا بگرد»، [ص ٤٠٦]
ط * ب * ط *

وفتح عبد الله بن عامر بلخ أيضا ، وفتح عبدالله بن خازم باورد ، وفتح + حاتم
ز * ب * ز * و * و *

ابن نعمان + مرو ، وفتح ربيع بن زياد پوشنگ ، وفتح ربيع بن زياد سيستان
ح * ح * ط * ج *

أيضا ، وكذلك فتح عبد الله بن عامر بن مرو الروذ[1] ، كما فتح عبد الله بن عامر
ز * و * ز *

هراة أيضا ، وفتح + قتيبة بن مسلم سمرقند ، وفتح أبو موسى الأشعرى + الرى .
د * ح * ا * ح * د *

وتحسب بقية الأسماء على هذا النحو أيضا . وإذا جاءت حروف الحصن أو المدينة مساوية لحروف الفاتح ، فإنه ينظر ما إذا كانا قد أقيما قبل ولادة الفاتح ؛ لأنه فى هذه الحالة يستولى عليهما . أما إذا كانا قد أقيما بعد الولادة ، فإنه لا يمكن الاستيلاء عليهما .

---

(١) إذا أخذنا الحرف الأخير وحسبنا الدال المهملة بدلا من الذال المعجمة ، فإنه يصح الحساب .
[المراجع :] تركنا الأسماء الفارسية بإملائها ولم نورد تعريبها التى عرفت به فى الكتب العربية ، لأن قيمتها العددية محسوبة وفقا لهذا الإملاء .

طريقة أخرى لمعرفة الغالب والمغلوب

يمكن بهذا الشكل معرفة الغالب والمغلوب دون جدول . فنحن نعلم أن الأعداد من (١) إلى (٩) تشتمل على خمسة أعداد فردية وأربعة زوجية . والآن نبين بطريقة أوضح : أى عدد فردى يغلب عددا فرديا آخر . وأى عدد زوجى يغلب عددا زوجيا آخر ، وأى عدد فردى يغلب عددا زوجيا ، وأى عدد زوجى يغلب عددا فرديا ؟! .

« فصل[١] »

الأعداد المتفقة مثل الفرد والفرد والزوج والزوج ، إذا كان كلا العددين فرديا ، فإن العدد الأصغر يغلب العدد الأكبر . فمثلا الرقم (١) يغلب[ص ٤٥٧] الأرقام (٣) ، (٥) ، (٧) ، (٩) .

أما إذا كان كلاهما زوجا ، فإن العدد الأصغر أيضا يغاب العدد الأكبر . فالرقم (٢) يغلب الأرقام ٤ ، ٦ ، ٨ .

وفى حالة العدد المخالف مثل الفرد والزوج أو الزوج والفرد ، فإن العدد الأكبر يغاب العدد الأصغر . أى أنك إذا وضعت العدد الأكبر (٩) الذى هو

---

(١) فى الجدول المرسوم فى نهاية هذا الفصل يلاحظ أن الكلمات والحروف المتبوعة بعلامة النجمة ، قد كتبت بالمداد الأحمر كما وردت فى نسخة الأصل . واستعمال هذا الجدول سهل جداً ، إذ أنه يوجد حرف أحمر فى كل صف أفقى يغلب سائر الحروف الأربعة السوداء . فمثلا فى الصف الأول يغلب حرف (ا) الأحمر حروف ج ، ه ، ز ، ط . أو بعبارة أخرى : يغلب العدد (١) الأعداد (٣) ، (٥) ، (٧) ، (٩) . وكذلك فى الصف الثانى يغلب حرف (ب) حروف د ، و ، ح ، ا أو أن العدد (٢) يغلب الأعداد (٤) ، (٦) ، (٨) ، (١) وكذا الحال فى سائر الصفوف .

عدد فردى ، فإنه يتغلب على جميع الأعداد الزوجية الأصغر منه ، يعنى الأرقام (٨) ، (٦) ، (٤) ، (٢) . وكذلك العدد (٥) يغلب العددين (٤) ، (٢) . وأيضا العدد (٧) يغلب الأعداد (٦) ، (٤) ، (٢) . وكذلك يغلب العدد (٣) العدد (٢) .

وإذا كان العدد الأكبر زوجيا ، فإنه يتغلب أيضا على جميع الأعداد الفردية الأصغر منه . أى أنك إذا وضعت مثلا العدد (٨) فإنه يغلب الأعداد (٧) ، (٥) ، (٣) ، (١) . وكذلك العدد (٦) الذى هو زوجى يغلب الأعداد (٥) ، (٣) ، (١) . والعدد (٤) يغلب العددين الفرديين (٣) ، (١) . والعدد (٢) يغلب العدد (١) . فإذا عرف كل هذا أمكن فهم الغالب والمغلوب بوضوح .

غالب ° مغـــلوب °				
ا °	ج	ه	ز	ط
ب °	د	و	ح	ا
ج °	ه	ز	ط	ب
د °	و	ح	ا	ج
ه °	ز	ط	ب	د
و °	ح	ا	ج	ه
ز °	ط	ب	د	و
ح °	ا	ج	ه	ز
ط °	ب	د	و	ح

خاتمة الكتاب

اشترطت فى فهرست هذا الكتاب أن أختمه بالملح والفكاهات ، ولكن طائفة من العظماء والأصدقاء ألحوا علىّ أن أتحلل من هذا الشرط [ص ٤٥٨] وأتخلص منه ، لأنه مناف للأدب ، وأشاروا علىّ بأن أفرد لذلك كتابا مستقلا يكون متعة للخواص ونزهة للعوام ، وأن أختم كتابى هذا بالدعاء للملك ، وألا أخلطه بالهزل ، وأن أقصره حتى نهايته على الفوائد العلمية والدعاء لدولة سلطان العالم . وإنى أدعو الله تعالى أن يجعل شمس دولته ، وظل إقبال سيادته — وهو سلطان العالم ذو القرنين الثانى ، قيصر الزمان ، إسكندر العصر والأوان ، غياث الدنيا والدين ، كهف الإسلام والمسلمين ، أبوالفتح كيخسرو بن السلطان العادل قلج ارسلان — مضيئة ودائمة حتى قيام الساعة ، وأن يجعله وارثا ملك سلاطين آل سلجوق وتاجهم وعرشهم ، وأن يجعل فى يد اقتداره ، أقاليم العالم وزمام الحل والعقد فى بنى آدم ، وأن يجعل فى قبضته أعمال الدنيا ومصالح العالمين . ولتكن رقاب الملوك وجبابرة العالم خاضعة ومسخرة لأوامره ونواهيه حتى يحضر عبيده من جميع الأطراف ويتوجهوا إلى حضرة السلطان الأعلى — أعلاه الله — ويعبروا فى سبيل ذلك المنازل والمراحل ، وينظموا له المدائح .

[أبيات فارسية فى الأصل(١) ، ترجمتها :]

— كل نظم يخرجه جهد الإنسان ،
إنما يكون فى مدح الملك الميمون .

---

(١) من البيت الثالث حتى آخر القصيدة من شعر شرف الدين شفروه الإصفهانى فى مدح السلطان طغرل بن ارسلان (انظر تذكرة الشعراء لدولتشاه ، طبع ليدن ص ١٥٤ — ١٥٥) .

— اقرأ نصفه المكتوب ، فإن نصفه الآخر ،
معنوى وموزون فى الصور .
— ويتساوى البشر وسكان البحر والجن والملائكة ،
فى الخضوع للسلطان .
— غياث الدين كيخسرو الذى وجد ،
التاج والعرش والعلم والخاتم .
— ومطربه وطباخه وفرسه وكاتبه ،
الزهرة والشمس والقمر والمشترى .
— الهواء والتراب والماء والنار على بابه ،
هم الخازن والصراف والرسول والصائغ .
— فى ظل عدله يعيش فى تضامن ،
الأسد وحمار الوحش والذئب والكبش والحجلة والصقر .
— وفى كف غلمانه وأحبابه ،
الرمح والسيف والنشابة والعلم .
— لتكن السماء فراشا له حتى يقيم من أجله ،
القصر والسرادق والطبل والعلم .
— وتظل مشوية على سماطه ، [ص ٤٥٩]
البقر والسمك والخيل والغنم .
— البحر والمعدن ينثران لحضرته ،
اللؤلؤ والياقوت والدينار والدرهم .
— والمطربون فى مجالس الحفل يمسكون ،
البربط والعود والرباب والناى والدف .
— ولقد توطن فى بستان عيشه ،
الورد والصنوبر والسرو والسنديان .
— ولقد صار العقاب والعنقاء والفيل والكركدن ،
صيداً لصقره وفهده .

— وصارت الشمس والقمر والزهرة وعطارد فى الحفل ،
طبلا وكأسا وطستا وحوضا .
— وقد تسلطت على أبدان أعدائه ،
القنفذ واللقلق والغراب والحدأة .
— والبلبل والقمرى والحجلة والقبرة قد أحدثت .
فى بستانه أصوات آلات الطرب .
— فليبق مجلوا فى بستان مراده
العندليب والببغاء والطاوس الفحل .
— وليتخذ الملوك من نعل جواده ،
القرط والسوار والطوق والحزام .
— وعلى جسم أعدائه ليتقطع إربا إربا ،
الدرع والخوذة والبلطة والترس .
— ولينفذ فى جسم خصومه ،
الدبوس والنشابة والرمح والسهم والفأس .
— ولتكن محملة بالأثمار حدائقه وضياعه الكثيرة ،
ولتكن مثمرة بالتفاح والنارنج والأترج والرمان والسفرجل .

ذكر الرؤيا

عند ما جلستُ فى صومعة الهموم وعش الغموم و بيت الأحزان ، التزمت زاوية العزلة ، واخترت التجرد والوحدة ، وآثرت الفراغ والانزواء ، واشتغلت بالرياضة والقناعة . وبعد أن وقعت حادثة السلطان السعيد ، القاهر الشهيد طغرل بن ارسلان — قدس الله روحه العزيزة ، وأبقى المولى وارث عمره ودولته — لم أعرف شخصا فى مرتبته ومنزلته لأقوم على خدمته فانطويت على نفسى . وذات ليلة اتشحت فيها السماء برداء أسود ، وعقدت خمارها على وجه الفلك .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— وليلة حالكة السواد مثل معدن الشبه المطلى بالقار ،
لم يبد فيها بهرام ولا زحل ولا عطارد .

تعبت حدقة عينى ، وهجم جيش التفكير علىّ ، وتراكمت أمامى الهموم حتى خشيت على روحى الجريحة أن تغيب عن عالم الطبيعة ، فغفلت عن كل ما كان يرد إلى حسى ، ولم تقبل عينى كل طيف كان يداعب حدقاتها ، وطرقت مزامير داود باب سمعى ، فلم تنفذ واحدة منها إلى داخل أذنى ، [ص٤٦٠] بل كانت سببا فى ألمى وهمى ، وتخلت الحواس الخمس عن وظائفها ، وسقطت الأعضاء السبعة عن دائرتها . فأخذت أحيانا أقول لنفسى : إنه بغير مخدوم وممدوح كريم سوف يبقى بستان على عديم الثمر مهملا ومعطلا ، و بغير عطائه الغزير ، لا أستطيع أن آمن غارة الفقر . ولما كنت قد خدمت مثل هؤلاء الملوك الجبابرة والعظماء المشهورين ، فكيف أنسجم مع الأخساء الحقيرين ، والدون المغرضين ، وكيف أقوم على خدمتهم ؟!...

[مصراع فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— إذا كنت قد توجت ملكا ، فكيف أرضى أن أكون حارسا . . ؟!

مثل : « والليث لا يخضع للأرنب » .

[فهلوية[1] :]

من كه بوسته بى لوباره جانان — جه هركى لوبدندان ها نكيرام

وأخذت أحيانا أقول لنفسى يا ليت قمرا من برج السلاطين ، أو ملكا من ملوك الأرضين ، يظهر من سلالة السلاجقة حتى يطمئن القلب إلى خدمته .

(١) المراجع : معنى هذه الفهلوية غير معروف ، وقد أثبتناها كما وردت فى الأصل والفهلويات عموما موضع درس .

وفى هذه الأثناء عانق سلطان عقلى فى مستقره الأبيض من الرأس — عروس إنسان العين ، وراح فى حلم لذيذ ، أسدل فيه ستار الأجفان على حدقة العين ، وأبرز فيه الأهداب والوجه إلى العالم العلوى ، ثم سلك طريق الأنفاس بغير مشقة ، وصعد المرتقى والسلم فرأى عش القديسين ، وسمع أصوات الملائكة ، فصاح به هاتف من الغيب وقال : « أبشر فإنهم يدقون فى الأفلاك السبعة النوبات الخمس لسلطنة آل سلجوق . وها هو ذا يشرق من أبراجهم ملك كريم كأنه القمر ، يستولى على الملك ويظفر بما ظفر به أسلافه من مرتبة ومنزلة . وقد قامت دولة آل سلجوق من «إسرائيل» ، وكان الجد السابع للسلطان ، وكان هو أكبر وأعظم إخوته . فلما غدر به محمود بن سبكتكين وسجنه ، قام إخوته طلبا للثأر . وكان هذا سببا لوصول الملك إليهم . ولكن حاقت الهزيمة بهذه الدولة بسبب استيلاء جماعة من أتباعهم الطاغين ، وسينهض من نسل إسرائيل سلطان فى سيرة سليمان ، وسريرة أنو شروان ، وعدل عمر ، وفضل [س ٤٦١] كسرى ، يخضع له الإنس والملائكة . واستيقظت من ذلك الحلم العذب ، وقد أحسست بالطرب ، وعقدت العزم على خدمة هذا السلطان ، ولم أتم سنة أخرى حتى نظمت هذا الدر ، وقلت هذه الأشعار ، وجمعت أبكار الأفكار ، وأخذت أطوف الآفاق ، وأجوب الولايات ، ولكنى لم أجد أثرا لهذا السلطان فى أى مكان .

وأخيراً سمعت عن صيت الكرم والمروءة ، وسعة النفوذ التى امتاز بها السلطان السعيد ركن الدنيا والدين — قدس الله روحه العزيز — ولا زال المولى السلطان الأعظم وارثا لتخته وبخته ؛ فرأيت أن أتوجه إليه ، ولكن أخطأ فكرى وقال : أيكون هو الشخص الذى أود أن أؤلف باسمه هذا الكتاب ؟ .

فلما عرفت الأحوال بالتفصيل ، اتضح أنه كان غاصبا للملك[1] ، وأنه هو الذى امتدت يده بالغدر ، إذ كان والده قد عهد بولاية العهد إلى الملك السعيد — خلد الله ملكه .

مثل : « رجع الحق إلى أهله » .

أبقى الله هذه الدولة ، وجعل أطناب خيمة عظمتها متصلة إلى يوم القيامة ؛ لتكون دولته مقدمة الدول ، وزعيمة الممالك . ولقد وصل إليه الملك أبا عن جد ، وهو جدير بالسيطرة والملك خلفا عن سلف ، وهو نفسه جدير بما ينبغى له .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

— إذا جاء الأمر على خلاف ما تهوى يا ملك العصر ،
وكان فى يد خصمك عدة الملك والدولة
— فإن صيحات وتضرعات كثيرة تتجه إلى عتبة ذى الجلال ،
لكى يصون مملكتك من الحاسدين لجاهك .
— وهذه هى المملكة باقية اليوم فى يدك وحتى الأبد ،
وبتلك البشرى سوف يزيد سرور الفلك .

وظللت فى تحير وتفكير ، حتى قدم السيد الأجل العالم المحترم صاحب الحظ المقبل ، جمال الدين ، كمال الإسلام ، شرف التجار أبو بكر بن أبى العلاء الرومى — أطال الله عمره ، وطيب دهره وعيشه — إلى دار الملك همذان — حماها الله — فنشأت صحبة بينى وبينه ، ورأيت منه المحبة والميل لأسرة آل سلجوق ؛ [ص ٤٦٢] إذ كان طوال يومه يشتغل بنشر معدلة ، وذكر منقبة سلطان العالم غياث الدين — عز نصره — ويذيع بين أمراء العراق والصدور شرح سيرته ، ويشيد بعدله

(١) يعنى ركن الدين (أخو كيخسرو) الذى كان مغتصبا للعرش ، بينما كان كيخسرو هو ولى العهد الحقيقى .

واستعداد جيشه ، وقضائه على الكفار ، وخوضه غمار الحروب ، وفتحه بلاد الكفر . حتى جعل أمراء العراق يحبون سيد العالم .

وكان يطوف بالمدارس ويزور العلماء والزهاد ، ويحدثهم بحكايات قتاله مع الكفار ، وفتح مدينة « انطالية » التى لم يكن فى مقدرة أى سلطان أو ملك مسلم الاستيلاء عليها من قبل ، وكيف خلص كثيرا من المسلمين الذين ظلوا أسرى أذلاء عدة سنوات فى أيدى الكفار ؛ فأنقذهم بذلك من ذل الأسر ، مما حدا بالعلماء فى مدارسهم والزهاد فى صوامعهم إلى أن يجعلوا وردهم الدعاء لدولة هذا الملك ، معتبرين ذلك فرض عين عليهم ، وأخذوا يطالبون من الملك ذى الجلال أن يمده بالفتح والنصر والإقبال والدولة .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

— حينما يعدل ملك العالم مع أهل العالم ،
فإنهم جميعا يرجون له الإقبال والتأييد .

ولما لمست فى السيد الأجل جمال الدين ـ دامت سعادته ـ ميله ومحبته لى ، بحت له بسر هذا الكتاب ، وبينت أنه قد صار مطلوبا ومرغوبا فيه . فقال : سأوصل هذه الأعجوبة العالمية إلى السلطان ، وسأنزل هذه النادرة التى انفرد بها الزمان منزلها ومحلها ، فأنغام البلابل تطيب فى الرياض . ويجب أن يذاع مدح هذه الدولة صاحبة النعمة حتى يقرأه الصغير والكبير والحقير والعظيم ، فيعرفوا عظمة سلاطينهم ؛ فإن صيتهم ذائع فى جميع أطراف العالم بحيث يترنم بمدحهم جميعا ، الوافد من طريق بعيد يستغرق شهرين .

ولما سمعت أنا مؤلف هذا الكتاب ، ذكر عظمة السلطان ، وأنه سيد العالم ، السلطان الأعظم ، مالك رقاب الأمم ، مولى ملوك العرب والعجم ، سلطان أرض الله ، حافظ بلاد الله ، ناصر عباد الله ، معين خليفة الله ، غياث الدنيا والدين ، كهف

الإسلام والمسلمين ، ظل الله فى الأرضــــين ، مطيع الحق ، مطاع الخلق ، وارث ملك ذى القرنين ، إسكندر الزمان ، صاحب الدنيا ، [ص ٤٦٣] مالك الأقاليم ، مانح التاج « أبو الفتح كيخسرو بن السلطان السعيد قلج ارسلان » ـ أعلى الله شأنه ، وأيد سلطانه ، وشيد قواعد ملـكه ودولته ـ لم أقتصر على هذا الـكتاب ، بل صممت على أن أؤلف كتابا جديدا ، وأنجز مؤلفا آخر ، أكتب فيه جميع الأحداث منذ عهد آدم حتى انقراض العالم ، وأسجل فيه تواريخ الأنبياء والأولياء ، والملوك والغزاة وأسماءهم ونسبهم وسيرتهم وسريرتهم ، وأذكر السير الحميدة لـكل واحد منهم على حدة ، وذلك لـكى يقرأه ملك الإسلام الملك السعيد ، غياث الدنيا والدين ـ مد الله ظلال دولته ، وأعلى الله رايات سلطنته ـ فيختار منه لنفسه الأحسن والأجود ، لأنه بحمد الله تعالى فى ربيع الدولة ، وأول السيطرة ، وعنفوان التوفيق ، ومطلع الشباب وعز الدولة .

ولقد فتح الأرمن ، ونـكب ليفون اللعين ـ خذله الله ، ودمر عليه وأخزاه ـ وحاصره ، واستولى على قلاعه وولاياته ، وضم البلاد الإسلامية الأخرى ، ولم يكن ذلك فى مقدور غيره من ملوك المسلمين . وإذا كان السلطان قد تركه يعبث عدة أيام ، فإن ذلك كان فقط من قبيل الاستعداد للقضاء عليه . « فمهل الـكافرين أمهلهم رويدا[1] » . فلم يلبث أن استرد منه الخزائن واستولى على الدفائن ، وعادت الولاية مرة أخرى إلى المسلمين .

[بيت فارسى فى الأصل ، ترجمته:]

— لقد زينوا البقرة من أجل ذبحها ،

ولا شك أن خصمك أبله إذا لم ينتصح .

---

(١) قرآن كريم ، سورة « الطارق » آية ١٧ .

وإن ذلك الملعون ليموت بغصته ، ويقضى عليه الحزن والكمد ، يمسكه جيش السلطان بين أنيابه . وقد تجلت سعادة السلطان وظفره بنهايته ، وهو يعلم أن الدواء الشافى لدائه الذى لا يعالج ، هو السيف البتار لملك العالم .

[بيتان فارسيان فى الأصل[1] ، ترجمتهما :]

— غصص خصمه كالأفلاك ، طبقات فوق طبقات
وهو يحطم ما يجلبه الفلك لخصمه من سعادة .

— ولو استراح الخصم بضرب عنقه ، فهو محق فى اعتقاده
فماذا يستطيع أن يفعل . . إن راحة الشمع فى قطع عنقه

وبهذا الفتح الذى حدث ، ووصل نبأه إلى كل مكان من ديار [ص٦٤٤] الإسلام ، كان الناس يتوجهون بالدعاء للسلطان ، ويطلبون له العون والمدد فى صلاة العشاء ، حتى يزيد الله — عز وجل — فى نصره وتأييده ، وتئول جميع بلاد الكفار وقلاعهم إلى سيطرة سيد العالم الملك السعيد . وبهذه البشرى تهدأ وتستريح روح نبينا محمد المصطفى عليه أفضل الصلوات والتحيات ، فتقف فى حفرة الكبرياء ، وتلتمس من الله — تعالى وتقدس — أن يمد السلطان بالفتح والظفر ، حتى تسيطر على جميع أطراف الدنيا ، وحتى يدوم لك الملك .

وليفون اللعين ما هو إلا كلب حقير إذا ما قورن بخصمه ، ومن هو ليفون ؟ ! . . . إن سيف السلطان يأبى أن يتلوث بمثل دمه النجس .

[مصراع فارسى فى الأصل ، ترجمته :]

« لا تضرب الذبابة بقدم الفيل .

وسوف تصل الرايات المنصورة لكسرى الثانى ، غياث الدنيا والدين — إلى أقصى بلاد الترك — والخطا والختن ، وسوف يمنح عبيده وأتباعه تلك البلاد .

---

(١) من قصيدة لمجير البيلقانى .

[بيتان فارسيان فى الأصل[1] ، ترجمتهما :

ــ كل ملك جدير برايتك ،
داخل فى نطاق ولايتك .
ــ وذلك الذى لا يكون فى حوزتك أيضا ،
تخيل أنه لك واسعد بذلك .

ليجعل الملك تعالى رايات دولة السلطان مرفوعة كل يوم ، ما دام للفلك الحركة والانقلاب ، وما دام للأرض الاستقرار والهدوء من كل فتنة واضطراب ، ولتبعد عين السوء عن هذه الدولة ، وليجعل الله وصول هذا الكتاب إلى تلك الحضرة مباركا ميمونا ، وليمتع الله مؤلفه بالقبول والمثول فى خدمة السلطان بمحمد وآله .

[أبيات فارسية فى الأصل ، ترجمتها :]

ــ ليدم كيخسرو عادلا ما دامت الدنيا ،
وليدم كيخسرو العادل ملكا للإنسان والجن .
ــ وليبق سيد العالم غياث الدين والدولة ،
وليظل كيخسرو فاتحا مظفرا .
ــ آخذ الجزية من الأعداء ومانح التاج للأصدقاء ، [ص ٤٦٥]
ليظل كيخسرو العادل فى الدنيا حتى الخلود .
ــ الآمر بالعدل ، الواهب للإنصاف ، الفاتح الأقاليم ومانح الممالك ،
ليدم كيخسرو رحيما شفوقا على رعيته .
ــ وليظل كيخسرو سيدا وصاحب القران ،
فى ممالك الأقاليم السبعة وعلى ملوك العصر .
ــ قد استولى على ملك الأقاليم السبعة ودان له التاج والعرش ،
ليدم كيخسرو مبتهجا وممتعا بالعمر المديد .

---

(١) من مثنوى ليلى والمجنون لنظامى (خمسه ، طبع طهران ص ٢٧٧) .

— عرش إقباله فى الروم وخطبة مدحه فى الصين ،
ليدم كيخسرو بطلا على جميع الممالك .
— وحيثما يوجد ملك حتى الفغفور وخاقان الصين ،
ليدم كيخسرو متقبلا منهم الهدايا .
— وليدم كيخسرو حاكما فى الزمان ،
مادامت الأرض فى مقرها والفلك فى دورته ، وما دام الليل والنهار يتعاقبان
— وليظل كيخسرو جانيا ثمار تلك الروضة ،
التى هى روضة للرياحين فى العالم .
— مادامت الطبائع تتأثر بالسعد والنحس ،
ليدم كيخسرو قرينا للسعادة .
— وليدم كيخسرو فى أمان من الحوادث ،
بعيدا عن أحزان العالم ، هانئا على عرش الملك .
— وليدم كيخسرو ملكا على ،
الروم والروس والترك والصين ومصر والشام حتى حدود الهند .
— ليأخذ السلطان أملاكه من الأعداء بالسيف ،
وليظل كيخسرو يوزعها على الأصدقاء بكتابة القلم .
— وليدم فيها كيخسرو آمرا ، [ص ٤٦٦]
الأفلاك السبعة وكواكبها وكرة الأرض وجوهرها ،
— وليظل كيخسرو يزيل الغم ويجلب السرور ،
للخلق ولنفسه وهو على عرش الملك حتى الخلود .
— وليكن كيخسرو كالأسد صاحب السيف ، وكالجبل المستقر فى القتال ،
وليظل مبينا لهذا المعمّى .
— وإذا ظهر الأعور الدجال فى طوفان الغم ،
فليكن كيخسرو « المهدى » فى آخر الزمان .
— وليبرز كيخسرو العادل للعدو ،
كالضرغام فى ساحة القتال يوم الهيجاء .

— الملك الذى توضع الرؤوس والأعناق على عتبته إجلالا ،
ليكن هو كيخسرو العادل .

— وأمام كل ملك ، وفى كل عهد وقول حتى الأبد ،
ليدم كيخسرو محمر الوجه مثل الأرغوان .

— وليظل كيخسرو فى الأرض والسماء ،
ملكا مظفرا آمراً جديرا بالحكم والسلطان .

— لقد صار عش السلطنة عقيما مرة أخرى يامولاى ،
فليظل كيخسرو طائر الإقبال فى هذا العش .

— وفى هزائم الأعداء يوم القتال ،
ليكن كيخسرو العادل مثل الأفعوان الكاسر .

— وليعمر بستان الدنيا بسبب إنه اف الملك ،
ثم ليدم كيخسرو العادل فرحا طروبا فى هذا البستان .

— وليظل كيخسرو لمادحيه الذين يصلون من أطراف الممالك ،
مصدر الكرم الذى للبحر والمنجم .

— وهذا المسافر الذى قدم مادحا من طريق بعيد يستغرق شهرين [س ٤٦٧]
ليدم كيخسرو العادل نائرا الذهب على رأسه .

— وكل تعب وانكسار لاقاه هذا الضعيف من جور الأخساء ،
ليكن جبره فى ضمان كيخسرو العادل .

— وليرحب السلطان ولينعم على هذا الضعيف ،
وليظل كيخسرو مانحا المال واهباً العطايا مستضيفا .

— ويارب كما أعطيته الدنيا . . . ،
اجعل كيخسرو العادل جليس الحور فى الجنة

تمّ نسخ الكتاب فى غرة رمضان سنة خمس وثلاثين وستمائة على يدى الضعيف المحتاج إلى عفو رب الناس الحاج إلياس بن عبد الله الحافظ القونوى ، حامدا لله على نعمه ، ومصليا على نبيه محمد وآله وأصحابه أجمعين[١] .

(تم كتاب راحة الصدور بعون الله وتوفيقه)

وقد تمّ نقله إلى اللغة العربية فى يوم الأحد ١٢ من شوال سنة ١٣٧٦ هـ الموافق ١٢ من مايو سنة ١٩٥٧ .

والحمد لله أولا وأخيراً ؟

(١) المراجع : هذه العبارة وردت هكذا بالعربية فى أصل الكتاب .

كشاف الكتاب

١

فهرست أسماء الرجال

(ا)

(خ)

(د)

(ش)

(ص)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

مجد الدين همايون بن علاء الدولة عربشاه

(٢)

فهرست الأماكن والقبائل والطوائف

(ا)

(ب)

(ت)

(ر)

(س)

(ش)

(ك)

(گ)

(ل)

(م)

(ن)

(ه)

(٣)

فهرست أسماء الكتب

فهرست موضوعات الكتاب

مقدمات الكتاب

متن الكتاب

فصول متفرقة

كشاف الكتاب

المشروع القومى للترجمة

المشـروع القومـى للترجمـة مشـروع تنميـة ثقافيـة بالدرجـة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١-	اللغة العليا	چون كوين	أحمد درويش
٢-	الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣-	التراث المسروق	چورچ چيمس	شوقى جلال
٤-	كيف تتم كتابة السيناريو	إنجا كاريتنيكوڤا	أحمد الحضرى
٥-	ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
٦-	اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إڤيتش	سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
٧-	العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	يوسف الأنطكى
٨-	مشعلو الحرائق	ماكس فريش	مصطفى ماهر
٩-	التغيرات البيئية	أندرو. س. جودى	محمود محمد عاشور
١٠-	خطاب الحكاية	چيرار چينيت	محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١-	مختارات شعرية	ڤيسواڤا شيمبوريسكا	هناء عبد الفتاح
١٢-	طريق الحرير	ديڤيد براونيستون وأيرين فرانك	أحمد محمود
١٣-	ديانة الساميين	روبرتسن سميث	عبد الوهاب علوب
١٤-	التحليل النفسى للأدب	چان بيلمان نويل	حسن المودن
١٥-	الحركات الفنية منذ ١٩٤٥	إدوارد لوسى سميث	أشرف رفيق عفيفى
١٦-	أثينة السوداء (جـ١)	مارتن برنال	بإشراف: أحمد عتمان
١٧-	مختارات شعرية	فيليب لاركين	محمد مصطفى بدوى
١٨-	الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	طلعت شاهين
١٩-	الأعمال الشعرية الكاملة	چورچ سفيريس	نعيم عطية
٢٠-	قصة العلم	ج. ج. كراوثر	يمنى طريف الخولى و بدوى عبد الفتاح
٢١-	خوخة وألف خوخة وقصص أخرى	صمد بهرنجى	ماجدة العنانى
٢٢-	مذكرات رحالة عن المصريين	چون أنتيس	سيد أحمد على الناصرى
٢٣-	تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	سعيد توفيق
٢٤-	ظلال المستقبل	باتريك بارندر	بكر عباس
٢٥-	مثنوى (٦ أجزاء)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦-	دين مصر العام	محمد حسين هيكل	أحمد محمد حسين هيكل
٢٧-	التنوع البشرى الخلاق	مجموعة من المؤلفين	بإشراف: جابر عصفور
٢٨-	رسالة فى التسامح	چون لوك	منى أبو سنة
٢٩-	الموت والوجود	چيمس ب. كارس	بدر الديب
٣٠-	الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣١-	مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	چان سوفاجيه - كلود كاين	عبد الستار الحلوجى وعبد الوهاب علوب
٣٢-	الانقراض	ديڤيد روب	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣-	التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	أحمد فؤاد بلبع
٣٤-	الرواية العربية	روچر آلن	حصة إبراهيم المنيف
٣٥-	الأسطورة والحداثة	بول ب . ديكسون	خليل كلفت
٣٦-	نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	حياة جاسم محمد

٣٧-	واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	جمال عبد الرحيم
٣٨-	نقد الحداثة	ألن تورين	أنور مغيث
٣٩-	الحسد والإغريق	بيتر والكوت	منيرة كروان
٤٠-	قصائد حب	أن سكستون	محمد عيد إبراهيم
٤١-	ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	عاطف أحمد وإبراهيم فتحى ومحمود ماجد
٤٢-	عالم ماك	بنچامين باربر	أحمد محمود
٤٣-	اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	المهدى أخريف
٤٤-	بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	مارلين تادرس
٤٥-	التراث المغدور	روبرت دينا وجون فاين	أحمد محمود
٤٦-	عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	محمود السيد على
٤٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ١)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨-	حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ماهر جويجاتى
٤٩-	الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	عبد الوهاب علوب
٥٠-	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١-	مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م. بينياليستى	محمد أبو العطا
٥٢-	العلاج النفسى التدعيمى	ب. نوفاليس وس . روجسيفيتز وروجر بيل	لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣-	الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	مرسى سعد الدين
٥٤-	المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	محسن مصيلحى
٥٥-	ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	على يوسف على
٥٦-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ١)	فديريكو غرسية لوركا	محمود على مكى
٥٧-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ٢)	فديريكو غرسية لوركا	محمود السيد و ماهر البطوطى
٥٨-	مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	محمد أبو العطا
٥٩-	المحبرة (مسرحية)	كارلوس مونييث	السيد السيد سهيم
٦٠-	التصميم والشكل	چوهانز إيتين	صبرى محمد عبد الغنى
٦١-	موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	بإشراف : محمد الجوهرى
٦٢-	لذّة النّص	رولان بارت	محمد خير البقاعى
٦٣-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤-	برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	رمسيس عوض
٦٥-	فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	رمسيس عوض
٦٦-	خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧-	مختارات شعرية	فرناندو بيسوا	المهدى أخريف
٦٨-	نتاشا العجوز وقصص أخرى	ڤالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
٦٩-	العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠-	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١-	السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	حسين محمود
٧٢-	السياسى العجوز	ت . س . إليوت	فؤاد مجلى
٧٣-	نقد استجابة القارئ	چين ب . تومبكنز	حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤-	صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	حسن بيومى

-٧٥	فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	أحمد درويش
-٧٦	جاك لاكان وإغواء التحليل النفسي	مجموعة من المؤلفين	عبد المقصود عبد الكريم
-٧٧	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
-٧٨	العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	أحمد محمود ونورا أمين
-٧٩	شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكي	سعيد الغانمي وناصر حلاوي
-٨٠	بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	مكارم الغمري
-٨١	الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	محمد طارق الشرقاوي
-٨٢	مسرح ميجيل	ميجيل دي أونامونو	محمود السيد علي
-٨٣	مختارات شعرية	غوتفريد بن	خالد المعالي
-٨٤	موسوعة الأدب والنقد (جـ١)	مجموعة من المؤلفين	عبد الحميد شيحة
-٨٥	منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكي أقطاي	عبد الرازق بركات
-٨٦	طول الليل (رواية)	جمال مير صادقي	أحمد فتحي يوسف شتا
-٨٧	نون والقلم (رواية)	جلال آل أحمد	ماجدة العناني
-٨٨	الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	إبراهيم الدسوقي شتا
-٨٩	الطريق الثالث	أنتوني جيدنز	أحمد زايد ومحمد محيي الدين
-٩٠	وسم السيف وقصص أخرى	بورخيس وآخرون	محمد إبراهيم مبروك
-٩١	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربرا لاسوتسكا - بشونباك	محمد هناء عبد الفتاح
-٩٢	أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكي المعاصر	كارلوس ميجيل	نادية جمال الدين
-٩٣	محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	عبد الوهاب علوب
-٩٤	مسرحيتا الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	فوزية العشماوي
-٩٥	مختارات من المسرح الإسباني	أنطونيو بويرو باييخو	سرى محمد عبد اللطيف
-٩٦	ثلاث زنبقات ووردة وقصص أخرى	نخبة	إدوار الخراط
-٩٧	هوية فرنسا (مج١)	فرنان برودل	بشير السباعي
-٩٨	الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
-٩٩	تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠)	ديفيد روبنسون	إبراهيم قنديل
-١٠٠	مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	إبراهيم فتحي
-١٠١	النص الروائي: تقنيات ومناهج	بيرنار فاليط	رشيد بنحدو
-١٠٢	السياسة والتسامح	عبد الكبير الخطيبي	عز الدين الكتاني الإدريسي
-١٠٣	قبر ابن عربي يليه أياء (شعر)	عبد الوهاب المؤدب	محمد بنيس
-١٠٤	أوبرا ماهوجني (مسرحية)	برتولت بريشت	عبد الغفار مكاوي
-١٠٥	مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	عبد العزيز شبيل
-١٠٦	الأدب الأندلسي	ماريا خيسوس روبييرامتي	أشرف علي دعدور
-١٠٧	صورة الفدائي في الشعر الأمريكي اللاتيني المعاصر	نخبة من الشعراء	محمد عبد الله الجعيدي
-١٠٨	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من المؤلفين	محمود علي مكي
-١٠٩	حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	هاشم أحمد محمد
-١١٠	النساء في العالم النامي	حسنة بيجوم	منى قطان
-١١١	المرأة والجريمة	فرانسس هيدسون	ريهام حسين إبراهيم
-١١٢	الاحتجاج الهادئ	أرلين علوي ماكليود	إكرام يوسف

-١١٣	راية التمرد	سادى پلانت	أحمد حسان
-١١٤	مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع	وول شوينكا	نسيم مجلى
-١١٥	غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	سمية رمضان
-١١٦	امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	نهاد أحمد سالم
-١١٧	المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	منى إبراهيم وهالة كمال
-١١٨	النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	لميس النقاش
-١١٩	النساء والأسرة وقوانين الطلاق فى التاريخ الإسلامى	أميرة الأزهرى سنبل	بإشراف: رءوف عباس
-١٢٠	الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	مجموعة من المترجمين
-١٢١	الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	محمد الجندى وإيزابيل كمال
-١٢٢	نظام العبودية القديم والنموذج المثالى للإنسان	چوزيف فوجت	منيرة كروان
-١٢٣	الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	أنينل ألكسندرو فنادولينا	أنور محمد إبراهيم
-١٢٤	الفجر الكاذب: أوهام الرأسمالية العالمية	چون جراى	أحمد فؤاد بلبع
-١٢٥	التحليل الموسيقى	سيدرك ثورپ ديڤى	سمحة الخولى
-١٢٦	فعل القراءة	ڤولڤانج إيسر	عبد الوهاب علوب
-١٢٧	إرهاب (مسرحية)	صفاء فتحى	بشير السباعى
-١٢٨	الأدب المقارن	سوزان باسنيت	أميرة حسن نويرة
-١٢٩	الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	محمد أبو العطا وآخرون
-١٣٠	الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	شوقى جلال
-١٣١	مصر القديمة: التاريخ الاجتماعى	مجموعة من المؤلفين	لويس بقطر
-١٣٢	ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	عبد الوهاب علوب
-١٣٣	الخوف من المرايا (رواية)	طارق على	طلعت الشايب
-١٣٤	تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	أحمد محمود
-١٣٥	المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ماهر شفيق فريد
-١٣٦	فلاحو الباشا	كينيث كونو	سحر توفيق
-١٣٧	مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية على مصر	چوزيف مارى مواريه	كاميليا صبحى
-١٣٨	عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	أندريه جلوكسمان	وجيه سمعان عبد المسيح
-١٣٩	پارسيڤال (مسرحية)	ريتشارد ڤاچنر	مصطفى ماهر
-١٤٠	حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	أمل الجبورى
-١٤١	اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	نعيم عطية
-١٤٢	الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	حسن بيومى
-١٤٣	قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديرك لايدر	عدلى السمرى
-١٤٤	صاحبة اللوكاندة (مسرحية)	كارلو جولدونى	سلامة محمد سليمان
-١٤٥	موت أرتيميو كروث (رواية)	كارلوس فوينتس	أحمد حسان
-١٤٦	الورقة الحمراء (رواية)	ميجيل دى ليبس	على عبدالروف البمبى
-١٤٧	مسرحيتان	تانكريد دورست	عبدالغفار مكاوى
-١٤٨	القصة القصيرة: النظرية والتقنية	إنريكى أندرسون إمبرت	على إبراهيم منوفى
-١٤٩	النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	أسامة إسبر
-١٥٠	التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	منيرة كروان

١٥١- هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ١)	فرنان بروديل	بشير السباعى
١٥٢- عدالة الهنود وقصص أخرى	مجموعة من المؤلفين	محمد محمد الخطابى
١٥٣- غرام الفراعنة	فيولين فانويك	فاطمة عبدالله محمود
١٥٤- مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	خليل كلفت
١٥٥- الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	أحمد مرسى
١٥٦- المدارس الجمالية الكبرى	چى أنبال وآلان وأوديت فيرمو	مى التلمسانى
١٥٧- خسرو وشيرين	النظامى الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
١٥٨- هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ٢)	فرنان بروديل	بشير السباعى
١٥٩- الأيديولوچية	ديڤيد هوكس	إبراهيم فتحى
١٦٠- آلة الطبيعة	بول إيرليش	حسين بيومى
١٦١- مسرحيتان من المسرح الإسبانى	أليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢- تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسيوى	صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣- موسوعة علم الاجتماع (جـ ١)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
١٦٤- شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	نبيل سعد
١٦٥- حكايات الثعلب (قصص أطفال)	أ. ن. أفاناسيڤا	سهير المصادفة
١٦٦- العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	محمد محمود أبوغدير
١٦٧- فى عالم طاغور	رابندرنات طاغور	شكرى محمد عياد
١٦٨- دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٦٩- إبداعات أدبية	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٧٠- الطريق (رواية)	ميجيل دليبيس	بسام ياسين رشيد
١٧١- وضع حد (رواية)	فرانك بيجو	هدى حسين
١٧٢- حجر الشمس (شعر)	نخبة	محمد محمد الخطابى
١٧٣- معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤- صناعة الثقافة السوداء	إيليس كاشمور	أحمد محمود
١٧٥- التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦- نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	جلال البنا
١٧٧- أنطون تشيخوف	هنرى ترويا	حصة إبراهيم المنيف
١٧٨- مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد حمدى إبراهيم
١٧٩- حكايات أيسوب (قصص أطفال)	أيسوب	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠- قصة جاويد (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
١٨١- النقد الأدبى الأمريكى من الثلاثينيات إلى الثمانينيات	فنسنت ب. ليتش	محمد يحيى
١٨٢- العنف والنبوءة (شعر)	و.ب. ييتس	ياسين طه حافظ
١٨٣- چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	فتحى العشرى
١٨٤- القاهرة: حالمة لا تنام	هانز إيندورفر	دسوقى سعيد
١٨٥- أسفار العهد القديم فى التاريخ	توماس تومسن	عبد الوهاب علوب
١٨٦- معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧- الأرضة (رواية)	بُزرج علوى	محمد علاء الدين منصور
١٨٨- موت الأدب	ألڤين كرنان	بدر الديب

١٨٩- العمى والبصيرة: مقالات في بلاغة النقد المعاصر	بول دى مان	سعيد الغانمى
١٩٠- محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	محسن سيد فرجانى
١٩١- الكلام رأسمال وقصص أخرى	الحاج أبو بكر إمام وآخرون	مصطفى حجازى السيد
١٩٢- سياحت نامه إبراهيم بك (جـ١)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
١٩٣- عامل المنجم (رواية)	بيتر أبراهامز	محمد عبد الواحد محمد
١٩٤- مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى الحديث	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
١٩٥- شتاء ٨٤ (رواية)	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
١٩٦- المهلة الأخيرة (رواية)	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
١٩٧- سيرة الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	جلال السعيد الحفناوى
١٩٨- الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩- تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداو	جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠- ضحايا التنمية: المقاومة والبدائل	جيرمى سيبروك	فخرى لبيب
٢٠١- الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٢٠٢- تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٤)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣- الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤- تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	أحمد هويدى
٢٠٥- الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى- سفورزا	أحمد مستجير
٢٠٦- الهيولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	على يوسف على
٢٠٧- ليل أفريقى (رواية)	رامون خوتاسندير	محمد أبو العطا
٢٠٨- شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	محمد أحمد صالح
٢٠٩- السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٠- مثنويات حكيم سنائى (شعر)	سنائى الغزنوى	يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١- فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢- قصص الأمير مرزبان على لسان الحيوان	مرزبان بن رستم بن شروين	يوسف عبدالفتاح فرج
٢١٣- مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	سيد أحمد على الناصرى
٢١٤- قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	محمد محيى الدين
٢١٥- سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
٢١٦- جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٧- مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت وهارولد بينتر	نادية البنهاوى
٢١٨- لعبة الحجلة (رواية)	خوليو كورتازار	على إبراهيم منوفى
٢١٩- بقايا اليوم (رواية)	كازو إيشجورو	طلعت الشايب
٢٢٠- الهيولية فى الكون	بارى باركر	على يوسف على
٢٢١- شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	ر عت سلام
٢٢٢- فرانز كافكا	رونالد جراى	نسيم مجلى
٢٢٣- العلم فى مجتمع حر	باول فيرابند	السيد محمد نفادى
٢٢٤- دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	منى عبدالظاهر إبراهيم
٢٢٥- حكاية غريق (رواية)	جابرييل جارثيا ماركيث	السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦- أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	طاهر محمد على البربرى

٢٢٧- المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	خوسيه ماريا ديث بوركى	السيد عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨- علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	مارى تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
٢٢٩- مأزق البطل الوحيد	نورمان كيجان	أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠- عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١- الدرافيل أو الجيل الجديد (مسرحية)	خايمى سالوم بيدال	جمال عبدالرحمن
٢٣٢- ما بعد المعلومات	توم ستونير	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣- فكرة الاضمحلال فى التاريخ الغربى	آرثر هيرمان	طلعت الشايب
٢٣٤- الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	فؤاد محمد عكود
٢٣٥- ديوان شمس تبريزى (جـ١)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦- الولاية	ميشيل شودكيفيتش	أحمد الطيب
٢٣٧- مصر أرض الوادى	روبين فيدين	عنايات حسين طلعت
٢٣٨- العولمة والتحرير	تقرير لمنظمة الأنكتاد	ياسر محمد جادالله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩- العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلا رامراز - رايوخ	نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠- الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كاى حافظ	صلاح محجوب إدريس
٢٤١- فى انتظار البرابرة (رواية)	ج . م. كوتزى	ابتسام عبدالله
٢٤٢- سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	صبرى محمد حسن
٢٤٣- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)	ليفى بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٢٤٤- الغليان (رواية)	لاورا إسكيبيل	نادية جمال الدين محمد
٢٤٥- نساء مقاتلات	إليزابيتا آديس وآخرون	توفيق على منصور
٢٤٦- مختارات قصصية	جابرييل جارثيا ماركيث	على إبراهيم منوفى
٢٤٧- الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	والتر أرمبرست	محمد طارق الشرقاوى
٢٤٨- حقول عدن الخضراء (مسرحية)	أنطونيو جالا	عبداللطيف عبدالحليم
٢٤٩- لغة التمزق (شعر)	دراجو شتامبوك	رفعت سلام
٢٥٠- علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ماجدة محسن أباظة
٢٥١- موسوعة علم الاجتماع (جـ٢)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٥٢- رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	على بدران
٢٥٣- تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	حسن بيومى
٢٥٤- أقدم لك: الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥- أقدم لك: أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٦- أقدم لك: ديكارت	ديف روبنسون وكريس جارات	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧- تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	محمود سيد أحمد
٢٥٨- الغجر	سير أنجوس فريزر	عُبادة كُحيلة
٢٥٩- مختارات من الشعر الأرمنى عبر العصور	نخبة	فاروجان كازانجيان
٢٦٠- موسوعة علم الاجتماع (جـ٣)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٦١- رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢- مدينة المعجزات (رواية)	إدواردو مندوثا	محمد أبو العطا
٢٦٣- الكشف عن حافة الزمن	جون جريين	على يوسف على
٢٦٤- إبداعات شعرية مترجمة	هوراس وشلى	لويس عوض

٢٦٥-	روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصمويل جونسون	لويس عوض
٢٦٦-	مدير المدرسة (رواية)	جلال آل أحمد	عادل عبدالمنعم على
٢٦٧-	فن الرواية	ميلان كونديرا	بدر الدين عرودكى
٢٦٨-	ديوان شمس تبريزى (جـ٢)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩-	وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ١)	وليم چيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧٠-	وسط الجزير العربية وشرقها (جـ٢)	وليم چيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧١-	الحضارة الغربية: الفكرة والتاريخ	توماس سى. باترسون	شوقى جلال
٢٧٢-	الأديرة الأثرية فى مصر	سى. سى. والترز	إبراهيم سلامة إبراهيم
٢٧٣-	الأصول الاجتماعية والثقافية لحركة عرابى فى مصر	چوان كول	عنان الشهاوى
٢٧٤-	السيدة باربارا (رواية)	رومولو جايبجوس	محمود على مكى
٢٧٥-	ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
٢٧٦-	فنون السينما	مجموعة من المؤلفين	عبدالقادر التلمسانى
٢٧٧-	الجينات والصراع من أجل الحياة	براين فورد	أحمد فوزى
٢٧٨-	البدايات	إسحاق عظيموف	ظريف عبدالله
٢٧٩-	الحرب الباردة الثقافية	ف.س. سوندرز	طلعت الشايب
٢٨٠-	الأم والنصيب وقصص أخرى	بريم شند وأخرون	سمير عبدالحميد إبراهيم
٢٨١-	الفردوس الأعلى (رواية)	عبد الحليم شرر	جلال الحفناوى
٢٨٢-	طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبرت	سمير حنا صادق
٢٨٣-	السهل يحترق وقصص أخرى	خوان رولفو	على عبد الروف البمبى
٢٨٤-	هرقل مجنوناً (مسرحية)	يوريبيديس	أحمد عتمان
٢٨٥-	رحلة خواجة حسن نظامى الدهلوى	حسن نظامى الدهلوى	سمير عبد الحميد إبراهيم
٢٨٦-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
٢٨٧-	الثقافة والعولمة والنظام العالمى	أنتونى كنج	محمد يحيى وأخرون
٢٨٨-	الفن الروائى	ديڤيد لودج	ماهر البطوطى
٢٨٩-	ديوان منوچهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠-	علم اللغة والترجمة	چورج مونان	أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١-	تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ١)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٢-	تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ٢)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٣-	مقدمة للأدب العربى	روچر ألن	مجدى توفيق وأخرون
٢٩٤-	فن الشعر	بوالو	رجاء ياقوت
٢٩٥-	سلطان الأسطورة	چوزيف كامبل وبيل موريز	بدر الديب
٢٩٦-	مكبث (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٢٩٧-	فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوازى	ماجدة محمد أنور
٢٩٨-	مأساة العبيد وقصص أخرى	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٢٩٩-	ثورة فى التكنولوجيا الحيوية	چين ماركس	هاشم أحمد محمد
٣٠٠-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج١)	لويس عوض	جمال الجزيرى وبهاء چاهين وإيزابيل كمال
٣٠١-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج٢)	لويس عوض	جمال الجزيرى و محمد الجندى
٣٠٢-	أقدم لك: فنجنشتين	چون هيتون وجودى جروڤز	إمام عبد الفتاح إمام

٣٠٣-	أقدم لك: بوذا	چين هوب وبورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤-	أقدم لك: ماركس	ريوس	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥-	الجلد (رواية)	كروزيو مالابارته	صلاح عبد الصبور
٣٠٦-	الحماسة: النقد الكانطى للتاريخ	چان فرانسوا ليوتار	نبيل سعد
٣٠٧-	أقدم لك: الشعور	ديڤيد بابينو وهوارد سلينا	محمود مكى
٣٠٨-	أقدم لك: علم الوراثة	ستيف چونز وبورين فان لو	ممدوح عبد المنعم
٣٠٩-	أقدم لك: الذهن والمخ	أنجوس جيلاتى وأوسكار زاريت	جمال الجزيرى
٣١٠-	أقدم لك: يونج	ماجى هايد ومايكل ماكجنس	محيى الدين مزيد
٣١١-	مقال فى المنهج الفلسفى	ر.ج كولنجوود	فاطمة إسماعيل
٣١٢-	روح الشعب الأسود	وليم ديبويس	أسعد حليم
٣١٣-	أمثال فلسطينية (شعر)	خايير بيان	محمد عبدالله الجعيدى
٣١٤-	مارسيل دوشامب: الفن كعدم	چانيس مينيك	هويدا السباعى
٣١٥-	جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو والطاهر لبيب	كاميليا صبحى
٣١٦-	محاكمة سقراط	أى. ف. ستون	نسيم مجلى
٣١٧-	بلا غد	س. شير لايموڤا- س. زنيكين	أشرف الصباغ
٣١٨-	الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٣١٩-	صور دريدا	جايترى سبيڤاك وكرستوفر نوريس	حسام نايل
٣٢٠-	لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	محمد علاء الدين منصور
٣٢١-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ١)	ليڤى برو ڤنسال	بإشراف: صلاح فضل
٣٢٢-	وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى	دبليو بوچين كلينباور	خالد مفلح حمزة
٣٢٣-	فن الساتورا	تراث يونانى قديم	هانم محمد فوزى
٣٢٤-	اللعب بالنار (رواية)	أشرف أسدى	محمود علاوى
٣٢٥-	عالم الآثار (رواية)	فيليب بوسان	كرستين يوسف
٣٢٦-	المعرفة والمصلحة	يورجين هابرماس	حسن صقر
٣٢٧-	مختارات شعرية مترجمة (جـ١)	نخبة	توفيق على منصور
٣٢٨-	يوسف وزليخا (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٣٢٩-	رسائل عيد الميلاد (شعر)	تد هيوز	محمد عيد إبراهيم
٣٣٠-	كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	سامى صلاح
٣٣١-	عندما جاء السردين وقصص أخرى	ستيفن جراى	سامية دياب
٣٣٢-	شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	على إبراهيم منوفى
٣٣٣-	الإسلام فى بريطانيا من ١٥٥٨-١٦٨٥	نبيل مطر	بكر عباس
٣٣٤-	لقطات من المستقبل	آرثر كلارك	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣٥-	عصر الشك: دراسات عن الرواية	ناتالى ساروت	فتحى العشرى
٣٣٦-	متون الأهرام	نصوص مصرية قديمة	حسن صابر
٣٣٧-	فلسفة الولاء	چوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٣٣٨-	نظرات حائرة وقصص أخرى	نخبة	جلال الحفناوى
٣٣٩-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٣)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٣٤٠-	اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربروجلو	فخرى لبيب

٢٤١- قصائد من رلكه (شعر)	راينر ماريا ريلكه	حسن حلمى
٢٤٢- سلامان وأبسال (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٢٤٣- العالم البرجوازى الزائل (رواية)	نادين جورديمر	سمير عبد ربه
٢٤٤- الموت فى الشمس (رواية)	بيتر بالانجيو	سمير عبد ربه
٢٤٥- الركض خلف الزمان (شعر)	يونه ندائى	يوسف عبد الفتاح فرج
٢٤٦- سحر مصر	رشاد رشدى	جمال الجزيرى
٢٤٧- الصبية الطائشون (رواية)	جان كوكتو	بكر الحلو
٢٤٨- المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ١)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٢٤٩- دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	أرثر والدهورن وآخرون	أحمد عمر شاهين
٢٥٠- بانوراما الحياة السياحية	مجموعة من المؤلفين	عطية شحاتة
٢٥١- مبادئ المنطق	جوزايا رويس	أحمد الانصارى
٢٥٢- قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	نعيم عطية
٢٥٣- الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة الهندسية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٢٥٤- الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة النباتية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٢٥٥- التيارات السياسية فى إيران المعاصرة	حجت مرتجى	محمود علاوى
٢٥٦- الميراث المر	بول سالم	بدر الرفاعى
٢٥٧- متون هرمس	تيموثى فريك وبيتر غاندى	عمر الفاروق عمر
٢٥٨- أمثال الهوسا العامية	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٢٥٩- محاورة بارمنيدس	أفلاطون	حبيب الشارونى
٢٦٠- أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ليلى الشربينى
٢٦١- التصحر: التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	عاطف معتمد وأمال شاور
٢٦٢- تلميذ بابنبرج (رواية)	هاينرش شبورل	سيد أحمد فتح الله
٢٦٣- حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد جيبسون	صبرى محمد حسن
٢٦٤- حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	نجلاء أبو عجاج
٢٦٥- سأم باريس (شعر)	شارل بودلير	محمد أحمد حمد
٢٦٦- نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	مصطفى محمود محمد
٢٦٧- القلم الجرىء	مجموعة من المؤلفين	البرّاق عبدالهادى رضا
٢٦٨- المصطلح السردى: معجم مصطلحات	جيرالد برنس	عابد خزندار
٢٦٩- المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	فوزية العشماوى
٢٧٠- الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	فاطمة عبدالله محمود
٢٧١- المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ٢)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٢٧٢- عاش الشباب (رواية)	وانغ مينغ	وحيد السعيد عبدالحميد
٢٧٣- كيف تعد رسالة دكتوراه	أومبرتو إيكو	على إبراهيم منوفى
٢٧٤- اليوم السادس (رواية)	أندريه شديد	حمادة إبراهيم
٢٧٥- الخلود (رواية)	ميلان كونديرا	خالد أبو اليزيد
٢٧٦- الغضب وأحلام السنين (مسرحيات)	جان أنوى وآخرون	إدوار الخراط
٢٧٧- تاريخ الأدب فى إيران (جـ٤)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٢٧٨- المسافر (شعر)	محمد إقبال	يوسف عبدالفتاح فرج

٣٧٩-	ملك فى الحديقة (رواية)	سنيل بات	جمال عبدالرحمن
٣٨٠-	حديث عن الخسارة	جونتر جراس	شيرين عبدالسلام
٣٨١-	أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢-	تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد اسفنديار	أحمد محمد نادى
٣٨٣-	هدية الحجاز (شعر)	محمد إقبال	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٨٤-	القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	إيزابيل كمال
٣٨٥-	مشترى العشق (رواية)	محمد على بهزادراد	يوسف عبدالفتاح فرج
٣٨٦-	دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ريهام حسين إبراهيم
٣٨٧-	أغنيات وسوناتات (شعر)	چون دن	بهاء چاهين
٣٨٨-	مواعظ سعدى الشيرازى (شعر)	سعدى الشيرازى	محمد علاء الدين منصور
٣٨٩-	تفاهم وقصص أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٩٠-	الأرشيفات والمدن الكبرى	إم. فى. روبرتس	عثمان مصطفى عثمان
٣٩١-	الحافلة الليلكية (رواية)	مايف بينشى	منى الدروبى
٣٩٢-	مقامات ورسائل أندلسية	فرناندو دى لاجرانجا	عبداللطيف عبدالحليم
٣٩٣-	فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	زينب محمود الخضيرى
٣٩٤-	القوى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديڤيز	هاشم أحمد محمد
٣٩٥-	آلام سياوش (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
٣٩٦-	السافاك	تقى نجارى راد	محمود علاوى
٣٩٧-	أقدم لك: نيتشه	لورانس جين وكيتى شين	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٨-	أقدم لك: سارتر	فيليب تودى وهوارد ريد	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٩-	أقدم لك: كامى	ديڤيد ميروفتش وآلن كوركس	إمام عبدالفتاح إمام
٤٠٠-	مومو (رواية)	ميشائيل إنده	باهر الجوهرى
٤٠١-	أقدم لك: علم الرياضيات	زياودن ساردر وآخرون	ممدوح عبد المنعم
٤٠٢-	أقدم لك: ستيفن هوكنج	ج. ب. ماك إيڤوى وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٠٣-	ربة المطر والملابس تصنع الناس (روايتان)	تودور شتورم وجوتفرد كولر	عماد حسن بكر
٤٠٤-	تعويذة الحسى	ديڤيد إبرام	ظبية خميس
٤٠٥-	إيزابيل (رواية)	أندريه جيد	حمادة إبراهيم
٤٠٦-	المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	جمال عبد الرحمن
٤٠٧-	الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	مجموعة من المؤلفين	طلعت شاهين
٤٠٨-	معجم تاريخ مصر	چوان فوتشركنج	عنان الشهاوى
٤٠٩-	انتصار السعادة	برتراند راسل	إلهامى عمارة
٤١٠-	خلاصة القرن	كارل بوبر	الزواوى بغورة
٤١١-	همس من الماضى	چينيفر أكرمان	أحمد مستجير
٤١٢-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ٢)	ليڤى بروڤنسال	بإشراف: صلاح فضل
٤١٣-	أغنيات المنفى (شعر)	ناظم حكمت	محمد البخارى
٤١٤-	الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوڤا	أمل الصبان
٤١٥-	صورة كوكب (مسرحية)	فريدريش دورينمات	أحمد كامل عبدالرحيم
٤١٦-	مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	محمد مصطفى بدوى

٤١٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٥)	رينيه ويليك	مجاهد عبدالمنعم مجاهد
٤١٨-	سياسات الزمر الحاكمة فى مصر العثمانية	چين هاثواى	عبد الرحمن الشيخ
٤١٩-	العصر الذهبى للإسكندرية	چون مارلو	نسيم مجلى
٤٢٠-	مكرو ميجاس (قصة فلسفية)	ڤولتير	الطيب بن رجب
٤٢١-	الولاء والقيادة فى المجتمع الإسلامى الأول	روى متحدة	أشرف كيلانى
٤٢٢-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ١)	ثلاثة من الرحالة	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣-	إسراءات الرجل الطيف	نخبة	وحيد النقاش
٤٢٤-	لوائح الحق ولوامع العشق (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	محمد علاء الدين منصور
٤٢٥-	من طاووس إلى فرح	محمود طلوعى	محمود علاوى
٤٢٦-	الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧-	بانديراس الطاغية (رواية)	باى إنكلان	ثريا شلبى
٤٢٨-	الخزانة الخفية	محمد هوتك بن داود خان	محمد أمان صافى
٤٢٩-	أقدم لك: هيجل	ليود سپنسر وأندزجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠-	أقدم لك: كانط	كرستوفر وانت وأندزجى كليموفسكى	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١-	أقدم لك: فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢-	أقدم لك: ماكياڤللى	پاتريك كيرى وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣-	أقدم لك: جويس	ديڤيد نوريس وكارل فلنت	حمدى الجابرى
٤٣٤-	أقدم لك: الرومانسية	دونكان هيث وچودى بورهام	عصام حجازى
٤٣٥-	توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربرج	ناجى رشوان
٤٣٦-	تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوپلستون	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧-	رحالة هندى فى بلاد الشرق العربى	شبلى النعمانى	جلال الحفناوى
٤٣٨-	بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	عايدة سيف الدولة
٤٣٩-	موت المرابى (رواية)	صدر الدين عينى	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠-	قواعد اللهجات العربية الحديثة	كرستن بروستاد	محمد طارق الشرقاوى
٤٤١-	رب الأشياء الصغيرة (رواية)	أرونداتى روى	فخرى لبيب
٤٤٢-	حتشبسوت: المرأة الفرعونية	فوزية أسعد	ماهر جويجاتى
٤٤٣-	اللغة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها	كيس فرستيغ	محمد طارق الشرقاوى
٤٤٤-	أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	صالح علمانى
٤٤٥-	حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلرى	محمد محمد يونس
٤٤٦-	التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	أحمد محمود
٤٤٧-	ملحمة السِّيد	تراث شعبى إسبانى	الطاهر أحمد مكى
٤٤٨-	الفلاحون (ميراث الترجمة)	الأب عيروط	محى الدين اللبان ووليم داوود مرقس
٤٤٩-	أقدم لك: الحركة النسوية	نخبة	جمال الجزيرى
٤٥٠-	أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية	صوفيا فوكا وريبيكا رايت	جمال الجزيرى
٤٥١-	أقدم لك: الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن وبورن ڤان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢-	أقدم لك: لينين والثورة الروسية	ريتشارد إبجينانزى وأوسكار زاريت	محيى الدين مزيد
٤٥٣-	القاهرة: إقامة مدينة حديثة	چان لوك أرنو	حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤-	خمسون عامًا من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	سوزان خليل

٤٥٥- تاريخ الفلسفة الحديثة (مج٥)	فردريك كوبلستون	محمود سيد أحمد
٤٥٦- لا تنسنى (رواية)	مريم جعفرى	هويدا عزت محمد
٤٥٧- النساء فى الفكر السياسى الغربى	سوزان موللر أوكين	إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨- الموريسكيون الأندلسيون	مرثيديس غارثيا أرينال	جمال عبد الرحمن
٤٥٩- نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	جلال البنا
٤٦٠- أقدم لك: الفاشية والنازية	ستوارت هود وليتزا جانستز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١- أقدم لك: لكان	داريان ليدر وجودى جروفز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢- طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى
٤٦٣- الدولة المارقة	ويليام بلوم	كمال السيد
٤٦٤- ديمقراطية للقلة	مايكل بارنتى	حصة إبراهيم المنيف
٤٦٥- قصص اليهود	لويس جنزبيرج	جمال الرفاعى
٤٦٦- حكايات حب وبطولات فرعونية	فيولين فانويك	فاطمة عبد الله
٤٦٧- التفكير السياسى والنظرة السياسية	ستيفين ديلو	ربيع وهبة
٤٦٨- روح الفلسفة الحديثة	چوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٤٦٩- جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	مجدى عبدالرازق
٤٧٠- الأراضى والجودة البيئية	جارى م. بيرزنسكى وآخرون	محمد السيد النتة
٤٧١- رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ٢)	ثلاثة من الرحالة	عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٧٢- دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٣- دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٤- الأدب والنسوية	بام موريس	سهام عبدالسلام
٤٧٥- صوت مصر: أم كلثوم	فرچينيا دانيلسون	عادل هلال عنانى
٤٧٦- أرض الحبايب بعيدة: بيرم التونسى	ماريلين بوث	سحر توفيق
٤٧٧- تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين	هيلدا هوخام	أشرف كيلانى
٤٧٨- الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج و لى شى دونج	عبد العزيز حمدى
٤٧٩- المقهـــى (مسرحية)	لاو شه	عبد العزيز حمدى
٤٨٠- تساى ون جى (مسرحية)	كو مو روا	عبد العزيز حمدى
٤٨١- بردة النبى	روى متحدة	رضوان السيد
٤٨٢- موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير چاك تيبو	فاطمة عبد الله
٤٨٣- النسوية وما بعد النسوية	سارة چامبل	أحمد الشامى
٤٨٤- جمالية التلقى	هانسن روبيرت ياوس	رشيد بنحدو
٤٨٥- التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٦- الذاكرة الحضارية	يان أسمن	عبدالحليم عبدالغنى رجب
٤٨٧- الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد أبادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨- الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩- هُسرل: الفلسفة علمًا دقيقًا	إدموند هُسرل	محمود رجب
٤٩٠- أسمار الببغاء	محمد قادرى	عبد الوهاب علوب
٤٩١- نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	سمير عبد ربه
٤٩٢- محمد على مؤسس مصر الحديثة	چى ڤارچيت	محمد رفعت عواد

٤٩٣-	خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد پالمر	محمد صالح الضالع
٤٩٤-	كتاب الموتى: الخروج فى النهار	نصوص مصرية قديمة	شريف الصيفى
٤٩٥-	اللوبى	إدوارد تيفان	حسن عبد ربه المصرى
٤٩٦-	الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ١)	إكوادو بانولى	مجموعة من المترجمين
٤٩٧-	العلمانية والنوع والدولة فى الشرق الأوسط	نادية العلى	مصطفى رياض
٤٩٨-	النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	أحمد على بدوى
٤٩٩-	تقاطعات: الأمة والمجتمع والنوع	مجموعة من المؤلفين	فيصل بن خضراء
٥٠٠-	فى طفولتى: دراسة فى السيرة الذاتية العربية	تيتز رووكى	طلعت الشايب
٥٠١-	تاريخ النساء فى الغرب (جـ١)	أرثر جولد هامر	سحر فراج
٥٠٢-	أصوات بديلة	مجموعة من المؤلفين	هالة كمال
٥٠٣-	مختارات من الشعر الفارسى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد نور الدين عبدالمنعم
٥٠٤-	كتابات أساسية (جـ١)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٥-	كتابات أساسية (جـ٢)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٦-	ربما كان قديسًا (رواية)	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥٠٧-	سيدة الماضى الجميل (مسرحية)	بيتر شيفر	شوقى فهيم
٥٠٨-	المولوية بعد جلال الدين الرومى	عبدالباقى جلبنارلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٥٠٩-	الفقر والإحسان فى عصر سلاطين المماليك	أدم صبرة	قاسم عبده قاسم
٥١٠-	الأرملة الماكرة (مسرحية)	كارلو جولدونى	عبدالرازق عيد
٥١١-	كوكب مرقَّع (رواية)	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥١٢-	كتابة النقد السينمائى	تيموثى كوريجان	جمال عبد الناصر
٥١٣-	العلم الجسور	تيد أنتون	مصطفى إبراهيم فهمى
٥١٤-	مدخل إلى النظرية الأدبية	چونثان كولر	مصطفى بيومى عبد السلام
٥١٥-	من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى مالطى دوجلاس	فدوى مالطى دوجلاس
٥١٦-	إرادة الإنسان فى علاج الإدمان	أرنولد واشنطون ودونا باوندى	صبرى محمد حسن
٥١٧-	نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨-	استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	هاشم أحمد محمد
٥١٩-	محاضرات فى المثالية الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٥٢٠-	الولع الفرنسى بمصر من الحلم إلى المشروع	أحمد يوسف	أمل الصبان
٥٢١-	قاموس تراجم مصر الحديثة	أرثر جولد سميث	عبدالوهاب بكر
٥٢٢-	إسبانيا فى تاريخها	أميركو كاسترو	على إبراهيم منوفى
٥٢٣-	الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٥٢٤-	الملك لير (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٥٢٥-	موسم صيد فى بيروت وقصص أخرى	دنيس جونسون	نادية رفعت
٥٢٦-	أقدم لك: السياسة البيئية	ستيفن كرول ووليم رانكين	محيى الدين مزيد
٥٢٧-	أقدم لك: كافكا	ديڤيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	جمال الجزيرى
٥٢٨-	أقدم لك: تروتسكى والماركسية	طارق على وفلْ إيڤانز	جمال الجزيرى
٥٢٩-	بدائع العلامة إقبال فى شعره الأردى	محمد إقبال	حازم محفوظ
٥٣٠-	مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه چينو	عمر الفاروق عمر

الرقم	العنوان	المؤلف	المترجم
٥٢١-	ما الذى حَدَثَ فى «حَدَث» ١١ سبتمبر؟	جاك دريدا	صفاء فتحى
٥٢٢-	المغامرُ والمستشرق	هنرى لورنس	بشير السباعى
٥٢٣-	تعلُّم اللغة الثانية	سوزان جاس	محمد طارق الشرقاوى
٥٢٤-	الإسلاميون الجزائريون	سيفرين لابا	حمادة إبراهيم
٥٢٥-	مخزن الأسرار (شعر)	نظامى الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
٥٢٦-	الثقافات وقيم التقدم	صمويل هنتنجتون ولورانس هاريزون	شوقى جلال
٥٢٧-	للحب والحرية (شعر)	نخبة	عبدالغفار مكاوى
٥٢٨-	النفس والآخر فى قصص يوسف الشارونى	كيت دانيلر	محمد الحديدى
٥٢٩-	خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	محسن مصيلحى
٥٤٠-	توجهات بريطانية - شرقية	السير رونالد ستورس	رءوف عباس
٥٤١-	هى تتخيل وهلاوس أخرى	خوان خوسيه مياس	مروة رزق
٥٤٢-	قصص مختارة من الأدب اليونانى الحديث	نخبة	نعيم عطية
٥٤٣-	أقدم لك: السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	وفاء عبدالقادر
٥٤٤-	أقدم لك: ميلانى كلاين	روبرت هنشل وآخرون	حمدى الجابرى
٥٤٥-	يا له من سباق محموم	فرانسيس كريك	عزت عامر
٥٤٦-	ريموس	ت. ب. وايزمان	توفيق على منصور
٥٤٧-	أقدم لك: بارت	فيليب تودى وآن كورس	جمال الجزيرى
٥٤٨-	أقدم لك: علم الاجتماع	ريتشارد أوزبرن وبورن فان لون	حمدى الجابرى
٥٤٩-	أقدم لك: علم العلامات	بول كوبلى وليتاجانز	جمال الجزيرى
٥٥٠-	أقدم لك: شكسبير	نيك جروم وبيرو	حمدى الجابرى
٥٥١-	الموسيقى والعولمة	سايمون ماندى	سمحة الخولى
٥٥٢-	قصص مثالية	ميجيل دى ثربانتس	على عبد الروف اليمبى
٥٥٣-	مدخل للشعر الفرنسى الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	رجاء ياقوت
٥٥٤-	مصر فى عهد محمد على	عفاف لطفى السيد مارسوه	عبدالسميع عمر زين الدين
٥٥٥-	الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادى والعشرين	أناتولى أوتكين	أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالى
٥٥٦-	أقدم لك: جان بودريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	حمدى الجابرى
٥٥٧-	أقدم لك: الماركيز دى ساد	ستوارت هود وجراهام كرولى	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٨-	أقدم لك: الدراسات الثقافية	زيودين ساردارويورين ڤان لون	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٩-	الماس الزائف (رواية)	تشا تشاجى	عبدالحى أحمد سالم
٥٦٠-	صلصلة الجرس (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوى
٥٦١-	جناح جبريل (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوى
٥٦٢-	بلايين وبلايين	كارل ساجان	عزت عامر
٥٦٣-	ورود الخريف (مسرحية)	خاثينتو بينابينتى	صبرى محمدى التهامى
٥٦٤-	عُش الغريب (مسرحية)	خاثينتو بينابينتى	صبرى محمدى التهامى
٥٦٥-	الشرق الأوسط المعاصر	ديبورا ج. جيرنر	أحمد عبدالحميد أحمد
٥٦٦-	تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى	موريس بيشوب	على السيد على
٥٦٧-	الوطن المغتصب	مايكل رايس	إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨-	الأصولى فى الرواية	عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر

٥٦٩-	موقع الثقافة	هومی بابا	ثائر دیب
٥٧٠-	دول الخليج الفارسى	سير رويرت هاى	يوسف الشارونى
٥٧١-	تاريخ النقد الإسبانى المعاصر	إيميليا دى ثوليتا	السيد عبد الظاهر
٥٧٢-	الطب فى زمن الفراعنة	برونو أليوا	كمال السيد
٥٧٣-	أقدم لك: فرويد	ريتشارد ابيجنانس وأسكار زارتى	جمال الجزيرى
٥٧٤-	مصر القديمة فى عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	علاء الدين السباعى
٥٧٥-	الاقتصاد السياسى للعولمة	نجير وودز	أحمد محمود
٥٧٦-	فكر ثربانتس	أمريكو كاسترو	ناهد العشرى محمد
٥٧٧-	مغامرات بينوكيو	كارلو كولودى	محمد قدرى عمارة
٥٧٨-	الجماليات عند كيتس وهنت	أيومى ميزوكوشى	محمد إبراهيم وعصام عبد الروف
٥٧٩-	أقدم لك: تشومسكى	چون ماهر وچودى جرونز	محيى الدين مزيد
٥٨٠-	دائرة المعارف الدولية (مج١)	چون فيزر وپول سيترجز	بإشراف: محمد فتحى عبدالهادى
٥٨١-	الحمقى يموتون (رواية)	ماريو بوزو	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢-	مرايا على الذات (رواية)	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣-	الجيران (رواية)	أحمد محمود	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٤-	سفر (رواية)	محمود دولت آبادى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥-	الأمير احتجاب (رواية)	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦-	السينما العربية والأفريقية	ليزبيث مالكموس وروى أرمز	سهام عبد السلام
٥٨٧-	تاريخ تطور الفكر الصينى	مجموعة من المؤلفين	عبدالعزيز حمدى
٥٨٨-	أمنحوتپ الثالث	أنييس كابرول	ماهر جويجاتى
٥٨٩-	تمبكت العجيبة	فيلكس ديبوا	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٥٩٠-	أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية	نخبة	محمود مهدى عبدالله
٥٩١-	الشاعر والمفكر	هوراتيوس	على عبدالتواب على وصلاح رمضان السيد
٥٩٢-	الثورة المصرية (جـ١)	محمد صبرى السوربونى	مجدى عبدالحافظ وعلى كورخان
٥٩٣-	قصائد ساحرة	پول ڤاليرى	بكر الحلو
٥٩٤-	القلب السمين (قصة أطفال)	سوزانا تامارو	أمانى فوزى
٥٩٥-	الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ٢)	إكوادو بانولى	مجموعة من المترجمين
٥٩٦-	الصحة العقلية فى العالم	رويرت ديجارليه وآخرون	إيهاب عبدالرحيم محمد
٥٩٧-	مسلمو غرناطة	خوليو كاروباروخا	جمال عبدالرحمن
٥٩٨-	مصر وكنعان وإسرائيل	دونالد ريدفورد	بيومى على قنديل
٥٩٩-	فلسفة الشرق	هرداد مهرين	محمود علاوى
٦٠٠-	الإسلام فى التاريخ	برنارد لويس	مدحت طه
٦٠١-	النسوية والمواطنة	ريان ڤوت	أيمن بكر وسمر الشيشكلى
٦٠٢-	ليوتار:نحو فلسفة ما بعد حداثية	چيمس وليامز	إيمان عبدالعزيز
٦٠٣-	النقد الثقافى	آرثر أيزابرجر	وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسى
٦٠٤-	الكوارث الطبيعية (مج١)	پاتريك ل. أبوت	توفيق على منصور
٦٠٥-	مخاطر كوكبنا المضطرب	إرنست زيبروسكى (الصغير)	مصطفى إبراهيم فهمى
٦٠٦-	قصة البردى اليونانى فى مصر	ريتشارد هاريس	محمود إبراهيم السعدنى

٦٠٧-	قلب الجزيرة العربية (جـ١)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٨-	قلب الجزيرة العربية (جـ٢)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٩-	الانتخاب الثقافى	أجنر فوج	شوقى جلال
٦١٠-	العمارة المدجنة	رفائيل لويث جوثمان	على إبراهيم منوفى
٦١١-	النقد والأيديولوجية	تيرى إيجلتون	فخرى صالح
٦١٢-	رسالة النفسية	فضل الله بن حامد الحسينى	محمد محمد يونس
٦١٣-	السياحة والسياسة	كولن مايكل هول	محمد فريد حجاب
٦١٤-	بيت الأقصر الكبير(رواية)	فوزية أسعد	منى قطان
٦١٥-	عرض الأحداث التى وقعت فى بغداد من ١٩٩٧ إلى ١٩٩٩	أليس بسيرينى	محمد رفعت عواد
٦١٦-	أساطير بيضاء	روبرت يانج	أحمد محمود
٦١٧-	الفولكلور والبحر	هوراس بيك	أحمد محمود
٦١٨-	نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة	تشارلز فيلبس	جلال البنا
٦١٩-	مفاتيح أورشليم القدس	ريمون استانبولى	عايدة الباجورى
٦٢٠-	السلام الصليبى	توماش ماستناك	بشير السباعى
٦٢١-	رباعيات الخيام (ميراث الترجمة)	عمر الخيام	محمد السباعى
٦٢٢-	أشعار من عالم اسمه الصين	آى تشينغ	أمير نبيه وعبدالرحمن حجازى
٦٢٣-	نوادر جحا الإيرانى	سعيد قانعى	يوسف عبدالفتاح
٦٢٤-	شعر المرأة الأفريقية	نخبة	غادة الحلوانى
٦٢٥-	الجرح السرى	چان چينيه	محمد برادة
٦٢٦-	مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	نخبة	توفيق على منصور
٦٢٧-	حكايات إيرانية	نخبة	عبدالوهاب علوب
٦٢٨-	أصل الأنواع	تشارلس داروين	مجدى محمود المليجى
٦٢٩-	قرن آخر من الهيمنة الأمريكية	نيقولاس جويات	عزة الخميسى
٦٣٠-	سيرتى الذاتية	أحمد بللو	صبرى محمد حسن
٦٣١-	مختارات من الشعر الأفريقى المعاصر	نخبة	بإشراف: حسن طلب
٦٣٢-	المسلمون واليهود فى مملكة فالنسيا	دولورس برامون	رانيا محمد
٦٣٣-	الحب وفنونه (شعر)	نخبة	حمادة إبراهيم
٦٣٤-	مكتبة الإسكندرية	روى ماكلويد وإسماعيل سراج الدين	مصطفى البهنساوى
٦٣٥-	التثبيت والتكيف فى مصر	جودة عبد الخالق	سمير كريم
٦٣٦-	حج يولندة	جناب شهاب الدين	سامية محمد جلال
٦٣٧-	مصر الخديوية	ف. روبرت هنتر	بدر الرفاعى
٦٣٨-	الديمقراطية والشعر	روبرت بن وارين	فؤاد عبد المطلب
٦٣٩-	فندق الأرق (شعر)	تشارلز سيميك	أحمد شافعى
٦٤٠-	ألكسياد	الأميرة أنّاكومنينا	حسن حبشى
٦٤١-	برتراند رسل (مختارات)	برتراند رسل	محمد قدرى عمارة
٦٤٢-	أقدم لك: داروين والتطور	چوناثان ميلر وبورين ڤان لون	ممدوح عبد المنعم
٦٤٣-	سفرنامه حجاز (شعر)	عبد الماجد الدريابادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٦٤٤-	العلوم عند المسلمين	هوارد د.تيرنر	فتح الله الشيخ

٦٤٥- السياسة الخارجية الأمريكية ومصادرها الداخلية	تشارلز كجلي ويوچين ويتكوف	عبد الوهاب علوب
٦٤٦- قصة الثورة الإيرانية	سيهر ذبيح	عبد الوهاب علوب
٦٤٧- رسائل من مصر	چون نينيه	فتحي العشري
٦٤٨- بورخيس	بياتريث سارلو	خليل كلفت
٦٤٩- الخوف وقصص خرافية أخرى	چي دي موپاسان	سحر يوسف
٦٥٠- الدولة والسلطة والسياسة في الشرق الأوسط	روچر أوين	عبد الوهاب علوب
٦٥١- ديليسبس الذي لا نعرفه	وثائق قديمة	أمل الصبان
٦٥٢- آلهة مصر القديمة	كلود ترونكر	حسن نصر الدين
٦٥٣- مدرسة الطغاة (مسرحية)	إيريش كستنر	سمير جريس
٦٥٤- أساطير شعبية من أوزبكستان (جـ١)	نصوص قديمة	عبد الرحمن الخميسي
٦٥٥- أساطير وآلهة	إيزابيل فرانكو	حليم طوسون ومحمود ماهر طه
٦٥٦- خبز الشعب والأرض الحمراء (مسرحيتان)	ألفونسو ساستري	ممدوح البستاوي
٦٥٧- محاكم التفتيش والموريسكيون	مرثيديس غارثيا أرينال	خالد عباس
٦٥٨- حوارات مع خوان رامون خيمينيث	خوان رامون خيمينيث	صبري التهامي
٦٥٩- قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية	نخبة	عبداللطيف عبدالحليم
٦٦٠- نافذة على أحدث العلوم	ريتشارد فايفيلد	هاشم أحمد محمد
٦٦١- روائع أندلسية إسلامية	نخبة	صبري التهامي
٦٦٢- رحلة إلى الجذور	داسو سالديبار	صبري التهامي
٦٦٣- امرأة عادية	ليوسيل كليفتون	أحمد شافعي
٦٦٤- الرجل على الشاشة	ستيفن كوهان وإنا راي هارك	عصام زكريا
٦٦٥- عوالم أخرى	بول داڤيز	هاشم أحمد محمد
٦٦٦- تطور الصورة الشعرية عند شكسبير	وولفجانج اتش كليمن	جمال عبد الناصر ومدحت الجيار وجمال جاد الرب
٦٦٧- الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربي	ألڤن جولدنر	علي ليلة
٦٦٨- ثقافات العولمة	فريدريك چيمسون وماساو ميوشي	ليلى الجبالي
٦٦٩- ثلاث مسرحيات	وول شوينكا	نسيم مجلي
٦٧٠- أشعار جوستاف أدولفو	جوستاف أدولفو بكر	ماهر البطوطي
٦٧١- قل لي كم مضى على رحيل القطار؟	چيمس بولدوين	علي عبدالأمير صالح
٦٧٢- مختارات من الشعر الفرنسي للأطفال	نخبة	إبتهال سالم
٦٧٣- ضرب الكليم (شعر)	محمد إقبال	جلال الحفناوي
٦٧٤- ديوان الإمام الخميني	آية الله العظمى الخميني	محمد علاء الدين منصور
٦٧٥- أثينا السوداء (جـ٢، مج١)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدني
٦٧٦- أثينا السوداء (جـ٢، مج٢)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدني
٦٧٧- تاريخ الأدب في إيران (جـ١ ، مج١)	إدوارد جرانڤيل براون	أحمد كمال الدين حلمي
٦٧٨- تاريخ الأدب في إيران (جـ١ ، مج٢)	إدوارد جرانڤيل براون	أحمد كمال الدين حلمي
٦٧٩- مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	وليام شكسبير	توفيق علي منصور
٦٨٠- المدينة الفاضلة (ميراث الترجمة)	كارل ل. بيكر	محمد شفيق غربال
٦٨١- هل يوجد نص في هذا الفصل؟	ستانلي فش	أحمد الشيمي
٦٨٢- نجوم حظر التجوال الجديد (رواية)	بن أوكري	صبري محمد حسن

٦٨٣-	سكين واحد لكل رجل (رواية)	تى. م. ألوكو	صبرى محمد حسن
٦٨٤-	الأعمال القصصية الكاملة (أنا كندا) (جـ١)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسى
٦٨٥-	الأعمال القصصية الكاملة (الصحراء) (جـ٢)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسى
٦٨٦-	امرأة محاربة (رواية)	ماكسين هونج كنجستون	سحر توفيق
٦٨٧-	محبوبة (رواية)	فتانة حاج سيد جوادى	ماجدة العنانى
٦٨٨-	الانفجارات الثلاثة العظمى	فيليب م. دوبر وريتشارد أ. موار	فتح الله الشيخ وأحمد السماحى
٦٨٩-	الملف (مسرحية)	تادووش روجيفيتش	هناء عبد الفتاح
٦٩٠-	محاكم التفتيش فى فرنسا	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩١-	ألبرت أينشتين: حياته وغرامياته	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩٢-	أقدم لك: الوجودية	ريتشارد أبيجانسى وأوسكار زاريت	حمدى الجابرى
٦٩٣-	أقدم لك: القتل الجماعى (المحرقة)	حاثيم برشيت وآخرون	جمال الجزيرى
٦٩٤-	أقدم لك: دريدا	جيف كولينز وبيل مايبلين	حمدى الجابرى
٦٩٥-	أقدم لك: رسل	ديف روبنسون وجودى جروف	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٦-	أقدم لك: روسو	ديف روبنسون وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٧-	أقدم لك: أرسطو	روبرت ودفين وجودى جروفس	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٨-	أقدم لك: عصر التنوير	ليود سبنسر وأندرزيجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٩-	أقدم لك: التحليل النفسى	إيفان وارد وأوسكار زارايت	جمال الجزيرى
٧٠٠-	الكاتب وواقعه	ماريو بارجاس يوسا	بسمة عبدالرحمن
٧٠١-	الذاكرة والحداثة	وليم رود فيفيان	منى البرنس
٧٠٢-	مدونة جوستنيان فى الفقه الرومانى (ميراث الترجمة)	جوستينيان	عبد العزيز فهمى
٧٠٣-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٢)	إدوارد جرانفيل براون	أمين الشواربى
٧٠٤-	فيه ما فيه	مولانا جلال الدين الرومى	محمد علاء الدين منصور وآخرون
٧٠٥-	فضل الأنام من رسائل حجة الإسلام	الإمام الغزالى	عبدالحميد مدكور
٧٠٦-	الشفرة الوراثية وكتاب التحولات	جونسون ف. يان	عزت عامر
٧٠٧-	أقدم لك: فالتر بنيامين	هوارد كاليجل وآخرون	وفاء عبدالقادر
٧٠٨-	فراعنة من؟	دونالد مالكولم ريد	رءوف عباس
٧٠٩-	معنى الحياة	ألفريد أدلر	عادل نجيب بشرى
٧١٠-	الأطفال والتكنولوجيا والثقافة	إيان هاتشباى وجوموران - إليس	دعاء محمد الخطيب
٧١١-	درة التاج	ميرزا محمد هادى رسوا	هناء عبد الفتاح
٧١٢-	الإلياذة (جـ١) (ميراث الترجمة)	هوميروس	سليمان البستانى
٧١٣-	الإلياذة (جـ٢) (ميراث الترجمة)	هوميروس	سليمان البستانى
٧١٤-	حديث القلوب (ميراث الترجمة)	لامنيه	حنا صاوه
٧١٥-	سر تقدم الإنكليز السكسونيين (ميراث الترجمة)	إدمون ديمولان	أحمد فتحى زغلول
٧١٦-	جامعة كل المعارف (جـ٢)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٧-	جامعة كل المعارف (جـ٣)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٨-	جامعة كل المعارف (جـ٥)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٩-	مسرح الأطفال: فلسفة وطريقة	م. جولدبرج	جميلة كامل
٧٢٠-	مداخل إلى البحث فى تعلم اللغة الثانية	دونام جونسون	على شعبان وأحمد الخطيب

٧٢١-	فلسفة المتكلمين فى الإسلام (مج١)	هـ. أ. ولفسون	مصطفى لبيب عبد الغنى
٧٢٢-	الصفيحة وقصص أخرى	يشار كمال	الصفصافى أحمد القطورى
٧٢٣-	تحديات ما بعد الصهيونية	إفرايم نيمنى	أحمد ثابت
٧٢٤-	اليسار الفرويدى	بول روبنسون	عبده الريس
٧٢٥-	الاضطراب النفسى	چون فيتكس	مى مقلد
٧٢٦-	الموريسكيون فى المغرب	غيرمو غوثالبيس بوستو	مروة محمد إبراهيم
٧٢٧-	حلم البحر (رواية)	باچين	وحيد السعيد
٧٢٨-	العولمة: تدمير العمالة والنمو	موريس آليه	أميرة جمعة
٧٢٩-	الثورة الإسلامية فى إيران	صادق زيباكلام	هويدا عزت
٧٣٠-	حكايات من السهول الأفريقية	آن جاتى	عزت عامر
٧٣١-	النوع: الذكر والأنثى بين التميز والاختلاف	مجموعة من المؤلفين	محمد قدرى عمارة
٧٣٢-	قصص بسيطة (رواية)	إنجو شولتسه	سمير جريس
٧٣٣-	مأساة عطيل (مسرحية)	وليم شيكسبير	محمد مصطفى بدوى
٧٣٤-	بونابرت فى الشرق الإسلامى	أحمد يوسف	أمل الصبان
٧٣٥-	فن السيرة فى العربية	مايكل كوبرسون	محمود محمد مكى
٧٣٦-	التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (جـ١)	هوارد زن	شعبان مكاوى
٧٣٧-	الكوارث الطبيعية (مج٢)	پاتريك ل. أبوت	توفيق على منصور
٧٣٨-	دمشق من عصر ما قبل التاريخ إلى الدولة المملوكية	چيرار دى چورج	محمد عواد
٧٣٩-	دمشق من الإمبراطورية العثمانية حتى الوقت الحاضر	چيرار دى چورج	محمد عواد
٧٤٠-	خطابات السلطة	بارى هندس	مرفت ياقوت
٧٤١-	الإسلام وأزمة العصر	برنارد لويس	أحمد هيكل
٧٤٢-	أرض حارة	خوسيه لاكوادرا	رزق بهنسى
٧٤٣-	الثقافة: منظور دارويني	روبرت أونجر	شوقى جلال
٧٤٤-	ديوان الأسرار والرموز (شعر)	محمد إقبال	سمير عبد الحميد
٧٤٥-	المآثر السلطانية	بيك الدنبلى	محمد أبو زيد
٧٤٦-	تاريخ التحليل الاقتصادى (مج١)	چوزيف أ. شومبيتر	حسن النعيمى
٧٤٧-	الاستعارة فى لغة السينما	تريڤور وايتوك	إيمان عبد العزيز
٧٤٨-	تدمير النظام العالمى	فرانسيس بويل	سمير كريم
٧٤٩-	إيكولوچيا لغات العالم	ل.ج. كالڤيه	باتسى جمال الدين
٧٥٠-	الإلياذة	هوميروس	بإشراف: أحمد عتمان
٧٥١-	الإسراء والمعراج فى تراث الشعر الفارسى	نخبة	علاء السباعى
٧٥٢-	ألمانيا بين عقدة الذنب والخوف	جمال قارصلى	نمر عاروری
٧٥٣-	التنمية والقيم	إسماعيل سراج الدين وآخرون	محسن يوسف
٧٥٤-	الشرق والغرب	أنًا مارى شيمل	عبدالسلام حيدر
٧٥٥-	تاريخ الشعر الإسبانى خلال القرن العشرين	أندرو ب. ديبكى	على إبراهيم منوفى
٧٥٦-	ذات العيون الساحرة	إنريكى خارديل بونثيلا	خالد محمد عباس
٧٥٧-	تجارة مكة	پاتريشيا كرون	آمال الروبى
٧٥٨-	الإحساس بالعولمة	بروس روبنز	عاطف عبدالحميد

٧٥٩- النثر الأردى — مولوى سيد محمد — جلال الحفناوى
٧٦٠- الدين والتصور الشعبى للكون — السيد الأسود — السيد الأسود
٧٦١- جيوب مثقلة بالحجارة (رواية) — فيرجينيا وولف — فاطمة ناعوت
٧٦٢- المسلم عدوًا و صديقًا — ماريا سوليداد — عبدالعال صالح
٧٦٣- الحياة فى مصر — أنريكو بيا — نجوى عمر
٧٦٤- ديوان غالب الدهلوى (شعر غزل) — غالب الدهلوى — حازم محفوظ
٧٦٥- ديوان خواجه الدهلوى (شعر تصوف) — خواجه مير درد الدهلوى — حازم محفوظ
٧٦٦- الشرق المتخيل — تييرى هنتش — غازى برو وخليل أحمد خليل
٧٦٧- الغرب المتخيل — نسيب سمير الحسينى — غازى برو
٧٦٨- حوار الثقافات — محمود فهمى حجازى — محمود فهمى حجازى
٧٦٩- أدباء أحياء — فريدريك هتمان — رندا النشار وضياء زاهر
٧٧٠- السيدة بيرفيكتا — بينيتو بيريث جالدوس — صبرى التهامى
٧٧١- السيد سيجوندو سومبرا — ريكاردو جويرالديس — صبرى التهامى
٧٧٢- بريخت ما بعد الحداثة — إليزابيث رايت — محسن مصيلحى
٧٧٣- دائرة المعارف الدولية (جـ٢) — چون فيزر وبول ستيرجز — بإشراف: محمد فتحى عبدالهادى
٧٧٤- الديموقراطية الأمريكية: التاريخ والمرتكزات — مجموعة من المؤلفين — حسن عبد ربه المصرى
٧٧٥- مرآة العروس — نذير أحمد الدهلوى — جلال الحفناوى
٧٧٦- منظومة مصيبت نامه (مج١) — فريد الدين العطار — محمد محمد يونس
٧٧٧- الانفجار الأعظم — چيمس إ. ليدسى — عزت عامر
٧٧٨- صفوة المديح — مولانا محمد أحمد ورضا القادرى — حازم محفوظ
٧٧٩- خيوط العنكبوت وقصص أخرى — نخبة — سمير عبدالحميد إبراهيم وسارة تاكاهاشى
٧٨٠- من أدب الرسائل الهندية حجاز ١٩٣٠ — غلام رسول مهر — سمير عبد الحميد إبراهيم
٧٨١- الطريق إلى بكين — هدى بدران — نبيلة بدران
٧٨٢- المسرح المسكون — مارڤن كارلسون — جمال عبد المقصود
٧٨٣- العولمة والرعاية الإنسانية — ڤيك چورج وبول ويلدنج — طلعت السروجى
٧٨٤- الإساءة للطفل — ديڤيد أ. وولف — جمعة سيد يوسف
٧٨٥- تأملات عن تطور ذكاء الإنسان — كارل ساجان — سمير حنا صادق
٧٨٦- المذنبة (رواية) — مارجريت أتوود — سحر توفيق
٧٨٧- العودة من فلسطين — جوزيه بوفيه — إيناس صادق
٧٨٨- سر الأهرامات — ميروسلاف فرنر — خالد أبو اليزيد البلتاجى
٧٨٩- الانتظار (رواية) — هاچين — منى الدروبى
٧٩٠- الفرانكفونية العربية — مونيك بونتو — جيهان العيسوى
٧٩١- العطور ومعامل العطور فى مصر القديمة — محمد الشيمى — ماهر جويجاتى
٧٩٢- دراسات حول القصص القصيرة لإدريس ومحفوظ — منى ميخائيل — منى إبراهيم
٧٩٣- ثلاث رؤى للمستقبل — چون جريڤيس — رءوف وصفى
٧٩٤- التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (جـ٢) — هوارد زن — شعبان مكاوى
٧٩٥- مختارات من الشعر الإسبانى (جـ١) — نخبة — على عبد الرءوف البمبى
٧٩٦- آفاق جديدة فى دراسة اللغة والذهن — نعوم تشومسكى — حمزة المزينى

٧٩٧-	الرؤية فى ليلة معتمة (شعر)	نخبة	طلعت شاهين
٧٩٨-	الإرشاد النفسى للأطفال	كاترين جيلدرد ودافيد جيلدرد	سميرة أبو الحسن
٧٩٩-	سلم السنوات	أن تيلر	عبد الحميد فهمى الجمال
٨٠٠-	قضايا فى علم اللغة التطبيقى	ميشيل ماكارثى	عبد الجواد توفيق
٨٠١-	نحو مستقبل أفضل	تقرير دولى	بإشراف: محسن يوسف
٨٠٢-	مسلمو غرناطة فى الآداب الأوروبية	ماريا سوليداد	شرين محمود الرفاعى
٨٠٣-	التغيير والتنمية فى القرن العشرين	توماس باترسون	عزة الخميسى
٨٠٤-	سوسيولوجيا الدين	دانييل هيرفيه-ليجيه وجان بول ويلام	درويش الحلوجى
٨٠٥-	من لا عزاء لهم (رواية)	كازو إيشيجورو	طاهر البربرى
٨٠٦-	الطبقة العليا المصرية	ماجدة بركة	محمود ماجد
٨٠٧-	يحى حقى: تشريح مفكر مصرى	ميريام كوك	خيرى دومة
٨٠٨-	الشرق الأوسط والولايات المتحدة	ديفيد دابليو ليش	أحمد محمود
٨٠٩-	تاريخ الفلسفة السياسية (جـ١)	ليو شتراوس وجوزيف كروبسى	محمود سيد أحمد
٨١٠-	تاريخ الفلسفة السياسية (جـ٢)	ليو شتراوس وجوزيف كروبسى	محمود سيد أحمد
٨١١-	تاريخ التحليل الاقتصادى (مج٢)	جوزيف أ.شومبيتر	حسن النعيمى
٨١٢-	تشكل العالم: الصورة والأسلوب فى الحياة الاجتماعية	ميشيل مافيزولى	فريد الزاهى
٨١٣-	لم أخرج من ليلى (رواية)	أنى إرنو	نورا أمين
٨١٤-	الحياة اليومية فى مصر الرومانية	نافتال لويس	أمال الروبى
٨١٥-	فلسفة المتكلمين (مج٢)	هـ. أ. ولفسون	مصطفى لبيب عبدالغنى
٨١٦-	العدو الأمريكى	فيليب روجيه	بدر الدين عرودكى
٨١٧-	مائدة أفلاطون: كلام فى الحب	أفلاطون	محمد لطفى جمعة
٨١٨-	الحرفيون والتجار فى القرن ١٨ (جـ١)	أندريه ريمون	ناصر أحمد وباتسى جمال الدين
٨١٩-	الحرفيون والتجار فى القرن ١٨ (جـ٢)	أندريه ريمون	ناصر أحمد وباتسى جمال الدين
٨٢٠-	هملت (مسرحية) (ميراث الترجمة)	وليم شكسبير	طانيوس أفندى
٨٢١-	هفت بيكر (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٨٢٢-	فن الرباعى (شعر)	نخبة	محمد نور الدين عبد المنعم
٨٢٣-	وجه أمريكا الأسود (شعر)	نخبة	أحمد شافعى
٨٢٤-	لغة الدراما	دافيد برتش	ربيع مفتاح
٨٢٥-	عصر النهضة فى إيطاليا (جـ١) (ميراث الترجمة)	ياكوب بوكهارت	عبد العزيز توفيق جاويد
٨٢٦-	عصر النهضة فى إيطاليا (جـ١) (ميراث الترجمة)	ياكوب بوكهارت	عبد العزيز توفيق جاويد
٨٢٧-	أهل مطروح البدو والمستوطنون والذين يقضون العطلات	دونالد پ.كول وثريا تركى	محمد على فرج
٨٢٨-	النظرية النسبية (ميراث الترجمة)	ألبرت أينشتين	رمسيس شحاتة
٨٢٩-	مناظرة حول الإسلام والعلم	إرنست رينان وجمال الدين الأفغانى	مجدى عبد الحافظ
٨٣٠-	رق العشق	حسن كريم بور	محمد علاء الدين منصور
٨٣١-	تطور علم الطبيعة (ميراث الترجمة)	ألبرت أينشتين وليوپولد إنفلد	محمد النادى وعطية عاشور
٨٣٢-	تاريخ التحليل الاقتصادى (جـ٣)	جوزيف أ.شومبيتر	حسن النعيمى
٨٣٣-	الفلسفة الألمانية	فرنر شميدرس	محسن الدمرداش
٨٣٤-	كنز الشعر	ذبيح الله صفا	محمد علاء الدين منصور

٨٣٥- تشيخوف: حياة فى صور	بيتر أوربان	علاء عزمى
٨٣٦- بين الإسلام والغرب	مرثيدس غارثيا	ممدوح البستاوى
٨٣٧- عناكب فى المصيدة	ناتاليا ڤيكو	على فهمى عبدالسلام
٨٣[illegible]- فى تفسير مذهب بوش ومقالات أخرى	نعوم تشومسكى	لبنى صبرى
[illegible]- أقدم لك: النظرية النقدية	ستيوارت سين وبورين ڤان لون	جمال الجزيرى
٨٤٠- الخواتم الثلاثة	جوتهولد ليسينج	فوزية حسن
٨٤١- هملت: أمير الدانمارك	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٨٤٢- منظومة مصيبت نامه (مج٢)	فريد الدين العطار	محمد محمد يونس
٨٤٣- من روائع القصيد الفارسى	نخبة	محمد علاء الدين منصور
٨٤٤- دراسات فى الفقر والعولمة	كريمة كريم	سمير كريم
٨٤٥- غياب السلام	نيكولاس جويات	طلعت الشايب
٨٤٦- الطبيعة البشرية	ألفريد أدلر	عادل نجيب بشرى
٨٤٧- الحياة بعد الرأسمالية	مايكل ألبرت	أحمد محمود
٨٤٨- تاريخ الدولة العربية (ميراث الترجمة)	يوليوس فلهاوزن	عبد الهادى أبو ريدة
٨٤٩- سونيتات شكسبير	وليم شكسبير	بدر توفيق
٨٥٠- الخيال، الأسلوب، الحداثة	مقالات مختارة	جابر عصفور
٨٥١- الطب التجريبى (ميراث الترجمة)	كلود برنار	يوسف مراد
٨٥٢- العلم والحقيقة	ريتشارد دوكنز	مصطفى إبراهيم فهمى
٨٥٣- العمارة فى الأندلس: عمارة المدن والحصون (مج١)	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٨٥٤- العمارة فى الأندلس: عمارة المدن والحصون (مج٢)	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٨٥٥- فهم الاستعارة فى الأدب	چيرارد ستيم	محمد أحمد حمد
٨٥٦- القضية الموريسكية من وجهة نظر أخرى	فرانثيسكو ماركيث يانو بيانويا	عائشة سويلم
٨٥٧- نادچا (رواية)	أندريه بريتون	كامل عويد العامرى
٨٥٨- جوهر الترجمة: عبور الحدود الثقافية	ثيو هرمانز	بيومى قنديل
٨٥٩- السياسة فى الشرق القديم	إيف شيمل	مصطفى ماهر
٨٦٠- مصر وأوروبا	ڤان بملن	عادل صبحى تكلا
٨٦١- الإسلام والمسلمون فى أمريكا	چين سميث	محمد الخولى
٨٦٢- ببغاء الكاكاتو	أرتور شنيتسلر	محسن الدمرداش
٨٦٣- لقاء بالشعراء	على أكبر دلفى	محمد علاء الدين منصور
٨٦٤- أوراق فلسطينية	دورين إنجرامز	عبد الرحيم الرفاعى
٨٦٥- فكرة الثقافة	تيرى إيجلتون	شوقى جلال
٨٦٦- رسائل خمس فى الآفاق والأنفس	مجموعة من المؤلفين	محمد علاء الدين منصور
٨٦٧- المهمة الاستوائية (رواية)	ديڤيد مايلو	صبرى محمد حسن
٨٦٨- الشعر الفارسى المعاصر	ساعد باقرى ومحمد رضا محمدى	محمد علاء الدين منصور
٨٦٩- تطور الثقافة	روبن دونبار وآخرون	شوقى جلال
٨٧٠- عشر مسرحيات (جـ١)	نخبة	حمادة إبراهيم
٨٧١- عشر مسرحيات (جـ٢)	نخبة	حمادة إبراهيم
٨٧٢- كتاب الطاو	لاوتسو	محسن فرجانى

٨٧٣- معلمون لمدارس المستقبل	تقرير صادر عن اليونسكو	بهاء شاهين
٨٧٤- النهر الخالد (مج١)	جاويد إقبال	ظهور أحمد
٨٧٥- النهر الخالد (مج٢)	جاويد إقبال	ظهور أحمد
٨٧٦- دراسات في الموسيقى الشرقية (جـ١)	هنرى جورج فارمر	أماني المنياوى
٨٧٧- أدب الجدل والدفاع في العربية	موريتس شتينشنيدر	صلاح محجوب
٨٧٨- ترحال في صحراء الجزيرة العربية (جـ١، مجـ١)	تشارلز دوتي	صبرى محمد حسن
٨٧٩- ترحال في صحراء الجزيرة العربية (جـ١، مجـ٢)	تشارلز دوتي	صبرى محمد حسن
٨٨٠- الواحات المفقودة	أحمد حسنين بك	عبد الرحمن حجازى وأمير نبيه
٨٨١- المستنيرون : خدمة وخيانة	جلال آل أحمد	سلوى عباس
٨٨٢- أغاني شيراز (جـ١) (ميراث الترجمة)	حافظ الشيرازى	إبراهيم الشواربى
٨٨٣- أغاني شيراز (جـ٢) (ميراث الترجمة)	حافظ الشيرازى	إبراهيم الشواربى
٨٨٤- تعلم الأطفال الصغار	باربرا تيزار ومارتن هيوز	محمد رشدى سالم
٨٨٥- روح الإرهاب	چان بودريار	بدر عروبكى
٨٨٦- الترجمة والإمبراطورية	دوجلاس روبنسون	ثائر ديب
٨٨٧- غزليات سعدى (شعر)	سعدى الشيرازى	محمد علاء الدين منصور
٨٨٨- أزهار مسلك الليل (رواية)	مريم جعفرى	هويدا عزت
٨٨٩- سارتورس (ميراث الترجمة)	وليم فوكنر	ميخائيل رومان
٨٩٠- منتخبات أشعار فراغي	مختومقلى فراغي	الصفصافى أحمد القطورى
٨٩١- مفاوضات مع الموتى	مارجريت أتوود	عزة مازن
٨٩٢- تاريخ المسيحية الشرقية	عزيز سوريال عطية	إسحاق عبيد
٨٩٣- عبادة الإنسان الحر	برتراند راسل	محمد قدرى عمارة
٨٩٤- الطريق إلى مكة	محمد أسد	رفعت السيد على
٨٩٥- وادى الفوضى (رواية)	فريدريش دورينمات	يسرى خميس
٨٩٦- شعر الضفاف الأخرى	نخبة	زين العابدين فؤاد
٨٩٧- اختراق الجزيرة العربية	ديڤيد چورج هوجارث	صبرى محمد حسن
٨٩٨- الإسلام والعلم	برويز أمير على	محمود خيال
٨٩٩- الدبلوماسية الفاعلة	بيتر مارشال	أحمد مختار الجمال
٩٠٠- تيارات نقدية محدثة	مقالات مختارة	جابر عصفور
٩٠١- مختارات من شعر لى جاو شينج	لى جاو شينج	عبد العزيز حمدى
٩٠٢- آلهة مصر القديمة وأساطيرها	روبرت أرنولد	مروة الفقى
٩٠٣- أفلام ومناهج (مج١)	بيل نيكولز	حسين بيومى
٩٠٤- أفلام ومناهج (مج٢)	بيل نيكولز	حسين بيومى
٩٠٥- تراث الهند	ج. ت. جارات	جلال السعيد الحفناوى
٩٠٦- أسس الحوار في القرآن	هيربرت بوسه	أحمد هويدى
٩٠٧- أرثر.. متعة الحياة (رواية)	فرانسواز چيرو	فاطمة خليل
٩٠٨- الحلقة النقدية	ديڤيد كوزنز هوى	خالدة حامد
٩٠٩- الفنون والآداب تحت ضغط العولمة	چووست سمايرز	طلعت الشايب
٩١٠- بروميثيوس بلا قيود	داڤيد س. ليندس	مى رفعت سلطان

٩١١- غبار النجوم	جون جريبين	عزت عامر
٩١٢- ترجمات يحيى حقى (جـ١) (ميراث الترجمة)	روايات مختارة	يحيى حقى
٩١٣- ترجمات يحيى حقى (جـ٢) (ميراث الترجمة)	مسرحيات مختارة	يحيى حقى
٩١٤- ترجمات يحيى حقى (جـ٣) (ميراث الترجمة)	ديزموند ستيوارت	يحيى حقى
٩١٥- المرأة فى أثينا: الواقع والقانون	روچر چست	منيرة كروان
٩١٦- الجدلية الاجتماعية	أنور عبد الملك	سامية الجندى وعبدالعظيم حماد
٩١٧- موسوعة كمبريدج (جـ١)	نخبة	إشراف: أحمد عتمان
٩١٨- موسوعة كمبريدج (جـ٤)	نخبة	إشراف: فاطمة موسى
٩١٩- موسوعة كمبريدج (جـ٩)	نخبة	إشراف: رضوى عاشور
٩٢٠- خليل جبران: حياته وعالمه	چين جبران و خليل جبران	فاطمة قنديل
٩٢١- لله الأمر (رواية)	أحمدو كوروما	ثريا إقبال
٩٢٢- الموريسكيون فى إسبانيا وفى المنفى	ميكيل دى إيبالثا	جمال عبد الرحمن
٩٢٣- ملحمة حرب الاستقلال (شعر)	ناظم حكمت	محمد حرب
٩٢٤- حتشبسوت: عظمة وسحر وغموض	كريستيان دى روش نوبلكور	فاطمة عبد الله
٩٢٥- رمسيس الثانى: فرعون المعجزات	كريستيان دى روش نوبلكور	فاطمة عبد الله
٩٢٦- ترحال فى صحراء الجزيرة العربية (جـ١، مجـ١)	تشارلز دوتى	صبرى محمد حسن
٩٢٧- ترحال فى صحراء الجزيرة العربية (جـ١، مجـ٢)	تشارلز دوتى	صبرى محمد حسن
٩٢٨- سجون الضوء	كيتى فرجسون	عزت عامر
٩٢٩- نشأة الإنسان (مجـ١)	تشارلس داروين	مجدى المليجى
٩٣٠- نشأة الإنسان (مجـ٢)	تشارلس داروين	مجدى المليجى
٩٣١- نشأة الإنسان (مجـ٣)	تشارلس داروين	مجدى المليجى
٩٣٢- حدائق السحر فى تعلق الشعر (ميراث الترجمة)	رشيدالدين العمرى	إبراهيم الشواربى
٩٣٣- اللاعقلانية الشعرية	كارلوس بوسونيو	على منوفى
٩٣٤- محنة الكاتب الأفريقى	تشارلز لارسون	طلعت الشايب
٩٣٥- تاريخ الفن الألمانى	فولكر جيبهارت	علا عادل
٩٣٦- بيولوجيا الجحيم	إد ريچيس	أحمد فوزى عبد الحميد
٩٣٧- هيا نحكى (قصص أطفال)	أحمد ندالو	عبدالحى سالم
٩٣٨- الأنطولوچيا السياسية عند مارتن هيدجر	پيير بورديو	سعيد العليمى
٩٣٩- سجن العقل	ستيفن چونسون	أحمد مستجير
٩٤٠- اليابان الحديثة: قضايا وآراء	مجموعة مقالات	علاء على زين العابدين
٩٤١- الجماليات لم يولدن بعد	أى كوينى أرماه	صبرى محمد حسن
٩٤٢- القرن الجديد	إريك هوبسبوم	وجيه سمعان عبد المسيح
٩٤٣- لقاء فى الظلام	مختارات من القصص الأفريقية	محمد عبد الواحد
٩٤٤- الكونترباص	باتريك زوسكيند	سمير جريس
٩٤٥- أحلام يقظة جوال منفرد (ميراث الترجمة)	چان چاك روسو	ثريا توفيق
٩٤٦- الزار ومظاهره المسرحية فى إثيوبيا	ميشيل ليريس	محمد مهدى قناوى
٩٤٧- ماوراء المعنى والحقيقة	برتراند راسل	محمد قدرى عمارة
٩٤٨- أفريقيا منذ عام ١٨٠٠	رونالد أوليفر وأنتونى أتمور	فريد چورچ بورى
٩٤٩- مقبرة الصدأ	أندريه فيش	نافع معلا

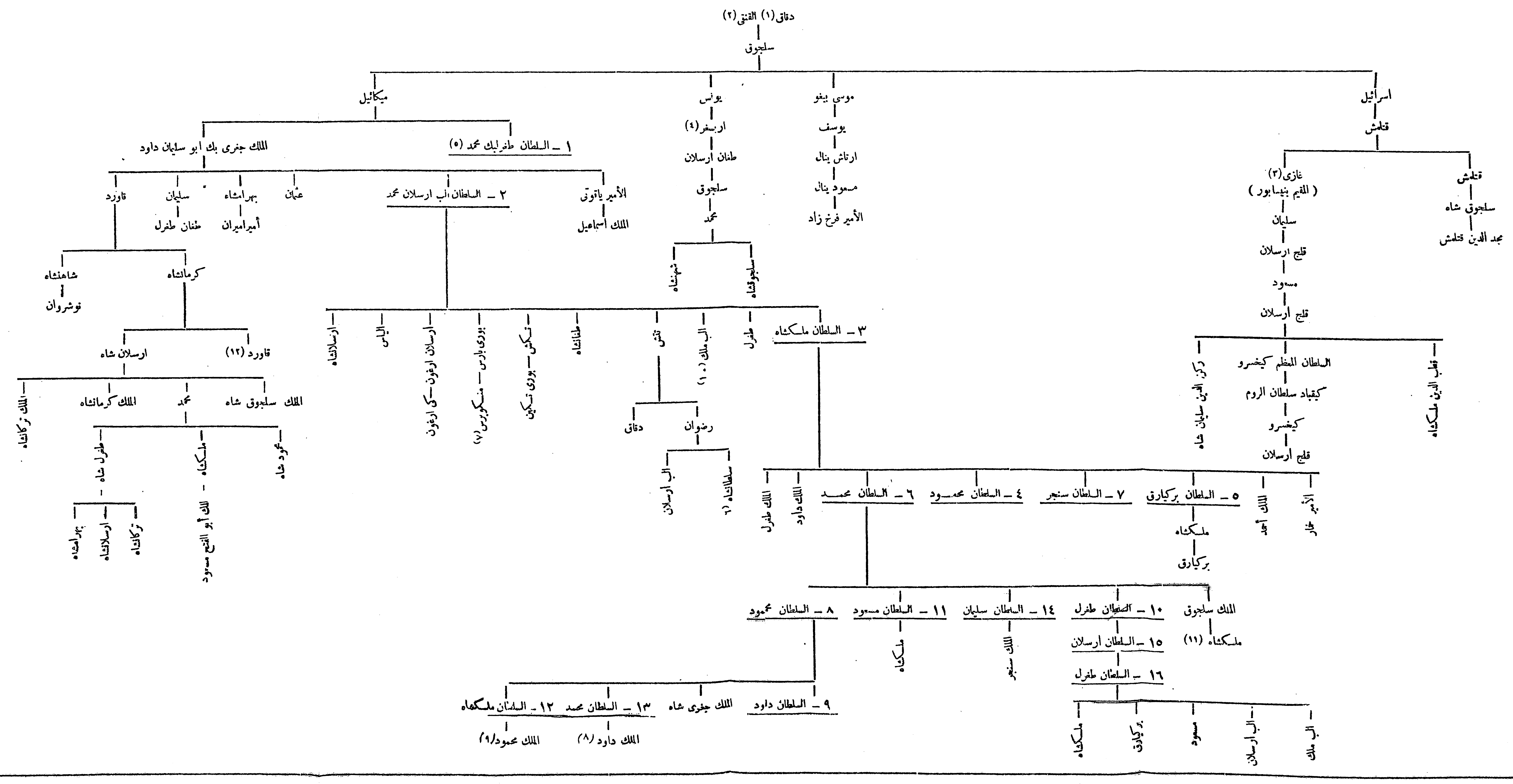
٩٥٠-	فى علم الكتابة	جاك ديريدا	منى طلبة وأنور مغيث
٩٥١-	الاتهام (رواية)	فريدريش دورينمات	عماد حسن بكر
٩٥٢-	العبد ومسرحيات أخرى	أميرى بركة	نعيمة عبد الجواد
٩٥٣-	مختارات من الشعر الإسبانى (جـ٢)	نخبة من الشعراء	على عبد الرءوف البمبى
٩٥٤-	الأصول الاجتماعية لسياسة التوسعية فى عهد محمد على	فرد لوسون	عنان الشهاوى
٩٥٥-	الطب والأطباء	سيلڤيا شيفولو	ماجدة أباظة
٩٥٦-	نعم، ليست لدينا نيوترونات	أ. ك. ديونى	سمير حنا صادق
٩٥٧-	الحركات الاجتماعية: (١٧٦٨-٢٠٠٤)	تشارلز تلى	ربيع وهبة
٩٥٨-	أصوات على هامش الحرب	مريام كوك	صلاح حزين
٩٥٩-	الموريسكيون فى الفكر التاريخى	ميغيل أنخيل بونيس	وسام محمد جزر
٩٦٠-	محمد على الكبير	الأمير عثمان إبراهيم وكارولين وعلى كورخان	هدى كشرود
٩٦١-	شعر الرعاة (ميراث الترجمة)	مختارات من الأدب اليونانى	محمد صقر خفاجة
٩٦٢-	مدخل إلى الفلسفة	وليام جيمس إيرل	عادل مصطفى
٩٦٣-	منتخبات شعرية	حسن رضا خان الهندى	فاطمة سيد عبد المجيد
٩٦٤-	أصول التطرف	كيمبرلى بليكر	هبة رءوف وتامر عبد الوهاب
٩٦٥-	روح مصر القديمة	أنا رويز	إكرام يوسف
٩٦٦-	ما وراء الطبيعة فى إيران (ميراث الترجمة)	محمد إقبال	حسين مجيب المصرى
٩٦٧-	فن الحرب (مجـ ١)	سون تزى	هشام المالكى
٩٦٨-	عالم الخوارق	ج. كوير	كمال الدين حسين
٩٦٩-	التليفزيون خطر على الديمقراطية	كارل بوبر وچون كوندرى	مجدى عبد الحافظ
٩٧٠-	ربما فى حلب ذات يوم وقصص أخرى	نخبة	أحمد الشيمى
٩٧١-	الأدب الفارسى القديم (ميراث الترجمة)	پاول هورن	حسين مجيب المصرى
٩٧٢-	الإسهامات الإيطالية فى عهد محمد على باشا	مقالات مختارة	عماد البغدادى
٩٧٣-	تطور فن المعادن الإسلامى	أولكر أرغين صوى	الصفصافى أحمد القطورى
٩٧٤-	فكرة التطور عند فلاسفة الإسلام	مجدى عبد الحافظ	هدى كشرود
٩٧٥-	وقائع انتحار موظف عمومى	مايكل بيرس	حسن عبد ربه المصرى
٩٧٦-	تفهم ذهنية مدمن المُسكرات	أرنولد لودڤيج	صبرى محمد حسن
٩٧٧-	التعبير عن الانفعالات فى الإنسان والحيوانات	تشارلس داروين	مجدى المليجى
٩٧٨-	الإسلام خواطر وسوانح (ميراث الترجمة)	الكونت هنرى دى كاسترى	أحمد فتحى زغلول باشا
٩٧٩-	الأدب والالتزام من باسكال إلى سارتر	بونوا دونى	محمد برادة
٩٨٠-	الكلمات المفاتيح	رايموند ويليامز	نعيمان عثمان
٩٨١-	الكلمة للبنت	فيرنانديث موراتين	السيد عبد المنعم محمود
٩٨٢-	اللغة والإنترنت	ديڤيد كريستال	أحمد شفيق الخطيب
٩٨٣-	روح الاجتماع (ميراث الترجمة)	جوستاف لوبون	أحمد فتحى زغلول باشا
٩٨٤-	التلفزيون ونمو الطفل	چوديث ڤان إفرا	عز الدين جميل عطية
٩٨٥-	طيبة ونشأة إمبراطورية	كلير لالويت	ماهر جويجاتى
٩٨٦-	... وفيتنام و...	إريش فريد	يسرى خميس
٩٨٧-	مشروع السلام الدائم (ميراث الترجمة)	إيمانويل كانط	عثمان أمين

٩٨٨-	أساطير شعبية من أوزبكستان (جـ٢)	نخبة	عبد الرحمن الخميسى
٩٨٩-	الصوتيات واللغة الفارسية	يد الله ثمرة	حمدى إبراهيم حسن
٩٩٠-	الصوفيون	إدريس شاه	بيومى قنديل
٩٩١-	الإنسانيون الجدد: العلم عند الحافة	جون بروكمان	مصطفى إبراهيم فهمى
٩٩٢-	بلزونى فى مصر	جيوفانى بلزونى	علاء الدين عبد الرحمن
٩٩٣-	مصر أصل الشجرة (جـ١)	سيمسون ناجوفيتز	أحمد محمود
٩٩٤-	مصر أصل الشجرة (جـ٢)	سيمسون ناجوفيتز	أحمد محمود
٩٩٥-	حواديت الأخوين جريم (مجـ١)	الأخوين جريم	منى الخميسى
٩٩٦-	راحة الصدور وآية السرور (ميراث الترجمة)	محمد بن على بن سليمان الراوندى	إبراهيم الشواربى وعبدالنعيم حسنين وفؤاد الصياد

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٢٢٠٣١/ ٢٠٠٥

(سلسلة النسب السلجوقية *)



(*) هذه الشجرة ليست على هذه الصورة فى النسخة الأصلية، إذ وضعت فيها أسماء أعضاء هذه الأسرة بين السطور ضمن « فهرست أسماء السلاطين » (ص ١٤٣) وربط اسم الابن باسم أبيه بكلمة « بن » ؛ ومن الواجب أيضاً أن ننبه إلى أن هذه الشجرة ليست جامعة لجملة أعضاء البيت السلجوقى ، وقد رتبتها وفقاً لما ورد فى النسخة الأصلية مع مطابقته بكتب التواريخ الأخرى ؛ وقد ميزت أسماء السلاطين بوضع خط تحت اسم كل واحد منهم وذكر رقم نوبته (محمد إقبال) .

[المراجع :] قارن هذه الشجرة بما ورد من جداول عن السلاجقة فى كتاب « معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى » وضع المستشرق « زامباور » وتعريب الدكتور زكى محمد حسن وآخرين (مطبعة جامعة فؤاد الأول — القاهرة — ١٩٥١ ص ٢١٥ ، ٣٣٣ — ٣٣٥) .

(١) كتب اسم « دقاق » فى الحاشية ، ولكن كتبت مكانه فى المتن كلمة « لقمان » ولم أصادف هذه الكلمة فى أى كتاب آخر باستثناء « جامع التواريخ » .

(٢) « قنق » اسم قبيلة من قبائل الأتراك (انظر : تاريخ گزيده وكذلك زبدة التواريخ) .

(٣) ارجع إلى ص ٢٠ عربى ١٩ فارسى الحاشية ٢ عربى ٣ فارسى .

(٤) ارجع الى « زبدة النصرة » ص ٢٨ .

(٥) أضيف بعد ذلك عبارة « المدفون بالرى » وكتب بحذائه عبارة : « سيف الدولة ابراهيم بن ينال كان أخا لطغرلبك من أمه ، وقد أعلن عليه العصيان فى همدان وقتل ودفن بها » .

(٦) كتب بحذائه عبارة « المقيم بدمشق » .

(٧) « « « « المقيم بالساباذ » .

(٨) كتب بحذائه عبارة « المقيم بروين دز » .

(٩) « « « « المقيم بقلعة سيذ » .

(١٠) « تحت اسمه عبارة : « المقيم بهراة » .

(١١) « فوق اسمه عبارة « المدفون بالموصل » .

(١٢) كتب هذا الاسم بين اسم « ارسلانشاه » واسم « كرمانشاه » ولا يعرف على وجه التحقيق والده من هذين الاثنين .